THE BOOK WAS DRENCHED

فهرست

الجـــزء الثانى

مـــن تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس)

صحيفة

(تمت)

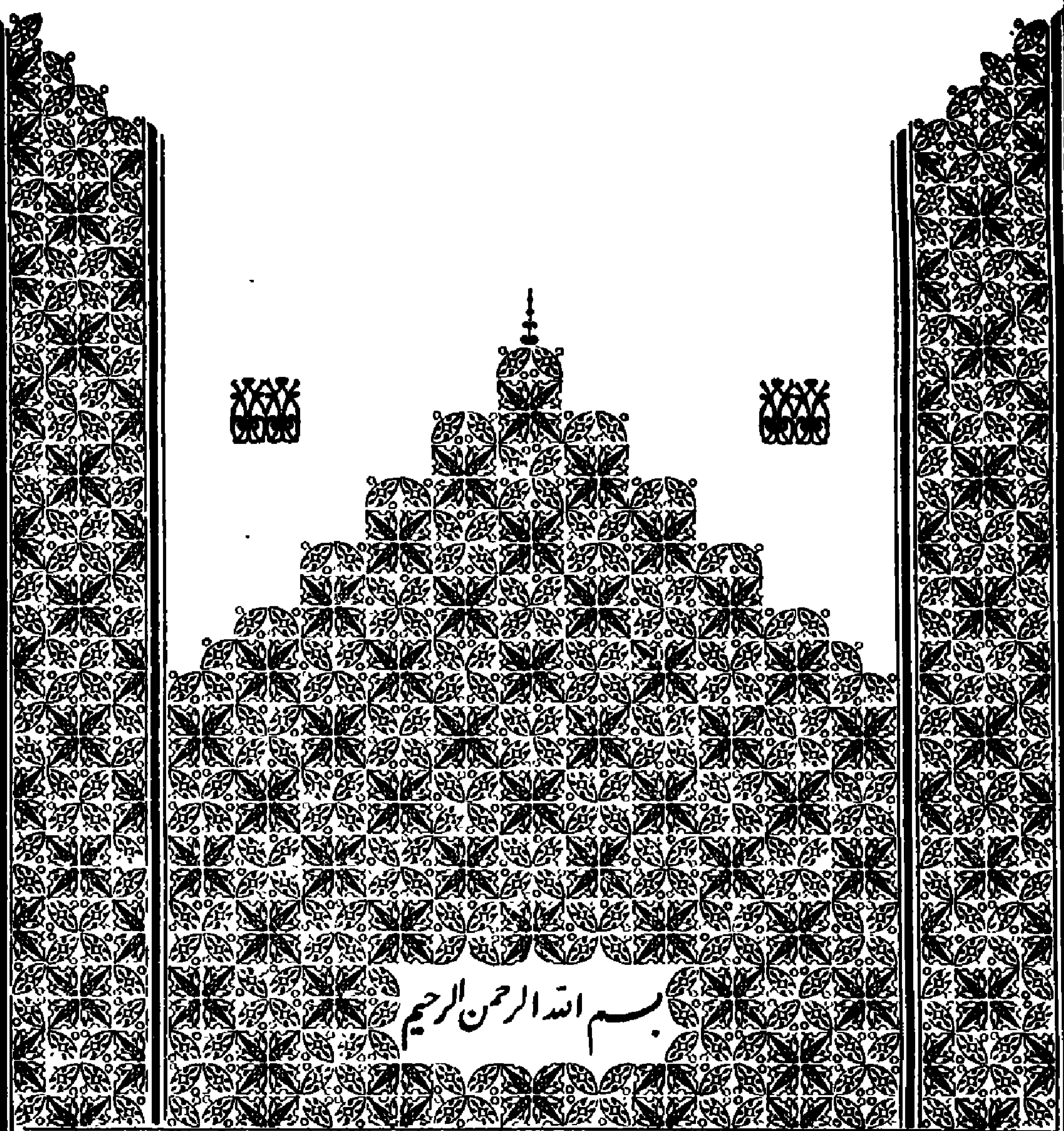
الجزء الثانى من تاريخ مصر

المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور

تأليف
العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس
الحنفى المصرى رحمه الله تعالى
آمين

﴿طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه﴾

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣١١
هجريه



ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى النصر شيخ ابن عبد الله المحمودى الظاهرى

وكان يعرف بالخاصكى وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس فى يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وطلع الى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباسوا له الارض وتلقب بالملك المؤيد ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشيخ ناصر الدين بن كميل الشاعر

تسلطن الشيخ وزال العنا * فالناس فى بشر وتيه وفيخ
فلا تقاتل بصبى ولا * تلق به جيشا وقاتل بشيخ

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخواجا محمود شاه وأعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا وكان يعرف بشيخ المجنون ثم بقي أمير عشرة ثم بقي أمير أربعين وسافر الى الحجاز أمير حاج في سنة احدى وثمانمائة ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق ثم بقي نائب طرابلس ونائب الشام أيضا وأسره تمرلنك على حلب كما تقدم ووقع له في دولة الملك الناصر فرج أمور شتى ومحن عظيمة وسجنه الملك الناصر بخزانة شمايل فأقام بها مدة ثم خرج الى الشام والتف على جكم العوضي ونوروز الحافظي ولم يزل في عصيان وهجاج في البلاد الشامية حتى مضى أكثر عمره فلما جرد الملك الى نوروز وقتل الملك الناصر كما تقدم وتسلطن الخليفة العباس بقي أتابك العساكر بمصر ونظام المملكة ثم انه خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه فلما تسلطن وتم أمره في السلطنة قبض على جماعة من الامراء وأرسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف ووظائف سنية وأنعم على ولده المقر الصارمي ابراهيم بتقدمة ألف وأقام له من الامراء عصبة وأرضى الجند بالاقطاعات ثم قرب جماعة حضروا معه من البلاد الشامية فرقاهم الى وظائف سنية فمنهم المقر الزيني عبد الباسط بن خليل ومنهم المقر الناصري ناصر الدين بن البارزي ومنهم القاضي علم الدين داود بن الكويز والقاضي بدر الدين بن مزهر والامير ناصر الدين التاج وأخيه والشيخ تقي الدين بن حجة الحموي عين أعيان الشعراء وغير هؤلاء جماعة كثيرة حضروا معه من البلاد الشامية الى الديار المصرية ثم انه قبض على القاضي فتح الله كاتب السر الشريف واحتاط على موجوده من صامت وناطق ثم انه خنقه ودفنه تحت الليل فلما مضى أمر فتح الله خلع على المقر القاضوي ناصر الدين بن البارزي واستقر به كاتب السر بالديار المصرية عوضا عن فتح الله واستقر بالمقر الزيني عبد الباسط كاتب الخزائن الشريفة ثم جعله والي القاهرة وناظر الجوالي وناظر الكسوة الشريفة واستقر بالقاضي علم الدين بن الكويز ناظر الجيوش المنصورة واستقر بالامير ناصر الدين التاج استادار الصحبة وقرر كل واحد منهم في وظيفة تليق به ثم انه قرب من الامراء من شاء منهم وأبعد من شاء منهم واستقامت أموره في السلطنة وأطاعه الجند ولم يختلف عليه اثنان من العسكر

❁ ثم دخلت سنة ست عشرة وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من دمشق بان نوروز الحافظي لما بلغه ان شيخ خلع الخليفة العباس من السلطنة وتسلطن عوضه عز ذلك عليه ولم يقبل الارض للملك المؤيد شيخ وأظهر العصيان وتعجب من شيخ كيف خان الايمان والعهود التي كانت بينه وبين نوروز وكانوا أعظم من الاخوة ينامون على مخدة واحدة فخان شيخ الايمان والعهود وتسلطن بمصر فكان كما قيل

وحلفت انك لاتميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتني

واستمر نوروز يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق وأعمالها ولم يخطب باسم الملك المؤيد شيخ ولا ضرب باسمه سكة واستمر واضعا يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات وفي هذه السنة خلع السلطان على منكلي بغا الشمسي وولاه محتسبا بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من الاتراك ولم يتولها قبله أحد من الاتراك ومن الحوادث في تلك السنة انه ظهر بالقاهرة شخص يدعي انه يصعد الى السماء ويكلم البارى جل جلاله في كل يوم مرة فاعتقده جماعة كثيرة من عوام مصر فلما شاع أمره بين الناس رسم السلطان بان يعقدوا له مجلسا بالصالحية فاجتمع له هناك القضاة الاربعة فأراد القاضي المالكي ان يثبت عليه الكفر فشهد جماعة من أهل الطب بانه في عقله خلل فسجنوه ولم يثبت عليه كفر وهذه الواقعة متفق على صحتها في زمن المؤيد شيخ انتهى ذلك *(ثم دخلت سنة سبع عشرة وثمانمائة)* فيها اقوى عزم الملك المؤيد شيخ بأن يخرج الى الشام بسبب عصيان نوروز فعلق الجاليش وعرض العسكر وأنفق عليهم وخرج من القاهرة في موكب عظيم وصحبته الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وسائر الامراء وقرر الامير ططر نائب الغيبة الى أن يحضر السلطان والامير سودون قراسنقر حاجبا الحجاب يحكم بين الناس فلما وصل الى دمشق وجد نوروز قد حصن دمشق وركب على سورها المدافع من كل جانب فحاصره الملك المؤيد شيخ أشد ما يكون من المحاصرة ونصب حول مدينة دمشق صاعدة مناجيق ولازال يحاصر نوروز مدة طويلة حتى ضجر نوروز وأرسل يطلب من شيخ الامان على نفسه وكان بقلعة دمشق فمازالوا على ذلك حتى غلب نوروز وسلم نفسه الى شيخ وآخر الامر قطع شيخ رأس نوروز في قلعة دمشق وأرسلها الى القاهرة وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام ثم دفنت وكان شيخ باغيا على نوروز فكأن لسان حال نوروز يقول

ياغادرابي ولم أغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي أخاف جفا * فجاء ما قلته نقشا على حجر

قال الشيخ تقي الدين بن حجة الشاعر وفي النيل المبارك في سنة ست عشرة وثمانمائة في أوائل مسرى فنزل الملك المؤيد وخلق المقياس وكسر السد على العادة وذلك قبل أن يتوجه الى دمشق بسبب نوروز فانشدته في ذلك اليوم مهنئا

أيا ملكا بالله صار مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى سد مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نوروز

فكان الفال بالنطق وتوجه الملك المؤيد عقيب ذلك الى نوروز وقطع رأسه وأرسلها الى مصر صحبة الامير جرباش قاشق وذلك في جمادى الاولى سنة سبع عشرة وثمانمائة فارتجت

لها مصر وأقام بعد ذلك فى دمشق أياما حتى مهد البلاد الشامية وعزل من عزل وولى من ولى وخلع على قانباى المحمدى واستقر به نائب الشام عوضا عن نوروز الحافظى وخلع على الامير اينال الصصلانى واستقر به نائب حلب وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به نائب طرابلس وخلع على الامير جانى بك الجباسى واستقر به نائب حماه ثم قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فلما دخل الى مصر كان له يوم مشهود وزينت له القاهرة وحملت على رأسه القبة والطير حتى طلع الى القلعة ﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثمانمائة﴾ فيها جاءت الاخبار بان النواب المقدم ذكرهم قد أظهروا العصيان وخرجوا عن الطاعة فجرد اليهم الملك المؤيد ثانيا وخرج اليهم بنفسه وأوقع معهم فانتصر عليهم وقبض على قانباى المحمدى نائب الشام وقطع رأسه ثم قبض على اينال الصصلانى وقتله على صدر أبيه ثم قتل الاب بعد ذلك ثم انه ولى جماعة من الامراء نوابا غير هؤلاء ورجع الى الديار المصرية فلم يقم سوى مدة يسيرة وقد جاءت الاخبار بان النواب قد خامروا وأظهروا العصيان فجرد اليهم ثالث مرة وخرج بنفسه فلما بلغ النواب مجيئه هربوا من وجهه وتوجهوا الى قرا يوسف أمير التركمان فاستقر بنواب غيرهم ممن يثق بهم وفى هذه المرة مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جادرة هذه النواب الذين كانوا مخامرين عليه ثم رجع الى الديار المصرية وقد صفا له الوقت وانشأ له مماليك كثيرة وجدد له أمراء وحسنت أوقاته بمصر فكان ينزل من القلعة ويتوجه الى بولاق ويقيم عند القاضى ناصر الدين بن البارزى فى بولاق وكان يعمل المواكب هناك وتجتمع الامراء المقدمون عنده وكان ينزل يعوم فى بعض الاوقات فى البحر وحوله الامراء والخاصكية وكان يتباهى فى يوم كسر سد النيل المبارك ويلزم الامراء المقدمين بان كل واحد منهم يزين له حراقة ويجعل فيها الصناجق والكوسات فاذا وفى النيل يحضرون له بالذهبية الى بولاق ويتوجه الى المقياس يخلق العمود ويكسر السد والامراء المقدمون حوله فى الحراريق المزينة حتى يسدوا البحر من كثرة المراكب ويكون له يوم مشهود لم يسمع بمثله فيما تقدم وقد فاق فى ذلك على ما كان يصنعه فى ذلك اليوم أستاذه الملك الظاهر برقوق وكان يتباهى فى المواكب الجليلة الى الغاية وكان رجلا كثير التنزه لا يقيم بالقلعة الا قليلا وأكثر أيامه فى بولاق وقيل كانت الرماحة تلعب قدامه فى بولاق وهو ينظر اليهم من البارزية ولم يمش أحد من الملوك على طريقته فى اللهو والقصف ﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وفتك غاية الفتك فى البرية وقد قال بعض الشعراء

رعى الرحمن دهرا قد تولى * يجازى بالسلامة كل شرط
وكان الناس فى غفلات أمن * فجا طاعونهم من تحت ابط

(ثم دخلت سنة عشرين وثمانمائة) فيها ظهرت أعجوبة ولدت جاموسة بمدينة بلبيس مولودة لها رأسان وأربعة أيدى وسلسلتا ظهر ولها دبر واحد وفرج واحد ولها رجلان فى حقوها فأقامت أياما وماتت ومن العجائب أيضا ما ذكره العلامة شهاب الدين بن حجر فى تاريخه أن المصونة فاطمة بنت قاضى القضاة جلال الدين بن سراج الدين عمر البلقينى ولدت ولدا ذكرا الذكر وفرج وله يدان زائدتان فى كتفيه وله قرنان فى رأسه مثل قرون الثور فأقام ساعة ومات وذكر أيضا فى تاريخه ان جلا ذبح بمدينة غزة بعد العشاء فأضاء لحمه فى الليل كما يضىء الشمع وقيل رمى بقطعة من لحمه لكلب فلم يأكل منها شيأ ولم يعلم سبب ذلك وهذا من العجائب التى وقعت فى تلك السنة (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثمانمائة) فيها وقع الطاعون بالديار المصرية واستمر يسلسل حتى دخلت سنة اثنتين وعشرين فكان تارة يزيد وتارة ينقص وفى سنة احدى وعشرين وقع الغلاء أيضا بالديار المصرية ونزل الملك المؤيد شيخ واستسقى كما جرت بذلك العادة وقيل ان الملك المؤيد لما نزل الى الاستسقاء لبس جبة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة جدا بعذبة مرخية خلفه وعلى كتفه مئزر صوف أبيض وركب فرسا بغير قماش حرير ولا سرج ذهب وذبح هناك بيده أغناما وأبقارا وفرقها على الفقراء وفرق فى ذلك اليوم على الفقراء ثلاثين ألف رغيف وصلى على الرمل من غير سجادة وتواضع الى الله تعالى فى ذلك اليوم فزاد النيل ووفى فى أواخر توت ثم انهبط بسرعة وشرقت أكثر البلاد واستمر الغلاء بمصر سنة كاملة وعزت الاقوات (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة) فيها كملت عمارة جامع الملك المؤيد شيخ الذى هو داخل باب زويلة وكان مكان هذا الجامع سجنا يحبس فيه أصحاب الجرائم وكان يعرف بخزانة شمايل وكان شمايل هذا من جملة جماعة والى القاهرة فلما خرج الملك الكامل صاحب المدرسة الكاملية الى قتال الفرنج لما أخذوا ثغر دمياط كان شمايل هذا يمشى فى ركاب الملك الكامل ويسبح فى البحر تحت الليل ويكشف عن أخبار الفرنج ويأتى الملك الكامل بالاخبار فحظى عنده بذلك فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل شمايل هذا والى القاهرة فبنى له هذا السجن فنسب اليه وقيل خزانة شمايل وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس فى خزانة شمايل فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاسى بها شدائد عظيمة فنذر فى نفسه ان خلص من هذه الشدة وبقى سلطانا يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعا فلما تولى الملك بمصر هدمه وبنى مكانه هذا الجامع وقد تناهى فى زخرفته ورخامه وسقوفه وأبوابه فلم يبن فى القاهرة مثله ولا مثل سقفه ولكنه ظلم أعيان الناس فى تحصيل رخامه وصاروا يكبسون البيوت والحارات بسبب الرخام فظلم خلق الله حتى حصل هذا الرخام ومن جملة ظلمه فيه انه أخذ باب مدرسة السلطان حسن والتنور الكبير وجعلهما

فى جامعه وأعطى فيهما أبخس الاثمان وأخذ العمودين السماق اللذين فى المحراب من جامع قوصون الذى بالقرب من بركة الفيل ووزع أخشاب سقوفه ودهانها على أعيان المباشرين فكان كما قيل

بنى جامعا لله من غير حله * فجاء بحمد الله غير موفق
كطعمة الايتام من كدّ فرجها * فليتك لاتزنى ولاتتصدق

ولما تم بناء هذا الجامع وقف عليه الاوقاف الجليلة من بلاد ومسقفات وقرر فيه حضورا من بعد العصر ورتب لهم جوامك وخبزا وقرر شيخ الحضور الشيخ شمس الدين الديرى الحنفى وجعل الخطابة للقاضى ناصر الدين بن البارزى وأودع بهذا الجامع خزانة كتب نفيسة قيل لما كملت عمارة هذا الجامع رسم السلطان بان تملأ الفسقية التى فى صحن الجامع سكرا وماء ليمون فملئت سكرا ووقف رؤس النواب يفرقون السكر على الناس بالطاسات وخلع فى ذلك اليوم على جماعة كثيرة من المشدين والمهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين فلما كان يوم الجمعة حضر بالجامع القضاة الاربعة وسائر الامراء وأرباب الوظائف وأعيان العلماء وخطب فى ذلك اليوم القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر الشريف خطبة بليغة وكان يوما مشهودا فلما كان وقت الحضور فى الجامع اجتمع الطلبة وخرج الشيخ شمس الدين الديرى من الخلوة وقدامه ولد السلطان المقر الصارمى ابراهيم وهو حامل سجادة الشيخ شمس الدين الديرى حتى فرشها له فى المحراب وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر

ان يقولوا سجادة فوق بحر * لولى يمشى عليها كرامه
قلت هذى سجادة فوقها البحـ * ـر فخذت عنه بغير ملامه

ومن الحوادث انه لما بنوا مأذنتى هذا الجامع مالت احداهما الى السقوط عندما كملت فرسم بهدمها فهدمت ثم أعيدت ثانيا فقال العلامة شهاب الدين بن حجر يداعب قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى فى هذه الواقعة

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم ترفقوا * فليس على هدمى أضر من العين

فأجابه عن ذلك بدر الدين بن العينى

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الاخسة الحجر

ومما عد له من المحاسن أنه أبطل مكس الفواكه قاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب هذا الجامع لما كمل بناؤه ❁ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فيها توفى المقر

الصارمى ابراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ وقيل ان أباه المؤيد سمه فى حلوى وسبب ذلك ان سيدى ابراهيم كان شجاعا بطلا لا يمل من الحرب والقتال فمالت اليه قلوب الجند وكان الملك المؤيد لا يزال يعتريه ضربان المفاصل وكان قد ثقل عن الحركة فكان يحمل على أكتاف المماليك اذا انتقل من مكان الى مكان فقال القاضى ناصر الدين بن البارزى للملك المؤيد ان العسكر يقصدون خلعك من السلطنة ويولون سيدى ابراهيم فحسن له ان يشغله فلما شغله ومات حزن عليه الناس حزنا شديدا ودفن داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى فلما كان يوم الجمعة حضر السلطان المؤيد فى الجامع وصلى الجمعة فى مأتم ابنه فخطب القاضى ناصر الدين بن البارزى فى ذلك اليوم خطبة فى معنى ذلك حتى ينفى عنه كلام الناس فروى وهو على المنبر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ان دخل على ولده ابراهيم وجده يجود بنفسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت عيناه تذرفان وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون فلما سمع الملك المؤيد ذلك شق عليه وقال فى نفسه يغرينى على ولدى حتى أقتله ثم يندمنى عليه فلما فرغ القاضى ناصر الدين من صلاة الجمعة قدم اليه سلطانية سكر وشغله فيها فتوجه الى بيته وأقام أياما ومات والمجازاة من جنس العمل ۞ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثمانمائة فيها ثقل الملك المؤيد فى الضعف ولزم الفراش واستمر على ذلك أياما حتى مات فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فغسل فى القلعة وكفن وصلى عليه ونزلوا به من القلعة والامراء مشاة قدامه حتى توجهوا به الى جامعه فلم يدخلوا به من باب زويلة ودخلوا به من الباب الذى عند الخضريين وقيل مات وله من العمر خمس وستون سنة وخلف من الاولاد صبيا وبنتين وهو سيدى أحمد الذى تسلطن بعده وهو ابن خوند سعادات وكانت احدى بناته متزوجة بالاتابكى قرقماس الشعبانى والاخرى متزوجة بالامير يشبك الفقيه الدوادار وهى أم ولده سيدى يحيى فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد شيخ بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام وكان ملكا جليلا كفأ للسلطنة عارفا باحوال المملكة وافر العقل مقداما فى الحرب وله مكايد وحيل وثبات وقت التقاء الجيوش حتى ضرب به المثل فكان يقال نعوذ بالله من ثبات شيخ ومن حطمة نوروز الحافظى وكان المؤيد كريما على من يستحق الكرم وشحيحا على من يستحق الشح وكان يضع الشئ فى محله وهو الذى مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جذر تلك النواب العصاة الذين أخربوا غالب البلاد الشامية وكان يميل الى اللهو والطرب ويستعمل الراح ويميل الى الملاح وكان يستعمل الاشياء المخدرة من المصطلات وكان يقرب أرباب الفنون وكانت أرباب الفنون تتباهى فى أيامه فى فنونهم لجودة فهمه وحسن معرفته

وكان

وكان يغني من فن الموسيقى ويركز الفن وينظم الشعر ومن نظمه الرقيق قوله من قصيدة

فتنتنا سوالف وخدود * وعيون نواعس وقدود
أسرتنا الظبا وهن نعاس * وخضعنا لها ونحن الأسود

ولم يزل يركز هذه الابيات الى الاستشهاد باسمه فقال

وأنا الخاصكي شيخ المؤيد * نظم شعرى جواهر وعقود

وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الى الآن وكان منقادا الى الشرع بعة ويحب أهل العلم ويقرب الفقهاء والصلحاء ويبرهم ويحب فعل الخير وله أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة ولكن ذكر له المقريزى أشياء كثيرة من المساوى منها أنه كان جهورى الصوت سفيها فى كلامه وكان غير مقبول الشكل واسع العينين كبير الكرش درى اللون أكث اللحية معتدل القامة متركن الوجه كبير الانف وكان سفاكا للدماء قتل جماعة كثيرة من النواب والامراء وكان اذا ظفر باحد من أعدائه لا يرحمه وكان كثير المصادرات للرعية وأحدث فى أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد وأما ما أنشأه من العمائر بالديار المصرية فهو الجامع الكبير الذى هو داخل باب زويلة وعمر الجامع الذى فى رأس الصوة مكان المدرسة الاشرفية التى هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر الجامع الذى عند المقياس وعمر الخلاوى والمأذنة التى فى المدرسة الخروبية التى فى بر الجيزة وجدد عمارة القبة التى فى قاعة البحرة وجدد عمارة التاج والسبعة وجوه التى كانت بالقرب من الكوم الابيض ولكن هدم ودرست معالمه فى دولة الملك الظاهر جقمق وكان من جملة المفترجات القديمة بمصر فهدمه الناصرى محمد بن اينال قريب الملك الظاهر جقمق وللملك المؤيد آثار كثيرة غير ذلك بمصر والشام وكانت دولته ثابتة القواعد وصير الذئب والغنم يمشيان فى صعيد واحد فأما قضاته الشافعية فالقاضى جلال الدين بن سراج الدين البلقينى الشافعى والقاضى ولى الدين العراقى الشافعى وأما قضاته الحنفية فالقاضى بدر الدين محمود العينى الحنفى والقاضى التفهنى والقاضى صدر الدين بن العديم الحنفى وأما قضاته المالكية فالقاضى نصر الدين بن التونسى المالكى وأما قضاته الحنابلة فالقاضى علاء الدين بن مغلى الحنبلى وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فقاضى القضاة جلال الدين بن سراج الدين البلقينى الشافعى قيل انه توفى بمنزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد من البلاد الشامية فلما توفى جلال الدين فى الصالحية ودخل السلطان الى الديار المصرية اشتوروا فيمن يولونه قاضيا عوضا عن جلال الدين فاخبروا السلطان بذكر ابنه تاج الدين وأخيه علم الدين صالح فلما بلغ الشيخ شهاب الدين بن حجر ذلك انشد يقول

مات جلال الدين قالوا ابنه * يخلفه أو فالأخ الكاشح

فقلت تاج الدين لالائــق * بمنصب الحكم ولاصالح

ثم وقع الاختيار على تولية الشيخ ولى الدين العراقى فولى عوضا عن جلال الدين البلقينى وتوفى فى أيام المؤيد من الاعيان الشيخ شمس الدين البنانى وكان من كبار الحنفية وتوفى الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس وتوفى الشيخ خلف النحريرى وكان من كبار المالكية وتوفى الشيخ جمال الدين بن ظهيرة قاضى القضاة الشافعية بمكة وتوفى الشيخ برهان الدين بن رفاعة الدمشقى وكان من أعيان دمشق وله شعر جيد وتوفى ابن هشام العجمى وتوفى القاضى ناصر الدين بن البارزى الجهنى الشافعى كاتب السر الشريف بالديار المصرية وتوفى الشيخ عز الدين الموصلى صاحب شرح البديعية وتوفى الشيخ جمال الدين بن خطيب داريا وكان من فحول الشعراء وتوفى الشيخ علاء الدين بن ايبك الدمشقى وكان من فحول الشعراء وتوفى فى أيامه جماعة كثيرة من الاعيان ولما توفى الملك المؤيد شيخ تولى من بعده ابنه الملك المظفر انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد شيخ وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر أبى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى

وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد تسلطن بعد موت أبيه الملك المؤيد شيخ فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فكان مرضعا وكانت ولايته تقرب من ولاية سابور ذى الاكتاف الذى تولى الملك وهو فى بطن أمه فوضعوا على بطنها تاج الملك وسابور رجل فكانت ولاية الملك المظفر أحمد تقرب من ذلك وكانت أمه خوند سعادات بنت الامير صرغتمش الناصرى فلما تسلطن كان الاتابكى الطنبغا القرشى غائبا فى التجريدة هو وجماعة من الامراء نحو البلاد الشامية بسبب عصيان النواب وكان بمصر من الامراء المقر السيفى ططر أمير مجلس فلما توفى الملك المؤيد شيخ تعصب مماليكه وقالوا ما نسلطن الا ابن أستاذنا وكان المماليك المؤيدية نحو خمسة آلاف مملوك فلما حضر الخليفة والقضاة الاربعة وقصدوا المبايعة لاحمد ابن الملك المؤيد عارض الخليفة فى ذلك وقال هذا صغير وتضيع أحوال المسلمين بين الامراء فقال المماليك الامير ططر يكون مدبر المملكة الى أن يحضر الاتابكى الطنبغا وسع الخليفة الا انه بايعه على كره منه فسلطنوه ولقبوه بالملك المظفر ونودى باسمه فى القاهرة ثم أجلسوه على سرير الملك وهو فى حجر المرضعة وكانت العادة اذا تسلطن سلطان وجلس

على سرير الملك فى القصر الكبير تدق الكؤسات داخل القصر فلما أجلسوا الملك المظفر
أحمد على سرير المملكة وهو فى حجر المرضعة دقت الكؤسات فى القصر فاضطرب الملك
المظفر اضطرابا شديدا وأغمى عليه فحصل له فى الحال حول فى عينيه من الرجفة واستمر فى
كل وقت يضطرب الى ان مات فلما تم أمره فى السلطنة ثار المماليك المؤيدية على الامير
ططر بسبب الامريات والوظائف وصار ططر معهم فى غاية الضنك فما وسعه الا أن
يرضيهم بكل ما يمكن فخلع على الامير على باى المؤيدى واستقر به دوادارا كبيرا وكان أمير
عشرة وخلع على الامير تغرى بردى بن قصروه واستقر به أمير اخور كبير وكان أمير
عشرة ثم جعل جماعة من الامراء المؤيدية مقدمى ألوف وجماعة منهم أمراء طبلخانات
وجماعة منهم أمراء عشراوات ثم انه فرق الاقطاعات السنية على المماليك المؤيدية ثم
جاءت الاخبار من البلاد الشامية بأن جقمق الارغونى نائب الشام قد خامر وخرج عن
الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نائب حلب قد خامر أيضا وخرج عن الطاعة وكذلك بقية
النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الاتابكى الطنبغا القرشى لما توجه الى
الشام بسبب عصيان النواب أوقع معهم بمن معه من الامراء فهربوا الى نحو صرخد
ثم ان الاتابكى الطنبغا لما توجه الى صرخد جمع العربان والعشير ورجع الى دمشق
وأوقع مع نائب الشام جقمق فانكسر جقمق منه وهرب الى نحو حلب فملك الاتابكى
الطنبغا دمشق وقلعتها فلما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه أظهر العصيان
وخرج عن الطاعة وأقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت
عليه العربان والعشير فلما بلغ الامراء ذلك خلعوا على ططر واستقروا به أتابكى العسكر
عوضا عن الطنبغا القرشى ثم اتفق الحال على ان الاتابكى ططر يأخذ السلطان معه فى
محفة ويتوجه هو والعسكر الى دمشق بسبب الطنبغا القرشى والنواب فخرج ططر
من القاهرة وصحبته الملك المظفر أحمد فى محفة والمرضعة معه وخرج من مصر
وسائر الامراء والعسكر وكانت خوند سعادات صحبة ابنها فى المحفة لما خرج الى الشام
حتى تأمن عليه من القتل وكانت خوند سعادات لما انقضت عدتها مشت الامراء بينها
وبين ططر بان يتزوج بها فلما خرج ابنها الى الشام خرجت معه فلما وصلوا به الى
الشام ألقى الله تعالى الرعب فى قلب الطنبغا القرشى وجقمق نائب الشام فلما دخل
الملك المظفر الى الشام حضر اليه الطنبغا القرشى وفى رقبته منديل فباس الارض قدام
الملك المظفر وهو فى المحفة فلما وقعت عليه عين الاتابكى ططر قبض عليه وسجنه بقلعة
دمشق ثم قبض على جقمق نائب الشام وسجنه بقلعة دمشق أيضا ثم انه أمر بخنقه
وبخنق الطنبغا القرشى فخنقا تحت الليل ثم قبض على جماعة من النواب وقتلهم وأخذ

فى أسباب القبض على جماعة من الامراء المؤيدية فاحتال عليهم وأظهر انه قد مرض وأقام بقلعة دمشق ولما بلغ الامراء ذلك طلعوا يسلمون عليه ودخلوا عليه فقبض على جماعة منهم حتى قيل قبض فى يوم واحد على أربعين أميرا من الامراء المؤيدية وحبسهم بقلعة دمشق ثم قبض على جماعة من المماليك المؤيدية نحو ثلثمائة مملوك وحبسهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا للططر الوقت والتفت عليه خشداشينه القاهرية وفرق عليهم الاقطاعات والوظائف وقويت شوكته وعصبته وصار يمهد لنفسه فى الباطن فعند ذلك خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة وتسلطن عوضه بدمشق وكان الخليفة المعتضد بالله داود صحبته والقضاة الاربعة فبايعوا ططر وسلطنوه وذلك فى يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر وخطب باسمه فى ذلك اليوم على منابر دمشق فلما تم أمره فى السلطنة هنالك طلق خوند سعادات أم الملك المظفر أحمد وقد خاف على نفسه منها والذى خاف منه وقع فيه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلم ينل من الدهر قصده فلما تسلطن قصد التوجه الى نحو الديار المصرية وأخذ الملك المظفر معه وأمه ورجع الى مصر فلما دخل الى القاهرة كان له يوم مشهود وزينت له المدينة وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب الى ان طلع القلعة فلما جلس على سرير الملك أرسل الملك المظفر أحمد الى السجن بثغر الاسكندرية وأرسل معه المرضعة والدادة فكانت مدة سلطنته بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما فما كان أغناه عن هذه السلطنة والحول الذى حصل فى عينيه لما دقت الكؤسات فى القصر يوم سلطنته كما تقدم وآخر الامر سجن وأقام فى السجن الى ان مات بثغر الاسكندرية فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى ومات بالطاعون ثم نقل بعد موته الى القاهرة ودفن على أبيه داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى الذى هو داخل باب زويلة ومات وله من العمر نحو احدى عشرة سنة ولم يدع أيام سلطنته وانما وعى نفسه فى السجن الى ان مات فيه وقد دخل مماليك أبيه فى خطيئته حيث سلطنوه وهو فى هذا السن وكان المظفر هذا حسن الشكل جميل الصورة وانما حدث له ذلك الحول فى عينيه من يوم سلطنته كما تقدم ومن الحوادث فى أيامه ان فى هذه السنة وهى سنة أربع وعشرين زاد النيل المبارك زيادة مفرطة واستمر ثابتا الى آخر هاتور من الشهور القبطية وهذا قط لم يعهد فى الاسلام وحصل للناس فى تلك السنة الضرر الشامل واستبحرت الاراضى وغرق أكثر البساتين وفات الزرع عن أوانه وانقطعت الطرق من الماء وفى ذلك يقول بعض الشعراء

يارب ان النيل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت

ماضره

ماضره لوجا عـلى عاداته * فى دفعـــه أو كان يدفع بالتى

وتوفى فى أيامه قاضى القضاة الشافعية ولى الدين العراقى والشيخ شمس الدين الديرى الحنفى وقيـل بل مات فى أثناء دولة الملك الاشرف برسـباى والله أعـلم بذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المظفر احمد بن الملك المؤيد شيخ المحمودى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنـة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهرى الجركسى

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السادس من ملوك الجراكسة فى العدد (أقول) كان أصـله من مماليك الظاهر برقوق من مشترواته ثم اعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية الجدارية ثم هرب من الملك الناصر فرج وتوجه الى حلب والتف على جكم العوضى لما تسلطن بحلب فلما قتل جكم التف ططر على شيخ ونوروز لما أظهروا العصيان بالشام فلما قتل الملك الناصر بالشام وتسلطن الخليفـة العباس انعم على ططر بامرية عشرة ثم بقى أمير أربعين فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة النوب ثم بقى أمـير مجلس كل ذلك فى دولة المـؤيد شيخ فلما مات الملك المؤيد وتسـلطن ابنه الملك المظفر بقى ططر مدبر المملكة فلما أظهر العصيان الاتابكى الطنبغا القرشى لما كان بالشام بقى ططر أتابك العساكر عوضا عنـه فلما خرج الى الشام صحبة الملك المظفر احمـد وظفر بالاتابكى الطنبغا القرشى والامير قجقار القردمى أمير سلاح ونائب الشام جقمق الارغون شاوى وجماعة من النواب وقتلهم كما تقدم ذلك قبض على جماعة كثيرة من الامراء المؤيدية وسجنهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا له الوقت وقويت شوكته والتفت عليه خشداشينه الذين كانوا مفرقين فى بلاد الشرق فخلع الملك المظفر من السلطنة وتسلطن عوضه بالشام وطلق خوند سعادات أم الملك فقيل انها أشغلتـه فى منـديل الفرش لما خلع ابنها من السلطنة فرض ططر بالشام ودخل الى مصر وهو عليل واستمر يسلسل فى المرض ولزم الفراش فهو كما قيل فى المعنى

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

فلم يزل عليلا حتى مات فى يوم الاحد رابع ذى الحجة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر نحو خمس وخمسـين سنة ودفن بجوار قبر الامام الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه فكانت مدة سلطنته بالشام وبمصر ثلاثة أشهر وأياما وقد تحمل فى هذه المدة

اليسيرة اثم من قتله من الامراء والمماليك فى طلب السلطنة وقد مهد لغيره فكان كما قيل فى المعنى

الا انما الارزاق تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ولما مرض ططر عهد بالسلطنة الى ابنه محمد انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر

وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو السابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية فى العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه ططر فى يوم الاحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو احدى عشرة سنة فلما بايعه الخليفة أحضروا له خلعة السلطنة وتلقب بالملك الصالح ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وجلس على سرير الملك فلما تم أمره فى السلطنة خلع على المقر الاتابكى جانى بك الصوفى واستقر به أتابك العساكر على عادته ومدبر المملكة فصار الاتابكى جانى بك فى تلك الايام صاحب الحل والعقد والابرام والنقض فعز ذلك على بقية الامراء وصار الامير طرباى الظاهرى حاجب الحجاب يرمى الفتن بين الاتابكى جانى بك الصوفى وبين المقر السيفى برسباى الدقماقى أمير دوادار كبير فوثب الامير برسباى على الاتابكى جانى بك الصوفى فهرب فى أواخر النهار فقبض عليه بعض المماليك وأحضروه الى الامير برسباى فقيده وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فاجتمعت الكلمة من بعد ذلك فى برسباى وصار صاحب الحل والعقد ثم ان برسباى وقع بينه وبين الامير طرباى حاجب الحجاب فقبض عليه وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك صفا للامير برسباى الوقت وقويت شوكته فتعصب له جماعة من الامراء وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من الملك وتسلطن برسباى فكانت مدة سلطنة الملك الصالح بمصر ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما لا غير وكان ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط فلما خلعه برسباى من السلطنة عطف عليه ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك بل أدخله دور الحرم وأسكنه فى قاعة البربرية هو وأمه خوند بنت الامير سودون الفقيه ثم ان الاشرف برسباى زوج الملك الصالح بينت الاتابكى يشبك الاعرج واستمر الملك الصالح ساكنا فى القلعة بدور الحرم ورسم له الملك الاشرف برسباى بأن ينزل ويركب فى كل جمعة ويزور قبر والده ططر فكان

يركب صحبة المقر الناصرى محمد الملك الاشرف برسباى ويسير وانحو المطرية (أقول) وسيدى محمد هذا كان ابن الاشرف برسباى وكان أكبر من ولده سيدى يوسف ولكن توفى فى حياة والده عقيب الفصل الذى جاء فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان الملك الصالح محمد بن ططر هذا يهلل كثير الخباط فكان يسمى الفرس البوز الفرس الابيض فقال بعض الخدام لا تقل الفرس الابيض وقل الفرس البوز فحفظ منه ذلك الاسم فطلب يوما سلطانية صينى أبيض فقال هاتوا السلطانية البوز فنهره بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال له لا تأتى على هذا وكان له من أنواع الخباط أشياء كثيرة ليس هذا محلها فكان كما قيل فى الامثال

فى الناس من تسعده الاقدار * وفعــله جميعــــه ادبار

واستمر الملك الصالح على ذلك حتى توفى فى ليلة الخميس ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومات بالطاعون الذى وقع فى تلك السنة ودفن على والده ططر بجوار قبر الامام الليث ومات وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ولما مات الملك الصالح محمد رسم الملك الاشرف برسباى لاولاد الاسياد الذين كانوا فى دور الحرم من داخل بان ينزلوا ويسكنوا المدينة وأنعم على كل واحد منهم بفرس ومائة دينار فنزلوا من يومئذ وسكنوا بالمدينة وبطل أمرهم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الصالح محمد بن ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر برسباى الدقماقى الظاهرى

وهو الثانى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر فى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وركب من المقعد وحملت على رأسه القبة والطير حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من الاكابر والاصاغر وتلقب بالملك الاشرف ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام قيل لما خلع الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة حضر أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وحضر الاتابكى بيبغا المظفرى وسائر الامراء فاشتوروا فيمن يولونه السلطنة فقال الاتابكى بيبغا الامير برسباى يكون سلطانا وهو أحق بها منى فآثره بالسلطنة على نفسه وكان الملك الاشرف برسباى يومئذ دوادارا كبيرا ولم يكن أتابك العساكر وأصله جركسى الجنس جلبه بعض التجار الى البلاد الشامية فاشتراه الامير دقماق المحمدى نائب ملطية مع

جملة مماليك صغار ثم انه قدمه الى الملك الظاهر برقوق فأخذه وجعله من جملة المماليك
السلطانية ونزل بطبقة الزمامية وكان اغاته الامير جركس القاسمي المصارع ثم ان الملك
الظاهر برقوق أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا ثم بقي خاصكيا ثم ساقيا في دولة الملك الناصر فرج
ثم التف على شيخ ونوروز لما خامروا بالشام فلما قتل الملك الناصر فرج وتسلطن الملك المؤيد
شيخ جعله أمير عشرة ثم بقي أمير طبلخانات ثم بقي مقدم ألف ثم تولى نيابة طرابلس ثم قبض عليه
الملك المؤيد وسجنه بقلعة المرقب مدة طويلة ثم أطلقه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فلما
خامر نائب الشام جقمق الارغون شاوي قبض على برسباى وسجنه بقلعة الشام فلما توجه
ططر الى الشام وقبض على جقمق نائب الشام وحبسه في قلعة دمشق أفرج عن برسباى
وأحضره صحبته الى القاهرة لما تسلطن بدمشق ثم انه خلع عليه واستقر به دوادارا كبيرا
عوضا عن الامير على باى المؤيدى واستمر برسباى على ذلك حتى توفي الظاهر ططر وتسلطن
ابنه الصالح محمد فوقعت الفتن بين الاتابكي جاني بك الصوفي وبين الامير برسباى فقبض
عليه الامير برسباى وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد
من السلطنة وتسلطن عوضه كما تقدم فلما تم أمر برسباى في السلطنة عمل الموكب وخلع
على من يذكر من الامراء وهم المقر الاتابكي بيبغا المظفرى واستقر به اتابك العساكر على
عادته وكان بيبغا هذا عظيم اللسان قليل الكلام بالعربي يابس الطباع سيئ الخلق فلم توافق
العسكر على سلطنته فقنع بيبغا بالاتابكية دون السلطنة فكان كما قيل في المعنى

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

وخلع على الامير جقمق العيسوى واستقر به أمير سلاح على عادته وخلع على الامير اقبغا
التمرازى واستقر به أمير مجلس وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به دوادارا
كبيرا وخلع على الامير قصروه بن عثمان واستقر به أميراخور كبير وخلع على الامير أزبك
المحمدى واستقر به رأس نوبة النوب وخلع على الامير جقمق العلائي واستقر به حاجب
الحجاب وخلع على المقر السيفي جاني بك الحجاسي واستقر به نائب الشام وأنعم على جماعة من
الامراء بتقادم ألف وعلى جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة ثم أنفق
على العسكر وفرق الاقطاعات على جماعة منهم واستقامت أحواله في السلطنة وراق
له الوقت ثم أخذ في أسباب تقريب جماعة من حاشية الملك المؤيد شيخ فخلع على المقر
الزيني عبد الباسط بن القرشي خليل واستقر به ناظر الجيوش المنصورة وقدر في أيامه
الزيني عبد الباسط حتى صار صاحب الحل والعقد في تلك الايام وكان الملك الاشرف
لا يتصرف في شيء من أحوال المملكة الا برأى القاضي عبد الباسط فعظم أمره في تلك الايام
حتى أطلق عليه عظيم الدولة في أيامه واستمر على ذلك في مدة دولة الملك الاشرف كلها

ثم قرب الامير ناصر الدين التاج واستقر به والى القاهرة على عادته وكان أصل التاج من الشوبك وكان جده من النصارى وكان ينادم الملك الاشرف ولا ينشرح الا به وكان التاج واسطة خير قليل الاذى لا يتكلم فى حق أحد الا بخير ليس عنده ضرر وفيه يقول الشيخ تقى الدين بن حجة

سبع وجوه لتاج مصر * تقول مافى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه يحيى * وأنت تاج بفرد وجه

وقرب أيضا القاضى بدر الدين بن مزهر حتى صار كاتب السر الشريف بالديار المصرية وقرب جماعة كثيرة من حاشية الملك المؤيد شيخ غير هؤلاء انتهى ذلك ۞ (ثم دخلت سنة ست وعشرين وثمانمائة) فيها وفى النيل المبارك فى ثامن عشر أبيب من الشهور القبطية ولم يسمع بمثل هذا فيما تقدم من السنين الماضية وفيه يقول بعض الشعراء

لما وفى النيل المبارك عاجلا * عم البلاد والروابى طففا
نشروا القلوع وبشروا بوفائه * فالراية البيضا عليه بالوفا

وفى هذه السنة رسم السلطان للامير جرباش الكريمى المعروف بقاشق بان يتوجه الى ثغر الاسكندرية بسبب حفر خليج الاسكندرية لانه قد طم بالرمال وضعف جريان الما فيه فتوجه اليه الامير جرباش وجمع ما قدر عليه من الرجال فجمع ثمانمائة وسبعين انسانا وابتدأ فى حفره فى حادى عشر جمادى الاولى من تلك السنة المذكورة فانتهى العمل منه ومشى فيه الما فى مدة أربعة أشهر فسر الناس بذلك ۞ (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثمانمائة) فيها تزايدت عظمة الامير جانى بك مملوك الملك الاشرف برسباى وصار أمير طبلخاناه دوادار ثانى واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد فى دولة أستاذه وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من المحكية ومما يحكى عنه انه نفى الاتابكى بيغا المظفرى الى ثغر الاسكندرية من غير علم السلطان فلما علم السلطان بذلك لم يقل له ليش فعلت ذلك وتناهت عظمته حتى التف عليه جميع العسكر وكان الامراء المقدمون ينزلون معه من القلعة الى بيته الذى بالقرب من سوق الجوار ولم يزل جانى بك على ذلك حتى تخيل منه الملك الاشرف أن يثب عليه فشغله فى حلاوى فاستمر عليلا ملازم الفراش حتى مات فى أثناء دولة استاذه ولو عاش لوثب على استاذه وتسلطن ۞ ومن الحوادث فى أيامه ان شخصا من العوام شنق نفسه وسبب ذلك انه كانت له زوجة يحبها فطلقها فتزوجت بغيره ووكلته فيه فشنق نفسه من قهره منها فمات ۞ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثمانمائة فيها حجت خوند جلبان زوجة الملك الاشرف برسباى وهى أم ولده المقر الجمالى يوسف وكان المتسفر عليها القاضى عبد الباسط ۞ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثمانمائة فيها أرسل

السلطان تجريدة الى قبرس فاعطاه الله تعالى النصر وفتح مدينة قبرس فى تلك السنة وأسر ملكها وجى به الى القاهرة أسيرا فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة سبعة أيام ودخل عسكر الفرنج وهم فى زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب وكانت هذه النصرة على غير القياس وفى هذه السنة كملت عمارة مدرسة السلطان وهى المدرسة الاشرفية التى عند سوق الوراقين فلما وقعت هذه النصرة وأسر ملك الفرنج فى تلك السنة رسم السلطان بان تعلق خودة ملك الفرنج على باب هذه المدرسة لتكون تذكارا له وهى الى الآن معلقة فى باب هذه المدرسة ۞ ثم دخلت سنة ثلاثين وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الاتابكى جانى بك الصوفى قد كسر قيده وهرب من السجن وقيل ان جارية دخلت اليه فى السجن وقد تحملت بمبرد لطيف فى فرجها فبرد به قيده وهرب من أعلى حيطان البرج وتدلى فى حبل صغير وهرب فلما بلغ الملك الاشرف ذلك اضطربت جميع أحواله وصار يكبس البيوت والحارات وقبض على اصهار جانى بك الصوفى وعاقبهم وكذلك عياله وعمالكه وجرى بسبب ذلك على الناس ما لا خير فيه وصار كل من له عدو يكذب عليه ويقول جانى بك الصوفى مخبا عنده فيكبسوا عليه بيته وينهبوا ماله ويعاقبوا ذلك الرجل اشد العقوبة واستمر الملك الاشرف على ذلك وهو لا يهنأ له عيش حتى ظهر جانى بك فى بلاد الترك كان عند أولاد قرا يوسف فعند ذلك سكن الاضطراب من القاهرة وفيها قبض السلطان على الصاحب بدر الدين نصر الله وعلى ولده صلاح الدين وقرر عليهما مالا وفيها ولى قاضى قضاة الشافعية العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الكنانى العسقلانى الشافعى وهو أول ولايته فنزل من القلعة الى بيته فى موكب انتهى ذلك ۞ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فيها ابتدأ السلطان الملك الاشرف بعمارة مدرسته التى فى خانقاه سرياقوس وقد تناهى فى رخامها وزخرفها ثم عمل فيها خطبة ولم يعمل مثلها فى ذلك المكان وكان أول من خطب فيها الشيخ عبد الرحيم الحموى الواعظ وقد قرره السلطان فى الخطابة بل كان خطيبا فى الاشرفية التى عند سوق الوراقين أيضا ۞ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة فيها خلع السلطان على الامير جقمق العلائى واستقر أميراخور كبير عوضا عن الامير قصروه بن عثمان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له يوم مشهود والله سبحانه وتعالى أعلم ۞ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فيها وقع الطاعون العظيم بالديار المصرية وكان هذا الطاعون مخالفا لبقية الطواعين فان عادة الطعن يقع فى فصل الربيع وهذا وقع فى وسط الشتاء واستمر يسلسل أربعة أشهر وكانت قوة عمله فى الغرباء والاطفال والمماليك والعبيد والجوار فمات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم حتى قيل انتهى من مات فى يوم واحد الى أربعة

وعشرين

وعشرين ألف جنازة حتى ضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضا وفى ذلك يقول القائل

قد نقص الطاعون ثلث الورى * واهـلك الوالد والوالده

كم منزل كالشمع سكانه * اطفاهمو فى نفخة واحده

وفى أول شعبان لم يمت غير طفل صغير مرضع وارتفع الوباء بالكلية فى ليلة واحدة فسبحان الحى الذى لا يموت ولكن ما ارتفع حتى أخلى عدة أماكن ومات فيه من الاعيان الملك الصالح محمد بن ططر وسيدى محمد ابن الملك الاشرف برسباى وجاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بموت الخليفة العباس الذى تسلطن ومات هناك أحمد ابن المؤيد شيخ قال الحافظ بن حجر لما كثر الطاعون بمصر اجتمع أعيان العلماء بالجامع الازهر ودعوا الله برفعه فازداد أمر الطاعون ولم يتناقص ۞ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثمانمائة) فيها كسفت الشمس وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار واستمرت مكسوفة نحو ساعة الى قريب الغروب ۞ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها حضر الى الابواب الشريفة بعض التراكمة وصحبتهم رأس الاتابكى جانى بك الصوفى قطعها بعض التراكمة الذين كان عندهم وأرسلها الى السلطان ليحظى عنده بذلك فلما حضرت الرأس رسم السلطان بان يطوفوا بها فى القاهرة فطافوا بها ثم علقوها فى باب زويلة ثلاثة أيام ثم رسم السلطان بان ترمى فى ميضة جامع الحاكم فرميت بها وبطل أمر جانى بك الصوفى ۞ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثمانمائة فيها جاءت قصاد قرا ملك الى السلطان وطلعوا الى القلعة وصحبتهم هدية للسلطان فمن جملتها فرس ومرآة مكفتة بذهب ومن جملتها خروف باليتين وخلعة للسلطان مخمل أحمر مرقومة بالذهب وبعض أثواب مخمل وصقورة برسم الصيد فلما رأى السلطان تلك الهدية استقلها وعز عليه أمر الخلعة ثم انه عزم قصاد قرا ملك فى البحيرة ثم احضر تلك الخلعة والبسها الشخص من الشمدارية وكان مضحكا فرقص بها قدام السلطان فضحك عليه ثم احضر نارا واحرق تلك الخلعة بحضرة القصاد وذبح الخروف ثم قال للقصاد استاذكم ان أراد ان يهدل أحدا ايش يعمل فيه فقالوا والله يرميه فى الماء فرسم السلطان برميهم فى البحيرة فرموهم فيها فاقاموا ساعة ثم أطلعوهم فرسم السلطان بقص أذناب خيلهم وقال لهم اخرجوا سافروا فى هذا الوقت وقولوا لاستاذكم يلاقينى على الفرات فلما جرى ذلك علق السلطان الجاليش ونادى للعسكر بالعرض وأخذوا فى أسباب الخروج الى التجريدة وقد اولوا الخروف بانكم عندنا مثل النعاج والمرآة بانكم مثل النساء انظروا وجهكم فى هذه المرآة وأولوا الخلعة بانك نائب من تحت يدنا ثم ان السلطان

أنفق على العسكر وعين من الامراء أربعة مقدمين يقيمون بالقاهرة مع جماعة من الحجاب وعين جماعة من الامراء يتوجهون معه الى البلاد الشامية فلما انتهى شغل السلطان عزم على السفر وكان نائب الغيبة اقبغا المعروف بالتمرازى أمير مجلس وجماعة من الحجاب وبعض مماليك سلطانية وبرز خيامه الى نحو الريدانية ثم ان السلطان طلب وخرج من الميدان الذى تحت القلعة فكان فى طلبه مائتا فرس ملبسة بالبركستوانات الفولاذ والحرير الملون وكان فيه جاوتان زركش وكان فيه خمسون فرسا بسروج ذهب وكنابيش وكان له يوم مشهود بموكب عظيم وكان صحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وهم ابن حجر وبدر الدين العينى وشمس الدين البساطى ومحب الدين البغدادى الحنبلى وخرج معه سائر الامراء من الاكابر والاصاغر فأقام بالريدانية يومين ثم رحل وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية فكان له فى الشام موكب عظيم وكذلك فى حلب ثم خرج من حلب وقصد التوجه نحو آمد من ديار بكر فلما وصل الى هناك حاصر قلعة آمد أشد المحاصرة ونصب عليها عدة مناجيق فلم يقدر عليها فأقام هناك مدة فوقع فى العسكر الغلاء فقلق من ذلك وكانت العوام تغنى وتقول فى آمد رأينا العونه فى كل خيمة طاحونة الغلام نهاره يطحن والجندى يجيب المونه فلما سمع المماليك ثارت أخلاقهم على السلطان وقصدوا الوثوب عليه هناك فخشى الملك الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يقع بينه وبين قرا ملك واقعة ولا قابله فمشى بعض الامراء بين قرا ملك وبين السلطان بالصلح فأرسل اليه السلطان القاضى محب الدين بن الاشقر نائب كاتب السر فحلف قرا ملك أنه لا يتعدى على بلاد السلطان ولا يحصل منه فساد ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو الديار المصرية قيل ان السلطان صرف على هذه التجريدة من المال خمسمائة ألف دينار ولم يظفر بطائل فلما رجع عاد قرا ملك الى ما كان عليه من العصيان ۞ (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثمانمائة) فيها عاد الملك الاشرف برسباى الى نحو الديار المصرية فدخل الى القاهرة فى موكب عظيم وحملت على رأسه القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير حتى طلع القلعة وهو آخر من جرد من الملوك وخرج بنفسه الى البلاد الشامية فلما وصل السلطان خرج ولده المقر الجمالى يوسف الى تلقيه من العكرشة ۞ (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة) فيها خلع على المقر السيفى جقمق العلائى واستقر أمير سلاح وتوفى الشيخ تقى الدين الحسنى شارح كتاب أبى شجاع على مذهب الامام الشافعى وفيها خلع على القاضى أمين الدين بن الهيصم واستقر فى الوزارة عوضا عن كريم الدين بن كاتب المناخات ۞ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فيها استقر المقر السيفى

جقمق العلائى أتابك العساكر بالديار المصرية وفيها تزايدت عظمة الملك الاشرف برسباى حتى صارت مماليكه المشتروات خمسة آلاف وفيها عمر السلطان الملك الاشرف تربته التى فى الصحراء عند تربة الظاهر برقوق وجعل فيها مدرسة وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق فى القاهرة وزينت له وفيها توفى الشيخ صلاح الدين الاقفهسى وكان من أعيان العلماء ❁ ثم دخلت سنة أربعين وثمانمائة فيها شوش السلطان على أولاد الناس من أجناد الحلقة وصادرهم بسبب اقطاعاتهم وأخذ منهم على العبرة القديمة فحصل لهم الضرر الشامل وكان المتكلم فى ذلك المقر السيفى أركماس الظاهرى أمير دوادار كبير فجار عليهم وحصل لهم منه غاية الضرر وكان سبب ذلك انه بلغ السلطان ان شاه رخ بن تمرلنك تحرك على البلاد فقصد السلطان أن يجرد اليه بنفسه ثانيا فصادر اجناد الحلقة بسبب ذلك وفيها توفى الشيخ بدر الدين بن الدمامينى المالكى المخزومى وكان من أهل العلم والفضل وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى قاضى القضاة ناصر الدين التونسى المالكى لما ولاه أمر العقود فى مبادى عمره

يا قاضيا ليس يلفى * نظيره فى الوجود
قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وفيها كانت وفاة الشيخ زين الدين الخراط الاديب الفاضل وله شعر جيد ❁ ثم دخلت سنة احدى وأربعين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وهو الطاعون الثانى الذى جاء فى آخر دولته وكان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى كان قبله فمات فى هذا الفصل ما لا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوار وعبيد وغير ذلك وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

تغير فى مصر الهواء باهلها * بدا وعليه صفرة ونحول
وصح بها موت النسيم وكيف لا * وقد جاءه الطاعون وهو عليل

ثم ان الملك الاشرف برسباى مرض عقيب ذلك وسلسل فى المرض فحصل له ماليخوليا وخفة عقل ونزق فرسم بنفى الكلاب الى بر الجيزة فصار كل من أمسك كلبا يأخذ له نصف فضة من صيرفى باب السلسلة فأمسك العياق من الكلاب نحو ألف كلب فنفوهم الى بر الجيزة ثم انه نادى بان امرأة لا تخرج من بيتها مطلقا فكانت الغاسلة اذا أرادت التوجه الى ميتة تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها فى رأسها حتى تمشى فى السوق ثم انه نادى فى القاهرة بان فلاحا لا يلبس زمطا مطلقا الا من كبير ولا صغير فامتثل الناس ذلك ثم انه رسم بتوسيط الحكماء فوسط الرئيس خضر ووسط الرئيس شمس الدين بن العفيف واستمر على

هذه الخرافات الى ان مات فكانت وفاته فى يوم السبت بعد العصر فبات بالقلعة وأخرجوه فى يوم الاحد ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشاها عند البرقوقية بالصحراء وصلى عليه العلامة ابن حجر ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة أيام فكثر عليه الحزن والاسف من الناس فان مصر كانت هادية فى أيامه من الفتن والحروب التى كانت فى الدول الماضية وقد قال القائل

والمرء كالظل ولابد أن * يزول ذاك الظل بعد امتداد

قيل ان الملك الاشرف لما ثقل فى المرض احضر الخليفة الى داره والقضاة الاربعة وسائر الجند والامراء وحلف المماليك ثم أنفق عليهم لكل واحد ثلاثون أشرفيا وعهد الى ولده يوسف بالسلطنة وجعل الاتابكى جقمق العلائى وصيا عليه ونظام المملكة ثم انه رسم بان يعاد الى أجناد الحلقة من أولاد الناس ما أخذ منهم بسبب الاقطاعات كما تقدم فرسم للامير اركماس الظاهرى بان يعاد الى كل واحد ما أخذ منه بالتمام والكمال ويكتب عليه شهادة بذلك فأعادوا الى أجناد الحلقة ما كان أخذ منهم وكان الملك الاشرف برسباى ملكا جليلا مبجلا فى موكبه وكان منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقربهم وكانت معاملته أحسن المعاملات من أجود الذهب والفضة ولاسيما الاشرفية البرسبيهية فانها من خالص الذهب والى الآن يرغب اليها الناس فى المعاملة وكانت صفة الملك الاشرف برسباى انه عربى الوجه طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية شائب الذقن حسن الشكل صبيح الوجه عليه سكينة ووقار ومهابة مع لين جانب وكان عنده معرفة بأحوال السلطنة كفأ للملك كثير البر والصدقات وله معروف وآثار لكنه كان عنده طمع زائد فى تحصيل الاموال محبا لجمع الاموال من المباشرين وغيرهم ومما أنشأ من العمائر فى أيامه المدرسة التى عند سوق الوراقين والمدرسة التى فى الصحراء التى دفن فيها والمدرسة التى فى خانقاه سرياقوس وعمر الوكالة التى فى الصليبة والربعين اللذين بها وله انشاآت كثيرة بالديار المصرية وغيرها وكان الامير جاسوك شادا على عمائره وخلف من الاولاد صبيين وهما يوسف وأحمد وكان من أزواجه خوند جلبان وهى أم ولده يوسف وخوند فاطمة بنت الظاهر ططر وخوند بنت الاتابكى يشبك الاعرج وأرسل فأحضر بنت ابن عثمان ملك الروم لكنه لم يدخل عليها وكان خيار ملوك الجراكسة كما قيل فى المعنى

قالوا فهل جاد الزمان بمثله * قلت الزمان بمثله لشحيح

وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فهم قاضى القضاة الهروى وقاضى القضاة علاء

الدين

الدين بن مغلى الحنبلى وقاضى القضاة التفهنى الحنفى والشيخ ناصر الدين الديرى الحنفى وابن النقاش من أعيان علماء الشافعية والشيخ شهاب الدين المقريزى المؤرخ والاتابكى يبغا المظفرى وغير ذلك من الاعيان انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العزيز أبى المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى

وهو الثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه الملك الاشرف فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وتسلطن وله من العمر نحو أربع عشرة سنة وتلقب بالملك العزيز وأمه أم ولد جركسية تسمى جلبان فلما بايعه الناس بالسلطنة جلس على سرير الملك وحمل الاتابكى جقمق القبة والطير على رأسه من باب الستارة الى القصر الكبير فلما جلس باس له الامراء الارض فاستقر بالاتابكى جقمق العلائى نظام المملكة وصاحب الحل والعقد ❁ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فيها دبت عقارب الفتنة بين الاتابكى جقمق وبين الامراء الاشرفية وصاروا يعاكسون الاتابكى جقمق فيما يفعله من الامور وصار الملك العزيز مع جقمق مثل اللولب يدوره كيف شاء فليس له فى السلطنة غير مجرد الاسم فقط لاجل كتب العلامة على المراسيم وكان الاتابكى جقمق مع الامراء الاشرفية فى غاية الضنك وقصدوا قتله فى القصر عدة مرار ولولا أن فى أجله فسحة لقتل من يوم مات الاشرف ثم ان جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية اتفقوا على جقمق وتعصبوا له فوثبوا على الملك العزيز واتفق عليهم جماعة كثيرة من المماليك السيفية فاوقعوا مع المماليك الاشرفية فلم تكن الاساعة من النهار حتى انكسر المماليك الاشرفية وأحاط بهم كل رزية فتشتتوا وتفرقوا بيد النوى وتمزقوا فلما انكسروا وقع الاتفاق وتحقق على سلطنة الاتابكى جقمق فاحضروا الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا الاتابكى جقمق فكان الذى خلع الملك العزيز قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فلما تولى الاتابكى جقمق رسم بأن العزيز يدخل الى دور الحرم ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك فاخلى له قاعة البربرية وأقام بها وكان قصد السلطان

جقمق بان يزوج الملك العزيز ويستمر ساكنا بالقلعة فصار الملك العزيز ووقع منه ماسيأتى ذكره فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

قد يدرك المتأنى جل مقصده * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباى بالديار المصرية ثلاثة أشهر وخمسة أيام كأنها أضغاث أحلام انتهى ماأوردناه من أخبار الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد جقمق العلائى الظاهرى

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو العاشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع فى السلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباى فى يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فحضر الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق ولقبوه بالملك الظاهر ثم أحضرت له خلعة السلطنة فلبسها من باب السلسلة وركب فرس النوبة وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى قرقماس الشعبانى أمير سلاح وقد تقدم انه حضر مع العسكر الذين كانوا فى التجريدة فلما ركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير جلس على سرير الملك ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر فى ذلك اليوم بالقلعة وفرح غالب الناس بتوليته لكونه كان رجلا دينا خيرا قليل الاذى (أقول) كان أصل الملك الظاهر جقمق جركسى الجنس جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلائى على بن الاتابكى اينال اليوسفى وقدمه الى الملك الظاهر برقوق فصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقى خاصكيا ثم بقى ساقيا ثم أمسك وحبس فى دولة الملك الناصر فرج ثم أطلق وصار أمير طبلخاناه خازندارا فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم مقدم ألف فى دولة الملك الظاهر ططر ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الملك الاشرف برسباى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم بقى أتابك العساكر كل ذلك فى دولة الملك الاشرف برسباى فلما مات الاشرف وتولى ابنه العزيز يوسف بقى جقمق نظام المملكة ومشيرها فبقى مع المماليك الاشرفية فى غاية الضنك وأقام على ذلك مدة يسيرة ثم تعصب له جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية وخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق فلما جلس على سرير الملك وتم أمره فى السلطنة وباس له الامراء الارض قبض فى ذلك اليوم على الامير جوهر الزمام اللالا وسجنه فى

البرج بالقلعة ثم قرر فى وظيفة الزمامية فيروز الساقى ثم توفى جوهر اللالا فى أثناء ذلك من الرجفة ثم عمل الموكب فى القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى قرقماس الشعبانى واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضا عن نفسه وقرره فى اقطاعه وهو نظام المملكة وزاد عليه امرية اربعين بدمشق وخلع على المقر السيفى أقبغا التمرازى واستقر به أمير سلاح عوضا عن قرقماس الشعبانى وخلع على المقر السيفى يشبك السودونى واستقر به أمير مجلس عوضا عن أقبغا التمرازى وخلع على المقر السيفى تمراز القرمشى واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن الامير جانم الاشرفى وخلع على المقر السيفى قراجا الحسنى واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن تمراز القرمشى وخلع على المقر السيفى تغرى بردى البكلمشى الشهير بالمؤذى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن يشبك السودونى وأقر المقر السيفى اركماس الظاهرى دوادارا كبيرا على عادته كما كان فى دولة الملك الاشرف برسباى فهذا كان ترتيب الامراء المقدمين من أرباب الوظائف فى مبتدا دولته ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك الى جماعة من الامراء حسبما يأتى ذكر ذلك فى مواضعه عند انتقال الوظائف ثم ان الملك الظاهر أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الامراء وأنعم على جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة وأرضى جماعة المؤيدية والناصرية بكل ما يمكن من ذلك ثم انه أنفق على العسكر نفقة السلطنة وفرق الاقطاعات على المماليك السلطانية والمماليك السيفية الذين كانوا سببا السلطنته فأقام فى السلطنة مدة يسيرة والامر ساكن ثم بات الناس وأصبحوا وقد أشيع فى ليلة عيد الفطر والناس فى اضطراب أن الملك يوسف قد تسحب من القلعة ونزل بعد المغرب فى صفة صبى طباخ وعليه ثياب رثة وعلى رأسه دست طعام وقد لوث وجهه بسواد الدست فكان ذلك فألا عليه فلما وصل الى باب القلعة ضربه الطباخ الذى وراءه واستخفه فى المشى فلما نزل من القلعة اضطربت الاحوال وكان مماليك أبيه أوقعوه فى هذه البلية فلما وقع تخلوا عنه وتبرأ كل أحد منه فكان كما قيل فى المعنى

اقاء أكثر من يلقاك أو زار * فلا تبالى أغابوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم مأثم للمرء أوعار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

ثم ان الملك العزيز استمر مختفيا نحو شهر والوالى فى كل ليلة يكبس البيوت والحارات بسبب الملك العزيز وصار كل من كان له عدو يكذب عليه فيكبسون بيته واستمر الناس فى جمرة نار مطلوقة الى أن توجه الملك العزيز الى بعض الامراء فنم عليه فلما بلغ بلباى المؤيدى ذلك وكان ساكنا فى زقاق حلب جاء ماشيا وقبض على الملك العزيز وتوجه به الى باب السلسلة فانعم عليه السلطان بخمسمائة دينار وجعله أمير أربعين وقيد العزيز ودقت الكوسات

تحت الليل بسبب ذلك فلما أصبح الصباح ونزلوا بالملك العزيز من القلعة توجهوا به الى البحر ومضى الى الاسكندرية فسجن بها وآخر الطب الكى وكم عجلة أعقبت ندامة وكان قصد الملك الظاهر أن يزوج الملك العزيز ويبقى ساكنا فى القلعة فما سلم من مماليك أبيه وحسنوا له الهروب حتى هرب وقد دخلوا فى خطيئته برأيهم المعكوس وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء من أبيات

ولم يدخلوه السجن الا مخافة * من العين أن تطرا على ذلك الحسن

وقلنا له شاركت فى الاسم يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

واستمر الملك العزيز فى السجن مدة دولة الملك الظاهر جقمق كلها فلما كانت دولة الملك الاشرف اينال رسم للملك العزيز بالافراج وان يسكن فى بعض دور الحرم بثغر الاسكندرية وان يركب الى الجامع وقت صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الملك الظاهر خشقدم فتوفى بثغر الاسكندرية كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه ومن هنا نرجع الى أخبار دولة الملك الظاهر جقمق فانه لما رجع العسكر الذى كان قد توجه الى البلاد الشامية وحضر صحبة العسكر المقر السيفى قرقماس الشعبانى فوجد الملك العزيز قد تسلطن وكان قرقماس فى نفسه من السلطنة شئ فلما تسلطن جقمق جعله أميرا كبيرا فاستمر على ذلك أياما ثم لعب الاكرة مع السلطان فقصد الاتابكى قرقماس أن يقبض على السلطان وهو يلعب الاكرة فدنا منه وأراد أن يقبض عليه وهو راكب على الفرس فانجذب منه السلطان وساق الى الدهيشة فلما انقضت الاكرة ونزل الامراء الى بيوتهم لبس الاتابكى قرقماس آلة الحرب وطلع الى الرميلة فالتفت عليه جماعة من الامراء والمماليك السلطانية ولكن كان أكثر الامراء والعسكر مع الملك الظاهر جقمق فلما ركب قرقماس وطلع الى الرميلة وقف بسوق الخيل فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس فى المقعد المطل على الرميلة فلما تسامعت الامراء الذين من عصبة السلطان طلع الى الرميلة تسعة أمراء مقدمون منهم الامير بيبغا الطيار والامير تمرباى والامير قراقجا الحسنى والامير يشبك السودونى الامير تمراز القرمشى والامير تغرى بردى المؤذى وغير ذلك من الامراء المقدمين وغيرهم فأوقعوا مع قرقماس واقعة قوية فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد كسر الاتابكى قرقماس وهرب واختفى فى غيطه الذى عند الجزيرة الوسطى وسبب ذلك ان مملوكا يسمى بلبان كان فى باب السلسلة نفر على قرقماس وضربه بسهم نشاب فجاء فى يده فخرقها من وسط كفه فتألم لذلك قرقماس وهرب من وقته وانكسر فلما بلغ ذلك السلطان أنعم على بلبان المذكور باقطاع ثقيل وجعله خاصكيا ثم ان قرقماس أقام فى غيطه ثلاثة أيام وأرسل يطلب من السلطان

الامان فأرسل اليه بعض الامراء فطلع به الى القلعة فقيده السلطان وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية وخمدت الفتنة ولم ينل قرقماس مقصوده فكان كما قيل فى المعنى

ياخاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

ثم ان السلطان خلع على المقر السيفى أقبغا التمرازى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قرقماس الشعبانى وجعله أيضا نائب السلطنة وصار يحكم بين الناس وعلى بابه رأس نوبة ونقباء وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية وكانت هذه الوظيفة قد بطلت من أيام محمد بن قلاون وكانت أكبر من الاتابكية ويخرج النائب الاقطاعات الخفيفة من غير مشورة السلطان وفيها توفى قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى وولى القضاء البدر التونسى عوضه ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة﴾ فيها جاءت الاخبار من البلاد الشامية بان اينال الجكمى نائب الشام قد خرج عن الطاعة وأظهر العصيان وكذلك تغرى برمش نائب حلب فعين السلطان لهم تجريدة ثم خلع على المقر السيفى اقبغا التمرازى واستقر به نائب الشام عوضا عن اينال الجكمى وخلع على المقر السيفى يشبك السودونى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن اقبغا التمرازى فلما توجه العسكر الى البلاد الشامية أوقعوا مع النواب فانكسر النواب وأسروهم وقطعوا رؤسهم وأرسلوها الى القاهرة فعلقوها على باب زويلة وقد وقع للملك الظاهر فى أوائل دولته محن عظيمة منها تسحب الملك العزيز من القلعة ومنها وثوب الاتابكى قرقماس عليه ومنها عصيان النواب وحصل له غاية الاضطراب ثم انه أثبت على الاتابكى قرقماس كفرا وحكم به قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى ومن النوادر ما حكاه بعض المؤرخين ان الاتابكى قرقماس هذا لما أرادوا ضرب عنقه وهو فى السجن أحضروا له المشاعلى فضربه ثلاث ضربات بالسيف فلم يؤثر فيه ذلك ففتشوه فوجدوا فى فمه خاتم فضة وكان قرقماس أصله من مماليك الظاهر برقوق وكان ضرب عنقه وهو بثغر الاسكندرية فى السجن ثم ان الملك الظاهر صفا له الوقت من بعد ذلك وعاش فى أرغد عيش ودام فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لاتسأل الدهر فى بأساء يكشفها * فلو أردت دوام البؤس لم يدم

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها خلع السلطان على القاضى جمال الدين بن البارزى واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية وكان القاضى جمال الدين بن البارزى صهر الملك الظاهر جقمق زوج أخته فرقى فى تلك الايام الى الغاية وخلع على القاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم واستقر به ناظر الخواص الشريفة على

عادته ثم قبض على القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة وصادره واستصفى أمواله فاخذ منه نحو مائتى ألف دينار ثم نفاه الى مكة ثم نقله الى الشام ولما انفصل القاضى عبد الباسط من نظارة الجيش استقر بها القاضى محب الدين بن الاشقر عوضا عن القاضى عبد الباسط وفيها عزل السلطان قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر من القضاء وولى القاضى علم الدين صالح البلقينى فقال القاضى شهاب الدين بن حجر

يا أيها السلطان لا تستمع * فى أمر قاضيك كلام الوشاه

والله لم نسمع بان امرأ * أهدى له قط ولا قدر شاه

فأقام القاضى علم الدين البلقينى فى قضاء القضاة مدة يسيرة وعزل عنها ثم أعيد ابن حجر الى القضاء ثانى مرة ﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثمانمائة﴾ فيها كانت وفاة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى الفتح داود بن المتوكل وكانت خلافته ثمانيا وعشرين سنة وشهرين وقد بايع فى أيامه من السلاطين ستة وهم المظفر أحمد بن المؤيد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباى وابنه والملك الظاهر جقمق ولما مات الخليفة داود نزل السلطان وصلى عليه وكان كثير البر والصدقات وكانت وفاته فى يوم الاحد رابع ربيع الاول من هذه السنة وفى هذه السنة كان وفاء النيل فى رابع عشر أبيب وقد وقع مثل ذلك فى أيامه مرتين وفيها عزل البدر العينى عن الحسبة وولى الشيخ على العجمى الخراسانى وفيها توفى الشيخ تقى الدين المقريزى المؤرخ والاصح انه توفى فى سنة ست وأربعين لا فى السنة المذكورة ولما مات المعتضد تولى من بعده أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفى بالله فقال الناس ورث سليمان داود ﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين وثمانمائة﴾ فيها من الحوادث ان طائفة من العبيد السود خامروا على استاذهم وعدوا بر الجيزة فأقاموا هنالك وأظهروا العصيان وجعلوا لهم سلطانا ووزيرا وأميرا كبيرا ودوادارا وصار سلطانهم يركب وعلى رأسه صنجق أصفر وحوله جماعة من العبيد نحو من خمسمائة عبد فصاروا يفسدون هنالك وينهبون ما يمر عليهم من غلال وغير ذلك فحصل للناس منهم غاية الاذى فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم بعض الامراء ومعه جماعة من المماليك السلطانية فعدوا اليهم وأوقعوا معهم فانكسر العبيد وأسر سلطانهم ومسك منهم جماعة وهرب الباقون ورجعوا الى القاهرة فرسم السلطان ونادى فى القاهرة بان كل من كان له عبد كبير يطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه اثنى عشر دينارا فامتثل الناس ذلك فاشترى منهم السلطان جماعة وأرسلهم الى بلاد ابن عثمان ورسم ببيعهم هنالك فتوجهوا بهم فى مركب وهم فى الخشب وباعوهم هنالك وقطع جادرة العبيد الشناترة من مصر وخمدت تلك الفتنة التى كانت بين العبيد انتهى وفيها كان قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى محتسب

القاهرة

القاهرة فكان يعز ز السوقة بذهاب المال فن وجد فى بضاعته غشا يرسلها الى المحبوس فيأكلها المحبوسون فكان يعزر بذلك ﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها تزايدت عظمة القاضى زين الدين أبى الخير بن النحاس حتى صار وكيل بيت المال وناظر الكسوة وناظر الجوالى فانفرد بالسلطان حتى قيل كان السلطان قصد ان يزوجه باحدى بناته وقد صار عزيز مصر فى أيامه وأبطل كلمة جميع المباشرين واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بمصر كما قيل فى المعنى

يقول بيت المال لما رأى * تدبيره ذاك الجلى الجليل
الله أعطانى وكيلا رضا * فحسبى الله ونعم الوكيل

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثمانمائة﴾ فيها أرسل السلطان خلف القاضى عبد الباسط وكان منفيا بمكة فلما حضر أكرمه السلطان وأقام فى بيته بطالا وهو فى غاية العز والعظمة وكان يطلع الى السلطان فى رأس كل شهر ويهنى به فيكرمه السلطان ويعظمه واستمر على ذلك حتى مات وفيها وثب مماليك الامير تغرى بردى المؤذى عليه وهو فى بيته فرموا عليه بالنشاب وهو جالس فى المقعد فهرب ودخل الى البيت وأغلق عليه الباب فاستمروا يحاصرونه من أول النهار الى العصر واستمر من الطربة مريضا الى ان مات فلما مات خلع السلطان على الامير اينال العلائى واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عنه ﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية ومات فيه من الناس مالا يحصى عددهم لكنه كان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى جاء فى أيام الاشرف برسباى وفيه يقول الشيخ شمس الدين النواجى

يا الها أهدى الى الخلق رجى * بوباء جم الثواب العظيم
قد شربت النفوس منا فخذها * بالرضا فى قضاك والتسليم

وفيها كان مولد الشيخ جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطى وذلك فى جمادى الآخرة من تلك السنة وفيها توفى الاتابكى يشبك السودونى واستقر فى الاتابكية اينال العلائى الاجرود وكان دوادارا كبيرا واستقر بالامير قانباى الجركسى دوادارا كبيرا عوضا عن الامير اينال العلائى وفيها ولى الشيخ شمس الدين محمد القاياتى قاضى القضاة الشافعية عوضا عن ابن حجر فقال الشهاب المنصورى فى القاياتى تعصبا لابن حجر

ان كان شمس الدين قاياتيكم * مستثقل الحركات والسكنات
لا غرو أن أضحى جبانا فى الورى * فالجبن منسوب الى القايات

وفيها تزايدت عظمة الامير زين الدين الحبى استادار العالية ورقى فى أيام الملك الظاهر هذا الى الغاية وهو صاحب الجامع الذى بالحبانية والجامع الذى فى بولاق والجامع الذى

بين السورين وله عدة جوامع بمصر وغيرها وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان الملك الظاهر منقادا له لا يسمع فيه مرافعة ولم يجئ بعده من يناطيه فى الاستدارية بل كان آخرهم ﴿ثم دخلت سنة خمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الامير جانى بك الظاهرى حاجب الحجاب بسبب عبد القاسم الكاشف الذى كان قد اشتهر بالصلاح فنفى الامير جانى بك الى ثغر دمياط لامر أوجب ذلك وفيها رسم السلطان باعادة مولد سيدى أحمد البدوى بعد ما كان بطل وفيها هجم الفيل الكبير على سايسه وقتله فلما بلغ السلطان رسم بقتل الفيل وفيها أحضر السلطان الامير خشقدم الناصرى من الشام فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف ﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الشيخ برهان الدين البقاعى وقد وقف شخص وشكاه للسلطان فأمر بسجنه بالمقشرة وأخرج عنه وظيفته فى قراءة الحديث ثم نفاه الى الهند حتى شفع فيه بعض الامراء ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة﴾ فيها كانت وفاة الشيخ الصالح السيد الشريف الحسيب النسيب شمس الدين محمد الطباطبى أعاد الله علينا من بركاته ودفن بالقرافة الكبرى عند الشيخ فضل الله بن فضالة وفى هذه السنة كان مولدى وذلك فى يوم السبت سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدى رحمة الله عليه وفيها من الحوادث ان السلطان رسم بسد خوخة الجسراتى ببركة الرطلى لامر أوجب ذلك فحصل عند الناس اضطراب زائد بسبب ذلك ثم تكلم فى ذلك الجمالى يوسف ناظر الخاص فرسم باعادة كل شئ على حاله وفيها تولى قاضى القضاة الشافعية الشيخ شرف الدين يحيى المناوى وكان قاضيا على القدر دينا خيرا من أهل العلم والصلاح وفيها من الحوادث ان شخصا أعجميا يسمى الشيخ أسد الدين كان يدعى انه شريف فجاء الى الشيخ على المحتسب وقال له أجمعنى على السلطان فانى أعرف صنعة الكيمياء فجمعه عليه فأوحى اليه انه يطبخ له كيمياء وان هذا وجه حل فانطاع السلطان الى كلامه وأجرى عليه ما يحتاج اليه من أسباب ذلك وصرف عليه جملة مال نحو من عشرة آلاف دينار ولم تصح معه الكيمياء فكان يأخذ الحرير الاحمر بالارطال ويوقده فى النار ولا يأ كل شيأ فيه روح فأتلف على الملك الظاهر جملة مال ولم يفد ذلك شيأ فكان كما قيل فى المعنى

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث قوم باجتماعهما * وما أظنهما كانا ولا اجتمعا

فأوحوا الى السلطان ان هذا يعبد النار وتحدثوا فى حقه بكلمات كثيرة فأرسله السلطان الى المدرسة الصالحية فحكم فيه بعض نواب القاضى المالكى بدر الدين التونسى بانه كفر فضربوا عنقه تحت شباك الصالحية وكان له يوم مشهود ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

وثمانمائة ❁ فيها توقف النيل عن الوفاء ثلاثة أصابع وقيل أربعة وأقام على ذلك أياما لم يزد شيأ فرسم السلطان بأن يخرج الناس للاستسقاء فخرج القضاة الاربعة وأمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ولم ينزل السلطان فعز ذلك على الناس وقد تقدم ان الملك المؤيد شيخ نزل بنفسه واستسقى مع الناس وكان عليه جبة صوف أبيض فلم يوافق الملك الظاهر على ذلك ثم خرج أطفال المكاتب وعلى رؤسهم المصاحف وخرج طائفة اليهود وعلى رؤسهم التوراة وخرج طائفة النصارى وعلى رؤسهم الانجيل وأخرجوا معهم بعض أبقار وأغنام وخرج معهم السواد الاعظم من رجال ونساء وأطفال رضع والخلق يستغيثون يا ألله ارحمنا وكان يوما تسكب فيه العبرات فتوجهوا نحو الصحراء عند الجبل الاحمر وأحضروا هنالك منبرا وكان قاضي القضاة الشافعية يومئذ القاضي شرف الدين يحيي المناوي فصعد المنبر وخطب خطبة الاستسقاء على جاري العادة فلما أراد ان يحول رداءه كما جرت به العادة في خطبة الاستسقاء سقط الرداء الى الارض فتطير الناس من ذلك فلما رجعوا من الاستسقاء طلع ابن أبي الرداد ومعه رايات زعفران ونادى بزيادة أصبع ففرح الناس بذلك وأنعم السلطان على ابن أبي الرداد بمائة دينار بسبب هذه الزيادة ثم ان البحر نقص في تلك الليلة اصبعين ومن النكت اللطيفة ان بعض العلماء خرج في بغداد ليستسقي بالناس وكان في السماء بعض سحاب وقت خروجه فلما خرج ودعا للناس ورفع يديه بالدعاء تقطع السحاب وصحت السماء من الغيم فخجل ذلك العالم ودفع الى منزله وفي ذلك يقول بعض الشعراء

خرجنا لنستسقي بفضل دعائه * وقد كاد سحب الغيم أن يلحق الارضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما * فما تم الا والسحاب قد انفضا

فلما نزل البحر وقد بقي على الوفاء ثمانية أصابع رسم السلطان بان يكسروا السد ان زاد البحر أو لم يزد فكسروا السد فلم يجر الماء الا قليلا فدخل غالب الماء الى بركة الفيل من المجنون ثم نزل البحر من بعد ذلك ولم يزد شيأ فاضطربت أحوال الديار المصرية وماجت الناس على بعضها وحصل الضرر الشامل وشرقت البلاد وعزت الاقوات وشحط السعر في القمح والشعير والفول وسائر الحبوب وتزايد سعر كل شيء وتناهى سعر القمح الى خمسة أشرفية كل اردب ثم تناهى الى سبعة أشرفية كل اردب وغلا سعر كل شيء من البضائع حتى روايا الماء وعم الغلا سائر البلاد وشرقت غالب البساتين وماتت الاشجار وماتت البهائم فلما جرى ذلك حول الامراء شونهم الى بيوتهم ومعهم مماليكهم ملبسة خوفا من العوام أن ينهبوا القمح ثم ان العوام رجموا القاضي أبا الخير بن النحاس وكيل بيت المال وقد بلغهم عنه انه قال للسلطان ان العوام يأكلون بذهبهم حشيشا ويأكلون

فوقه بار بعة أنصاف حلوى فالذى يأ كلون به حلوى يا كلون به خبزا فرجوه وهو نازل من القلعة وخطفوا عمامته من على رأسه وأخذوا خواتمه من أصابعه ثم رجموا العلائى على بن القيسى محتسب القاهرة بسبب الخبز فانه وصل سعر كل رطل خبز نصف فضة وقاسى الصاحب أمين الدين بن الهيصم والامير زين الدين الاستادار فى هذه الغلوة من المماليك مالا خير فيه وصاروا يضربونهم ويرجمونهم وتشحط اللحم والجبن وسائر البضائع حتى الروايا الماء واستمرت هذه الغلوة نحو سنتين وقد رثى بعض الشعراء الخبز لما عز وتشحط بقوله

قسما بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهى فى * سحب النقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الخدين للشونيز فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهبا اذا قويت عليه النار
تلقى عليه فى الخوان جلالة * لاتستطيع تحده الابصار
فكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهره لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه * لولم تبينه لنا الاسعار
ان دام هذا السعر فاعلم انه * لاحبة تبقى ولامعيار

ثم وقع الطاعون فى هذه السنة أيضا بالديار المصرية ومات فيه مالا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوارى وعبيد وغرباء حتى قيل كان يموت فى كل يوم نحو عشرة آلاف انسان وفى ذلك يقول شمس الدين النواجى

رب نج الانام من هول طعن * قد قضى غالب الورى فيه نحبه
رخصت قيمة النفوس فأضحت * كل روح تباع فيه بحبه

وفى أواخر هذه السنة كانت وفاة القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة كان فكانت وفاته فى سادس شوال من السنة المذكورة وكان له بر ومعروف وفعل خير وأنشأ عدة مدارس بمصر ومكة والمدينة وبيت المقدس وكان له سحابة تطلع فى كل سنة برسم الحجاج المنقطعين وقطع من طريق العقبة وأرسل تجارين قطعوا منها ما كان يشوش على الحجاج وكان القاضى عبد الباسط عزيز مصر فى أيامه فلما مات تزوج الملك الظاهر بنته والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة﴾ (١) فيها كانت وفاة شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الكنانى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وكانت جنازته مشهودة ولما مات لم يخلفه أحد من العلماء من بعده وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة منها

بكاك العلم حتى الحواضى * مع التصريف بعدك فى جدال

(١) فى الشذرات وغيرها ان وفاة ابن حجر كانت سنة ٨٥٢

وقد

وقد أضحى البديع بلا بيان * وقد سلفت معانيه الغوالى
وقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
تنكرت المعارف فى عيانى * وتمييزى غدا فى سوء حال
وما عوضت من بدل وعطف * سوى توكيد سقمى واعتلالى
وكم جنت المنون على كرام * وجندلت الكمى بلا قتال
فيا قبرا ثوى فيه تهنى * فقد حوت الجميل مع الجمال
سقاك الله عينا سلسبيلا * وأسبغ ما عليك من الظلال

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثمانمائة﴾ فيها وفاة أمير المؤمنين المستكفى بالله سليمان ابن المتوكل على الله محمد وكانت وفاته فى يوم الجمعة ثانى المحرم من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته نحو عشر سنين ولما مات نزل السلطان وصلى عليه ومشى فى جنازته حتى دفن عند أقاربه بالمشهد النفيسى ومات ولم يعهد لأحد من اخوته فلما كان يوم الاثنين خامس المحرم عقد السلطان مجلسا بالقصر الكبير وجمع فيه القضاة الاربعة وهم قاضى القضاة الشافعية شرف الدين يحيى المناوى وقاضى قضاة الحنفية سعد الدين الديرى وقاضى القضاة الحنابلة عز الدين الحنبلى وقاضى القضاة المالكية شمس الدين البساطى وكان المتكلم فى ذلك المجلس القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر الشريف فلما تكامل المجلس وقع الاختيار على تولية حمزة بن المتوكل وكان أسن اخوته فولاه السلطان ثم ان القاضى كمال الدين بن المبارك البارزى استرعى السلطان مبايعة الخليفة حمزة ولقبوه بالقائم بأمر الله ثم أحضروا له التشريف فالبسوه له ونزل من القلعة فى موكب عظيم وقدامه القضاة الاربعة وأعيان الناس حتى وصل الى بيته وهو فى غاية العظمة فكان أحق بقول القائل

كل يهنيك بالتشريف محتفلا * يامن بأيامه المعروف معروف
لكننى بك أختار الهناء له * فان قدرك للتشريف تشريف

ومن الحوادث ان السلطان رسم بحرق شخوص خيال الظل جميعها وأبطلها ورسم بابطال نوبة خاتون التى كانت تعزف بالقلعة بعد العشاء وفيها توفى العلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى صاحب التاريخ البدرى ﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ فيها توفى القاضى كمال الدين ابن القاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر الشريف بالديار المصرية فلما أن توفى القاضى كمال الدين بن البارزى خلع الملك الظاهر على القاضى محب الدين بن الاشقر واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارزى وخلع على القاضى جمال الدين يوسف واستقر به ناظر الجيوش المنصورة مع ما بيده من نظارة الخاص (أقول) كان القاضى كمال الدين بن البارزى

من أهل الفضل والعلم وله خط جيد وعبارة حسنة وكان له نظم رقيق وقد فاق والده القاضي ناصر الدين البارزي ۞ ومن النكت اللطيفة قيل كتب القاضي ناصر الدين البارزي تقريظا وقد استوفى الى آخر الورقة فلما فرغ قالوا له لابد من كتابة ولدك القاضي كمال الدين على هذا التقريظ فأمره بأن يكتب تحت خطه ولم يبق من الورقة الاقدر اصبعين فكتب القاضي كمال الدين تحت خط والده

مرت على فهمي وحلو لفظها * مكررفما عسى أن أصنعا

ووالدي دام بقاء سودده * لم يبق فيها للكمال موضعا

فانظر الى حسن أدبه مع بلوغ القصد وحسن ماوقع له بالتورية مع تضمين اسمه وعدم الحشو وحسن المقابلة بين الحلو والمر وهذا في غاية الرقة انتهى ذلك ۞ ومن الحوادث في أيام الملك الظاهر جقمق أن البلاد لما شرقت رسم للمقطعين بان البلاد التي رويت من ماء النيل في تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ففعلوا ذلك ومشى هذا الامر ۞ ومن الحوادث في أيامه أن بركات أمير مكة كان قد أظهر العصيان فتوجه اليه القاضي شرف الدين الانصاري فحضر صحبته فلما وصل نزل اليه السلطان ولاقاه من المطعم فدخل صحبته وطلع الى القلعة فخلع عليه وأكرمه وزالت تلك الوحشة التي كانت بينهما ۞ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثمانمائة فيها توعك جسد السلطان ولزم الفراش وسلسل في المرض فلما ثقل عليه الضعف أرسل خلف أمير المؤمنين القائم بالله حمزه والقضاة الاربعة فلما حضروا اعهد بالملك الى ولده المقر الفخري عثمان وخلع نفسه من السلطنة واستمر عليلا ملازم الفراش الى أن توفي في ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة فغسلوه وكفنوه وصلى عليه الخليفة حمزة بالقلعة ونزلوا به من باب المدرج وتوجهوا به الى تربة قانباي الجركسي التي عند دار الضيافة فدفن هناك وكثر عليه الحزن والاسف من الناس وقيل مات وله من العمر نحو احدى وثمانين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ومامع ذلك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويوما وقيل يومين وكان ملكا عظيما جليلا دينا خيرا متواضعا كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين جانب يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم الى العلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الايتام ويكتب لهم الجوامك ولا يخرج اقطاع من له ولدا الا الى ولده وكانت الدنيا في أيامه هادئة من الفتن والتجاريد وكان يحسن للامراء التراكة ويعطيهم العطايا الجزيلة فكانوا تحت طاعته في مدة ولايته وكان الملك الظاهر طاهر الذيل عفيفا عن الزنا واللواط وكانت صفته معتدل القامة غليظ الجسد دري اللون مستدير الوجه مستديرا اللحية حسن الشكل عليه وقار وسكينة مهيبا في العيون وكان فصيح اللسان بالعربية متفقها وله مسائل في الفقه غريبة

ترجع له فيها العلماء لكنه كان صاحب ودينة ماشيا على قاعدة الاتراك عنده الدعوى لمن سبق وكان عنده حدة زائدة وبادرة فى الامر ومن مساويه أنه كان عنده خرق فى حق العلماء منها أنه سجن قاضى القضاة ولى الدين السفطى فى المقشرة ومنها أنه عزر الشيخ شمس الدين الكاتب فى وسط الصالحية وكان يكره جماعة الاشرف برسباى ونفى منهم جماعة ونفى أبا الخير بن النحاس الذى ما كان عنده أعظم منه وسجنه بالديلم أياما وسجن جماعة كثيرة من العلماء بالمقشرة وصادر القاضى عبد الباسط وأخذ أمواله وأثبت على الاتابكى قرقماس الشعبانى كفرا وأرسل بضرب عنقه بثغر الاسكندرية وأثبت على الامير بخشاى كفرا وضرب عنقه وكان اذا سمع بأن أحدا يسكر ينفيه ويقطع جامكيته ويخرج اقطاعه وغضب فى وقت على النصارى فهدم جانبا من كنائسهم وحجر على بيع النبيذ وكتب على اليهود والنصارى قساما أن لا يعصروا خمرا ثم كبس البيوت والحارات بسبب ذلك وأراق من الجور أشياء كثيرة ثم أمر بسد خوخة باب الجسر التى عند بركة الرطلى فأقام مسدودا أياما ثم رسم بفتحه وكان له أشياء كثيرة من هذا النمط بحسب الوسائط السوء وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان خيار ملوك الترك من الجراكسة بالنسبة الى غيره من الملوك كما قيل فى المعنى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

ولما مات الملك الظاهر خلف من الاولاد ثلاثة صبيا وبنتين وهم الملك المنصور عثمان الذى تسلطن بعده وأما البنتان فاحداهما من خوند التى هى بنت البارزى تزوجت بالاتابكى أزبك والاخرى تزوجت بالامير جانبك الظريف أولا ثم تزوجت بالاتابكى أزبك بعد موت أختها وأما نساؤه فخوند بنت البارزى أولا وخوند بنت الامير جرباش الكريمى قاشق أمير سلاح وخوند بنت ابن عثمان وخوند الجركسية وتزوج بنت عبد الباسط ناظر الجيش وكانت دولته ثابتة القواعد وأما أمراؤه الاتابكية فالامير قرقماس الشعبانى أولا ثم الامير اقبغا التمرازى ثم الامير يشبك السودونى ثم الامير اينال العلائى وأما دوادارياته فالامير اركماس الظاهرى أولا ثم الامير تغرى بردى المؤذى ثم الامير اينال العلائى ثم قانباى الجركسى ثم الامير دولاتباى المؤيدى وأما قضاته الشافعية فالقاضى شهاب الدين بن حجر أولا ثم القاضى علم الدين صالح البلقينى والقاضى شمس الدين القاياتى والقاضى ولى الدين السفطى والقاضى شرف الدين يحيى المناوى وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين بن الديرى وأما قضاته المالكية فالقاضى شمس الدين محمد البساطى أولا ثم القاضى بدر الدين بن التونسى ثم القاضى ولى الدين الاموى وأما قضاته الحنابلة فالقاضى محب الدين العسقلانى أولا ثم القاضى بدر الدين البغدادى والقاضى عز الدين الحنبلى وأما كتاب سره فالقاضى

بدرالدين بن مزهر أولا والقاضى كمال الدين بن البارزى والقاضى محب الدين بن الاشقر من بعده وأما نظار جيوشه فالقاضى عبد الباسط أولا ثم القاضى محب الدين بن الاشقر والقاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم وأما نظار الخواص الشريفة فالقاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم المذكور وأما وزراؤه فالصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخات والصاحب أمين الدين بن الهيصم وأما استداريانه فالامير عبد الرحمن بن الكويز والامير زين الدين يحيى وتولى غير هؤلاء جماعة لم تطل مدتهم بها فلم نذكرهم ههنا وأما من تولى الحسبة فى أيامه فالقاضى محمود العينى والشيخ على العجمى والعلائى على بن القيسى وعبد العزيز بن محمد الصغير أيضا وأما ولاة القاهرة فى أيامه فنصور بن الطبلاوى وجانى بك وقراجا وعلى بن القيسى وغير ذلك من الاتراك وغيرهم وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فهم الخليفة داود والخليفة سليمان وقاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى وقاضى القضاة ولى الدين السفطى الشافعى وقاضى القضاة محب الدين العسقلانى الحنبلى وقاضى القضاة بدر الدين البغدادى الحنبلى وقاضى القضاة بدر الدين التونسى المالكى وقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى وهو صاحب التاريخ البدرى وكان العينى من أهل الفضل وله عدة مصنفات فى علوم جليلة وكان له شعر جيد وفيه يقول بعض المواله هذه الابيات المواليا وقد جمع فيها الفنون السبعة وهو قوله

قوما لدو بيت قاضى قد زجل شينى * بكان وكان امتدح بين الورى زينى

وانقل موشح مواليا بلا مينى * فابحر الشعر مجراها من العينى

وتوفى فى أيام الملك الظاهر ولده المقر الناصرى محمد وتوفى القاضى الوفائى وابن الجزرى شيخ القرا آت وتوفى الحافظ عبد الرحيم الحموى المحدث وتوفى شيخ الزهاد محمد بن سلطان والشيخ كمال الدين المجذوب والشيخ عبادة المالكى والشيخ شمس الدين الحنفى والشيخ أبو الفتح بن أبى الوفاء والامير جوهر اللالا الزمام القنقباى الخازندار وتوفى فى أيامه جماعة كثيرة من الاهراء المقدمين وأعيان الناس من الاكابر وتوفى فى أيامه من الشعراء الشيخ تقى الدين بن حجة صاحب شرح البديعية توفى بحماه وتوفى الشيخ شهاب الدين بن مبارك شاه وكان من أعيان الشعراء وتوفى الشيخ شمس الدين بن كميل وكان له شعر جيد وتوفى البدر البشتكى من أعيان الشعراء وتوفى الشيخ شمس الدين النواجى صاحب حلبة الكميت وكان من أعيان الشعراء وقد رثاه الشهاب المنصورى حيث قال

رحم الله النواجى فقد * فقد الدنيا وأبقى ماروى

وانطوى فى شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النواجى

انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر جقمق العلائى الظاهرى وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر سلطنة الملك المنصور أبى السعادات فخر الدين عثمان ابن الملك الظاهر جقمق العلائى

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة بعد خلع أبيه من السلطنة فى يوم الخميس حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو تسع عشرة سنة وكانت أمه أم ولد رومية الجنس فلبس خلعة السلطنة من الدهيشة وركب وتوجه الى القصر الكبير والاتابكى اينال العلائى حامل القبة والطير على رأسه فلما جلس على سرير الملك باست له الامراء الارض ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج له الناس بالدعاء هذا كله ووالده الظاهر فى قيد الحياة فاقام اثنى عشر يوما حتى توفى والده فلما تم أمره فى السلطنة خلع على الامير تغرى برمش بغا واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير دولات باى المؤيدى ثم انه قبض على الامير زين الدين استادار وكان بينه وبينه حظ نفسى من أيام والده فلما قبض عليه لم يرث له وسلمه الى الامير فيروز الزمام ثم خلع على الامير جانى بك نائب جدة واستقر به استادارا عوضا عن زين الدين ثم نقل زين الدين من عند فيروز الزمام وسلمه الى الامير جانى بك نائب جدة فعاقبه وأحضر اليه المعاصير وعصره فى أركابه حتى كسرها واستخرج منه نحو أربعين ألف دينار واستمر فى العقوبة اياما وفيه يقول بعض الشعراء

أخبار زين الدين قد شاعت بها * أعداؤه بين الورى تتعهد

لاغرو ان هم بالغوا فى عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ثم ان الملك المنصور أخذ فى أسباب نفقته على العسكر ولم يكن فى الخزائن شئ من المال قيل خلف الملك الظاهر جقمق فى الخزائن من المال ثلاثين ألف دينار لاغير فشكا ذلك الى القاضى جمال الدين يوسف ناظر الخاص فقال على ذلك ثم ضرب دنانير ذهب ينقص كل دينار عن الاشرفى قيراطين وسماها المناصرة فضرب منها جملة كثيرة وأراد أن ينفق ذلك على العسكر ولما كان يوم الاثنين مستهل ربيع الاول من سنة سبع وخمسين وثمانمائة وثب المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية فلما وثبوا توجهوا الى بيت الاتابكى اينال العلائى فاركبوه غصبا وأتوا به الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فلما استقر به أرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر أخذ فى أسباب خلع الملك المنصور عثمان فكتبوا محضرا وشهد فيه جماعة

الخاصكية بما أوجب خلعه فخلع من السلطنة وبويع الاتابكي اينال بالسلطنة واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين من يوم الاثنين الى يوم الاحد سابع ربيع الاول فانكسر الملك المنصور عثمان فى ذلك اليوم وكان الملك المنصور أرسل يحضر عربانا من الشرقية وعربانا من البحيرة فمنعه من ذلك الامير قانباى الجركسي وما مكنه من ذلك وقال تطمع العرب فى الترك ولازال اينال يحاصر الملك المنصور وهو بالقلعة وقطع عنه الماء ومنع عنه الاكل حتى ضجر وانكسر فملك اينال باب القلعة وولوا الظاهرية منهزمين كأنهم لم يكونوا فلما تسلطن اينال قبض على الملك المنصور وقيده وسجنه بالبحرة وهو مقيد فأقام بها الى يوم الاحد ثامن عشري ربيع الاول فأنزلوه من القلعة من باب القرافة وهو مقيد الى أن وصلوا به البحر فأنزلوه فى الحراقة وتوجهوا به الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير خيربك الاشقر امير اخور ثانى فلما وصل الى الاسكندرية سجن بها ورجع الامير خيربك فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمان ثلاثة وأربعين يوما وكانت كسنة من النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل فى المعنى

فلم يقم الابقدار ان * قلت له أهلا أخى مرحبا

واستمر الملك المنصور بثغر الاسكندرية الى دولة الملك الظاهر خشقدم فرسم له بالاطلاق وأن يسكن فى بعض دور الاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الاشرف قايتباى فنقله الى ثغر دمياط وكان يركب ويتصيد ثم طلب من السلطان اذنا بان يحج فانعم له بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فأكرمه السلطان وخلع عليه ثم أقام له بركا وسنيحا وتوجه الى الحجاز فحج وعاد الى القاهرة وأقام بها نحوا من شهرين ففى هذه المدة كان يطلع القلعة ويضرب الاكرة مع السلطان ورسم له السلطان بان يتوشح ببند أصفر حين يلعب الاكرة فكان فى غاية العز والعظم وكان الملك الاشرف قايتباى مملوك أبيه الظاهر جقمق والاتابكي مملوك أبيه وصهره زوج أخته وسائر الامراء الظاهرية مماليك أبيه وكان الاتابكي تمراز الشمسي متزوجا بنت الملك المنصور فساعدته الاقدار من كل جانب ثم رسم له السلطان بالعود الى ثغر دمياط وأقام فيها حتى توفى بها أثناء دولة الملك الاشرف قايتباى ونقل بعد موته من دمياط ودفن فى تربة أبيه الملك الظاهر ومات الملك المنصور وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان كريما محببا لين الجانب انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق العلائى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابى النصر سيف الدين اينال العلائى الظاهرى

وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وذلك فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتلقب بالملك الاشرف وقد تقدم أن جماعة من الاشرفية والمؤيدية والمماليك السيفية لما وثبوا على الملك المنصور توجهوا الى بيت الاتابكى اينال وأركبوه غصبا وأتوا به الى حدرة البقر فى بيت قوصون فجلس به وأرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر قام فى سلطنة الاتابكى اينال غاية القيام وخلع الملك المنصور من السلطنة قبل أن ينكسر وبايع الاتابكى اينال ونودى باسمه فى القاهرة واستمر الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام وقتل فى هذه المدة من الناس مالا يحصى وآخر الامر انكسر الملك المنصور وملك اينال باب السلسلة فلما استقر بباب السلسلة بعث جماعة من الاشرفية فقبضوا على الملك المنصور وقيدوه وأدخلوه البحرة وقبضوا على جماعة من الظاهرية فبات ليلة الاثنين فى باب السلسلة فلما كان يوم الاثنين أحضر اليه شعار الملك وأفيض عليه وقدمت له فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وحملت القبة والطير على رأسه وولده الشهابى أحمد ومشت قدامه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض ودقت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات بالدعاء له من الخاص والعام (أقول) وكان أصل الملك الاشرف اينال جركسى الجنس جلبه الخواجا علاء الدين على فاشتراه منه الملك الظاهر برقوق وصار من جملة مماليكه فلما توفى الملك الظاهر برقوق وتولى بعده ابنه الناصر فرج أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وبقى جدارا ثم بقى أمير عشرة فى دولة الملك المظفر أحمد ابن المؤيد شيخ ثم بقى أمير طبلخاناه رأس نوبة ثانى فى دولة الملك الاشرف برسباى ثم بقى نائب غزة مع الاشرف برسباى ولما توجه الى آمد جعله نائب الرها وذلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ثم أحضره الاشرف برسباى الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة عن التقدمة ثم نقله الاشرف الى نيابة صفد وخرج اليها فى سنة أربعين وثمانمائة واستمر بصفد الى دولة الظاهر جقمق فبعث خلفه فلما أحضره قرره فى تقدمة تغرى بردى المؤذى فلما توفى الاتابكى يشبك السودونى قرر فى الاتابكية عوضا عن يشبك السودونى وذلك فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة واستمر على

ذلك حتى توفى الظاهر جقمق وتولى ابنه الملك المنصور عثمان فوثب عليه العسكر وتوجهوا الى بيت الاتابكى اينال فاركبوه غصبا وأقام الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام فلما انكسر المنصور وقع الاتفاق على سلطنته فسلطنوه وتلقب بالملك الاشرف فلما تم أمره فى السلطنة وجلس على سرير الملك أخذ فى تدبير أمره واصلاح شأنه ثم انه عين الاتابكية لولده المقر الشهابى أحمد فعز ذلك على الامراء فقر رفيها تانى بك البردبكى وخلع عليه وأقره فى الاتابكية عوضا عن ولده وأنعم على ولده الشهابى أحمد بتقدمة ألف ثم عمل الموكب وخلع على الامير خشقدم وقرره أمير سلاح عوضا عن تنم بن عبد الرزاق وخلع على طوخ بوبى بازق وقرره أمير مجلس وخلع على قرقماس الجلب وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن اسنبغا الطيار وخلع على جرباش كرت وقرره أمير اخور كبير عوضا عن قانى باى الجركسى وخلع على يونس الاقباى المؤيدى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن تمر بغا الظاهرى وخلع على جان بك القرمانى وقرره حاجب الحجاب عوضا عن خشقدم الناصرى وخلع على تمراز الاينالى الاشرفى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن اسنباى وخلع على جانى بك القجماسى الاشرفى وقرره فى شادية الشراب خانه عوضا عن لاجين الظاهرى وخلع على خير بك الاشقر وقرره أمير اخور ثانى وخلع على جانبك نائب جدة واستمر متحدثا فى الاستادارية وخلع على قانى باى الاعمش وقرره فى نيابة القلعة وخلع على يونس العلائى وقرره فى نيابة الاسكندرية وخلع على يشبك الناصرى وقرره رأس نوبة ثانى وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازبغا اليونسى و برسباى البجاسى وغير ذلك من الامراء ثم أنعم بامرية طبلخانات وعشراوات على جماعة كثيرة من الامراء منهم جانبك الظريف وقرره فى الخازندارية الكبرى عوضا عن ازبك بن ططخ وأنعم على بردبك زوج ابنته بامرية عشرة وقرر يشبك الاشقر فى استدارية الصحبة عوضا عن سنقر أحد الامراء الظاهرية ثم انه شرع فى ارسال الملك المنصور الى ثغر الاسكندرية فنزل به من باب الدرفيل وهو مقيد فتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها بعد ان أنزلوه الى البحر فى الحراقة وتوجهوا به وكان المتسفر عليه خير بك الاشقر أمير اخور ثانى فسجنه ورجع ثم أنزل من قبض عليه من الامراء وهم تنم بن عبد الرزاق أمير سلاح وقانى باى الجركسى أمير اخور كبير وتمر بغا الدوادار الكبير ولاجين شاد الشراب خاناه وازبك بن ططخ خازندار كبير وسنقر العايق وجانم الساقى وجانى بك البواب وسودون الافرم فتوجهوا بالجميع الى ثغر الاسكندرية فسجنوا بها وهم فى قيود حديد وفى ربيع الاول ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة وهى نفقة البيعة على الجند وكانت قد ضربت قبل ذلك وهى الدنانير الناصرية تنقص عن وزن الاشرفى قيراطين من ذهب وكان القائم فى ذلك ناظر الخاص يوسف

فلما تسلطن اينال ضربت باسمه وأنفقها على الجند وجلس السلطان للتفرقة على الجند فأنفق على جماعة من الجند مائة وعلى جماعة منهم خمسين دينارا وعلى جماعة منهم خمسة وعشرين دينارا وعلى جماعة عشرة دنانير وهو أول من شح فى نفقة البيعة وميز الجند بعضا على بعض فكلمه بعض الامراء فى ذلك فأجاب بأن الامير غربغا الدوادار رتب ذلك فى قوائم فى دولة المنصور وقد مضى ذلك على هذا الحكم فما تنبغى الزيادة على ذلك والخزائن مشحونة من المال وان هذا القدر ما تحصل الا من المصادرات من ناظر الخاص يوسف وزين الدين الاستادار وغير ذلك من المباشرين وهذا أول تصرفات اينال فى أحوال أمور المملكة فى الولاية والعزل وفيه توفى جقمق اليشبكى الخاصكى أحد معلمى الرمح وكان ترشح أمره الى نيابة القلعة بمصر وكان شجاعا مقداما فى الحرب جرح فى هذه الواقعة واستمر ملازما للفراش حتى مات وتوفى الشيخ على الرفاعى شيخ المدرسة الاشرفية أشرفية برسباى التى بالصحراء وتوفى شمس الدين الاج كاتب المماليك وتوفى الامير أزبغا اليونسى الناصرى الذى تقرر فى تقدمة الالف وتوفى جانبك الوالى الزردكاش الكبير وكان من مماليك يشبك الحكمى فلما مات خلع السلطان على نوركار الحاجب الثانى وقرر فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانبك الوالى وقرر فى الحجوبية الثانية سمام الحسنى وقد قرر السلطان جماعة كثيرة من الاشرفية البرسبيهية فى عدة وظائف سنية وقرر منهم جماعة كثيرة رؤس نوب حتى بلغ عدتهم فى أيام دولته فوق الخمسة والعشرين أمير رأس نوبة وقرر عدة دوادارية فوق عشرة أنفار وعدة سقاة وبوابين وفرق الاقطاعات على غالب المماليك الاشرفية وقبض على جماعة كثيرة من مماليك الظاهر ونفى منهم جماعة من أعيانهم الى بلاد الشام ونفى منهم جماعة الى الوجه القبلى نحو قوص فاستقامت أموره فى السلطنة وثبتت قواعد دولته واستمر فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك وفى ربيع الآخر قدم جانم الاشرفى الذى كان أمير اخور كبير ونفى الى صفد وحضر جانى بك قلقسير الاشرفى الذى كان نفى الى طرابلس فحضر من غير اذن فأنعم عليه السلطان بامرية عشرة وفيه حملت نفقات الامراء اليهم على جارى العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من مماليك القاضى عبد الباسط يقال له لبان فوسطه ومعه اثنان من أصحابه وسبب ذلك أنهم كانوا يحضرون عندهم بنات الخطا فاذا بتن عندهم يقتلونهن ويأخذون ما عليهن من القماش ففعلوا ذلك غير مرة حتى غمز عليهم فاشهروهم فى القاهرة وقدامهم أقفاص حمالين فيها عظام الاموات التى كانوا يقتلونها من النساء وكان لهم يوم مشهود وفيه قرر فى قضاء الشافعية بحلب القاضى تاج الدين عبد الوهاب وصرف عنها الزهرى وفيه عقد السلطان لولده المقر الشهابى أحمد على بنت الامير دولات باى الدوادار الكبير وفى جمادى الاولى توفى

الشيخ سراج الدين عمر التبانى الحنفى وكان عارفا بفن علم الرمل وله فى ذلك يد طائلة وكان من خواص المؤيد شيخ وكان رئيسا حشما وله شهرة زائدة وفيه قبض السلطان على قراجا الخازندار وكان من المقدمين الالوف ورسم باخراجه الى القدس بطالا ولم يكن له ذنب غير انه أخذوا منه التقدمة وقرروا فيها جانم الاشرفى وفيه قرئ تقليد السلطان بالقصر على العادة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فلما انتهى المجلس خلع السلطان على الخليفة والقضاة ونزلوا الى بيوتهم وفيه توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادى وكان عالما فاضلا معظما عند الناس وأرباب الدولة وله حرمة وافرة ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان أعور باحدى عينيه ولكنه كان من أعيان علماء الحنابلة من أهل الفضل وقد قال فيه بعض الشعراء يداعبه

ورب أعمى قال فى مجلس * يا قوم ما أصعب فقد البصر
أجابه الاعور من خلفه * عندى من دعواك نصف الخبر

فلما مات خلع السلطان على الشيخ عز الدين الكنانى ابن قاضى القضاة برهان الدين ابن قاضى القضاة مجد الدين بن نصر الله وقرر فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين البغدادى بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار بقتل سونجبغا اليونسى وتغرى بردى القلاوى وكان كاشف الوجه القبلى وكان قرر فى الوزارة فى أواخر دولة الظاهر جقمق أخذ الوزارة عن أمين الدين بن الهيصم وكان فرج بن النحال ناظر الدولة يومئذ وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق فتوجه سونجبغا للقبض عليه فتخانقا وهما على الخيل فقتل كل منهما صاحبه بالخناجر فماتا معا فى يوم واحد وكان سونجبغا من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان من جملة أمراء الطبلخانات وسافر أمير الحاج غير مرة وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على برسباى المؤيدى باقطاع تغرى بردى القلاوى وقرر بلباى الاينالى فى امرية سونجبغا وفيه توفى الشيخ محب الدين أبو القاسم محمد النويرى المالكى وكان من أعيان علماء المالكية وكان ذكر للقضاء غير ما مرة ولم يتم له ذلك ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه قرر فى تقدمة المماليك الطواشى لؤلؤ الرومى الاشرفى وصرف عنها مرجان العادلى وفيه قرر فى كشف الوجه القبلى قراجا العمرى عوضا عن القلاوى وفيه توفى الشيخ عز الدين التكرورى المالكى وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وكان له خط جيد وشعر رقيق فمن ذلك قوله

لما شغفت بناسخ نادبته * فى ميم ثغرك تنشد الاشعار
نادى فلام الخد قلت محققا * ريحان خدك ما عليه غبار

وكان مولده سنة احدى وستين وسبعمائة وفيه قدم القاضى محب الدين بن الشحنة الى القاهرة من غير طلب فاراد السلطان أن يرده الى حلب فأوعد بمال فاذن له بالدخول الى

مصر فدخل على كره من الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه توفى الامير قانصوه النوروزى
وكان من أعيان الرماة بالنشاب مشهورا بالفروسية بين الاتراك ۞ وفى جمادى الآخرة
توفى الامير دولات باى المحمودى المؤيدى أمير دوادار كبير كان وكان أصله من مماليك
المؤيد شيخ وكان حج فى تلك السنة فلما عاد قبض عليه الملك المنصور وبعث به الى السجن
بثغر الاسكندرية فلما تسلطن الاشرف اينال رسم بالافراج عنه فحضر الى القاهرة
وقرر فى تقدمة ألف فأقام مدة يسيرة وتوفى وكان أميرا جليلا عارفا باحوال المملكة
سيوسافى أفعاله ومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان منهمكا فى لذات نفسه يميل الى شرب
الراح وحب الملاح وهو والد سيدى عمر وكان لا بأس به ولما مات قرر فى تقدمته خيربك
المؤيدى المعروف بالاجرود وقرر قايتباى المحمودى فى تقدمة ألف بدمشق وهى تقدمة
قانصوه النوروزى وفيه خرجت تجريدة الى البحيرة بسبب فساد العربان وكان باش
العسكر طوخ بانى بازق أمير مجلس وفى رجب رسم السلطان بدوران المحمل ونودى فى
القاهرة بالزينة وكان له مدة وهو بطال فساقوا الرماحة فى تلك السنة وكان جانى بك
الظريف هو باش الرماحة وفيه قرر القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر فى نظر الاصطبل
وقرر القاضى محب الدين بن الشحنة باستمراره فى قضاء حلب وتوجه الى حلب وفيه تزوج
الامير جانى بك الظريف بنت الملك الظاهر جقمق وهى أخت زوجة الامير أزبك بن
ططخ وفيه جاءت الاخبار بقتل قشم المحمودى الناصرى كاشف البحيرة قتله عربان البحيرة
غدرا فلما قتل قشم قرر عوضه فى كشف البحيرة حسن الدنكرى وفيه كان وفاء النيل
المبارك وقد أوفى ثالث عشرى مسرى فنزل لكسره المقر الشهابى أحمد ابن السلطان
وكان له يوم مشهود وهو أول فتحة للسد وفى شعبان كانت وليمة عرس خوند فاطمة
بنت السلطان على الامير يونس البواب أمير دوادار كبير وكان مهما حافلا بالقلعة وأقام
ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت فى محفة الى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها
من القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة نائب صفد بيغوت بن صفر خجا المؤيدى المعروف
بالاعرج وكان أميرا جليلا ولى نيابة حماه ونيابة صفد ثم سجن ثم عاد الى صفد ومات بها
وفيه ثارت فتنة كبيرة وركب المماليك وطلعوا الى الرميلة واضطربت الاحوال وسبب
ذلك ان المماليك طلبوا من السلطان نفقة البيعة وقالوا ان التى قد أنفقها السلطان انما
هى نفقة الملك المنصور ونحن نطلب منك نفقة ثانية فبعث يعتذر اليهم ويقول لهم
ان الخزائن خالية من المال وهذه النفقة من المصادرات لجماعة من المباشرين فسكنت
الفتنة قليلا وكانت هذه تعلية من المماليك السيفية وفى رمضان جاءت الاخبار بوفاة
جقمق الناصرى نائب بيروت وفيه اختفى الصاحب أمين الدين بن الهيصم فلما

اختفى خلع السلطان على سعد الدين فرج بن النحال كاتب المماليك وقرره فى الوزارة عوضا
عن ابن الهيصم وكان عين للوزارة ناظر الخاص يوسف فاستعفى من ذلك فقرر بها سعد
الدين فرج وقرر عوضه فى كتابة المماليك ابن عمه عبد الرحمن وفيه خلع السلطان على
اياس الطويل وقرره فى نيابة صفد عوضا عن يبغوت الناصرى وكان اياس الطويل أتابك
العساكر بطرابلس وكان خشداش السلطان وقرر فى أتابكية طرابلس حطط الناصرى
وكان من العشراوات بطرابلس وقرر فى امرية حطط جانى بك المحمودى المؤيدى وكان
منفيا بطرابلس وفيه توجه القاضى عبد الكافى بن الذهبى كاتب السر بدمشق وكان من
أعيان الدماشقة حسن الخط والعبارة وفى شوال كان العيد يوم الجمعة وخطب مرتين
فلهج الكثير من الناس بزوال السلطان فلم يصح ذلك وفيه قرر جانى بك فى نيابة جدة
على عادته وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الظريف وأمير
ركب الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان لهما يوم مشهود وفيه اختفى زين الدين
الاستادار وكان الاشرف اينال لما استعفى منها جانى بك نائب جدة خلع السلطان على زين
الدين وولاه الاستادارية على كره منه فلما اختفى خلع السلطان على العلائى على بن محمد
الاهناسى وكان برددار بالمفرد عند زين الدين الاستادار ثم كان استادارا عند المقر الشهابى
أحمد بن الملك الاشرف اينال فلما غيب زين الدين سعى فى الاستادارية الكبرى فخلع
عليه السلطان وولاه الاستادارية عوضا عن زين الدين وهذه أول عظمة العلائى على بن
الاهناسى وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان بخبر للسلطان بفتح القسطنطينية
العظمى وقد صنع المكايد فى فتحها وكان الفتح فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى
الاولى من هذه السنة فلما بلغ ذلك دقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة بالزينة ثم ان
السلطان عين برسباى أمير اخور ثانى رسولا الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج
برسباى وتوجه الى بلاد ابن عثمان وفى ذى القعدة لبس السلطان الصوف فى سادس هاتور
القبطى وقد عجل السلطان بلبسه وفيه خلع السلطان على محب الدين بن الشحنة وقرره
فى كتابة السر بمصر وصرف عنها محب الدين بن الاشقر وهذا أول عظمة ابن الشحنة بمصر
وكان قررفى قضاء الحنفية بحلب فتكاسل عن التوجه الى حلب وسعى فى كتابة السر حتى
قرربها وفيه خرج المقر الشهابى أحمد ابن السلطان الى الرماية وصحبته خشقدم أمير سلاح
وبرسباى البجاسى فلما عاد زينت القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه توفى الشيخ الصالح
المعتقد سيدى درويش الرومى الاقصرائى نزيل الخانكه وكان من الصالحين وظهرت له
كرامات خارقة وفيه توفى القاضى ضياء الدين بن النفيسى الشافعى الحلبى كاتب السر
بحلب وكان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وفيه قرر شمس الدين محمد بن أصيل فى نظر

الجوالى

الجوالى عوضا عن شرف الدين الانصارى وفيه طلع شخص الى السلطان وأخبره بان فى زيادة جامع الحاكم صندوقا من البلور فيه أوراق تدل على خبيئة فى الجامع من أعظم الخبايا فأمر السلطان القاضى ناظر الخاص يوسف أن يتوجه الى هناك فتوجه وحضر قاضى القضاة علم الدين البلقينى واجتمع الجم الغفير من الناس وحفروا ذلك المكان الى أن كاد أن ينبع الماء من أرضه فلم يجدوا فيه شيأ وانفض ذلك الجمع من غير طائل ولم يظفروا بشئ مما قالوه وفيه قبض السلطان على المحتسب على العجمى وصادره وقرر عليه مالا وأقام فى الترسيم عند الزمام حتى يورد المال وقرر عوضه فى الحسبة على بن أحمد الكاشف المعروف بابن ارم وفى ذى الحجة قرر فى نيابة اسكندرية جانى بك النوروزى نائب بعلبك عوضا عن يونس العلائى وقدم يونس العلائى الى القاهرة وقرر فى امرية طبلخاناه وفيه توفى حطط الناصرى وكان ولى نيابة غزة وأتابكية طرابلس وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بان قد ظهر شخص يقال له ابن الفلاح المشعشع وقد حصل منه غاية الفساد وقتل من الناس مالا يحصى ونهب الركب العراقى وقد أعيا أمره نائب الشام فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه ظهر زين الدين الاستادار وطلع الى القلعة وقابل السلطان فأمره بلازمة داره وأن لا يجتمع باحد من الناس ❁ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فى المحرم قرر فى كتابة السر بدمشق الحافظ قطب الدين الخضيرى عوضا عن صلاح الدين بن السابق وهذه أول ولاية الخضيرى لهذه الوظيفة ثم بعد مدة جمع بين قضاء الشافعية بدمشق وكتابة سرها وفيه قرر أقبردى الظاهرى الساقى فى أتابكية حلب عوضا عن على باى العجمى وقرر فى نيابة حلب عوضا عن أقبردى قاسم بن القشاشى وفيه وصل قاصد على باى الجزاوى نائب حلب وعلى يده تقدمة حافلة الى السلطان وكان قد أشيع عنه العصيان والمخامرة فبطل ذلك وفيه خلع السلطان على الشيخ محيى الدين الكافيجى وقرر فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن العلائى كمال الدين بن الهمام الحنفى بحكم رغبته عنها ومجاورته بمكة المشرفة وفى صفر رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار الى القدس ويقيم به فلما خرج الى سبيل ابن قايماز بعث السلطان اليه من فتشه فلم يجد معه شيأ غير ثلثمائة دينار وبعض فضة وقد كان وشى به عند السلطان بان معه مالا ثم رسم باعادته الى القاهرة وطلع الى القلعة فادخلوه البحرة وأحضر اليه السلطان فى يومه المعاصير وعصره فلم يقر بشئ من المال فاجاب بان يبيع أوقافه ويرضى السلطان فتكلم ناظر الخاص يوسف فى أمره وأحضره بين يدى السلطان وهو محمول بين أربعة وقيل ان السلطان لم يعصره فى هذه المرة بل ضربه فى الدهيشة نحوا من خمسمائة عصا فلما حضر بين يديه تكلم له تمراز الدوادار الثانى فخلع عليه السلطان وأعاده الى الاستادارية وصرف عنها على بن الاهناسى ثم ان السلطان

خلع على زين الدين وقرره كاشف الكشاف بالوجهين القبلي والبحري مضافا الى الاستادارية فراج أمره قليلا وفيه رسم السلطان بالافراج عن أبي الخير بن النحاس من السجن وأن يقيم بطرابلس بطالا ﴿وفي ربيع الاول﴾ قرر حمزة بن البشيري في نظر الدولة عوضا عن التاج الخطيري وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو الصحراء بسبب تربته التي أنشأها هناك فلما عاد شق من القاهرة وصعد الى القلعة وهذا أول ركوبه في سلطنته وكان له يوم مشهود وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان حافلا وفيه انتهت عمارة جامع يردبك صهر السلطان الذي أنشاه بخط قناطر السباع المطل على الخليج ﴿وفي ربيع الآخر﴾ توفي الناصري محمد ابن الخلاطة وكان فاضلا مالكي المذهب ولي نظر البيمارستان وكان محمود السيرة وفيه قدم جلبان نائب الشام على السلطان وكان أشيع عنه العصيان وفيه توفي تقي الدين الاذرعي الشافعي وكان عالما فاضلا نائبا في الحكم بدمشق وكان لا بأس به ﴿وفي جمادى الاولى﴾ عزل تمراز عن الدوادارية الثانية وكان ذلك من تلقاء نفسه وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة سيدي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا رئيسا حشما ومولده سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما مات رسم السلطان بنقل جثته الى القاهرة فنقل ودفن في تربة جده الظاهر برقوق وأظهرت عليه أخته خوندشقرا غاية الحزن وعملت له نعيا بالمغاني تعزف بالطارات نحو سبعة أيام حتى عد ذلك من النوادر وفيه قرر في الوزارة الصاحب أمين الدين بن الهيصم على عادته وصرف عنها سعد الدين فرج ابن النحال وفيه طلعت تقدمة جلبان نائب الشام الى السلطان وكانت تقدمة حافلة ومثلها للمقر الشهابي أحمد ثم بعد أيام أضافه السلطان وخلع عليه ورسم له بالعود الى الشام على عادته وفيه خلع السلطان على الامير يردبك صهره وكان من أعيان مماليكه وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن تمراز الاشرفي ورسم الى تمراز أن يتوجه الى القدس بطالا وكان تمراز رجلا أحمق سيء الخلق غير محبب للناس ﴿وفي جمادى الآخرة﴾ توفي قاضي ثغر اسكندرية شمس الدين محمد بن عامر المالكي وكان من الافاضل في مذهبه وفيه قرر قاني باي الموساوي في نيابة ملطية وقرر في نيابة البيرة الناصري محمد والي الحجر عوضا عن قاني باي الموساوي وفيه خلع على القاضي تاج الدين بن المقسي وقرر في كتابة المماليك عوضا عن عبد الرحمن بن النحال ابن عم الصاحب سعد الدين فرج وفيه خرجت تجريدة الى نحو البحيرة وكان باش العسكر جانم الاشرفي وبرسباي البجاسي وجماعة من الجند وخرجوا لاجل عرب البيد وفيه عزل محب الدين بن الشحنة عن كتابة السر وأعيد اليها محب الدين بن الاشقر ﴿وفي رجب﴾ أدير المحمل على العادة وفيه سافر الامير يردبك صهر السلطان والقاضي شرف الدين الانصاري وتوجها الى القدس وسبب ذلك أن السلطان صنع كسوة الى ضريح سيدنا الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان لخروجهما يوم مشهود وفيه توفي جاني بك مملوك

القاضي عبد الباسط الذي كان ولي الاستادارية في أيام الاشرف برسباي وكان لا بأس به وفيه أعيد الشيخ علي العجمي الى الحسبة وصرف عنها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه قدم برسباي الذي توجه قاصدا الى محمد بن عثمان وخلع عليه وفي شعبان عرض السلطان جماعة من العسكر وقطع جوامك أولاد الناس ممن تجدد في أيام الظاهر جقمق وقد انشحت الديوان من كسوة العسكر وشكا الاستادار من ذلك ثم ان بعد ذلك شفع فيهم الامير يونس الدوادار الكبير فابقاهم على حالهم ورد اليهم جوامكهم التي قطعت عنهم ولله الحمد وفيه سمر السلطان شخصا من العربان يقال له الفضل وقد كان مشتهرا بالشجاعة وقتل النفس فأشهره في القاهرة هو وأولاد عمه ثم سلخوهم وبعثوا بهم الى بلاد الشرقية وكانوا من المفسدين وفيه توفي قاضي قضاة الحنفية بمكة المشرفة وهو رضي الدين أبو حامد بن الضياء وكان من أعيان العلماء الحنفية بمكة وله نظم جيد ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وفيه في ثالث عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفي رمضان جاءت الاخبار بوفاة صاحب الابلستين وهو سليمان بن محمد بن قراجا بن دلغادر التركماني وكان من خيار التراكمة لم تتحرك في أيامه فتنة وكان مثقلا بالشحم جدا وفيه قدم جانبك نائب جدة من الحجاز فخلع عليه السلطان خلعة سنية وفي شوال وصل ركب من المغرب من عند صاحب تونس وصحبته هدية حافلة وخرج صحبة الحاج الى مكة وفيه قرر في الاستادارية الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وقرر سعد الدين فرج بن النحال في الوزارة عوضا عن أمين الدين ابن الهيصم بحكم اختفائه ثم أعاد كتابة المماليك الى سعد الدين فرج وصرف عنها تاج الدين بن المقسي فصار سعد الدين فرج بعده معه الوزارة وكتابة المماليك وفي ذي القعدة تغير خاطر السلطان على زين الدين الاستادار وضربه ضربا مبرحا وتسلمه الجمالي يوسف ناظر الخاص على مال يورده وفيه جاءت الاخبار بأن أصلان بن سليمان بن دلغادر تملك الابلستين عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفي ذي الحجة استقر تقي الدين ابن نصر الله في نظر الدولة وكانت شاغرة مدة طويلة وفيه توفي الناصري محمد الصغير معلم النشاب وكان استاذا في هذا الفن وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وهو والد عبد العزيز الذي ولي الحسبة وفيه ثارت جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى بيت ابن أبي الفرج الاستادار على حين غفلة ونهبوا ما فيه عن آخره واختفى هو ثم طلع الى السلطان واستعفى من الاستادارية فأعفاه السلطان من ذلك وقرر فيها قاسم الكاشف وبقي ابن أبي الفرج في نقابة الجيش على عادته وفيه قدم نجاب ببشارة الحاج وأخبر أن المبشر قد عوقه العربان في الطريق فلم يحضر أحد من الجند بالبشارة على العادة ❁ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثمانمائة فيها في المحرم قدم قاصد من عند الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان

وعلى يده مكاتبة مضمونها أنه أرسل يشكو فيها من ملك الروم محمد بن عثمان فما اكترث السلطان لذلك ثم انه أرسل اليه بجواب هين وما أكرم قاصده فمضى غير راض وكان هذا سبب العصيان ابن قرمان كما يأتى الكلام على ذلك وفيه تغير ماء النيل المبارك تغيرا فاحشا وغلبت عليه الخضرة جدا حتى تعجب الناس من ذلك وفيه نودى فى القاهرة بخروج المماليك البطالة من القاهرة وهدد من تأخر منهم بعد سماع المناداة وفيه دخل الحاج الى القاهرة وأخبر بما قاساه من شدة السيول وموت الجمال وقطع الطريق من العربان وقد أخذ ركب المغاربة وكانت سنة صعبة مهولة وقد جاء عليهم السيل فى وادى عفان فاحتمل الجمال باحمالها وقذفها فى البحر الملح وفيه توفى الشيخ شرف الدين أبو الفتح محمد الراعى الشافعى المدنى العثمانى وكان من أعيان العلماء الشافعية وله سند فى الحديث وفيه وقع أمر عجيب وهو أن جماعة من مماليك الامير دربك صهر السلطان ماتوا بالطاعون وقد ظهر ذلك بداره فقط ولم يظهر ذلك بغير بيت بردبك وفيه ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الاشرفى ثلثمائة وسبعين درهما وفى صفر جاءت الاخبار بموت جلبان نائب الشام وكان جلبان هذا دينا خيرا وأصله من أتباع الملك المؤيد شيخ وهو جركسى الجنس وقيل غير جركسى ويقال انه مسلم الاصل ومات وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وتولى عدة ولايات منها ولاية نيابة حماة ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وقد طالت أيامه فى السعادة فلما توفى عين السلطان نيابة الشام الى قانى باى الحمزاوى نائب حلب وخرج الى تقليده يونس العلائى ثم ان السلطان خلع على جانم الاشرفى وقرره فى نيابة حلب عوضا عن قانى باى الحمزاوى وعين الامير بردبك الدوادار الثانى صهر السلطان لتقليده ثم يعود الى دمشق نضبط موجود جلبان نائب الشام ثم ان السلطان أنعم على يونس العلائى بتقدمة ألف وهى تقدمة جانم الاشرفى بحكم انتقاله الى نيابة حلب وفيه توفى يشبك الناصرى رأس نوبة ثانى فلما مات قرر فى رأس نوبة الثانية سودون قراقاش المؤيدى وقرر فى امرية سودون قراقاش مغلباى طاز وقرر النوروزى فى امرية عشرة وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان مولدا حافلا وفيه حصلت زلزلة خفيفة بمصر واستمرت تعاود الناس أياما وفيه وصلت تقدمة من عند الملك أصلان صاحب الابلستين وكانت تقدمة حافلة ما بين خيول وبغال وجمال بخاتى وقماش حرير وغير ذلك وفيه خلع السلطان على شمس الدين نصر الله بن النجار الكاتب القبطى وقرره فى الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج فلم يقم بها ابن النجار الا قليلا واختفى وفى ربيع الآخر خلع السلطان على سعد الدين فرج وأعاده الى الوزارة كما كان وقرر حمزة بن الشيرى فى نظر الدولة وصرف ابن كاتب الشعير عنها وفيه توفى الصاحب أمين الدين بن الهيصم وهو ابراهيم بن عبد الغنى بن ابراهيم القبطى وقيل

كان ينسب الى المقوقس صاحب مصر وكان حشما رئيسا ايميل الى أهل العلم وله اشتغال بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ولم يكن شافعيا وولى الوزارة غير ما مرة وكان مولده سنة ثمانمائة وكان نادرة فى أبناء جنسه مسددا فى أمر الوزارة فى الغلوة التى وقعت فى أيام الظاهر جقمق لما شرقت البلاد وكان لا بأس به فى المباشرين وفيه خرج جانم الاشرفى الذى قرر فى نيابة حلب وكان له يوم مشهود وتجمل عظيم وفيه أنزلت خوند زينب الخاصكية زوجة السلطان الى بولاق فأقامت فى القطينية التى ببولاق وكان قد حصل لها توعك شديد فى جسدها فنزلت لترى البحر حتى يذهب عنها الوخم فنزل اليها السلطان وعادها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا فى بولاق حراقة نفط هائلة حافلة وخرجت البنت من خدرها بسبب الفرجة وكانت تلك الليلة فى بولاق من الليالى المشهورة فلما عوفيت طلعت الى القلعة فى محفة وحولها الخوندات والستات وأعيان نساء الامراء والمباشرين حتى طلعت الى القلعة وكان لها مهم حافل بالقلعة وفيه توفى الامير خاير بك الاجرود المؤيدى أحد الامراء المقدمين بمصر فلما مات أنعم السلطان بتقدمته على الامير قانم التاجر بن صفر خجا المؤيدى وهذه أول تقدمته بمصر وفى جمادى الاولى تزايد شر المماليك الجلبان وتوجهوا الى بولاق ونهبوا شون الامراء لاجل الشعير فانه كان مشحوتا وصاروا ينزلون الفقهاء والمباشرين عن خيولهم وبغالهم ويأخذونها من تحتهم وحصل منهم فى حق الناس غاية الضرر ولا سيما التجار فى الاسواق فكان المماليك يخطفون القماش من الدكاكين وسائر البضائع واستمروا على ذلك حتى وقع فيهم الطاعون كما يأتى ذكر ذلك (١) وفيه توفى الاديب البارع شاعر العصر شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى الشافعى ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وله شعر جيد فمن ذلك قوله من نوع الاكتفاء

خليلىّ هذا ربع عزة فاسعيا * اليه وان سالت به أدمعى طوفا ن
جفنى جفا طيب المنام وجفنها * جفانى فيالله من شرك الاجفا ن

﴿ومثله﴾

ياضيف بيت الله نلت المنى * مذ تحصنت بام القرا ن
لب بحج واعتمار وقل * لله ما أسعد هذا القرا ن

﴿وله﴾

فتنت بحسن عواد بديع * مليح الشكل معشوق الشمايل
يحرك عوده فينا بلطف * فيقتلنا باطراف الانامل

وقوله ملغزا فى اسم سعيد

---

(١) تقدمت وفاة النواجى فى حوادث سنة ٨٥٧ والصواب ماهنا

ماالسم لعبد ان ترل عينه * يعود فى الحال لناسيدا
عليه فرض الصوم لكنه * اذا مضى الربع له عيدا

ومن مصنفاته البديعة حلبة الكميت فى وصف الخمرة وما قيل فيها وتأهيل الغريب فى الادبيات المطولة ومراتع الغزلان فى وصف الحسان من الغلمان والشفا وله غير ذلك من المصنفات الغريبة ولما مات رثاه الشهاب المنصورى بقوله

رحم الله النواجىّ فقد * فقد الدنيا وأبقى ماروى
وانطوى فى شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النوا جى

وفى جمادى الآخرة توفى الشيخ الصالح سيدى محمد المغربى المجذوب رحمة الله عليه ولما مات أخذه السلطان اينال ودفنه بجوار تربته تبركا به وفيه خلع السلطان على عبد العزيز بن محمد الصغير وقرر فى الحسبة مضافا لما فى يده من نقابة الجيش وكان قد تغير خاطر السلطان على الشيخ على العجمى وصرفه من الحسبة وقرر بها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه تغير خاطر السلطان على فخر الدين بن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد وضربه بين يديه بسبب تأخر جوامك الجند وكان الديوان فى غاية الشحتة وفيه توفى القاضى صلاح الدين خليل بن السابق وكان فاضلا رئيسا حشما ولى كتابة سر حلب وكتابة سر دمشق ونظر جيشهما وغير ذلك من الوظائف وكان حسن السيرة وفيه ثارت فتنة عظيمة وسبب ذلك أن طائفة من المماليك الظاهرية استمالوا بعض جلبان السلطان وكان السلطان عين تجريدة قبل ذلك للبحيرة وكتب غالب الجند فيها من المماليك الظاهرية وعين الباش عليهم الامير خشقدم أمير سلاح فلما جرى ذلك وقفوا فى الرميلة حتى نزل الامير يونس الدوادار الكبير فلاقوه بالدبابيس وجرح فى ذلك اليوم شخص من المماليك وقطعت أصابعه ثم ان الامير يونس الدوادار تحيل فى صعوده الى القلعة وأعلم السلطان بذلك فطلب السلطان جانى بك المرتد ومرجان مقدم المماليك وبعث بهما لكشف الاخبار وما سبب وثوب المماليك على الامير يونس الدوادار ثم ان بوركار الزردكاش أتى الى المماليك الجلبان الذين وثبوا مع طائفة من المماليك الظاهرية ليستميلهم عن ذلك ويسترضيهم فعاد الجواب الاول بان يسلمهم الامير يونس الدوادار وقد صمموا على ذلك وكانت هذه الحركة فى سلخ جمادى الآخرة فلما استهل رجب بدأ السلطان بضرب الاكرة فلم يطلع غالب الامراء الى القلعة ثم ان المماليك أصبحوا لابسين آلة الحرب ووقفوا بسوق الخيل وقد اشتد الامر ومنعوا الامراء من الصعود الى القلعة فبعث السلطان يقول للخليفة غيب من بيتك حتى تسكن هذه الفتنة فلم يغب من بيته فتوجه اليه المماليك وأركبوه من بيته واتوا به الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فاقام به واشتد القتال فلما بلغ السلطان ذلك نزل الى باب السلسلة

وجلس بالمقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطاني على رأسه ودقت الكوسات حربيا فوقع في ذلك اليوم قتال هين فلم تكن الاساعة يسيرة وقد انفض ذلك الجمع وفتر المماليك شيأ بعد شئ فلما رأوا ذلك المماليك الظاهرية انسحبوا من الرميلة وقد اشتد الحر وتوجه كل أحد من المماليك الى داره وكان رأس الفتنة من المماليك الظاهرية يشبك بن مهدى وكان يومئذ جنديا من جملة المماليك السلطانية فلما انفض الجمع قام السلطان من المقعد وطلع الى القلعة وقام الخليفة أيضا وتوجه الى داره وخمدت هذه الفتنة وكان الخليفة يظن أن هذه الحركة يحصل له فيها نفع كما حصل له في حركة الملك المنصور مع الاشرف اينال فانه لما تسلطن أنعم على الخليفة حمزة باقطاع ثقيل ومال وخلع وخيول وغير ذلك فظن الخليفة أن هذه الحركة مثل الاولى فجاء الامر بخلاف ذلك وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان كما قيل في المعنى

اذا ما أراد الله خير العبد * ينله ومال العبد ما يتخير

وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بعون الله من حيث يحذر

وكان الخليفة قام في سلطنة الاشرف اينال قياما عظيما وخلع الملك المنصور وقبل أن ينكسروا أمر بحرق سبيل المؤمنين حتى أخذوا الميدان فظن الخليفة أن تكون هذه الفتنة يحصل له فيها مثل تلك المرة فلما توجه الخليفة الى بيته أرسل السلطان خلفه وقد بقى له ذنب اذ أرسل السلطان يقول له غيب من بيتك حتى تخمد هذه الفتنة فاستمر في بيته حتى أركبوه المماليك برضاه وجاء الى البيت الكبير كما تقدم ذكر ذلك فلما طلبه السلطان وحضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بالجواب وأمسك لسانه عن ذلك وكان به بعض صمم فكان كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر

ثم ان السلطان أمر بادخاله الى البحرة فدخل اليها وأقام بها أياما وهو في الترسيم ثم ان السلطان رسم باخراجه الى السجن بثغر الاسكندرية فنزل من القلعة بعد المغرب في سابع رجب وصحبته جانى بك القرمانى حاجب الحجاب فاوصله الى البحر حتى نزل في الحراقة وسار الى الاسكندرية فسجن بها الى أن مات في أواخر دولته ودفن بثغر الاسكندرية على شقيقه العباس الذى ولى السلطنة بعد قتلة الناصر فرج بن برقوق فكانت مدة الخليفة حمزة في الخلافة أربع سنين وستة أشهر وأياما وكان رئيسا حشما كفؤا للخلافة وكان له حرمة وافرة وشهامة زائدة بايع الملك المنصور عثمان والاشرف اينال (ومن النكت الغريبة اللطيفة) قيل لما أرادوا خلع الخليفة حمزة من الخلافة قال اشهدوا على أنى قد خلعت نفسى من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال قاضى

القضاة علم الدين صالح البلقيني ان خلعه للسلطان لا يصح وقد بدأ بخلع نفسه أولا ثم ثنى بخلع السلطان وهو غير مولى للخلافة فلم يصح منه عزله للسلطان فعدّت هذه من النوادر فلما عزل الخليفة حمزة من الخلافة تكلموا فيمن يلي بعده الخلافة فوقع الاتفاق على ولاية أخيه الجمالي يوسف بن محمد المتوكل

ذكر خلافة المستنجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله

وهو الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر بويع بالخلافة بعد خلع أخيه حمزة في يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت صفة ولايته أن عمل موكب بالقصر وطلع القضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقيني الشافعي وسعد الدين الحنفي وولي الدين السنباطي المالكي وعز الدين الحنبلي فلما تكامل المجلس سكت القضاة ساعة لم يتكلم منهم أحد في شئ فقال قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني نقل بعض علماء مذهبي أن السلطان له أن يعزل الخليفة ويولي غيره فهذا كان حاصل المسئلة في خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه الجمالي يوسف فعند ذلك قام القاضي كاتب السر محب الدين بن الاشقر وقال في المجلس نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك عزلت الخليفة حمزة من الخلافة ووليت أخاه الجمالي يوسف فقال نعم فاحضروا له التشريف وأفيض عليه ولقب بالمستنجد بالله ونزل من القلعة في موكب حافل والقضاة الاربعة قدامه وأعيان الناس حتى أوصلوه الى بيته وهو في غاية العظمة وقد طالت أيامه في الخلافة جدا ثم ان السلطان قبض على جماعة من المماليك الظاهرية ممن كان سببا لاقامة هذه الفتنة وسجنهم بالبرج واختفى منهم جماعة كثيرة ونفى منهم جماعة الى البلاد الشامية وفيه قدم الامير بردبك صهر السلطان وكان قد توجه الى القدس كما تقدم فلما حضر أتى صحبته زين الدين الاستادار وكان السلطان نفاه الى القدس فلما عاد خلع عليه السلطان وأعاده الى الاستادارية وصرف عنها قاسم الكاشف وفيه أدير المحمل على العادة وساق الرماحة أحسن سوق وفيه توفيت خوندزاده بنت أورخان بن محمد بن عثمان ملك الروم وهي زوجة الظاهر جقمق وتزوجت أيضا بالاشرف برسباي وماتت في عصمة برسباي البجاسي حاجب الحجاب وفيه قبض السلطان على يشبك النوروزي نائب طرابلس وحمل الى قلعة المرقب فسجن بها وفي شعبان جاءت الاخبار بوفاة السيد الشريف بركات سلطان مكة وهو بركات بن عجلان بن رميثة الحسني وكان من خيار أمراء مكة ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وفيه في خامس عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان

وفتح السد على العادة وفيه خلع السلطان على اينال اليشبكى وقرر فى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك النوروزى وقرر فى نيابة صفد جانى بك التاجى عوضا عن اياس الطويل وقرر فى نيابة غزة خاير بك النوروزى أحد الامراء بصفد وقرر فى نيابة ملطية أقبردى الساقى أتابك العسكر بحلب عوضا عن قانبياى الناصرى وقرر فى أتابكية حلب سودون الناصرى أتابك طرابلس وكان هذا كله بتدبير الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه زاد النيل زيادة مفرطة حتى قطع الجسور وغرق غالب البلدان فبعد ماجرى ذلك هبط النيل بسرعة وشرق جانب من البلاد وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك وفى رمضان قرر ابن الوجيه فى نظر الجيش بحلب عوضا عن ابن السفاح وفيه قرر فى قضاء الشافعية بمكة محب الدين الطبرى وصرف عنها أبو السعادات بن ظهيرة وقرر فى نظر الحرم الشريف برهان الدين بن ظهيرة الذى عظم أمره فيما بعد وانتهت اليه رياسة مكة وفيه قدم جانى بك نائب جدة وسعى الى السيد الشريف محمد بن بركات المتوفى فى امرية مكة عوضا عن أبيه بخمسين ألف دينار فولاه السلطان وأقام بها حتى توفى فى صفر سنة ثلاث وتسعمائة وكان من خيار أمراء مكة وفى شوال رسم السلطان بعمل كسوة للحجرة الشريفة فلما انتهى العمل منها عرضها ناظر الخاص يوسف على السلطان فالبسه كاملية حافلة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل بيبرس الاشرفى وفيه تغير خاطر السلطان على نقيب الجيش بن محمد الصغير وهو عبد العزيز فضربه بين يديه ضربا مبرحا وأمر بنفيه الى دمياط لامر أوجب ذلك ثم ان السلطان خلع على العلائى على بن القيسى وقرره فى نقابة الجيش عوضا عن عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان عينها الى خشكلدى الزردكاش فوقع الاختيار بعد ذلك على ابن القيسى وفى ذى القعدة قرر جمال الدين الباعونى فى قضاء الشافعية بدمشق وصرف عنها سراج الدين الحمصى وأمر أن يخرج الى حمص ويقيم بها وفيه شرع الجمالى ناظر الخاص فى بناء مدرسة بالصحراء فجاءت مدرسة حافلة لم يعمر فى الصحراء مثلها وكان مصروف ذلك من مال ناظر الخاص يوسف دون مال السلطان فقيل انه صرف عليها اثنى عشر ألف دينار وزيادة على ذلك وأنشأ زاوية تجاه المدرسة وحوشا لدفن جماعة السلطان وفى ذى الحجة قرر فى الحسبة الشيخ على العجمى على عادته وكان يعرف بيارعلى وفيه توفى العلامة محب الدين محمد بن أحمد بن أبى يزيد الاقصرائى الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم وكان امام الاشرف برسباى ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهو الشيخ أمين الدين الاقصرائى وفيه توفى أقبردى الساقى الظاهرى نائب ملطية وكان لا بأس به وفيه توفى الشهاب أحمد الحاضرى الحنفى وكان عارفا بالقرا آت السبع وتعبير الرؤيا وفيه توفى خليفة سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه وكان مالكى المذهب وله اشتغال بالعلم ويعرف بستان الابودرى وفيه صلى السلطان صلاة عيد النحر

وخرج من الجامع مسرعا وتوجه الى الحوش ونحر به وخالف العادة وسبب ذلك أنه
قويت الاشاعات بوقوع فتنة فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان فبادر السلطان وتوجه
الى الحوش ونحر به فسكن الاضطراب قليلا ۞ ثم دخلت سنة ستين وثمانمائة فيها فى المحرم
قرر أقباى الحكمى فى نيابة ملطية عوضا عن أقبردى الساقى وقرر فى نيابة طرسوس أقباى
السيفى جارقطلو عوضا عن أقباى الحكمى وتوفى الناصرى محمد بن الحلبى والى الجيزة وفيه
وصل الحاج وأخبر بانه لم يحج فى هذه السنة احد من العراق خوفا من المشعشع الذى ظهر
منه الفساد وقد شاع خبره فيما تقدم وكان فى تلك السنة الامير برديك البجمقدار أمير الحاج
هو والامير بيبرس الاشرفى وكانت سنة صعبة على الحاج وفى صفر ثار المماليك الجلبان على
ناظر الخاص يوسف وضربوه وأخذوا عمامته من فوق رأسه وصار مكشوف الرأس ولولا
انه هرب لقتلوه لامحالة وكانت المماليك تزايد شرهم جدا وفيه ثارت الغلمان والعبيد على
الوزير ونزلوا من القلعة وتوجهوا الى بيت الوزير وصاروا ينهبون بعض دكاكين
القاهرة وخطفوا عمائم الناس حتى وصلوا الى دار سعد الدين فرج فاختفى من داره فنهبوا
ماوجدوه فى الدار وسبب ذلك انشحات اللحم المقرر للجند وفيه خرج يونس العلائى أحد
الامراء المقدمين الى بر الجيزة لحفظ الخيول التى فى الربيع وكانت عربان البيد قد أفسدوا فى
بر الجيزة وأخذوا خيول الامراء والجند من مراعيها وفى ربيع الاول أمطرت السماء
مطرا غزيرا حتى قيل امطرت فى قليوب بردا وزن كل بردة خمسون درهما وهلك به بعض
مواش وأفسد الزرع وفيه ظهر الصاحب فرج بعدما كان مختفيا فخلع عليه بالاستمرار
وخلع على فخر الدين بن السكر والليمون وقرر فى نظر الدولة وكانت شاغرة وفى ربيع الآخر
عمر السلطان الربع والحمام ومابينهما الذى بين القصرين وفيه خرج جماعة من الامراء
والجند الى نحو الجون على العادة لاحضار الاخشاب وفى جمادى الاولى توفى المسند جمال
الدين عبد الله بن محمد بن أحمد التسترى وكان عالى السند من أهل الفضل والعلم وفيه وصل
الخواجا جمال الدين عبد الله القانونى رسولا من عند ابن عثمان ملك الروم محمد وعلى يده
مكاتبة تتضمن مافتحه من الفتوحات السنية فأكرمه السلطان غاية الاكرام ولما أراد
التوجه الى ابن عثمان عين معه السلطان قانى باى اليوسفى المهمندار وعلى يده هدية من
عند السلطان الى ابن عثمان وأخذ قانى باى اليوسفى فى أسباب تعلق السفر الذى عين فيه
وفى أثناء هذا الشهر ظهر فى السماء نجم بذنب طويل جدا وكان يظهر من جهة الشرق
ودام يطلع نحوا من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم فيما يدل عليه من الامر وزاد
الكلام بسببه ثم اختفى ذلك النجم وأقام مدة طويلة نحوا من ثلاث سنين حتى وقع بمصر
الطاعون ووقع بمصر أيضا الحريق كما سيأتى ذلك فى موضعه قال صاحب مرآة الزمان ان

أول ماظهر نجم الذنب عندما قتل قابيل أخاه هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نار ابراهيم الخليل عليه السلام وظهر عند هلاك قوم عاد وثمود وظهر عند هلاك فرعون وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان وظهر عند قتل الامام على كرم الله وجهه وظهر عند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفى الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جرب ذلك وصح من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك وفى جمادى الآخرة توفى القاضى الذى بالاسكندرية شهاب الدين أحمد المحلى الشافعى وكان فاضلا فى سعة من المال وكان تاجرا فى البهار وسعى فى قضاء الاسكندرية على خلاف ماجرت به العادة من ولاية المالكية وقد سعى بمال حتى تولى ومات وقد جاوز السبعين من العمر وفيه قبض السلطان على زين الدين الاستادار وضربه بين يديه علقة قوية بسبب تأخيره للجامكية ورسم عليه فى طبقة الزمام وهو فى الحديد ثم انه خلع على سعد الدين فرج بن النحال ونقله من الوزارة الى الاستادارية وخلع على العلانى على بن محمد الاهناسى وقرره فى الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج وهذه أول عظمة علاء الدين على فى الوزارة وهو على بن الاهناسى وفى رجب كانت نهاية عمارة مدرسة السلطان التى أنشأها فى الصحراء وخطب بها وعمل السلطان هناك وليمة حافلة وحضر بها القضاة الاربعة وسائر الامراء وأعيان الناس ومد بها الاسمطة الحافلة وكان يوما مشهودا وفيه طلع الامير يونس الدوادار الكبير الى القلعة وكان مريضا وشفى فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل الى داره فى موكب حافل وقدامه الامراء وأرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفيه أفرج السلطان عن زين الدين الاستادار وتسلمه ناظر الخاص يوسف على مال وفيه أدير المحمل على العادة وساقوا الرماحة بحضرة قاصد ملك الروم محمد بن عثمان وفيه ماتت ملك باى الجركسية سرية الملك الاشرف برسباى أم ولده سيدى احمد وكان تزوج بها قرقماس الحاجب وماتت معه وهو الذى ربى سيدى أحمد ابن الاشرف برسباى وفى شعبان رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار الى المدينة المشرفة بعد ان أخذ منه عشرة آلاف دينار وتوجه من البحر الى المدينة الشريفة وفيه سافر الخواجا ابن القابونى قاصد ابن عثمان وخرج صحبته قانى باى اليوسفى المهمندار وكان أشيع موت ابن عثمان قبل خروج القاصد ثم جاءت الاخبار ان ابن عثمان قد شفى وهو فى قيد الحياة فرسم السلطان بدق الكوسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه توفى الامير اسباى الجمالى الظاهرى من مماليك الظاهر جقمق وكان ولى الدوادارية الثانية ثم نفى الى القدس فمات به وكان لا بأس به لين الجانب متواضعا وكان معروفا وموصوفا بالشجاعة وبالفروسية وفيه جاءت الاخبار بان الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان قد زحف على بلاد السلطان وقد أظهر العصيان واستولى على طرسوس وآدرنه وكولك فلما سمع السلطان ذلك تشوش لهذا الخبر وعين تجريدة الى ابن قرمان وجعل باش العسكر خشقدم الناصرى أمير

سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وعين من الجند نحوا من أربعمائة مملوك وعين سنقر قرق شبق الزردكاش بان يتوجه قبل خروج العسكر لكشف الاخبار عن ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس مسرى وفيه نزل المقر الشهابى أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وفى رمضان تزايد أذى المماليك الجلبان فى حق الناس وصاروا ينهبون حواصل البطيخ الصيفى وسائر البضائع حتى امتنعت السوقة من البيع وارتفع سعر كل شئ من المأكول وغير ذلك وفيه قبض السلطان على عشرة أنفار من الزغلية وجدوهم يضربون الزغل فأمر بتوسيطهم أجمعين وفى شوال خرج الحاج من القاهرة على العادة وكان أمير ركب المحمل قانم التاجر أحد المقدمين وأمير الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان قد رضى عليه وقرره من جملة الحجاب بالقاهرة وفيه ضرب السلطان خاير بك الوالى بين يديه ضربا مبرحا لامر أوجب ذلك وفيه حصل للقاضى ناظر الخاص يوسف توعك فى جسده فانقطع عن طلوع القلعة أياما ثم شفى بعد ذلك وطلع الى القلعة فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه أرباب الدولة وأعيان الناس فزينت له القاهرة من داره الى القلعة وقعدت له جوق المغانى على الدكاكين وتخلقت الناس بالزعفران وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وكان له يوم مشهود وفيه يقول الشهاب المنصورى

ياجوهر الفرد الذى * عن جسمه زال العرض
أجفان من أحببته * تحملت عنك المرض

وفى ذى القعدة توفى قانى باى الاعمش الناصرى نائب القلعة فلما مات قرر فى نيابة القلعة عوضه النوروزى سودون وأنعم السلطان بامرية قانى باى الاعمش على ولده الناصر محمد وهو أصغر أولاده وكان أمير عشرة وفيه قرر فى نظر الجوالى القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر وصرف عنها ابن أصيل وفى ذى الحجة قدم قاصد جهان شاه وصحبته هدية للسلطان وعلى يده مكاتبة تتضمن أنه بعث يشكو الى السلطان من حسن بك الطويل بانه جائر عليه وقد زحف على بلاده فأرسل اليه السلطان الجواب عن ذلك وفيه نزل السلطان الى المطعم الذى بالريدانية وألبس الامراء الصوف وشق من القاهرة فى موكب عظيم وكان يوما مشهودا وفيه توفى الشيخ برهان الدين الرفاعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل مولده بعد الثمانين والسبعمائة وتوفى اركماس اليشبكى أحد الامراء العشروات ورؤس النوب وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب اليمن وهو الملك أبو الفتح عمر بن على بن رسول التركمانى وكانت دولة بنى رسول أقامت باليمن نحوا من مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم برسول أن الخلفاء كانت تبعثه رسولا الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمى رسولا وما زال يرتقى

حتى ملك بلاد اليمن وانفرد بها ومعرفته مشهورة فى التواريخ القديمة ۞ ثم دخلت سنة احدى وستين وثمانمائة فيها فى المحرم قرر العلائى على بن القيسى فى ولاية القاهرة عوضا عن خاير بك القصروى وقد تغير خاطر السلطان على خاير بك وضربه وسجنه بالقلعة وقرر عليه مالاله صورة وخلع على الناصرى محمد بن أبى الفرج وقرر فى نقابة الجيش عوضا عن على بن القيسى وفيه نودى على الدينار بثلثمائة درهم وكان قد زاد سعره حتى بلغ ثلثمائة وسبعين درهما وكان قد كثر الغش فيه وفى الفضة وفيه قرر كسباى السمين وتانى بك الصغير قرر كل منهما رأس نوبة عصاة وفيه جاءت الاخبار بان سنقر الزردكاش لما وصل الى حلب توجه من هنالك الى طرسوس فتحارب مع نائبها الذى أقامه ابن قرمان فقتله وأرسل رأسه الى السلطان فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام وقد تقدم ان السلطان أرسل لكشف أخبار ابن قرمان وفيه توفى الامير جرباش الكريمى صهر الملك الظاهر جقمق وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وتولى عدة وظائف سنية منها حاجبية الحجاب وامرية مجلس وامرية سلاح ولما كبر سنه لزم داره ورتب له ما يكفيه حتى مات وقد تجاوز التسعين سنة من العمر وفى صفر ثارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك الجلبان وكان السلطان فى الدهيشة فلما تزايد الامر منهم خرج اليهم السلطان وهو ماش من الدهيشة وقد هموا أن يهجموا عليه فلما عاينوه رجموه بالحجارة فولى وهو مستعجل حتى وقعت احدى نعليه من رجله فلم يلتفت اليها ومر حافيا ويقال انه أصابته طوبة من الرجم فى ظهره وانعطب بعض الخاصكية من الرجم فى وجهه وكانت حادثة شنيعة قل ان يقع فى الحوادث أشنع منها فلما دخل السلطان الدهيشة أغلقوا عليه الباب وكان عنده بعض الامراء واستمر الحال على ذلك الى العصر والامراء والخاصكية قد تعوقوا بالقلعة فترددت الرسل بين السلطان وبين المماليك الجلبان فى هذه الواقعة فآل الامر فيها بان زادهم ألف درهم فى الكسوة فصارت من يومئذ ثلاثة آلاف درهم لكل مملوك وزادهم فى الاضحية رأسا من الغنم فى كل سنة فسكنت الفتنة قليلا وقد استطالوا بعد ذلك على الناس ووقع منهم أمور شنيعة يطول الامر فى شرحها وعظم أذاهم بالناس جدا ووقع منهم أمور ما وقعت من مماليك السلاطين قبلهم قط وفيه عقد مجلس بين يدى السلطان وحضر القضاة الاربعة ومشايخ العلم فلما تكامل المجلس تكلم الجمالى يوسف مع القضاة بسبب غش الفضة فى المعاملة وأحضروا نقود الدول القديمة من أيام المؤيد شيخ الى دولة الظاهر جقمق فسبكت فلم يوجد أكثر غشا وفسادا من ضرب فضة دولة الاشرف اينال فأمر السلطان باشهار المناداة فى القاهرة بابطال المعاملة الحلبية والدمشقية فوقف حال الناس وأشيع بين الناس أن العامة ترجم الجمالى يوسف ناظر الخاص واضطربت الاحوال فنودى فى القاهرة بأن كل شئ على حاله فى المعاملة الحلبية وغيرها

ثم نقض ذلك بعد مدة وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم من علماء الحجاز يدعى جلال الدين
أبو السعادات بن ظهيرة الشافعي وكان علامة ولي قضاء مكة ونظر الحرم والحسبة وكان
حسن السيرة وفيه توفي الشيخ سراج الدين الحمصي الشافعي قاضي دمشق وكان عالما فاضلا
ولي عدة وظائف منها قضاء طرابلس وحلب ودمشق وغير ذلك وكان قد ترشح أمره لقضاء
مصر بل وكتابة السر ولم يتم له ذلك وفيه توفي الطواشي عبد اللطيف الرومي الجكي مقدم
المماليك وكان لا بأس به بين الخدام وفي ربيع الاول توفي القاضي شهاب الدين احمد بن
محمد الزفتاوي الشافعي نائب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والفضل ومولده سنة
تسعين وسبعمائة وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان يوما حافلا وفيه خلع
السلطان على ولده المقر الشهابي احمد وقرره أمير ركب المحمل ورسم لزوجته خوند زينب
وأولاده بان يحجوا في تلك السنة وشرع اهـم في عمل برق حافل وحجت صحبة ولدها المقر
الشهابي أحمد وفي ربيع الآخر أعيد خاير بك القصروي الى ولاية القاهرة وصرف عنها علي بن
القيسي وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بان شخصا من الاشراف يقال له الشريف
برغوت تسلق الى سطح الحجرة النبوية الشريفة واختلس عدة قناديل ذهب وفضة فأخذها
وفر الى الينبع فقبض عليه بعد أيام وأخذ ما معه من القناديل وسجن وكانت هذه الفعلة من
أقبح الفعائل وفي جمادى الاولى خرجت التجريدة المعينة الى ابن قرمان وكان باش العسكر
خشقدم أمير سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات ومن
المماليك نحو من أربعمائة مملوك وكان لخروجهم يوم مشهود وفيه أرسل السلطان زردخانه
حافلة على يد نوكار الزردكاش بسبب العسكر المتوجه الى ابن قرمان وكان نوكار مريضا
فخرج غصبا على كره منه وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة نوكار الزردكاش مات
بغزة وكان من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان لا بأس به فلما مات خلع السلطان
على سنقر الاشقر المعروف بقرقشبق وقرر في الزردكاشية عوضا عن نوكار الناصري
بحكم وفاته وفي رجب طفش جماعة من فرسان العربان ركاب خيول وشرعوا يعرون
الناس من الصحراء الى ان وصلوا الى رأس المروة وكان ذلك وقت القائلة فخطفوا عمائم
الفقهاء وسلبوا قماش الناس عنهم ولم يجدوا من يردهم عن ذلك وكانت هذه اباحة
صعدت من أولئك العربان وفيه توفي قاضي قضاة المالكية ولي الدين السنباطي وهو
محمد بن عبد اللطيف بن احمد بن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن داود بن عتيق
الاموي المالكي وكان عالما فاضلا من اعيان المالكية ومولده سنة ست وثمانين
وسبعمائة فلما توفي وقع الكلام على من يلي قضاء المالكية فوقع الاختيار على ولاية السيد
الشريف حسام الدين بن حريز فسعى في ذلك بمال جزيل وكان الساعي له في ولاية القضاء

الجمالى يوسف ناظر الخاص وكان يومئذ فى المالكية من هو أعلم منه ولكن ساعدته الاقدار وولى قضاء المالكية واقام بها مدة طويلة الى ان مات وفيه ادير المحمل على عادته ولكن حصل فيه من المماليك الجلبان غاية الضرر فى حق الناس من خطف النساء والصبيان وعظم الفساد وخطف عمائم الناس وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار بان حسن بيك الطويل صاحب ديار بكر تحارب مع جهان شاه صاحب تبريز والعراقين فجرى بينهم من الحروب ما يطول شرحه وآل الامر الى أن حسن الطويل قد انتصر على جهان شاه فلما جاءت الاخبار بذلك سر السلطان بنصرة حسن الطويل على جهان شاه وفيه عاد قانى باى اليوسفى الذى كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم وأخبر بانه اكرمه غاية الاكرام وفى شعبان جاءت الاخبار من حلب بان العسكر الذى توجه من مصر صحبة الامير خشقدم أمير سلاح دخل بلاد ابن قرمان وشن فيها الغارات وأخربوا غالب بلاده وقطعوا الاشجار التى بها وقتلوا جماعة كثيرة من عسكره فلما بلغ السلطان ذلك سر به وفى رمضان أرسل السلطان جماعة من العسكر الى اللعون بسبب قطع الاخشاب على العادة وكان الباش على العسكر يشبك بن سليمان المعروف بالفقيه المؤيدى أحد الامراء الطبلخانات يومئذ وهو الذى تولى الدوادارية الكبرى فيما بعد وفيه توفى عالم الحنفية وشيخهم بالديار المصرية الاستاذ الشيخ كمال الدين محمد بن الهمام الحنفى وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى المصرى الحنفى شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية وكان فريد عصره فى علماء الحنفية عالما عاملا فاضلا رحمة الله عليه وكان مولده سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة ولى مشيخة الاشرفية والشيخونية وغير ذلك من الوظائف السنية وفيه وصل سودون القصروى أحد الدوادارية وأخبر بنصرة العسكر المتوجه الى ابن قرمان وقد استولى العسكر على غالب بلاده وأخربها وأحرق أشجارها فلما تحقق السلطان ذلك أمر بضرب البشائر بسبب هذه النصرة فدقت الكوسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابى أحمد ولد السلطان وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ولكن كان فى شهر رمضان فقيل أفطر فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من العياق الاوباش وكان يوما شديد الحر وفيه عمل السلطان مسايرة حافلة وركب معه أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفى شوال توفى الامير جانى بك القرمانى حاجب الحجاب وكان لا بأس به وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان لين الجانب متواضعا مات فى التجريدة التى أرسلت الى ابن قرمان وفيه وصل العسكر الذى توجه الى بلاد ابن قرمان ودخل باش العسكر الامير خشقدم أمير سلاح وكان يوم دخولهم يوما مشهودا بالقاهرة ولكن حصل للعسكر بعد خروجهم من غزة وباء فمات منهم ما لا يحصى ودخل الباقون وهم متوعكون حتى الامراء وأكثر الجند وفيه قرر فى تقدمة

جانى بك القرمانى أبا يزيد التمر بغاوى وقرر فى امرية ابى يزيد برسباى المؤيدى وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وخرج ابن السلطان فى موكب حافل وخرجت والدته خوند زينب فى محفة زركش هى وأولاد خوند زوجة الامير بردبك وزوجة الامير يونس البواب أميرداودار كبير وخرج ولد السلطان سيدى محمد صحبة أخيه المقر الشهابى أحمد وكان لهم يوم مشهود وحج فى تلك السنة جماعة كثيرة من أعيان المباشرين منهم القاضى محب الدين بن الاشقر كاتب السر والقاضى علم الدين شاكر بن الجيعان وجماعة من أولاده والقاضى أبو بكر بن مزهر ناظر الاصطبل وغير ذلك من الاعيان وفيه حضر جانى بك نائب جدة وحضر صحبته زين الدين الاستادار وقد تقدم ان السلطان نفاه الى المدينة الشريفة ثم رضى عليه وأحضره الى القاهرة وفيه أنعم السلطان على جانى بك الاسماعيلى المعروف بكوهية بامرية عشرة وفيه خلع السلطان على برسباى البجاسى وقرر فى حجوبية الحجاب عوضا عن جانى بك القرمانى بحكم وفاته وفى ذى القعدة قدم قاصد صاحب بغداد بهدية للسلطان ومكاتبة أنه كسر الخارجى الذى يقال له المشعشع وقتل غالب عسكره وأن الحاج العراقى تجهز فى تلك السنة بعدما كان له مدة وهو منقطع بسبب أمر المشعشع فأكرم السلطان ذلك القاصد وأقام أياما وسافر وفيه توفى الشيخ سراج الدين عمر الوردى الشافعى وكان من أهل العلم وفيه خلع السلطان على القاضى صلاح الدين المكينى وقرره فى الحسبة وفى ذى الحجة ثار المماليك الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وذلك بسبب زيادة رأس غنم فى كل سنة فسمح السلطان فى ذلك ثم رسم لكل واحد بزيادة رأس غنم فى الاضحية وخمدت الفتنة قليلا وفيه فى ثامن عشريه قدم مبشر الحاج وهو دمرداش الطويل وأخبر بأن الحاج قاسى عطشة عظيمة فى أثناء الطريق ومات من الناس مالا يحصى وأخبر بسلامة خوند وأولاد السلطان فضربت البشائر بالقلعة لهذا الخبر وفيه توفى أزبك الشمسانى أحد الامراء بمصر وفيه أخرج السلطان تقدمة طوخ بونى بازق بحكم عجزه عنها وكان مريضا وقرر فى تقدمته برسباى البجاسى وقرر فى تقدمة برسباى البجاسى بيبرس خال الملك العزيز وقرر فى امرية مجلس جرباش المعروف بكرت عوضا عن طوخ بونى بازق وقرر يونس العلائى أميراخور كبير عوضا عن جرباش كرت بحكم انتقاله الى امرية مجلس ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثمانمائة فيها فى المحرم أنعم السلطان على قايتباى المحمودى بامرية عشرة وكان أحد الدوادارية وقايتباى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وكان بين تأميره وسلطنته تسع سنين وبعض شهور وفيه قرر فى نيابة ملطية تغرى بردى وفيه توفى القاضى شهاب الدين السيرجى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والفضل وكان مولده سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وفيه دخل الحاج الى القاهرة ووصل ابن

السلطان ووالدته واخوته وكان لهم يوم مشهود وموكب حافل ولاقاهم الامراء وأرباب الدولة من البويب ومشت الامراء قدام محفة خوند حتى طلعت الى القلعة والامراء مشاة قدامها من البويب ثم طلعت هى وأولادها وحمل الامير فيروز الزمام على رأسها القبة والطير وفرشت لها الشقق الحرير من باب الستارة الى أن جلست على المرتبة بقاعة العواميد ونثر على رأسها خفايف الذهب والفضة ثم دخلت اليهم التقادم من الامراء والمباشرين لخوند وأولادها وكان ما أهداه الجمالى يوسف ناظر الخاص قندورة لخوند الكبرى مثلث ذهب ولؤلؤ وريش فكان مصروفها مايزيد على اثنى عشر ألف دينار وهذا خارج عن بقية التقادم لها ولاولادها الكل منهم تقدمة على انفراده ولاسيما ما أهداه للمقر الشهابى أحمد ولد السلطان وأخيه الناصرى محمد حتى قيل انه صرف فى هذه الحركة نحو مائة ألف دينار مابين تقادم وأسمطة وغير ذلك وهذا من ماله دون مال غيره وأفعال ناظر الخاص يوسف فى أخباره تقارب أخبار جعفر البرمكى وهذا الامر مشهور بين الناس وفيه وصلت تقدمة من عند قانى باى الحمزاوى نائب الشام ومن جملتها خيول نحو ثمانين فرسا أحدها مسروج بسرج بلور من نوادر السروج وفى صفر رسم السلطان باحضار أزبك بن ططخ الظاهرى وكان مقيما بطالا فلما طلع الى السلطان بالقلعة ألبسه سلاريا من ملابسه ونزل الى بيته فأنعم عليه بامرية عشرة وفيه مات الشيخ عبد الكريم خليفة سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه مات قتيلا ولا يعلم من قتله وكان غير مشكور فى سيرته وولى خلافة سيدى أحمد البدوى مدة طويلة فلما مات ولى بعده صبى من أقاربه اسمه عبد المجيد وفيه توفى القاضى علاء الدين على بن أقبرس التركى الاصل وكان عالما فاضلا على مذهب الشافعى وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها الحسبة ونظر الاوقاف وناب فى القضاء وكان من أعيان نواب الشافعية ومولده سنة احدى وثمانمائة وفى ربيع الاول نودى فى القاهرة بتسعير الذهب والفضة وضرب السلطان فضة جديدة فسعر الدينار الذهب بثلثمائة والفضة الجديدة كل أشرفى بخمسة وعشرين نصفا عددية جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من تلك الفضة المغشوشة التى كان وصل الدينار منها الى أربعمائة وستين درهما فخسر الناس فى هذه الحركة ثلث أموالهم ولكن انصلح أمر المعاملة بعدما كانت فسدت ففرح طائفة من الناس بذلك واغتم آخرون وكان القائم فى ذلك الجمالى يوسف ناظر الخاص فاضطربت الاحوال لذلك مدة ثم مشت تلك المعاملة الجديدة وسكن الاضطراب قليلا قليلا وصار كل من قبض عليه السلطان من الزغلية يوسطه أو يقطع يده فوقع الرعب فى قلوب الزغلية وكان ذلك سببا لاصلاح المعاملة وقد انصلحت بعد جهد كبير وقال الشهاب المنصورى فيمن أهدى اليه دينارا عند المناداة على الذهب

أمولاى قد آثرتنى متفضلا * وأهديت دينارا قد استغرق الوصفا
ولكنه قد خاف أمر مليكه * ألم تره من خوفه نقص النصفا

وفيه توفى الشيخ الصالح المسلك المعتقد سيدى مدين وكان من الاولياء وللناس فيه اعتقاد وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه وهو أحمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم بن سليمان القاهرى الحنفى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا وله نظم جيد وألف الكتب النفيسة فى الادبيات وغير ذلك منها كتاب يقال له السفينة كله محاسن وفوائد ومولده سنة ست وثمانمائة ومن شعره عشرة مقابلة بعشرة قوله

فرع جبين محيا قامة كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة ونقا * آس أقاح شقيق نرجس درر

وفى ربيع الآخر توفى جانم البهلوان الاشرفى أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكان رئيسا حشما شجاعا بطلا بارعا فى فنون الفروسية وفيه حصل للسلطان توعك فى جسده ثم شفى فضربت البشائر بالقلعة بسبب ذلك وبابواب الامراء وفيه توفى الامير طوخ بن تمراز الناصرى المعروف بيونى بازق وكان اصله من مماليك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق ومات بطالا بعدما كان أمير مجلس وكان كبر سنه وعجز عن الحركة وفيه توفى القاضى شهاب الدين أحمد المعروف بقرقاس وهو أحمد بن على بن محمد بن مكى بن محمد بن عبيد بن عبد الرحيم الانصارى الدماصى الحنفى وكان عالما فاضلا وناب فى القضاء بخط بولاق وكان مولده سنة تسعين وسبعمائة وفيه توفى سودون النوروزى نائب القلعة فلما مات قرر بعده فى نيابة القلعة كسباى السمين وقرر جانى بك كوهية أحد رؤس النوب عن كسباى السمين وفيه توفى الناصرى محمد بن لاجين الجندى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفى جمادى الاولى خلع السلطان على الطواشى مرجان العادلى وقرره فى تقدمة المماليك وفيه قرر فى نظر الدولة منصور بن الصيفى وهذا أول ظهوره فى الرياسة وفيه توفى المغنى الاستاذ فى فن النشيد فريد عصره ووحيد دهره ناصر الدين محمد المازونى القاهرى وكان بارعا فى فن الغناء وكان يضرب به المثل فى حسن النغم ومعرفة الفن ولم يجئ بعده من هو فى طبقته الى يومنا هذا وقد رثاه الشهاب المنصورى بهذه الابيات

يا نزهة السمع سكنت الثرى * فالملاهى أيما لهفى
كم لطمة من قدم أويد * فى خدى الدوكة والدف

وقوله أيضا

كانت به لذاتنا موصولة * فانقطعت بموته اللذات
وكانت الاصوات تزهو بهجة * فارتفعت لموته الاصوات

وكان

وكان حصل للنازونى خلط فالج فأقام به مدة طويلة حتى مات فكان يقول ارحموا من سكت حسه وبطل نصفه وفيه نزل السلطان من القلعة وصحبته الامراء وأرباب الوظائف من الدولة فساروا الى نحو جزيرة اروى ثم توجه الى بولاق وكان له يوم مشهود فلما شق من بولاق أمر بهدم ما كان بها من الاخصاص وكانت تضيق الطريق على السالك فهدمت من يومها وفيه مات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الاوجاقى الشافعى وكان عالما فاضلا ذكيا وفيه صرف القاضى صلاح الدين المكينى عن الحسبة وقرر بها قانبای اليوسفى المهمندار وكان جماعة من الجلبان ثاروا على المحتسب فكان هذا سببا لصرفه عن الحسبة وفيه قدم قاصد من عند ابن قرمان وعلى يده مكاتبة يعتذر فيها عما حصل منه من الخروج عن الطاعة وأرسل يسأل السلطان فى العفو عنه والصلح معه فاجابه السلطان الى ذلك وفيها نزلت صاعقة عظيمة ببولاق حتى كادت تحرق عن آخرها وكان ذلك يوم الجمعة من شهر رجب واستمر فى كل ليلة يحترق فى مصر والقاهرة حريق وأقام على ذلك نحو سنة حتى ضج الناس من ذلك ۞ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة فيها توفى القاضى محب الدين بن الاشقر كاتب السر الشريف فلما توفى خلع السلطان على القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الاشقر وكانت وفاته فى رجب وفيها توفى الشيخ على العجمى المحتسب وفيها توفى قانبای الحمزاوى نائب الشام واستقر بها جانم الاشرفى وفيها ظهر فى السماء نجم له ذنب طويل نحو سبعة أذرع فكان يطلع من جهة الشرق ثم صار يظهر من جهة الغرب فأقام على ذلك مدة ثم اختفى ۞ ومن الحوادث فى أيامه أن حضر الى الابواب الشريفة جاكم ابن ملك قبرس وطلب من السلطان نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان باش العسكر الامير يونس الدوادار ثم ان السلطان شرع فى عمارة مراكب أغربة بالجزيرة الوسطى وكان الشاد على عمارة هذه الاغربة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش فحصل منه غاية الظلم لارباب الغيطان بسبب الاخشاب فلما كملت عمارة تلك الاغربة نزل السلطان بنفسه وكشف على عمارة الاغربة وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب عظيم وتوجه الى الجزيرة الوسطى فرموا قدامه الاغربة فى البحر والنفط والطبل عمال حتى انتهى ذلك ثم رجع الى القلعة فلما خرجت التجريدة وتوجهوا الى بلاد الافرنج لم يحصل من العسكر الذى توجه نتيجة ورجع الامير يونس الدوادار من التجريدة بسرعة وترك بقية العسكر فى قبرس ورجع الى القاهرة فما شكره أحد من العسكر على ذلك وبقى ممقوتا عندهم الى أن مات وفيها توفى الامير يونس العلائى الناصرى أمير اخور كبير فخلع السلطان على الامير برسباى البجاسى واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن يونس العلائى وخلع على الامير سودون قراقاش واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برسباى البجاسى وأنعم على الامير جانى

بك نائب جدة بتقدمة ألف ۞ ثم دخلت سنة أربع وستين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبدؤه من الشام وكان طاعونا عظيما جدا مات فيه ثلث المماليك والاطفال والجوارى والعبيد والغرباء واستمر عمالا نحو خمسة أشهر وكان الورد فى تلك السنة كثيرا فصاروا يعملون على التوابيت قواصير جريد يغرزون فيها الورد وقد انتهت الجنائز فى كل يوم الى اثنى عشر ألف جنازة وقد قال القائل

آسفى على سكان مصر اذ غدا * للطعن فيها اذات وخسارى

الموت أرخص ما يكون بحبة * لكن هذا صار بالقنطار

وفيها توفى العلامة الشيخ جلال الدين المحلى الشافعى وفيها توفى الزينى أبو الخير بن النحاس وفى هذه السنة كانت وفاة القاضى برهان الدين ابراهيم بن الجيعان كاتب الخزائن الشريفة ومستوفى ديوان الجيش ۞ ثم دخلت سنة خمس وستين وثمانمائة فيها توجه الاتابكى أحمد ابن المقام الشريف الى السرحة فلما عاد زينت له القاهرة وكان يوم دخوله يوما مشهودا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها توفى الناصر محمد بن اتمش الخضيرى ابن أخت خوند بنت خاصبك توفى يوم دخول الاتابكى أحمد الى القاهرة فكدر عليهم ذلك اليوم واستمر الملك الاشرف اينال قائما فى ملكه وهو فى أرغد عيش وأولاده حوله وكان غالب الامراء اصهاره والعسكر فى قبضة يده واستمر على ذلك حتى مرض بألم الحاشم وسلسل فى المرض حتى مات وكانت وفاته يوم الخميس بعد العصر خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن من يومه فى تربته التى أنشأها له القاضى ناظر الخاص يوسف بالقرب من تربة القاضى عبد الباسط التى فى الصحراء فكثر عليه الحزن والاسف كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت

وتفعل بالذين بقوا * كما فيمن مضى فعلت

وتوفى الملك الاشرف اينال وله من العمر احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وشهرين وستة أيام وخلف من الاولاد أربعة وهم الاتابكى أحمد الذى تسلطن بعده والمقر الناصر محمد أخوه الصغير وابنته خوند بدرية زوجة بردبك وابنته خوند فاطمة زوجة يونس البواب الدوادار الكبير ولم يتزوج اينال غير أم أولاده خوند زينب بنت خاصبك ولما ثقل فى المرض عهد بالملك الى ولده الاتابكى أحمد فتسلطن ووالده فى قيد الحياة وكانت صفة الملك الاشرف اينال طويل القامة أسمر اللون عربى الوجه خفيف العوارض وكان يعرف باينال الاجرود وكان ملكا هينا لينا قليل الاذى ولولا جور مماليكه فى حق الناس لكان خيار ملوك الجراكسة وكان كل من يقع له من الزغلية يوسطه وكانت أيامه كلها لهو وانشراح وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فكانوا يخطون له

على المراسيم حتى يمشى عليها بالقلم وقيل انه فى مدة سلطنته لم يسفك دما قط بغير وجه شرعى فعد ذلك من النوادر ومن الحوادث فى أيامه أنه كان يقع بالقاهرة فى كل ليلة حريق فى عدة أماكن حتى ضج الناس من ذلك ولم يعلم سبب هذه النازلة ولا من كان يفعل ذلك فاستمر الامر على ذلك مدة ثم بطل وفى أيامه تحرك ابن قرمان على بلاد السلطان فأخرج اليه تجريدة وكان باش العساكر المقر السيفى خشقدم أمير سلاح فلما توجهوا الى بلاد ابن قرمان لم يقاتلهم ولم يقع بينهم قتال فرجع العسكر الى الديار المصرية وهم سالمون ومن الحوادث فى أيامه ان خوند زوجة السلطان مرضت فنزلت الى بولاق وأقامت فى القطبية فنزل السلطان وسلم عليها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا فى بولاق حراقة نفط فخرجت فى تلك الليلة البنت من خدرها بسبب الفرجة على ذلك وكانت من الليالى المعدودة فى القصف والفرجة وكانت دولة الملك الاشرف اينال ثابتة القواعد فأما أتابكيته فالمقر السيفى ثانى بك الظاهرى و ولده المقر الشهابى أحمد وأما دواداريته فالمقر السيفى يونس البواب صهره والامير بردبك الدوادار الثانى مملوكه وصهره أيضا وأما قضاته الشافعية فالقاضى علم الدين صالح البلقينى وأما قضاته الحنفية فشيخ الاسلام سعد الدين الديرى وأما قضاته المالكية فالقاضى ولى الدين السنباطى ثم السيد الشريف حسام الدين بن حريز وأما قضاته الحنابلة فالقاضى عز الدين أحمد بن نصر الله الحنبلى وكان الجمالى يوسف ناظر الخاص مدبر مملكته كما كان القاضى عبد الباسط فى دولة الاشرف برسباى وكان ينقاد الى الشريعة ويحب العلماء قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وكان معظم مساويه مماليكه الجلبان وبالجملة كان الاشرف اينال من خيار ملوك الجراكسة انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الاشرف اينال العلائى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الناصرى

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة فى حياة والده وكانت صفة مبايعته بالسلطنة ان أباه لما أشرف على الموت طلع الامير بردبك صهر السلطان واجتمع بخوند زوجة السلطان وذكر لها أن الاحوال فاسدة والامور فى اضطراب ومن الرأى أن السلطان يعهد الى ولده بالسلطنة فدخلت خوند على السلطان وذكرت له ذلك فأمر باحضار الخليفة والقضاة الاربعة فحضر الخليفة الجمالى يوسف والقضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقينى

الشافعي وسعد الدين الديري الحنفي وحسام الدين بن حريز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر أرباب الدولة من أرباب الحل والعقد فلما تكامل المجلس دخل بعض الشهود على السلطان وشهدوا عليه بخلع نفسه من السلطنة وتولية ولده ثم ان الخليفة بايع الاتابكي أحمد بن اينال بالسلطنة عوضا عن أبيه وتلقب بالملك المؤيد فلما تمت له البيعة أحضر له شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبة والسيف البداوي وأفيض عليه الشعار وقدمت اليه فرس النوبة وركب من باب الدهيشة وحمل الامير خشقدم أمير سلاح على رأسه القبة والطير وقد ترشح أمره لان يلي الاتابكية فلما ركب من الدهيشة مشت قدامه الامراء قاطبة والخليفة عن يمينه حتى دخل القصر الكبير ونزل عن فرسه وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من كبير وصغير ودقت له البشائر بالقلعة ثم نزل الوالي ونادى في القاهرة بالامان والاطمئنان والدعاء للملك المؤيد فارتفعت الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس قليل الاذى ثم خلع على الخليفة والامير خشقدم ونزلا الى دورهما وكان له من العمر لما ولي السلطنة نحو من ثمان وثلاثين سنة أو زيادة على ذلك وكانت أمه خوند زينب بنت خاصبك وكان كامل الهيبة حسن الشكل أبيض اللون مستدير اللحية أسود الشعر طويل القامة غليظ الجسد وكان كفؤا للسلطنة ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب وجلس على سرير الملك وقال فيه القائل

بمهجتي أفدي مليكا غدا * مؤيدا بالنصر كالشمس

فلو تراه فوق كرسيه * لقلت هذا آية الكرسي

ثم أخذ في تدبير ملكه وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي خشقدم الناصري أمير سلاح فقرره في الاتابكية عوضا عن نفسه وأخرج له مكتوبا باقطاعه الذي كان بيده وخلع على جرباش المحمدي المعروف بكرت وقرره في امرية سلاح وخلع على قرقماس الجلب وقرره في أمرية مجلس عوضا عن جرباش كرت وخلع على قانم التاجر وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب وقرر في تقدمة جرباش كرت بيبرس خال الملك العزيز ثم شغرت تقدمة فاراد أن ينعم بها على صهره الامير بردبك الدوادار الثاني فوقف اليه جاني بك الظريف وباس الارض وطلب التقدمة التي شغرت فابى السلطان من ذلك وحصل بين جاني بك الظريف وبين الامير يونس الدوادار الكبير في ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك ونزل جاني بك الظريف من عند السلطان غير راض وكان ذلك سببا في سرعة زوال الملك المؤيد أحمد عن قريب ثم ان السلطان نادى في الحوش للعسكر بان نفقة البيعة في يوم الثلاثاء عشري هذا الشهر لكل مملوك عشرون دينارا فسر الجند بذلك وارتفعت له

الاصوات

الاصوات بالدعاء هذا كله يجرى ووالده الاشرف فى قيد الحياة الى أن مات فى يوم الخميس بعد العصر وذلك فى خامس عشر جمادى الاولى من تلك السنة فلما مات شرعوا فى تجهيزه وأخرجوه عند باب الستارة وصلى عليه الخليفة وولده الملك المؤيد أحمد ثم نزلت جنازته من سلم المدرج وتوجهوا به الى تربته التى أنشأها بالصحراء كما تقدم ثم ان السلطان بعث نفقات الامراء فحمل للاتابكى خشقدم أربعة آلاف دينار ولارباب الوظائف من الامراء والمقدمين لكل واحد منهم ألفان وخمسمائة دينار ولبقية المقدمين لكل منهم ألفا دينار وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد منهم خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتا دينار ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من مائة دينار الى مادون ذلك الى عشرة دنانير ثم أنعم السلطان على يشبك الجاسى الاشرفى ويشبك هذا كان من مماليك الاشرف اينال وكان فى أيام أستاذه مقدم ألف بحلب ثم حضر الى القاهرة فبقى مقدم ألف بمصر وفى جمادى الآخرة عين السلطان جماعة من خواصه من الامراء والخاصكية بالتوجه الى البلاد الشامية وغيرها ببشارة السلطنة الى النواب وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من قبرس بان جانى بك الابلق الذى كان مقيما بقبرس مع جماعة من المماليك السلطانية أرسل يخبر بان أخت حاكم صاحب قبرس فرت الى رودس لتستنجد بصاحبها ليمدها بعسكر حتى تحارب أخاها وتأخذ منه مدينة شيرينه فارسل جانى بك الابلق يستحث السلطان فى ارسال تجريدة تنجده سريعا وكان يظن ان الاشرف اينال فى قيد الحياة وفيه خلع السلطان على مجد الدين بن البقرى وقرره فى الاستادارية عوضا عن منصور بن الصفى بحكم صرفه عنها وهذه أول ولاية مجد الدين للوظائف السنية وفيه توفى الطواشى مرجان العادلى مقدم المماليك وكان حبشى الجنس وكان عنده شدة بأس وعسوفة زائدة فلما مات قرر فى تقدمته جوهر النوروزى وفيه توفى جميل بن أحمد بن عميرة شيخ العرب بالكفور بالغربية وكان ظالما عسوفا وكان فى سعة من المال وهو بخيل جدا وفيه توفى الصاحب سعد الدين فرج بن ماجد النحال وكان أصله من الاقباط ولى عدة وظائف سنية منها الوزارة والاستادارية غير مامرة وولى أيضا كتابة المماليك وغير ذلك من الوظائف وكان رئيسا حشما دينا خيرا مشكورا فى مباشرته وكان عنده حدة مزاج فى ذاته ومولده فى سنة احدى وثمانمائة وفيه كان قراءة تقليد السلطان بالقصر الكبير وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وأرباب الدولة وجلس القاضى كاتب السر محب الدين بن الشحنة على كرسى وقرأ التقليد على العادة ثم ان السلطان خلع على الخليفة والقضاة الاربعة ونزلوا من القلعة فى موكب حافل وفيه ثارت عربان ابيد ووصلوا الى البحيرة وشنوا بها الغارات ونهبوا الغلال فلما بلغ السلطان ذلك بادر وأرسل خلفهم تجريدة ولم يرسل من المماليك الجلبان أحدا

فعز ذلك على المماليك القرانصة وأضمر واله السوء وفى رجب ظهر فى القاهرة وضواحيها الامن والعدل والرخاء وأحب الرعية السلطان حبا شديدا ومالت اليه النفوس قاطبة كما قيل

دولته للأنام عيد * باق وأيامه مواسم
قد أظهر العدل فى الرعايا * وأبطل الجور والمظالم
وصير الشاة فى حماه * تمشى مع الذئب والضياغم
لو نطقت مصرنا لقالت * يا ملك العصر والأقالم
ملأت قلب الملوك رعبا * أغنى عن السمر والصوارم

وفيه هجم المنسر على المتفرجين بجزيرة بولاق وكان فى الظلمة نصف الليل فنهبوا من الناس شيأ كثيرا وكان الناس قد خرجوا عن الحد فى الفتك والقصف بسبب الفرجة ونصبوا هناك الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون فى الرمل ليلا ونهارا من نساء ورجال وهم فى غاية التزخرف فهجم عليهم المنسر على حين غفلة ونهب ماقدر عليه ولم ينتطح فى ذلك شاتان وفيه قدم الاشرفى الذى كان دوادارا ثانيا بمصر ونفى فى دولة الاشرف اينال فلما مات اينال قدم الى القاهرة من غير اذن السلطان فلما حضر نزل عند الاتابكى خشقدم فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر باخراجه من حيث جاء فخرج من يومه وأمر بسجنه فشفع فيه بعض الامراء فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق وألبسه كاملية سمور وخرج من مصر سريعا فشق ذلك على جماعة الاشرفية وكثر القيل والقال بين الناس ولهجوا بوقوع فتنة عن قريب وفيه وصل الطواشى شاهين غزالى الذى توجه الى دمشق لضبط تركة زوجة قانى بك الحزاوى نائب الشام واشتملت تركتها على أشياء غريبة من تحف ومعادن نفيسة وأقمشة مثمنة وأوانى فضة وبلور مما لا يسمع بمثله فكان هذا الموجود أعظم من موجود الخوندات فامر السلطان ببيعه فى كل يوم ثلاثاء فاقاموا نحوا من شهر وهم يبيعون فى ذلك الموجود وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو القرافة وعاد سريعا وهذا أول ركوبه فى السلطنة وكان آخر ركوبه وفيه أمطرت السماء بردا كبارا كل حصوة قدر بيضة الحمامة وكان غالب ذلك ببلاد الشرقية وتلف بها أكثر الزرع وهلك بها بعض بهائم وفيه توفى الامير فيروز الزمام الخازندار الكبير وكان أصله من خدام فيروز الحافظى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف منها الزمامية والخازندارية الكبرى وغير ذلك من الوظائف وكان سيئ الاخلاق حاد المزاج وكان فى سعة من المال ووجد له من الاصناف والمال مايزيد على مائة ألف دينار وقيل ابتيع له حاصل فيه فحم بألف دينار ومات

وله من العمر ما يزيد على ثمانين سنة ولم يجئ بعده مثله من الخدام وفى رمضان أشيع بين الناس أن السلطان عول على امساك جماعة من الامراء الاشرفية ثم انه أمر نقيب الجيش بأن يدور على الامراء و يأمرهم بالصعود الى القلعة وما عرف السبب لذلك فأخذوا حذرهم و باتوا على وجل ولم يطلع اليه أحد فلما كان ليلة السبت سابع عشر رمضان وثب جماعة من المماليك الاشرفية والظاهرية واستمالوا معهم غالب المماليك الاينالية ولعبوا بهم وأفسدوا عقولهم وضحكوا عليهم فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فلما عظم الامر نزل السلطان الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على الرميلة فاشتد الحرب فى ذلك اليوم واستمروا على ذلك حتى حال بينهما الليل فلما أصبح يوم الاحد ثامن عشر رمضان نزل السلطان الى المقعد المطل على الرميلة وثبت للقتال فلما رأى مماليك ابيه قد وثبوا عليه تحقق انه مكسور لامحالة فكان كما قيل

كنت من كربتى أفر اليهم * فهمو كربتى فأين المفر

ثم كانت الكسرة على أحمد فطلع من باب السلسلة وتوجه الى قاعة البحرة ثم طلب أخاه الناصرى محمدا وأمرهم أن يغلقوا عليهما الباب فلما بلغ العسكر ان الملك المؤيد قد اختفى توجهوا الى بيت الاتابكى خشقدم فأركبوه غصبا حتى طلعوا الى باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة و بايعوا الاتابكى خشقدم فكانت مدة الملك المؤيد فى السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام وكان المماليك كاتبوا جانم نائب الشام أن يحضر الى مصر ليلى السلطنة وأرسلوا اليه صورة حلف وكتب فيه الامراء الاشرفية خطوط أيديهم بأنهم ارتضوا بجانم أن يكون هو السلطان عليهم وأرسلوا يستحثونه فى الحضور فأبطأ عليهم فما صبروا الى أن يحضر فوثبوا على المؤيد فى رمضان وحاربوه ثلاثة أيام فلما انكسر التفوا على الاتابكى خشقدم وولوه السلطنة عارية الى أن يحضر جانم نائب الشام فصار الهزل جدا وكان كما قيل فى المعنى

وان صبابتى كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقايقينا

وكان الملك المؤيد أحمد كفؤا للسلطنة ذا عقل ورأى كامل الهيبة ساس الناس فى أيامه أحسن سياسة وقمع مماليك أبيه عما كانوا يفعلونه من تلك الافعال الشنيعة وكان بصيرا بمصالح الرعية ولو أقام فى السلطنة لحصل للناس به غاية النفع ولكن خانه الزمان وأخذ من حيث كان يرجو الامان كما قيل

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على أولاده

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد أحمد وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين

خشقدم الناصرى المؤيدى وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو أول ملوك الروم بمصر ان لم يكن ايبك التركمانى من الروم ولاجين من الروم فخشقدم أول ملوك الروم بمصر (أقول) وكان الظاهر خشقدم أصله رومى الجنس جلبه الخواجا ناصر الدين وبه يعرف بالناصرى فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جدارا ثم بقى خاصكيا فى دولة الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ودام على ذلك دهرا طويلا الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه بامرية عشرة وذلك فى سنة ست وأربعين وثمانمائة وصار رأس نوبة واستمر على ذلك الى سنة خمسين وثمانمائة فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها ودام بدمشق الى أن تغير خاطر السلطان على الامير قانى بك الظاهرى حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذى كان قد اشتهر بالصلاح فعند ذلك نفى السلطان الامير قانى بك الى ثغر دمياط فلما جرى ذلك سعى القاضى أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال هو والامير تمر بغا الدوادار الثانى للامير خشقدم فأحضره السلطان من دمشق وأنعم عليه باقطاع الامير قانى بك حاجب الحجاب وذلك فى صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة فاقام على ذلك الى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن الملك الاشرف اينال فبقى الامير خشقدم أمير سلاح فى دولة الاشرف اينال وسافر فى أيامه باش العسكر فى التجريدة التى توجهت الى حلب بسبب ابن قرمان فلما رجع من التجريدة أقام أمير سلاح الى أن توفى الملك الاشرف اينال وتسلطن ولده الملك المؤيد احمد فاستقر بالامير خشقدم أتابك العساكر عوضا عن نفسه وذلك فى سنة خمس وستين وثمانمائة فلما وثب المماليك على الملك المؤيد فى شهر رمضان كما تقدم ذكر ذلك اتفق رأى الأمراء على سلطنة الأتابكى خشقدم الى أن يحضر المقر السيفى جانم نائب الشام فيسلطنوه فلما أبطأ عليهم الامير جانم سلطنوا الاتابكى خشقدم نيابة عن جانم فكانت سلطنة خشقدم فلتة كما قيل فى المعنى

وان صبابتى كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقا يقينا

وكانت سلطنة الأتابكى خشقدم فى يوم السبت سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فصلى الظهر وجلس فى المقعد الذى فى باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وهم على الوصف المقدم ذكره فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وبايعوا الاتابكى خشقدم فاحضر واله خلعة السلطنة فلبسها من المقعد الذى فى باب السلسلة وركب من

هناك فرس النوبة وطلع الى باب القصر الكبير وحمل على رأسه القبة والطير المقر السيفي
جرباش كرت أمير سلاح فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك
الظاهر ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة ثم انه أرسل
قيد الملك المؤيد وأخاه في الحوة ثم نزل بهما وقت الظهر من القلعة وخلفهما أوجاقية
بخناجر وأرسلهما الى السجن بثغر مدينة الاسكندرية وأرسل معهما الامير قراجا الطويل
الاينالي وكان المتسفر عليهما الامير خير بك المصارع فتوجه بهما الى ثغر الاسكندرية
وسجنهما بها ثم ان السلطان رسم على خوند الخاصبكية ام الملك المؤيد وجعل عليها عشرة
من الخدام منهم خشقدم اللالا فصار يقسو عليها ثم انه أخذ السلطان من خوند المذكورة
جملة كثيرة من المال نحو مائة ألف دينار ثم انه في أواخر شهر رمضان توفي الامير يونس البواب
الدوادار الكبير وكان صهر الملك الاشرف اينال فكثر عليه الحزن والاسف ثم ان السلطان
عمل الموكب في القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي جرباش
المحمدي المعروف بكرت فخلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع
على المقر السيفي قرقماس الجلب واستقر به أمير سلاح عوضا عن جرباش وخلع على المقر
السيفي قانم التاجر المؤيدي واستقر به أمير مجلس وخلع على المقر السيفي بلباي المؤيدي
واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفي جاني بك نائب جدة واستقر به دوادارا
كبيرا عوضا عن الامير يونس البواب بحكم وفاته كما تقدم ثم انه نقل المقر السيفي بردبك
الجمقدار واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفي بيبرس خال العزيز واستقر به
رأس نوبة النوب ثم خلفه تمربغا لما جاء من مكة حين أمسك الامير بيبرس ونفي كما سيأتي
ذكر ذلك في موضعه وكان تمربغا بمكة فلما حضر لمصر استقر به رأس نوبة النوب وخلع على
المقر السيفي جاني بك الظريف واستقر به دوادارا ثانيا وأنعم عليه بتقدمة ألف مع
الدوادارية وخلع على المقر السيفي جاني بك الاشرفي واستقر به شاد الشربخاناه وأنعم عليه
بتقدمة ألف مع الشادية وخلع على الامير اينال الاشقر واستقر به والي القاهرة وخلع
على الامير تنم رصاص واستقر به محتسب القاهرة وأنعم على جماعة كثيرة من الامراء
الاشرفية بامريات عشرة ولم تكن ولاية هؤلاء الامراء في موكب واحد بل كانت في
مواكب متعددة حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه ثم ان الامير جاني بك نائب جدة قرب
جماعة من الاينالية ولم يمكن السلطان من التشويش عليهم منهم أزدمر الطويل وثاني
بك قرا وجاني بك الخشن وشاد بك أبا نطة وقانصوه المؤيدي وغير ذلك من الاينالية جماعة
كثيرة فصار هؤلاء من عصبة جاني بك نائب جدة وكان متخيلا من جماعة الاشرفية
والمؤيدية فقوي شوكته وتعصبت له الاينالية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل

والعقد فى تلك الايام والسلطان خشقدم فى قبضة يده يدوره كيف شاء وكان السلطان خشقدم متخيلا أيضا باطنا وظاهرا فلم يزل الملك الظاهر خشقدم يتسبل الى جانى بك نائب جدة ويداريه حتى انتهز الفرصة فى قتله وقتله كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فكان لسان حال جانى بك نائب جدة يقول

لا تأمنن عدوا * ولو دنا للمنيه خفية السم تدعى * فى حالة الموت حيه

ثم ان الملك الظاهر خشقدم أنفق على العسكر نفقة كاملة وفرق الاقطاعات الثقال على المماليك وأرضى جميع الجند بكل ما يمكن فاستقامت أحواله فى السلطنة وزال عنه الشك فلما كان يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة جاءت الاخبار بان المقر السيفى جانم نائب الشام قد وصل الى خانقاه سرياقوس وقد تقدم أن الامراء الاشرفية أرسلوا كاتبوه بان يحضر الى القاهرة بسرعة حتى يسلطنوه عوضا عن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فلما ابطأ عليهم وثبوا على الملك المؤيد وخلعوه من السلطنة وولوا الاتابكى خشقدم سلطانا واستقر المقر السيفى جرباش كرت أتابك العسكر بمصر فلما حضر جانم من الشام وجد القاعدة قد انخرمت والوظائف قد انقسمت وفاته الشنب وعز الطلب فكان كما قيل فى المعنى

وثب الثعلب يوما وثبة * شغفا منه بعنقود العنب
لم ينله قال هذا حامض * حصرم ليس لنا فيه أرب

فلما بلغ الظاهر خشقدم حضور جانم نائب الشام اضطربت أحواله وتزايدت أوجاله فاجتمع بالأمراء ونضر بوافى ذلك مشورة فوقع الاتفاق بان جانم يرجع الى الشام ولا يدخل الى مصر وأن يكون نائب الشام على عادته فتوجه اليه الصاحب علاء الدين بن الاهناسى وصحبته خلعة الى الامير جانم بان يكون نائبا على عادته فتوجه اليه فى ليلة عيد الفطر ومدّ له فى الخانقاه يوم العيد مدة عظيمة ولم يمكن السلطان أحدا من الامراء المقدمين بان يتوجه اليه فتوجه اليه بعض أمراء عشراوات من الاشرفية منهم تمراز الشمسى وغير ذلك ثم ان السلطان أرسل الى الامير جانم عشرة آلاف دينار وأنعم عليه بيرك الامير يونس الدوادار جميعه وصار يرضيه بكل ما يمكن فرجع الامير جانم الى الشام وهو بخفى حنين وكان ذلك ترتيبا من الامير جانى بك نائب جدة فانه كان كثير الحيل والخداع فلما رجع الامير جانم الى الشام أرسل السلطان الى نائب قلعة الشام مراسيم فى الدس بان يقبض على جانم نائب الشام فرمى عليه بالمدافع وهو جالس فى دار السعادة فهرب وقام من وقته وأخذ عياله وأولاده وخرج من الشام هاربا فلما خرج نهبوا دار السعادة وأخذوا جميع بركه وقماشه فلما خرج من الشام توجه الى نحو مدينة الرها واستمر فى هجاج وعصيان فلما

جاءت الاخبار الى القاهرة بذلك عين له السلطان تجريدة وعين الامير جانى بك نائب جدة أمير العسكر فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان السلطان خلع على خشداشيه اقبرا السيفى تنم المؤيدى واستقر به نائب الشام عوضا عن جانم الاشرفى لما تسحب من الشام فأقام الامير تنم فى نيابة الشام الى أن مات هناك ودفن بالشام والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وثمانمائة﴾ فيها عمل السلطان الموكب فى القصر الكبير فلما طلع الامراء واجتمعوا بالقصر عول فى تلك الليلة على مسك جماعة من الامراء الاشرفية فلما كان بعد العشاء غلقوا أبواب القلعة ودخل على الامراء وهم فى القصر جماعة من المماليك الظاهرية وهم لابسون الزرديات والخود وبايديهم سيوف مسلولة ومع بعضهم قسى ونشاب فقبضوا على الامير جانى بك الظريف والامير جانى بك المشد والامير بيبرس خال العزيز وغيرهم من الامراء الاشرفية نحو من اثنى عشر انسانا فلما قبضوا عليهم قيدوا الامراء المقدمين ونزلوا بهم من القلعة وهم الامير جانى بك الظريف والامير بيبرس خال العزيز والامير جانى بك المشد وغير ذلك من الامراء العشراوات فلما نزلوا بهم توجهوا بهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك وثب جماعة الاشرفية على الملك الظاهر خشقدم ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة فنزل اليهم جماعة من المماليك الظاهرية فوقعوا معهم ثم ان المماليك الاشرفية توجهوا الى الاتابكى جرباش كرت وكان فى تربة الظاهر برقوق بسبب موت ابنته التى ماتت نفساء وهى زوجة الامير اقبردى اليوسفى فلما توجهوا اليه اختفى الامير جرباش منهم فى فسقية الموتى ولم يقابلهم فلم يزالوا عليه حتى طلعوا به من فسقية الموتى وسلوا عليه السيوف وأركبوه غصبا وشالوا على رأسه صنجقا ودخلوا به من باب النصر وشقوا به من القاهرة ولقبوه بالملك الناصر فصار العوام يضجون له بالدعاء حتى وصل الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فأقام هناك ثم ان الاشرفية قاتلوا قتالا هينا وكان رأس هذه الفتنة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش وكان من شرار جماعة الاشرفية فلم يطبوا طبة وصارت أحوالهم سبة ثم ان الملك الظاهر خشقدم أرسل الى الاتابكى جرباش بعض الخاصكية فتلطف به وأخذه وطلع به الى القلعة فلما طلع تحيل عليه الامير جانى بك نائب جدة وقال له خشكلدى ملك ناصر فلم يرد عليه جوابا فلما طلع الاتابكى جرباش الى القلعة نزل المماليك الظاهرية وأوقعوا مع المماليك الاشرفية واقعة قويه فلم تكن الا ساعة غير بطية حتى انكسر المماليك الاشرفية كسرة قوية وأحاطت بهم كل رزية فولوا مدبرين ورجعوا خائبين فعند ذلك توجه جماعة من المماليك الظاهرية الى بيت الامير سنقر الزردكاش ونهبوا ما فيه وأحرقوه ثم قبضوا على الامير سنقر الزردكاش وعلى جماعة كثيرة من الاشرفية ونفوهم فى أماكن شتى وخمدت هذه

الفتنة كأنها لم تكن ثم ان السلطان قبض على جماعة من الاينالية ونفاهم ثم نفى الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال الى مكة وفيها خلع السلطان على خشداشيه الامير جانى بك كوهيه واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير جانى بك الظريف وفيها خلع السلطان على الامير اينال الاشقر والى القاهرة ثم استقر به نائب ملطية وخلع على الامير تمر الظاهرى واستقر به والى القاهرة عوضا عن اينال الاشقر وفيها عزل السلطان ناظر الخاص عبد الرحمن بن الكويز واستقر بالقاضى شرف الدين الانصارى ناظر الخواص الشريفة عوضا عن عبد الرحمن بن الكويز وفيها فصل السلطان قاضى القضاة علم الدين صالح من القضاء وأعاد القاضى شرف الدين يحيى المناوى وقيل بل عزل القاضى علم الدين وولى المناوى فى دولة المؤيد أحمد بن اينال وهذه ثالث ولاية للمناوى وكذلك فصل القاضى سعد الدين الديرى من القضاء وولى ابن الصواف عوضا عنه وفيها عزل السلطان الصاحب علاء الدين بن الاهناسى وخلع على الصاحب بن الصنيعة واستقر به وزيرا وفيها عزل السلطان الامير زين الدين يحيى الاستادار وولى مجد الدين بن البقرى استادارا عوضا عنه ومن الحوادث فى هذه السنة أن النيل المبارك توقف فى أبيب عند مبتدا الزيادة وأقام فى ذلك التوقف نحو خمسة عشر يوما ولم يزد شيأ أفضج الناس من ذلك وتشحطت الغلال وشطح سعر القمح الى ألف درهم كل اردب وحصل للناس الضرر الشامل لقلة الزيادة وقد دخلت مسرى وقد قيل فى المعنى

ولقد عهدت النيل سنيا برى * عمرا ويتبع أمره تسديدا

والآن أضحى فى الورى متشيعا * متوقفا ما إن يحب يزيدا

فلما استقر الامر على ذلك رسم السلطان للقضاة الاربعة والمشايخ والعلماء بان يتوجهوا الى المقياس ويبيتوا به ويتلوا هنالك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة النيل فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف ابن حريز المالكى وجماعة من العلماء فأقاموا فى المقياس أياما ورجعوا ولم يزد النيل شيأ فأرسل السلطان الى الشيخ أمين الدين يحيى الاقصرائى يستفتيه فى ذلك فقال الشيخ أمين الدين اجمعوا بنى العباس من الرجال والنساء من صغارهم لكبارهم ثم يضعون فى أفواههم شيأ من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى فسقية المقياس ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ثم ان القاضى علم الدين صالحا البلقينى توجه الى المقياس وأقام هنالك ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع زاد ثلاثة أصابع ففرح الناس بذلك ورجع القاضى علم الدين وشق من القاهرة وقدامه رايات زعفران وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ثم وفى النيل فى تلك السنة وثبت ثباتا عظيما الى أواخر توت وتوجه المقر السيفى قائم التاجر وكسر السد وقد قال القائل

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا

البحر سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

ثم فى عقيب ذلك عزل السلطان القاضى يحيى المناوى وأعاد القاضى علم الدين صالحا البلقينى

ثم دخلت سنة سبع وستين وثمانمائه فيها جاءت الاخبار من حلب بان جانم نائب الشام قد قتل وقيل ان مماليكه قد قتلوه وهو فى قلعة الرها فلما صح هذا الخبر دقت الكوسات ثلاثة أيام وبطلت التجريدة التى كانت تعينت اليه ثم ان السلطان أرسل قبض على الامير تمراز الاشرفى وسجنه بالمرقب وأشيع عنه انه قتل قتيلا فاثبت عليه السلطان كفرا وأرسل اليه شخصا من المالكية يقال له الشارعى فضرب عنقه على باب السجن الذى بالمرقب وكان تمراز هذا سيء الخلق مر اللسان مستحقا لكل سوء وكان منفيا فى البلاد الشامية من أول دولة الملك الاشرف اينال وآخر الامر قتل هناك ومضى أمره وفيها أرسل السلطان تجريدة الى نحو بلاد الافرنج برودس وكان باش العسكر الامير برديك الجمقدار وفيها كسفت الشمس كسوفا فاحشا من بعد الضحى الى قرب العصر حتى أظلمت الدنيا فى أعين الناس وفيها خلع السلطان على القاضى برهان الدين ابراهيم بن الديرى واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر القاضى محب الدين بن الشحنة قاضى قضاة الحنفية عوضا عن ابن الصواف وفيها توفيت والدة المقر الشهابى أحمد بن العينى وكانت وفاتها فى يوم السبت فتوجه معها الى التربة الامير جانى بك نائب جدة والقاضى كاتب السر ابراهيم بن الديرى فلما رجعوا من التربة خلط ابن الديرى مع الامير جانى بك فى الكلام فقال لجانى بك ان هذه الميتة نزلت من القلعة فى يوم السبت ولا بد أن يعقبها أحد كبير وأظنه السلطان فأخذ جانى بك منه الكلام ونقله للسلطان فتغير خاطر السلطان على ابن الديرى فلما طلع الى الموكب قال له يا قاضى فى أى حديث ورد ان الميت اذا خرج فى يوم السبت لا بد أن يتبعه أحد كبير ثم قال له الزم بيتك فكان كما قيل

العقل زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

فلئن ندمت على سكوتى مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا

ثم ان السلطان عزل ابراهيم بن الديرى من كتابة السر بسبب ذلك وخلع على القاضى زين الدين أبى بكر بن مزهر واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الديرى فكانت مدة ولاية القاضى برهان الدين بن الديرى دون الشهرين وقد سعى فيها بخمسة آلاف دينار وفيها أخرج السلطان تقدمة الامير جانى بك المرتد الناصرى وجعله طرخانا ورتب له ما يكفيه واستمر على ذلك الى أن مات فى أثناء دولته وفيها قبض السلطان على المهتار على فطيس

مهتار الاشرف اينال وسلمه الى الامير جانبك نائب جدة فضربه علقة قوية وأخذ منه خمسة آلاف دينار فباع أملاكه وجميع ما يملكه حتى سدد ذلك وفيها استعفى القاضى شرف الدين الانصارى من نظارة الخاص فخلع عليه السلطان واستقر به وكيل بيت المال وخلع على عبد الرحمن بن الكويز وأعاده الى نظارة الخاص وفيها استقر مثقال البرهانى مقدم المماليك عوضا عن صندل الهندى وفيها استقر القاضى تاج الدين بن المقدسى فى نظارة الجيش عوضا عن الزين بن مزهر وفيها توفى شيخ الاسلام قاضى القضاة الحنفى سعد الدين ابن الديرى ودفن بتربة الظاهر خشقدم وقد تولى القضاء نحو ثلاثين سنة وكان من عظماء الحنفية وكانت وفاته فى شهر ربيع الاول من سنة سبع وستين ومات وهو منفصل عن القضاء

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثمانمائة فيها عزل عبد الرحمن بن الكويز من نظارة الخاص واستقر بها الصاحب علاء الدين بن الاهناسى واستقر ناظر الخاص ووزيرا فأقام على ذلك مدة ثم اختفى وغيب فخلع السلطان على مجد الدين بن البقرى واستقر به وزيرا عوضا عن ابن الاهناسى وخلع على القاضى تاج الدين بن المقدسى واستقر به ناظر الخاص ثم ان مجد الدين بن البقرى قبض على الصاحب علاء الدين بن الاهناسى فسجنه السلطان فى البرج الذى فى القلعة واحتاط على موجوده فأخذ منه مائة ألف دينار ورسم بنفيه الى مكة فخرج وسافر من البحر الملح وفى هذه السنة عظم أمر الامير جانى بك نائب جدة والتفت عليه جماعة الظاهرية من خشداشينه فكان ينزل من القلعة وعسكر مصر قدامه أولهم عند قناطر السباع وآخرهم فى الرميلة وسائر المباشرين قدامه مستمرا ذلك فى كل يوم وهو أول من اتخذ السعاة يمشون قدامه كلما ركب ونزل زيادة فى العظمة فثقل أمره على الملك الظاهر خشقدم وكان الظاهر خشقدم أنشأ له مماليك كثيرة وثبتت قواعده فى السلطنة وصارت خشداشينه المؤيدية غالبهم أمراء فعول على قتل جانى بك نائب جدة فى الباطن وأضمر له السوء ثم ان الامير جانى بك لما كملت عمارة القبة التى أنشأها فى منشية المهرانى عمل هناك وقدة عظيمة وأحضر سوارى طوالا على البر وعلق فيها قناديل وعزم على جماعة من الامراء ومد مدة عظيمة وكانت ليلة لم يسمع بمثلها وحضر هناك ابن رحاب المغنى وابراهيم بن الجندى وجمع بين قراء البلد والوعاظ وكان ذلك فى ليلة الجمعة فلما كان يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة سبع وستين وثمانمائة طلع الامير جانبك نائب جدة الى القلعة على جارى العادة وكان معه الامير تمر رصاص المحتسب وكان السلطان قد رمع جانبك انه فى ذلك اليوم يمسك الامير قانم التاجر والامير قايتباى المحمودى المؤيدى فطلع فى ذلك اليوم بدرى وكانت المعمولية والطبخة له كما قيل فى المعنى

وكم

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فلما طلع الى القلعة ودخل من بابها ووصل الى الجامع خرج اليه كمين من المماليك الاجلاب من مماليك الظاهر خشقدم فقتلوه هناك هو والامير تنم رصاص ورموا على رؤسهما فص حجر بعد أن طعنوهما بالرماح حتى وقعا الى الارض موتى فلما أصبح الصباح غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما بالقلعة ونزلوا بهما فدفن الامير جانى بك فى تربته التى أنشأها خارجا من باب القرافة فلما سمع مماليكه لبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فرموا عليهم بالنشاب من باب السلسلة فولوا مدبرين وراحت على من راحت ولم تنتطح فى ذلك شاتان وكان الامير جانى بك نائب جدة أميرا عظيما صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان صاحب حيل وخداع وهو الذى رتب للملك الظاهر خشقدم فى مسك الامراء الاشرفية ورجوع جانب نائب الشام الى الشام بعدما ترشح أمره الى السلطنة فكان حال جانى بك مع الظاهر خشقدم كما قيل فى المعنى

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

وكان الامير جانى بك مولعا بغرس الاشجار وأنشأ عدة غيطان بالمنشية وهى منشية المهرانى وكان كثير التنزه وكانت صفته أخضر اللون قصير القامة جدا مستدير اللحية شائب الذقن عارفا بأحوال المملكة فصيح اللسان بالعربى أصله من مماليك أسنبغا الطيارى وقدمه الى الملك الظاهر جقمق فهو معتوق الملك الظاهر جقمق من جملة مماليكه انتهى ذلك

ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانمائة فيها خلع السلطان على خشداشيه الامير يشبك الفقيه واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير جانبك نائب جدة وفيها أنعم السلطان على خشداشيه الامير جانبك كوهيه بتقدمة ألف وخلع على مملوكه الامير خيربك واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن جانبك كوهيه وفيها أنعم السلطان على سبطه المقر الشهابى أحمد ابن العينى بتقدمة ألف وقرره فى امرية الحاج وقرر فى امرية الركب الشرفى يحيى ابن الامير يشبك الفقيه وفيها اختفى زين الدين الاستادار فصرف السلطان مجد الدين بن البقرى من الوزاره وقرره فى الاستدارية واستمرت الوزارة شاغرة أياما حتى خلع السلطان على الشمس محمد البباوى ناظر الدولة وقرره فى الوزارة عوضا عن ابن البقرى فلما قرر البباوى فى الوزارة عد ذلك من مساوى خشقدم وقالت الناس الزفر تولى الوزارة بمصر ومن يومئذ انحط قدر الوزارة جدا وتبهدل هذا المنصب الى الغاية قال الامام أبو شامه المؤرخ كانت الوزارة على عهد الخلفاء وظيفة عظيمة جليلة وكان الوزير يجلس بحضرة الخلفاء على مقدار خمسة أذرع وكان هو المتصرف فى أمر المملكة بما يختار فلما جاءت دولة الاتراك قدموا نيابة السلطنة على الوزارة فتلاشى أمر الوزارة من يومئذ وصارت الوزارة تنقسم الى أربع

جهات منها كتابة السر والاستادارية ونظر الخاص وشاد الدواوين وكانت خلعة الوزارة فى قديم الزمان عمامة بيضا برقمات ذهب شغل تنيس وطيلسان أبيض برقمات ذهب وجبة صوف بيضا بطرز ذهب وفى عنقه عقد جوهر بعشرة آلاف دينار وسيف مذهب مسقط بالذهب ويركب حجرة بخمسمائة دينار وفى قوائمها أربع جوهرات وفى عنقها جوهرة كبيرة بالف دينار وترفع على رأسه أعلام بيض ويحمل على رأسه منشور الولاية وهو مكتوب فى حرير أبيض فبطل ذلك كله فلما تولى البباوى شق ذلك على الناس لكونه لم يكن من أهل ذلك وكان البباوى طباخا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب وفى كلامه غرتلة وكان اسود اللحية عنده عترسة ويبس وكان أصله معاملا فى اللحم من جملة المعاملين ولكن وعده الله بذلك من القدم وفيه يقول بعض الشعراء

قالوا البباوى قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب لا * يدور الا بالبقر

وقال آخر

تجنب العلم والفضائل * ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا مثل البباوى * فالسعد فى طالع البهائم

فلما تولى الوزارة جاء فيها على الوضع وسكن فى بيت الوزارة التى فى بركة الرطل ودقت على بابه الكوسات ولبس الخف والمهاميز وكان الظاهر خشقدم قائما معه فهابه جميع المباشرين وخافوا منه وكان يكبس البيوت على من يجده يسكر ويغرمه جملة مال تحت الليل حتى ضجت منه الناس وكانت له حرمة وافرة وكلمة نافذة وجاء على الناس مجيء موحش فكان لا يقبل رسائل أحد من الامراء وصادر فى مدة ولايته جماعة من أعيان الناس والتجار وكان يكره من يسكر ثم ان السلطان سلمه الامير زين الدين الاستادار فاحضر له المعاصير وقصد عصره فترامى عليه الامير زين الدين وصار يقبل رجليه حتى عفا عنه من العصير وكذلك جماعة كثيرة غير زين الدين صاروا تحت أمره وأخذ أموالهم وكان كما قيل

ومن أعظم البلوى كريم أصابه * قضاء وأضحى تحت ذل لئيم

وفيها توفى قاضى القضاة الشافعى علم الدين صالح البلقينى فلما توفى خلع السلطان على القاضى يحيى المناوى وأعاده الى القضاء فلم يقم الامدة يسيرة وسعى عليه القاضى صلاح الدين أحمد بن بركوت المكينى الشافعى فعزل السلطان القاضى يحيى المناوى وولى صلاح الدين المكينى وفى ذلك اليوم عزل السلطان القاضى محب الدين بن الشحنة الحنفى وولى القاضى برهان الدين ابراهيم بن الديرى قاضى قضاة الحنفية فتولى القاضيان فى يوم واحد

ونزلا من القلعة فى موكب واحد وعليهما التشاريف وفيها خلع السلطان على القاضى كمال الدين ابن القاضى جمال الدين ناظر الخاص واستقر به ناظر الجيش وكان الساعى له الامير خير بك الدوادار فانه كان صهره زوج أخته وفيها أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة وكان فيها خمسة أمراء مقدمين منهم الامير قرقماس الجلب أمير سلاح والامير جانى بك قلقسيز وغير ذلك من الامراء وفيها حجت خوند الاحمدية زوجة السلطان خشقدم وكان المقر الشهابى أحمد بن العينى أمير المحمل وكان الشرفى يحيى ابن الامير يشبك الفقيه أمير أول وحج الامير يشبك الفقيه مع ولده فى تلك السنة (أقول) وقد أظهر المقر الشهابى أحمد بن العينى فى هذه الحجة من الكبرياء والعظمة ما لم يظهره غيره من ابناء الملوك فصنع اكوارا من الذهب مرصعة بفصوص ياقوت وبلخش وفيروزج وصنع كنابيش مثلث بذهب ولؤلؤ وريش وخرج من القاهرة فى موكب عظيم وسائر الامراء والمباشرين قدامه وخوند الاحمدية فى محفة زركش فكان له يوم مشهود وفيها توفى الامير جانبك المرتد الناصرى ومات وهو طرخان وكان السلطان أخرج عنه التقدمة وفيها أمطرت السماء وجاء رعد وبرق وهبت رياح باردة وذلك فى أواخر بشنس بعد أن قلع السلطان الصوف فلبس الصوف بعد ذلك أياما

ثم دخلت سنة سبعين وثمانمائة فيها عاد المقر الشهابى أحمد بن العينى من الحجاز الشريف وخوند الاحمدية فكان لهم يوم مشهود وفيها كانت وفاة المقر الصاحبى العلائى على بن الاهناسى توفى بمكة المشرفة ودفن هناك وكذلك الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال توفى بمكة ودفن هناك قيل مات قتيلا من العرب فى رابغ ثم نقل من رابغ الى مكة ودفن بها وفيها كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن أبى السعود أحد شعراء العصر وهو من السبعة الشهب وفيها عزل السلطان قاضى القضاة صلاح الدين المكينى وولى القاضى أبا السعادات البلقينى فاقام فى قضاء القضاة أربعة أشهر ثم سعى عليه القاضى ولى الدين الاسيوطى وكان الساعى له الامير خير بك الدوادار الثانى فتولى الاسيوطى وعزل القاضى أبو السعادات وفيها أعاد السلطان القاضى محب الدين بن الشحنة الى قضاء الحنفية وفيها أخرج السلطان تجريدة الى بر الجيزة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر الامير بلباى المؤيدى أمير اخور كبير والامير بردبك هجين فطردوا من هناك العربان وأقاموا مدة ورجعوا وقتل من المماليك السلطانية هناك ستة لما وقعوا مع العربان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم وفيها عزم المقر الاتابكى قانم على السلطان فى الربيع فنزل اليه هو وسائر الامراء والعسكر فمد له الاتابكى قانم هناك سماطا عظيما قيل كان مصروفه ألف دينار ففرق الاكل على جميع العسكر وأحضر للسلطان هناك أرباب الملاعيب من المشعبذين وغير ذلك فانشرح السلطان فى ذلك اليوم الى الغاية هو والامراء

ولما رجع السلطان دخل الى بيت منصور الاستادار ثم توجه الى بيت الصاحب شمس الدين البباوى فأقام السلطان عنده قائم الى مابعد العصر ثم طلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها نزل السلطان وخلق المقياس وكسر السد وهذا لم يرمن بعد الملك المؤيد شيخ بان سلطانا نزل وكسر السد بنفسه وفيها خلع السلطان على منصور القبطى واستقر به استادارا فأقام بها مدة ثم قبض عليه وسجنه بالمقشرة ثم خلع على شرف الدين ابن كاتب غريب واستقر به استادارا ثم أثبتوا على منصور القبطى كفرا وضربوا عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية وفيها توفيت خوند الاحمدية زوجة الظاهر خشقدم وهى جدة المقر الشهابى أحمد بن العينى فلما ماتت تزوج السلطان بسريته خوند سواربای أم ولده وفيها فى أواخر هذه السنة فى يوم الاربعاء ثامن عشرى ذى الحجة نزل الصاحب شمس الدين البباوى من بيته الذى سكن فيه على بركة الرطلى فنزل فى مركب وتوجه الى نحو قناطر بنى منجا فلما رجع ووصل الى فم خليج الزربية انقلبت به المركب هنالك فغرق قريب السبر فأطلعوا جميع ماغرق معه حتى حق الدقاق وهو لم يظهر له خبر ولا وقف له على أثر حتى ولا فى شطنوف التى هى محط رحال الغرقى فكان من بقية قوم نوح أغرقوا فادخلوا نارا وقد قال القائل

لا تكرهوا الموت ان فيه * حصاد من طاب مع خبيث

فمستريح ومستراح * منه كما جا فى الحديث

فلما غرق البباوى خلع السلطان على يحيى بن صنيعة ثم قاسم وهو قاسم المعروف بشنيعة وعبد القادر واشتركا فى التكلم فى الوزارة ثم انفرد بها الزينى قاسم واستمر على ذلك مدة طويلة ﴿ ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثمانمائة فيها توفى الاتابكى قائم بن صفر خجا المؤيدى التاجر وقد مات فجاة فى ليلة واحدة فلما مات خلع السلطان على المقر السيفى بلباى المؤيدى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قائم التاجر ثم خلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن بلباى المؤيدى فتزايدت عظمة المقر الشهابى أحمد ابن العينى فى تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر عند شية المهرانى ولما كملت عمارة هذا القصر نزل السلطان اليه وأقام هنالك الى مابعد العصر وتفرج فى ذلك اليوم على البحر وانشرح وكان يوما سلطانيا وفيها توفى قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى وكان من أعيان خيار علماء الشافعية وتوفى وهو منفصل عن منصب القضاء وفيها تغير خاطر السلطان على الرئيس علاء الدين بن رحاب فشكه فى الحديد ورسم بنفيه الى الشام فخرج وتوجه الى قطيا وأقام بها أياما ثم شفع فيه كاتب المماليك بن جلود فرسم السلطان بعوده وكان سبب نفى ابن

رحاب أنه كان اذا عمل سماعا فى مكان يقوم فى ذلك المكان عربدة فعمل سماعا فى باب الوزير فقتل فى تلك الليلة قتيل فنفى السلطان ابن رحاب بسبب ذلك وفيها نزل السلطان للرماية وشق من القاهرة وزينت له وفيها نزل السلطان وكسر السد بنفسه وفيها غرق السلطان خازندار الامير جانى بك نائب جدة المسمى برش وكان شابا صغيرا فتأسف عليه الناس وفيها توفيت بنت السلطان التى من خوند سورباى وكانت مستحقة للزواج وفيها حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابن عثمان ملك الروم فأكرمه السلطان الى أن عاد الى بلاده وفيها نزل السلطان الى المطعم بالمطرية ولبس الصوف هناك وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم

❁ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فيها تزايدت عظمة السلطان خشقدم وبلغت عدة مماليكه نحو أربعة آلاف مملوك وصار غالب خشداشينه مقدمى ألف منهم الامير يشبك الفقيه والامير مغلباى طاز والامير قنبك المحمودى والامير جانى بك كوهية وغير ذلك جماعة كثيرة أمراء طبلخانات وعشراوات ثم أمر جماعة كثيرة من مماليكه منهم الامير خير بك الدوادار الثانى ومنهم الامير خشكلدى البيسقى ومنهم الامير كسباى والامير مغلباى المحتسب والمقر الشهابى أحمد بن العينى وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليكه وفيها جاءت الاخبار من حلب بان خارجيا تحرك على البلاد يقال له شاه سوار فرسم السلطان للامير برد بك الجقدار نائب حلب بان يخرج اليه فخرج اليه ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان برد بك نائب حلب لما خرج الى سوار التف عليه وأظهر العصيان على السلطان وقصدوا التوجه الى الشام فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الامراء خمسة مقدموا ألوف ثم ان السلطان دور المحمل الرجبى فى تلك السنة على جارى العادة فلما كان ليلة حراقة النفط فى الرميلة احترق بالنفط فى تلك الليلة سقف الاسطبل السلطانى فكان ذلك فالا على السلطان ولم ينجح أمره من بعد ذلك ثم ان النيل المبارك وفى فى أثناء تلك السنة فنزل لكسر السد السلطان بنفسه على جارى العادة فكان له موكب عظيم وكان ذلك آخر مواكبه فلما كسر السد وطلع الى القلعة حم من يومه ولزم الفراش ثم ثقل فى المرض وسلسل وكان القائم بتدبير أمور المملكة الامير خير بك والمقر الشهابى أحمد بن العينى فعينوا الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب بان يخرج الى العقبة بسبب فساد العربان فخرج وتوجه الى العقبة ووصل الى الازلم ثم عينوا الامير قرقماس الجلب أمير سلاح والامير يشبك الفقيه أمير دوادار كبير بان يتوجهوا الى نحو الصعيد بسبب فساد العربان وكل ذلك عن لسان السلطان وهو ملازم الفراش على غير استواء فخرج هؤلاء مسرعين من غير تأخير وكان الامير خير بك متخيلا من هؤلاء الامراء فاخرجهم بسرعة حتى يصفو له الوقت ويبلغ

قصده فكان كما قيل

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ولما ثقل السلطان خشقدم فى المرض نزل بفرس من الاسطبل من الخيول الخاص وعرضه على الامراء للبيع فاشتراه ابن العينى بخمسمائة دينار وقيل بالف دينار فلما أرسل ثمنه للسلطان تصدق بثمنه كله على الفقراء وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك اذا حصل لهم توعك يفعلون ذلك انتهى وفى مدة توعك السلطان اضطربت أحوال الديار المصرية وصار الامير تمر الوالى يطوف فى كل ليلة فى المدينة معه مماليك ملبسة والمشاعلية تنادى كل من يمشى فى الليل يقطع أنفه وآذانه واستمر السلطان مريضا نحو أربعين يوما فلما كان يوم السبت بعد الظهر عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة توفى السلطان الملك الظاهر خشقدم ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء وعمره ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة ومات بحمى كبدية وخلف من الاولاد صبيين وهما سيدى منصور وأخوه فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يوما عافيها من مدة توعكه وانقطاعه وكان ملكا جليلا مهيبا كفؤا للسلطنة عارفا باحوال المملكة وكان حسن الشكل معتدل القامة مترك الوجه أحمر اللون مستدير اللحية ضخم الجسم شائب الذقن فصيح اللسان بالعربى وكان ماشيا على النظام القديم تابعا لطريقة الملوك السالفة فى عمل المواكب فى القصر الكبير والمبيت به فى كل ليلة اثنين وخميس وكان ماشيا على طريقة استاذه الملك المؤيد شيخ فى كسر السد بنفسه ولبس الصوف فى المطعم وكان كثير الرمايات فى كل سنة ويشق من القاهرة فى المواكب الجليلة وكان يدور فى كل سنة المحمل فى رجب وتسوق الرماحة على جارى العادة أربعين يوما ثم يلبسوا الاحمر وتزين القاهرة ثلاثة أيام ويخرج الناس فى ذلك عن الحد فى التصف والفرجة وكانت أيامه كلها لهو وانشراح ولم يجىء فى أيامه الطاعون بمصر ولا جرد تجريدة الى البلاد الشامية وكان ترفا فى ملبسه فصنع له ركبا من ذهب ومهاميز من ذهب وكان يلبس السمور الاسود الذى على لون الحبر لا يوجد الآن وكان يلبس القباء الصوف الفاخر ويبطنه بالمخمل الاحمر الكفوى وكان اذا ركب وساق لا ينفرد ذيله من تحت فخذه ولو ساق سوقا قويا وكان كريما على من يستحق الكرم بخيلا على من يستحق البخل لكن كان من مساويه جور مماليكه فى حق الناس ومن مساويه أنه كان غير عفيف عن الزنا واللواط ومن مساويه أنه كان سريع العزل للقضاة والمباشرين ويأخذ أموالهم ويعزلهم بسرعة ومن مساويه قتل جانى بك نائب جدة من غير ذنب وأخذ أموال ابن الاهناسى حتى رخام بيته بغير حق ولم يترك لاولاده شيأ وقتل جماعة من الامراء بغير ذنب وبالجملة انه كان

قليل الاذى بالنسبة الى من جاء بعده من الملوك وكان يحب العلماء والصلحاء وينقاد الى الشريعة وكانت البلاد على أيامه هادية من الفتن وهو آخر من مشى من الملوك على النظام القديم فأما أتابكيته فالمقر السيفي جرباش كرت أولا ثم قانم التاجر ثم بلباى وأما دواداريانه فالامير جانى بك نائب جدة والامير يشبك الفقيه وأما قضاته الشافعية فالقاضى يحيى المناوى تولى فى أيامه مرتين والقاضى علم الدين صالح البلقينى والقاضى صلاح الدين المكينى وأبو السعادات البلقينى والقاضى ولى الدين الاسيوطى وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين الديرى أولا ثم ابن الصواف ومحب الدين بن الشحنة تولى فى أيامه مرتين والقاضى برهان الدين الديرى وأما قضاته المالكية فالسيد الشريف القاضى حسام الدين بن حريز وأما قضاته الحنابلة فالقاضى عز الدين الحنبلى وأما كتاب السر فالقاضى محب الدين بن الشحنة أولا ثم ابراهيم بن الديرى ثم أبو بكر بن مزهر وأما نظار جيوشه فتاج الدين بن المقسى والقاضى كمال الدين بن ناظر الخاص يوسف وأما نظار خواصه فعبد الرحمن بن الكويز أولا ثم شرف الدين الانصارى والعلائى بن الاهناسى وتاج الدين بن المقسى وأما وزراؤه فعلاء الدين بن الاهناسى أولا وقد تولى الوزارة فى أيامه ثلاث مرات ثم ابن صنيعة ثم مجد الدين بن البقرى ثم الشرفى يوسف ثم البباوى ثم قاسم وشريكه عبد القادر وأما استاداريته فزين الدين أولا ثم مجد الدين بن البقرى ثم منصور ثم قاسم الكاشف ثم ابن كاتب غريب فهذه جملة من تولى فى أيامه من أرباب الوظائف من القضاة والمباشرين ﴿ذكر من توفى فى أيامه﴾ وهم قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وصالح البلقينى ويحيى المناوى وشمس الدين القرافى من أعيان نواب المالكية والاتابكى قانم التاجر وسيدى محمد بن الاشرف اينال توفى بثغر الاسكندرية وتوفى الامير تنم نائب الشام بدمشق وتوفى تمرباى ططر أحد المقدمين وتوفى الامير جانى بك الظريف بسجن المرقب ونقل بعد موته الى مصر ودفن بالصحراء فى القبة التى عمرت له بعد موته وتوفى الامير خشكلدى القوامى أحد الامراء الطبلخانات وكان من أعيان المؤيدية وقيل من الناصرية وتوفى من العلماء أيضا الشيخ جلال الدين المحلى وكان من أعيان علماء الشافعية والاصح انه توفى فى دولة الاشرف اينال كما تقدم وتوفى من المشايخ الشيخ عمر الكردى والشيخ محمد الشريقى الشاذلى والشيخ على الطيبى وتوفى فى أيامه من الشعراء شهاب الدين بن أبى السعود توفى بمكة وسيدى على بن بردبك والشيخ شهاب الدين ابن صالح وكان من فحول الشعراء ومن شعره فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا وقاله ارتجالا

بعثت الى بطيخا وقطرا * يشابه ذاك هذا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل * تولد فى الحقيقة من نبات

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر خشقدم وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى النصر سيف الدين بلباى المؤيدى

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بعصر بويع بالسلطنة بعد موت الملك الظاهر خشقدم تسلطن فى يوم السبت بعد العصر وهو اليوم العاشر من ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (أقول) وكان أصله جركسى الجنس جلبه الامير اينال ضضع من بلاد الجراكسة فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ فى سنة عشرين وثمانمائة فأقام فى الطبقة مدة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقى خاصكيا ثم بقى ساقيا فى دولة الملك الظاهر جقمق ثم بقى أمير عشرة ثم بقى أمير أربعين ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك الاشرف اينال ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الملك الظاهر خشقدم ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أتابك العساكر بعصر بعد موت قانم التاجر فى سنة سبعين وثمانمائة فلما توفى الظاهر خشقدم وقع الاتفاق على سلطنته دون الامراء فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة فاستجمعوا فى المقعد الذى فى باب السلسلة فبايعوه بالسلطنة ثم أحضروا له خلعة السلطنة فلبسها وركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة فلما تم أمره فى السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى تمربغا أمير مجلس خلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير مجلس عوضا عن تمربغا فنزل ابن العينى من باب السلسلة وسكن فى بيت جانى بك نائب جدة المطل على الخليج ثم خلع السلطان على المقر السيفى قنبك المحمودى واستقر به أمير سلاح عوضا عن الامير قرقماس الجلب وخلع على المقر السيفى بردبك هجين واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن ابن العينى فلما فعل ذلك لم يتم أمره فى السلطنة وبان عليه العجز وكان خشنا قليل المعرفة لانه كان يدعى بلباى المجنون فصار منقادا مع الامير خيربك الدوادار بشعرة ولا يتصرف فى شئ من أمور المملكة الا برأيه وصار مع المماليك الخشقدمية فى غاية البلية ثم ان الامير خيربك أشار على السلطان بلباى بأن يمسك الامير قرقماس الجلب والامير أرغون شاه استادار الصحبة والامير قلمطاى الاسحاقى فأرسل بالقبض عليهم وكان الملك الظاهر خشقدم

ارسلهم

أرسلهم الى نحو الصعيد مع الامير يشبك الفقيه كما تقدم فأرسل للقبض عليهم من هناك وأرسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما وقع ذلك نفرت منه قلوب الرعية وكان تدميره في تدبيره ثم لما أنفق على العسكر قطع نفقة أولاد الناس والخدام فكثر عليه الدعاء ثم ان النفقة تشحطت فشكا ذلك الى الامير خيربك فقال له يا مولانا السلطان ان كان في حاصلك شئ من المال فأنفقه على العسكر وقد صارت الخزائن بيدك خذ منها ما شئت فسمع له وطلع بماله جميعه جملة واحدة فأنفقه على العسكر وقد نفد منه ما كان حصله من حين كان جنديا ثم بعد أيام حضر الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب والامير جانى بك والامير قلقسير حاجب الحجاب وكان السلطان خشقدم أرسلهم الى العقبة بسبب فساد العربان فلما حضروا كان صحبتهم جماعة كثيرة من العربان نحو ستين انسانا وكان الامير أزبك انتهى في هذا السفر الى الازلم فلما عرض العربان على السلطان بلباى أمر بتوسيطهم أجمعين ولم يعرف الظالم من المظلوم فصاروا في ذمته وكان فيهم صغار دون البلوغ ثم لما رجع الامير أزبك من العقبة أشار خيربك على السلطان بلباى بأن يستقر به نائب الشام فلما طلع أزبك في يوم الجمعة الى القلعة خلع عليه السلطان بعد صلاة الجمعة وهو في باب الستارة خلعة واستقر به نائب الشام ورسم له بأن يتوجه الى الشام بعد ثلاثة أيام فخرج الى الشام في يوم الاثنين في أواخر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فلما توجه الامير أزبك الى الشام عمل السلطان الموكب وخلع على الامير قايتباى المحمودى واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن الامير أزبك لما بقي نائب الشام ثم ان الامير يشبك الفقيه حضر من الصعيد فأقره على حاله دوادارا كبيرا كما كان وكل ذلك ترتيب الامير خيربك الدوادار ثم ان الامير يشبك الفقيه قصد الوثوب على الامراء الخشقدمية وان يقبض على جماعة منهم فجمع خشداشينه وهم قنبك المحمودى أمير سلاح والامير جانى بك كوهية والامير مغلباى طاز والامير طوخ الزردكاش وجماعة المؤيدية كلهم فلبسوا آلة الحرب وركبوا في يوم الخميس فلما تحقق العسكر ذلك التف عليهم جماعة من الاينالية وجماعة من الاشرفية والمماليك السيفية فتوجهوا الى بيت الامير يشبك الفقيه فعند ذلك طلع الامير يشبك الفقيه الى المدرسة التي تسمى الجاولية فقعد هناك وحفر خندقا عند المدرسة الصرغتمشية وواحدا عند رأس الكبش وواحدا عند قناطر السباع ثم ركبوا المكحلة في شباك المدرسة الجاولية واستمروا في ذلك اليوم كله يقعون مع المماليك الخشقدمية فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة نزل الامير قايتباى رأس نوبة النوب من القلعة ومعه جماعة من المماليك الاينالية والظاهرية فتوجهوا الى الامير يشبك الفقيه وأوقعوا معه فكان بينهم واقعة عظيمة وقتل في ذلك اليوم ثلاثة

من المماليك السلطانية فلما كانت ليلة السبت هرب الامير يشبك الفقيه وهرب بقية الامراء المؤيدية وانكسروا كسرة قوية فنهب العوام بيوتهم وولى سعدهم وأتت عكوسهم فخابت أمالهم ولم ينفع اجتهادهم كما قيل فى المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم السبت سابع جمادى الاولى من سنة اثنتين وسبعين اجتمع الامراء بالقلعة وأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ووقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكى تمربغا كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم دخلوا بالظاهر بلباى الى البحرة وقيدوه ثم قبضوا على الامير قنبك المحمودى أمير سلاح وقيدوه وأدخلوه الى البحرة ثم ان الامير يشبك الفقيه توجه الى الامير قايتباى ثم قبضوا على الامير جانى بك كوهية ومغلباى طاز وطوخ الزردكاش وبقية المؤيدية من كبير وصغير ولم يتركوا منهم أحدا فأما الملك الظاهر بلباى فانه أقام فى البحرة يومين ثم نزلوا به هو والامير قنبك المحمودى فتوجهوا بهما الى السجن بثغر الاسكندرية وأما الامير يشبك الفقيه وطوخ الزردكاش فتوجهوا بهما الى ثغر دمياط وأما جانبك كوهية ومغلباى طاز فما أدرى فى أى مكان توجهوا بهم أفى ثغر دمياط مع الامير يشبك الفقيه أو لا فكانت مدة سلطنة الظاهر بلباى بالديار المصرية شهرين الا أربعة أيام وكانت كأنها سنة من النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل فى المعنى

ركب الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وبه زالت دولة المؤيدية كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وكان الظاهر بلباى من عمره أرشل قليل المعرفة وكان يعرف ببلباى المجنون وكان عمره كله فى غلاسة هو ومماليكه وكان ملبسه مغلسا من عمره وشكله سمج وتدبيره سيئ فجمع بين قبح الفعل والشكل وسوء الطباع ومقت اللسان كما قيل

وفظ غليظ الطبع لاودّ عنده * وليس لديه للاخلاء تأنيس
تواضعه كبر وتقريبه جفا * وترحيبه مقت وبشراه تعبيس

وقد زال سعده جملة واحدة فكانت أيامه أشر أيام مع قصرها وخرج ماله على أنحس وجه وكان مع خير بك الدوادار فى غاية الضنك ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط ولا يتصرف فى شئ من أمور المملكة الا بمشورة الامير خير بك فكان اذا سئل فى شئ يقول ايش كنت أنا قل له يعنى قل لخير بك حتى سمته العوام قل له وكان خير بك جعل السلطان بلباى آلة وهو يمهد لنفسه فى الباطن وقد طمعت آماله فى السلطنة وحدثته نفسه بذلك والله غالب على أمره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر بلباى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تمربغا الظاهري

وهو الاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثاني من ملوك الروم بمصر في العدد (أقول) كان أصله رومي الجنس من مشتروات الملك الظاهر جقمق ورباه صغيرا فلما تسلطن جقمق جعله خاصكيا ثم بقي من جملة السلحدارية ثم بقي خازندارا ثم بقي أمير أربعين ثم دوادارا ثانيا في اثناء دولة الملك الظاهر جقمق وسافر الى الحجاز أميرا في سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك المنصور عثمان بن جقمق ثم نفي الى ثغر الاسكندرية وسجن بها نحو ست سنين ثم نقله الملك الاشرف اينال الى مكة فأقام بها نحو ثلاث سنين فلما تسلطن الظاهر خشقدم رسم باحضاره من مكة فلما حضر خلع عليه واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب فأقام على ذلك مدة ثم نفاه الظاهر خشقدم الى ثغر الاسكندرية فأقام في السجن ثلاثة أيام هو والامير ازبك ططخ فشفع فيهم الاتابكي قانم التاجر فرسم السلطان باحضارهم فلما حضروا أقام على ذلك مدة ثم بقي أمير مجلس لما نفي الاتابكي جرباش كرت الى ثغر دمياط عندما بقي قانم التاجر أتابك العساكر ثم بقي أتابك العساكر في دولة الملك الظاهر بلباى عندما تسلطن فلما ركب المؤيدية وانكسر الامير يشبك الفقيه خلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ثم وقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكي تمربغا فأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا الاتابكي تمربغا بالسلطنة وذلك في يوم السبت سابع جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من الحراقة التي في باب السلسلة وركب من سلم المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفي قايتباى رأس نوبة النوب فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر أيضا ودقت له الكوسات بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة وفرح غالب الناس بولايته لانه كان رجلا عاقلا عارفا باحوال المملكة وكان كفؤا للسلطنة وقد اشتمل على جملة من المحاسن في علم الفروسية وغير ذلك من سائر الفنون حتى كان يزن بيده في القبان وكان يعقد البركاوات الحرير بيده وله غير ذلك محاسن كثيرة في فنون لعب الرمح والنشاب ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان فلم تكن حركاته سعيدة ولم تكن أيامه مديدة فكان كما قيل في المعنى

انى تأملت الزمان وفعله * في خفض ذي شرف ورفع الارذل

كطبائع الميزان في أفعاله * تضع الرواجح والنواقص تعتلي

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم

المقر السيفي قايتباى المحمودى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر السيفي جانبك قلقسيز واستقر به أمير سلاح عوضا عن قنبك المحمودى وخلع على المقر السيفي خيربك واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن يشبك الفقيه وخلع على المقر السيفي خشكلدى البيسقى واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن قايتباى المحمودى وخلع على المقر السيفي تمر الوالى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برديك هجين السابق أمير اخور كبير وخلع على الامير كسباى الخشقدمى واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير خيربك وفى تلك الايام كتب الامير كسباى كتابه على خوند بنت الملك الاشرف اينال ولكنه لم يدخل عليها ثم ان السلطان تمربغا رسم بالافراج عن الامير قرقماس الجلب فاحضره من ثغر الاسكندرية ثم رسم بالافراج عن الامير عمراز الشمسى فاحضره من ثغر دمياط وكذلك الامير دولات باى النجمى وهؤلاء من مماليك الاشرف برسباى ثم أنعم على الامير مغلباى الخشقدمى بتقدمة ألف وأنعم على جماعة كثيرة من الخشقدمية بامريات عشرة وامريات أربعين ثم انه رسم بتدوير المحمل الرجبى فى تلك السنة فساقوا الرماحة على العادة فى القرافة ومن الحوادث فى أيامه أنه قبض على الشرفى يحيى بن الامير يشبك الفقيه وصادره وأخذ منه نحو عشرة آلاف دينار وكان قصده يصادر أعيان الناس بسبب النفقة وقد صار مع المماليك الخشقدمية تحت الضنك والقهر فى كل يوم فلما كان ليلة الاثنين سادس رجب عمل السلطان الموكب فى القصر الكبير وطلع الامراء على جارى العادة الى القلعة فطلع الامير خيربك ودخل الى القصر فلما كان وقت المغرب غلقت أبواب القلعة ودخل جماعة من المماليك الخشقدمية ومعهم سيوف مسلولة فقبضوا على السلطان تمربغا وهو جالس فى الخرجاة المطلة على الرميلة وقبضوا على جماعة من الامراء وحبسوهم تحت الخرجاة التى يجلس فيها السلطان وكان الامير خيربك اتفق مع المماليك الاينالية فى الباطن بانه يمسك السلطان والامراء الظاهرية وتصير الاينالية والخشقدمية شيأ واحدا وأنه اذا امسك السلطان من فوق تركب الاينالية من أسفل فيمسكوا بقية الامراء وان خيربك يتسلطن فانخرم معهم الحساب وضلوا عن الصواب كما قيل

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

فلما مسك السلطان تمربغا ومعه جماعة من الامراء الذين طلعوا الى القلعة فى تلك الليلة ظن خيربك أنه قد تسلطن ووصل الى ذلك فجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الظاهر مثل استاذه خشقدم وباس له الارض المماليك الخشقدمية وأنعم على جماعة منهم بوظائف سنية وتصرف فى تلك الليلة بما يقتضيه له الاختيار ولسان الحال يناديه كلام الليل يمحوه النهار وكان الاتابكى قايتباى غائبا فى الربيع لم يطلع فى تلك الليلة الى القلعة مع الامراء فلما بلغه خبر مسك السلطان والامراء ركب تحت الليل ودار على جماعة الظاهرية من

خشداشينه ثم داروا على الاينالية واستمالوهم على خيربك وقالوا لهم نحن نرضيكم فوقع الاتفاق فى تلك الليلة على خلع السلطان تمربغا وان الاتابكى قايتباى هو السلطان وان يقبضوا على الخشقدمية كلهم فلما وقع القرار على ذلك باس الارض تحت الليل للاتابكى قايتباى أعيان الاينالية وأركبوه وطلعوا به الى الرميلة فلما بلغ خيربك ماجرى اضطربت أحواله وضاق به الأمر وأدركه طلوع النهار فأخرج السلطان تمربغا من تحت الطرجاة و الامراء الذين سجنوا معه واجلس السلطان على مرتبته وباس له الارض ثم انسطح بين يديه وقال له وسطنى فانى كنت باغيا عليك فقال له السلطان يا أمير دوادار لا أنت ولا أنا بقى لنا بقاء فلما طلع النهار ملك الظاهرية والاينالية باب السلسلة وانكسر الخشقدمية فطلع الاتابكى قايتباى الى باب السلسلة وجلس فى المقعد الذى يطل على الرميلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة ثم خلعوا الظاهر تمربغا من السلطنة وولوا الاتابكى قايتباى كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلما طلع السلطان قايتباى الى القلعة قبض على المقر السيفى خيربك وعلى المقر السيفى الشهابى أحمد بن العينى وعلى الامير كسباى الدوادار وعلى الامير خشكلدى المعروف بالبيسقى وعلى الامير مغلباى وعلى جماعة كثيرة من الامراء الخشقدمية فقيدوا الامير خيربك وابن العينى وسجنوا فى مكان بالقلعة ومعهم المهتار عبد الكريم وأما الملك الظاهر تمربغا فادخلوه الى البحرة من غير قيد وهو فى غاية العز والعظمة وأكرمه السلطان قايتباى غاية الاكرام فانه كان أغات جميع ظاهرية جقمق فالكل جاؤا من بعده ثم ان السلطان رسم للملك الظاهر تمربغا بان يتوجه الى ثغر دمياط من غير قيد ولا سجن ورسم له بان يركب الى صلاة الجمعة ويتنزه فى غيطان دمياط فنزلوا به تحت الليل وتوجهوا به فى مركب الى ثغر دمياط فاقام بها فكانت مدة سلطنته بمصر ثمانية وخمسين يوما لاغير فكان كما قيل فى المعنى

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ولم يعلم باحد من ملوك الترك أنه خلع من السلطنة فى أقل من هذه المدة ولم تفد معرفة الملك الظاهر تمربغا شيأ أو عارضه الزمان كما قيل فى المعنى

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على ابنائه

وكيف كان تمربغا يمكث فى السلطنة والقسمة كانت من القدم لقايتباى وقد قال القائل فى المعنى

الرزق فى الوجوه * للمرء ملتزم

ماهو لمن سعى * الالمن قسم

واستمر الملك الظاهر تمربغا فى أرغد عيش بثغر دمياط حتى حسن له الشيطان أن يتسحب

من ثغر دمياط فتسحب من هنالك كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر تمربغا وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الحادي والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر (أقول) كان أصله جركسي الجنس جلبه الى مصر الخواجا محمود في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه منه الملك الاشرف برسباى هو وعدة مماليك صغار ضريبة كل مملوك خمسون دينارا فلما اشتراه أنزله بالطبقة وصار من جملة المماليك الكتابية واستمر على ذلك حتى توفي الاشرف برسباى وتسلطن الظاهر جقمق فاشتراه من بيت المال على يد حاسوك وصي الملك الاشرف برسباى هو وعدة مماليك كتابية واستمر في رق الظاهر جقمق حتى أعتقه ثم أخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي دوادارا كبيرا فلما توفي الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباى جعله رأس نوبة النوب عوضا عن أزبك بن ططخ لما بقي نائب الشام ثم لما تولى الظاهر تمربغا جعله أتابك العساكر عوضا عن نفسه فلما وثب خيربك على الظاهر تمربغا ووقع له ما تقدم ذكره وقع الاتفاق من العسكر على سلطنته وخلع الظاهر تمربغا وكان القائم في ذلك طائفة الاينالية والظاهرية فلما انكسر خاير بك وطائفة الخشقدمية حطم الامير يشبك بن مهدى كاشف الوجه القبلي مع جماعة من العسكر فملكوا باب السلسلة وقبضوا على خاير بك فنقلب العسكر على الظاهر تمربغا وأشرف على الخلع فعند ذلك طلع الاتابكي قايتباى الى باب السلسلة وجلس بالمقعد الذى به واشتوروا فيما يكون من الامر في الظاهر تمربغا فلم يوافق العسكر على ابقاء الظاهر تمربغا في السلطنة فأرسلوا خلف أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف فحضر وحضر القضاة الاربعة وهم ولي الدين الاسيوطي الشافعي ومحب الدين بن الشحنة الحنفي وحسام الدين بن حريز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر جماعة من الامراء فلما تكامل المجلس عملت صورة شرعية في خلع الظاهر تمربغا من السلطنة فخلعه الخليفة في الحال وبايع الاتابكي قايتباى وتلقب بالملك الاشرف ثم أحضروا له شعار الملك وهي العمامة السوداء والجبة السوداء التي بالطراز الذهب والسيف البداوى فلما أرادوا أن يفيضوا عليه شعار الملك تمنع من ذلك وبكى فالبسوه ذلك الشعار غصبا وهو يمتنع غاية الامتناع ثم قدمت اليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وأذن للامير جاني بك قلقسيز أمير سلاح بان يرد الصنجق السلطاني

على

على رأسه لعدم حضور القبة والطير من الزردخاناه فرفع الصنجق على رأسه وقد ترشح أمره للاتابكية فلما ركب سار ومشت قدامه الامراء بالشاش والقماش وركب الخليفة عن يمينه وسار حتى طلع من باب سر القصر الكبير فلما طلع جلس على سرير الملك وقبلت له الامراء الارض وذلك يوم الاثنين سادس رجب من السنة المذكورة فلما تمت بيعته وراج أمره خلع على الخليفة ونزل الى داره ثم خلع على المقر السيفى جانى بك قلقسير الاشرفى برسباى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه ونزل الى داره فى موكب حافل وقيل تولى الملك الاشرف قايتباى الملك وله من العمر نحو من خمس وخمسين سنة وقد وكزه الشيب قليلا ثم دخل يشبك بن مهدى وتمراز الشمسى على الظاهر تمربغا وأقاموه من فوق مرتبته وأدخلوه الى قاعة البحرة وهو فى غاية الاكرام ثم أخذوا منه النمجاه والترس والدواة وأحضروها بين يدى الاشرف قايتباى ثم ان الاشرف قايتباى رسم بتقييد خايربك فقيد هو وابن العينى وأدخلوهما الى مكان بالقرب من القصر الكبير وأدخلوا معهما عبد الكريم مهتار الملك الظاهر خشقدم وهو أول حكم وقع للاشرف قايتباى ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشهاب المنصورى

سلطاننا الاشرف فى بذله * وعدله قد جمع الفضلا
تقبل الله الذى عزه * بالنصر منه الصرف والعدلا

وكان لما أراد أن يلبس شعار الملك شرط على العسكر أنه لا ينفق عليهم نفقة البيعة فرضوا بذلك فلما تسلطن لم ينفق على العسكر شيأ ثم أخذ السلطان فى أسباب القبض على أعيان الخشقدمية فقبض على كسباى الدوادار الثانى وقد ظهر من بيت يشبك بن مهدى وقبض على مغلباى ورسم باخراجه الى القدس يقيم به بطالا ورسم باخراج كسباى الى حلب واختفى خشكلدى البيسقى ثم صار فى كل يوم يقبض على جماعة من الخشقدمية ويشتت شملهم ويسجنهم بالقلعة ما بين أمراء وخاصكية ثم ان السلطان رسم باحضار قرقماس الجلب من دمياط واحضار جماعة من الاشرفية منهم بيبرس خال العزيز ومنهم جانى بك المشد وبيبرس الطويل وكانوا بالقدس ثم أشار بعض الظاهرية على السلطان بعود هذه الجماعة الاشرفية الى القدس على عادتهم فخرج الامر من السلطان بان يعادوا بعد ما كانوا قد وصلوا الى قطيا فعادوا الى القدس وفى ثامن هذا الشهر رسم السلطان باخراج الظاهر تمربغا الى ثغر دمياط فخرج وهو فى غاية العز والاكرام من غير تقييد وقد رفق به وكان السلطان يرسل اليه فى كل يوم أسمطة حافلة وهو بالبحرة وعندما خرج للسفر اجتمع به السلطان واعتذر اليه فى أمر السلطنة وأن ذلك لم يكن باختياره وكان على كره منه وكان

بين تمر بغا وبين قايتباى أيمان عظيمة بأنه لا يغدر ولا يتسلطن فلم تتم هذه الايمان ثم ان السلطان ودع الظاهر تمر بغا ونزل من القلعة وهو راكب على فرس من مركب السلطان ونزل من باب القرافة بعد العشاء وتوجه الى ساحل البحر ونزل فى الحراقة وتوجه الى ثغر دمياط فلما وصل الى دمياط نزل فى أحسن دورها وكان يركب الى صلاة الجمعة واستمر بدمياط الى ان كان من أمره ما سنذكره وفيه اشار بعض الظاهرية على السلطان بان يطلق من كان سجنه من الخشقدمية ثم ان السلطان أخذ فى أسباب مصادرة خاير بك الذى تسلطن هو وابن العينى فطلب السلطان من خاير بك نحوا من ستين ألف دينار خارجا عن بركه وخيوله وسلاحه وغير ذلك وعلى ابن العينى نحوا من مائتى ألف دينار وذلك خارج عن بركه وسلاحه وغير ذلك وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم يردبك هجين وقرره فى امرية سلاح عوضا عن قانى بك المحمودى وخلع على يشبك بن مهدى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن خاير بك ولما حضر قرقماس الجلب من دمياط خلع عليه وقرره فى امرية مجلس عوضا عن ابن العينى وكان قرقماس الجلب لما نفى الى الاسكندرية أمير سلاح فنزل درجة الى أسفل وقرر فى الدوادارية الثانية قانبردى الابراهيمى الاينالى عوضا عن كسباى الخشقدمى وقرر فى ولاية القاهرة قانى باى الحسنى الاينالى عوضا عن اصباى البواب الخشقدمى وأنعم على قراجا الطويل الاينالى بتقدمة ألف ثم ان بعض الامراء شفع فى الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بدمياط من حين نفاه الظاهر خشقدم فى واقعة يرشباى مملوك جانى بك نائب جدة وقد تقدم ذكر ذلك فلما حضر خلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وفيه أخذ السلطان فى أسباب تعيين تجريدة الى شاه سوار بن دلغادر وقد تقدم ما وقع منه فى أيام الظاهر خشقدم وقد قويت شوكته والتف عليه عسكر ثقيل من التركمان وغيرهم وقد أظهر العصيان والمخامرة فخشى السلطان من أمره وأراد ان يأخذ أموره بالقوة وكان يمكنه أن يرسل الى سوار خلعة وهدية وتخمد هذه الفتنة فلم يوافق على ذلك وأخذ الاشياء بالعترسة فعين له تجريدة ثقيلة وعين بها الامير قلقسير الاتابكى ويردبك هجين أمير سلاح ونانق رأس نوبة النوب وتمر حاجب الحجاب وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعدة وافرة من الجند والغالب فيهم من المماليك الخشقدمية وجعل السلطان ذلك عوضا عن نفيهم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم جانى بك الفقيه الظاهرى وقرره فى الامراخورية الكبرى عوضا عن يردبك هجين وقرر فى الامراخورية الثانية يشبك حسن عوضا عن جانى بك الفقيه بحكم انتقاله وقرر فى حسبة القاهرة قانصوه الخفيف تاجر المماليك وأنعم عليه بامرية عشرة وفيه رسم السلطان باخراج خاير بك الذى تسلطن وقد سمته العوام سلطان ليلة فخرج تحت الليل وهو مقيد

راكب فرساوالاوجاقي يردفه على جاري العادة فلما وصل الى شاطئ البحر نزل فى الحراقة وانحدر حتى وصل الى ثغر اسكندرية فسجن بها ورجع من كان معه من الاينالية وبه زالت دولة الخشقدمية كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفيه نودى من قبل السلطان بابطال المشاهرة التى تتعلق بالمحتسب وهى نحو ألف دينار فى كل شهر فبطل ذلك مدة يسيرة ثم عاد بعد ذلك كل شئ على عادته وفيها ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع على الجند وكان أكثرهم اينالية وأمر منهم جماعة كثيرة حتى رضوا وكان قصدهم اثارة فتنة واتفقوا مع الخشقدمية على ذلك ثم غلب سعد الاشرف قايتباى على ما قصدوه وخمدت تلك الفتنة وفيه قرر فى أتابكية دمشق شادى بك الجلبانى عوضا عن برامرد العثمانى بحكم القبض عليه وفيه وصل سودون البرقى من دمشق من غير اذن السلطان وكان عين من جملة المقدمين بمصر فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وعين للتجريدة وكان مريضا فعفى من السفر وأقام بمصر مدة ومات وفيه أحضر أزدمر الابراهيمى الطويل وكان مسجونا بقلعة دمشق فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وقد صار يدارى الاينالية مداراة وفيه عرض السلطان العسكر بسبب التجريدة لسوار واستمر جالسا على الدكة وهو يعرض ويكتب الى ما بعد العصر ثم ضيق على أولاد الناس والزمهم بالسفر الى سوار أو يقيموا لهم بدلا فصار يأخذ من كل واحد كان لا يسافر مائة دينار عوضا عن البديل الى السفر وقرر على جماعة من المباشرين جملة مال وأمرهم باحضاره بسرعة ليستعين به على نفقة العسكر فهذه أول شدة وقعت منه فى حق الناس واستمر الامر منه يتزايد فى كل يوم حتى جاوز الحد فى ذلك وكان ما سنذكره فى موضعه فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للامراء المعينين للسفر فحمل للاتابكى جانى بك قلقسير أربعة آلاف دينار ثم حمل لبقية الامراء المقدمين لكل واحد ثلاثة آلاف دينار وللامراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار وأنفق على الجند لكل واحد من المماليك مائة دينار وهذا على العادة القديمة الجارية بها العوائد فلما تزايد أمر التجاريد تضاعفت النفقات جدا حتى بلغت نفقة الاتابكى ازبك بن ططخ نحوا من ثلاثين ألف دينار فى كل سفرة على ما سيأتى ذكر ذلك فى محله وفى شعبان خلع السلطان على يشبك السيفى على باى وقرره فى نيابة قلعة دمشق وقرر فى حجوبية الحجاب بدمشق ابراهيم بن بيغوت وقرر فى نيابة قلعة حلب تمرباى أخو الماس وفيه أحضر السلطان الشهابى أحمد بن العينى بين يديه فى الدهيشة ووبخه بالكلام بسبب ما قرر عليه من المال الذى لم يورد منه شيأ فسطحه على الارض بالدهيشة وقام وضربه بيده نحوا من عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه وأغمى عليه فشفع فيه بعض الامراء

وتوجهوا به الى طبقة الزمام فأقام بها أياما ثم تسلمه يشبك بن مهدى أمير دوادار كبير فنزل
به الى داره ليورد ما قرر عليه من المال وكان ابن العينى لما قرر فى امرية مجلس ونزل من باب
السلسلة سكن فى بيت جانى بك نائب جدة المشهور فلما انكسر خاير بك وزال أمر
الخشقدمية نهبوا بيت ابن العينى عن آخره حتى قيل نهب له من البرك والقماش شئ بنحو من
خمسين ألف دينار وكان ابن العينى ماشيا على طريقة أولاد السلاطين حتى أطلق عليه
عزيز مصر وربما تعصب له بعض جماعة من الخشقدمية بانه يتسلطن بعد خلع الظاهر
بلباى من السلطنة ولم يتم له ذلك وقد لطف الله تعالى به حيث لم يتسلطن فكان يقضى عمره
كله فى القيد والسجن الى أن يموت وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشره خرج الامراء والعسكر
المعينون للتجريدة وكان لهم يوم مشهود وهذه أول تجريدة خرجت من مصر الى شاه سوار
فكانوا نحو عشرين أميرا ما بين مقدمى ألوف وطبلخانات وعشراوات ومن الجند فوق ألف
مملوك ثم فى ليالى السفر أنفق السلطان جامكية أربعة أشهر معجلا وصرف لهم الكسوة
وأعطى لكل واحد منهم جملا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وفيه ركب السلطان
ودار على الميدان حول القلعة فلما عاد طلع من باب السلسلة وكان نزل الى الميدان
وهو أول ركوبه ونزوله من القلعة وهو سلطان ثم تكرر ركوبه من بعد ذلك ليلا
ونهارا حتى خرج ذلك عن الحد فترك بعض المؤرخين ضبط ركوبه ونزوله من القلعة
اذ لم يحص ذلك بعد ان كان ركوب السلطان نادرة مما يؤرخ فى التواريخ القديمة وفيه
اختفى الوزير قاسم شغيته فلما اختفى خلع السلطان على عبد القادر ناظر الدولة بالتحدث
فى الوزارة حتى يقرر بها من يختار وفيه قرر مرداش العثمانى فى نيابة القدس عوضا
عن محمد بن حسن بن أيوب وقرر فى نظر القدس بردبك التاجى عوضا عن حسن التميمى
وفيه خلع السلطان على شاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة وقرر أبو الفتح المنوفى
موقع السلطان وهو أمير فى نظر جدة مستوفيا على شاهين وفيه أفرج السلطان عن
الشهابى أحمد بن العينى وخلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وقد تحفظ أمره بواسطة
الامير يشبك الدوادار والتزم ابن العينى بأن يورد فى كل شهر عشرين ألف دينار من الذهب
النقد فكان جملة ما أورده للخزائن الشريفة مائة ألف دينار وتسعة وثلاثين ألف
دينار وذلك خارج عن تعلقاته وجهاته وهذه من النوادر الغريبة حيث جمع ابن العينى
هذه الاموال الجزيلة فى دون الاربع سنين منذ قرر فى التقدمة الى أن قبض عليه فعد ذلك
من النوادر وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الاولياء وعاد من طريق قناطر
السباع ودخل الى دار سودون البرقى وعاده فى مرضه وأقام عنده ساعة ثم ركب وطلع
الى القلعة وفيه أخرج السلطان جماعة من الخشقدمية الى جهة الوجه القبلى مع

الكشاف وغيرهم كما كانت عادة المماليك الاينالية وفيه قرر بيبرس الاشقرفي أتابكية صفد وفيه توفي سودون البرقي وكان يعرف بالتمشي وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وقاسى محنا وشدائد ونفي واختفى وكان انسانا حسنا وعندما بقي مقدم ألف مات في سنته وفيه خلع السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين الاهناسي وقرره في الوزارة عوضا عن قاسم شغيته وقرر ولده محمدا في نظر الدولة عوضا عن عبد القادر وفيه أشيع انه فقد من الخزينة السلطانية نحو عشرين ألف دينار فظهر ان خوند سواربای وسراري الظاهر خشقدم قد سرقوا ذلك فرسم السلطان على خوند سواربای وأقامت في الترسيم مدة حتى أرضت السلطان وفيه وصل الى الابواب الشريفة السيد علي بن بركات الحسني وقد غضب من أخيه محمد سلطان مكة فلما طلع الى القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه واستمر مقيما بمصر ورتب له ما يكفيه الى ان مات بعد مدة طويلة وكان السيد محمد سلطان مكة أرسل للسلطان ستين ألف دينار على انه يعوقه عنده بمصر حتى لا يقيم فتنة بمكة شرفها الله وعظمها وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما ورجعهما ثم سار الى بركة الحبش ولعب بالكرة ثم عاد الى القلعة وخلع على تاني بك المعلم كاملية بسمور وقد أعجبه ضربه الكرة وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وهو أول بخاري ختم للسلطان وكان يوما مشهودا وحضر القضاة الاربعة وأعيان العلماء وفرقت الصرر على من له عادة وكذلك الخلع فرقت على أعيان العلماء وكان ختما حافلا وفي شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة وتشحطت الغلال وارتفع سعرها فاشتكت الناس للسلطان وصار اذا شق من القاهرة يسمعوه الكلام المنكي وفيه توعك السلطان وانقطع من الموكب أياما ثم شفي فأقيمت الخدمة بالقصر لاجل خروج الحاج وفيه قدم جاني بك حبيب من بلاد الروم وكان هاربا من أيام الظاهر خشقدم فتوجه الى بلاد ابن عثمان فلما حضر أكرمه السلطان وخلع عليه وبعث اليه الامير يشبك الدوادار بألف دينار ليرقع أحواله وفيه جاءت الاخبار بوفاة نظام الدين بن مفلح قاضي القضاة الحنبلي بدمشق وكان من أهل العلم وفيه صعدت الى القلعة خوند فاطمة بنت العلائي علي بن خاصبك فكان لها يوم مشهود وكانت مقيمة بدار السلطان التي بسوق الغنم الى ان طلعت القلعة في ذلك اليوم وفي ذي القعدة جاءت الاخبار بأن العسكر الذي توجه الى شاه سوار قد انكسر كسرة شنيعة وأسر الاتابكي قلقسير وقتل جماعة من الامراء والجند وقتل منهم ما لا يحصى وكان غالب العسكر من الخشقدمية وقتل من الامراء المقدمين الامير بردبك هجين المحمودي الظاهري أمير سلاح وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان لا بأس به وجرح الامير تمر حاجب الحجاب في

وجهه وأما من قتل من الامراء العشراوات فنهم أيبك الاشرفى واسنبغا بن صفرخجا المؤيدى نائب باب القلعة وتمرباى الساقى الاشرفى وقانصوه النوروزى وتمرباى قزل الظاهرى وتانى بك السيفى وجانى بك النور وجانى بك البواب المؤيدى وقطلوباى المحمودى الاشرفى العزيزى ومغلباى الخليلى الاشرفى ويشبك الغزى الظاهرى ويشبك الاشقر قيل انه فوجر على سوار فضرب عنقه بين يديه وأما من قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فما انضبطوا وقد نهب برك الامراء والعسكر قاطبة والذى سلم دخل الى حلب فى أسوا حال من العرى والمشى وقد قوى أمر سوار وتوجه الى عينتاب وحاصر قلعتها وملك البلد وأشيع بين الناس أن ابن عثمان ملك الروم أرسل نجدة من عسكره الى سوار وفيه جاءت الاخبار من البحيرة بأن العربان قد تحالفوا على الخروج عن طاعة السلطان فوثبوا هنالك وأحرقوا الجرون ونهبوا بلاد المقطعين فلما بلغ السلطان ذلك عين تجريدة بها عدة من الامراء وعين تجريدة الى الشرقية وتجريدة الى الوجه القبلى بسبب أولاد ابن عمر ثم خلع على شيخ العرب صقر وقرره فى مشيخة عربان البحيرة ثم عزل خشقدم كاشف البحيرة وولاها المجد الصغير فلما وردت أخبار كسرة العسكر على يد سوار اشتغل السلطان بذلك عن كل شئ ودهمته هذه الامور الشنيعة عن التجاريد التى عينها وفيه ابتدأ السلطان بوقوع المساوى منه فأخرج قرية انبابه عن الخليفة المستنجد بالله يوسف وكانت بيده من حين تسلطن المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أقطعها له لما تسلطن فأخرجها السلطان عنه باسم جانى بك حبيب ثم بعد مدة يسيرة أخرج عنه جزيرة ابن الصابونى وأقطعها البعض مماليكه فعد ذلك من مساويه وفيه وصل قانصوه الجيلانى الحاجب بدمشق وعلى يده مكاتيب أزبك نائب الشام يخبر فيها بكسر العسكر ودخولهم الى حلب وهم فى أسوا حال وان أزبك نائب الشام دخل الى حلب وهو مجروح فى وجهه وليس له برك ولا قماش ولا مماليك ودخل نائب حلب ونائب طرابلس على هذا الوجه ودخل غالب العسكر عرايا مشاة وكانت هذه الواقعة فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة فلما وردت هذه الاخبار ماجت القاهرة وحار السلطان فى أمره وما يظن ان سوارا يقوى على العسكر لكثرته وفيه جاءت الاخبار عقيب ذلك بأن سوارا سجن الاتابكى جانى بك قلقسيز فى جب وان عسكر سوار قد قوى بما نهبه من العسكر من خيول وسلاح وبرك وقد عزم سوار بأن يزحف على حلب فلما تحقق السلطان ذلك أمر بعقد مجلس بالقلعة فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة وهم ولى الدين الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حريز المالكى وعز الدين الحنبلى وحضر شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الاقصرائى ومشايخ من العلماء وحضر سائر الامراء وكان هذا المجلس بالحوش السلطانى فلما تكامل المجلس قام القاضى

كاتب السر أبو بكر بن مزهر وتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب الى الخليفة والقضاة ومشايخ العلم بما معناه من كلام طويل بأن بيت المال مشحوت من المال وان سوار الباغي قد استطال على البلاد وقتل العباد ولابد من خروج تجريدة عسكر لتحمي بلاد السلطان وأن العسكر يحتاج الى نفقة وليس في بيت المال شئ وان كثيرا من الناس معهم زيادة في أرزاقهم ووظائفهم وأن الاوقاف قد كثرت على الجوامع والمساجد وان قصد السلطان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض الى الذخيرة فمال الخليفة وقضاة الجماعة الى شئ من معنى الاجابة الى ذلك فبينما هم على ذلك اذ حضر شيخ الاسلام أمين الدين الاقصرائي الحنفي وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه السلطان فلما حضر أعاد اليه كاتب السر الكلام الذي وقع في أول المجلس فلما سمع هذا الكلام أنكره غاية الانكار وقال في الملا العام من ذلك المجلس لا يحل للسلطان أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعي واذا نفد جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي الامراء والجند وحلى النساء فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم ان كان ضروريا في المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة وهذا هو دين الله تعالى ان سمعت آجرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ما شئت فانا نخشى من الله تعالى أن يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك وأوضحتم له الحق ولكن السلطان ان أراد أن يفعل شيأ يخالف الشرع فلا يجمعنا ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مؤنة هذا الامر كله ثم قام فانجبه منه السلطان وانفض المجلس من غير طائل وكثر القال والقيل وشكر الامراء الشيخ أمين الدين على ذلك وغالب الناس وكثر الدعاء في ذلك اليوم للشيخ أمين الدين رحمه الله وعد هذا المجلس من النوادر ثم ان السلطان نادى للجند بالعرض وأخذ في أسباب خروج تجريدة فلما ان دخل الدهيشة وهو في غاية الحدة من الشيخ أمين الدين الاقصرائي واذا بالاخبار جاءت اليه من ثغر دمياط بفرار الظاهر تمربغا من دمياط وان شيخ العرب محمد بن عجلان وعيسى بن سيف الدين أنزلوه في مركب وطلعوا به من الطينة وقصدوا به نواحي حلب فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وضاق الامر عليه من كل جانب ونسي ما كان فيه من أمر سوار وعرض العسكر ثم زاد القال والقيل في هروب الظاهر تمربغا من دمياط فعند ذلك عين السلطان يشبك الدوادار بأن يخرج ويلاقي الظاهر تمربغا من غزة فخرج على جرائد الخيل مسرعا ثم ان السلطان نادى في القاهرة بأن لا يخرج أحد من بيته بعد صلاة العشاء ولا يحمل سلاحا ولا يحصل كلام وحصل للناس في تلك الايام غاية القلق وفيه قرر في قضاء الشافعية بدمشق قطب الدين الخيضري عوضا عن ابن الصابوني مضافا لما بيده من كتابة السر ثم قرر في نظر الجيش

البدر ابن المزلق عوضا عن ابن الصابونى أيضا بحكم القبض عليه وفيه جاءت الاخبار بأن سبع وسباع ولدى هجار وثبا على الينابعة وكان قد خرج اليهما على بن بركات أخو صاحب مكة المشرفة فكسروه وهذه أول فتنة الينبع وفيه عين السلطان تجريدة الى سوار وهى التجريدة الثانية فعين بها من الامراء قرقماس الجلب أمير مجلس باش العسكر وسودون القصروى وقراجا الطويل الاينالى وازدمر الطويل الاينالى وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعين من الجند فوق الالف مملوك وفيه جاءت الاخبار بأن سوار قد أطلق الاتابكى جانى بك قلقسيز وقد وصل الى قرب حلب وفيه جاءت الاخبار بقتل سبع وسباع ولدى هجار أمير الينبع وقد وقعت فتنة عظيمة بالينبع بين خنافر وبينهما حتى قتلهما وكان سبع وسباع حصل منهما غاية الضرر الشامل ۞ وفى ذى الحجة توفى شخص يسمى عصام الدين البخارى الحنفى وكان من أهل العلم وكان أكثر اقامته بدمشق واشتغل بدمشق على جماعة على مذهب أبى حنيفة وكان من الافاضل وفيه جاءت الاخبار من غزة بأن أرغون شاه الاشرفى قد قبض على الظاهر تمربغا فلما وصل الامير يشبك الى بلبيس تلقاه وحمله فى محفة وتوجه به من هناك الى ثغر الاسكندرية من غير تقييد ثم ان السلطان رفق به ولم يسجنه وقد رسم له بان يسكن بدار الملك العزيز التى بالاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة والعيدين ثم ان الظاهر تمربغا كتب للسلطان كتابا بخط يده وقال فيه المملوك تمربغا يقبل الارض وأرسل يعتذر اليه مما وقع منه بسبب تسحبه من دمياط واعتذر بأنه قصد التوجه الى شاه سوار ليصلح بينه و بين السلطان وتخمد هذه الفتنة كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر

وكان الظاهر تمربغا أرشل قليل الحظ معكوس الحركات فى أفعاله ليس له سعد ولا قسم له كما قيل

دع التعرض ان الامر مقدور * وليس للسعى فى الادراك تأثير
والمرء يعجز عن تحصيل خردلة * بالسعى ان لم تساعده المقادير

وفيه أيضا وصل أرغون شاه وعلى يده محضر بأنه سلم الظاهر تمربغا الى الامير يشبك الدوادار الكبير وتوجه من بلبيس الى الاسكندرية وكان أرغون شاه قبض على تمربغا لما خرج من الطينة فلما حضر أرغون شاه بين يدى السلطان شكره على ذلك وخلع عليه خلعة حافلة وأركبه على فرس بسرج ذهب وكنبوش فعز ذلك على جميع الظاهرية لكونه قبض على تمربغا ولم يكن هذا قصدهم وفيه تزايد سعر القمح وانتهى الى سبعمائة درهم كل اردب ففتح

السلطان شونه وباع منها بأقل من سبعمائة فحصل للناس بذلك بعض رفق وفيه ثارت المماليك بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع اليها وكادت أن تكون فتنة كبيرة وسبب ذلك تأخر الوزير عن حمل اللحم المرتب والخبز وفيه قبض السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين الاهناسي ووكل به في طبقة الزمام وفيه توقف النيل عن الزيادة ثلاثة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر القمح ثم بعث الله تعالى بالزيادة حتى حصل الوفاء ۞ وفيه توفي الشيخ تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على الشمني القسطيني ثم السكندري الحنفي وكان اماما عالما فاضلا خيرا دينا عارفا بالفقه والاصول وله تصانيف وتآليف في فنون العلم أجازه البلقيني وابن الملقن والعراقي وغير ذلك من العلماء وكان عين للقضاء الاكبر غير ما مرة وهو يمتنع من ذلك وفيه قبض على شخص سرق ستر الامام الليث بن سعد رضي الله عنه فرسم السلطان بقطع يده فشهر وقطعت يده وفيه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد السيوطي ثم السكندري الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا في العلم عارفا بالقراآت بالروايات السبع ومولده سنة ثمانمائة وفيه أفرج عن الصاحب شمس الدين الاهناسي وخلع عليه باعادة الوزارة وصرف ولده محمد عن نظر الدولة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أبي القاسم بن جهان شاه صاحب كرمان وكان لا بأس به ولي على كرمان بعد أبيه وجرى عليه أمور شتى وآخر الامر قتل وتوفي الشيخ أبو عبد الله محمد التونسي الموصلي المالكي رحمه الله تعالى وكان عالما فاضلا من أكابر علماء تونس وعاش نحوا من سبعين سنة وتوفي قانصوه خوتي الاشرفي أحد مقدمي الالوف بدمشق رحمه الله تعالى وتوفي قرا كبر العثماني المعروف بجمازا الخاصكي وكان لا بأس به رحمه الله تعالى وتوفي طوغان ميق العمري المؤيدي أحد الامراء العشراوات وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب طرابلس الغرب وفيه توفي القاضي علم الدين أبو الفضل بن جلود كاتب المماليك وكان أصله من الاقباط يسمى ابن اسحق وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة غاية وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الفتن والشرور والانكاد ما لا يكاد أن يضبط وقتل فيها من العسكر والامراء ما لا يحصى وتولى فيها ثلاثة سلاطين بل أربعة بخاير بك سلطان ليلة وتوفي فيها الظاهر خشقدم وتبدد شمل جماعة الخشقدمية وزالت دولتهم ووقع فيها غاية الفساد في البلاد الحلبية بسبب عصيان شاه سوار وقد تقدم ما جرى من الضرر في حق العسكر

۞ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فأمر السلطان بعقد مجلس بسبب مشترى مماليك الظاهر خشقدم فاشترى

من المماليك الكتابية نحوا من خمسمائة مملوك ضربية كل مملوك عشرة آلاف درهم وقد طمع فى حق أولاد الظاهر خشقدم وفيه خلع السلطان على عبد الكريم بن علم الدين بن جلود وقرره فى كتابة المماليك عوضا عن أبيه بحكم وفاته وكان شابا لم يلتح بعد وفيه عينت الاتابكية لازبك بن ططخ نائب الشام عوضا عن الاتابكى جانى بك قلقسيز بحكم أسره عند سوار نخرجت اليه البشارة بذلك وطلب الى مصر ليعالى الاتابكية وفيه أرسل السلطان بالقبض على تانى بك المعلم الذى توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وحمل للقدس بطالا وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا شهاب الدين بن المزلق الدمشقى وكان من أعيان التجار بدمشق ولم يكن يلى شيأ من الوظائف كأخيه وفيه توفى جانى بك قجا التمثى المؤيدى مات بطالا وكان بيده امرية عشرة وفيه فى ليلة خامس عشره خسف جميع جرم القمر حتى أظلمت الدنيا ودام على ذلك الى قرب آخر الليل حتى انجلى وفيه توفى شاد بك شبق الاشرفى نائب ملطية أولا ثم بقى مقدم ألف بدمشق وفيه كان وفاء النيل المبارك فلما وفى توجه الامير قرقماس الجلب أمير مجلس وفتح السد على العادة وفيه توفى أصيل الحصرى وهو ابن محمد بن ابراهيم بن على بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن عبد الله المغربى كان مالكى المذهب وكان عشير الناس كثير المداعبات والنوادر لطيف الذات محببا لارباب الدولة وعاش مدة من العمر طويلة وكان مولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وفيه حضر الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وقرر فى دولة الظاهر خشقدم فوجه الى ابن عثمان ملك الروم فأقام عنده حتى توفى الظاهر خشقدم فحضر الى القاهرة فلما مثل بين يدى السلطان خلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة بالتهنئة للسلطان بالملك وصحبته هدية حافلة وفى مستهل صفر توفى العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم الشروانى الشافعى وكان اماما عالما فاضلا نادرة عصره بارعا فى فنون العلم خضعت له الناس من أهل زمانه وشهرته تغنى عن مزيد ذكره ومولده سنة ثمانين وسبعمائة وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى نحو طرا والعدوية على سبيل التنزه فأقام هناك الى آخر النهار ومد هناك أسمطة حافلة ثم عاد الى القلعة وفيه توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على مشترى القمح ثم بعث الله بالزيادة وفيه خلع السلطان على بلباى الظاهرى أحد العشراوات وقرر فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قانصوه اليحياوى وقرر قانصوه اليحياوى نائب طرابلس عوضا عن اينال الاشقر وقرر اينال الاشقر فى نيابة حلب عوضا عن بردبك البجمقدار بحكم انتقاله الى نيابة الشام عوضا عن أزبك بن ططخ بحكم انتقاله الى الاتابكية عوضا عن

جانى بك قلقسيز بحكم أسره عند شاه سوار وفيه نودى على الفلوس الجدد بأربعة وعشرين
الرطل وكانت بستة وثلاثين فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفيه جاءت الاخبار
من ثغر دمياط بوفاة الامير مغلباى طاز الابوبكرى المؤيدى أحد مقدمى الالوف بمصر
مات بدمياط بطالا وكان خيرا دينا موصوفا بالشجاعة وهو صاحب الجامع الذى أنشأه
بدرب الخازن ومات وقد ناف على الثمانين سنة من العمر رحمه الله تعالى ونقل بعد موته الى
القاهرة ودفن بتربته التى أنشأها وفيه وصل المقر السيفى أزبك نائب الشام فلما صعد الى
القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه وقرره فى الاتابكية عوضا عن جانى بك قلقسيز بحكم
أسره عند سوار فنزل الى داره فى موكب حافل وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار
من ثغر الاسكندرية بوفاة خوند فاطمة بنت الاشرف اينال وكانت توجهت الى
الاسكندرية بسبب ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فطعنت هنالك
وماتت وكان الطعن عمالا بالاسكندرية فحملت الى القاهرة ودفنت بتربة أبيها الاشرف
اينال وكان تزوج بها كسباى الدوادار الثانى الخشقدمى ولم يدخل عليها وكانت قبل
ذلك تزوجت بالامير يونس البواب الدوادار الكبير وماتت وهى فى عصمة كسباى وكانت
شابة جميلة لها من العمر نحو من سبع وعشرين سنة فكثر عليها من الناس الاسف
والحزن والبكاء وكانت من الاخيار وفيه توقف السلطان عن صرف جوامك أولاد
الناس وجماعة من الفقهاء والمتعممين وأحضر قوسا ثقيلا وبه سهم نشاب طومار وصار
يدفعه لاولاد الناس فكل من لا يقدر على سحبه يقطع جامكيته فحصل لاولاد الناس
فى ذلك اليوم كسر خاطر وافتضح منهم جماعة ووبخهم بالكلام ونزلوا من القلعة
وهم فى غاية الفكر وقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك وفيه
توفى الطواشى سرور الطلابيهى شيخ الخدام بالحرم النبوى وكان قد طعن فى السن جدا
وتوفى القاضى شرف الدين عيسى العطولى الشافعى أحد نواب الشافعية وكان
لا بأس به وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان يوما حافلا مشهودا
وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك الظاهر يلباى المؤيدى مات
وهو بالسجن بالطاعون وقد قاسى شدائد ومحنا وآخر الامر مات قهرا وقد تقدم ذكره وفيه
هبط النيل سريعا فى أثناء توت فتزايد أمر الغلال وشطح سعر القمح وابتدأ وقوع
الطاعون بالقاهرة وفيه عين السلطان الامير ازدمر الطويل الاينالى بأن يخرج ومعه
خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية الى حفظ البلاد الحلبية ويقيم بحلب الى أن تحضر
التجريدة ويخرج عقيب ذلك وكان بلغ السلطان بأن عسكر سوار نزل على قلعة دربه

وحاصرها فبادر الامير ازدمر وخرج فى قلب الشتاء ليحفظ حلب وكان ذلك عين الصواب
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانم طاز الاشرفى أحد مقدمى الالوف بحلب مات وهو فى أسر
سوار وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ومات وقد جاوز الستين من العمر وفيه نزل
السلطان من القلعة وتوجه الى خانقاه سرياقوس ونصب هناك الخيام وأقام بها يومين
وعمل هناك أسمطة حافلة وحضر هناك مع السلطان قاصد حسن الطويل وقاصد ملك
الهند فكانت اقامتهم هنا مشهورة وحصل للسلطان بذلك انشراح ثم عاد الى القلعة وفيه
قبض السلطان على الصاحب شمس الدين الاهناسى والد الصاحب علاء الدين وسلمه الى
الامير يشبك الدوادار فعاقبه وسجنه عنده أياما ثم قرر عليه ألفى دينار وأطلقه وفيه
جلس السلطان على الدكة بالحوش لتفرقة الجامكية فقطع عدة جوامك لاولاد الناس
والمتعممين وأحضر عنده ثلاثة أقواس بعضها أقوى من بعض وصار كلما دعا باسم شخص من
أولاد الناس يدفع اليه من الاقواس قوسا ويأمره بجذبه فان أوفى جذبه كتبه للتجريدة أو
يحمل مائة دينار عن بدل السفر وان لم يجذبه قطع جامكيته وصار بعض الامراء يشفع فيمن
له ألف جامكية بان يبقى على حاله ومنهم من ألزمه بخمسين دينارا لمن له ألف جامكية فحصل
لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب هذه المصادرة وهان عليهم ترك الجامكية من كثرة
توبيخ السلطان لهم وفيه أنعم السلطان على برقوق شاد الشراب خاناه بتقدمة ألف وعلى
قنبردى الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم فى آخر الحوامك قطع عدة جوامك للفقهاء والمتعممين
وفعل بهم كما فعل باولاد الناس فى مصادراتهم وفيه أمر السلطان باحضار علاء الدين
ابن الصابونى فى الدهيشة فلما حضر أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا على رجليه
وألزمه بحمل مائة ألف دينار فأذعن الى ذلك ثم حمل الى طبقة الزمام فى الترسيم ووكل به
جماعة من الخاصكية الى أن يورد ما قرر عليه من المال وفيه خلع السلطان على يشبك
الدوادار خلعة حافلة كخلعة الاتابكى وقرره فى الوزارة مضافا للدوادارية الكبرى فاخذ
الوزارة عن الصاحب شمس الدين والد الصاحب علاء الدين الاهناسى وقرر قاسم شغيتة فى
نظر الدولة عوضا عن محمد بن شمس الدين الاهناسى فلما تم أمر يشبك فى الوزارة أخذ فى
قطع مرتبات اللحم التى كانت للفقهاء والمتعممين قاطبة وكان ذلك باذن السلطان ففتك
يشبك الدوادار غاية الفتك ورسم على جماعة من المتعممين وقصد أن يأخذ منهم ما أكلوه فى
الماضى وكان منهم من له أربع زبادى لحم والخمسة زبادى بل وأكثر من ذلك فرسم على
بدر الدين الدميرى كاتب كتكوت حتى شفع فيه بعض الامراء وهرب واختفى حمزة بن البشرى
واستمر مختفيا حتى مات بعد مدة وحصل للفقهاء والمتعممين فى هذه الحركة غاية الضرر

والبهدلة

والبهدلة وما أبقى ممكنا فى ذلك وقطع لحوم جماعة كثيرة من أولاد الناس والفقهاء والمتعممين والنساء وكان القائم فى ذلك قاسم شغيته وحسن للسلطان ذلك وهذا أول فتح باب المظالم وصار الامر يتزايد من بعد ذلك وكان فى الزمن القديم تباع الزيادى اللحم وتشترى النساء والفقهاء وغير ذلك من الناس فامتنع هذا الامر فى تلك الدولة وصار اللحم يصرف للمماليك فقط وكان الوزراء المتقدمون يسدون هذا المسد للديوان أحسن السداد مع كثرة اللحوم المرتبة للناس على ذلك الديوان وآخر من كان قائما بسداد هذا الديوان الصاحب علاء الدين ابن الاهناسى ثم ابن البباوى ثم ابن الصنيعة وغيره من الوزراء حتى ولى قاسم شغيته فحسن ليشبك الدوادار ذلك حتى فعل بالناس ما فعل وفيه خرج الاتابكى أزبك بن ططخ الى جهات البحيرة بسبب فساد العربان فأقام هناك مدة ثم عاد وفيه قرر سودون القصروى رأس نوبة النوب عوضا عن تانى بك الظاهرى بحكم وفاته وفيه قرر تانى بك الاينالى فى الدوادارية الثانية عوضا عن قنبردى الاينالى وقرر قانصوه الخفيف الاينالى فى شادية الشرابخاناه وقرر جانى باى الخفيف الاينالى فى تجارة المماليك وقرر مثقال الحبشى الساقى فى مشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن سرور الطلابيهى بحكم وفاته وكان مثقال هذا عشير الناس كثير الانهماك على شرب الراح فمقته السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب وفيه يقول المنصورى

عم ندى كف مثقال فراحته * فيها لمن أمه جود وافضال
واعجب له فرعاه الله من رجل * فيه قناطير خير وهو مثقال

وفيه أنفق السلطان على العسكر المعين للتجريدة الى سوار فاعطى لكل مملوك مائة دينار وفيه خلع السلطان على يشبك جن وقرره فى الحاج بركب المحمل وكان قد قرر قبل ذلك فى امرية الاخورية الثانية وخلع على يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج فى الركب الاول وفيه جاءت الاخبار بان حسن الطويل قد استولى على ممالك العراق وطرد من كان بها من الملوك وقد تزايدت عظمته جدا فخشى السلطان منه فى الباطن وأخذ حذره ولكن شغله عنه أمر سوار وفيه أرسل السلطان نفقات الامراء المعينين الى التجريدة فحمل لازدمر الطويل ستة آلاف دينار وحمل لقجماس الطويل أحد الامراء الطبلخانات خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتى دينار فكان الذى صرف على هذه التجريدة التى خرج فيها أزدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند وهم نحو من خمسمائة مملوك ما يزيد على مائتى ألف دينار فخرج ازدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند فى أوائل الشتا ليقيم فى حلب وفيه خرج علاء الدين بن الصابونى الى

دمشق وخرج معه خاصكي يقال له جاني بك الاشقر ليحضر مابقي عليه من المال الذى
التزم به فخرج الى دمشق فى الترسيم وفى ربيع الآخر طلع القضاة الى التهنئة بالشهر
فتكلم السلطان معهم فى المجلس فى قطع جوامك العواجز من الجند والنساء وأخذ يشكو
للقضاة من انشحات الديوان وخراب البلاد وصار يدعو على نفسه بالموت حتى يستريح مما
هو فيه من التعب فطال الكلام فى ذلك المجلس بسبب ذلك ثم انفض الامر من غير طائل
وقام القضاة ونزلوا من القلعة فلما فرق الجامكية فى الشهر الاول المذكور جلس على
عادته واستدعى بالجامكية وصار يقطع عدة جوامك للعواجز من الجند والايتام والنساء
وصار فى كل شهر على عادته تفرق الجامكية بحضرته و يقطع فى كل شهر للناس بحسب
مايختار منها وهو أول من جلس على تفرقة الجامكية بنفسه من الملوك واستمر ذلك من
بعده تفعله الملوك الى يومنا هذا فى كل يوم تفرق فيه الجامكية ولم يعهد هذا من ملك قبله
أنه حضر تفرقة الجامكية بنفسه وفيه قرر يشبك البجاسى الذى كان نائب حلب وعزل
فقرره السلطان فى نيابة حماه عوضا عن محمد بن مبارك فعد هذا من النوادر لكونه قرر
فى نيابة حماه بعد نيابة حلب وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره فى الحسبة
عوضا عن قانصوه الخفيف بحكم انتقاله الى شادية الشرابخاناه فجاء يشبك الجمالى فى
الحسبة على الاوضاع وصار له حرمة وافرة وفى جمادى الاولى توفى الأمير جوهر التركمانى
اليشبكى الخازندار الكبير والزمام وكان هندى الجنس سيئ الخلق غير محمود السيرة
وفيه خرج تمراز الشمسى قريب السلطان وتوجه الى الغربية للكشف على الجسور
وصار يتوجه اليها فى كل سنة ويقيم بها أشهرا وفيه توفى الغرس خليل والد شيخنا الشيخ
عبد الباسط الحنفى وهو خليل بن شاهين الصفوى الاشرفى وكان ذكيا لبيبا عارفا ولى
عدة وظائف سنية من الوزارة ونيابة الكرك ونيابة القدس ونيابة ملطية وأتابكية حلب
ونيابة الاسكندرية وتقدمة ألف بدمشق وحج بالناس أمير المحمل وكان من أعيان الرؤساء
وكان نادرة فى أولاد الناس وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان حنفى المذهب
اشتغل على جماعة من العلماء وأجازه فى الحديث الحافظ ابن حجر وفيه خلع على الطواشى
جوهر النوروزى الحبشى وقرره فى الزمامية والخازندارية الكبرى عوضا عن جوهر
التركمانى وفيه توفى الشيخ المسلك العارف بالله تعالى حسام الدين حسين بن محمود
الاصفهانى الرفاعى الشافعى وكان دينا خيرا لابأس به وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من
الوجه القبلى وقد نهب البلاد وأسر نساء العربان وأولادهم حتى قيل أحضر معه نحوا من
أربعمائة امرأة وقد مات منهن من الجوع عدة كثيرة فلما عاد يشبك حصل من العربان

بسبب ذلك ما لا خير فيه من البلاد وسلب المسافرين ووقع منهم غاية الفساد وفيه جاءت الاخبار بوفاة شيخ العرب حسن بن بغداد أحد مشايخ الغربية وكان فى سعة من المال فأحاط السلطان على موجوده قاطبة وفى جمادى الآخرة ارتفع سعر الغلال عما كان واشتد الغلاء على الناس وجاءت الاخبار بافشاء الطاعون باقليم البحيرة وفيه توفى الطواشى شاهين غزالى الظاهرى الرومى وكان بارعا فى الجمال وافتتن به كثير من النساء والرجال وكان حسن الشكل وافر العقل كثير الأدب حشما فى نفسه وكان فى سعة من المال غاويا متجرا وكان منهمكا فى ملاذ نفسه فلما مات نزل السلطان وصلى عليه ثم توجه من الصلاة الى بركة الحبش وأقام بها الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وفى شاهين غزالى يقول الشهاب المنصورى

قد صاغك الله من لطف ومن كرم * وزاد حسنك بالاحسان تزيينا

فاخفض جناح الرضا واصطد طيور وغى * من جوّا خلاصنا ان كنت شاهينا

﴿وقال آخر﴾

أيها العشاق اصغوا * واسمعوا حسن مقالى

كل عاشق لو غزال * وأنا شاهين غزالى

وفيه ذكرت أعجوبة نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى فى تاريخه أن شخصا من الجند يقال له يوسف السيفى يشبك الصوفى خرج ليسير نحو الجبل المقطم فرأى حصاة مرمية فى الارض فأخذها فاذا عليها مكتوب بخط جيد قديم قد قرب الوقت فاعتبروا واتقوا الله وهى كتابة بغير نقط ولا شكل فاحضرها بين يدى الشيخ أمين الدين الاقصرائى حتى رآها وتعجب من ذلك ولكن طعن فيها بعض الناس وقال انها مصنوعة والله أعلم بحقيقة ذلك وفيه عرض السلطان العسكر وأخذ فى أسباب خروج العسكر الى سوار وهى التجريدة الثانية فعين باش العسكر الاتابكى أزبك بن ططخ وقرقماس الجلب أمير مجلس وسودون القصروى رأس نوبة النوب وتمر حاجب الحجاب وقراجا الطويل الاينالى ومن الامراء الطبلخانات خاير بك بن حديد وجانى بك الزينى ومن الامراء العشراوات زيادة على العشرين أميرا ثم رسم لاولاد الناس من أراد السفر فليسافر ومن لم يسافر يحمل الى بيت المال مائة دينار ويقدم بها بدلا عنه وهذا لمن يكون له جامكية وأقطاع ومن لم يكن له أقطاع وله ألف دينار أوله جامكية القدر هم يحمل خمسة وعشرين دينارا وفيه قبض السلطان على الشهابى أحمد بن العينى وسجن بالقلعة ليورد بقية المال الذى كان قرر عليه فأقام بالقلعة أياما حتى حمل ما عليه من المال المقرر فعند ذلك خلع عليه السلطان ونزل الى داره وفيه أنفق السلطان على العسكر لكل مملوك مائة دينار ولكل أمير مقدم ألف ألف دينار وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار فكان

بجملة ما صرف على هذه التجريدة نحو من أربعمائة ألف دينار فلما كان يوم الموكب طلع قرقماس الجلب الى القلعة وطلب من السلطان الاعفاء من السفر وأظهر العجز وأن يكون طرخانا فى أى مكان يختار السلطان فلم يجب الى ذلك وخاشنه السلطان فى اللفظ وألزمه بالسفر وأكد عليه فلما نزل الى داره كثر القيل والقال بان ستكون فتنة فلما بلغ السلطان ذلك لم يؤثر عنده ونزل الى خليج الزعفران وأقام به الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وبطلت تلك الاشاعة وفى رجب حضر من البحيرة الاتابكى أزبك فلما رأت له النفقة تمنع من السفر وزعم أنه لا يطيق مماليك السلطان اذا عمل باش العسكر فلا زال يتلطف به حتى أجاب الى السفر وقبل منه النفقة وفيه وصل قاصد حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة تتضمن ما ملكه من القلاع من ملك العراقين وعلى يده عدة مفاتيح لعدة قلاع وحصون وأرسل يتملق للسلطان بان كل ما يملكه من البلاد هو زيادة فى ممالك السلطان وانه النائب عنه فيها فأكرم السلطان قاصده وأضافه وخلع عليه كاملية حافلة وأرسل الى حسن الطويل هدية حسنة سنية وأذن للقاصد بالسفر وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع لما أتى منه بعد ذلك ۞ وفيه توفى القاضى معين الدين ابن الطرابلسى الحنفى وهو محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى وكان عالما فاضلا ناب فى القضاء مدة ثم نزل عن ذلك ولزم العبادة والتصوف حتى مات وفيه أكمل السلطان تفرقة النفقة على العسكر المعين الى تجريدة سوار ثم ابتدأ بتفرقة الجمال ثم عجل لهم جامكية أربعة أشهر وأعطاهم الكسوة أيضا وأرضاهم بكل ما يمكن ووقع فى يوم تفرقة الجمال نادرة غريبة وهى أن الهجانة لما أحضروا الجمال وساقوها الى الميدان تزاحمت عند باب الميدان وقت دخولها فمات منها فى ساعة واحدة نحو من ثلثمائة بعير فتشاءم الناس لذلك وصرحوا بعدم نصرة العسكر وكذلك جرى وفيه كان ابتداء وقوع الطاعون بالقاهرة وهو أول طاعون وقع فى دولة الاشرف قايتباى وفى شعبان توفى قاضى القضاة المالكى حسام الدين بن حريز بن أبى القاسم الهاشمى القرشى العلوى الحسنى وكان أصله مغربيا من طربطاى ثم نشأ بمنفلوط وولى القضاء بها مدة طويلة وكان عالما فاضلا جوادا سمحا فى سعة من المال سمع على ولى الدين العراقى وغيره من العلماء وآل أمره الى أن ولى القضاء الاكبر بمصر وصفا له الوقت وطالت أيامه بها وعظم أمره فى القضاء وكان مولده سنة أربع وثمانمائة وكان يعاب بكثرة القيام فى أغراض نفسه ولما مات تولى من بعده أخوه عمر سراج الدين وقرر فى قضاء المالكية عوضا عن أخيه وتوفى المسند شمس الدين محمد بن النقاش الوفائى الصوفى الشافعى سمع الحديث من والده الشيخ سراج الدين عمر بن عمر بن حسن وفيه تزايد أمر الطاعون جدا وعمل فى الاطفال والمماليك والعبيد

والجوارى

والجوارى والغرباء عملا بلغا ذريعا حتى عظم الامر فى ذلك وفيه يقول الشهاب المنصورى

يا نعم عيشة مصر * وبئس ما قددهاها
لما فشا الطعن فيها * حاكى السهام وباها

وفيه خلع السلطان على المقر السيفى يشبك الدوادار وقرره فى الاستدارية مضافا لما بيده من الدوادارية والوزارة وكشوفية الكشاف فعظم أمره جدا وما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لاحد من الامراء قبله فكان الانسان اذا قرب من بابه يستعيذ بالله من هول مايرى من الظلمة التى ببابه فلما ولى يشبك الاستادارية قبض على مجد الدين بن البقرى وشرف الدين ابن كاتب غريب وطلب منهما مالا فحصل من ابن البقرى خمسة آلاف دينار وأما ابن كاتب غريب فانه أظهر العجز وحلف أنه لا يملك شيأ وكان متمرضا فرسم السلطان بحمله الى البرج الذى بالقلعة فسجن به وفيه خرج العسكر المعين الى سوار فخرجوا من القاهرة فى تجمل زائد وطلبوا اطلابا حافلة فخرج الاتابكى ازبك ومعه من العسكر والامراء ما تقدم ذكره وخرج قبل ذلك الامير ازدمر الطويل ومعه خمسمائة مملوك فصار الطاعون عمالا والتجريدة خارجة والعسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم ومات فى أثناء الطريق جماعة كثيرة بعد خروجهم من الريدانية وقيل ان السلطان نزل تحت الليل الى الاتابكى أزبك وأقام عنده ساعة وودعه وعاد الى القلعة كل ذلك تحت الليل ولم يشعر به أحد من الناس وفيه توفى الاديب البارع الفاضل الشهاب بن صالح وهو أحمد بن محمد بن صالح بن عثمان بن محمد بن محمد الشافعى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا من فحول الشعراء وله نظم حسن السبك ومولده سنة عشرين وثمانمائة ومن شعره الرقيق فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا قوله

بعثت الىّ بطيخا وقطرا * يشابه ذاك هذا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل * تولد فى الحقيقة من نبات

وله فى اسم فرج

شكى فؤادى هم الصدّ يا فرج * وفيك أصبح صدرى ضيقا حرجا
واستيأس القلب حتى رحت أنشده * يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا

والتورية فيه ثلاثية وفيه عظم أمر الطاعون بالقاهرة وصارت الغرباء يموتون فى الطرقات بعضهم على بعض فشرع الامير يشبك الدوادار فى بناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن وصارت تحمل اليه الطرحاء من الموتى فيكفنهم ويخرجهم ويدفنهم ويصرف عليهم من ماله فحصل للناس بذلك غاية الرفق فى تلك الايام وفى رمضان اشتد الغلاء والفناء بمصر والشام وحلب حتى قيل بيعت الغرارة القمح بدمشق بنحو من أربعين دينارا

وزيادة وفيه مات السلطان ولد اسمه سيدى أحمد وهو أول أولاده من خوند الخاصكية وكان عمر ابن السلطان نحوا من أربع سنين ثم ماتت له ابنة اسمها ست الجراكسة عمرها نحو من ست سنين من خوند أيضا وفيه توفى الطواشى لؤلؤ الزمام الاشرفى وكان خازندار كبير زمام وتوفى يشبك خازندار الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أمير عشرة ومات مغلباى الخشقدمى وكان من الامراء العشراوات ومات ابن أخت السلطان وكان شابا حسنا صغير السن ومات جان بلاط الاينالى أحد الامراء العشراوات ومات جكم المحمدى الخشقدمى أحد الامراء الطبلخانات وكان حاجب ثانى ومات اينال باى ميق الاشرفى أحد الامراء العشراوات ومات اقبردى الهوارى الاينالى أحد الامراء العشراوات ومات قانى باى الحسنى الاينالى رأس النوب ومات آنص باى الاعور الاينالى أمير اخور التبن والدريس ومات اركماس قرا أحد الامراء العشراوات ومات قانى باى الحسنى الاينالى أحد العشراوات وكان والى القاهرة وكان غير عسوف فى ولايته وفيه جاءت الاخبار بوفاة بيبرس خال الملك العزيز مات بالقدس بطالا وكان فى عشر الثمانين وولى عدة وظائف سنية وجرى عليه شدائد ومحن وكان الخشقدمى لا بأس به فى جماعة الاشرفية وفيه توفى الشيخ جمال الدين أبو الفضل خطيب مكة وهو محمد بن محمد بن أحمد العقيلى النويرى الشافعى وكان عالما فاضلا سمع على جماعة من العلماء وولى خطابة مكة ثم قدم الى مصر وأقام بها الى أن مات وكان معظما عند أرباب الدولة وقد ترشح أمره لان يلى القضاء بمصر فما تم له ذلك وفيه حصل للامير يشبك الدوادار توعك فى جسده فنزل اليه السلطان وعاده وفى شوال تناقص أمر الطاعون وأخذ فى الارتفاع بعد ما فتك فى الناس فتكا ذريعا وفيه خلع السلطان على قانى باى آنص الساقى وقرره فى الجوبية الثانية عوضا عن جكم ابن أخت السلطان بحكم وفاته وفيه كان وصول الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان بثغر الاسكندرية فاستأذن السلطان فى الحضور ليحج فأذن له فى ذلك فحضر فلما صعد الى القلعة ووقف بين يدى السلطان وأراد أن يقبل الارض نهاه السلطان عن ذلك وبالغ فى اكرامه ثم أحضر اليه كاملية بسمور وفوقانى أخضر بطرز ذهب وقدم اليه فرس بسرج ذهب وكنبوش فركب من الحوش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء فتوجه الى دار الاتابكى ازبك عند أخته زوجة ازبك وكان غائبا فى التجريدة فأقام عندها ثم بعد أيام أضافه السلطان بالبحرة ثم بعد ذلك ألبسه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ونزل فى موكب حافل فعد مجيئه الى مصر وطلوعه الى القلعة من النوادر ثم ان السلطان أخذ فى أسباب عمل برق للملك المنصور لاجل الحج وفيه خلع السلطان على خشقدم

الاحدى الطواشي وقرر رأس نوبة السقاة عوضا عن شاهين غزالى وخلع السلطان على مرجان النقوى الحبشي وقرره في مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة وفيه توفى اقباى اليشباوى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان شابا شجاعا بطلا وفيه أرسل السلطان الى الظاهر تمربغا وهو بالاسكندرية فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكاملية بسمور وأذن له في الركوب الى الصلاة في الجمعة والعيدين والى حيث شاء من أماكن الاسكندرية وفيه توفى الامير قانبردى الابراهيمي الاينالى أحد المقدمين الألوف بمصر وفيه جاءت الاخبار بقتل السلطان أبي سعيد بن أحمد بن سعيد بن سعدان شاه بن تمرلنك وكان متملكا على سمرقند وبخارى وقتل على يد حسن الطويل وكان من أجل ملوك الشرق قدرا فلما قتل تولى من بعده أحمد وهو باق على ملكه الى يومنا هذا وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر الاينالى وقرره في ولاية القاهرة فحسنت أوقاته بها ودام في الولاية نحوا من عشرين سنة وفيه استقر في مشيخة المدرسة الصلاحية المجاورة لقبة الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية عوضا عن زين العابدين ابن قاضى القضاة يحيى المناوى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة وخرج بصحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه السلطان باشياء كثيرة من برك وسنيح وغير ذلك وفيه لبس السلطان البياض في يوم الاثنين سادس عشريه الموافق لثالث عشر بشنس فخرج من الدهيشة لابس البياض وقد خالف العادة في ذلك بعدم لبسه له يوم الجمعة وهي العادة القديمة فعيب ذلك عليه وفيه عاد القاضى شرف الدين الانصارى من جبل نابلس وكان خرج بسبب جمع العشير المتوجه مع التجريدة فقيل انه صرف على جمع العشير من النفقة نحوا من مائتى ألف دينار وفيه نزل السلطان نحو قليوب ثم عرج على جسر أبي المنجا ثم عاد الى تربة يشبك الدوادار فأقام بها الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة وفي ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان العسكر لما وصل أخذ باب الملك وانهم في استظهار على العدو سوار ثم جاءت الاخبار من نائب حلب بقتل مال باى الاقطع أخو سوار وجماعة كثيرة من عسكره وبعث برأس مال باى الاقطع ومعها رأسان من أمرائه فلما حضرت تلك الرؤس طيف بها في القاهرة ثم علقت بباب زويلة وباب النصر وفيه جاءت الاخبار بموت خاير بك البهلوان وكان أحد الامراء بدمشق قتل هو وجماعة من العسكر في واقعة مال باى أخى سوار وفيه نزل السلطان وتوجه الى نحو طرا فأضاف هناك محمد بن البلاح فأقام الى آخر النهار وعاد وفيه سافر السلطان الى جهة بحيرة تنيس وكان معه من الامراء المقدمين برقوق الناصرى واستمر في هذه السفرة أياما وانقطع خبره عن الناس مدة وقد قرب عيد النحر فبعث مرسوما بطلب قاضى القضاة الشافعي ولى الدين

الاسيوطي ليصلي به صلاة عيد النحر بفارسكور فخرج القاضي بسرعة وأخذ معه أشياء
من نوع المآكل هدية للسلطان فتوجه الى نحو فارسكور فعيد السلطان هنالك وقطع أضحية
جماعة من أولاد الناس والفقهاء والنساء حتى الخوندات وجماعة كثيرة من الجند فحصل
للناس كسر خاطر بسبب ذلك وكان العسكر في هذا العيد غائبا في التجريدة والسلطان
مسافر وكان عقيب الفصل وقد فقدت الناس أولادهم وعيالهم وقطعت ضحاياهم المرتبة
لهم بالديوان السلطاني من قديم الزمان وفي يوم عيد النحر كانت بشارة النيل المبارك بما
جاءت به القاعدة ثم نودي عليه من غد واستمر السلطان في هذه السرحة غائبا نحوا من
أربعين يوما وطاف عدة بلاد من الشرقية والغربية فدخل عليه جملة تقادم من مشايخ
العربان والمدركين من خيول ومال وغير ذلك وكان خروجه الى السفر على حين غفلة ولم
يكن معه من الامراء المقدمين سوى برقوق وبعض أمراء عشراوات وبعض عسكر
ثم جاءت الاخبار بان السلطان قصد العود الى الديار المصرية وقد وصل الى بلبيس فلما وصل
الى الخانقاه خرج اليه أرباب الدولة قاطبة ثم نودي في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة
فلما كان يوم الخميس تاسع عشر الشهر المذكور دخل القاهرة من باب النصر في موكب حافل
وقد حمل القبة والطير على رأسه المقر السيفي برقوق أحد المقدمين وموجب ذلك غياب
الاتابكي أزبك بالتجريدة وكان له يوم مشهود ومشت قدامه الجنايب بالارقاب الزركش
ولاقاه الاوزان والشعراء والشبابة السلطانيه وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير
من عند مدرسة أم السلطان التي بالتبانة الى القلعة ونثر على رأسه خفايف الذهب والفضة
ومشت قدامه الامراء الرؤس النوب بالشاش والقماش من بين القصرين الى القلعة
واصطفت له المغاني من النساء في الدكاكين واستمر في ذلك اليوم موكب حافل حتى طلع الى
القلعة وهذا أول مواكبه الحافلة وصادف أن قاصد حسن الطويل كان حاضرا وصار
متعجبا من حسن هذا الموكب وكان قد حضر وعلى يده رأس أبي سعيد ملك سمرقند وقد
تقدم انه قتل على يد حسن الطويل فلما طلع السلطان الى القلعة وجلس على الدكة بالحوش
حضر قاصد حسن الطويل ورأس أبي سعيد معه في علبة وكان العسكر بالشاش والقماش
وكان الموكب عاما فلما انفض الموكب أقام السلطان بعد ذلك أياما ثم حضر تاني بك الظاهري
أحد رؤس النوب وكان من جملة من خرج في التجريدة فاخبر بكسر العسكر ورجوعه
من حلب وهذه ثاني كسرة وقعت لعسكر مصر مع سوار فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت
أحواله وماجت القاهرة بمن فيها وكان سبب انكسار العسكر أن سوار تحيل عليهم حتى
دخلوا في مواضع ضيقة بين أشجار فخرج عليهم السواد الاعظم من التركمان بالقسي
والنشاب والسيوف والاطبار فقتلوا من العسكر ما لا يحصى عددهم وأخبر تاني بك بقتل

الامير قرقماس الجلب وكان يعرف بقرقماس بن يشبك جا الاشرفى وكان أميرا جليلا حشمارئيسا يقرب للاشرف برسباى وولى عدة وظائف سنية منها رأس نوبة النوب وامرية مجلس وامرية السلاح ثم جرى عليه فى دولة الظاهر بلباى ماتقدم ذكره وسجن ثم أطلق ووجه الى دمياط ثم عاد الى مصر فى دولة الاشرف قايتباى وأعيد الى امرية مجلس وخرج الى التجريدة وقتل فى المعركة وأخبر بموت جماعة من الامراء وغيرهم منهم سودون القصروى رأس نوبة النوب مات بحلب وكان مجروحا فحمل الى حلب ومات بها وكان قد طعن فى السن ونيف على الثمانين سنة فى العمر وكان انسانا حسنا دينا خيرا وهو صاحب المدرسة التى بخط الباطلية بجوار داره وولى عدة وظائف سنية منها نيابة قلعة مصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى راس نوبة النوب ومات بحلب وكان أصله من مماليك قصروه نائب الشام وكان دواداره وتوفى برسباى أمير اخور ثانى وكان يعرف ببرسباى الابوبكرى وكان أمير عشرة وراس نوبة وتوفى اينال باى بن ميق الاينالى وكان أمير عشرة وتوفى تغرى بردى الارمنى المنصورى وتوفى طقطمش المحمدى الاشرفى برسباى قيل رماة سوار من أعلى السورفات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار وفارس البكترى أحد العشراوات وقجماس الطويل الحسنى الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات ونوروز شكال ابن تغرى بردى الارمنى المنصورى أحد العشراوات ونوروز غرالعلائى الاشرفى برسباى قيل رماة سوار من أعلى السورفات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار بن عينى الاشرفى أحد العشراوات وكان أمير خازندار وقانم بيضا اليوسفى الظاهرى أحد العشراوات وقتل أيضا من أمراء دمشق الشرفى يحيى بن جانم نائب الشام أحد مقدمى الالوف بدمشق وكان يوصف بالشجاعة وقتل محمد بن تنم بن عبد الرزاق نائب الشام أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وحاجب ثانى بدمشق وفارس الشهمى أحد الامراء بدمشق وشادبك آمر الاينالى أتابك دمشق وعرباى الجلبانى أحد الامراء بدمشق وابراهيم بيغوت نائب حماه وكان حاجب الحجاب بدمشق وجانى بك السيفى تغرى برمش دوادار السلطان بدمشق وشادبك الحسنى الشعبانى أحد أمراء دمشق وعبد الرحمن الجزاوى أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن ضبطه وكانت هذه من الواقعات المشهورة التى لم يسمع بمثلها فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الامراء والعسكر صار بالقاهرة فى كل حارة نعى ليلا ونهارا مثل أيام الوباء فزاد قلق الناس من سوار ودخل الوهم فى قلوب العسكر مثل أيام تمرلنك وصاروا يرعدون من ذكره وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

يارب ان سواراقـــد بغى وبه * قدأصبح الناس فى ضيق وفى قلق
فاكسر سوارا وادعه فى السلاسل فى * خواتم الامر يستعطى من الحلق

(وقال آخر)

ان سوارا قدغـدا مخلخلا * عسكره قدحل فى دار البوار
يارب بشتت شمله حتى نرى * خواتم الامر له كسر سوار

وصار العسكر بعـد ذلك يدخلون الى القاهرة فى أفحش حال من العرى والجوع وبعضهم مجروح وبعضهم ضعيف وكان يدخل بعضهم وهو راكب على حمار أوجمل أويدخل ماشيا وهو عريان ولم يلاقوا فى هذه التجريدة خيرا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وفى ذى الحجة خلع السلطان على الامير برقوق الناصرى وقرره كاشف التراب بالشرقية وحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور وفيه توفى القاضى فتح الدين ابن وجيه الدين ابن سويد المالكى المصرى وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسن وكان عالما فاضلا فى مذهبه وناب فى القضاء وهو والد جلال الدين وكان لا بأس به وفيه توفى من الاتراك جانم المجنون الخشقدمى وكان أحد الامراء العشراوات وتوفى جقمق المؤيدى وكان أحـد الامراء العشراوات وتوفى اياس البجاسى نائب القدس وكان لا بأس به وتوفى العلائى على ابن القيسى وهو على ابن اسكنور بن تمار تمرمات مع السلطان لما أن خرج الى السرحة مرض فى أثناء الطريق ومات ثم نقل الى القاهرة على جمل ودفن فى تربته التى بباب الوزير وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف منها الحسبة وولاية القاهرة وحاجب الحجاب بمصر وكان عنده بعض خفة ووهج مع عسوفة وبطش وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة وفيه توفى الواعظ البارع المنشد عبد القادر بن محمد الوفائى وكان ممن له ذكر وشهرة فى فنه وكان لا بأس به وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريج وقد وقع فيها أمور شتى الغلاء والفناء والفتن ببلاد الشرق وقتل أمراء وعسكر ممن تقدم ذكرهم ووقع فيها مصادرات بسبب التجاريد وقطع أرزاق الناس من جوامك وغيرها وفقدت الناس فيها أولادهم وعيالهم وما لاقى أحد فيها خيرا

❁ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على الزينى أبى بكر ابن القاضى عبد الباسط وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف وفيه أخرج السلطان خرجا من جلبانه نحو المائتى مملوك وهذا أول خرج أخرجه فى سلطنته وسماهم الاشرفية وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى الوجه القبلى بسبب جمع المغل من البلاد القبلية وفيه جاءت الاخبار بوفاة تمرباى السيفى اخو الماس نائب قلعة حلب وكان شابا حسنا جميل الصورة وأصله من الاينالية وفيه دخل الحاج الى القاهرة ودخل صحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الظاهر جقمق فحج وعاد فلما طلع الى القلعة أجله

السلطان وأكرمه وخلع عليه كاملية بسمور وفوقها فوقانية أخضر بطرز زركش عريض حافل ونزل فى موكب حافل الى ان أتى دار الاتابكى أزبك وفيه عقد الامير يشبك الدوادار على خوند فاطمة بنت الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان العقد بالجامع الذى بالقلعة بين يدى السلطان والقضاة الاربعة حاضرون وسائر الامراء وفى صفر كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك الرابع والعشرين من مسرى فلما وفى نزل الامير لاجين الظاهرى أحد مقدمى الالوف وفتح السد على العادة وفيه أضاف السلطان الملك المنصور عثمان بالحرة وخلع عليه وأذن له بالتوجه الى ثغر دمياط فخرج وانحدر من يومه وقد وقع له أمور لم تقع لاحد من أبناء السلاطين قبله وكان لما حضر أذن له السلطان بان يلعب معه الاكرة فكان يلعب مع السلطان والامراء المقدمين وهو بند أصفر مثل السلطان وقد بالغ السلطان فى تعظيمه جدا وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن قرقماس الصغير نائب ملطية تقاتل مع عسكر سوار فكان بينهما واقعة عظيمة وقتل فيها من عسكر سوار فوق خمسمائة انسان وأسر جماعة كثيرة من أمرائه وأقاربه وكان ذلك بمكيدة صعدت بيد قرقماس حتى بلغ فيها ذلك وفيه توفى طومان باى المحمدى المعروف بدش سز الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفيت خوند فاطمة ابنة الظاهر ططر وأخت الملك الصالح محمد بن ططر وزوجة الملك الاشرف برسباى وماتت وعليها جملة ديون وفى ربيع الاول أنعم السلطان على يشبك جن بتقدمة ألف وأنعم على قانصوه الاحمدى المعروف بالخفيف بتقدمة ألف وقرر فى شادية الشربخاناه دولات باى حمام الاشرفى عوضا عن قانصوه الخفيف وقرر فى رأس النوبة الثانية بردبك المشطوب اليشبكى عوضا عن دولات باى حمام وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا وفيه توفى نخاص العثمانى الظاهرى أحد العشراوات وكان حاجبا ثانيا وفيه خلع السلطان على جانى بك حبيب العلائى الاينالى وقرره فى الامراخورية الثانية عوضا عن يشبك جن ودام فى هذه الوظيفة عدة سنين وفيه توفى الشيخ نور الدين على البطيى الضرير وكان من أعيان أهل العلم والفضل وكف بصره فى سابع سنة من عمره بجدرى أصابه فى عينه وكان يعرف بابن شاور البرلسى ومولده سنة ست أو سبع وثمانمائة وكان له نظم جيد وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى المحتسب وقرره فى امرية سلاح بركب المحمل وقرر فى امرية أول أقبردى بن أصباى الاشرفى برسباى وفيه توفى مغلباى ازن سقل الظاهرى المشقدمى وكان من أحد المقدمى الالوف بمصر ثم أخرج الى القدس بطالا لا فحاش به وكان أميرا دينا خيرا ولى عدة وظائف سنية منها شادية الشون وحسبة القاهرة ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم نفى الى القدس ومات به وفيه أرسل السلطان وقبض على زين الدين الاستادار وكان بطالا

مقيما فى داره فلما قبض عليه أحضره بين يديه وو بخه بالكلام ثم أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ثم سجنه بالبرج الذى بالقلعة وصار يحضره بين يديه كل يوم بعد يوم ويضربه أشد الضرب فمات وهو فى البرج فلما أعلموا السلطان بذلك لم يصدق بموته وأمر باحضاره بين يديه وهو ميت فكشف عن وجهه ورفسه برجله ثم أمر بحمله الى داره ليغسلوه ويدفنوه فحمل من القلعة الى داره وكان بين السلطان وبين زين الدين الاستادار عداوة قديمة من حين كان السلطان جنديا الى أن تسلطن فأخذ بثاره منه وقتله وكان يظن أن مع زين الدين الاستادار مالا فعاقبه وطلب منه من المال مالا يقدر عليه فمات تحت العقوبة وكان أصل زين الدين من الارمن وكان اسمه يحيى بن عبد الرزاق الارمنى وكان يعرف بالاشقر ابن كاتب علوان وكان يقرب لابن أبى الفرج وقد رأى فى دولة الظاهر جقمق من العز والعظمة مالم يره أحد بعده من الاستادارية وعظم أمره جدا وأنشأ بالقاهرة وغيرها عدة جوامع يخطب فيها وعدة مدارس وولى الاستادارية غير مامرة وغيرها من الوظائف وباشر الاستادارية أحسن مباشرة وأنشأ فيها من المظالم مالم يسمع بمثله وجرى عليه من الشدائد والمحن والانكاد مالا يعبر عنه وصودر غير مامرة وغرم الاموال الجزيلة وعصر فى أكعابه وضرب غير مامرة وغرم الاموال فى دول غير أيام قايتباى ونفى الى المدينة المنورة الشريفة والى القدس الشريف وغير ذلك من الاماكن وكان مولده قبل قرن الثمانمائة ولم يلق فى آخر عمره خيرا وله أخبار يطول شرحها رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه وفيه توفى شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن نفيس الاذرعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل سمع على جماعة من العلماء رضى الله عنهم وكان لابأس به وفى ربيع الآخر توفى القاضى شهاب الدين احمد بن سعيد بن السوسى المالكى المغربى قاضى قضاة المالكية بدمشق وولى قضاء الاسكندرية وكان من أهل العلم والفضل وجرت عليه أمور شتى وأذهب أموالا جمة على وظيفة القضاء وتوفى السيد الشريف أبو هاشم حمزة بن أحمد بن على الحسنى الدمشقى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه اليحياوى باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن اينال الاشقر وكتب الى اينال الاشقر بالحضور الى القاهرة على تقدمة ألف بها وفيه أرسل السلطان الى يشبك البجاسى نائب حماه باستقراره فى نيابة طرابلس وقرر موضعه فى نيابة حماه بلاط اليشبكى أحد مقدمى الالوف بدمشق وقرر فى تقدمة بلاط بدمشق تمراز أتابك حلب وقرر فى أتابكية حلب تغرى بردى بن يونس وقرر فى حجوبية الحجاب بدمشق محمد بن مبارك عوضا عن يغوت الماضى خبر موته فى واقعة سوار وفيه

قرر

قرر لاجين الظاهرى فى كشف الجسور بالبهنساوية وفيه قرر يشبك جن فى كشف الجسور بالبحيرة وفيه توفى قانصوه الساقى التمشى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان متمرضا من حين عاد من التجريدة وفيه جاءت الاخبار بان ابن رمضان أمير التركمان أخذ جماعة من التركمان وكبس على أعوان سوار وأخذ منهم قلعة سيس فسر السلطان بهذا الخبر وأرسل الى ابن رمضان خلعة سنية وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة قانى بك المحمودى المؤيدى الذى كان أمير سلاح بمصر ونفى الى الاسكندرية فى دولة الظاهر تمربغا فأقام بالبرج الى ان مات وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان فى أوائل عمره شجاعا بطلا وولى عدة وظائف سنية منها أمير مجلس وامرية سلاح وقاسى شدائد ومحنا فى آخر عمره الى ان مات وفى جمادى الاولى حضر الى القاهرة قراجا السيفى جانى بك نائب جدة أحد الامراء العشراوات وأخبر بان شاه سوار أطلق الاتابكى جانى بك قلقسير وبعث به الى حلب وقد أكرمه غاية الاكرام وقصد بذلك أن يرضى خاطر السلطان وقرر مع الاتابكى جانى بك قلقسير بأن يكون سفيرا بينه وبين السلطان فى أمر الصلح وفيه نزل السلطان الى الرماية ببركة الحاج وعاد من يومه وطلع من بين الترب وفيه ارتفع سعر الغلال حتى بلغ كل اردب قمح أربعة أشرفية وبلغ سعر كل اردب فول أو شعير ستمائة درهم وبلغ ثمن الحمل التبن نحو أشرفى ذهب وعمت هذه الغلوة سائر البلاد حتى البلاد الشامية وغيرها وفى جمادى الآخرة نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران على سبيل التنزه وأقام هناك ثلاثة أيام ثم عاد الى القلعة وفيه وصل اينال الاشقر الذى تقدم ذكره فأكرمه السلطان وخلع عليه ونزل الى دار اعدت له ثم انه بعد أيام خلع السلطان عليه وأقره فى رأس نوبة النوب الكبرى عوضا عن سودون القصروى بحكم وفاته بسبب تجريدة سوار كما تقدم وكانت هذه الوظيفة شاغرة من يومئذ وفيه توفى خشكلدى القوامى الناصرى وكان أحد الامراء الطبلخانات وكان جركسى الجنس من مشتروات الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا متواضعا وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وفيه توفى قاضى قضاة المالكية بدمشق محيى الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى المصرى المالكى وكان من أعيان علماء المالكية وناب فى الحكم بمصر مدة ثم ولى قضاء دمشق وتوفى تمرباى التمرازى أحد أمراء العشراوات وكان ولى المهمندارية وأقام بها مدة وفيه قرر أبو الفتح المنوفى كاتب السلطان وهو أمير فى نظر الاوقاف والبيمارستان بالقاهرة وأشيع بين الناس أن سبب ذلك تحكير الامير يشبك الدوادار الكبير على الغلال بالوجه القبلى ومنع المراكب من حمله وفيه يقول الشهاب المنصورى

وظالم منه أتانا الغلا * ياويله فى الحشر من ربه

فادعوا وقولوا ربنا اطمس على * أمواله واشدد على قلبه

وفيه خلع السلطان على لاجين وقرره أمير مجلس عوضا عن قرقماس الجلب وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل قرقماس الجلب فى واقعة سوار ثم بعد أيام وصل الاتابكى قلقسير وصعد الى القلعة فقام له السلطان واعتنقه ثم خلع عليه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وركب من باب البحرة ونزل من القلعة فى موكب حافل ثم بعد أيام خلع عليه السلطان وقرره فى امرية سلاح عوضا عن بردبك هجين بحكم وفاته فى واقعة سوار وكانت الوظيفة شاغرة ومن العجائب ان السلطان بعث بمرسوم بمنع جانى بك قلقسير من الدخول الى مصر وان يقيم بحلب فقدم جانى بك قبل وصول المرسوم الى حلب بسبعة أيام فلما حضر قرره فى امرية سلاح بعدما كان أميرا كبيرا وفيه قرر جقمق الظاهرى فى نيابة دمياط وفى شعبان كانت نهاية بناء السبيل الذى أنشأه السلطان بخط القشاشين من تحت الربع تجاه السبيل والمكتب فوقه نهاية فى الحسن ولا سيما فى ذلك المكان وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وكانت مدة غيبته نحوا من سبعة أشهر ففعل ببلاد الصعيد من المظالم مالا يسمع بمثله حتى انه شوى بالنار محمودا شيخ بنى عدى وخوزق من العربان جماعة وسلخ جلد جماعة ودفن جماعة فى التراب وهم أحياء وفعل بالعربان من أنواع هذا العذاب مالم يفعله أحد قبله فدخل الرعب فى قلوبهم فلما صعد الامير يشبك الى القلعة خلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل الى داره فى موكب حافل ثم بعد ذلك قدم للسلطان تقدمة سنية مما ينيف على مائة ألف دينار ما بين ذهب عين وخيول وقماش ورقيق وغلال وسكر وعسل وغير ذلك وفيه توفى سنطباى بن قصروه الاشقر الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان مريضا من حين عاد من التجريدة وفى رمضان أمر السلطان بفتح شونتين وبيع القمح منهما ماسعر ألف درهم الاردب وكان وصل سعره الى أربعة أشرفية كل اردب فحصل للناس بعض رفق وكثر الخبز على الدكاكين وفيه نودى من قبل السلطان بان من أخذ منه شئ من أولاد الناس وغيرهم بسبب بعث البدل الى التجريدة فليصعد الى القلعة فى ثامن هذا الشهر ليرد اليه ما أخذ منه من المبلغ فلما صعد أولاد الناس الى القلعة رد اليهم ما أخذ منهم بحكم النصف فتعجب الناس لذلك وما السبب فيه فعد ذلك من النوادر وفيه توفى القاضى حسام الدين بن بريطع الحنفى الدمشقى قاضى قضاة الحنفية بدمشق وكان من أعيان الحنفية ولى قضاء غزة وصفد وطرابلس ودمشق غير ما مرة وكان رئيسا حشما وله نظم ونثر جيد وخط جيد وألف الكتب الجليلة وفيه حضر الاتابكى أزبك وكان مقيما بحلب من حين كسر العسكر فدخل القاهرة هو ومن بقى معه من الامراء والعسكر وصحبته شاه بضاع أخو سوار الذى أخذ منه سوار البلاد فلما

صعد الاتابكى أزبك الى القلعة خلع عليه السلطان وعلى من معه من الامراء وعلى شاه بضاع وكان معه يحيى كاور أخو سوار أيضا وكان مسك قبل ذلك فلما مثل بين يدى السلطان أمر بسجنه فى البرج الذى بالقلعة وفيه اختفى القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الجيش فلما اختفى خلع السلطان على الزينى عبد الرحمن بن الكويز واعاده الى نظر الخاص وفيه صعد قاصد سوار الى القلعة وصحبته هدية للسلطان فلم يؤذن له فى صعودها معه وحضر بمكاتبة سوار فكان مضمونها انه يطلب الصلح من السلطان لكن على شروط منها لم يقبلها السلطان منها ان يكتب له السلطان تقليدا بامرية الابلستين وان ينعم عليه بتقدمة ألف بحلب وان فعل ذلك يسلم عينتاب للسلطان فطال الكلام من القاصد والسلطان ولم ينتظم الامر بينهما فى شئ من الصلح ونزل القاصد بغير خلعة وفيه خلع السلطان على الجمالى يوسف بن قطيس وقرره فى نيابة القدس عوضا عن دمرطاش العثمانى بحكم انتقاله الى نيابة سيس وفيه جاءت الأخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ بدر الدين ابن قاضى شهبة وهو محمد بن أبى بكر بن أحمد الاسدى الشهبى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه عارفا بمذهب الشافعية عالم الشام على الاطلاق وترشح أمره لقضاء دمشق غير ما مرة ومولده فى سنة ست وثمانمائة وفى شوال خلع السلطان على البدرى بدر الدين محمد بن الكويز وقرره فى معلمة المعلمين عوضا عن البدرى حسن بن الطولونى وفيه خرج الحاج من مصر فى تجمل زائد عن العادة وخرج صحبتهم الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية وكان متوعكا فى جسده فلما وصل الى ثغرة حامد مات هناك وكان عالما فاضلا بارعا سمع على جماعة من العلماء منهم ولى الدين العراقى وابن الجزرى والحافظ بن حجر وغيرهم من العلماء وولى عدة تداريس جليلة وكان من أعيان علماء الشافعية ومولده سنة ثمان وثمانمائة وفيه وقعت كائنة عظيمة لجلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكى وطلب الى بيت اينال الاشقر رأس نوبة النوب بسبب أوقاف باعها كانت موقوفة على مدرسة جده فغرم بسبب ذلك مالا له صورة وحصل له غاية البهدلة من اينال الاشقر وما خلص الا بعد جهد كبير وافتقر حاله عقيب هذه الكائنة وباع جميع ما يملكه حتى سد ما جاء عليه من المال وفيه تزايد ظلم اينال الاشقر حتى صار غالب الناس ما تشتكى الامر عنده واشتكى بعض الناس من شخص شاهد فضربه وقطع اكمامه وركبه على ثور واشهره بالقاهرة وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى انشأها بالصحراء وجعل بها جامعا بخطبة وقرر به صوفية وحوضا وصهريجا واشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وفى ذى القعدة قلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة مع الامراء وفيه جاءت أخبار بقتل تراباى الظاهرى الخشقدمى وكان أميرا بحلب قتله بعض العربان بالبلاد الحلبية وكان شجاعا

وولى حسبة القاهرة وكان من أعيان الخشقدمية وفى ذى الحجة طلب السلطان الشيخ تقى الدين الحصنى وقرره فى مشيخة تدريس قبة الامام الشافعى رضى الله عنه عوضا عن الشيخ كمال الدين الامام بالمدرسة الكاملية الماضى ذكر وفاته بطريق الحجاز وفيه انتهى ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ثم اشتغل بتفرقة الضحايا على العسكر وفيه كانت وفاة الجمالى يوسف ابن الاتابكى تغرى بردى اليشبغاوى الرومى نائب الشام وكان الجمالى يوسف رئيسا حشما فاضلا حنفى المذهب وله اشتغال بالعلم وكان مشغوفا بكتابة التاريخ وألف فى ذلك عدة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة والمنهل الصافى ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة وله تاريخ آخر فى وقائع الاحوال على حروف الهجاء وله غير ذلك عدة مصنفات وكان نادرة فى أولاد الناس ومولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه توفى حذيفة بن أحمد بن الدكارى المنوفى الحنفى وكان فاضلا خيرا دينا له شهرة وذكر وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند وهو الشيخ عبد الله بن عبد الواحد وكان من ذرية أبى الليث السمرقندى فضل الله وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم والزهد وله شهرة زائدة ببلاد سمرقند ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أمير المدينة المشرفة وهو السيد الشريف زهير بن سليمان بن هبة الحسنى وكان ولى امرية المدينة بعد ضيغم والى امرية مكة الى أن مات قتيلا وتوفى من الاتراك بيبرس بن ططخ الاشرفى وكان ولى تقدمة ألف بدمشق وتوفى جانى بك الحسنى الاينالى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وتوفى دولات باى الاينالى أحد العشراوات وكان متمرضا حين عاد من التجريدة ومات بغزة وفيه من الحوادث أن السلطان طلب مالا من الست سارة والدة القاضى ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم لينساعد على خروج التجريدة الى سوار فتشكت من ذلك وأظهرت العجز فحلف وحياة رأسه لم يأخذ منها أقل من مائة وخمسين ألف دينار وصمم على ذلك وقرر معها انها لا تبيع ملكا ولا ضيعة ولا بستانا ولم يقدر أحد من الامراء ولا غيرهم يخفض عنها شيأ من ذلك فاستمرت تورد ذلك المال على حكم ما قرر عليها عدة شهور حتى غلقت ذلك القدر بالتمام والكمال ولم تبع لا ضيعة ولا ملكا فلما غلقت المال جميعه أرسل خلفها فلما حضرت قام اليها وعظمها وخلع عليها كاملية بمخمل بسمور وأكرمها غاية الاكرام ونزلت الى دارها مكرمة معظمة

❁ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت الاسعار غالية فى جميع أصناف المأكولات من الحبوب وغيرها وعز وجود الارز والدجاج من مصر جدا وتشحط الخبز من الاسواق وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن وهذا قط ما وقع ولا فى الغلاء الذى جاء فى دولة الملك الظاهر جقمق وتناهى سعر القمح الى سبعة أشرفية الاردب ولم يأكل الناس

الذرة ولا الدخن فى تلك الايام ﴿ وفيه كثر القال والقيل بين العلماء بالقاهرة فى أمر الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به والمسلمين ببركته وقد تعصب عليه جماعة من العلماء بسبب أبيات قالها فى قصيدته التائية واعترضوا عليه فى ذلك وصرحوا بفسقه بل وتكفيره ونسبوه الى من يقول بالحلول والاتحاد وحاشاه أن ينسب اليه هذا المعنى ولكن قصرت افهام جماعة من علماء هذا العصر ولم يفهموا معنى قول الشيخ عمر رضى الله عنه فى هذه الابيات فاخذوا بظاهرها ولم يوجهوا لها معنى فكان كما قال المتنبى

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

وكان رأس من تعصب على الشيخ عمر بن الفارض برهان الدين البقاعى وقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وولده عبد البر ونور الدين المحلى وقاضى القضاة عز الدين الحلى وتبعهم جماعة كثيرة من العلماء يقولون بفسقه وأما من تعصب من العلماء للشيخ فهم الشيخ محيى الدين الكافيجى الحنفى والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى والشيخ بدر الدين بن الغرس ونجم الدين يحيى بن حجى وشيخنا الجلال بن الكمال الاسيوطى والشيخ زكريا الانصارى وتاج الدين بن شرف فلما زاد الرهج فى هذه المسئلة كتبت الفتاوى فى أمر ابن الفارض التى ظاهرها الخروج عن قواعد الشريعة فكتب الشيخ محيى الدين الكافيجى على هذا السؤال ما هو أحسن عبارة وأقرب الى الانصاف وألف الجلال السيوطى فى ذلك كتابا سماه قمع المعارض فى الرد عن ابن الفارض وألف البدر بن الغرس فى ذلك كتابا شافيا فى هذا المعنى واضحا فى الرد على من تعرض لابن الفارض وصنف بعض العلماء كتابا سماه درياق الافاعى فى الرد على البقاعى ووقع فى هذه المسئلة مشاحنات بين العلماء يطول شرحها فى هذا المعنى ثم هجوا البقاعى وابن الشحنة وغيرهما من العلماء ممن تعصب على ابن الفارض وصاروا يكتبونها ويلصقونها فى مزاره فمن ذلك قول الشهاب المنصورى فى البقاعى وأجاد

ان البقاعى عما * قد قاله مطالب
لا تحسبوه سالما * فقلبه يعاقب

وقوله من قصيدة مطولة مضمنة لابيات سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

بين البقاعى وبين التاج من شرف * ما بين معترك الاحداق والمهج
يقول من صح فيه سهم صاحبه * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
كلاهما مدع خوضا بفكرته * فى كل معنى لطيف رائق بهج

يقول هـذا الهذا غـير مكترث * دع عنك لومى وعد عن نصحك السمج
ماذا تقول ولى فى الشرع أجوبة * عنى تقوم بها عند الهوى حججى
دع التعارض لا تشهر بواتره * فكم أماتت وأحيت فيه من مهج
فلو سلكت سبيلى كنت متبعا * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
لو سلم المعتدى للمهتدى لرجا * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
فمن يكن منهم ما ناح فعصبته * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وهذه مطولة وهذا القدر منها كاف ومن نظم الاقدمين فى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
أبرزت فى نظم السلوك عجائبا * وكشفت عن سر مصون غامض
وشربت من بحر المحبة والولا * فرويت من بحر محيط فائض

وقال الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

عمر بن الفارض الحبر الذى * قصرت عن فهم ما رام الفكر
لم يكن يؤذيه الا جاهل * فارفضوه وترضوا عن عمر

ولبعضهم يهجو ابن الشحنة

أصبحت يا ابن الشحنة الحنفى فى * كل القبائح أوحد الازمان
فى مصر علم أبى حنيفة تدعى * جهلا وأنت معرة النعمان

وقال أبو النجا القمى

أقعدت يا حلبى * بالصفع فى قفاكا
لما ادعيت فسقا * للفارضى باكا
وما خلصت حتى * أقمت شاهداكا

فر

ثم ان بعض الامراء تعصب لسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه وتعصب له السلطان أيضا ورسم لكاتب السر ابن مزهر بان يكتب صفة سؤال الى الشيخ أبى يحيى زكريا الشافعى فكتب السؤال وهو هذا ما يقول الشيخ الامام العالم العلامة البحر الفهامة زكريا الانصارى الشافعى نفع الله المسلمين به عمن قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدى عمر بن الفارض تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه فيمن زعم أن عقيدته فاسدة بناء على ما فهمه من كلامه فى مواضع مرجعها الى اطلاقات معلومة عند السادة الصوفية باصطلاح تخاطبهم لا محذور فيها شرعا فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقته أم على اصطلاح أهل ملة غير الاسلام فالجواب عن ذلك أفتونا مأجورين ثم قدم هذا

السؤال

السؤال الى الشيخ زكريا فامتنع عن الكتابة غاية الامتناع فالح عليه أياما حتى كتب فأجاب بقوله يحمل كلام هذا العارف رحمة الله عليه ونفع ببركاته على اصطلاح أهل طريقته بل هو ظاهر فيه عندهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره كما هو مقرر فى محله ولا ينظر الى ما يوهمه تعبيره فى أبيات فى التائية من القول بالحلول والاتحاد فانه ليس من ذلك فى شئ بقرينة حاله ومقاله المنظوم فى تائيته بقوله من أبيات القصيدة

ولى من أتم الرؤيتين اشارة * تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

وهذا يصدر عن العارف بالله اذا استغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ماسواه بعبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان حالته التى يرقى اليها كما قاله جماعة من علماء الكلام رضى الله تعالى عنهم ولكن ينبغى كتم تلك العبارات عمن لم يدركها اذ ما كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف ينطبق على الدر ولكل قوم مقال وما كل ما يعلم يقال وحق لمن لم يدركها عدم الطعن فيها كما قيل

واذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالأبصار

ولو ذاق المنكر ماذاق هذا العارف لما أنكر عليه كما قال القائل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ماذاقها

والحالة هذه والله يمنح بفضله ويمنع من يشاء بعدله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكتبه زكريا بن محمد الانصارى الشافعى فلما كتب الشيخ زكريا على هذا السؤال سكن الاضطراب الذى كان بين الناس بسبب ابن الفارض رضى الله تعالى عنه ونفع به وببركاته المسلمين أجمعين آمين وفيه عقيب ذلك عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية وحصل له عقيب ذلك فالج وذهل وسلب من العلم وحصل لولده عبد البر مع القلقيلى ما سنذكره فى موضعه وأما البقاعى فكادت العوام أن تقتله وحصل له من الامراء ما لا خير فيه فهرب واختفى حتى توجه الى مكة فمات هنالك وأما امام المدرسة الكاملية فخرج وهو مريض الى الحجاز فمات فى اثناء الطريق بعد خروجه من القاهرة بستة أيام وقد جرى على من تعصب على ابن الفارض ما لا خير فيه وظهرت بركته فى المتعصبين عليه شيأ فشيأ الى الآن وقد روى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى أعلمته بأنى محارب له أورده النووى فى الاربعين حديثا وفيه جاءت الاخبار بأن شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان أمير التركمان فانكسر ابن رمضان وملك سوار قلعة اياس فانزعج السلطان لهذا الخبر وأخذ فى أسباب

تجريدة الى سوار وفيه بعث الامير يشبك خبرا من البحيرة يطلب تجدة بسبب عربان لبيد فعين السلطان الاتابكي أزبك ومعه عدة من الامراء والجند فخرج الى البحيرة وفيه وقعت أعجوبة غريبة وهى أن امرأة ولدت مولودا وهو جسد بلا رأس ولاله يدان ولا رجلان فسبحان القادر الصانع يخلق ما يشاء فعاش ساعة ومات وفيه جاءت الاخبار بوفاة بردبك البجمقدار نائب الشام وكان يعرف ببردبك الفارسي الظاهري ويعرف أيضا بالاقرع وكان من أعيان الناس وجماعة الظاهرية وكان أمير عشرة فى دولة استاذه الظاهر جقمق ثم بقى أمير طبلخانات رأس نوبة ثانى فى دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم الف وحج أمير محمل غير ماهرة ثم ولى حاجب الحجاب ثم بقى نائب حلب فى دولة الظاهر خشقدم ثم قبض عليه وحمل الى القدس بطالا ثم اعيد الى نيابة حلب ثم بقى نائب الشام فوليها مرتين ومات بها وكان أسيرا عند سوار وهو نائب حلب واطلق بعد موت الظاهر خشقدم وقاسى شدائد ومحنا وفيه دخل الحاج الى القاهرة وكان الركب الاول والمحمل ركبا واحدا وكان الحاج قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة من العطش وموت الجمال فارسل يشبك الدوادار شقادف وزادا وماء الى المنقطعين من الحاج فلاقوهم من قريب الينبع وحصل بذلك لهم غاية النفع وفيه توفى أبو بكر بن على دوادار بردبك البجمقدار نائب الشام ويقال انه سم استاذه بردبك فمات أبو بكر قبل استاذه بأيام وكان أبو بكر رقى فى أيام استاذه حتى صار له ذكر وشهرة طائلة بحلب والشام وفيه حضر قاصد حسن بك الطويل وعلى يده مكاتبة يذكر فيها انه قتل جماعة من أولاد قرلنك وملك بلادهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم يخبر انه افتتح عدة بلاد من بلاد الافرنج البنادقة وفيه عين السلطان الامير اينال الاشقر رأس نوبة النوب ومعه عدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة من الجند بسبب قتال سوار وقد خشى السلطان من سوار ان يكبس حلب على حين غفلة فارسل هذه التجريدة يقيمون بحلب الى ان يرسل تجريدة ثقيلة بعد ذلك فلما عينه بعث اليه النفقة من يومه وقد حمل اليه اثنى عشر ألف دينار ثم أنفق على بقية الامراء والجند وألزمهم الخروج بسرعة فخرجوا عقيب ذلك من غير اطلاب ولا أثلة وقد عز ذلك على اينال الاشقر لكونه خرج فى قلب الشتاء وفى صفر توفى الامير بردبك المشطوب اليشبكى أحد الامراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانى وكان لا بأس به وأصله من مماليك يشبك نائب حلب وفيه كان وفاء النيل المبارك وكان الوفاء ثانى عشرى مسرى فلما أوفى توجه قلقسيز الاتابكى كان وهو على امرية سلاح ففتح السد على العادة وكان الاتابكى ازبك غائبا فى البحيرة وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على الامير برقوق الناصرى وقرره فى نيابة الشام عوضا عن بردبك البجمقدار بحكم

وفاته

وفاته وكان برقوق يومئذ أحد مقدمى الألوف بمصر فانتقل الى مدينة الشام فى مدة يسيرة فعد ذلك من النوادر وفيه ظهر القاضى تاج الدين بن المقسى وكان مختفيا فخلع عليه السلطان وأعاده الى نظر الخاص وعزل عنها عبد الرحمن بن الكويز وكان القائم فى عودة ابن المقسى الى نظارة الخاص الامير يشبك الدوادار فنزل من القلعة فى موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وأعيان الدولة حتى قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى وفى ربيع الاول فى مستهله ركب السلطان وتوجه الى طرا فصعد القضاة للتهنئة بالشهر فلم يجدوا السلطان بالقلعة فأخبرهم نقيب الجيش عن لسان السلطان بان يصعدوا للسلطان اذا حضر بعد العصر وفيه دخل خاير بك الظاهرى الخشقدمى الذى كان تسلطن ليلة واحدة فنزل فى بولاق فى بيت صهره ناظر الخاص يوسف وكان السلطان رسم له بان يتوجه الى مكة ويقيم بها وكان الساعى له فى ذلك الامير يشبك الجمالى فأقام ببولاق أياما حتى عمل له برك وخرج الى مكة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وجلس برقوق الذى قرر فى نيابة الشام رأس الميمنة وفيه نزل السلطان الى جهة المطرية ونصب هناك الخيام ورسم للامراء بالتوجه معه وأقام هناك أياما على سبيل التنزه وصنع هناك الاسمطة الحافلة حتى قيل كان مصروف الاسمطة ألف دينار وفيه خلع السلطان على قاصد حسن الطويل وفيه توفى الامير تانى بك المعلم المحمدى الاشرفى مات بالقدس بطالا وكان عارفا بفنون لعب الرمح وفى ربيع الآخر صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر فلما أراد والانصراف أخذ السلطان فى الكلام معهم بسبب محراب جامع ابن طولون بان فى أصل وضعه الانحراف عن جهة القبلة فقال كاتب السر هذا الجامع تحت نظر قاضى القضاة الشافعى فقال القاضى ينبغى أن يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة القبلة وانفض المجلس على ذلك ولم يغير فيه شئ الى الآن وفيه خرج برقوق الى محل نيابة الشام وطلب طلبا حافلا وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بان حسن الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية وأنه أظهر العداوة للسلطان وقد طمع فى عسكر مصر بموجب مافعله معهم سوار فثار السلطان لهذا الخبر وقصد أن يخرج الى حلب بنفسه وفيه نادى السلطان فى القاهرة بانه قد أبطل عدة مكوس منها مكس قطيا ومكس الخشب والاطرون بالبحيرة وغير ذلك عدة مكوس أبطلها بمصر وجدة فدعا له الناس بسبب ذلك وفيه عين السلطان القاضى شرف الدين الانصارى وكيل بيت المال بان يخرج الى جبل نابلس لجمع العشير بسبب التجريدة الى سوار فخرج هو ودولات باى الخازندار وفيه عين فى امرية الحاج بالمحمل يشبك الجمالى وفى امرية الاول اقبردى الاشرفى على عادته مافى العام الماضى وفيه قرر السلطان فى الزرد كاشية الكبرى جانم

السيفي تمرباي عوضا عن فارس الذي توجه الى دمشق وفي جمادى الاولى أرسل السلطان
بعزل بلاط اليشبكي عن نيابة حماه وقد أرسل يستعفي من ذلك وفيه عين السلطان
تجريدة ثقيلة الى سوار وعين بها من الامراء المقدمين يشبك دوادار كبير باش العسكر
وتمراز التمشي ابن أخت السلطان أحد المقدمين وخاير بك حديد الاشرفي وازدمر الطويل
الابراهيمي ولم يتم السفر ثم عين قانصوه الخفيف ولم يتم له السفر وعين تمر حاجب الحجاب
ولم يتم له السفر وعين عدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعرض الجند وكتب منهم عدة
امراء وأعلمهم بان السفر يكون بعد أن يربع الخيل وفيه أرسل السلطان خلعة الى
خاير بك القصروي بان يستقر نائب حماه عوضا عن بلاط اليشبكي فلما وصلت اليه الخلعة
باستقراره في نيابة حماه مات فجأة قبل دخوله الى حماه وكان أميرا جليلا تولى عدة وظائف
سنية منها نيابة القلعة بمصر ونيابة غزة ثم نيابة صفد ثم قرر في تقدمة ألف بدمشق ثم
قرر في أتابكية طرابلس ثم في نيابة حماه فمات ولم يدخلها وفيه توفي قاضي القضاة
الشافعي بحلب وهو السيد الشريف تاج الدين عبد الوهاب بن عمر بن حسن بن علي بن حمزة
الحسيني الحلبي الشافعي وكان من أهل العلم والفضل وفيه توفي الامير يشبك جن
الاسحاقي الاشرفي أحد مقدمي الالوف بمصر وكان يعرف بالبهلوان ومات وله من
العمر نحو من سبعين سنة وكان حاد المزاج سيئ الخلق وفيه جاءت الاخبار بوفاة قرقشبق
الاشرفي الذي كان زردكاش بمصر ثم نفي ومات وهو مقدم ألف بدمشق وكان علامة في لعب
الرمح وفي جمادى الآخرة أنعم السلطان على برسباي قرا المحمدي بتقدمة ألف وهي تقدمة
يشبك جن وقرر في الخازندارية قجماز الاسحاقي الظاهري عوضا عن برسباي قرا بحكم
انتقاله الى التقدمة وكان قجماز هذا أغا السلطان قديما وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى الخانقاه ثم سار الى العكرشا وهو راكب الهجين ثم عاد الى القلعة بعد أيام وفيه
توفي جكم الاجرود الاشرفي نائب صفد وفي رجب نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو
قناطر العشرة وأقام هناك سبعة أيام وتوجه الى الاهرام وهو ماش وحوله الامراء وكانت
تلك الايام مشهودة في القصف والفرجة ونصب له أشاير على رؤس الاهرام وعملت له هناك
أسمطة فاخرة حافلة وصار ابن رحاب المغني عمال في كل ليلة وبقية مغاني البلد وابتهج
المجمع الحاوي هناك بنصفين والصحن الطعام الخاص بنصف فضة ثم ان السلطان رحل
من هناك بعد مضي سبعة أيام وتوجه الى الفيوم فلما دخلها زينت له وكان يوم دخوله الى
الفيوم يوما مشهودا ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف ومشايخ العربان فكانت مدة
غيبته في هذه السفرة نحوا من عشرين يوما وكان ذلك في قلب الشتاء في زمن الربيع ثم
عاد السلطان الى القلعة وفيه وقع العدل والعطاء بالديار المصرية حتى أبيعت البطة

الدقيق بستة أنصاف والرطل الخبز بدرهم نقرة وبيع الفدان البرسيم الخضر بدينار وكثرت اللحوم والاجبان وانحط سعر سائر البضائع وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه اليحياوى نائب حلب قد وقع بينه و بين نائب قلعة حلب فبعث يشكوه للسلطان فأنصف السلطان نائب حلب على نائب القلعة وفيه خلع السلطان على قجماز الاسحاقى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن بلباى العلائى بحكم استقراره فى نيابة صفد عوضا عن جكم الاشرفى المعروف بالاجرود وفيه جاءت الاخبار من حلب بان سوار اقد استولى على سيس وقلعتها ففزع السلطان لهذا الخبر وفى شعبان عزل قاسم شغيته عن نظر الدولة ورسم عليه الامير يشبك الدوادار وطلب منه مالا وعين السلطان الامير برسباى قرا أحد المقدمين بان يخرج جاليش العسكر الى سوار قبل خروج الامير يشبك فخرج ومعه عدة من الجند وبعث اليه السلطان أربعة آلاف دينار وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن السلطان أعاد الى جماعة ما كان أخذه منهم من المال لما صادرهم بسبب التجريدة الاولى فأعاد الى فارس الركنى ألفا وخمسمائة دينار وأعاد الى الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار ألف دينار وأعاد الى فارس السيفى دولات باى ألف دينار وبعث لابن العينى خمسة عشر ألف دينار من بعض ما أخذه منه وأعاد الى جماعة كثيرة ما كان أخذه منهم فى المصادرة فتعجب الناس من ذلك لكونه فعل ذلك من تلقاء نفسه وأشيع بين الناس أنه رأى فى المنام ما أوجب هذا من رد المال على أربابه فكان حال الناس معه كما قال القائل فى هذا المعنى

كنا نؤمل ان ننال بجاهكم * خيرا يكون على الزمان معينا
والآن نقنع بالسلامة منكم * لا تأخذوا منا ولا تعطونا

ولكن فعل بعد ذلك بالناس من المصادرات وأخذ الاموال ما يعجز عنه الواصفون وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان العين التى أجراها السلطان الى عرفات قد انتهى العمل منها ووصل ماؤها الى عرفات وحصل به غاية النفع لاهل مكة المشرفة وكان لهذه العين نحو من مائة سنة وكسور وهى معطلة عن الجريان وكان جوبان أجرى ماءها فتعطلت من بعده حتى أجراها السلطان وفى رمضان أنفق على الجند الكسوة وأنفق على المماليك المعينين للتجريدة نفقة السفر لكل مملوك عشرون دينارا وكسوة عشرة دنانير واستمر ينفق عليهم ثلاثة أيام متتابعة * وفيه كانت وفاة الاديب البارع الفاضل الشهاب الحجازى أحمد بن محمد بن على بن حسن بن ابراهيم الانصارى الخزرجى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الادب وله عدة مصنفات فى الآداب منها كتاب روض الآداب والقواعد فى المقامات وشرح المعلقات وقلائد النحور فى جواهر البحور والتذكرة وغير ذلك من الكتب النفيسة وكان ظريفا لطيف الذات كثير النوادر عشير الناس حسن المحاضرة وله

شعر جيد فمن ذلك قوله

في حندس الليل أتانا فتى * ونادم القوم فبئس النديم
قلت لاصحابي لما أتى * قد جاءنا في جنح ليل بهيم

﴿ومن قصائده﴾

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وأنا * مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

وكان مولده في أوائل قرن الثمانمائة فلما مرض الشهاب الحجازي بعث اليه الشهاب المنصوري بهذين البيتين

قيل الشهاب سقيم قلت وا أسفا * ما بال أحمد لا يخلو من العلل
وزن الرقائق من أضحى يجوزها * ووصفه بفنون العلم والعمل

ولما توفي الشهاب الحجازي رثاه الشهاب المنصوري بهذه الابيات

زادني فقـــــدا الحجازي شجي * هل يطيب العيش فقدان الحجا
لو درى القمري أبدى نوحـــه * أو غراب البين أضحى مسجعا
صار في زورق نعش قاطعا * منـــك يا بحـــر المنايا لججا
وامتطى طرف الردى مستوقرا * طالبا مـن هـــم دنياه النجا
ان يكن في الترب أمسى هابطا * فســـيرقى في الجنان الدرجا
أو يكن ليـــل الضريح عاكرا * فـسيلقاه شـــهابا أبلجا
فلتطب أرجاء قـــبر زارها * انها كانت في حسـن الرجا
فالحجازي مكـــة تبصره * والشهاب اشـــتاقه بدر الدجا

قلت كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد وكل واحد يدعى بشهاب فكان يقال السبعة الشهب وهم الشهاب بن حجر رحمة الله عليه والشهاب ابن الشاب التائب والشهاب بن أبي السعود والشهاب بن مبارك شاه الدمشقي والشهاب بن صالح والشهاب الحجازي والشهاب المنصوري فلما مات الستة رثاهم الشهاب المنصوري بهذه الابيات

خلت سماء المعاني من سنا الشهب * فالآن أظلم أفق الشعر والادب
تقطب العيش وجها بعد رحلة من * تجانبوا بالمعاني مركز القطب
تعطلت خرد الايام مـــن درر * كانت تحلى بها منهـــم ومن ذهب
لو تعلم الارض ماذا ضمنت بطرت * بهــم كما يبطر الانسان بالنسب
ولو درى المسك أن الارض قبرهم * لود نشقة عرف من شذى الترب

وهذا اختصار من القصيدة التى لهم رحمة الله عليهم أجمعين وفيه توفى كسباى الزينى المؤيدى
الذى كان نائب الاسكندرية وعزل عنها وفى شوال كان خروج العسكر المعين الى سوار
فخرج الامير يشبك الدوادار الكبير وازدمر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر
فكان فى غاية العز والعظمة وقد فوض اليه السلطان أمور البلاد الشامية والحلبية وغير
ذلك من البلاد وجعل له الولاية والعزل فى جميع أحوال المملكة وكتب معه خمسمائة
علامة ويكتب على البياض وجعل له التصرف فى جميع النواب والامراء ما خلا نائب
حلب ونائب الشام فقط فكان له لما خرج يوم مشهود وطلب طلبا حافلا بحيث لم يعمل مثله
قط وجر فى طلبه عدة خيول ملبسة بركستونات فولاذ مكفتة بالذهب وبركستونات مخمل
ملون وصنع فى رنكه صفة سبع وقد اقترح أشياء عجيبة غريبة لم يسبق اليها ورسم لمماليكه
بان تخرج فى الطلب باللبس الكامل وخرج صحبته الامراء الذين تقدم ذكرهم ومن الجند
نحو من ألفى مملوك فرجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر
فلما كانت ليلة الرحيل نزل السلطان عند يشبك وتكلم معه طويلا ثم أضافه الامير يشبك
وركب من عنده وتوجه الى الخانقاه ثم عاد الى القلعة ثم فى ثانى ليلة نزل الامير يشبك
بعد العشاء ورحل من الريدانية قاصدا الشام ثم خرج العسكر أفواجا أفواجا حتى سد
الفضاء وكانوا من أعيان الشجعان فتفاءل الناس بان هذا العسكر ينتصرون وان سوارا
مأخوذ لا محالة وكذا جرى وقد عيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك فى الوطاق
مرتين وهذا بخلاف عادة الملوك وقواعدهم القديمة وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل
زائد وكان لهم يوم مشهود ولكن تأخر الى يوم عشريه بسبب فرار غلمان أمير حاج وفى
ذى القعدة ولد للامير يشبك ولد من زوجته خوند ابنة الملك المؤيد أحمد بن الملك الاشرف
اينال فسموه منصورا وكان له مهم حافل وفيه خلع السلطان على السيد الشريف
سبع بن ظافر وقرره فى امرية الينبوع عوضا عن ظافر وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى نحو صقيل وقد أضافه القاضى كريم الدين بن جلود كاتب المماليك فأقام هنالك
الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفى ذى الحجة خلع السلطان على شيخ عربان الشرقية صقر
ابن بقر وقرره فى مشيخة الشرقية عوضا عن قريبه عيسى بن بقر وسجن ابن بقر بالمقشرة
بعد ما ضرب بين يدى السلطان ضربا مبرحا وفيه عين السلطان الامير تمر حاجب الحجاب
والامير قانصوه الخفيف الاينالى بان يخرجا الى الشرقية بسبب فساد العربان ورسم
السلطان لهما بان من وجدوه من بنى سعد وبنى وائل يقبضون عليه وفيه كان ابتداء
عمارة الايوان الكبير الذى بالقلعة فأمر السلطان بتجديده واصلاح ما فسد من بنائه
وكان الشاد على عمارته القاضى كاتب السر ابن مزهر والبدرى بدر الدين بن الكويز

ومعلم المعلمين فصرف عليه نحو من عشرين ألف دينار وكان قصد السلطان أن تقام الخدمة على العادة القديمة ويركب منه فلم يتم له ذلك واستمر الامر على حاله الى الآن وفيه توفى الاستاذ المغنى الموسيقى محمد المعروف ببرقوق التونسى وكان بارعا فى الغناء والانشاد وكان له شهرة طائلة قدم من الغرب يروم الحج فتوفى بالقاهرة

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم فى أول يوم كانت بشارة النيل فتفاءل الناس بأنها سنة مباركة وفيه توفى قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى الحنفى وهو ابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن سعد بن مصلح العبسى القدسى الحنفى مات وهو منفصل عن القضاء وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها نظر الاسطبل ونظر الجيش وكتابة السر وقضاء الحنفية ومشيخة الجامع المؤيدى وغير ذلك من الوظائف وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو شبين القناطر وكان معه الاتابكى ازبك وجماعة من الامراء فبينما هو سائر فى أثناء الطريق اذ شب فرس الاتابكى أزبك على فرس السلطان ورفسه فجاءت الرفسة فى قصبة ساق السلطان فانكسرت فنزل بشبين وهو فى غاية الالم من ساقه وأرسل يطلب محفة حتى يعودوا به الى القاهرة فلما وصل هذا الخبر الى القاهرة كثر بها القال والقيل بسبب عود السلطان فى المحفة فلما عاد طلع الى القلعة وهو فى المحفة حتى نزل على باب البحرة وكانت القاهرة قد زينت لقدومه فلما طلع تحت الليل هدمت الزينة وأشيع أن السلطان على غير استواء حتى نزل المنادى ونادى للناس بالامان والاطمئنان وسلامة السلطان وان تعاد الزينة كما كانت فزينت القاهرة ثانيا ثم ان السلطان خرج وجلس على الدكة وعلم المراسيم وجهز مراسيم الى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض حتى سكن ذلك الاضطراب وخمدت هذه الاشاعات من البلاد الشامية والحلبية وفيه توفى تغرى بردى بن يونس أتابك حلب وكان لا بأس به وفيه حضر صحبة الحاج القاضى كمال الدين ابن ظهيرة قاضى جدة أخو القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة قاضى مكة المشرفة ليسعى لاخيه فى عوده الى القضاء وكان قد صرف عنه وفيه جاءت الاخبار بأن شاه سوار قتل قرقماس الصغير نائب ملطية وقد تقدم ما فعله قرقماس بجماعة سوار فلما ظفر سوار بقرقماس قتله أشر قتلة قيل انه أوقفه فى مكان وبنى عليه حائطا وقيل بل علقه فى شجرة واستمر يرمى عليه بالنشاب حتى مات وكان قرقماس الصغير هذا أصله من مماليك الاشرف اينال وكان شجاعا بطلا مقداما فى الحرب وكان لا بأس به وفيه عين السلطان نيابة ملطية لاينال الحكيم عوضا عن قرقماس الصغير بعد قتله وفيه خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى وقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن برهان الدين الديرى بحكم وفاته وكانت هذه الوظيفة مع أولاد الديرى بحكم شرط الواقف الملك المؤيد شيخ فأخرجها السلطان عنهم

للشيخ سيف الدين ولم يلتفت الى شرط الواقف وفى صفر جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار أخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار وأن سوار أخذ أولاده وعياله وماله وأودعهم بقلعة زمنوطو وصار عنده التتر من العسكر بخلاف العادة وفيه عاد الامير حاجب الحجاب من الشرقية وقد قبض على جماعة من العربان المفسدين وفيهم موسى بن عمران وآخر يقال له طاجن وكان من أعيان العربان المفسدين فرسم السلطان بتوسيط موسى ومعه جماعة من بنى سعد وبنى حرام وبنى وائل فلما بلغ العربان قتل هؤلاء أظهروا العصيان وأفسدوا فى البلاد فرسم السلطان للامير قربای بعوده الى الشرقية فعاد عن قريب وفيه ركب السلطان وصلى صلاة الجمعة بالقلعة وكان له مدة لم يركب بسبب كسر قصبة ساقه فلما ركب كان له يوم مشهود بالقلعة وفيه رسم السلطان لابن الطولونى بان يجدد عمارة الميضأة التى بجامع القلعة فوسعها ورسم بعمارة الجامع فصرف على ذلك ألف دينار وفيه جاءت الاخبار بان الأمير يشبك أخذ من سوار ما كان استولى عليه من أدنه وطرسوس وتحارب مع جماعة سوار أشد المحاربة حتى طردهم من تلك البلاد وملكها وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس عشرى مسرى فتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى أسنبغا التترى اليشبكى الناصرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكشف عما تهدم من حيطانه وسقوفه وأمر ببنائه من ماله وشرع فى ذلك وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نودى من قبل السلطان بان لا يشكو احد أحدا للسلطان الا بعد أن يرفع أمره لاحد من الحكام فاذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان وكان قد كثرت شكاوى الناس بين يدى السلطان حتى ان امرأة شكت زوجها الاجل انه وطئ جارية فى ملكه فما أطاقت زوجته الغيرة وشكته للسلطان بقصة وفيه خلع السلطان على الامير يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل على عادته وكان السلطان عين برسباى الشرقى فاستعفى من ذلك فعفا عنه وفى ربيع الآخر نزل السلطان الى نحو خليج الزعفران على سبيل التنزه وكان معه الاتابكى أزبك وجماعة من الامراء فاقام هناك الى آخر النهار فلما عاد ووصل الى الحسينية وجد فى طريقه جنازة وهى امرأة غريبة ليس معها أحد من الناس سوى الحمالين فنزل عن فرسه ومن معه من الامراء فصلى عليها فى قارعة الطريق وقدم الجماعة الذين حضروا الصلاة فعد ذلك من النوادر وقد وقع مثل هذه الواقعة للامير أحمد بن طولون واستمر ماشيا قدام الميت حتى واراه التراب وفيه بعث السلطان الى الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين خلع عليه وقرره فى نيابة عينتاب فنزل الى داره وهو مهموم

وأقام على ذلك أياما حتى شفع فيه الاتابكى أزبك وأعفى من ذلك وفى جمادى الاولى حضر محمد بن نائب بهسنا بمكاتبة يذكر فيها انحلال أمر سوار من الأمير يشبك وان عسكر سوار قد فل عنه وهو خائف من العسكر ثم أرسل الأمير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر يتوسع بها فان العليق كان هنالك مشحوتا فبعث السلطان مائة ألف دينار تفرق على العسكر هنالك وفى هذا الشهر كانت وفاة قاضى القضاة عز الدين أحمد الحنبلى وهو أحمد ابن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن هاشم بن اسماعيل بن نصر الله بن أحمد العسقلانى الحنبلى وكان عالما فاضلا متواضعا فكه المحاضرة بقية الناس سمع على جماعة من العلماء وأجازوه وناب فى الحكم مدة ثم ولى القضاء الاكبر بعد وفاة قاضى القضاة بدر الدين البغدادى فى سنة سبع وخمسين وثمانمائة واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة نحوا من عشرين سنة وباشر منصب القضاء بعفة ونزاهة وحمدت عند الناس سيرته وانتهت اليه رياسة مذهبه وولى عدة تداريس جليلة وعاش من العمر مدة طويلة وقد قارب الثمانين سنة ومولده سنة ثمانمائة فلما مات استمر منصب القضاء شاغرا لم يتول به أحد فأقام نحوا من أربعة أشهر وكان السلطان أرسل خلف برهان الدين بن مفلح من الشام ليلى القضاء وكان السلطان رسم لبدر الدين السعدى تلميذ قاضى القضاة عز الدين الحنبلى بان ينظر فى الاحكام المتعلقة بمذهبه الى أن يحضر البرهان بن مفلح من الشام فلما عاد القاصد الذى توجه الى ابن مفلح أخبر بان ابن مفلح مريض وأرسل يعتذر للسلطان فى عدم الحضور الى القاهرة وتعلل باشياء تدل على عدم قبوله للولاية فلما عاد هذا الجواب على السلطان أخذ القاضى كاتب السر ابن مزهر يسعى للسعدى فى أن يلى القضاء وكان يومئذ فى الحنابلة من هو أفضل من السعدى ولكن الحظوظ تختلف فلما كان ختم البخارى فى رمضان أحضر السلطان خلعة وخلع على بدر الدين السعدى واستقر به قاضى القضاة الحنبلية بمصر عوضا عن القاضى عز الدين بحكم وفاته فنزل من القلعة فى موكب حافل جدا وقد استكثر الناس غالبهم على السعدى ذلك وكان شابا لم يظهر البياض بلحيته وقد داعبه بعض الشعراء بهذه المداعبة وهى

قاضيكم ما مثله فى حكمه * عفيف ذيل ليس يدعى زانيا
قد ساس أمر الناس فى أحكامه * فلم ترى أسوس منه قاضيا

﴿وفيه أيضا﴾

حضرت فى الدرس على قاضى * نص على التقليد فى درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

وفيه خرج السلطان الى الرماية ببركة الحبش وكان معه الاتابكى أزبك وبقية الامراء

هناك ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة فى موكب حافل وكان له يوم مشهود واصطاد فى ذلك اليوم ثلاث كراكى وبلشون وفى جمادى الآخرة قدم قاصد من عند صاحب بلاد الهند الملك غياث الدين وأحضر على يده هدية الى السلطان والى الخليفة المستنجد بالله يوسف وأرسل يطلب منه تقليدا بولايته على اقليم الهند عوضا عمن كان قبله من ملوك الهند فاكرمه السلطان وخلع عليه وكتب له الخليفة تقليدا بما سأل وفيه وصل قاصد من عند الامير يشبك الدوادار وعلى يده مكاتبة من يشبك يذكر فيها أنه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون وجرح فيها الامير تمراز التمشى فى يده بسهم نشاب وكان أول من ألقى نفسه فى النهر هو فلما بلغ العسكر رموا أنفسهم فى النهر خلفه فجرح تمراز وأغمى عليه فحملوه ورجعوا به الى الوطاق ثم ان الامير يشبك ثبت وقت الحرب وزحف بالعسكر على عسكر شاه سوار وكان بين الفريقين ساعة تشيب منها النواصى فانكسر عسكر سوار كسرة بليغة وقتل منهم ما لا يحصى عدده وكان النصر لعسكر مصر على عسكر سوار كما قيل

جيوشنا كالاسود أضحت * تقتحم الحرب بالعزائم
وسيف سلطاننا طويل * له بقوس العدا غنائم
فالنصر بالفتح مذ أتاه * صير قلب الحسود وارم
فيا له فى الورى مليك * لقمع أهل الفساد صارم

فلما رأى سوار الكسرة عليه هرب فى نفر قليل من عسكره وطلع الى قلعة زمنوطو واختفى فلما بلغ الامير يشبك أن سوارا فى قلعة زمنوطو حاصرها أشد المحاصرة ورمى عليها بالمدافع واستمر محاصرا لها حتى كان من أمره ما سنذكره فخلع السلطان على القاصد الذى جاء بهذه الاخبار والبشارة وكذلك الامراء خلعوا عليه وانشرح السلطان بهذا الخبر وفيه نزل الى الرماية وغاب يوما وليلة فلما عاد طلع من الصليبة فى موكب حافل وفيه خسف جرم القمر جميعا وكان خسوفا مهولا فاحشا وفى رجب صار السلطان ينزل الى الاصطبل ويحكم فيه بين الناس يوم السبت والثلاثاء فتكاثرت عليه المحاكمات وتزايدت شكاوى الناس اليه فوقف شخص يقال له محمد القليبى واشتكى من ناظر الخاص تاج الدين أحمد بن المقسى وكان السلطان متحاملا عليه فأمر بضربه بالمقارع بين يديه فضرب نحو عشرين شيبا حتى أدمى وكان يوما شديد البرد جدا وأمر بسجنه فى البرج الذى فى القلعة فطلع وهو ماش من باب السلسلة الى البرج عريانا مكشوف الرأس والدم يسيل من أجنابه فعد ذلك من مساوى قايتباى وفيه ضرب انسان من أولاد الناس امرأة بسكين فى جنبها وهى ماشية بين الناس فى الطريق فماتت فى الحال فلما تحقق موتها هرب ولم يعلم ما سبب ذلك وفيه

نزل السلطان الى نحو المطرية ثم عاد من جهة قنطرة الحاجب فأذن عليه المغرب عندما وصل الى المدرسة الجيعانية التي بالقرب من بركة الرطلي فنزل وصلى المغرب هنالك خلف من صلى من العوام وكان الامام في ثاني ركعة فصلى مع الجماعة فلما فرغت الصلاة وجد الامام صبيا أمردا فاعاد الصلاة ثانيا ثم ركب من هنالك وطلع الى القلعة وفيه رسم السلطان ليشبك الجمالي المحتسب بان ينادي في القاهرة بان امرأة لا تلبس عصابة مقنزعة ولا سراقوس حرير وأن تكون العصابة طولها ثلث ذراع وهي بختم السلطان من الجانبين وكتب بذلك قسائم على من يبيع عصائب النساء ورسم السلطان على يشبك المحتسب في تكرير المناداة في ذلك وصارت رسل المحتسب يطوفون في الاسواق فان وجدوا امرأة بعصابة مقنزعة أو سراقوس يضربونها او يجرسونها والعصابة معلقة في رقبتها فقلق النساء من ذلك وصارت المرأة اذا خرجت لنحو حاجة تخرج من غير عصابة مكببة رأسها أو تلبس عصابة طويلة فلما طال عليهن الأمر لبسن العصائب الطوال التي رسم بها السلطان وكن يلبسنها اذا خرجن الى الاسواق فقط على كره منهن ويلبسن العصائب المقنزعة في بيوتهن وفي هذه الواقعة يقول الاديب زين الدين بن النحاس الشاعر

أمر الامام مليكنا بعصائب * في لبسها عسر على النسوان

فقلتن ثم أطعنه ولبسنها * ودخلن تحت عصائب السلطان

واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم رجعن الى ما كن عليه من لبس العصائب المقنزعة والسراقوس ولم يلتفتن الى تحجر السلطان في ذلك وفيه خلع السلطان على برسباي الشرفي وقرره في امرية الحاج بالمحمل وكان قد أعفي من ذلك وقرر يشبك الجمالي في امرية الحاج ثم بطل وقرر فيها برسباي الشرفي وفيه خلع السلطان على البدري بدر الدين بن مزهر القاضي كاتب السر وقرره في نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسي بحكم صرفه عنها وكان بدر الدين بن مزهر صغير السن لم يلتح حين قرره في نظارة الخاص وفي شعبان نزل السلطان الى خليج الزعفران وقد أضافه الزيني أبو بكر بن عبد الباسط فأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه انتهت مواكب الاسطبل وضبط ما فرقه السلطان على الفقراء وأرباب الديون في هذه المدة فكان نحوا من ثمانمائة دينار وفيه ظهر بالسماء نجم له ذنب مستطيل وكان يظهر من جهة الغرب ثم صار يظهر من الشرق وفيه خرج الامير قانى باى صلق وتوجه الى جهة حلب وعلى يده كوامل الشتاء للنواب وعدة خلع للأمير يشبك الدوادار وبرسم من يرد عليه من التركمان وأرسل على يده نحوا من أربعين ألف دينار برسم توسعة للعسكر وفيه عرض السلطان محابيس المقشرة وأطلق منهم جماعة وكان بها شخص له نحو من ثلاثين سنة فعمل مصلحته ووزن عنه للمدينين مبلغ له صورة وأطلقه وفيه نزل

السلطان

السلطان وعدى الى بر الجيزة فاضافه شخص من عرب اليسار يقال له محمد بن برقع فمدله أسمطة حافلة وبات عنده ثم عدى وتوجه الى شبرى وطلع من هناك وتوجه الى العباسة فاضافه هناك الشيخ بيبرس بن شعبان شيخ العرب وأقام بالعباسة أياما ثم عاد الى القلعة وفيه توفى الامير طوخ الابوبكرى المؤيدى الذى كان زردكاش ونفى الى ثغر دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة ثم مات وهو بطال وكان لا بأس به وفى رمضان رسم السلطان للقاضى عبد المغنى بن الجيعان بأن يفرق على الفقهاء والعلماء توسعة فى رمضان لعيالهم واستمر ذلك عمالا فى كل شهر رمضان مدة أيام الاشرف قايتباى الى أن مات ثم تناقص ذلك من بعده وفيه رسم السلطان باحضار الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بثغر دمياط وكذلك الامير يشبك المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فتكلم لهما بعض الامراء بأن يحضرا الى القاهرة ويكونا فى دورهما بطالين الى أن تنقضى أعمارهما فاجاب السلطان الى ذلك وأمر باحضارهما وكان الشرفى يحيى بن يشبك الفقيه متمرضا فلما حضر أبوه أقام مدة يسيرة ومات وكان شابا حسنا حشما رئيسا شجاعا بطلا حوى أنواع الفروسية وساق من جملة الرماحة بالمحمل وكان الظاهر خشقدم أنعم عليه بامرية عشرة وكانت أمه خوند بنت المؤيد شيخ وكان نادرة فى أبناء جنسه ومولده سنة ثمان وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده هدية للسلطان وقد حضر يوم الحج وفيه ختم البخارى وخلع فى ذلك اليوم على بدر الدين السعدى وقرره فى قضاء الحنابلة عوضا عن عز الدين الحنبلى وفيه صعد فى يوم عيد الفطر سيدى منصور بن الظاهر خشقدم الى القلعة ليهنئ السلطان بالعيد وكان السلطان جالسا على الكرسى بالقصر الكبير فلما وقف سيدى منصور بين يديه خلع عليه متمر ثم طلبه وأجلسه معه على الكرسى وكان صغير السن دون البلوغ فعدّ جلوسه مع السلطان على الكرسى من النوادر التى ما وقعت قط وفيه جاءت الاخبار من عند يشبك الدوادار بان شاه سوار قد تلاشى أمره وفل عنه غالب عسكره وأرسل يطلب الصلح من الامير يشبك وأن يكون نائبا عن السلطان فى قلعة درندة وأنه يرسل ولده بمفاتيح القلعة فما وافق السلطان على ذلك الا أن يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان وفيه توفى القاضى نجم الدين العجلونى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الزرعى الدمشقى الشافعى مذهبا وكان عالما فاضلا قدم الى القاهرة يطلب من السلطان يلى القضاء فتوعك فى جسده فمات ودفن بالقاهرة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسباى الشرفى وأمير ركب الاول الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك البردبكى الظاهرى برقوق وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن نجارا كان عمالا بالقلعة فى بعض طباق المماليك فسقط من مكان فمات لوقته وكان له أولاد وعيال وهو فقير فوقف أولاده وعياله بقصة للسلطان يلتمسون منه شيأ من

الصدقة فأمر لهم بمائة دينار وأمر لميت بثوب بعلبكى وثلاثة أشرفية يجهزونه بها فعد ذلك من محاسن الاشرف قايتباى وفيه رسم السلطان بشنق جارية بيضاء ومعها غلام فشهروهما فى القاهرة على جملين وكان سبب ذلك أن الجارية اتفقت مع الغلام على قتل سيدها وأخذ ماله وبهربا فقتلاه ودفناه فى الاصطبل فلما ظهر أمرهما رسم السلطان بشنقهما فشنقا وفيه توفيت خوندمغل بنت البارزى زوجة الملك الظاهر جقمق وكانت دينة خيرة ولها بر ومعروف وهى التى عمرت جامع الشيخ مدين بالمقس ووقفت عليه أوقافا كثيرة وكانت ناظرة الى فعل الخير وفيه كانت نهاية عمارة الجامع الذى قد أنشأه تمراز أحد الامراخورية بجوار قنطرة عمر شاه وفى ذى القعدة غرقت مركب ببحر النيل وكان فيها بضائع كثيرة لتجار من الاروام ولم ينج منها سوى ثلاثة أنفار فعين السلطان شرف الدين بن كاتب غريب ومعه القاضى جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية الى المكان الذى غرقت فيه المركب لضبط ما يظهر من تلك البضائع التى غرقت هناك فلم يظهر من ذلك الا اليسير وغرق الاكثر وفيه قدم قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة فيها أشياء سرا فلم ينشرح السلطان لقدوم هذا القاصد ولم يعلم ما فى المكاتبة وفيه توفى يوسف بن مغلطاى نائب ثغر دمياط وكان لا بأس به وفيه وقعت فتنة كبيرة بين بنى حرام وبنى وائل وكثر الفساد من العربان بالشرقية حتى امتنع مرور الناس من الاسفار الى الشرقية من كثرة القتل وقطع الطريق وسلب أثواب المسافرين وفى ذى الحجة وصل قاصد من عند يشبك الدوادار ومعه مكاتبة يخبر فيها أن سوارا أرسل يطلب الامان لنفسه وأنه يقيم بقلعة زمنطوه وعياله فقال له الامير يشبك حتى نكاتب السلطان بذلك وفيه قدم اياس الطويل المحمدى الذى كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه واركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ورسم له بأن يعود الى طرابلس وأنعم عليه بامرية بطرابلس يأكلها وهو طرخان وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه وصل الاتابكى جرباش كرت من ثغر دمياط هو ويشبك الفقيه الذى كان دوادارا كبيرا وشفع فيه بعض الامراء بأن يكون بداره بطالا حتى ينتهى أجله فرسم السلطان باحضاره هو ويشبك الفقيه فلما طلع الاتابكى جرباش الى السلطان عظمه وقام اليه وأجلسه الى جانبه ثم ان الاتابكى جرباش قام وقبل يد السلطان فى ان يشفع فى جانى بك كوهية بأن يحضر هو أيضا الى القاهرة وكان بثغر دمياط فأجابه السلطان الى ذلك ورسم باحضاره ثم خلع على الاتابكى جرباش ويشبك الفقيه ونزلا الى دراهما وفيه أمر السلطان بانشاء البرج العظيم بقرب ثغر رشيد فجاء غاية فى الحسن من البناء والاتقان وفيه تزايد فساد بنى حرام وبنى وائل وفسدت أحوال الشرقية فعين لهم السلطان تجريدة وكان بها من الامراء الاتابكى أزبك وجانى بك قلقسيز أمير سلاح وازدمر الطويل أحد المقدمين الالوف وعين معهم

جماعة

جماعة كثيرة من الجند وأمرهم بالخروج الى الشرقية سريعا وسبب ذلك أن العربان من بنى وائل و بنى حرام هجموا على القاهرة حتى وصلوا الى رأس خط الحسينية ونهبوا الدكاكين وسلبوا أثواب الناس واستمر الحال على ذلك من بعد العصر الى مابعد المغرب فرجعوا حيث جاؤا فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم هؤلاء الامراء فخرجوا من يومهم سريعا ثم ان الاتابكى أزبك عاد الى القاهرة بعد أيام ومعه بعض عربان فأودعوهم فى المقشرة وأما بقية الامراء فرسم لهم السلطان بالاقامة فى الشرقية لرد العربان المفسدين وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد فى بطن واحد وهم صبيان وبنتان وكان أبوهم فقيرا فحملهم الى السلطان فلما وضعوا بين يديه تعجب منهم ورسم لابيهم بعشرة دنانير وخمسة أرادب قمح وفيه جاءت الاخبار بوفاة ازدمر الصغير الابراهيمى الظاهرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب مات قتيلا على حصار قلعة زمنوطو وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية وتوفى حسن التميمى ابن بيرم بن ططر نائب القدس والخليل وكان لاباس به وفى هذه السنة كانت الفتن المهولة ببلاد فارس واستمرت الفتن عمالة حتى ملكها بنو أوطاس وكانت الفتن ببلاد الشرق بين حسن الطويل و بين ملوك هراة وسمرقند وكانت الفتن عمالة بسبب سوار وخرجت السنة المذكورة عن شرور وفتن فى بلاد الشرق وغيرها

❁ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع بين الاتابكى أزبك وتغرى بردى ططر بسبب ضرب الكرة وقد زاحم فرس تغرى بردى ططر فرس الاتابكى أزبك فخنق منه فزاحمه عدة مرار وهو صابر له ثم حنق منه فضربه بالصولجان حتى تكسر على ظهره وتغرى بردى يسب الاتابكى أزبك ويشتمه شتما فاحشا حتى وقف بينهما الامير جانى بك قلقسيز فثنى الاتابكى عنان فرسه ونزل الى داره كالغضبان فتنكد السلطان غاية النكد بسبب ذلك وفيه توفى قلطاى الاشرفى الاسحاقى أحد الامراء العشراوات وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية وفيه حضر قانى باى صلق وعلى يده مكاتبة الامير يشبك الدوادار تتضمن القبض على شاه سوار ونزوله من قلعة زمنوطو وقد وصل قانى باى صلق من حلب الى مصر فى ثلاثة عشر يوما فلما صحت الاخبار عند السلطان سر بذلك وخلع على قانى صلق خلعة حافلة وكذلك سائر الامراء خلعوا عليه حتى المباشرون فحصل له جملة خلع سنية ❁ وكان من ملخص اخبار القبض على شاه سوار أنه لما طلع الى قلعة زمنوطو واختفى بها حاصره الامير يشبك الدوادار أشد المحاصرة وقد فل عن سوار عسكره وأراد الله خذلانه فأرسل يطلب الامير تمراز التمشى قريب السلطان فتلطف الامير يشبك بالامير تمراز حتى وافقه الى طلوعه الى سوار فطلع الى قلعة زمنوطو وصحبته القاضى شمس الدين بن اجا الحلبى قاضى العسكر وهو والد القاضى كاتب السر الآن فلما طلع الامير تمراز الى سوار واجتمع به تعلل سوار بانه يلبس خلعة

السلطان و يبوس الارض ولا يقابل الامير يشبك فما وافقه الامير عراز على ذلك فقال له سوار أنا قتلت من العسكر جماعة كثيرة وأخشى اذا نزلت اليهم يقتلونى فقال الامير عراز ضمانك على فما يصيبك شئ فما وافق سوار على نزوله من القلعة فقام الامير عراز والقاضى شمس الدين بن أجا من عنده والمجلس مانع فلما عاد الامير عراز بالجواب على الامير يشبك لم يوافق على ذلك وحاصر سوارا وضيق عليه ورمى عليه بالمدافع فما أطاق سوار ذلك فأرسل يطلب الامير عراز والقاضى شمس الدين بن أجا ثانيا على أنه ينزل صحبتهما فطلع اليه الامير عراز وابن أجا ثانيا فطال بينهما المجلس وقيل ان سوارا أضاف الامير عراز وابن أجا بقلعة زمنوطو فلما طال جلوس الامير عراز وابن أجا بقلعة زمنوطو عند سوار ماج العسكر على بعضه وأشيع بأن سوارا قد قبض على الامير عراز وابن أجا بقلعة زمنوطو فلما مضى من النهار النصف نزل الامير عراز هو والقاضى بن أجا وصحبتهما شاه سوار وهو فى نفر قليل من عسكره فتوجه الى وطاق الامير يشبك الدوادار ونزل عن فرسه ودخل على الامير يشبك فى الخيمة فقام اليه ورحب به وأحضر اليه خلعة وألبسها له فلما أراد الانصراف من عنده قال الامير يشبك امض الى نائب الشام وسلم عليه وكان يومئذ برقوق نائب الشام فلما توجه اليه سوار نزل عن فرسه ودخل الى برقوق نائب الشام وصحبته الامير عراز فلما وقف بين يدى برقوق قال له برقوق من أنت قال له أنا سوار قال أنت سوار قال نعم أنا سوار فجعل يكرر عليه هذا الكلام فيقول له نعم أنا سوار ثم قال له برقوق أنت الذى قتلت الامراء والعسكر فسكت سوار ثم قال برقوق أحضروا له خلعة فأتوا اليه بخلعة وفى ضمنها جنزير فلما ألبسوها له وضعوا الجنزير فى عنقه فلما رأى جماعة سوار أنه وضع فى جنزير ثاروا على جماعة برقوق وسلوا سيوفهم وكان برقوق أكمن كمينا حول الخيمة وهم لابسون آلة الحرب فهجموا على جماعة سوار وقطعوهم ثم قبضوا على سوار وأدخلوه فى بعض الخيام فلما رأى الامير عراز ذلك شق عليه وقال لبرقوق أنا نزلت بسوار من القلعة وحلفت له انكم لا تشوشوا عليه فكيف يبقى أحد يأمن لكم فاخرق برقوق بالامير عراز اخراقا فاحشا وبهدله فخرج عراز من عند برقوق وهو غضبان وكان الامير يشبك حلف للامير عراز أنه اذا قابله سوار لا يقبض عليه ولا يشوش عليه فلما نزل اليه سوار ندب برقوق الى ما فعله بسوار وكان هذا عين الصواب ودع الامير عراز يغضب فلما تحقق العسكر القبض على سوار قاموا على حمية وقصدوا التوجه الى الديار المصرية وهذا ملخص ما وقع فى أمر القبض على سوار واستمر الامير عراز غضبان من الامراء حتى دخل الى القاهرة فلما قبض على سوار خلع الامير يشبك على شاه بضاع أخى سوار وقرره عوضا عن أخيه فى امرية الابلستين وفى صفر جاءت الاخبار بأن تانى بك السيفى الماس الاشرفى نائب البيرة وفيه توجه الاتابكى أزبك الى نحو البحيرة فغاب أياما ثم

عاد من هناك ومعه جماعة من العربان المفسدين وهم في الحديد فرسم السلطان بسجنهم في المقشرة وفيه عرض السلطان أولاد الناس وأمرهم بان يلعبوا بالرمح بين يديه حتى يمتحنهم في ذلك ويعلم من يلعب بالرمح ومن لا يلعب فحصل لهم غاية المشقة لاجل ذلك ووبخهم بالكلام وربما قصد الاخراق بهم وفيه عزل السلطان قاضي القضاة سراج الدين ابن حريز المالكي ووكل به بالطبقة ثم خلع على برهان الدين اللقاني أحد نواب الحكم وقرره في قضاء المالكية عوضا عن ابن حريز واستمر ابن حريز في الترسيم وفيه كتب السلطان عدة فتاوى وأخذ عليها خطوط مشايخ العلم والقضاة في أمر سوار فافتوه بانه خارجي وانه لا يبقى في قيد الحياة وفيه ضرب السلطان ثلاثة من مماليكه الجلبان ومعهم آخر من المماليك الخشقدمية فضربهم ضربا مبرحا وقد بلغه بانهم سكروا وعربدوا على الناس ثم نفى المملوك الخشقدمي الى البلاد الشامية وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو دمياط ورشيد وغير ذلك من البلاد فسار في البحر في عدة مراكب وكان صحبته الاتابكي أزبك والامير أزبك اليوسفي وغير ذلك من الامراء واستمر السلطان غائبا في هذه السفرة نحوا من ثلاثة عشر يوما وقد تنزه في هذه السفرة وطاف عدة بلاد ثم عاد الى القلعة وفيه أحضر الى القاهرة جماعة من الافرنج قبض عليهم نائب ثغر الاسكندرية وكانوا يعبثون بسواحل البحر الملح فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم في المقشرة فأسلم منهم جماعة وجماعة سجنوا بالمقشرة وفيه حضر الشيخ علاء الدين الحصني وكان خرج بصحبة الامير يشبك الدوادار فغضب عليه وحصلت له كائنة عظيمة مع يشبك فهرب منه وأتى الى القاهرة واختفى بها وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بان الامير يشبك دخل الى الشام وصحبته سوار فزينت له الشام زينة حافلة وكان له يوم مشهود فأقام بالشام ثلاثة أيام ورحل عنها الى غزة فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب ثم أخذ في أسباب ملاقاة الامراء فكسا الامراء المقدمين كل واحد أربعة بدلات وجهز لهم ملاقاة الى الصالحية وفيه كان وفاء النيل المبارك حادي عشري مسري فنزل الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه دخل الامير يشبك وبقية الامراء والعسكر الى الخانقاه السرياقوسية وصحبتهم سوار واخوته وهم في زناجير فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه خرج الامراء وأرباب الدولة الى ملاقاته ثم رحل من الخانقاه ونزل الى الريدانية فخرج القضاة الاربعة وأعيان مشايخ العلماء ثم ان السلطان نادى في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة ورجت القاهرة لدخول سوار حتى بلغ أجرة كل بيت على الشارع أربعة أشرفية وأجرة كل دكان أشرفي ذهب بسبب الفرجة على سوار فخرجت البنت من خدرها تنظر الى سوار الذي قتل العباد ويتم الاطفال ونهب الاموال فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر

ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثمانمائة دخل الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وصحبته شاه سوار وكان الامير تمراز التمشي دخل الى القاهرة وهو منفرد عن الامراء لم يرافقهم واستمر غضبانا بسبب ما حصل له مع برقوق نائب الشام لاجل قبضه على سوار وقد تقدم ذكر ذلك ثم ان سوارا دخل قدام الامير يشبك وهو راكب على فرس وعليه خلعة تماسيح على أسود وعلى رأسه عمامة كبيرة وهو في زنجير كبير طويل وراكب الى جانبه شخص من الامراء العشراوات يقال له تنم الضبع من الظاهرية الجقمقية وهو مشكوك مع سوار في الزنجير وكان قدام سوار اخوته وأقاربه وأعيان من قبض عليه من أمرائه ممن نزل معه من قلعة زمنطوفكانوا نحوا من عشرين انسانا وهم راكبون على اكاديش وعليهم ملاليط بيض وعلى رؤسهم عمائم وهم في زناجير ومشكوك معهم جماعة من أعوان الوالي فشق الامير يشبك من القاهرة وهو في موكب حافل وقدامه الامراء ممن كان معه في التجريدة وممن كان مقيما بمصر وسارت الاطلاب أمامه شيأ بعد شيء واصطفت الناس على الدكاكين وكان له يوم مشهود بالقاهرة لم يقع نظيره في الفرجة وكان من نوادر الزمان واستمر الامير يشبك في ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة فعمل السلطان الموكب في القصر الكبير وقبل الامراء الارض ثم انتقل الى الايوان فجلس به وكان من حين جدده لم يجلس به سوى ذلك اليوم قصدا أن يعرض سوارا هنالك فتزاحمت عليه الناس فانتقل السلطان الى الحوش وجلس على الدكة وطلب سوارا هنالك فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وعاتبه عتابا لطيفا وسوار ساكت لم يتكلم ثم ان السلطان رسم بتسليم سوار الى الوالي يشبك بن حيدر فتسلمه هو واخوته ثم أخرجوا أخاه يحيى كاور الذي كان في البرج وقد قبض عليه قبل ذلك وكان مسجونا في القلعة وسلمه للوالي فلما تسلمهم والي القاهرة نزع الخلعة عنه في الحال وأحضر والهم جمالا فاركبوا سوارا على جمل وألبسوه ملوطة بيضاء وجعل في عنقه طوق حديد وفيه عامود من حديد طويل وفي رأس العامود جرس حسبما فرسم السلطان له بذلك ثم سمروا اخوته وأقاربه على جمال وهم عرايا ورؤسهم مكشوفة واخوة سوار الاربعة هم أردوانه الاحدب وحدادو يحيى كاور وسلمان وجماعة من أمرائه فلما سمروهم واركبوهم على ظهور الجمال نزلوا بهم من الصليبة والمشاعلية تنادي عليهم هذا جزاء من يخامر على السلطان واستمروا على ذلك حتى وصلوا الى باب زويلة فشنكلوا سوارا وعلقوه في وسط باب زويلة وأخوه يحيى كاور عن يمينه في الدخول من باب زويلة لصوب باب النصر وأردوانه عن شماله كذلك وعلقوا حدادا داخل الباب وأما سلمان فكان أمرد مليح الشكل فرق الناس له فشفع فيه الامير يشبك وخلصه من الشنكلة ثم توجهوا بالباقي الى باب النصر فوسطوهم باجمعهم واستمر سوار معلقا حتى مات هو واخوته فأقاموا معلقين يوما

وليلة والناس ينظرون اليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم وكفنوهم وصلوا عليهم وتوجهوا بهم الى
تل عال بالقرب من زاوية كهنبوش فدفنوهم هنالك ثم قلعوا الزينة وخمدت فتنة سوار
كأنها لم تكن بعد ما ذهب عليها أموال وأرواح وقتل جماعة كثيرة من الامراء وكسر
الامراء ثلاث مرات ونهب بركهم وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق
وغيرهم حتى ان الفلاحين طمعوا فى الترك وتبهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار
وكادت أن تخرج المملكة عن الجراكسة وقد أشرف سوار على أخذ حلب وقد خطب له فى
الابلستين وضربت هنالك السكة باسمه ولولا لطف الله تعالى بالناس واخذال سوار لفسدت
أحوال المملكة جدا وكانت صفة سوار أنه جميل الصورة حسن الشكل مستدير الوجه
أبيض اللون مشرب بحمرة أشهل العينين أسود اللحية معتدل القامة ضخم الجسد وكان
فى عشر الاربعين من العمر وكانت مخايل الحشمة والرآسة محصورة فيه يقرب فى الشكل من
القاضى ناظر الخاص تاج الدين بن المقسى وكان شجاعا بطلا وكان له سعد خارق فيما وقع له
من النصرة على عسكر مصر غير ما مرة وكان من أعظم أولاد دلغادر وقد وقع له ما لم يقع
لاحد من أجداده قبله وقد شق على الامير عزاز قتل سوار على هذا الوجه واستمر غضبانا مدة
وفى واقعة سوار قال المنصورى

يا أيها الملك الذى سطواته * تغنى عن العسال والبتار
علق سوارا فوق باب زويلة * ان كنت منه آخذا بالثار
فلانت تعلم أن ذلك معصم * ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله أيضا فى الامير يشبك لما حضر الى القاهرة وصحبته سوار

منذوا فى الامير يشبك مصرا * حبذا مصر موطن الأوطار
لبست حلل نيلها وتحلى * زندها فى زويلة بسوار

انتهى ما أوردناه من واقعة سوار على سبيل الاختصار وفيه حضر الى القاهرة كسباى
الظاهرى الششمدى الذى كان دوادارا ثانيا ونفى الى الشام فارسل الامير يشبك يشفع فيه
فاجيب الى ذلك فاحضر كسباى صحبته واستمر فى داره بطالا حتى مات كما سيأتى الكلام عليه
وفى ربيع الآخر خلع السلطان على برسباى الشرفى وقرره فى امرية الحاج بالمحمل وقرر الشهابى
أحمد بن الاتابكى تانى بك البرديكى بامرية الركب الاول وكان متوعكا فى جسده فاخذ
يستعفى من السفر فما أعفى من ذلك وفيه توفى جانى بك الابيض أحد الحجاب وكان قد
جاوز السبعين سنة وكان لا بأس به وفيه توجه القاضى شرف الدين الانصارى الى جهة
الطينة وكان معه مائة مملوك من مماليك الامير يشبك الدوادار فلما وصل الى هنالك وجد
فى البحر الملح مراكب فيها أفرنج يعبثون بالمسلمين المسافرين فقبض على مركب منها

وأسر من فيها من الفرنج وأحضرهم صحبته لما عاد وفيه عزل قاضي القضاة الحنفي بن الشحنة وأمر بالتوكيل به بطبقة الزمام وذلك بسبب ما وقع في عقد المجلس الذي كان بين خوند شقرا وبين أختها خوند آسية بسبب وقف الظاهر برقوق فتعصب ابن الشحنة لخوند شقرا فحنق السلطان منه وعزله وكان في نفسه منه شيء بسبب ولده عبد البر وكانت هذه آخر ولايته للقضاء ولم يل بعدها القضاء واستمر في الترسيم بطبقة الزمام بسبب تعلقات أوقاف الحنفية ثم ان السلطان خلع على الشمس شمس الدين محمد الامشاطي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن محب الدين بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء فافيض عليه شعار القضاء ونزل من القلعة في موكب حافل وكان قد تمنع من الولاية غاية التمنع فالزمه بذلك السلطان وفيه شفع الاتابكي في قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة فنقل الى بيت كاتب السر حتى يقيم حساب أوقاف الحنفية وفي جمادى الاولى توفي دقماق الاشرفي الاينالي نائب القدس وكان شابا حسن الشكل موصوفا بالشجاعة وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بأن حسن بك الطويل ملك العراقين قد جمع من العساكر ما لا يحصى وهو زاحف على بلاد السلطان وقد بعث ولده محمدا مع عسكر ثقيل وقد وصلوا الى الرها فكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك فما صدق العسكر ان خمدت عنهم فتنة سوار فانتشى لهم فتنة حسن الطويل وزاد الكلام بين الناس بأن هذا ما هو مثل شاه سوار وان هذا لا يطاق فقلق السلطان والعسكر لهذا الخبر فكان كما قيل في المعنى

شكوت جلوس انسان ثقيل * فجانا آخر من ذاك أثقل

فكنت كمن شكا الطاعون يوما * فجاءه على الطاعون دمل

وفي جمادى الآخرة عين السلطان تجريدة الى حسن الطويل وعين بها من الامراء المقدمين ثلاثة وهم جاني بك قلقسيز أمير سلاح وسودون الافرم وقراجا الطويل الاينالي وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ومن الجند نحوا من خمسمائة مملوك فلما عينهم انفق عليهم وأمرهم بالمسير الى حلب بسرعة من غير تأخير وفيه وقع تشاجر عظيم بين الامير يشبك الدوادار وبين الأمير خاير بك بن حديد وذلك بحضرة السلطان وكان سبب ذلك صحصاح الكاشف فانه وقع بينه وبين الامير خاير بك بسبب بلاده التي في الفيوم فتعصب الامير يشبك لصحصاح فوقع بينهما ما لا خير فيه وفيه أخرج السلطان تقدمة سودون الافرم وقد استعفى من السفر الى حسن الطويل فلما أخرج عنه التقدمة أنعم بها على خماس الاسحاقي ورتب لسودون الافرم ما يكفيه وبقي طرخانا بمصر وفيه شفع في جاني بك المشد الاشرفي برسباي وكان مقيما بالقدس بطالا فحضر الى القاهرة ورتب له ما يكفيه واستمر مقيما بداره مدة حتى مات وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر حسن الطويل

قد استولى على كختاوكركو بعث مكاتبة مكتوبة بماء الذهب الى شاه بضاع صاحب الابلستين
بان يسلم اليه القلاع التى حوله ولا يخرج عن طاعته وأرسل له فى المكاتبة ألفاظا مزعجة
بما معناه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ثم هدده فى مكاتبته بأنه متى خالفه
يحصل له منه ماهو كيت وكيت فارسل بضاع المكاتبة للسلطان فلما قرأها السلطان وعلم
مافيها انزعج لذلك وتأثر ثم عين الامير يشبك الدوادار باش العسكر وعين تجريدة أعظم من
الاولى التى عينها قبل ذلك فعين بها من الامراء المقدمين يشبك الدوادار واينال الاشقر
وبرسباى قراومن الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وكتب من الجند فوق الفى
مملوك ثم أنفق عليهم وأخذوا فى أسباب الخروج الى السفر فخرجت التجريدة الاولى قبل ذلك
وكان باش العسكر جانى بك قلقسيز أمير سلاح ومن معه من الامراء فلما رحل من الريدانية
خرج الامير يشبك ومن معه من الامراء فرجت لهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود وفى
رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر صعد معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى فأخذ
السلطان يتكلم معه بسبب حسن الطويل فتكلم الشيخ أمين الدين بكلام انزعج منه
السلطان وقد تقدم له معه فى واقعة سوار بما تكلم به فى ذلك المجلس وقد تأثر منه السلطان فى
الباطن وفيه أرسل نائب الشام مكاتبة حسن الطويل الى السلطان وكان أرسل يهدده فى
هذه المكاتبة ويأمره باشياء لايمكن شرحها وكتب فى صدر المكاتبة يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من
حلب بان ورديش نائب البيرة قد قبض على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه
فسر السلطان بهذا الخبر وفيه وصل الى القاهرة من بلاد جركس اخت السلطان واسمها
جان كين ومعها اولادها فصعدت الى القلعة فى محفة وحولها الخدام وحضر معها عدة نساء
جراكسة وفيه رحل الامير يشبك هو وعسكره من الريدانية وكان مصروف السلطان على
هذه التجريدة فيما أنفقه مبلغ أربعمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار خارجا عن أشياء كثيرة
بعثها للامراء فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه نزل اليه السلطان وودعه هناك واجتمع
به فى خلوة وعرض عليه مكاتبة حسن الطويل التى بعثها الى نائب الشام وفى شعبان
ثارت جماعة من المماليك الجلبان على شرف الدين ابن كاتب غريب وكان متكلما فى
الوزارة والاستادارية عن الامير يشبك فتوجهوا الى داره وكسروا أبوابه فهرب واختفى
وكانت هذه أول حوادث الجلبان فى الفتك واستمرت الحوادث منهم تتزايد حتى كان منهم
ماسنذكره فى موضعه وفيه حضر قاصد نائب حلب وأخبر أن نائب حلب قبض على عثمان
ابن أغلبك وشخص آخر كان استادارا على تقدمة حسن الطويل التى كانت بحلب
وقبض على جماعة آخرين نحو من أربعين نفرا وقد نسبوا الجميع الى المواطأة مع حسن

الطويل وكانوا يكاتبونه بأخبار المملكة وأمر نائب حلب بشنقهم وفيه هلك بترك النصارى الملكية وهو نحر بن الصيفى وكان فى النصارى لابأس به وفيه كانت وفاة الشيخ فخر الدين المقسمى وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان الشافعى وكان من أعيان علماء الشافعية وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه دينا خيرا وافر العقل وذكر بأن يلى القضاء الاكبر غير ما مرة وولى عدة تداريس جليلة منها مشيخة الحديث بالشيخونية وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما مات قرر فى مشيخة الحديث بالشيخونية الشيخ جلال الدين السيوطى عوضا عن الفخر المقسمى وفى رمضان نزل السلطان الى دار عمر يعوده وكان منقطعا عن الركوب فسلم عليه وعاد الى القلعة وفيه وصل ركب من المغاربة من تونس وكان صحبتهم الحرة زوجة صاحب تونس وحضر صحبتها قاضى الجماعة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عمر القلجانى وكان من فضلاء علماء المالكية فاكرمه السلطان والامراء ورأى من العز والعظمة حظا وافرا وفيه صلب على باب زويلة جارية سوداء قد قتلت ستها فأمر القاضى اللقانى المالكى بصلبها حتى تموت وفيه توفى جانى بك قرا العلائى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وشاد الشون وكان لابأس به وفيه توفى أيضا أرغون شاه استادار الصحبة ونائب غزة كان وهو الذى قبض على الظاهر تمربغا لما تسحب من دمياط وكان أصله من مماليك الاشرف برسباى وكان محمود السيرة وفيه ختم البخارى بالقلعة وكان ختما حافلا وخلع فيه السلطان على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفى شوال جاءت الاخبار بوفاة برقوق الناصرى الظاهرى نائب الشام وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان شجاعا بطلا مقداما فى الحرب عارفا بأنواع الفروسية فى فنون لعب الرمح والرماية بالنشاب وولى عدة وظائف سنية منها شادية الشرابخاناه ثم تقدمة ألف ثم نيابة الشام ومات بها وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما حضر سيفه أظهر السلطان الحزن والبكاء وتأسف عليه وكان عنده بمنزلة الاخ ثم أمر باحضار أولاده وعياله الى القاهرة ثم رسم بنقل جثته الى القاهرة ليدفن فى تربته التى بباب القرافة وكان لبرقوق بر ومعروف وهو الذى أنشأ القبة على ضريح العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى ورضى عنه وفيه توفى الاتابكى جرباش كرت المحمدى الناصرى وكان طرخانا الى أن مات بمصر وكان قد قارب التسعين سنة من العمر وأصله من مماليك الناصر فرج وكان أميرا جليلا محتشما رئيسا ولى عدة وظائف سنية منها الامير اخورية الكبرى وامرية مجلس وامرية سلاح ثم بقى أتابك العساكر بمصر وترشح أمره الى أن يلى السلطنة لما وثبت جماعة الاشرفية على الظاهر خشقدم كما تقدم وكان متزوجا بخوند شقرا بنت

استاذه الناصر فرج ثم نفى بعد ماوقع له ماذكر الى دمياط ثم أحضر الى القاهرة ومات بها وجرى عليه شدائد ومحن كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال

وفيه جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار دخل الى حلب وكان له يوم مشهود فلما استقر بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده مكاتبة شرحها انه أرسل يطلب جماعته الذين أسروا وسجنوا بحلب وانهم اذا أطلقوهم يطلق من عنده من الاسرى وكان عنده دولات باى النجمى الذى كان نائب ملطية وجماعة آخرون فلم يلتفت اليه يشبك ولا أجابه عن ذلك بشئ وفيه توفى الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وهو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن خليل وكان أصلهم نصارى من الشوبك وحضر جدهم داود صحبة المؤيد شيخ لما قدم الى مصر وكان عبد الرحمن رئيسا حشما في سعة من المال وولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ثم ولى الاستادارية ونظر الخاص ثم جرى عليه شدائد ومحن وفر الى بلاد ابن عثمان ملك الروم وأقام هنالك مدة ثم عاد الى مصر وكان يدعى انه يعرف علم الحرف وكان له نظم سافل ومولده فى سنة ثمانمائة وفيه توفى نوروز الاشرفى كاشف الوجه القبلى وكان لا بأس به وفيه خرج الحاج على العادة وكان الشهابى أحمد ابن الاتابكى تانى بك أمير ركب الاول مريضا على غير استواء فلم يرق له السلطان وخرج على غير استواء وهو فى محنة فى النزع فلما وصل الى بركة الحاج مات ليلة الرحيل وكان حشما أدبا رئيسا وكان من الامراء العشراوات وتوجه الى الحجاز أمير ركب الاول غير مامرة وكان مولده بعد العشر والثمانمائة فلما بلغ السلطان موته طلب جانى بك الاشقر أحد مماليكه وخواصه ورسم له بان يتوجه أمير ركب الاول عوضا عن الشهابى أحمد بن تانى بك فتسلم جميع بركه وجماله وسافر على الركب الاول ثم حمل الشهابى أحمد الى القاهرة وغسل وكفن وصلى عليه ودفن فعد ذلك من النوادر الغريبة ولم يكن يمر الحج على بال جانى بك فى هذه السنة فكان كما قيل

الا انما الاقسام تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

وفيه أرسل السلطان خلعتين احداهما الى جانى بك قلقسيز أمير سلاح بان يستقر فى نيابة الشام عوضا عن برقوق بحكم وفاته وكان المشار اليه بالتجريدة فتوجه الى الشام واستقر بها وأما الخلعة الثانية فبعث بها الى اينال الاشقر بان يستقر فى امرية سلاح عوضا عن المذكور المتقدم وفى ذى القعدة طلع الخليفة المستنجد بالله يوسف ومعه القضاة الاربعة ليهنوا السلطان بالشهر على العادة فتكلم الخليفة مع السلطان فى أمر ابنة ست الخلفاء التى كان عقد عليها اخشكلدى البيسقى فطال الكلام فى ذلك وانفض المجلس على غير طائل ثم فسخ

عقدها عن خشكلدى فيما بعد وفى هذا المجلس تكلم السلطان مع قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الامشاطى فى اقامة قاض برسم حل الاوقاف والاستبدالات فقال ان السلطان له ولاية التفويض الى من شاء من النواب وأما أنا فلا ألقى الله تعالى بحل وقف ولا بعمل استبدال وقام من المجلس كالغضبان فتأثر السلطان منه فى الباطن رحمه الله تعالى ورضى عنه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الامير يشبك بعث جماعة من العسكر الى البيرة لقتال عسكر حسن الطويل وقد بلغه أن حالهم تلاشى الى الفرار وأن حسن الطويل أرسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر وهذا أول ابتداء عكسه لكونه أرسل يستعين بالافرنج على قتال المسلمين وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان ملك الروم أرسل قاصده الى الامير يشبك بان يكون عونا للسلطان على قتال حسن الطويل فاكرم القاصد وأرسل صحبته القاضى شمس الدين بن أجا قاضى العسكر بأن يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده هدية حافلة ومكاتبة بأن ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب أمر حسن الطويل وفيه وصل الى السلطان مكاتبة من عند ابن الصوا من حلب يخبر فيها بأن الامير يشبك قد انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة وأن ولد حسن الطويل قد جرح جراحات بالغة وآخر من أولاده أصيب فى عينه ووقع بين الفريقين مقتلة شديدة وقتل فى المعركة شخص من الامراء العشراوات يقال له قرقماس المصارع المعروف بالعلائى أمير اخور رابع وكان صهر مؤلف هذا التاريخ زوج أخته وكان انسانا حسنا دينا خيرا موصوفا بالشجاعة والفروسية علامة فى رمى النشاب والصراع أصيب بسهم فى صدغه فمات لوقته ولم يقتل فى هذه المعركة أحد من العسكر سواه ثم رحل عسكر حسن الطويل من البيرة وقد خذلهم الله تعالى بعد ما عدوا من الفرات وطرقوا البلاد الحلبية من أطرافها فردهم الله تعالى عن المسلمين وقد قالت الشعرا فى هذه النصرة عدة مقاطيع فمن ذلك قول شمس الدين القادرى

أيا حسن الطويل بعثت جيشا * كأغنام وهن لنا غنائم
فنار الحرب قد قتلت سوارا * وأنت لسبكها لا شك خاتم

وقال المنصورى

هل عارف بالخارجى المعتدى * يخبر الينا باسمه وصفاته
قالوا انعم حسن فقلت هلاكه * قالوا الطويل فقلت ليل شتاته

وقوله أيضا

أيها العسكر الذى سار قصدا * لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاما * فى وغى الحرب والطويل اقصروه

وقال محمد بن شادبك

عروس الحرب تقطعها المواضى * بارواح الاعارب والاعاجـم
وقـد جليت وفى يدها سوار * وها حسن لكف الحرب خاتم

وقوله أيضا

أيا حسن الطويل قصرت عمرا * وفاتتك المعالى والمغانم
سوار قد سبكناه ابتداء * وأنت بناره للسبك خاتم

وفى هـذا الشهر كسفت الشمس كسوفا عاما وأظلمت الدنيا واستمر الكسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وقد أتى من جهة البحر الملح فاكرمه السلطان وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل الى ملوك الافرنج بان يمشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر وهو يمشى عليهم من البر وقد ظفر هذا القاصد بقاصد حسن الطويل وهو قاصد نحو بلاد الافرنج فقبض عليه فى أثناء الطريق وهو فى مركب وأسره ثم ان القاصد أقام بمصر أياما وأضافه السلطان وأذن له فى السفر وخلع عليه ثم ان السلطان عين دولات باى حمام الاشرفى بان يتوجه قاصدا نحو ابن عثمان وفى ذى الحجة تغير خاطر السلطان على الامير خاير بك بن حديد الاشرفى وأمره بلزوم داره وهذه أول كائنة وقعت له ثم جرى عليه بعد ذلك ماهو أعظم من ذلك فأقام بداره أياما لا يركب ثم بعث السلطان خلفه الى ضرب الكرة فلما طلع الى القلعة وضرب الكرة اتفق أن السلطان قد سقط من يده الصولجان فترجل خاير بك عن فرسه وناوله للسلطان فخلع عليه وأركبه فرسا من خيوله ونزل الى داره وهو مكرم وفيه توفى جانم الالناف المؤيدى وكان أمير عشرة ولكن مات طرخانا وتوفى طوخ النوروزى وكان أمير عشرة ومات طرخانا وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بأنه لما وصل المحمل العراقى ودخل المدينة الشريفة كان أميرهم شخص يقال له رستم وصحبته قاض يقال له أحمد بن وجيه فضيقوا على قضاة المدينة وأمروهم بان يخطبوا فى المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين الشريفين فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه الى مكة كاتب أهل المدينة أمير مكة بما وقع منهم فخرج اليهم الشريف محمد ابن الشريف بركات ولاقاهم من بطن مر قبل أن يدخلوا الى مكة وقبض على رستم أمير ركب المحمل العراقى وقبض على القاضى الذى صحبته وعلى جماعة من أعيانهم وأودعهم فى الحديد ليبعثهم الى السلطان ثم أطلق بقية من كان فى ركبهم من الحجاج ولم يتعرض لهم وفيه جاءت الاخبار بوفاة الشيخ المسلك العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتبولى رحمه الله تعالى توفى بأسدود بالمنوفية ودفن بها وكان خرج الى زيارة بيت المقدس فأدركته المنية هناك فمات وكان خيرا دينا مباركا وللناس فيه اعتقاد حسن وكانت شفاعته عند

السلطان والامراء الاترد وكان له بر ومعروف وأنشأ ببركة الحاج حوضا وسبيلا وبستانا وكان يأوى الفقراء والمنقطعين وكان نادرة فى عصره صوفى وقته وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند العلامة الشيخ علاء الدين على بن محمد الطوسى البتاركانى الحنفى وكان له شهرة ببلاد سمرقند وألف فى العلوم الجليلة وكان من أعيان علماء الحنفية وفيه توفى اياس الطويل المحمدى الناصرى الذى كان نائب طرابلس الذى تقدم ذكره وفيه من الوقائع ان البرهان البقاعى وقاضى الجماعة أبو عبد الله القلجانى المغربى المالكى وقع بينهما بحث فى بعض المسائل فوقع من البرهان البقاعى فى ذلك المجلس جواب ضبطه عليه قاضى الجماعة وصرح بكفره وأشهد عليه وأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضى القضاة المالكى فلما علم كاتب السر ابن مزهر بذلك طلب البقاعى عنده وحكم بعض القضاة بحقن دمه ولولا كاتب السر ما حصل للبقاعى خير والذى جرى على البقاعى بسبب سيدى عمر بن الفارض رحمه الله ورضى عنه فانه كان رأس المتعصبين عليه واستمر البقاعى فى عكس حتى مات

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيع الرطل اللحم السليخ بثمانية نقرة والبطة الدقيق بأربعة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر الحبوب وابتيع القنطار البطيخ العبدلاوى بثلاثة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر المأكولات قاطبة وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بأن الافرنج قد عبثوا ببعض سواحلها وأسروا من المسلمين تسعة أنفار وفعلوا مثل ذلك بثغر دمياط فلما جرى ذلك عين لهم السلطان فى الحال الامير محمد بن قجماس الاسحاقى أحد مقدمى الالوف وأمره بالخروج من يومه فخرج بعد العصر وسافر من البحر فى عدة مراكب وأمره السلطان أن يتبع الفرنج حيث ساروا وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى بولاق وقد أضافه هناك ابن طفيش ضيافة حافلة وأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه رسم السلطان بعزل القاضى القمى المالكى أحد نواب الحكم بسبب حكم حكمه فشكاه الخصم الى السلطان بأنه جار عليه فحنق منه السلطان وأمر بعزله وفيه وصل الحاج وصحبتهم ابن أمير مكة والقاضى برهان الدين بن ظهيرة الشافعى وولده أبو السعود وأخوه وأحضر واصحبتهم رستم أمير الحاج العراقى والقاضى اللذان بعث بهما حسن الطويل وصحبتهما كسوة الكعبة المشرفة وأمر أهل المدينة والكعبة بأن يخطبوا فيهما باسم العادل حسن الطويل فسجن السلطان رستم والقاضى فى البرج الذى بالقلعة وتأخر الحاج فى السنة المذكورة عن ميعاده ثلاثة أيام بسبب موت الجمال وقلة المياه ثم أرسل خاير بك الخشقدمى الذى سمى سلطان ليلة يسأل فضل السلطان بان ينقله من مكة الى القدس ليقيم بها حتى يموت فشفع فيه الامير يشبك الجمالى فأجيب الى ذلك ونقل من مكة الى القدس وحضر صحبة الحاج الشيخ

سادالاذر بجانى الحنفى وهو شيخ تربة الامير يشبك الدوادار وفى صفر خلع السلطان على القاضى ابراهيم بن ظهيرة وأعاده الى قضاء الشافعية بمكة ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه القضاة الاربعة وأعيان الدولة وفيه خلع السلطان على تمراز التمشى وقرره فى رأس النوبة الكبرى عوضا عن اينال الاشقر بحكم انتقاله الى امرية سلاح وفيه عين السلطان برسباى الاشرفى استادار الصحبة بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدية سنية وفى ربيع الاول كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى خامس مسرى الموافق لخامس ربيع الاول فلما أوفى توجه الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس وفتح السد على العادة وفى ذلك اليوم نودى على النيل بزيادة اثنى عشر اصبعا بعد سبعة عشر ذراعا فكان زيادته ثلاثة أذرع فى ستة أيام وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة فلم يحضر فيه من الامراء المقدمين سوى ثلاثة أنفار وكان أكثر الامراء غائبا فى التجريدة وفيه توفى القاضى زين الدين عبد القادر بن عبد الرحيم بن الجيعان وكان رئيسا حشما كثير العشرة للناس ومات وهو فى عشر الخمسين وفيه جاءت الاخبار بهلاك صاحب قبرس وهو جاكم بن جوان بن جينوس الكيتلانى وكان من أعيان ملوك الافرنج وهو الذى حضر الى الديار المصرية فى دولة الاشرف اينال وكان شابا حسنا فى شكله فلما هلك تولى من بعده أخوه وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان بعث عسكرا لمحاربة حسن الطويل فسر السلطان لذلك وفيه توفى الامير يشبك الفقيه بن سلمان شاه المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر خشقدم ثم نفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة وأقام بها بطالا حتى مات وكان دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان قد شاخ سنه وقاسى شدائد ومحنا ومات ولده قبله بعدة يسيرة وغص عليه وكان ولده شابا حسنا مليح الشكل مشهورا بالفروسية وقد تقدم ذكر ذلك وفى ربيع الآخر أطلق السلطان رستم أمير الحاج العراقى وأطلق القاضى الذى صحبته وخلع عليهما وبعثهما الى بلادهما ترضيا لخاطر حسن الطويل وقد أشار بذلك الامير يشبك الدوادار وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار بوفاة الاشرفى استادار الصحبة الذى توجه قاصدا الى بلاد ابن عثمان وكانت وفاته بحلب وكان لابأس به فى ذاته وفيه خلع السلطان على ماس الاشرفى أحد خواصه وقرره فى استادارية الصحبة عوضا عن برسباى الشرفى بحكم وفاته وعين قاصدا الى ابن عثمان وفيه خلع السلطان على جانى بك الاشقر الدوادار وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وخلع على قانصوه خمسمائة الخاصكى أحد مماليك السلطان وقرره فى امرية الركب الاول وقانصوه هو الذى تسلطن ولم تتم له السلطنة وجرى له ما جرى وفيه أمر السلطان بتوسيط عبد صغير السن قد ذبح سيدته وأخذ مالها وهرب فقبض عليه من ليلته وفى

جمادى الآخرة ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان بالقلعة ومنعوا الامراء من الصعود واستمرا الحال على ذلك غد ذلك اليوم حتى سكن الامر قليلا بعد ما قصدوا جماعة من خواص السلطان وفيه من الوقائع الغريبة ان شخصا حلبيا كان عنده مسن من الرخام الاخضر له عنده نحو من ثلاثين سنة فاتفق أن ذلك المسن سقط من يد صاحبه فانكسر نصفين فخرجت منه دودة غريبة الشكل فد الحلبي يده اليها وأخذها يقلبها فلدغته فى اصبعه فاضطرب ساعة ووقع لوقته ميتا وهذا من غريب الاتفاق وفيه أرسل يشبك يسأل فى الحضور فان العسكر قد قلق من قلة العليق فلما بلغ السلطان حنق واغتاظ ثم أذن لهم بالحضور بعد ذلك وفى رجب نزل السلطان وتوجه الى الرماية ببركة الحبش فاصطاد ثلاثة كراكى وعاد من يومه وشق من القاهرة فى موكب حافل وفيه ثار جماعة من الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء والمباشرين من الصعود الى القلعة وكان رأس الفتنة شخص من مماليك السلطان يقال له على باى الخشن فلما خمدت هذه الفتنة ضربه السلطان نحوا من ألف عصا ونفاه الى الشام فجاءت الاخبار بعد مدة بأنه سقط عليه حائط ومات تحت الردم ففرح فيه غالب الناس وفيه جاءت الاخبار باستقرار قراجا الطويل الاينالى فى نيابة حماه عوضا عن بلاط اليشبكى بحكم صرفه عنها وحمل بلاط عقيب ذلك الى السجن بقلعة دمشق ومات فى السجن بعد مدة يسيرة وكان قد شاخ وجاوز السبعين سنة من العمر وفى شعبان عاد الاتابكى أزبك من البحيرة وخلع عليه السلطان ونزل الى داره فى موكب حافل وفيه حضر من الجند جماعة كثيرة ممن كان فى التجريدة صحبة الامير يشبك الدوادار فلما حضروا اختفوا بالقاهرة ولم يظهروا وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن أبا بكر بن مزهر كاتب السر عطس بحضرة السلطان فشمته السلطان مرتين فعد ذلك من النوادر وفى رمضان أنعم السلطان على تغرى بردى ططر بتقدمة ألف وهى تقدمة خماس الامصاقى مضافة الى تقدمة قراجا الطويل الاينالى وقد انتقل الى نيابة حماه وفيه قرر ملاح اليوسفى الظاهرى فى نيابة القلعة وفيه كان دخول الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وقد عاد من التجريدة فكان يوم دخوله يوما مشهودا فخلع عليه السلطان ونزل الى داره فى موكب حافل وفيه كان ختم البخارى بالقلعة وخلع فى ذلك اليوم على قضاة القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ زين الدين خطاب بن عمر بن مهنا بن يوسف بن يحيى العجلونى وكان عالما فاضلا مفتيا من أعيان الشافعية ومولده سنة تسع وثمانمائة وفى شوال كان موكب العيد حافلا حضر فى ذلك اليوم بالقلعة قاضى مكة البرهان بن ظهيرة وولده أبو السعود وأخو البرهان بن ظهيرة وكان الشريف بركات ابن أمير مكة حاضرا وجماعة من أعيان مكة فخلع السلطان

على الجميع فى ذلك اليوم وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الاشقر وأمير ركب الاول قانصوه خمسمائة فالتزم الامير يشبك بعمل بركه من ماله وكان الامير يشبك قد عقد على أخت قانصوه وصاهره وخرج صحبة الحاج شاهين نائب جدة وخرج القاضى ابراهيم بن ظهيرة وجماعته وابن أمير مكة قاصدين التوجه الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها وقد أوردوا للسلطان فى هذه الخطرة نحوا من مائة ألف دينار فأكرمهم السلطان وأجلهم ورتب لهم ما يكفيهم من الاسمطة وغير ذلك وأنزلهم فى بيت أم ناظر الخاص يوسف الذى ببركة الرطلى ورأوا فيها بهجة أيام النيل ثم بعد ذلك سافروا وفيه وقف الامير يشبك الدوادار الى السلطان واستعفى من الوزارة ومن الاستادارية فأجابه السلطان الى ذلك ولكن حتى يغلق سنته وكان من أمره ما سنذكره وفى ذى القعدة رسم السلطان ليشبك الجمالى بان يخرج قاصدا لابن عثمان ملك الروم وأبطل الماس الذى كان قد تعين قبل ذلك وفيه تزوج ازدمر الطويل الاينالى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان له مهم حافل وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى جهة بولاق فنهبوا ما فيها ثم قصدوا شونة الامير يشبك الدوادار فنهبوا ما فيها وصاروا يأخذون جمال السقايين ويحملونها مانهبوه من الشعير فلما تزايد الامر منهم نزل السلطان وهو سائق ومعه مقدم المماليك ولكن ما نزل الا بعد فوات الامر وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الضرر للناس من نهب وخطف بضائع الناس وغير ذلك فبات السلطان تلك الليلة فى جامع زين الدين الاستادار الذى ببولاق فاضافه تلك الليلة بعض قضاة بولاق وهو القاضى تقى الدين البرماوى امام الجامع المذكور وخطيبه ضيافة حافلة فشكر له السلطان ذلك وفى ذى الحجة قصد جماعة من المماليك الجلبان الاخراق بالامير يشبك الدوادار وقصدوا قتله ففر منهم وتوجه الى نواحى الجيزة حتى تخمد الفتنة قليلا فاستمر غائبا نحوا من خمسة عشر يوما ففى هذه المدة كثر القال والقيل بين الناس وامتنع الامراء من الصعود الى القلعة والسلطان مقيم بالدهيشة كالغضبان من مماليكه والابواب مغلقة عليه فطلع الاتابكى أزبك وأزبك اليوسفى وتمر حاجب الحجاب وكاتب السر وشرف الدين الانصارى وآخرون من الامراء على أنهم يتلطفون بالسلطان ويمشوا بينه وبين مماليكه بالصلح فامتنع السلطان من ذلك وصمم على عدم الصلح مع المماليك ثم خرج الى الحوش وجلس على الدكة وطلب من كان رأس الفتنة فى هذه الحركة وهو شخص من المماليك يعرف بالاقطش فأمر بتوسيطه فجردوه من ثيابه فى الحال فشفع فيه الامراء فما أجاب الا بعد جهد كبير ثم ضرب ذلك المملوك فوق ألف عصا وسجنه بالبرج وهذا كله جرى والامير يشبك غائب فى الجيزة لم يحضر الا بعد أيام حتى سكنت هذه الفتنة وفيه حضر الملك المنصور عثمان بن

الظاهر جقمق بطلب من السلطان وهذه ثانى مرة حضرها الى القاهرة فلما حضر أكرمه السلطان وخلع عليه ونزل فى دار الاتابكى أزبك عند أخته ثم أمره بالصعود الى القلعة لضرب الكرة مع الامراء وعومل معاملة السلاطين فى ارخاء البند الاصفر وتغيير الفرس فى مكان يغير فيه السلطان فرسه حتى عد ذلك من النوادر التى ما وقعت قط وأقام الملك المنصور بالقاهرة نحو شهرين حتى عاد الى دمياط وكان فى غاية العز والاكرام ووقع له أمور ما وقعت لاحد من أبناء الملوك قبله وكان حضوره الاول بسبب الحج وهذه المرة بسبب زيارة السلطان وفيه جاءت الاخبار بوفاة البدرى حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية وفيه توفى الامير سودون الافرم المحمدى الظاهرى وكان أحد مقدمى الالوف ولكن مات وهو طرخان وكان بيده امرية عشرة بأكلها حتى مات وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى محمد الاسلامبولى رحمة الله تعالى عليه وكان يعرف بالاقباعى وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ومكاشفات خارقة وفيه جاءت الاخبار بوفاة ملك التكرور رحمه الله تعالى وكان من أجل ملوك التكرور قدرا وفيه توفى عبد القادر بن جانم نائب الشام وكان شابا حسنا لا بأس به وتوفى فى هذه السنة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

❁ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم قدم قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه وأن ذلك لم يكن باختياره فاكرم السلطان ذلك القاصد واظهر العفو عما جرى منه وكان أشيع عن حسن الطويل أنه قتل وأظهر بعض التركمان قيصه وهو ملطخ بالدم ثم ظهر كذب هذه الاشاعة وقد ذكروه غير ما مرة ثم يظهر أنه كذب وفى صفر أمر السلطان بقطع خصيتى شخص من الاتراك يقال له شاهين وهو خازندار اينال الاشقر وكان نقل عنه للسلطان انه فعل الفاحشة ببعض مماليكه الاحداث وأنه كثير العشرة لهم فخصاه السلطان بعصر العتيقة وبرئ من ذلك بعد مدة وعاش مدة طويلة ومات وكان ذلك فى أيام ظهور شخص يهودى بعصر العتيقة عارف بالاخصاء وفعل ذلك مع جماعة كثيرة من الناس وبرئوا من ذلك وفى ربيع الاول تغير خاطر السلطان على الامير قانصوه الخفيف الاينالى أحد مقدمى الالوف فرسم لنقيب الجيش بأن يتوجه الى داره ويخرجه منفيا الى دمياط فتوجه اليه وأخرجه من يومه وحصل لقانصوه الخفيف منه غاية البهدلة وأخرجه خروج الشؤم فكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه فى ليلة الخميس عاشره ثارت فتنة عظيمة من المماليك الجلبان وقصدوا قتل الامير يشبك وهو فى داره فلما بلغ السلطان ذلك بعث للاتابكى أزبك وبقية الامراء أن يلبسوا آلة الحرب وأن يثبوا على المماليك الجلبان فاضطربت الاحوال وماجت القاهرة وغلقت الاسواق واتسع أمر الفتنة فأشار

بعض الامراء على السلطان بخمود هذه الفتنة وخشوا من أمر طائفة الاينالية لانهم تأثروا النفى قانصوه الخفيف فبعث السلطان الماس استادار الصحبة ومعه عدة وافرة من المماليك الجلبان الى دار الامير يشبك الدوادار فقبلوا يده واعتذروا له بما وقع منهم فأكرمهم وخلع على الماس كاملية بسمور وأرضى الجلبان بالكلام وسكنت الفتنة قليلا وفيه أنعم السلطان على ورديش نائب البيرة بتقدمة ألف وهى تقدمة قانصوه الخفيف بحكم نفيه الى دمياط وفيه توفى تنم العجمى بن ططخ الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان خشداش الاتابكى أزبك وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان بنفى سودون المؤيدى فنفاه الى مكة وكان قد نسب الى شئ من أمر الفتنة الماضية مع المماليك الجلبان وقد وشى به بعض المماليك عند السلطان فنفاه وفيه فى ليلة عيد ميكائيل نزلت النقطة وأمطرت السماء فى تلك الليلة مطرا غزيرا حتى عد ذلك من النوادر وفيه بعث الامير يشبك الدوادار الى القاضى علم الدين شاكر بن الجيعان يسأله فى استبدال قاعات البرابخية التى ببولاق ودفع لهم الثمن من ذلك خمسة آلاف دينار وكان قاضى القضاة الحنفى شمس الدين صمم على عدم الاستبدالات قاطبة فضيق عليه الامير يشبك حتى استبدل له البرابخية فقامت عليه الألسنة بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة خاير بك الظاهرى الخشقدمى الذى سموه سلطان ليلة وكان رئيسا حشما وجرى عليه شدائد ومحن ونفى فى عدة أماكن من البلاد وآخر الامر توفى بالقدس الشريف وفيه وفى النيل المبارك وقد توقف أياما وحصل للناس غاية القلق حتى بعث الله تعالى بالوفاء وكان اعشرين من مسرى فلما وفى نزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وسر الناس بذلك وفيه كان المولد النبوى وكان له يوم مشهود وفى ربيع الآخر ظهر بالسماء نجم له ذنب طويل وكان يظهر بعد العشاء واستمر على ذلك مدة ثم اختفى وفيه كانت وفاة العلامة الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودونى الحنفى وكان عالما فاضلا فقيها حاذقا كثير النوادر متفننا من أعيان الحنفية وكان مولده فى سنة احدى وثمانمائة وكان نادرة عصره وفيه خلع السلطان على جانى بك الاشقر وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر جانى بك الخشن الاينالى فى امرية الركب الاول وفيه نفى السلطان جماعة كثيرة من مماليكه منهم اينال الخفيف الذى ولى حاجب الحجاب فيما بعد وغيره من المماليك السلطانية ممن أثار تلك الفتن الماضية وفيه قدم للسلطان قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة تتضمن الشفاعة فى اينال الحكيم وكان قد جرى عليه كائنة وفر الى ابن عثمان فقبل السلطان شفاعته وأكرم ذلك القاصد وخلع عليه وأقام بمصر مدة ثم عاد الى بلاده وفى جمادى الاولى فى ليلة الجمعة كانت وفاة الامام العالم العلامة

محيي الدين الكافيجي وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي وكان اماما عالما فاضلا بارعا في العلوم ماهرا في الفقه والحديث والعلوم العقلية وغير ذلك وانتهت اليه رياسة مذهبه بمصر وصار مفتيها على الاطلاق وألف في العلوم الجليلة وكان مهيبا معظما عند السلطان والامراء ولي عدة وظائف منها مشيخة الخانقاه الشيخونية ومشيخة تربة الاشرف برسباى وغير ذلك وشهرته تغني عن مزيد التعريف به ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان من أفاضل الحنفية رحمه الله تعالى وفيه يقول المنصوري وقد أضافه في خلوته بحلاوة قرع فقال فيه

ياعين أعيان الزمان ويا * محيي بمصر سنة الشرع
لم يقرع الباب امرؤ نحوكم * الا وذاق حلاوة القرع

ولما مات رثاه المنصوري بهذه الابيات

بكت على الشيخ محيي الدين كافيجي * عيوننا بدموع من دم المهج
كانت أسارير هذا الدهر من درر * تزهى فبدل ذاك الدر بالسبج
فكم ترى من سماح من مكارمه * فقري وقوم بالاعطاء من عوج
يانور علم أراه اليوم منطفئا * وكانت الناس تمشي منه في سرج
فلو رأيت الفتاوى وهي باكية * رأيتها من نجيع الدمع في لجج
ولو سرت بثناء عنه ريح صبا * لاستنشقوا من شذاها أطيب الارج
ياوحشة العلم من فيه اذا اعتركت * أبطاله فتوارت في دجى الرهج
لم يلحقوا شأو علم من خصائصه * أني ورتبته في أرفع الدرج
قد طال ما كان يقرينا ويقرئنا * في حالتيه بوجه منه مبتهج
سقياله وكساه الله نور سنا * من سندس بسدا الغفران منتسج

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو طرا وأقام بها الى آخر النهار وعاد وفي عقيب ذلك رسم السلطان بنفي اثنين من الاينالية وهذا أول الفتك بهم وفيه توفي سودون المنصوري مات قتيلا سقط من سطح وكان مشغول الرأس فمات لوقته وكان شابا حسن الشكل كثير الاسراف على نفسه فقصد السلطان أن يصلي عليه فلما علم كيفية موته لم يصل عليه نعوذ بالله من ذلك وفيه خلع السلطان على خشقدم الاحمدي الطواشي وقرره في الوزارة عوضا عن الامير يشبك الدوادار بحكم استعفائه عنها وقرر قاسم شغيته في نظر الدولة فلما أحضروا لخشقدم الخلعة شرع يلطم بيديه على وجهه ويبكي وصار يدعي الفقر والعجز ويكرر الاستعفاء والسلطان لم يلتفت لكلامه فلبس الخلعة ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند وعلى يده هدية للسلطان

ومن جملتها سبع عظيم الخلقة وخيمة كبيرة وغير ذلك فاكرمه السلطان وخلع عليه وفيه نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران ونصب هناك تلك الخيمة التى أهداها له ملك الهند وكانت غريبة فاقام هناك ثلاثة أيام فصادف دخول الامير يشبك الجمالى الذى كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم فعاد من سفره وقابل السلطان فى خليج الزعفران وعليه خلعة ابن عثمان ومكاتبة تتضمن التودد بينهما فانسر السلطان بذلك وفيه أمر السلطان بنباء ما تهدم من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه فقيل انه صرف عليه خمسة آلاف دينار وفى جمادى الآخرة خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى وقرره فى مشيخة الخانقاه عوضا عن محيى الدين الكافيجى وخلع على ابن قاضى القضاة سعد الدين الديرى وقرره فى مشيخة الشيخونية وكانت مشيخة المؤيدية مع أولاد ابن الديرى بحكم شرط الواقف فعادت اليهم وفيه أعيد السيد الشريف موفق الدين أحمد الحموى فى نظارة الجيش لدمشق عوضا عن ولد برهان الدين النابلسى وكان قد وليها بعد وفاة البدر بن مزلق وفيه وقعت تشحيطة صعبة بالقاهرة وعز وجود الخبز من الدكاكين وتزاحم الناس على شراء القمح واستمر ذلك مدة حتى دخل المغل الجديد وفى رجب قرر السلطان الشيخ أبا عبد الله القلجانى المغربى قاضى الجماعة فى مشيخة تربة السلطان وقرر فى خطبتها الشيخ أبا الفضل الحرقى وقرر بها اثنين صوفيا يحضرون فى الخمسة أوقات وقرر فيها شيخ الميقاتية بدر الدين المارديني وقرر فى قراءة المصحف بها ناصر الدين الاخميمى وخازن الكتب بها العلائى على بن خاص بك وبنى للصوفية حول التربة عدة بيوت يسكنون بها دائما ثم رتب لهم الجوامك والخبز والزيت والصابون وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وخطب بها فى الشهر المذكور وحضر الامراء والقضاة الاربعة وأرباب الدولة قاطبة وكان يوما حافلا وفيه خلع على القاضى أبى الفتح المنوفى وقرره فى نيابة جدة عوضا عن شاهين الجمالى وأضيف اليه الصرف أيضا عوضا عن محمد بن عبد الرحمن وفيه غضب السلطان على شادبك أباز الاينالى الاشرفى أحد العشراوات فالبسه زنطا عتيقا وأمر بحمله الى خان الخليلى ليباع وقد ثبت أنه باق على ملك المنصور عثمان بحكم انه ورثه من قانى باى الجركسى فأمر السلطان بان يباع ويحمل ثمنه الى الملك المنصور فشفع فيه الاتابكى أزبك فما قبل منه وآل الامر الى أن حمل شادبك أباز وآخر من الاينالية يقال له خاير بك وآخر يقال له سيباى فحملوا الى الملك المنصور فاشهد على نفسه بعتقهم ثم نفى شادبك الى دمشق وخاير بك الى طرابلس وشفع فى سيباى بأن يقعد بمصر بطالا وقد بلغ السلطان ما غير خاطره عليهم قيل انهم قصدوا الوثوب على السلطان لما وثب المماليك على الامير يشبك الدوادار فانكشف رخ جماعة الاينالية فى هذه الحركة وصار السلطان ينفى منهم جماعة بعد جماعة ممن كان رأس الفتنة فى هذه الحركة

وفيه طلع الى السلطان شخص من الفقهاء يقال له شهاب الدين القلقيلي ورفع قصة يشكو فيها الشيخ عبد البر بن الشحنة بانه سلط غلمانه وعبيده عليه فضربوه ضربا مبرحا وذكر في آخر القصة أن عبد البر جاهل ما يحسن قراءة الفاتحة وأن الصلاة خلفه لا تصح فمال السلطان مع القلقيلي على عبد البر فرسم السلطان باحضار عبد البر وجماعة من مشايخ القراء وقرأ عبد البر بحضرتهم والسلطان جالس والقلقيلي حاضر فلما سمعه المشايخ القراء شكروا قراءته فمال السلطان على القلقيلي وكان قد حلف برأس السلطان أن عبد البر ما يحسن قراءة الفاتحة فلما ظهر للسلطان كذب القلقيلي أمر بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا وأمر بحمله الى القاضي المالكي ليفعل به ما يوجبه الشرع وانتصر عبد البر عليه وفيه جاءت الاخبار بوفاة الناصري محمد بن شادبك التركماني الحلبي نائب طرابلس وفيه توفي يشبك الظاهري السيفي على باى نائب قلعة دمشق وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان للرماية فلما عاد شق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه وقع بين الامير يشبك الدوادار وخشقدم الوزير حتى صرح الامير يشبك بعزل نفسه من الدوادارية وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس حتى ركب اليه الامير الكبير أزبك وجماعة من الامراء وتلطفوا به حتى طلع معهم الى القلعة وخلع السلطان عليه كاملية بسمور وأصلح بينه وبين خشقدم الوزير وباس خشقدم يد الامير يشبك وخمدت هذه الفتنة التي بينهما وفيه جاءت الاخبار بوفاة بلباى العلائي الظاهري نائب صفد وكان لا بأس به وولي نيابة الاسكندرية ثم نيابة صفد ومات وهو في عشر الستين وفي شعبان توفي بكتمر البواب الابوبكري الاشرفي وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان الى الاصطبل وحكم به وكاتب السر بين يديه على دكة لاجل قراءة القصص وحضر يشبك الدوادار وشكا كاتب السر وهو واقف بين يدي السلطان فأمره أن ينزل ويقف بين يديه بازاء خصمه حتى يدعى عليه وحضر آخر وشكا جاني بك الفقيه ففعل به كذلك وفيه توفيت خوند بدرية بنت الاشرف اينال وكانت لا بأس بها وتركت عدة أولاد ذكور واناث وفيه وصل قاضي القدس وهو في الحديد ومعه جماعة من أعيان أهل القدس وهم في الحديد بسبب هدم كنيسة هناك وقد ثار بسبب ذلك شر كبير بين العلماء وكتبت عدة فتاوى بسبب تلك الكنيسة وصار يفتي بعضهم بالهدم وبعضهم بالابقاء وفيه هجم طائفة من العربان المفسدين على جماعة من الناس في أثناء طريق المنية واستمروا يعرون الناس من المنية الى قنطرة الحاجب وكان ذلك بعد العصر وكان أول الربيع وسلبوا أثواب المتفرجين وطلعوا من على قناطر الاوز وخرجوا الى الفضاء وكانوا نحوا من عشرين خيالا وكان من جملة ما سلبوه أثواب شخص من الامراء العشراوات يقال له كسباى المغربي وكان راجعا من طريق المنية فاخذوا اسلاريته من فوقه وفيه توفي

تانى بك الازدمرى الحاجب الثانى وكان قد شاخ وبلغ من العمر نحوا من تسعين سنة وفيه عرض السلطان من فى السجون فاطلق منهم أربعة أنفار لاغير وأعاد البقية الى السجون وفى رمضان صعد القضاة الاربعة ومشايخ العلم ليهنؤا السلطان بالشهر فامر السلطان بعقد مجلس بين يديه بسبب كنيسة اليهود التى هدمت بالقدس فافتى الشيخ أمين الدين الاقصرائى بجواز هدمها وكذلك شمس الدين الجوجرى وزين الدين الابناسى وأفتى الشيخ سراج الدين العبادى وقاضى الجماعة القلجانى المغربى المالكى وآخرون من العلماء بعدم جواز الهدم وانها تعاد الى ما كانت عليه فوقع فى المجلس القال والقيل من العلماء وكثر الخبط وانفض المجلس على غير طائل وأمر السلطان بعقد مجلس آخر فى دار يشبك الدوادار وكان السلطان مائلا الى عدم هدم الكنيسة واعادتها الى ما كانت عليه وقد مال جماعة من العلماء مع غرض السلطان وحكم باعادتها الى ما كانت عليه ووقع بين قاضى القضاة المالكى اللقانى وقاضى الجماعة ما لاخير فيه وكذلك سراج الدين العبادى والجوجرى ومما هجى به السراج العبادى

أياسراج اليهود طرا * ومن لدين العزيز أفتى
عصبة أهل الكتاب قالوا * لن ترضى عنك اليهود حتى

وقيل فى قاضى الجماعة من جملة أبيات فى ذلك المعنى

تفتى بعود كنيسة * يامغربى ما أنت الا

وفيه توفى اينال الاشقر الجاوى الظاهرى أمير سلاح وكان أميرا جليلا شجاعا بطلا وكان ظالما غشوما عسوفا كثير الاسراف على نفسه وكان عنده كرم زائد مع اتضاع وأصله من مماليك الظاهر جقمق وولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة ونيابة ملطية ونيابة حلب ورأس نوبة كبير وامرية سلاح وغير ذلك من الوظائف وكان فى آخر عمره ظهر به جذام وبرص فاحش جدا وفيه قرر يشبك قرقاس الاشرفى فى نيابة دمياط وفيه توجه السلطان نحو الطرانة وكان معه الاتابكى أزبك فاقام هناك أياما وعاد وفيه قرر مغلباى سرق الاشرفى فى حجوبية الحجاب بدمشق وفيه فر من العربان من حبس الديلم شخص من بنى حرام يقال له عمر بن معروف وفر من سجن القاعة شخص يقال له محمد بن زامل وفر من سجن المقشرة أيضا شخص يقال له ابن صالح الكل فروا فى مدة يسيرة من هذا الشهر وفى ثالث شوال خرج الاتابكى أزبك مسافرا الى الحجاز وصحبته زوجته بنت الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الامير أزبك اليوسفى ومعه زوجته خوند بنت عم الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى وولده أبو السعود فحج الشيخ أمين الدين فى محفة وقد بعث له السلطان سبعمائة دينار يستعين بها على الحج وخرج صحبتهم الكثير من

الناس وقد سبقوا الحاج بعشرين يوما وفيه خلع السلطان على قريبه ازدمر بن مزيد وقرره في نيابة صفد عوضا عن بلباى العلائى الظاهرى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة ولماج الشيخ أمين الدين الاقصرائى في المحفة قال فيه بعض شعراء العصر هذين البيتين

محفـة الشيخ الاقصرائى * تنشد جدواه في المشاهد

تقول طوبى لمثـل هـذا * قد حج بالناس وهو قاعـد

وكان أمـير الركب في السنة المذكورة جانى بك الاشقر أحـد خواص السلطان وبالركب الاول جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك وفي السـنة المذكورة حجت خوند فاطمة زوجـة السلطان بنت العلائى عـلاء الدين بن خاص بك فكان يوم خروجها يوما مشهودا وكان لها موكب حافل وخرجت في محفة زركش برصفيات لؤلؤ مرصـعة بانواع المعادن المثمنة وخرجت صحبتها أخت السلطان في محفة زركش وخرج معها خمسون جملا من المحاير المخمـل الملون ومشى قدام محفتها بالرميلة جميع أرباب الوظائف والدولة وغـير ذلك من المباشرين ومشى الزمام ومقـدم المماليـك وأعيان الخـدام بايديهم العصى وقدامها من الحداة أربعة منهم ابراهيم بن الجندى المغنى وأبو الفوز الواعظ وغير ذلك فكان تجملا زائدا قل ان يقع لاحد من الخوندات مثله فعد ذلك من النوادر وكان المتسفر عليها والدها العلائى على بن خاص بك وبرسباى المحمودى الخازندار وفيه من الحوادث انه قبل خروج خوند الى السفر رسم السلطان بشنق جارية بيضاء جركسية فشنقت على جميزة بالقرب من حدرة ابن قميحة عنـد الاحواض التى بطريق مصر العتيقة وكانت هـذه الجارية جات من بعض مماليك السلطان فلما عـلم السلطان بذلك شـنق الجارية وأغـرق المملوك وقيل بل خصاه ونفاه الى الشام وفيه اضطربت أحوال الشرقيـة بسبب فساد العربان من بنى حرام وبنى وائل فعين السلطان لهم الامير يشـبك الدوادار فخرج مبادرا وفي ذى القعدة هجم عرب غزالة على ضواحى الجيزة ونهبوا خيول المماليك وقتلوا جماعة من الغلمان وأطلقوا من كان في السجن فتنكد السلطان لهذا الخبر وعـين عدة من الامراء والجند فخرجوا الى جهة فاقاموا هنالك أياما وعادوا ولم يظفروا بأحـد من العربان المفسـدين وفيـه توفى بيبرس الطويل الاشـقر بن ططخ أحـد مقدمى الالوف بدمشـق وكان لابأس به وفي ذى الحجة جاءت الاخبار من الاسكنـدرية بوفاة الملك الظاهر تمربغا أبى سعـيد الظاهرى الرومى مات بثغر الاسكندرية وقد جاوز الستين سنة من العمر وكان ملكا جليلا شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسـية وافر العقل كامل الهيئة واليه تنسب أشياء كثيرة من آلة الحرب ورمى النشاب ولعب الرمح وكان من خيار الظاهرية اشتراه الملك الظاهر جقمق في سـنة سبع وعشرين وثمانمائة وأعتقه ثم آل أمره الى أن بقى سلطانا وجرى عليه شدائد ومحن ونفى عدة مرار وجرى

عليه من المماليك الخشقدمية ما الاخير فى اعادته وخلع من السلطنة بعد ثمانية وخمسين يوما وآخر الامر مات قهرا كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وفيه أمر السلطان بتوسيط كاشف البحيرة وهو شخص يسمى خشقدم الزينى فوسطه هو وشخص من الكتاب يقال له ابن الطواب وقد تجمد عليهما مال لم يقوما به وفيه ضرب السلطان فلوس جدد ثم نودى عليها كل رطل بستة وثلاثين ونودى على الفلوس العتق كل رطل باربعة وعشرين فخسر الناس فى هذه الحركة ثلث أموالهم وكانت الفلوس تخرج بالعدد كل أربعة أفلاس بدرهم وفيه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة وكان المبشر يومئذ شخص من الخاصكية يقال له جان بلاط الغورى فاخبر بوفاة أبى السعود محمد ابن الشيخ أمين الدين الاقصرائى مات وهو عائد من مكة ودفن فى أثناء الطريق وكان شابا حشما رئيسا من أهل العلم والفضل وتوفى كاتب السر الذى بطرابلس السيد الشريف تقى الدين أبو بكر بن أحمد وكان لا بأس به

﴿ثم دخلت سنة ثمانين وثمانمائة﴾ فيها فى المحرم خلع السلطان على الشيخ بدر الدين ابن الغرس الحنفى وقرره فى مشيخة تربة الاشرف برسباى عوضا عن الكافيجى بحكم وفاته وفيه رسم السلطان بتوسيط عمر بن أبى الشوارب شيخ قليوب وقد ضرب بالمقارع بين يدى السلطان وشهر على جمل ووسط بقليوب وفيه فى سابع عشره كان وصول الاتابكى أزبك من مكة المشرفة وحضر صحبته الشيخ أمين الدين وهو فى غاية التشويش على فقد ولده أبى السعود وقد وقع له ما يشبه الذهول فلم يلبث بعد دخوله القاهرة سوى تسعة أيام ومات فلما طلع الى السلطان خلع عليه وعلى الاتابكى أزبك ونزلا الى دورهما وفيه فى رابع عشريه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر عن ميعاده باربعة أيام وحصل للحاج عطشة شديدة عند العود وكان الحاج فى تلك السنة كثيرا ثم دخلت خوند زوجة السلطان الى بركة الحاج وهى فى تجمل زائد ولاقاها الامراء قاطبة حتى القضاة وترجلوا اليها من فوق بغالهم وهى فى المحفة ولاقتها المغانى من البيوت ومدت لها هناك أسمطة حافلة فلما طلعت الى القلعة رفعت على رأسها القبة والطير ونثرت عليها صنائف الذهب والفضة وكان لها بالقلعة يوم مشهود ودخل اليها التقادم من أرباب الدولة وأعيان الناس وفيه فى سابع عشريه كانت وفاة شيخ الاسلام أمين الدين يحيى بن محمد الاقصرائى الحنفى رحمه الله تعالى وكان قد ناف على الثمانين سنة من العمر وكان مولده سنة سبع وتسعين وسبعمائة وكان اماما عالما فاضلا مفتيا به نفع للمسلمين

من أجل علماء الحنفية بارعا فى الفقه دينا خيرا قائما فى الحق يخاشن الملوك والسلاطين ويغلظ عليهم فى القول ولا يخشى الا الله تعالى وكان فى سعة من المال وولى عدة وظائف سنية منها مشيخة المدرسة الاشرفية ومشيخة المدرسة الصرغتمشية والايتمشية والجانبكية وكان بيده عدة تداريس وطلب ليلى القضاء غير ما مرة وهو يتمنع وفى صفر خلع السلطان على قريبه جانم الشريفى وقرره فى نظر الجوالى وهذا أول استظهاره فى الوظائف وفيه توفى الأمير قانى باى الساقى الطويل الظاهرى أحد الامراء الطبلخاناة والحاجب الثانى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه نزل السلطان الى طرا ومعه الاتابكى أزبك فبات هناك ومد له الاتابكى أسمطة حافلة فبات وعاد من غده وفيه توفى الشيخ نجم الدين اسحق القرشى الحنفى كان من أعيان علماء الحنفية ومولده قبل التسعين وسبعمائة وكان لا بأس به وفيه توفى تمر حاجب الحجاب وهو تمر بن محمود شاه الظاهرى وكان ظالما غشوما عسوفا شديد القسوة تولى ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب وكان فى أيام ولايته صارما على العبيد والغلمان وغير ذلك وقتل منهم جماعة كثيرة حتى قيل أحصى من قتله فى أيام ولايته فكان زيادة على السبعمائة انسان فلما مات قال جماعة من أهل الصحراء انهم سمعوه يعوى فى قبره كما تعوى الكلاب نعوذ بالله من ذلك وفيه طلع القلعة شخص من الامراء العشراوات يقال له دولات باى حلاوة المحمودى فبينما هو واقف بين الامراء اذ اضطرب فحملوه الى تحت الكرمة التى بالحوش فمات لوقته فاحضر له تابوت وأنزلوه الى داره ودفن من يومه وكان دينا خيرا لا بأس به وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وحضره القضاة الاربعة وأعيان الناس من الامراء وغيرهم وفيه خلع السلطان على القاضى تاج الدين ابن المقسى وأعيد الى نظر الخاص وقد نسى العلقة بالمقارع التى دخلت فى أجنابه وانفصل عنها القاضى بدر الدين بن كاتب السر بن مزهر وفيه خلع السلطان على الامير أزدمر الابراهيمى الطويل الاينالى وقرر فى حجوبية الحجاب عوضا عن تمر بحكم وفاته وفيه قرر السلطان فى الحجوبية الثانية سيباى الظاهرى الذى كان أمير اخور ثانى وقرر ازدمر المسرطن فى الخازندارية الكبرى عوضا عن ازبك اليوسفى بحكم انتقاله الى تقدمة ألف وفيه توفى الامير يشبك حلس بن اقبردى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان دينا خيرا لا بأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان على الشيخ برهان الدين بن الكركى وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن الشيخ أمين الدين الاقصرائى بحكم وفاته وفيه أشيع بين الناس أن السلطان يقصد السفر والخروج بنفسه الى البلاد الشامية فنزل بالميدان الكبير الذى بالناصرية وعرض هناك خيول الدشار ثم توجه الى بولاق ونزل فى بيت شرف الدين الانصارى الذى ببولاق فاضافه

الانصارى هناك ضيافة حافلة وكان الانصارى قد أنشأ غرابا تحت داره فنزل السلطان فيه وتوجه الى شبرى ثم عاد قريب المغرب وطلع الى القلعة وفيه فى ثانى عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اعزلو بن حسن الطويل قد وقع بينه وبين أبيه وقد بعث يستنجد بنائب حلب على أبيه فجهز نائب حلب معه جماعة من عساكر حلب وجعل عليهم باش اينال الحكيم اتابك حلب وجانم السيفى وجانى بك نائب جدة وكان يومئذ نائب البيرة ودولات باى المحوجب وآخرين من أمراء حلب فلما خرجوا الى عسكر حسن الطويل تقاتلوا معهم فانكسر عسكر حلب وجرح محمد اعزلو جرحا بليغا ورجع الى حلب فى خمسة أنفار وان اينال الحكيم فقد فى المعركة وان دولات باى أسر فى المعركة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوش له وعين جماعة من الامراء منهم الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وبرسباى قرا وخاير بك بن حديد ووردبش وعين من الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وأمرهم بأن يتجهزوا ويكونوا على يقظة حتى يرد عليهم من أمر حسن الطويل مايكون فاضطربت أحوال العسكر فبينما هم على ذلك اذ ورد كتاب من ابن الصوا يخبر فيه بأن عسكر حسن الطويل عاد الى بلاده ولم يحصل منه ضرر فانشرح السلطان لهذا الخبر وبطلت التجريدة التى تعينت الى حسن الطويل فكان كما قيل

وكم هم تساء به صباحا * فتأتيك المسرة بالعشى

وفيه توفى عضد الدين السيرامى شيخ المدرسة البرقوقية وهو عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفى السيرامى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية بارعا فى الفقه مفتيا وكان لابأس به فلما توفى خلع السلطان على قاضى القضاة شمس الدين الامشاطى وقرره فى مشيخة البرقوقية عوضا عن السيرامى وفيه خلع السلطان على أزبك فشق الظاهرى وقرره فى امرية الاخورية الثالثة عوضا عن سيباى بحكم انتقاله الى الجوية الثانية وفيه خلع السلطان على ولد برهان الدين النابلسى وأعيد الى نظارة الجيش بدمشق وصرف عنها الشريف موفق الدين الحموى وفيه توفى جمال الدين الباعونى قاضى القضاة الشافعية بدمشق وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وكان قد ترشح أمره ليلى قضاء مصر فلم يتم له قضاء مصر وكان مولده سنة خمس وثمانمائة وفى جمادى الاولى خلع السلطان على قجماس الاسحاقى وقرره فى الامير اخورية الكبرى عوضا عن جانى بك الفقيه الظاهرى بحكم انتقاله الى امرية سلاح عوضا عن اينال الاشقر بحكم وفاته وخلع على قانم قشير الظاهرى أحد العشراوات وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قجماس الاسحاقى

بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الكبرى وفيه خلع على برديك السيفى جرباش كرت وقد ظهر أنه قريب السلطان فقرره فى نيابة صفد عوضا عن ازدمر بن مزيد قريب السلطان أيضا وفيه نقل ازدمر المذكور الى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك البجاسي وكان برديك السيفى يومئذ شاد الطرانة فاستكثر عليه الناس نيابة صفد دفعة واحدة وفيه توجه الى دمشق برهان الدين النابلسى وكيل بيت المال وقد خرج فى بعض أشغال السلطان وفيه وصل القاضى شمس الدين بن أجا قاضى العسكر وكان قد توجه قاصدا الى حسن الطويل فأخبر بأن الطاعون قد هجم فى بلاده ومات من عسكره مالا يحصى وقد تلاشى أمره فسر السلطان بهذا الخبر وفيه قدمت الى القاهرة زوجة حسن الطويل أم ولده محمدا اعزلو تستجير لولدها محمد بالسلطان بأن يشفع له عند أبيه ويصلح بينهما فلما قدمت أكرمها السلطان وأنزلها بدور الحريم وفيه نقبت قاعة الذهب وسرق منها عدة سبائك وشريط ذهب فلما بلغ السلطان ذلك ضيق على والى القاهرة حتى يفحص عمن فعل ذلك ثم بعد أيام ظهر أن شخصا يقال له يوسف وكان من جملة صناع القاعة انه هو الفاعل لهذا فقبض عليه وعرض على السلطان وأخذ ما كان معه من السبائك الذهب وسجن بالمقشرة الى أن يرد أمر مولانا السلطان فيه بما يقتضيه وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار من دمشق بأن برهان الدين النابلسى وكيل السلطان لما دخل الى دمشق صدرت منه القبائح العظيمة بأهل دمشق فما أطاقوا ذلك ورجموه ورموا عليه بالسهام وأحرقوا داره بالنار وأرادوا قتله فركب نائب قلعة دمشق بنفسه وتلطف بالعوام حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وقد كادت أن تخرب دمشق فى هذه الحركة بسبب ظلم النابلسى وكان قد طغى على الناس وتجبر وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حقه حتى آل أمره الى ما سنذكره فى موضعه وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو طرا فاضافه هناك ابن البلاح وكان أحضر بين يديه قدورا مختومة بها شهد ففتحت منها قدرة بين يدى السلطان وهو جالس على السماط فلما فتحت خرج منها نحلة كبيرة فقصدت وجه السلطان دون الجماعة الذين على السماط فلدغته فى جفن عينه فورم وجهه فى الحال وتشوش لذلك ورجع من وقته فطلع الى القلعة فانقطع عن اقامة الخدمة أياما حتى شفى وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاع بن دلغادر وصاحب الابلستين وبين ابن قرمان ووقع بينهما مقتلة عظيمة ووقع أيضا بين حسن الطويل وبين أخيه أويس وبعث اليه طائفة من عسكره بالرها فحاربوا أويسا وقتلوه ومن معه من العسكر وفيه توجه السلطان الى ثغر دمياط وقد توجه الى دمياط مرة أخرى قبل ذلك وفى هذه السفرة الثانية توجه الى دمياط من البحر فى عدة مراكب كثيرة نحو من مائة مركب وكان معه من الامراء يشبك الدوادار وآخرون من الامراء المقدمين والعشراوات

وجماعة

وجماعة من المباشرين والخاصكية من المماليك السلطانية ووقع له وهو حادر في البحر أنه رمى على كركى من كراكى بجزيرة فى البحر فصرع الكركى فتحامل وألقى نفسه فى البحر فبادر اليه بعض السلحدارية ونزل فى البحر ليحضر الكركى فقوى عليه التيار فغرق من وقته فتنكد السلطان بسبب ذلك فلما طلع الى ثغر دمياط لاقاه النائب ومد له مدة حافلة فأقام بها أياما وهو فى أرغد عيش وتنزه فى غيطان البلد وتوجه الى مكان يصادفيه السمك البورى ونزل فى مركب صغير وعاين كيف يصاد البورى وانشرح فى هذه السفرة الى الغاية فلما أراد العود الى القاهرة عاد فى البحر أيضا ونزل فى المركب قاصدا الديار المصرية فلما أن وصلوا الى بولاق سيب النفطية صواريخ ننط فجاء منها صاروخ فى مركب الامير يشبك الدوادار فعملت النار فى قلع المركب فاحترق فاضطرب الامير يشبك من ذلك وصار يدفع عن وجهه النار بالمخدة فأدركه طواشى يقال له مرجان الحبشى فبينما هو يطفئ النار اذ سقط عليه الصارى فمات لوقته هو وشخص من المماليك السلطانية فكانت مدة غيبة السلطان فى هذه السفرة نحوا من خمسة عشر يوما وطلع الى القلعة فى سلخ الشهر وفى رجب صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر وقدوم السلطان من السفر فخلع فى ذلك اليوم على أبى البقا ابن قاضى القضاة ابن الشحنة وقرر فى قضاء الشافعية بحلب عوضا عن عز الدين الحساوى بحكم صرفه عنها وفى أثناء هذا خرج السلطان على حين غفلة وقصد التوجه الى القدس الشريف وكان معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وآخرون من الامراء والخاصكية وجماعة من أعيان المباشرين وغيرهم فلما دخل الى القدس أظهر به العدل وأقام به ثلاثة أيام ثم زار الخليل عليه السلام وتصدق فى القدس والخليل بستة آلاف دينار وأزال بهما ما كان من المظالم التى كانت حادثة هنالك ولما مر بالقرين أمر ببناء جامع وسبيل هنالك وحصل له جملة تقادم حافلة من أعيان الناس هنالك ولما دخل الى غزة خلع على سيباى الظاهرى أحد العشراوات وقرره فى نيابة غزة عوضا عن يشبك العلائى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق ثم ان القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص قدم من عند السلطان وأخبر أنه قد وصل الى قطيا فخرج جماعة من الامراء الى لقائه وفى عشرى شعبان وصل السلطان ودخل الى القاهرة فى موكب حافل وقدامه الامراء بالشاش والقماش وخرج طائفة اليهود والنصارى وبأيديهم الشموع الموقدة وشق من القاهرة وكان له يوم مشهود حتى طلع الى القلعة وكان فيه ختان بدر الدين ابن القاضى كمال الدين ناظر الجيش وكان له مهم حافل وفيه توفى القاضى محيي الدين الطوخى أحد نواب الشافعية وهو عبد القادر بن محمد بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا وجيها عند الناس ناب فى القضاء مدة طويلة وحمدت سيرته وكان لا بأس به وتوفى السيد الشريف

أميرجان تاجر المماليك وكان رئيسا حشما فى سعة من المال وكان وجيها عند الناس والملوك
والسلاطين وجلب غالب أمراء عصرنا وصاروا يعرفون بالشريفى الى الآن وفيه حضر
مهنا بن عطية بين يدى السلطان وقد بعث اليه بمنديل الامان وكان رأس العربان
المفسدين وقد أعيا الامراء والكشاف ومشايخ العربان ولم يقدروا على تحصيله فترامى
مهنا بن عطية على أحمد بن طنيش حتى قابل به السلطان وخلع عليه خلعة الرضا ودخل
تحت طاعة السلطان وفيه توفى جانى بك الاشقر الدوادار أحد خواص السلطان وكان
رئيسا حشما عارفا سيوسا توجه الى الحجاز أمير حاج غير ما مرة وكان مقربا عند السلطان
وكان أصله من مماليك قانى باى قرقور واتصل بخدمة جماعة من الامراء ثم خدم الاشرف
قايتباى من حين كان أمير طبلخاناه الى أن بقى سلطانا فانعم عليه السلطان بامرية عشرة
وكان فى سعة من المال وفيه توفى شاهين الفقيه الزينى وكان من أعيان الخاصكية محمود
السيرة دينا خيرا لا بأس به وفى رمضان خلع السلطان على الامير لاجين الظاهرى أمير
مجلس وقرره أمير ركب المحمل عوضا عن جانى بك الاشقر المتوفى وكان قرره أمير ركب المحمل
قبل موته وفيه وصل دولات باى الحوجب وكان قد أسر عند حسن الطويل فأطلقه
وخلع عليه وفيه توفى سيباى أمير اخور ثالث وكان قد ولى حاجب ثان وأصله من مماليك
الظاهر جقمق وكان يعرف بسيباى بن بخشباى وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من
ثغر الاسكندرية بان بعض تجار الافرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى أسرهم وكان
فيهم تجار السلطان وهم ابن عليبة يعقوب وعلى الكيزانى وعلى التمراوى فلما أسروهم
خرجوا بهم من الاسكندرية فى الوقت والساعة وتوجهوا بهم الى بلاد الافرنج فاضطربت
أحوال الاسكندرية وكادت أن تخرب فلما كاتبوا السلطان بذلك تأثر لهذا الخبر وعين فى
الوقت خاصكيا من خواصه يقال له قيت الساقى الذى تولى ولاية القاهرة فيما بعد وكتب
معه مراسيم شريفة لنائب ثغر الاسكندرية بالقبض على جميع تجار الافرنج الذين
بالاسكندرية فلما توجه قيت الساقى هناك قبض على تجار الافرنج من سائر السواحل
وضيق عليهم وأودعهم فى الحديد وألزمهم بان يكاتبوا ملوك الافرنج بما جرى عليهم
من السلطان بسبب التجار وقد قام السلطان فى هذه الحادثة قياما تاما وجرى بسبب ذلك
أمور يطول شرحها وآخر الامر اشترى التجار الذين أسروا أنفسهم من ملوك الافرنج بمال
له صورة حتى أطلقوهم وأتوا بهم الى الاسكندرية كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه خلع
السلطان على قانى باى جنجه العلائى الظاهرى الرماح وقرره فى الجوبية الثانية عوضا
عن سيباى الظاهرى بحكم وفاته وخلع على دولات باى الحسنى وقرره فى شادية الشون
عوضا عن قانى باى جنجه وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل

الكركى الحنفى والبرهان الدين امام السلطان وكان دينا خيرا من صوفية خانقاه الشيخونية وكان لابأس به وفيه توفى مقبل الدوادار وكان أصله من مماليك تغرى بردى المؤيدى وكان متكلما على شعير الذخيرة وفيه قرر فى مشيخة الحرم الشريف النبوى اينال الاسحاقى وكانت عادة مشيخة الحرم للخدام الطواشية من قديم الزمان وقرر فى باشية الجند بمكة المشرفة قانى باى اليوسفى وفى شوال خلع السلطان على أبى الفتح المنوفى وقرره فى نيابة جدة على العادة وفيه خلع السلطان على شخص من النصارى يقال له ميخاييل من نصارى منفلوط وقرره بترك النصارى وفيه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل لاجين الظاهرى أمير مجلس وبالركب الاول جانى باى الخشن الاينالى وخرج صحبة الحاج شرف الدين الانصارى وكان الامير يشبك الدوادار حاطا عليه فخرج الى مكة المشرفة وكان آخر عهده بالقاهرة وقد تسلط عليه برهان الدين النابلسى وأخذ منه وكالة بيت المال فضاق الامر عليه فترك مصر ومضى عنها كما قيل فى المعنى

لعمرى ما ضاقت بلاد باهلها * ولكنّ أخلاق الرجال تضيق

وفى ذى القعدة أشيع بين الناس أن خزانة السلطان سرق منها مال له صورة فظهر بعد أيام أن الفاعل لذلك جماعة من بوابى الدهيشة الالواحية فقبض السلطان على بعضهم وضربه فاحضر المال فرسم بسجنه فى المقشرة فسجن وفيه سافر السلطان الى الفيوم وهى السفرة الثانية وكان معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من المقدمين والعشراوات وكان سبب توجهه الى الفيوم أن خاير بك بن حديد أنشأ هناك ضيعة وجعل بها طاحونا تدور بالماء وأنشأ بها بستانا هائلا فتوجه السلطان ليرى ذلك وفيه خسف القمر خسوفا تاما حتى أظلم الجو وأقام الخسوف نحوا من أربعين درجة وفى ذى الحجة كان عيد النحر يوم الجمعة وخطب فيه خطبتان وفيه قدم قطب الدين الخضيرى من دمشق وقد أتى يشكو من بدر الدين النابلسى وقد تزايد ظلمه وجوره فى حق الناس جدا وفيه كان ختان أولاد الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان الختان بثغر دمياط فبعث السلطان اليه بألفى دينار بسبب احتياج المهم وتوجه ابن رحاب المغنى وصار بخدمته حتى انقضى مهمه وكان له مهم حافل وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأخبر بوفاة القاضى المالكى محيى الدين عبد القادر بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المعطى الانصارى السعدى المالكى قاضى مكة المشرفة وكان عالما فاضلا فقيها نحويا ولى قضاء مكة مدة طويلة وكان محمود السيرة وفيه توفى تنم الفقيه الابوبكرى المؤيدى أحد الامراء العشروات وكان صهر الشيخ أمين الدين الاقصرائى وكان لابأس به وتوفى اينال الابراهيمى الحكيم الاشرفى أتابك حلب وكان لابأس به وتوفى جقمق المؤيدى أحد

العشراوات وكان ديناخيرا انسانا حسنا لابأس به ۞ وفى هذه السنة المذكورة أعنى سنة ثمانين وثمانمائة كان ابتداء منشأ الازبكية على يد المقر الاتابكى أزبك بن ططخ الظاهرى الذى نسبت الازبكية اليه (أقول) وكانت هذه البقعة أرض ساحة خرابا ذات كيمان فى أرض سباخ وبها أشجار أثل وسنط وبها مزار سيدى عنتر وسيدى وزير وغيرهما من الاولياء رضى الله عنهم ورحمهم وكان فى هذه الارض جامع الحاكى وهو باق الى الآن وكانت هذه الارض قديما عامرة بها المناظر والبساتين وتسمى مناظر اللوق وكانت قريبة من بحر النيل ثم ان بعض الملوك حفر بها خليجا وأجرى اليه الماء من فم الخور وصار هذا الخليج يعرف بخليج الذكر وبقى من جملة منتزهات القاهرة وبنى على هذا الخليج قنطرة وفوقها دكة للمتفرجين يجلسون عليها للفرجة وفيها يقول ابراهيم المعمار

ياطالب الدكة نلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة * وتحتها تلقى خليج الذكر

واستمرت هذه البقعة على ماذكرناه الى سنة خمس وخمسين وستمائة فلما تلاشى أمرها وضعف جريان الماء فى خليج الذكر وحفر الملك الناصر بن قلاوون خليجه المسمى بالخليج الناصرى وذلك فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة طم خليج الذكر وخربت مناظر اللوق التى هنالك وصارت هذه البقعة خربة مقطع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت اليها أحد من الناس ثم ان شخصا من الناس عمر حماما كان هنالك وفتح له بجمونا من الخليج الناصرى يجرى فيه الماء فى أيام زيادة النيل فلا زال يجريه حتى أوصله بارض الازبكية فصار يدخل اليها الماء فى آخر الزيادة ويروى بها بعض أراضيها ويزرع بها البرسيم والشعير واستمرت على ذلك مدة الى سنة ثمانين وثمانمائة فى دولة الاشرف قايتباى فحسن ببال الاتابكى أزبك أن يعمر هنالك مناخا لجماله وكان ساكنا بالقرب من هذه البقعة فلما أن عمر المناخ حلت له العمارة هنالك فبنى القاعات الجليلة ثم الدوار والمقعد والمبيتات والحواصل وغير ذلك ثم انه أحضر أبقارا ومحاريث وجرف الكيمان التى كانت هنالك ومهدها ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر التى كانت قديمة ثم بنى على هذه البركة رصيفا محتاطا بها وتعب فى ذلك تعبا عظيما حتى تم له ما أراد من ذلك وكان فى قوة الحر يدور خلف المحاريث فى الكيمان وغيرها وصرف على ذلك مالا له صورة يزيد على مائتى ألف دينار وكان ذلك فى غير طاعة الله تعالى ولا به نفع للمسلمين ثم شرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور الفاخرة والاماكن الجليلة ولازالت تتزايد فى العمارة الى سنة احدى وتسعمائة وقد رغب الكثير من الناس فى سكنى الازبكية وصارت مدينة على انفرادها ثم أنشأ بها الجامع

الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به منارة عظيمة فجاء غاية فى الحسن والزخرف والبناء وفيه يقول شمس الدين القادرى

بنى جامعا لله يلتمس الرضا * به ونجاة من أليم عقابه
وفكر فى الحشر الذى عقباته * طوال يهول المرء قطع عقابه
فأكرم به من جامع من نوى به * فلم يخل منشيه اذا من ثوابه
فيا فوز عبد مؤمن قد جنى به * ثمار أجور من رياض جنابه
عظيم أجور لا ينوب منابه * سواه لأجر نال كل المنابه

ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والافران وغير ذلك من المنافع وسكن فى تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة حتى مات وبقى له تذكار الازبكية على ممر الايام والاوقات وقال فيه شمس الدين القادرى رحمه الله تعالى

لأزبك مولانا المقر عمارة * بها السعد يسمو للنجوم الشوابك
بمملكة الاسلام لم أر مثلها * ولا الناس طرا فى جميع الممالك
بنى جامعا للحسن أصبح جامعا * تقربه العينان من كل ناسك
به شرفت تلك العمارة واغتدت * مكرمة عند الملا والملائك
اذا قال قوم من أتابك للعلا * يقول لهم سعد الامير الاتابكى

وكان عند فتح سد هذه البركة تجتمع عنده الامراء المقدمون بالقصر وتأتى الناس اليها للفرجة أفواجا ويكون لها يوم مشهود وكان يصنع فى كل سنة وقدة هائلة لم يسمع بمثلها وينفق بها فى تلك الليلة أموالا جمة بسبب الفرجة ويضرب حول البركة عدة خيام ويقع بها من القصف والفرجة أشياء غريبة وتكون ليلة حافلة وقد ألف فى هذه الازبكية شيخنا الشيخ شمس الدين القادرى مقامة لطيفة كلها غرر تشتمل على نثر ونظم وقد أوردتها فى كتابى نزهة الامم فى العجائب والحكم ولما كملت عمارة الازبكية ودخل الماء الى بركتها أنعم السلطان قايتباى على الاتابكى أزبك بأرضها وكتب له بذلك مربعة شريفة وكانت أرض الازبكية وقفا على خزائن الاسلام وفيه توفى الشيخ نور الدين بن برديك الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى نظمه من ذلك قوله

نعمان خد حبيبى * قد جاءه الخال يسعى
فورث الخال حسنا * وفاز بالارث شرعا

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خرج الاتابكى أزبك ومعه عدة من الامراء والجند الى قتال بينه وبين العربان وكان قد تزايد شرهم فلما توجه اليهم تقاتل معهم وقبض على جماعة منهم وقاسى العسكر مشقة زائدة وطردوا خلفهم الى الاودية المعطشة

حتى بلغ الكراز الماء أكثر من دينار وفيه تغير ماء النيل عند نزول النقطة في لونه وطعمه حتى تغير منه طعم الماء جدا وصار الناس يشربون من الآبار والصهاريج وفيه توفي الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ابن أبي الفرج وكان أصله من الأرمن وكان رئيسا حشما وولي عدة وظائف سنية منها الاستدارية الكبرى ونقابة الجيش وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان الافرنج قد أطلقوا من كان عندهم من التجار الذين كانوا أسروهم وقد اشتروا أنفسهم بمال له صورة حتى أطلقوهم وقد جرى عليهم أمور يطول شرحها حتى خلصوا من بلاد الافرنج واستمر ابن عليبة من يومئذ مريضا الى أن مات بعد مدة وفيه رسم السلطان بشنق حذيفة ابن نصير الدين وكان رأس المفسدين وشنق معه ثلاثة أنفار من أصحابه وفي صفر خلع السلطان على قطب الدين الخضيري وأعاده الى قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق على عادته وغرم جملة مال في هذه الحركة وفيه خرج الامير يشبك الى جهة الوجه القبلي بسبب محاربة يونس وأخيه أحد أولاد ابن عمر وفيه توفي جقمق الفقيه الخاصكي وكان دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا وفيه توفي الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي وهو أبو بكر بن محمد بن شادي وكان عالما فاضلا بارعا في الفقه والعربية وغير ذلك من العلوم وكان دينا خيرا لا بأس به وولي عدة وظائف أي تداريس منها تدريس المدرسة الصلاحية التي بجوار قبة الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه فلما مات قرر بها الشيخ زين الدين زكريا الانصاري عوضا عن الحصني وفيه توفي قاضي القضاة شهاب الدين أحمد المعروف بالمكيني وهو أحمد بن محمد بن بركوت الحبشي التاجر الكارمي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ربيب قاضي القضاة صالح البلقيني وولي عدة وظائف سنية منها حسبة القاهرة ثم ولي قضاء الشافعية وغرم بسببها مالا له صورة ولم يمكث في القضاء سوى مدة يسيرة وعزل عنها وفيه حضر نجاب من مكة وأخبر بوفاة القاضي شرف الدين الانصاري وهو موسى بن علي بن سليمان التتائي الشافعي وكان رئيسا حشما غير خال من فضيلة عارفا باحوال المملكة سيوسا حسن الرأي وولي عدة وظائف سنية منها نظر الجيش ونظر الخاص ووكالة بيت المال وغير ذلك من الوظائف السنية حتى عد مدبر المملكة وكان مولده بعد العشرين وثمانمائة وفيه أرسل نائب الشام جاني بك قلقسير هدية للسلطان من جملتها من الذهب النقد عشرة آلاف دينار وعدة جمالين ما بين سمور ووشق وسنجاب وصوف وغير ذلك وفي ربيع الآخر وقع حريق عظيم بباب السلسلة فاحترق من خيول السلطان الخاص ستة أرؤس وقد أعيا المماليك طفيه وهدم من سور باب السلسلة جانب عظيم وفيه في ثالث مسرى كان وفاء النيل المبارك

وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفى نائب الاسكندرية قانم قشير الظاهرى وكان لابأس به وفى جمادى الاولى عاد الامير يشبك من بلاد الصعيد ولم يظفر بأولاد ابن عمر وفيه قرر فى امرية الحاج بركب المحمل تانى بك الجمالى الظاهرى أحد مقدمى الالوف وقرر اقبردى الاشرفى أمير ركب الاول وفيه حضر الى الابواب الشريفة قانصوه اليحياوى نائب حلب وكان قد أشيع عنه أنه قد خرج عن الطاعة فلما حضر خلع عليه السلطان باستمراره وبطلت تلك الاشاعة عنه وكان القائم فى أمر مساعدته الاتابكى أزبك أمير كبير وفى جمادى الآخرة نزل السلطان من القلعة وتوجه الى خليج الزعفران لضيافة أبى بكر بن عبد الباسط فاضافه ضيافة حافلة ثم ركب من خليج الزعفران وتوجه الى الخانقاه فصلى بها صلاة الجمعة وأضافه هناك الامير يشبك الدوادار ضيافة حافلة وفى رجب وقع بالقاهرة زلزلة فى الليل عظيمة ووقع منها بعض أماكن ولو أنها دامت درجة أخرى لحصل منها غاية الضرر للناس وفيه تعطلت أسباب الناس لاجل الفلوس العتق وكثر الضرر منها على البائع وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس العتق وصارت البضائع بسعرين سعر الفضة وسعر الفلوس فحصل للناس بذلك غاية المشقة وفيه وقع بين الامير يشبك الدوادار الكبير وبين خاير بك بن حديد تشاجر بالقلعة فخنق منه الامير يشبك الدوادار ولكمه بيده فرمى تخفيفته عن رأسه فدخلت بينهما الامراء وخلصوا بينهما واستمرت القلوب معمرة بالعداوة حتى كان من أمر خاير بك بن حديد ماسنذكره وفى شعبان نزل السلطان الى الرماية وعاد فى موكب حافل لكنه لم يشق من القاهرة وطلع من بين الترب وقد تكرر نزوله فى الشهر المذكور ثلاث مرات وهو يطلع من بين الترب ولا يشق المدينة وسبب ذلك الفلوس الجدد حتى لا يشكوله الناس من ذلك وفى رمضان نودى على الفلوس بستة وثلاثين الرطل وصارت بالميزان وأبطل عددها ونودى على الفضة المضروبة بان لا يتعامل بها الا بالميزان وكذلك الذهب وبطل أمر العادة وفيه أشيع بين الناس بان السلطان يتزيا بزى المغاربة وينزل الى الجامع الازهر ويصلى به وكان يسأل فى بعض الطرقات من الناس عن سيرة نفسه ووقع له بين الناس فى هذا الامر أشياء غريبة يطول الشرح فى ذكرها وبعض الناس كان يحط عليه فى أفعاله وهو يسمع كلامه باذنه ممن يسأله وفيه توفى جانى بك المشد وكان موته فجأة بعد أن صلى التراويح وكان قد شاخ وكبر سنه وأصله من مماليك الاشرف برسباى وولى شادية الشراب خاناه فى دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم ألف ونفى الى دمياط فى دولة الظاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة فى دولة الاشرف قايتباى ومات بها وهو طرخان وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وفرقت الخلع والصرر على الفقهاء وفيه فشا أمر الطاعون بالقاهرة وهذا هو الطاعون الثانى الذى وقع

فى دولة الاشرف قايتباى ومات به فى الشهر المذكور القاضى عبد الكريم بن جلود وهو عبد الكريم بن أبى الفضل بن اسحاق القبطى وكان رئيسا حشما وولى كتابة المماليك بعد أبيه وكان فى حداثة سنه لم يلتح وباشرها أحسن مباشرة وكان له حرمة وافرة وكان مولده قبل السبعين والثمانمائة وفيه توفى قانصوه رفرف وكان من أعيان الخاصكية مقربا عند السلطان شابا مليح الشكل حسن الهيئة كثير الادب والحشمة عارفا بالفروسية وكان لابأس به وفى شوال تزايد أمر الطاعون وفتك بالمماليك والاطفال والعبيد والجوارى والغرباء فتكا ذريعا وكان طاعونا مهولا يموت فيه الانسان من يومه وفيه يقول الشهاب المنصورى رحمه الله تعالى

لهفى على مصر وولدانها * أضحوا الى الموت يساقونا
ما نشر النصل سهام الردى * عليهم الا طواعينا

وفيه حضر دولات باى النجمى الاشرفى حاجب الحجاب بدمشق وكان السلطان قد تغير خاطره عليه ولما حضر خلع عليه وأظهر له الرضا وفيه وصل السيد الشريف على بن بركات أخو أمير مكة المشرفة وكان حضر قبل ذلك الى القاهرة فمشى السلطان بينه وبين أخيه بالصلح وتوجه الى مكة المشرفة فأقام بها مدة يسيرة ووقع بينه وبين أخيه ثانيا فعاد الى القاهرة هو وولده فأكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر حتى مات وفيه خلع السلطان على قراجا السيفى جانى بك نائب جدة وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم انفصاله عنها وفيه خرج الحاج من القاهرة على عادته وكان يوما مشهودا وفى ذى القعدة تناهى أمر زيادة الطاعون ومات فيه من الاعيان جماعة كثيرة منهم الشيخ المسلك العارف بالله تعالى الولى الصالح محمد بن احمد بن محمد التونسى الشاذلى الوفائى المعروف بابى المواهب رحمة الله عليه وكان أصله مغربيا يعرف بابن زغدان وكان عالما صوفيا محققا أخذ عن أبى السعادات بن أبى الوفاء وألف عدة اجزاء جليلة وكان قد جاوز الستين سنة من العمر ودفن بتربة الشاذلية وتوفيت أخت السلطان خوند جان باى الجركسية وكانت لابأس بها ومات جكم المصارع الاشرفى الخاصكى وكان لابأس به ومات طوغان المحمدى الاشرفى وكان فى عشر الثمانين سنة وله اشتغال بالعلم ومات الشيخ عبد الكريم السيواسى الحنفى وكان من أهل العلم والفضل ومات عيسى بك أخو شاه سوار وكان مقيما بالقاهرة ومات كسباى بن ولى الدين الظاهرى الخشقدمى الذى كان دوادارا ثانيا فى دولة الظاهر تمربغا ومات تمربغا كاشف الشرقية وكان من مماليك السلطان وكان أمير عشرة فلما مات قرر عوضه على باى الذى ولى نيابة الاسكندرية فيما بعد ومات كرتباى كاشف البحيرة وكان أصله من مماليك جانى بك نائب جدة ثم ظهر أنه من قرابة السلطان وفيه مات الامام العالم العلامة الشيخ سيف الدين الحنفى وهو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركى

القاهرى

القاهرى وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا خيرا دينا صالحا ماهرا فى الفقه والحديث وولى مشيخة الجامع المؤيدى ومشيخة الخانقاه الشيخونية وغير ذلك من التداريس وكان متقشفا زاهدا عن ابناء الدنيا ومولده سنة ثلاث وثمانمائة وكان من خيار الحنفية ولما مات رثاه الشيخ العلامة العمدة الجلال السيوطى بهذه الابيات

مات سيف الدين منفردا * وغدا فى اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها * لم تزل أحواله رشدا
ناصر دين النبى اذا * ما أتاه ملحد كمدا
فى الذى قد كان من ورع * لم يخلف بعده أحدا
لم يكن فى دينه وضر * لا ولا للكبر منه ردا
عمره أفناه فى نصب * لاله العرش مجتهدا
ليت شعرى من نؤمله * بعد هذا الحبر ملتحدا
ثلمة فى الدين موتته * مالها من جابر أبدا
قدر وبذاك فى خبر * وهو موصول لنا سندا
فعليه هاملات رضا * ومن الغفران سحب ندا
وبعثنا ثم من زمرته * مع أهل الصدق والشهدا

وفى ذى الحجة فحش الطاعون جدا ومات من مماليك السلطان نحو من ألفى مملوك وزيادة خارجا عن المماليك القرانصة والسيفية ومات من الطواشية نحو من خمسة وعشرين نفرا حتى قيل ان السلطان حمل بطيخة صيفية بنفسه حتى دخل بها الى الحريم بدور الحرم لقلة الطواشية وفيه توفى بلباى الاعرج أحد العشراوات ومات قانى بردى الاشرفى المحمدى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب ومات أمير عربان هوارة سليمان بن عيسى وكان بالسجن وفيه نزل السلطان وتوجه الى الجامع الازهر وكان معه كاتب السر وبعض أمراء فلما دخل الجامع الازهر طلب قضاة القضاة وصعد معهم الى سطح الجامع ورسم بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى وحكم القاضى المالكى بهدم الجميع ثم انه رسم بترميم ما فسد من عمارة الجامع وصرف على ذلك نحوا من عشرة آلاف دينار وفى ذلك اليوم تصدق على الفقراء المقيمين بالجامع بنحو من ألف دينار ثم ركب وعاد الى القلعة وكان الطعن عمالا وفيه دخل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأن الموت كثير بمكة المشرفة بعلة البطن وكان قبل دخول الحاج يموت بها فى كل يوم نحو من أربعين انسانا وفيه مات بالطعن ابن لاجين اسمعيل المشهور بالعلاج بالحجارة والمقايرات وفيه

مات بالطعن سيدى عمر بن الامير دولات باى الدوادار المؤيدى وكان شابا حسنا جميل الوجه بهى المنظر بداعذاره وفيه يقول بعضهم

سعيت نحو حبيبى سعى مجتهد * وطفت حول حماه وانقضى الوطر

فمن له عمرة فى عمره اغتنمت * فليس يسعى على طول المدا عمر

وفيه مات بالطعن سيدى محمد ابن الامير يونس العلائى أمير اخور كبير وفيه توفى الجناب العالى الناصرى سيدى محمد ابن سيدى يعقوب ابن أمير المؤمنين محمد المتوكل وهو والد سيدى خليل وهو ابن أخى أمير المؤمنين يوسف المستنجد بالله وكان رئيسا حشما وكان ترشح أمره ليلى الخلافة بعد الجمالى يوسف فما تم له ذلك وفيه توفى محمد الصغير الكاشف وكان كبر سنه وشاخ وتوفى بهادر بن يشبك الظاهرى أحد مقدمى الالوف بدمشق ومات تمرباى الجلب نائب قلعة حلب وكان من مماليك السلطان ومات كسباى ولد جانى بك الفقيه أمير سلاح وكان قدم من بلاد جركس ومات قانصوه نائب عينتاب وكان من مماليك السلطان ومات قايتباى بن نوركار الظاهرى أخو الامير قرقماس الجلب وكان من مماليك الظاهر خشقدم ومات يشبك الابراهيمى الاينالى أحد العشراوات ورؤس النوب ومات فى هذا الطاعون من الامراء العشراوات والخاصكية مالا يحصى عددهم وكان ممن مات بالطعن بترك النصارى اليعاقبة المسمى بمخاييل المنفلوطى وكان مشكورا فى بتركته محمود السيرة عند أهل ملته ولما دخلت خماسين النصارى خف أمر الطاعون بالنسبة لما كان عليه بعد أن أفنى من الناس مالا يحصى وقد خرجت هذه السنة والناس فى أمر مريج بسبب فقد أولادهم وعيالهم وما لاقوا فى هذه السنة خيرا ومما عد من محاسن الامير يشبك الدوادار المغسل الذى فتحه عند مدرسة السلطان حسن فحصل للناس به غاية النفع لاجل تجهيز الموتى ولاسيما الغرباء وقد حاز به غاية الاجر والثواب ومما عد من محاسنه أيضا أنه ركب يوما الى جهة المطرية فوجد فى طريقه شيخا على هيئة فلاح وهو قاصد للقاهرة ومعه قفة على كتفه وكان وقت انفجار الصبح فعبث عليه الامير يشبك وقال له ما فى قفتك فقال له بيض جئت به لابيعه وأشترى لاولادى به خبزا فان معى ثلاث بنات فقال له الامير يشبك فيها كم بيضة وأنا أشترى منك ذلك فأخرج له الشيخ ما فى القفة من البيض فقال له عدهم فعدهم فاذا هم عشرون بيضة فأخذ منه ذلك البيض ودفعه للغلام ثم رسم لمن خلفه من المماليك بان يدفع لذلك الشيخ عشرين دينارا وقال له لو كان معك أكثر من ذلك لدفعت فى كل بيضة دينارا وقد اختلف فى عدد البيض الذى كان مع الشيخ قيل انه كان أكثر من عشرين بيضة فدفع له فى كل بيضة دينارا فعد ذلك من النوادر اللطيفة وكان الامير يشبك الدوادار فيه المحاسن والمساوى كما قيل فى المعنى

ترجوونخشى حالتيك الورى * كانك الجنـــة والنـار

❁ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم وصلت رأس أمير عرك وكانت قد قطعت بالوجه القبلى فلما أحضرت الى القاهرة طيف بها ثم علقت على باب زويلة وفيه جاءت الاخبار بان الامير أحمد بن عمر الهوارى قد فر من الصعيد فلما فر خلع السلطان على الامير يشبك الدوادار وقرره فى امرية هوارة عوضا عن الامير أحمد بن عمر فعد ذلك من النوادر وفيه توفى قانصوقطز المحمدى الاينالى أحد العشراوات رؤس النوب ومات جانم الاصغر ابن السلطان وكان أحد العشراوات رؤس النوب وفيه وصل الحاج مع السلامة وحمدت سيرة نانى بك الجمالى أمير ركب المحمل وفيه توفى الامير دولات باى النجمى حاجب الحجاب بدمشق وكان من أعيان الاشرفية وفيه توفى الصاحب شرف الدين يحيى ابن صنيعة القبطى وكان رئيسا حشما لا بأس به تولى الوزارة عدة مرار وفيه نزل السلطان ومعه جماعة من الامراء فتوجهوا نحو العباسة والصالحية وكشف عن الجامع والسبيل والحوض التى أنشأها هنالك بالعباسة فاقام هنالك ثلاثة أيام ثم عاد الى القلعة وفى صفر توفى الطواشى جوهر النوروزى الحبشى مقدم المماليك ثم الزمام وكان دينا خيرا وأصله من خدام الخواجا شمس الدين بن المزلق ثم وهبه لابنته زوجة نوروزا الحافظى فنسب اليه وفيه توفى شرف الدين موسى بن كاتب غريب وهو موسى بن يوسف القبطى وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان غير مشكور السيرة وعنده عسف وظلم فمات والناس عنه غير راضين وفيه شرع الامير يشبك الدوادار فى أمر توسيع الطرقات والشوارع والازقة فامر القاضى فتح الدين السوهاجى أحد نواب الشافعيــة بأن يحكم بهدم ما وضع فى الشوارع والاسواق بغير طريق شرعى من أبنيـة وربوع وحوانيت وسقايف ورواشن ومساطب ونحو ذلك واستمر الحال فى أمر الهدم حتى دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فحصل بذلك بعض نفع فى توسعة الطرقات ولكن حصل غاية الضرر لجماعة من الناس بسبب هدم ربوعهم وحوانيتهم وهدم لخوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج ثلاثة ربوع فى الموازنيين أحدها كان لجامع الصالح خارج باب زويلة فاضطربت أحوال القاهرة وكثر الهدم فى الاماكن ولاسيما المطلة على الشوارع وحصل للقاضى فتح الدين السوهاجى غاية المقت بين الناس بسبب حكمه بهدم الاماكن وفى هذه الواقعة يقول الشهاب المنصورى

تكشفت عن محيا مصر الاستار * وخف عنها مـن الاثقال أوزار
واهتزت الارض منها بهجة وزنت * ولاح فيها اضــاآت وأنوار
كانت كصبح تعالت فوقــه ظلم * شـتى فجاءلها بالنور اسفار
كانت كشمس تغشاها الغمام ضحى * فرقتــه من الارياح اعصار

فاليوم أعطافها بالبشر مائسة * وقدها فى حلى السعد خطار
وكانت الطرق قد شابت مفارقها * والشيب ان شان مافى أخذه عار
ومنها لما شكا الناس من مصر مضايقها * وحار فيها من الحكام أفكار
فما تلق أجور القاطنين بها * الا الامير الذى بالعرف امار
فهو الهمام النظام المرتقى درجا * ت الفضل يشبك مولانا الدوادار

وهذا اختصار القصيدة المطولة وفيه تغير خاطر السلطان على برهان الدين النابلسى وكيل بيت مال المسلمين فقبض عليه وسلمه للامير يشبك الدوادار ليستخلص منه الاموال فاستمر الامير يشبك يعاقبه واستخلص منه جملة أموال لها صورة وآخر الامر مات تحت العقوبة أشر موتة وقد أذاقه أنواع العذاب وتفنن فى عذابه تفننا زائدا قيل انه ضربه عدة مرار نحوا من ألفين وستمائة عصا وقلع أضراسه ودقها فى رأسه وغير ذلك من أنواع العذاب وكان أصله من دمشق وهو ابراهيم بن ثابت وكان أحد نواب الشافعية وله اشتغال بالعلم لكنه أدخل نفسه فى أمور السلطنة وطاش وظلم وجار عليهم ولم يفتكر فى عقبى ذلك فأخذ من الجانب الذى أمن اليه بعد أن عادى جميع الناس ممن بمصر والشام حتى الامراء وأعيان الناس وأعيان الدولة ووثق لنفع غيره حتى سلب من المال والروح وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة فأكرمه السلطان وعاد له الجواب وسافر بعد أيام وفى ربيع الاول خلع السلطان على الصاحب خشقدم الاحمدى وقرره فى الخازندارية الكبرى والزمامية عوضا عن جوهر النوروزى فعظم أمره جدا وصار وزيرا وخازندارا وزماما وقرر منقال الساقى الظاهرى رأس نوبة السقاة وكانت بيد خشقدم أيضا وفيه خلع السلطان على القاضى تاج الدين بن المقسى وقرره فى الاستادارية عوضا عن الامير يشبك الدوادار وقد استعفى منها فصار ابن المقسى استادارا وناظر الخاص فعظم أمره جدا وكان ذلك نهايته وانتها سعده وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان يوما حافلا وحضر القضاة الاربعة وجميع الامراء فلما انقضى أمر المولد نزل السلطان من القلعة وقصد التوجه الى ثغر الاسكندرية فسافر من البر وجهز سنيحه فى المراكب وسافر صحبته من الامراء الاتابكى ازبك أمير كبير ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية وسافر معهم سائر المباشرين وكان القاضى كاتب السر ابن مزهر متوعكا فى جسده وخرج وسافر مع السلطان وهو عليل وكان علم الدين شاكر بن الجيعان مريضا على غير استواء فتخلف بالقاهرة وانما سافر معه ولده عبد المغنى فلما وصل السلطان الى مدينة الاسكندرية زينت له زينة حافلة وخرج الى لقائه الملك المؤيد أحمد بن الاشرف

اينال وهو بالشاش والقماش وكذلك قجماس الاسحاقى نائب ثغر الاسكندرية واصطف
الناس فى شوارع المدينة بسبب الفرجة فدخل السلطان فى موكب حافل وجميع من
معه من الامراء والعساكر ملبسين بآلة السلاح بالعدد الكاملة والاتابكى أزبك
حامل القبة والطير على رأسه والملك المؤيد بين يديه قدام الامراء وقدامه أعيان
المباشرين وأرباب الدولة وطلب طلبا حافلا وجر فيه مائتين وخمسين فرسا منها خمسون فرسا
بالسروج الذهب والكنابيش والبقية ملبسة بانواع البراقع والكاسيات والبركستوانات من
المخمل الملون وفى الطلب بجاويش زركش وهى التى تعرف الآن بالجوشن ولعبوا قدامه
بالغواشى الذهب والاوزان عمال والشبابة ومشت قدامه الامراء رؤس النوب بالعصى
وشق المدينة فى ذلك الموكب الحافل وكان له يوم مشهود ثم ان بعض تجار الافرنج نثر على
رأسه ألف بندقى ذهب فتزاحت عليه المماليك يلتقطون ذلك الذهب من الارض فكاد
السلطان أن يسقط عن ظهر فرسه من شدة ازدحام الناس عليه حتى أدركه الامير عزاز وبيده
عصا فضرب الناس حتى خلص السلطان ومشى واستمر فى ذلك حتى خرج الى باب البحر
الذى هناك فنزل بالمخيم الذى نصب له على ساحل البحر الملح وكان من العادة القديمة أن
السلطان اذا دخل الى مدينة الاسكندرية تقفل أبواب المدينة وتلقى على الارض الى أن
يرحل السلطان عن المدينة فلم يوافق السلطان قايتباى على ذلك وأبقى كل شئ على حاله
ولم يدخل الاسكندرية سلطان من عهد الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون وقد
دخلها مرتين الاولى فى سنة سبع وستين وسبعمائة لما طرق الافرنج ثغر الاسكندرية
فدخلها على جرائد الخيل والثانية كانت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فاوكب
بها فى هذه المرة وزينت له مدينة الاسكندرية وفرش له خليل بن عرام نائب الاسكندرية
الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ومشت بين يديه الامراء وكان له بها
يوم مشهود وكان دخوله من باب رشيد فانه كان فى تروجه وتوجه من هناك الى الاسكندرية
فاقام بها ثلاثة أيام وعاد الى القلعة ثم توجه بعده الى الاسكندرية الملك الناصر فرج بن
برقوق فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما دخلها كان له بها يوم مشهود فوقف له بعض
تجار المغاربة بقصة يشكو له من ظلم القباض لهم فابطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث الى
العشر فارتفعت له الاصوات بالدعاء وعد ذلك من محاسن السلطان فرج ومن هنا نرجع
الى اخبار الاشرف قايتباى فلما نزل بالمخيم مد له هناك قجماس نائب الاسكندرية مدة حافلة
ثم خلع على الملك المؤيد ونائب الاسكندرية ورجعا الى دورهما وصحبتهما الامراء قاطبة
فاقام هناك ثلاثة أيام ولعب الكرة فى الفضاء ولعب معه الملك المؤيد والامراء الذين
توجهوا معه ودخل عليه من تجار الاسكندرية تقادم حافلة ثم انه توجه نحو المنار القديم

الذى كان بثغر الاسكندرية ورسم بان يبنى على أساسه القديم برجا فبنى به برجا عظيما وهو الموجود الآن ثم ان السلطان رحل من الاسكندرية وتوجه الى نحو ادكو ودمنهور وغير ذلك من البلاد الغربية وانشرح السلطان فى هذه السفرة الى الغاية واستمر يرحل من مكان الى مكان على سبيل التنزه نحوا من أربعين يوما حتى عاد الى القلعة المنصورة ومن الحوادث أنه جاء فى غيبة السلطان قاصد من عند قراجا الطويل نائب حماه وأخبر أن نائب حماه ثار عليه أهل البلد ورجموه وأخرجوه منها وقتلوا دواداره وأحرقوه بالنار بسبب ظلمه وعسفه فى حق الرعية فلما بلغ السلطان هذا الخبر عين من هناك خاصكيا لكشف الاخبار ليرى الظالم من المظلوم وفيه حضر قاصد من مكة المشرفة وأخبر بنزول صاعقة عظيمة عند باب السلام فاحترق منها عدة أماكن وأخبر بوفاة قاضى القضاة المالكية بمكة المشرفة وهو محمد أبو اليمن بن أبى السعادات وكان من أهل العلم والفضل وأخبر أيضا بوقوع فتنة مهولة بين الشريف محمد بن الشريف بركات وبين قبيلة بنى جزازان وحصل بينهما مالا خير فيه وآل الامر الى أن الشريف محمد قد قبض على شيخ بنى جزازان وفى ربيع الآخر كان وفاء النيل المبارك وقد وفى آخر يوم من أبيب وكسر فى أول يوم من مسرى فعد ذلك من النوادر وفيه يقول القائل

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسره * اذا رام جريا فى الخليج تقنطرا

ولكن بهذا الكسر زاد تجبرا * وأفرط هجما فى القرى وتجسرا

(وقال آخر)

ان بحر النيل قد وفى لنا * ما عليه من قديم قررا

وقضانا الدين الا انه * حين وفى ما عليه انكسرا

وكان الوفاء فى غيبة السلطان فتوجه الامير لاجين أمير مجلس وفتح السد على العادة بأمر تقدم من السلطان له وكان يوما مشهودا وفيه كانت وفاة القاضى علم الدين شاكر ابن الجيعان بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب الدمياطى الاصل القبطى المصرى متولى ديوان الجيش وكان رئيسا حشما وجيها عند الملوك والسلاطين وكان عنده تواضع زائد للناس قاطبة وله اشتغال بالعلم ومولده فى سنة سبعين وسبعمائة وهو الذى أنشأ الجامع الذى بالقرب من بركة الرطلى وكان نادرة فى بنى الجيعان وفيه وصل السلطان الى القاهرة وطلع الى القلعة وكانت مدة غيبته فى هذه السفرة نحو شهر وايام ودخل له تقادم حافلة فلما استقر بالقلعة خلع على الشرفى يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره فى وظيفة والده ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفى جمادى الاولى عرض السلطان جماعة من أولاد الناس وقرر منهم من اختاره فى وظائف مثل طبردارية وجدارية وغير ذلك وفيه

خلع

خلع السلطان على شمس الدين بن القوصونى وقرره فى رياسة الطب عوضا عن ابن العفيف
وكانت انتهت عمارة قاعات الازبكية التى أنشأها الاتابكى أزبك فعزم على السلطان هنالك
فنزل اليه وبات عنده فاضافه ضيافة حافلة ثم قدم له تقادم هائلة فشكره على ذلك ولم يقبل
منها شيأ فلما أصبح توجه هو والامير يشبك الدوادار الى جهة المطرية فاضافه هنالك الامير
يشبك فى القبة التى أنشأها هنالك فاقام عنده يوما وليلة وانشرح هنالك الى الغاية وشكر
عمارة الامير يشبك على عمارة الاتابكى ازبك ثم طلع الى القلعة وبعث اليه الامير يشبك
تقادم حافلة فقبل منها شيأ ورد منها شيأ وفيه انتهت زيادة النيل الى اصبع واحد
وعشرين ذراعا وثبت الى آخر بابة وقد كسر الجسور وقطع الطرقات وغرق أراضى
المنية وكان نيلا عظيما وفيه خلع السلطان على قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة
وقرره فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن الشيخ سيف الدين الحنفى بحكم وفاته
رحمه الله تعالى وكان ابن الشحنة منفصلا عن القضاء وفيه فى أثنائه خرج السلطان على
حين غفلة من العسكر وتوجه الى الصالحية ثم بعد أيام أشيع بان السلطان توجه من
هنالك الى البلاد الشامية فتعجب الناس من ذلك وكان فى نفر يسير من العسكر
بحيث انه كان معه من المماليك نحو من أربعين مملوكا من خواصه وكان معه بعض أمراء
عشراوات وتانى قرا الدوادار الثانى وآخرون من الامراء وكان معه من المباشرين القاضى
كاتب السر أبو بكر بن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وشهاب الدين بن التاج الموقع وبرهان
الدين بن الكركى الامام وغير ذلك مما لا يحضرنى أسماؤهم وترك بالقاهرة الخليفة المستنجد
بالله والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وسائر الامراء المقدمين
والطبلخانات والعشراوات وجميع العسكر قاطبة لم يتبعه أحد منهم فصار الناس فى شك
من سفره على هذا الوجه ولم يتفق لاحد من السلاطين مثل هذه الواقعة وفى جمادى الآخرة
ورد هجان من عند السلطان وعلى يده مراسيم الى الامراء الذين بالقاهرة فكان من
مضمونها ان السلطان توجه الى نحو البلاد الشامية ليكشف عن أمر النواب والقلاع
بنفسه وأرسل يقول للامراء بأن يتوصوا بالرعية والجد فى الاحوال وأن يحضروا الخدمة
مادام السلطان غائبا وكان المشار اليه فى غيبة السلطان الامير أزبك وقد عظم أمره
جدا والتف العسكر عليه دون الامراء وفيه فى غيبة السلطان توفى القاضى نور الدين
ابن الانبابى نائب كاتب السر وكان رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة وكان انسانا
حسنا لا بأس به رحمه الله تعالى وفى رجب توجه القضاة الاربعة الى بيت الاتابكى أزبك
والامير يشبك الدوادار وهنوهما بالشهر وفيه خرج الاتابكى أزبك الى السرحة فغاب
أياما وعاد الى القاهرة ومن جملة ألطاف الله تعالى أن فى غيبة السلطان لم يقع الخلف بين

الامراء بل كان الامان والاطمئنان فى القاهرة وجميع ضواحيها حتى عد ذلك من النوادر
وفى شعبان وصل هجان من عند السلطان وأخبر بأن السلطان دخل الى حلب وأقام بها
وهو قاصد الى جهة الفرات وقد عرج قبل دخوله الى حلب نحو طرابلس ثم حضر هجان ثان
وعلى يده مراسيم للامراء بالسلام ومكاتبة للاتابكى أزبك بأنه يتوجه الى المطعم بالريدانية
ويلبس الامراء هناك الصوف وأن يصرف الكسوة للجند فخرج الاتابكى أزبك الى المطعم
وصحبته الامراء قاطبة والعسكر وكان له يوم مشهود فالبس الامراء هناك الصوف
كعادة السلاطين وخلع فى ذلك اليوم على الأمير جانى بك الفقيه أمير سلاح وقرره
فى امرية الحاج بركب المحمل وقرراقبردى الاشرفى بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار
بوفاة الشهابى أحمد بن أبى الفرج نقيب الجيش وهو أحمد بن محمد بن عبد الغنى توفى بحلب
وكان خرج صحبة السلطان فمات هناك وقيل انه حصل له رجفة من السلطان فانطرب
ومات عقيب ذلك وكان شابا قليل الاذى للناس لا بأس به وفى رمضان وقع بالقاهرة بعض
اضطراب وسبب ذلك مضى الثلاثين من شعبان ولم يرالهلال فاكل غالب الناس فى أول
رمضان فنادى القاضى الشافعى بالامساك فثار عليه العوام وقصدوا الاخراق به فثبت
رمضان برؤية الهلال قريب الظهر ولكن أفطر غالب الناس فى ذلك اليوم وفيه وقع بين
تنم الضبع أخو تبك الجمالى وبين القاضى أبى الفتح السوهاجى تشاجر بسبب هدم مكان
فسب الامير تنم الضبع القاضى السوهاجى فشكاه الى الامير يشبك فطلب تنم فلما حضر
أمر بضربه بين يديه فضرب ولم يوقره لاخيه تبك الجمالى فحصل بسبب ذلك بعض قلقلة
بين الامراء وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن السلطان لما توجه الى الفرات أقام هناك
أياما ثم عاد الى حلب ورحل عنها وقصد التوجه الى حماه فلما دخلها وأقام بها حصل له هناك
مرض فى جسده فلما ثقل فى المرض وعجز عن الحركة أحضر واله محفة فحمل بها وتوجه الى
دمشق فدخلها وهو مريض على غير استواء فكثر القال والقيل بين الناس وصار فى كل يوم
يشاع بالقاهرة خبر جديد بأن السلطان مات ودفن هناك فاضطربت أحوال الامراء
فى بعضهم وأظهر كل واحد منهم ما فى نفسه من السلطنة وأرجفت القاهرة بموت السلطان
غير ما مرة ونقل للامير يشبك الدوادار بأن بردبك جيش أحد الامراء الاخورية
وكان من أخصاء جانبك الفقيه أمير سلاح قد مشى بين طائفة المماليك الخشقدمية بأن
يكونوا من عصبة جانبك الفقيه واذا صح موت السلطان يقومون معه ويسلطنونه وكان
جانى بك الفقيه تحدثه نفسه بالسلطنة ويقرب الفلكية والمنجمين وحظى عنده جماعة
بسبب ذلك ثم ان الامير يشبك أرسل خلف بردبك جيش وذكر له ما نقل عنه فانكر ذلك
وحلف أيمانا عظيمة أنه لم يصدر منه شئ من ذلك فقامت عليه البينة وكذبوه فى وجهه

فسكت

فسكت ولم ينطق بحرف واحد فعند ذلك أمر الامير يشبك بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا حتى أشرف منه على الهلاك ثم أقامه وأحضر له عمامة يهودى صفراء وألبسها له وقصد يشهره بالقاهرة فشفع فيه بعض الامراء فاركبه على حمار وجرسه بين يديه فى الدوائر ثم شكه فى الحديد وأمر بنفيه الى الواح وكل ذلك جرى والسلطان غائب لم يعلم له خبر وكانت هذه الواقعة سببا لنفى جانى بك الفقيه أمير سلاح كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه ختم البخارى بالجامع الازهر وحضر به القضاة الاربعة وفرقت هناك الخلع والصرر على الفقهاء والعلماء وكانت قراءة البخارى من أول رمضان فى الجامع الازهر وعند الدعاء يدعون للسلطان بالسلامة فبينما القاهرة فى اضطراب واذا بخاصكى حضر من عند السلطان يقال له بردبك سكر وعلى يده مكاتبات للخليفة والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك والامراء قاطبة فكان من مضمونها أن السلطان كان قد حصل له توعك فى جسده وقد بعث الله تعالى له بالعافية والشفاء وحصل له البرء فضربت البشائر بالقلعة ودخل على بردبك سكر عدة كوامل بسمور من الامراء والخليفة وقضاة القضاة وأرباب الدولة ودقت له البشائر على أبواب الامراء ونودى فى القاهرة بالزينة سبعة أيام فزينت وأظهرت الناس الفرح والسرور بعافيته وسكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة وبطل القيل والقال الذى كان بين الامراء وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى

بعافية السلطان مولى الانام قد * تهلل وجه الدهر فهو جميل
وقد صحت الدنيا لصحة جسمه * وليس بها غير النسيم عليل

وكان الامير يشبك الدوادار من حين توجه السلطان للسفر وهو مجتهد فى توسيع الطرقات واصلاح وجوه أبواب الجوامع والمساجد وجلى رخامها وبيض حيطانها وكشف عن أبواب جامع الملك الصالح وظهر منه عواميد رخام فجلاها وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه الربوع التى تطل على الشوارع وخلع على شخص من أبناء الناس وجعله مشد الطرقات فصار يستحث الناس فى سرعة البياض والدهان حتى صارت القاهرة كأنها استجدت فى بنائها وتزخرفها وصارت مثل العروس التى تجلى ثم ان الامير يشبك أمر بقلع عتبة باب زويلة وأعلى العتبة وأصلحها فان الارض كانت علت على العتبة فقطع الارض ومهد قدام الباب واستمر باب زويلة مغلقا أياما حتى انتهى العمل منها فعد ذلك من النوادر وفيه حضر هجان من عند السلطان وأخبر أن السلطان خرج من الشام بعد ما جلس بالقصر الذى بالميدان وحكم بين الناس وارتفعت الاصوات له بالدعاء وخلعت الامراء على الهجان ثم حضر عقيب ذلك هجان ثان وأخبر بأن السلطان خرج من غزة وهو قاصد الديار المصرية فشرعت الامراء فى الخروج الى ملاقاة السلطان ثم جاءت الاخبار بأن السلطان وصل الى قطيا وفى شوال جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى الصالحية

وصل الى بها صلاة العيد وهو عيد الفطر فعند ذلك خرج الاتابكي أزبك والامير يشبك الدوادار وبقية الامراء قاطبة الى ملاقاة السلطان ثم وصل الى الخانقاه فخرج اليه القضاة والعسكر باجمعهم ونودي في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم الخميس رابع شوال دخل السلطان الى القاهرة في موكب حافل وقدامه القضاة الاربعة والامراء والعسكر على ما جرت العادة به في المواكب وكان له موكب عظيم ويوم مشهود الى أن طلع الى القلعة ففعلت له خوند ما يناسب الملوك الى أن دخل الى الحوش فمدت الاسمطة الى الغاية ثم انتهت فخلع على من كان مسافرا صحبته ولما وصل السلطان الى الفرات قدم عليه شخص من أولاد حسن الطويل وهو ابن محمد اغرلو بن حسن الطويل وكان شابا جميل الصورة وله من العمر نحو من ثماني عشرة سنة فخافت عليه أمه أن يقتله أعمامه فجاءت به الى السلطان فحضر به الى القاهرة وحظي عنده وكان عند دخوله من القاهرة قدامه ساعيا كالملوك والامراء واستمر بمصر حتى مات كما سيأتي الكلام عليه وكان اسمه حسين بك وقيل ميرزاه وهو المشهور عند الناس ولما رجع السلطان من هذه السفرة عظم أمره جدا وكان انتهاء سفره الى الفرات وكشف على عدة قلاع بنفسه ودخل الشام وحلب وطرابلس وحماه وغير ذلك من البلاد الشامية ودخل عليه من النواب وأعيان الناس جملة تقادم وأموال لها صورة وعدت هذه السفرة من النوادر الغريبة وكانت مدة غيبة السلطان في سفرته نحوا من أربعة أشهر وفي هذه الواقعة يقول الشيخ محمد بن الزيتوني هذه القطعة الزجل وهي من محاسن هذا الفن كلها غرر وجناس تام وهي هذه

سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدا يوم الفرات * فاسقى الخيول من ماه وربه حماه
في مصر فرسان أربعين بالعدد * لدورة المحمل يسوقوا الجياد
ورعبهم ساكن قلوب الملوك * يردوا الخارج وأهل العناد
في ذا العدد راح الملك وافتخر * بهم على سائر ملوك البلاد
وخوسوار لاقاه وفي صحبته * ولد حسن بك بالخدم ما أباه
وخلع عليه اطمن وخلع على * ولد حسن خلعه وشتت أباه
كامل مظفر بالعدا لم يزل * يجري دماهم في الفيافي نهر
خرج لتطمين العباد في البلاد * فكم شكر عادل وظالم نهر
امامنا الاعظم مليك الزمان * بالعدل في هذا الوجود اشتهر
كشف عن النواب فمن خان وجار * أنكر عليه فعلو وبالعزل جاه
ومن رآه عادل وفعلو حسن * خلع عليه واعطاه منازل وجاه
هذا الملك صالح وسره ظهر * لا شك انو قطب في الدائره

لما خرج فى الاربعين خلفهم * بدر الدجى حولو نجوم زاهره
له منازل كل حد منزله * شئ للرصد شأنه وشئ ساهره
كشف بلاده واعتبر أهلها * واحد رفع قدره وآخر سماه
وطلعتو فاقت شموس الضحى * وأخفت البدر المنير فى سماه
لما دخل للشام وكان قد ضعف * من الهوا والشرب من ماء العيون
وربنا عافاه وجابو لنا * سالم وقرت به جميع العيون
عادل وربه بالظفر ايده * عجب لسلطان حايز جميع الفنون
ومهد الدنيا بعدلو وان * راد يثنى عزمو الشديد ماثناه
وفاز بتاريخ مافرح به ملك * قبلو ونال قصده و بيض ثناه
أهل الفضائل والعلوم ورخو * وكل واحد فى الكتابه ذهب
يكتب تواريخ الملوك بالمداد * الالقايتباى كتب بالذهب
هو فارس الاسلام وليث الوغا * وفهلوان الحرب مثل العجب
وخالقه علا مقامه الشريف * على الملوك وانشاه ومن ماباراه
وكل ذا فى اللوح قديم فى الازل * خطو القلم جل الذى قد براه
تاريخ سنة اثنين جمادى الاخير * يلى ثمانين مع ثمان من مئين
من هجرة الهادى عليه السلام * خير النبيين سيد المرسلين
تجهز السلطان يريد السفر * واختفى عن العسكر خرج فى أربعين
وفر لبيت المال خزائن ذهب * ماتحصر واقلا منامع دواه
وريح العسكر وكم من ضعيف * كان التخلف فى بلاده دواه
لاجل الدوادار الكبير قد برز * أمره بتوسيع الطريق المضيق
وكشف ابواب المساجد وما * بين المدارس كان على غير طريق
وصلح الابواب وشئ بيضه * واخلع على واحد مشد الطريق
ووكله بالقاهره كل يوم * بقى يدور راكب وفى ايده عصاه
فيأمر الناس بالبياض والدهان * طاع الجميع أمره وماواحد عصاه
صارت مدينتنا عروس للملك * وذا عجب كيف العريس هو الولى
ونقشوها بالدهان فى البياض * واضحت عروسه بالطراز تنجلى
ومدت المدات نهار الفرح * وزينوها بالحلل والحلى
وبان لها سيقان عواميد رخام * جلاهم الصانع ونعم جلاه
ودقت الكوسات نهار الدخول * وكان دخوله فى المواكب جلاه
وقبل ذا صلوا على المصطفى * خير الخلائق واعلنوا بالسلام

بكل مرة من صلاتك عليه * جزاك عشره بالصلاة يا كرام
وبالشفاعة يدخلك جنته * من بابها الاول لدار السلام
هو أول الرسل الكرام في الوجود * وهو لهم خاتم وماحد تلاه
وأنزل القرآن عليه العزيز * على لسان جبريل مفرق تلاه
في ليلة المعراج بخير الانام * ساقوا حديث مسند صحيح السياق
نزل عليه جبريل وقال له الاله * يدعوك الى الحضره على ذا البراق
ركب عليه حتى صعد للسما * وصار الى السبع العوالي الطباق
لجنة المأوى رقي وارتقى * وزج به في النور وزاد في شفاه
وافرض عليه الخمس كان أصلها * خمسين وفيها خطابه شفاه
هذا المعاني والبديع والجناس * من نظم زيتوني افقه دخول
أبو النجا العوفي نظم في الملك * من حين خروجه في السفر للدخول
فان تجد عيبا فسد الخلل * اذا سمعته في نظامه يقول
سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر جماه
ومن حلب عدى يوم الفرات * فاسقى الخيول من ماه وربه جماه

وفيه في ثامن عشره منه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل الامير جاني بك الفقيه أمير سلاح وبالاول اقبردى الاشرفي فلما خرج جاني بك الفقيه رسم السلطان بهدم سبيله الذي قد أنشأه بالرميلة فأخذ الناس يلهجون بانه لا يعود الى القاهرة وكذا جرى وفي ذي القعدة قدم قجماس الاسحاقي نائب الاسكندرية وأقام بالقاهرة بباب السلسلة وكان قد جمع بين نيابة الاسكندرية وبين امرية الاخورية الكبرى وفيه نزل السلطان وتوجه الى بر الجيزة وكشف عن خيوله وأقام هناك أياما ثم توجه الى جهة منوف العلا وكشف عن جسورها وأمر باصلاحها وأقام هناك أياما وعاد الى الجيزة ثم سافر من هناك الى الفيوم وكان معه في هذه المرة الاتابكي أزبك وتمراز التمشي رأس نوبة كبير وكان معه من الامراء العشراوات ومن الخاصكية عدة وافرة فلما دخل الى الفيوم تلقاه خاير بك وكان مقيما بالفيوم فخلع عليه خلعا فاخرة وأقام هناك أياما وهو في أرغد عيش على سبيل التنزه فبينما هو على ذلك اذ ورد عليه من جهة الصعيد بان عرب هوارة ثاروا مع يونس بن عمر على برسباي كاشف الوجه القبلي فكسروه ووقع بينهما مقتلة قتل فيها جماعة كثيرة من الجند والبلاصية فتنكد السلطان لهذا الخبر وقصد أن يتوجه من هناك الى بلاد الصعيد فمنعه الامراء عن ذلك وكان الامير يشبك متمرضا برجله وهو بالقاهرة فارسل السلطان يستحثه في سرعة السفر الى جهة الصعيد وفي ذي الحجة عاد السلطان من سفره من الفيوم فلما استقر بالقلعة خلع على بركات بن يحيى بن الجيعان وقرره نائب كاتب السر عوضا عن نور الدين الانبابي بحكم

وفاته وهذا أول ضخامة الزيني بركات بن الجيعان وفيه توفى الناصرى محمد بن قرقماس الحنفى وكان عالما فاضلا من أعيان الحنفية وكان يدعى معرفة علم الحرف وعلم الكيميا وكان ولى مشيخة تربة الظاهر خشقدم ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وكان ناظما ناثرا وله عدة مصنفات منها كتاب زهر الربيع فى شواهد البديع وغير ذلك من التآليف وله معارضة مقامات الحريرى وكان يدعى دعاوى عريضة ومن نظمه

اذا من تهوى عليك بنظرة * أماط الجوى من قلبك الباس والبلوى
فكن شاربا صبرا لمر صدوده * فما ذاق من الوصل من هم بالسلوى

(وقوله فى مليح من ركاب الخيل وأجاد)

وظبي من العرب الكرام سألته * لمن فى الورى تعزى فقال مؤنبى
أنا ابن الذى تمشى الملوك أمامه * اذا ما رأوه راكبا يوم موكب

وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى جهة الصعيد بسبب تلك الفتنة التى وقعت بين يونس ابن عمر وبين داود بن عمر قريبه وأخذ معه جماعة كثيرة من الجند وفيه توفى حسن بن محمد ابن أيوب الكردى نائب القدس ونائب الكرك وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان قد شاخ وناف على الثمانين سنة وتوفى القاضى شهاب الدين أحمد الطولونى الحنفى أحد نواب الحكم وكان مفرطا فى السمن جدا بحيث لم يكن فى عصره أسمن منه ومما وقع له أن جماعة من الفلاحين تحاكموا عنده على دين فأنكر الذى عليه الدين فألزمه القاضى باليمين فلما أراد أن يحلف قال له الخصم ان كنت ما أخذت منى شيأ تبقى فى سمن هذا القاضى فاعترف لخصمه بالدين ولم ينكره

❁ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على العلائى على بن الصابونى وقرره فى وكالة بيت المال عوضا عن النابلسى وقرر فى قضاء الشافعية بحلب عز الدين الخشناوى وصرف عنها أبو البقاء ابن الشحنة وفيه جاءت الاخبار بان السلطان قبض على جانى بك الفقيه أمير سلاح الذى توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وأرسله من هناك الى القدس بطالا ونفى أيضا قايتباى الخشقدمى الى جهة حلب ونفى أيضا يشبك جنب الظاهرى جقمق الى جهة دمشق لكونهما كانا من أصحاب جانى بك الفقيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى فى السنة المذكورة شدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال وانقطع جماعة من الحاج من رجال ونساء وقتل فى السنة المذكورة قاضى المدينة المشرفة وخطيبها وقد قتله بعض الرفض وسبب ذلك أن الخواجا شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة مدرسة السلطان فاخذ مكانا كان يسكنه هذا الرافضى فأدخله فى بناء المدرسة فتعصب القاضى على الرافضى فى هدم مكانه وكان ذلك سببا لقتله أقول وأنا حججت تلك السنة وشاهدت الواقعة ونفى جانى بك الفقيه من العقبة وفيه خلع السلطان على جانم قريبه

وقرره فى نظر الجوالى وهو جانم الشريفى وهذا أول اظهار جانم الشريفى فى الوظائف فأقام فى نظر الجوالى مدة يسيرة ثم أنعم عليه بتقدمة ألف وهى تقدمة جانى بك الفقيه أمير سلاح فعظم أمر جانم جدا وكان أمره لم يلتح وفى صفر خلع السلطان على شاد بك الصغير وقرره فى نيابة سيس عوضا عن أزدمر قريب السلطان وقدم أزدمر الى القاهرة وفيه كان عقد جانم الشريفى قريب السلطان على خوندا بنت العلائى على بن خاص بك وكان بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان عقدا حافلا وخلع فيه على قاضى القضاة ولى الدين الاسيوطى لكونه تولى العقد وخلع على كاتب السر ابن مزهر لكونه كان وكيلا عن جانم وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه عين السلطان ورديش الظاهرى بان يخرج الى اللجون بسبب احضار الاخشاب وعين معه جماعة من الجند وأمرهم بأن يدخلوا الى قبرس ويطالبوا أصحابها بالجزية ويتوجهوا من هناك الى اللجون لاحضار الاخشاب وفيه وقف الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار الى السلطان بقصة يشكو فيها قانصوه خمسمائة بسبب المكان الذى أنشأه بقناطر السباع تجاه بيت ابن اسنبغا الطيار وذكر فى القصة ان قانصوه خمسمائة قد جار عليه وفتح من عنده بابا بغير طريق شرعى وقطع من عنده عدة أشجار وقد أضر ذلك بحاله فلما سمع السلطان ذلك وبخ قانصوه خمسمائة بالكلام وأمره بان يسد الباب الذى فتحه ويرضيه فى قيمة الاشجار التى قطعها من عنده وأنصف السلطان ابن اسنبغا الطيار على قانصوه فعد ذلك من النوادر لكونه أنصف ابن اسنبغا على قانصوه مع خصوصيته بالسلطان ولكن كان قانصوه متعديا على ابن اسنبغا الطيار وفى ربيع الآخر خلع السلطان على قجماس الاسحاقى أمير اخور كبير وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وخلع على فارس الركنى وقرره بامرية الركب الاول فاستعفى فارس من ذلك فاعفاه السلطان وقرر عوضه أقبردى الاشقر على عادته وقيل ان فارسا استعفى بمال عن امرية الحاج وفيه جاءت الاخبار بان يشبك الدوادار قبض على يونس بن عمر الهوارى وقد تتبعه الى بلاد النوبة وجرى معه أمور يطول شرحها وآخر الامر قبض عليه وقطع رأسه وقبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه وانتصر على بنى عمر نصرة عظيمة وبعث برأس ابن عمر يونس الى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة أياما وكان يونس هذا من خيار بنى عمر وهو يونس بن اسماعيل بن يوسف أمير عربان هواره وكان مشهورا بالشجاعة وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى فى رابع مسرى فتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة ۞ ومن الحوادث الغريبة أن فى ليلة الوفاء انقطع جسر أبى المنجا وانقلب عن آخره فحصل للبلاد التى تحته غاية الضرر وغرق الكثير من أموال الناس والمقطعين ومن العجائب أن البحر لم يتأثر لقطع جسر أبى المنجا ووفى فى تلك الليلة وزاد عن الوفاء اثنى عشر اصبعا فعد ذلك من النوادر ثم فى ثانى يوم من

كسره زاد ستة عشر اصبعا وأكمل الذراع السابع عشر فى يومين حتى تعجب الناس من ذلك وقد قال القائل

أرى النيل قد وافى وزاد ولم يزل * يجود على أهل القرى بالمكارم
أفاض عليها الماء من بسط راحة * أصابعها فاقت أيادى حاتم

وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حماه بان سيف بن نعير الغاوى وقرابته قد خرجا عن الطاعة وأن نائب حماه تقاتل مع الغاوى فكسر نائب حماه وقتل من عسكره مالا يحصى ثم خرج اليه نائب حلب وأوقع معه ففر منه فتبعه وقد اضطربت أحوال حماه بسبب ذلك وفيه ثارت فتنة كبيرة بالقلعة بين المماليك الجلبان حتى تقارعوا بالسيوف فخنق منهم السلطان ورمى النمچاه والترس من يده ونزل من القلعة وتوجه الى نحو شطنوف فلما تحقق الجلبان ذلك أخذوا فى أسباب تلافى خاطره وسكن أمر الفتنة التى كانت بينهم ثم توجه الاتابكى أزبك وكاتب السر الى السلطان وتلافوا خاطره وتلطفوا به فى عوده الى القلعة فلازالوا به حتى عاد الى القلعة بعد جهد عظيم وفيه وصل الامير يشبك الدوادار من جهة الصعيد وحضر صحبته جماعة من بنى عم يونس وأقاربه وهم فى الحديد وأحضر الامير أحمد بن عمر الهوارى أخا يونس الذى قطعت رأسه فلما تمثل بين يدى السلطان خلع السلطان على الامير يشبك خلعة حافلة ونزل الى داره ومعه أحمد بن عمر فى الحديد وفى جمادى الآخرة عرض أحمد بن عمر على السلطان فرسم بتسليمه الى الوالى هو ومن معه وكانوا سبعة أنفار فاركبوهم على جمال ونزلوا بهم الى باب زويلة فكلبوا الجميع وعلقوهم بباب زويلة ووسطوا منهم جماعة وكان لهم يوم مشهود وتأسف عليهم الكثير من الناس فانهم كانوا خيار بنى عمر ولكن كان للامير يشبك عليهم ثار قديم فاقتصه منهم كما قيل الموت فى طلب الثار ولا الحياة فى العار وفيه نزل السلطان الى قبة يشبك التى بالمطرية فاضافه هناك كاتب السر ابن مزهر ضيافة حافلة وبات هناك ثم طلع الى القلعة وفى شهر رجب خلع السلطان على الشريف سبع وقرره فى امرية الينبع عوضا عن صقر بحكم القبض عليه وفيه خلع السلطان على يوسف بن أبى الفتح المنوفى نائب جدة وقرره فى كتابة المماليك عوضا عن عبد الكريم بن جلود بحكم وفاته وكان متحدثا فيها بغير تقرير وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الفقيه الذى كان أمير سلاح ونفى من العقبة الى القدس فمات هناك وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بجانى بك بن ططخ وكان انسانا حسنا وكان له اشتغال بالعلم وولى عدة وظائف سنية منها أمير اخور ثانى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم نفى الى القدس ومات به بطالا وفيه توفى دولات جمام الاشرفى وكان يعرف بدولات باى بن تغرى بردى ومات وهو نائب الاسكندرية وكان لابأس به

وفيه عزل تاج الدين بن المقسى من الاستادارية وأعيد اليها الامير يشبك الدوادار وأقام ابن المقسى فى الترسيم على مال يورده وكان ذلك آخر سعده وفى شعبان خلع على بدر الدين بن محمد ابن الكويز وقرر فى نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم انفصاله عنها وفيه خلع السلطان على محمد بن عجلان وأعاده الى مشيخة العرب بالشرقية وكان له نحو من عشر سنين وهو فى البرج بالقلعة وفيه خلع السلطان على أقباى الطويل وقرره فى كشف الشرقية واقباى هذا هو الذى ولى نيابة غزة فيما بعد وفيه توفى دولات باى سكسكان الاشرفى برسباى توفى بحماه وكان أتابك العساكر بها وكان من أعيان الاشرفية ولا بأس به وفيه جاءت الاخبار بموت حسن الطويل ملك العراقين وأن ولده خليل تولى على العراقين بعده وقيل ان موته كان فى رجب وكان ملكا جليلا عاقلا سيوسا كثير الحيل والخداع اقتلع ملك العراقين من أخيه جهان كير بحيل غريبة وقتل عمه الشيخ حسن وانقرضت دولة بنى أيوب على يده ثم قوى على جهان شاه وحاربه حتى كسره وقتله وشتت أولاده وملك تبريز والعراقين وبلغ مبلغا لم يصل اليه أحد من أجداده ولا من أقاربه وقد تحرش بابن عثمان ملك الروم بأن يأخذ من ملكه شيأ فما قدر عليه ثم تحرش بسلطان مصر وجرى له مع الاشرف قايتباى أمور يطول شرحها وكان الاشرف قايتباى يخشى من سطوته فلما مات عد ذلك من جملة سعد الاشرف قايتباى وقد قيل فى المعنى

أيا ملكا صار من سعده * بموت الاعادى حقيقا بفوزا

لقد أهلك الله عنك العداه * وينصرك الله نصرا عزيزا

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القرين ثم الى الخطارة وكشف عن الجامع والسبيل الذى أنشأهما هناك والحوض الذى أنشأه هناك على الدرب السلطانى وكان المشد على العمارة الامير يشبك الجمالى فجاءت هذه العمارة فى غاية النفع وفى رمضان خلع السلطان على اينال الاشرفى مملوك السلطان وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن دولات باى حمام وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وكان ختما حفلا وفى شوال فى يوم عيد الفطر خلع السلطان على الامير يشبك بن مهدى الدوادار وكاشف التراب ومدبر المملكة وغير ذلك فصار رأس مجلس الميسرة وهو بالقصر ويقف فى الحوش ولم تجتمع هذه الوظائف فى أحد من الامراء قبله وفيه توفى شمس الدين العاقل أحد الموقعين والشهود العدول ولا بأس به وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير الركب بالمحمل قجماس أمير اخور كبير وأمير ركب الاول اقبردى الاشرفى وحج فى السنة المذكورة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى الحنفى وفى ذى القعدة قصد قانصوه الالفى ان يسافر الى بلاد جركس وكان قد حصل له توعك فى أذنه وعينيه فتوجه هناك للتداوى وكان يومئذ خاصكيا

فغاب

فغاب هناك مدة طويلة ثم عاد الى القاهرة وفيه توفى أبو يزيد بن طراباى الاشرفى رأس نوبة الجدارية وهو والد الناصرى محمد بن أبى يزيد وكان لا بأس به وفى ذى الحجة نزل السلطان من القلعة وعدى الى برالجيزة وكشف عن القناطر التى أمر بانشائها على يد الاتابكى أزبك وكان الوقت محتاجا لاصلاح تلك القناطر وكانت قد تهدمت فصرف عليها جملة مال حتى جددها وهى باقية الى الآن وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة نائبها جانى بك قلقسير وكان أميرا جليلا رئيسا حشما وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها حجوبية الحجاب الكبرى وامرية مجلس وامرية سلاح ثم ولى الاتابكية بمصر وترشح أمره للسلطنة غير مامرة ثم أسر عند سوار ثم أطلق وأعيد الى امرية سلاح ثم تولى نيابة الشام ومات بها وكان كفؤا للمناصب والمهمات وغير ذلك وفيه أرسل السلطان الخواجا محمد بن محفوظ المغربى الى ملك التليان الافرنجى وأرسل له على يده هدية حافلة فسار اليه وفى عقيب ذلك أرسل صاحب قبرس ماعليه من الجزية المقررة وقصد السلطان أن يجهز له تجريدة فلما أرسل ماعليه سكن الامر وفيه توفيت خوند فاطمة بنت المؤيد احمد ابن الاشرف اينال وهى زوجة الامير يشبك الدوادار أم ولده منصور وكانت شابة جميلة وفيها الخير فحزن عليها الناس وفيه توفى شاهين الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به

❁ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم توجه الامير يشبك الدوادار الى ثغر دمياط وكان السلطان قد جهله متحدثا عليها فلما توجه هناك أنشأ على فم البحر الملح عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سلسلة من حديد زنتها نحو من مائتين وخمسين قنطارا وكانت هذه السلسلة قديما هناك ثم بطل أمرها فجددها الامير يشبك الدوادار فى السنة المذكورة وحصل بها النفع لطرد المراكب التى للفرنج وفيه وصل الحاج الى القاهرة وحمدت سيرة الامير قجماس أمير المحمل وفيه فى يوم السبت رابع عشريه كانت وفاة أمير المؤمنين الجمالى يوسف رحمه الله تعالى المستنجد بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام أحمد الحاكم بأمر الله العباسى الهاشمى وكان الثالث عشر من خلفاء بنى العباس بمصر تولى الخلافة بعد أخيه حمزة ودام فى الخلافة نحوا من خمس وعشرين سنة وأشهر وكان رئيسا حشما وعنده لين جانب مع تواضع زائد ورأى فى خلافته العز وقلد فيها خمسة من السلاطين وهم المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال والظاهر خشقدم والظاهر بلباى والظاهر تمربغا والاشرف قايتباى ومات وله من العمر زيادة على الثمانين سنة ومولده بعد التسعين والسبعمائة ولما مات دفن عند أقاربه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهو أول خليفة سكن بالقلعة ودام

بها حتى مات ومات عن غير ولد ذكر بل خلف بنتا تسمى ست الخلفاء فعهد بالخلافة بعده لابن أخيه العزى عبد العزيز

ذكر خلافة المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز بن يعقوب ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام الحاكم بأمر الله أحمد العباسى الهاشمى

وهو الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بمصر بويع بالخلافة بعد موت عمه الجمالى يوسف بعهد منه وكانت ولايته فى يوم الاثنين سادس عشرى المحرم من السنة المذكورة فطلبه السلطان فحين حضر حضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان يومئذ عمه موسى موجودا ولكنه كان غير صالح للخلافة فلم يكن فى بنى العباس يومئذ أمثل من العزى عبد العزيز فوقع الاتفاق من السلطان والامراء على ولايته فتولى الخلافة فى ذلك اليوم (أقول) ولم يل الخلافة من اسمه عبد العزيز سواه ثم انه أراد أن يلقب نفسه بالمستعز بالله فعورض فى ذلك ولقبوه بالمتوكل على الله كلقب جده محمد المتوكل فأحضر اليه شعار الخلافة وأفيض عليه وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش ونزل من القلعة فى موكب حافل وأمامه قضاة القضاة وأعيان الدولة فتوجه الى مكان تسكن فيه الخلفاء ثم تحول من يومه وطلع الى القلعة وسكن بدار عمه يوسف التى هى داخل الحوش السلطانى وطالت أيامه فى الخلافة وكان كفؤا لذلك وكان سنه لما ولى الخلافة نحوا من اثنتين وستين سنة أو أكثر من ذلك وكان مولده سنة تسع عشرة وثمانمائة وكانت أمه تسمى حاج ملك بنت مقبل وهو شخص من المماليك السلطانية وفى صفر تغير خاطر السلطان على أزدمر الطويل الابراهيمى الاينالى حاجب الحجاب فرسم بنفيه وبعث اليه بألفى دينار يتجهز بها وفيه نزل السلطان وتوجه الى منف وأقام بها أياما ثم عاد الى القلعة وفى ربيع الاول أنعم السلطان على تانى بك قرا الاينالى بتقدمة ألف وهى تقدمة أزدمر الطويل وعين الدوادارية الثانية الى قانصوه خمسمائة وخلع عليه بها بعد أيام وفيه نقل السيفى قانصوه اليحياوى من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن المرحوم جانى بك قلقسيز بحكم وفاته ونقل ازدمر قريب السلطان من نيابة طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم انتقاله الى نيابة الشام وقرر فى نيابة طرابلس برديك المعمار نائب صفد

عوضا عن أزدمر بن مزيد قريب السلطان وقرر عوضه فى نيابة صفد جانى بك أحد مماليك
السلطان وكان مقيما بالشام بطالا وفيه توفى جانم الاعور بن بلباى أمير شكار أحد
العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وفيه ضرب الامير يشبك الدوادار الكبير
الكرة مع السلطان فسقط صولجان الامير يشبك من يده فترجل الامير جانم الشريفى قريب
السلطان أحد المقدمين عن فرسه وأخذ الصولجان من الارض وناوله للامير يشبك فلما
كان فى اليوم الثانى صنع الامير يشبك وليمة حافلة جدا وعزم على جانم وقانصوه خمسمائة
وآخرين من الامراء فلما حضروا أصلح الامير يشبك بين جانم وبين قانصوه خمسمائة
وكان بينهما وحشة ثم خلع على كل واحد منهما كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج
ذهب وكنبوش وكانت هذه الوليمة من نوادر الضيافة الحافلة وفى ربيع الآخر
كانت نهاية ضرب الكرة وأضاف السلطان الامرا ضيافة حافلة ونزلوا الى دورهم وفيه
كانت وفاة الامير جانم الشريفى قريب السلطان أحد المقدمين وكان من حين أضافه
الامير يشبك وهو مريض حتى اتهم الامير يشبك بانه قد شغله فى ذلك اليوم فى شئ
من المأكول فلما تزايد به المرض وتورمت قدماه حمل فى محفة وتوجهوا به الى بولاق فأقام
هناك بعض أيام ومات فأمر السلطان بحمله الى داره فى محفة فغسل وكفن وصلى عليه
بسبيل المؤمنين وكان له يوم مشهود ثم توجهوا به الى تربة السلطان فدفن بها واستمر
العزاء عمالا بالقلعة ثلاثة أيام بدور الحريم وتأسف عليه السلطان غاية الاسف وقيل ان
السلطان جلس بقاعة البحرة ورسم لنساء عرب اليسار أن يدقوا ويلطموا على الامير جانم
وهو ينظر اليهن وقد جلس للعزاء وصارت الامراء تتلطف به وتسليه وقيل ان جانم كان
يقرب للسلطان من جهة النساء وكان جميل الصورة حسن الهيئة قد بدا عذاره وكان
رئيسا حشما وافر العقل جليل القدر ورأى غاية العز والعظمة على صغر سنه وأقام
بالطبقة مدة يسيرة ثم بقى خاصكيا ثم بقى أمير عشرة ثم بقى ناظر الجوالى ثم بقى شاد الشرابخاناه
ثم بقى مقدم ألف وجاءت اليه السعادة سريعا وزالت عنه فى مدة يسيرة وقد دهمه الموت
فتوفى وله من العمر نحو عشرين سنة وكان كريما سخيا بالعطاء حتى قيل فيه

فقت الكرام فى الورى * يا مطلب الرائم
ما أنت الا حاتم * تصحفت بجانم

وكان قد تزوج بخوند أخت خوند زوجة السلطان وكان له مهم حافل وكان له زفاف ليلة تخلا
بزوجته يسمع بمثله وزينت له القاهرة بالمصابيح والشموع وعلقت ليلة زفاف عرسه
التنانير بها القناديل من سويقة العزى الى ما بين القصرين ومشى أمامه الامراء المقدمون
وكان الامير يشبك ماسكا عنان فرسه من جهة الميمنة وازدمر الطويل حاجب الحجاب

ماسكا لجام فرسه من جهة الميسرة وبقية الامراء مشاة قدامه بالشموع من سويقة العزى الى بيت العلائى على بن خاص بك وكان المهم هناك فزف وزفت له العروس فكان أبهى من العروس كما قيل

ماسمعنا فيما سمعنا قديما * بعروس يجلى عليها عروس

وكان زفاف الامير جانم من المعدودات بحيث لم يقع بعده مثله فلما انقضت وفاة الامير جانم كثر الكلام فى حق الامير يشبك بسبب جانم ونسب الى قتله بالسم وصار فى تهديد ووعيد من المماليك الجلبان ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام فى شرحها وقصدوا قتل الامير يشبك غير ما مرة وصار السلطان يرجع المماليك عن الامير يشبك وصار الامير يشبك يترضى خاطر المماليك الجلبان بكل ما يمكن حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وصار على رأس الامير يشبك طيرة من الجلبان حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه قدم الملك المؤيد أحمد من الاسكندرية وكان سبب قدومه أن والدته خوند حصل لها توعك شديد وقد أشرفت فيه على الموت فأتى اليها الامير يشبك ليعودها فسألت فضله ان يسأل السلطان فى حضور ولدها الملك المؤيد الى مصر لتنظره قبل أن تموت فلما طلع الامير يشبك الى القلعة تكلم مع السلطان فى ذلك فرسم باحضاره فلما حضر طلع الى القلعة ودخل الحوش وهو راكب وكان معه ولده على فقام له السلطان ورحب به وخلع عليه وعلى ولده ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وتانى بك قرا وآخرون من الامراء فنزل فى داره التى بالجسر الاعظم عند والدته وفى ثالث جمادى الاولى كان وفاء النيل وقد أوفى فى تاسع عشرى أبيب القبطى وكسر فى آخر يوم من أبيب فعد ذلك من النوادر فلما أوفى توجه الاتابكى ازبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ثم بعد يومين زاد النيل عشرين اصبعا فغلق الذراع السابع عشر وستة أصابع من الذراع الثامن عشر فعد ذلك من النوادر وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى وقرره فى شادية الشرابخاناه وقرر بيبرس الرحبى قريب السلطان فى استادارية الصحبة عوضا عن الماس وفيه سافر السلطان الى ثغر الاسكندرية وهى السفرة الثانية فتوجه من البحر فى عدة مراكب كثيرة وكان سبب توجه السلطان من البحر كثرة ماء النيل فى طرقات البلدان وكان معه من الامراء الاتابكى ازبك ويشبك الدوادار وخاير بك بن حديد وازبك اليوسفى وآخرون من الامراء المقدمين وعدة وافرة من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الخاصكية من المماليك السلطانية وكان معه من المباشرين القاضى كاتب السر ابن مزهر وغيره من أعيان المباشرين وكان الشهابى أحمد بن العينى وسيدى منصور بن الملك الظاهر خشقدم وغير ذلك من الاعيان

وكان

وكان له ببولاق يوم مشهود عند نزوله الى البحر وكان سفر السلطان الى الاسكندرية فى هذه المرة لاجل البرج الذى أنشأه هنالك وقد انتهى العمل منه فتوجه اليه ليرى هيئته فلما دخل مدينة الاسكندرية لم يركب بها مثل أول مرة ولا جات القبة والطير على رأسه فلما نزل بالمخيم مدّ له نائب الاسكندرية مدة حافلة ثم توجه الى رشيد وكشف عن البرج الذى أنشأه هنالك بها ثم كشف عن البرج الذى أنشأه بثغر الاسكندرية مكان المنار القديم فجاء من محاسن الزمان ومن أعظم الابنية وأجل الآثار الحسنة ومن نوادر أفعال الملوك كما قيل

ليس الفتى بفتى يستضاء به * حتى يكون له فى الارض آثار

وقيل ان صفة بنيان هذا البرج أن دهليزه ممتد على قناطر فى البحر الملح من الساحل حتى ينتهى الى البرج وأنشأ بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر ينظر منه من مسيرة يوم الى المراكب وهى داخلة الى المينا وجعل بهذا البرج جامعا بخطبة وطاحونا وفرنا وحواصل وشحنها بالسلاح وجعل حول هذا البرج مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا لئلا تطرق الافرنج الثغر على حين غفلة وجعل بها جماعة من المجاهدين قاطنين به دائما وأجرى عليهم الجوامك والرواتب فى كل شهر وجعل شادا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قانصوه المحمدى الخاصكى وهو الذى ولى نيابة الشام فيما بعد وصار يعرف بقانصوه البرجى وقيل ان السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة عن المائة ألف دينار وأوقف عليه الاوقاف الجليلة وجاء من أحسن الآثار والمعروف ثم ان السلطان أقام بثغر الاسكندرية أياما ورحل عنها ثم جاءت الاخبار بأن السلطان دخل الى دسوق وزار سيدى ابراهيم الدسوقى وهو ماش وحوله الامراء واستمر السلطان غائبا فى هذه السفرة الى أواخر الشهر المذكور وفيه توفيت خوند زينب والدة الملك المؤيد أحمد وهى زوجة الاشرف اينال وكانت من أجل الخوندات قدرا ورأت فى دولة زوجها الاشرف اينال غاية العز والعظمة حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة فى سعة من المال ولم تتزوج غير الاشرف اينال ولم يتزوج هو أيضا غيرها وصادرها الملك الظاهر خشقدم غير مامرة وأخذ منها جملة مال وهى باقية وعقد ناموسها لم يتغير الى أن ماتت وقد جاوزت من العمر نحو الثمانين سنة وهى زينب بنت حسن بن خليل بن خاصبك لم يجئ بعدها فى الخوندات مثلها وكانت من مشاهير الخوندات وكانت اذا دخلت على الاشرف قايتباى يقوم لها ويعظمها ولما ماتت لم يحضر جنازتها ولم يحضرها أحد من المقدمين غير تانى بك قرا وسبب ذلك أن السلطان كان غائبا فلم يجسر أحد من الامراء أن يجئ عند ولدها الملك المؤيد وبعد هذا ما سلم الامر من القال والقيل فحضر جنازتها القضاة القضاة وأعيان الدولة ثم فى سلخ الشهر المذكور حضر السلطان من السفر فى البحر أيضا وطلع من بولاق وكان له يوم

مشهود وقد عد سفره من النوادر وكونه توجه الى ثغر الاسكندرية وترك الملك المؤيد
بالقاهرة مع أن مماليك أبيه الاشرف اينال كانوا فى غاية التمرد ينتظرون وقوع الفتن
وظهر منهم فى غيبة السلطان بعض حركة وانكشف رخ جماعة منهم فى هذه الحركة ونفى
فيما بعد منهم جماعة كثيرة كما سيأتى الكلام على ذلك وفى جمادى الآخرة أضاف
السلطان الملك المؤيد ضيافة حافلة بالبحرة وخلع عليه وعلى ولده وأذن لهم بالعود الى
الاسكندرية وقدم الملك المؤيد للسلطان تقدمة حافلة من مال وتحف بسبب موجود
والدته الذى خلفته وفيه ثبت النيل المبارك على عشرين اصبعا وعشرين ذراعا فوافق
ذلك مثل العام الماضى حتى عد من النوادر وفى رجب سافر الملك المؤيد الاسكندرية وقد
أقام بالقاهرة نحو شهرين الا أياما وفيه ظهر للسلطان بأن طائفة الاينالية قصدوا اثارة
فتنة فى غيبة السلطان فلما تحقق ذلك صار ينفى منهم جماعة بعد جماعة شيأ فشيأ ثم نفى
مملوكه بردبك سكر الخاصكى الى البلاد الشامية وكان قد نسب الى أشياء من هذه الاشاعة
وقد تغيرت قلوب الامراء بعداوة الامير يشبك الدوادار وقد أشيع أنه قد سم الامير جانم
قريب السلطان فانقطع يشبك عن طلوع القلعة أياما وكثر الكلام فى حقه بسبب ذلك
وفيه خلع السلطان على على باى ميق الذى كان كاشف الشرقية وقرره فى نيابة سيس عوضا
عن أزدمر قريب السلطان وقرر أزدمر فى نيابة حماه عوضا عن قراجا الطويل الاينالى
بحكم صرفه عنها وسجنه بقلعة دمشق وفيه رسم السلطان بنفى ستة أنفار منهم ثلاثة من
طائفة الاينالية وهم أبويزيد ومشيد وشادبك كل منهم أمير عشرة وثلاثة من الستة
من مشتروات فتوجهوا بهم الى نحو البلاد الشامية ثم تتابع النفى بجماعة من الاينالية
وكثر الكلام فى ذلك جدا وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق تاج الدين بن عربشاه عوضا
عن ابن عيد وفى شعبان رسم السلطان بنفى الطواشى معروف اليشبكى شاد الحوش الى
جهة قوص لامر أوجب ذلك وفيه خلع السلطان على برسباى قرا المحمدى الظاهرى
وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن أزدمر الطويل بحكم نفيه وقرر فى شادية الحوش سرور
السيفى بن جرباش كرت عوضا عن معروف اليشبكى وفيه وصل قانصوه الالفى الذى كان
قد توجه الى بلاد الجركس فاحضر معه عدة من أقارب السلطان فخلع عليه ونزل الى
داره وفيه حضر قاصد من عند بعض ملوك الهند صحبة أبى الفتح نائب جدة على يده هدية
حافلة الى السلطان وفيه أنعم السلطان على قريب له بتقدمة ألف وهى تقدمة جانم
الشريفى ناظر الجوالى ثم بعد مدة أرسل له شاشا ورسم له بان يلف تخفيفة وكذلك
قانصوه خمسمائة فانه بقى دوادار ثانى وهو بكوفية بتندس وفيه توفى جانم السيفى تمرباى
الزردكاش الكبير وكان أحد الامراء الطبلخاناة وفى رمضان احتفل الصاحب خشقدم

فى مسايرة هائلة وكان قرر فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر شاهين الجمالى فى امرية الركب الاول وكان قريبها أولا جانم الزردكاش الذى توفى فكان للصاحب خشقدم يوم مشهود بتلك المسايرة وقد أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يحج فى السنة المذكورة فعمل هذه المسايرة بسبب تشوق السلطان الى الحجاز وفيه خلع السلطان على مملوكه قنبردى أحد الخاصكية وقرره فى كشف الشرقية عوضا عن على باى ميق الذى استقر فى نيابة سيس وقرر اقباى الطويل فى كشف الغربية وفيه قدم بردبك جبس وكان منفيا بالبلاد الشامية فشفع فيه بعض الامراء فرسم السلطان باحضاره فحضر ورضى عليه وفيه توفى معروف اليشبكى الطواشى شاد الحوش ومات وهو منفى بالواحات وجرى عليه ما لاخير فيه وكان لابأس به غير أنه كان عنده تكبر فى نفسه وتعاظم وفيه جاءت الاخبار بوفاة شادبك الابراهيمى الاينالى وكان من الامراء العشراوات فتغير خاطر السلطان عليه ونفاه الى الشام فمات بها وفيه رسم السلطان بنفى جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك أحد الامراء العشراوات ونفى أبى زيد أزبك الخاصكى الاينالى ونفى تغرى برمش أحد الامراء العشراوات والكل اينالية وقد سقط نجمهم وبدا عكسهم وصار السلطان ينفى فى كل شهر منهم جماعة فى أماكن شتى وفى شوال خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانم السيفى تمرباى وقد جمع يشبك الجمالى بين الحسبة والزردكاشية الكبرى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وقد احتفل الامير خشقدم ببرك عظيم بسبب السلطان لسفره الى الحجاز فكان معه نحو من مائتى جمل وخمسين جملا وقيل ان السلطان بعث اليه ثلاثين ألف دينار بسبب عمل هذا البرك وكان لخروج الصاحب خشقدم يوم مشهود وفيه رسم السلطان بنفى مثقال الطواشى مقدم المماليك وكان يعرف بمثقال البرهانى فخرج منفيا الى طرابلس وكان هذا كله بسبب خروج السلطان الى البلاد الشامية وتوعكه هناك وقد تزايدت الاقوال بموته وحصل بين الامراء نقل كلام فيمن يلى من بعده السلطنة وانكشف رخ جماعة من الاينالية فى هذه الحركة ولم يعلم باطن الامر فى حقيقة ذلك وصار السلطان ينفى كل قليل جماعة من الاينالية ومن مماليكه واستمر الامر على ذلك فلما خرج الحاج من القاهرة ورحل المحمل من بركة الحاج نزل السلطان من القلعة فى يوم الخميس ثالث عشرى شوال ولم يشعر بسفره أحد من الناس وخرج على حين غفلة فسافر معه بعض أمراء عشراوات منهم يشبك الجمالى الزردكاش وآخرون من الامراء من أخصائه وعدة وافرة من الخاصكية والمماليك السلطانية وجماعة من المباشرين منهم أبو البقاء بن الجيعان وغير ذلك من الاعيان منهم برهان الدين الكركى الامام فخرج السلطان من بين الترب وسافر

بعد صلاة الظهر فنزل معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار فودعاه ورجعا من أثناء الطريق
فأوصاهما السلطان بحفظ الرعية ثم سافر على ظهر البويب ولم يتوجه معه أحد من الامراء
المقدمين فعد سفره على هذا الوجه من النوادر وفى ذى القعدة رسم الامير يشبك الدوادار
ليشبك بن حيدر والى القاهرة بأن يتحدث فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى بحكم سفره
مع السلطان وكان الامير يشبك الدوادار هو المشار اليه فى غيبة السلطان وفيه شرع
الامير يشبك فى بناء القبة التى أنشأها فى رأس دور الحسينية وخرب عدة ترب كانت هناك
ثم أنشأ بهذا المكان غيطانا ومجارى وسواقى وقصد أن يجعله من جملة متنزهات
القاهرة ولو عاش لفعل ذلك فجاءت القبة من محاسن البناء فى ذلك المكان وفى ذى الحجة
كان انتهاء عمارة الربع الذى أنشأه السلطان بحدرة الكبش وكان الشاد على العمارة
ناقق المؤيدى أحد الامراء العشراوات وفيه قدم مبشر الحاج وهو شخص من
الخاصكية يقال له أسنباى وقد استمر اسمه بالمبشر بعد ذلك فأخبر بسلامة السلطان وانه
دخل الى مكة فى موكب حافل وكان له يوم مشهود ولاقاه أمير مكة من مسيرة يومين وانه
تصدق على فقراء مكة بخمسة آلاف دينار وتواضع تواضعا وخضوعا الى الغاية وكان
بطول الطريق لا يتكلم فى شئ يتعلق بالاحكام بين الناس وفعل فى الطرقات أشياء كثيرة
من وجوه البر والمعروف فحصل لاسنباى المبشر جملة خلع ومال له صورة من الامراء
وأعيان الناس ومن خوند زوجة السلطان وغير ذلك من أرباب الدولة وفيه جهز
الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من الامراء اقامات لملاقاة السلطان من
العقبة وخرج الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين صحبة ذلك وخرج معه جماعة
كثيرة من أرباب الدولة لملاقاة السلطان من العقبة واهتم الامير يشبك الدوادار ببياض
أماكن بالقلعة ودهان أبوابها وضرب الرنوك عليها وجلا واجهة القصر الابلق وما
يليه حتى ظهر رخامه الملون وقد احتفل فى اصلاح ذلك جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة
خليل بك بن حسن الطويل ملك العراقين وكان أكبر أولاد حسن الطويل ثار عليه
بعض الامراء فقتله ولما مات ولى بعده أخوه يعقوب وكان من خيار بنى حسن
الطويل وتوفى تانى بك الاشقر المحمدى البواب أحد الامراء العشراوات وكان كاشف المنوفيه
❁ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم بعث السلطان نجابا الى الامراء
وأخبر النجاب بأن السلطان دخل الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وزار النبى صلى الله عليه وسلم وأنعم على الفقراء الذين بها بخمسة آلاف دينار وانه رحل
نحو الينبع قاصدا العقبة ثم رحل عنها وهو واصل عن قريب ثم رسم لهم بأن لا يخرج الى
ملاقاته أحد من الامراء وأن السلطان ينزل بقبة الامير يشبك التى بالمطرية فبادر
الامراء بالخروج الى هناك ونصبوا الخيام ثم جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى

البويب

البويب فلما تحقق الامراء ذلك ركب الاتابكى أزبك والامير يشبك الدوادار وبقية الامراء من المطرية وتوجهوا الى ملاقاة السلطان فلما وصلوا الى البويب اجتمعوا بالسلطان هنالك وساروا قدامه حتى وصل الى الوطاق الذى بالمطرية وكان له هنالك موكب حافل وكان دخوله فى ثانى عشر المحرم قبل دخول الحاج بثمانية أيام فلما نزل بقبة الامير يشبك مدّ له الامير أزبك الاتابكى هنالك مدة حافلة جداوبات السلطان هنالك وبات عنده قضاة القضاة ومشايخ العلم وهنؤه بقدومه فلما كان يوم الاثنين رابع عشره ركب السلطان من هنالك وحمل الاتابكى أزبك على رأسه القبة والطير وركب قدامه الامراء والعسكر وهم موكبون كالاعياد وسارت الامراء والقضاة الاربعة قدامه فدخل من باب النصر وشق من القاهرة وقد زينت له زينة حافلة واستمر فى هذا الموكب العظيم وطاب طلبا حافلا ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب وكان له يوم مشهود الى أن طلع الى القلعة فلما طلع فرشت له خوند عدة شقق من باب القلعة الى الحوش ونثرت على رأسه خفائف الذهب والفضة وتوشحت الخدام بالبنود الذهب والحرير الاصفر وتخلقت بالزعفران فلما دخل السلطان الى الحوش مدّ له هنالك الامير يشبك مدة حافلة أعظم من مدة الاتابكى أزبك التى مدها له بالقبة ثم ان السلطان خلع على من كان معه من أرباب الوظائف ونزلوا الى بيوتهم وانفض ذلك الموكب وعدّت هذه الحجة من النوادر الغريبة ودخل عليه جملة تقادم من مال وتحف تعدل مائتى ألف دينار من أمير مكة المشرفة وقضاتها ومن أمير الينبع وغير ذلك وقد نظم الشعراء فى هذه الواقعة عدة قصائد فمن ذلك

قدم السرور بمقدم السلطان * من حجه المقبول بالرضوان

سلطاننا الملك الهمام الاشرف الراقى بسماء الحسن والاحسان

فهناؤنا بيقائه فى نعمة * وسلامة فرض على الاعيان

ولقد علمنا أن طاعة أمره * أونهيه دين من الايمان

لما نوى حجا ولبى محرما * عم الامان مراتع الغزلان

والوحش فى أبياتها والدوح فى * انباتها والطير فى الطيران

ثم الصلاة على النبى المصطفى * عدد الرمال بجملة الكثبان

فلما استقر السلطان بالقلعة أخذ فى أسباب تفرقة الهدية على الامراء فابتدأ بالاتابكى أزبك ثم بقية الامراء كل من هو فى منزلته ثم المباشرين وأرباب الدولة وكان الامراء والمباشرون قدموا للسلطان أيضا تقادم حافلة ما بين مال وخيول وقماش وغير ذلك وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحمدت سيرة الصاحب خشقدم الزمام وفيه نزل السلطان وتوجه الى القرافة فزار ورجع من جهة مصر العتيقة وطلع من جهة قناطر

السباع وأتى الى الكبش فكشف عن عمارته التى أنشاها هنالك ثم طلع الى القلعة من جهة الصليبة وكشف عن عمارة سبيله الذى أنشأه برأس سويقة عبد المنعم التى بالرميلة وكان الشاد على عمارته تانى بك قرا أحد المقدمين ثم طلع من باب السلسلة الى القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة قراجا الطويل الاينالى الذى كان نائب حماه مات بطالا بالقدس وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان قانم الاشرفى الذى كان كاشف الشرقية فضرب بين يديه ورسم بنفيه الى طرسوس وفى صفر قرر خالص التكرورى الطواشى فى تقدمة المماليك عوضا عن مثقال البرهانى وقرر سرور الشامى نائب المقدم عوضا عن خالص وفيه قدم عمراز التمشى رأس نوبة النوب من البحيرة وقد أتى ليهنئ السلطان بعوده من الحجاز وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة بحماه وقتل فيها نائب حماه ازدمر بن أزبك قريب السلطان وسبب ذلك ان سيف أمير آل فضل كان قد خرج عن الطاعة فحاربه أزدمر نائب حماه المقدم ذكره فقتل فى المعركة وقتل معه جمع من أمراء حماه فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان حافلا ومما وقع فى ذلك اليوم أن السلطان لما تكامل المجلس بالقضاة الاربعة والامراء وانتهى أمر السماط حضر كاتب السر ابن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وخلفهم ستة أطباق على رؤس ستة طواشية فحطت بين يدى السلطان بحضرة القضاة والامراء وكشفوا عنها فاذا هى ستون ألف دينار ذهب عين فأخذ كاتب السر يقول فى المجلس العام إن السلطان نصره الله تعالى لما حج فى العام الماضى رأى أهل المدينة المشرفة فى فاقة زائدة من عدم الاوقاف فنذر مولانا السلطان بأن يفعل بالمدينة الشريفة خيرا يكون مستمرا من بعده وقد خرج عن هذا المال لله تعالى وهو من وجه حل من خالص ماله دون مال بيت المسلمين ليشترى به ما يوقفه على فقراء المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك مما يصنع فى كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فارتفعت له الاصوات بالدعاء فى ذلك المجلس ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد قاضى القضاة الشافعى حتى يشترى به أماكن أوضياعا فامتنع القاضى من ذلك واعتذر عن تسليمه حتى اعفى من ذلك ثم شرع السلطان فى بناء تلك الربوع التى أنشأها فى باب النصر وفى البندقانيين والخشابين والدجاجين وغير ذلك من الاماكن وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك فلما عاد وقف له جماعة من العوام وشكوا اليه من أمور الحسبة بأنها ضائعة وانه من بعد العصر ما يوجد الخبز على الدكاكين فلما طلع الى القلعة وأصبح رسم للصاحب قاسم شغيتة بأن يتكلم فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى وكان لما ولى الزردكاشية أهمل

أمر الحسبة وضاعت المصالح فى أمور البضائع وغيرها وسعر الغلال ووقع بالقاهرة تشحيطة فى الخبز فى تلك الايام وكادت أن تكون غلوة وفيه عين السلطان الامير يشبك الدوادار للخروج الى حماه بسبب قتال سيف أمير آل فضل الذى قتل ازدمر نائب حماه كما تقدم ذكر ذلك وهذه السفرة كانت آخر العهد بالامير يشبك ولم يعد منها الى مصر وعين معه من الامراء المقدمين برسباى قرا وتانى بك قرا وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من الجند وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة خرجت الى سيف وكان الامر كذلك وراح أكثر الامراء والعسكر على السيف كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لا تنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث سيكون

﴿وقال آخر﴾

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

وكان الامير يشبك له غرض تام فى السفر الى ديار بكر وقد سأل السلطان فى ذلك بنفسه والسبب فى ذلك أن الامير يشبك كان وقع بينه وبين جلبان السلطان بسبب جانم الشريفى وقد اتهموه انه شغله فصار معهم فى تهديد وقصدوا قتله غير ما مرة فحسن له بعض الاعاجم أن مملكة حسن الطويل سائبة وان العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لا يقدروا على محاربتك ويسلموك مملكة العراق قاطبة فانصاغ الامير يشبك لهذا الكلام وسأل السلطان السفر بنفسه حتى يجعل الله لكل شئ سببا لنفوذ القضاء والقدر كما قيل فى المعنى

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فلما عين السلطان الامراء وعرض من بعد ذلك الجند وكتب منهم نحوا من خمسمائة مملوك وكان الاكثر منهم من طائفة الاينالية فلما عرضهم أنفق عليهم وأمرهم بسرعة التجهيز والخروج صحبة الامير يشبك فبلغت النفقة عليهم فى هذه الحركة زيادة عن المائة ألف دينار وفيه خلع السلطان على الامير تغرى بردى ططر أحد المقدمين وقرره أمير المحمل وقرر يشبك بن حيدر والى القاهرة أمير أول وفيه توفى الشهيد الشريف زين العابدين وهو محمد بن محمد بن على بن على بن حسين القرشى الهاشمى السنجارى الحنبلى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال كثير التواضع حسن الملتقى وفيه خلع السلطان على قانصوه دوادار الامير يشبك وجعله متحدثا فى الاستادارية الى أن يعود استاذه فاستعفى من ذلك وأظهر السفر صحبة استاذه وفيه قرر جانم دوادار الامير يشبك فى كشف أسيوط عوضا عن قرقماس الاعور فاستعفى جانم من ذلك واستقر بهاسيباى وطلب قرقماس السفر صحبة يشبك وفيه فى سلخه كانت وفاة شيخ مذهب الشافعية بمصر الشيخ سراج الدين عمر بن حسن

ابن حسين العبادى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم مفتيا وصار أحفظ أهل زمانه بمذهبه بمصر منطرح النفس جدا وولى عدة وظائف سنية منها نظر الاحباس ومشيخة خانقاه سعيد السعداء وغير ذلك من الوظائف ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه نادى السلطان بأن معاملة الفضة بالميزان وكانت قد خفت جدا وفى ربيع الآخر خرج الامير يشبك الدوادار الى التجريدة من غير طلب لذلك وكان عليه نجدة زائدة فتفاءل الناس أنه لا يعود الى مصر أبدا وكذا جرى وكان الناس يقولون خرج لسيف وكان هذا فألا عليه وفيه قرر السلطان جانم الاعرج السيفى جانى بك نائب جدة فى نيابة حماه عوضا عن أزدمر قريب السلطان وفيه برز أمر السلطان الى سيباى كاشف الوجه القبلى بان يقطع رأس أزدمر الطويل الاينالى وكان نفى الى مكة المشرفة ثم بعد مدة نقل الى أسيوط وسجن وكان بينه وبين الامير يشبك عداوة وقصد أزدمر قتل يشبك غير ما مرة بل وقتل السلطان أيضا فلما برز الأمير يشبك بالريدانية للتجريدة أرسل يشبك يقول للسلطان ما أرحل من هنا حتى تقطع رأس أزدمر الطويل وتجىء الى وتأخر أياما ينتظر ذلك فأرسل السلطان يوسف السوام الذى كان والى قوص الى سيباى كاشف الوجه القبلى بقطع رأس ازدمر الطويل فتوجه فى الخفية الى أسيوط وعلى يده مرسوم السلطان الى سيباى بقطع رأس أزدمر فقطع رأسه باسيوط ووضعت فى علبة وأحضرت بين يدى السلطان فنظر اليها ثم أرسلها الى الأمير يشبك فنظر اليها وكتم هذا الامر عن الناس وما خفى بل اشتهر من يومه وكان أزدمر هذا من أعيان الاينالية شجاعا بطلا مقداما فى الحرب عارفا بانواع الفروسية ثم ان الأمير يشبك رحل من الريدانية وقد نال قصده من أزدمر ثم قطعت رأس الأمير يشبك بعد ذلك بمدة يسيرة والمجازاة من جنس العمل وفيه توفى بردبك التاجى الاشرفى أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه تغير خاطر السلطان على قاضى القضاة الشافعية ولى الدين الاسيوطى وعلى قاضى قضاة الحنابلة بدر الدين السعدى فعزل القاضى الشافعى ورسم بنفى القاضى الحنبلى الى قوص ولم يكن ثم أمر كبير يستحق هذه الكائنة بل ما نكب القاضى الشافعى الا بسبب تركة انسان والقاضى الحنبلى بسبب كتاب وقف ونحو ذلك واستمر أمرهما فى اضطراب مدة أيام وتكلموا مع السلطان فيمن يلى قضاء الشافعية وقضاء الحنبلية وكتب قائمة باسماء جماعة من طائفتى المذهبين ثم عاد الامر الى إعادتهما الى ما كانا عليه بشفاعة الاتابكى أزبك فخلع على القاضيين ونزلا الى دورهما وكان لهما يوم مشهود وفى جمادى الاولى توفى القاضى شرف الدين يحيى ابن الجيعان مستوفى ديوان الجيش وهو يحيى بن شاكر بن عبد الغنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم والفرائض وفيه تغير خاطر السلطان

على

على القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص كان فرسم بتسميره فسمر على جمل وطيف به فى
القاهرة وتوجهوا به الى قنطرة الحاجب ليوسطوه هناك وكانت هيئته وهو مسمر على الجمل
انه على رأسه عمامة صغيرة وهو لابس كبرا بيض فلما وصل هناك وقعت فيه شفاعة فعادوا
به وقد أركبوه على فرس وفرح الناس بسلامته وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بشنق
تاج الدين بن المقسى بعد أن عفى عنه فتوجهوا به الى غيط الحاجب فشنقوه على جميزة
هناك وشنق معه فى ذلك اليوم قاسم بن بقر أمير عربان جذام بالشرقية وكان لهما يوم
مشهود وكان اسمه عبد الله بن نصر الله القبطى وكان رئيسا حشما كيسا حسن الهيئة
لطيف الذات وولى عدة وظائف سنية منها كتابة المماليك ونظر الدولة ونظر الجيش ونظر
الخاص والاستادارية وغير ذلك من الوظائف ومات وهو فى عشر الخمسين وكثر عليه الحزن
من الناس وقاسى فى أواخر عمره أهوالا وشدائد ومحنا وضرب بالمقارع فى يوم شديد البرد
وآخر عمره شنق وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة
وفيه نزل السلطان فى موكب وتوجه نحو قليوب ثم طاب له رؤية البحر فاقلع من هناك
وتوجه الى الوجه القبلى حتى وصل الى نحو طنبدا ثم عاد الى القلعة وفى رجب جاءت
الاخبار بقتل سيباى العلائى الاينالى كاشف الوجه القبلى قتله بعض العرب بخنجر فى بطنه
وهو راقد على فراشه وكان شابا حسنا شجاعا بطلا من خيار الاينالية وهو الذى قطع رأس
ازدمر الطويل فكان بينه وبين قتل ازدمر الطويل شهران وبعض أيام وفيه جاءت
الاخبار من دمشق بوفاة برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر الحر باذى
البقاعى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا ماهرا فى الحديث ليس من مساويه
سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله ورضى عنه فلما قامت الدائرة بسبب ابن
الفارض توجه الى دمشق فمات بها وفيه جاءت الاخبار بان الامير يشبك الدوادار لما
دخل الى الشام أخذ معه نائب الشام قانصوه اليحياوى وتوجه الى حلب وان قانى بك صلق
توفى بحلب وكان صحبة الامير يشبك وكان قانى بك صلق أصله من مماليك شادبك الحكمى
وارتقى حتى بقى أمير طبلخاناه ورأس نوبة وكان لا بأس به ورأى غاية العز فى دولة الاشرف
قايتباى وفى شعبان كان انتهاء القناطر التى بالجيزة وخلع السلطان على الاتابكى أزبك
بسبب كونه كان شادا على العمارة فجاءت من آثار الملوك وقيل ان السلطان صرف على هذه
القناطر نحوا من مائة ألف دينار وفيه توفى مجد الدين بن الكويز وهو محمد بن سليمان بن
عبد الرحمن بن داود بن خليل الشوبكى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها معلم
المعلمين ونظر الخاص وغير ذلك ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وفى رمضان كان
ختم البخارى بالقلعة وفرقت الخلع والصرر على القضاة ومشايخ العلم وكان قارئ الحديث

الشريف برهان الدين بن الكركي امام السلطان فخلع عليه ونزل من القلعة في جمع حافل وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الامام الشافعي رحمة الله عليه ورضي عنه وكان الشاد على عمارتها الخواجا شمس الدين بن الزمن وفيه كانت وفاة قاضي القضاة الحنفي شمس الدين الامشاطي محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن اسمعيل بن يعقوب العينتابي الكركاوي الحنفي وكان عالما فاضلا بارعا في علوم مذهبه وافر العقل فكه المحاضرة وكان ناب في القضاء مدة طويلة ثم تولى القضاء الاكبر وباشره بعفة زائدة وحرمة وافرة وحمدت سيرته وامتاز على غيره من قضاة عصره وصمم على عدم حل الاوقاف في أيامه وجمع بين القضاء ومشيخة البرقوقية وكان نادرة في عصره فلما توفي الامشاطي تكلم وامع السلطان في القضاء عوضا عن الامشاطي فلم يوافق على أحد يوليه من أهل مصر ثم أرسل خلف شخص من الشام يقال له شرف الدين موسى بن عيد ليلي القضاء واستمر منصب قضاء الحنفية شاغرا الى أن حضر ابن عيد وفي شوال جاءت الاخبار من الرها بوقوع كائنة عظيمة طامة قتل فيها الامير يشبك الدوادار وانكسر العسكر قاطبة وقتل الاكثر منهم وكان سبب ذلك أن الامير يشبك لما دخل الى حلب كان صحبته نائب الشام ونائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماه والعسكر الشامي والحلبي والمصري وغير ذلك من العساكر فلما استقر بحلب بلغه أن سيف أمير آل فضل الذي خرج بسببه قد فر وتوجه الى نحو الرها فقوى عزم الامير يشبك بأن يعدى من الفرات ويتبع سيفا في أي مكان كان فيه فكان كما قيل في المعنى

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدري

فعدى من الفرات هو والعساكر فاجتمع معه فوق العشرة آلاف انسان فلما عدى توجه الى نحو الرها وكان المتولي أمرها يومئذ شخص يقال له بابندر أحد نواب يعقوب بك بن حسن الطويل فحاصر الامير يشبك مدينة الرها أشد المحاصرة فلما أشرف على أخذها أرسل بابندر يتلطف بالامير يشبك ويقول له نحن مماليك سيف علي وأرسل يقول له ارحل من الرها وأنا أجمع لك من المدينة مالا له صورة فأبى الامير يشبك من ذلك لما رأى من كثرة العساكر التي كانت معه فطمعت آماله في أخذ مدينة الرها ويزحف بعد ذلك على ملك العراق كما حسنوا له ذلك فزعق النفير وركب العسكر قاطبة فبرز بابندر ومن معه من العسكر وتحارب معهم فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر عسكر مصر قاطبة وبقية العساكر قاطبة فأسر الامير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه فأتوا به الى بابندر وأسروا نائب الشام قانصوه اليحياوي ونائب حلب ازدمر ونائب حماه جانم الجداوي وقتل برديك قريب السلطان نائب طرابلس وأسر برسباي قرا حاجب الحجاب وتاني بك قرا أحد المقدمين وقتل من الامراء العشراوات ومن أمراء الشام وحلب مالا يحصى وقتل من العساكر التي

كانت مع الامير يشبك مالا يحصى عددهم وكانت حوافر الخيل لا تطأ الا على جثث القتلى من العسكر فكان من قتل من أعيان العسكر بردبك قريب السلطان نائب طرابلس وهو بردبك المعمار السيفي جرباش كرت وجانى باى أخو سيباى أحد الامراء العشراوات وجانى باى أخو تانى بك قرا وسوازار الاشقر الاشرفي وكان علامة فى الرمى بالنشاب وطقطمش الخشقدمى أحد الامراء بحلب وسليمان بك من أقارب سوار وقانصوه البواب الاينالى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وقرقماس المحمدى الظاهرى أحد العشراوات ورؤس النوب وأما الذى قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فانضبط لكثرتهم وقتل من العساكر الشامية والحلبية وغير ذلك مالا يحصى عددهم وكانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها لعسكر مصر وأما ما كان من أمر يشبك الدوادار فانه أقام فى الاسر نحو ثلاثة أيام ثم فى اليوم الرابع بعث اليه بعبد أسود من عبيد التركمان قطع رأسه تحت الليل وأحضرها بين يدى بايندر وقيل انه حز رأسه بالسيف عدة مرار وهى لا تنقطع فقطعها بسكين صغير وعذبه غاية العذاب فلما طلع النهار وجدوا جثته بغير رأس وهى مرمية على قارعة الطريق وعورته مكشوفة حتى ستره بعض الغلمان بحشيش من الارض فسبحان من يعز ويذل وبيده كل شىء وهو على كل شىء قدير وقيل فى المعنى

ما أعجب الدهر فى تقلبه * والدهر لا تنقضى عجائبه
فكم أرانا الدهر من أسد * بالت على رأسه ثعالبه

فلما قطعت رأس الامير يشبك بعث بها بايندر الى بلاد العجم عند يعقوب بن حسن الطويل فكان له يوم مشهود بمدينة ماردين وطافوا بها بلاد العجم وهى على رمح وألبسوا رأس الامير يشبك تخفيفته الكبيرة لما طافوا بها وطافوا بالنواب والامراء الذين أسروا وهم فى قيود وجنازير والمماليك الذين أسروا مشاة وأرسل بايندر الى يعقوب بن حسن بجميع ما نهبه من العسكر من مال وخيول وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك مما لا يحصى وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة وكانت قتلة الامير يشبك فى العشر الاخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة بالرها وكان الامير يشبك أميرا جليلا معظما فى سعة من المال ذا شهامة زائدة وحرمة وافرة وكلمة نافذة وكان أصله من مشتروات الظاهر جقمق وكان يعرف بيشبك بن مهدى ورقى فى دولة الاشرف قايتباى حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمع فيه عدة وظائف سنية منها الدوادارية الكبرى وامرية سلاح والوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وغير ذلك فعظم أمره جدا ووقع له أشياء غريبة لم تقع لغيره من أبناء جنسه فى عصره ومات وله من العمر نحو من ست وخمسين سنة وقد وخطه الشيب قليلا وكان صفته أبيض اللون مدور

الوجه أشهل العينين أشقر اللحية طويل القامة مليء الجسد وأنشأ أشياء كثيرة من العمائر بالديار المصرية ما بين ربوع وحوانيت ودور جليلة وصهاريج ومغسل وأسبلة وزوايا وأنشأ قبة بالمطرية وقبة برأس الحسينية وكان له في كل سنة عدة شقادف محملة على جمال ومعها الزاد والماء تلاقي الحجاج من العقبة بسبب المنقطعين من الحجاج وله غير ذلك أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وكانت له محاسن ومساو وفيه الخير والشر وقد ساقه أجله حتى خرج في هذه التجريدة بسبب سيف أمير آل فضل فكانت منيته بالرها وكان الامير يشبك باغيا على بايندر فانه قصد محاربته من غير سبب ولا موجب لذلك فكان كما قيل

من لاعب الثعبان في وكره * يوما فلا يأمن من لسعته

وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه الى بلاد الشرق من غير حاجة فقال

اذا شئت أن تلق دليلا الى الهدى * لتقفوا آثار الهداية من كافى

فخل بلاد الشرق عنك فانها * بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

ولكن قد ري في الازل بان قبض الامير يشبك يكون بالرها فسبب له الاسباب لذلك وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة ومن النكت اللطيفة ما روى في بعض الاخبار أن ملك الموت زار سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ويطيل النظر فقال الرجل لسليمان عليه السلام ومن هذا الرجل الذي يطيل الي النظر فقال سليمان عليه السلام هذا ملك الموت عليه السلام فاضطرب الرجل وقال يا نبي الله أقسمت عليك بالله تعالى الا ما أمرت الريح تحملني من هنا وتلقيني خلف جبل قاف فامر سليمان عليه السلام الريح بان تحمل ذلك الرجل وتلقيه خلف جبل قاف فلما حملته الريح الى هناك قال سليمان بعد ذلك لملك الموت لماذا كنت تطيل النظر في الرجل الذي كان جالسا عندي فقال ملك الموت عليه السلام كان نظري الى هذا الرجل تعجبا منه لاني أمرت بقبض روحه خلف جبل قاف وقد وجدته بحضرتك فصرت متعجبا من ذلك فلما مضى الرجل خلف جبل قاف قبض ملك الموت عليه السلام روحه هناك كما أمر وهذا مصداق للحديث الشريف فكان قبض الامير يشبك بالرها فلما ورد هذا الخبر الى السلطان اضطربت أحواله وماجت القاهرة عن آخرها وكان يوما مهولا ثم أشيع بين الناس أن الامير يشبك في الحياة وهو في الاسر عند بايندر وقيل انه فر بنفسه وهو مختف عند بعض التركمان واختلفت الاقوال في أمره وصارت دكة النقباء على بابه بعد قتله مدة طويلة ونظامه باق على حاله ووقع الشك في حقيقة قتله ثم أشيع بين الناس ان السلطان قصد السفر الى حلب بنفسه ويقيم بها خوفا من عسكر يعقوب بن حسن أن يطرق بلاد حلب والشام فان النواب قاطبة كانوا في الاسر عند يعقوب بن حسن ثم ان السلطان عين الاتابكي أزبك

الى

الى حلب وعين معه وردبش أحد المقدمين وخلع عليه وأقره فى نيابة حلب عوضا عن أزدمر وعين من الامراء العشراوات والطبلخانات عدة وافرة منهم جانى بك حبيب أمير اخور ثانى وآخرين من الامراء ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة واستحثهم على الخروج بسرعة قبل أن تهجم عساكر الشرق على حلب ولولا فعله ذلك لخرج من يده غالب جهات حلب ثم بعد أيام خرج الاتابكى ازبك من القاهرة هو والعسكر فى تجمل زائد وكان لهم يوم مشهود وفوض السلطان أمر البلاد الشامية والحلبية للاتابكى أزبك وجعل له التكلم فى أمور المملكة من ولاية وعزل ولما أراد الرحيل من الريدانية نزل اليه السلطان وودعه وجلس عنده واشتور وافيما يكون فيه المصلحة بسبب هذه الكائنة ثم ان الاتابكى أزبك سافر وفيه عين السلطان تمراز التمشى قريبه لنيابة الشام فامتنع من ذلك وادعى الفقر وعدم البرق فوبخه السلطان بالكلام فخنق منه تمراز ونزل الى داره وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس وصرف نقباءه عن بابه وكثر القال والقيل فى ذلك فارسل السلطان يقول له توجه الى مكة وأقم بها بطالا واستمر فى هذه الحركة أياما وهو فى اضطراب والسلطان يستحثه فى سرعة الخروج الى مكة ثم ان الاتابكى أزبك مشى بينه وبين السلطان بالصلح فطلع الى القلعة وقابل السلطان فخلع عليه ونزل الى داره فى موكب حفل وقد زال ما بينه وبين السلطان من الوحشة بسبب نيابة الشام ثم تحول أمر نيابة الشام الى قجماس الاسحاقى أمير اخور كبير فخلع عليه وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم أسره وفيه عقب ذلك وقف الأمير خاير بك بن حديد الى السلطان وسأله فى اقطاع الأمير يشبك الدوادار فنترفيه السلطان فنزل الى داره مغضبا وأغلق بابه وصرف غلمانه وامتنع من الاجتماع بالناس وتكلم بكلمات كثيرة فى حق السلطان وكان الأمير خاير بك صعب المراس شديد الخلق قوى الرأس فلما بلغ السلطان ذلك بعث باحضاره فاختفى خاير بك وخرج من داره وهو لابس جبة صوف أبيض وتعمم بمئزر صوف أبيض وأخذ بيده سبحة وادعى انه قد ترك الدنيا وبقى فقيرا مجردا وتوجه الى جامع قيدان الذى بقناطر الاوز وكان أنشأ به جوسقا مطلا على البركة التى هنالك فأقام به أياما فلما بلغ الأمير تمراز ذلك توجه اليه وتلطف به فى عوده الى داره فلم يوافق على ذلك واستمر مصمما على عدم عوده وبقى هنالك أياما ثم ان السلطان أرسل اليه قانصوه خمسمائة وشكه فى الحديد وطلع به الى القلعة وهو ماش فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وقصد أن يقتله ثم آل أمره من بعد ذلك الى أن أخرجه منفيا الى دمشق صحبة الاتابكى أزبك لما خرج الى التجريدة المقدم ذكرها فسجن هنالك وجرى عليه شدائد ومحن الى الغاية واستمر منفيا الى أن مات بمكة المشرفة كما سيأتى الكلام على ذلك وكان خاير بك من أخصاء السلطان وكان من أكبر أصحابه من

حين كان السلطان ضاحكيا فانقلب عليه كأنه لم يعرفه قط فكان كما يقال ثلاث لا يؤمن اليهم المال وان كثر والملوك وان قربوا والمرأة وان طالت صحبتها وفيه طلع الأمير لاجين الظاهرى الى السلطان واستعفى من امريته مجلس وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة فأعفاه السلطان من ذلك ورتب له ما يكفيه واستمر طرخانا الى ان مات وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الاخميمى الحنفى أحد أئمة السلطان وقرره فى مشيخة البرقوقية عوضا عن قاضى القضاة الامشاطى وفيه خرج المحمل فى تجمل زائد من القاهرة وكان أمير الركب بالمحمل تغرى بردى ططر أحد الامراء المقدمين وأمير الركب الاول يشبك ابن حيدر والى القاهرة وفى ذى القعدة وصلت جثة الامير يشبك الدوادار من الرها وهى فى سحلية وهى جثة بغير رأس فوقع الشك فيها هل هى جثته أم لا فوجدوا بها أمارات تدل على أنها جثته فكفنوها ودفنوها فى تربته التى أنشاها عند زاوية كهنبوش وتحقق موته وانقطعت الاشاعات بانه فى قيد الحياة وحضر صحبة جثته قانصوه دواداره وأخبر بحقيقة موته وكيفية أمر الواقعة ومن أسر من الامراء وأخبر بقتل قانم قريب السلطان الذى كان أتابك العساكر بحلب قتل على ماردين من جملة من قتل من العسكر وكان شجاعا بطلا لا بأس به فلما ثبت موت يشبك زال أمره كأنه لم يكن وفيه وصل شرف الدين بن عيد الدمشقى الذى تقدم ذكره فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأقره فى قضاء الحنفية عوضا عن الامشاطى وفى ذى الحجة خلع السلطان على تغرى بردى بن بلباى الظاهرى خازندار يشبك الدوادار وقرره فى الاستادارية عوضا عن مجد الدين بن البقرى ورسم السلطان على مجد الدين ليقيم الحساب وكان فى ذلك دماره وفيه توفى دولات باى بطيخ الابوبكرى المؤيدى أحد العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بقتل محمد بن حسن بن الصوا الحلبى نائب قلعة حلب وكان من أخصاء السلطان ثار عليه أهل حلب بسبب مظالم أحدثها بحلب فقتله العامة وقتل فرج بن أغلبك حاجب الحجاب بحلب وكان رئيسا حشما من أعيان أهل حلب وكان لا بأس به وفيه مات مشنوقا شيخ عربان الشرقية قاسم بن بيبرس بن بقر وكان من خيار بنى بقر وتوفى أبو بكر جركس مقدم البريدية وأحد الحجاب بمصر وكان رئيسا حشما لا بأس به

❁ ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة فيها فى رابع المحرم خلع السلطان على أقبردى ابن على باى قريبه أحد المقدمين وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن يشبك بن مهدى بحكم قتله فى الرها فنزل من القلعة فى موكب حافل وسكن فى دار الامير يشبك ورسم له السلطان بجميع ما كان فى بيت الامير يشبك فجاءت اليه السعادة من قماش وأوان وخيول وبرك وهو لا يشعر بها فسبحان المعطى الكريم وهو على كل شئ قدير وقد قيل

مصائب

* مصائب قوم عند قوم فوائد * وفيه خلع السلطان على الماس وقرره فى نيابة صفد
فخرج عن قريب وخرج صحبته تانى بك الجمالى أحد المقدمين الى حلب عونة للاتابكى أزبك
فطلب وخرج وكان له يوم مشهود وفيه ثارت ريح عاصفة وثار فيها غبار أصفر يأخذ
بالانفاس واستمر من قبل الزوال الى نصف الليل وفيه فى سابع عشره كانت زلزلة عظيمة
بمصر والقاهرة ماجت الارض وتحركت المواذن ومالت وسمع للارض دوى كدوى الرحا
وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر واستمرت نحو ثلاث درج وهى فى اضطراب حتى
دهشت منها الناس وخرجت النساء من الحمامات والبيوت وهن حاسرات عن وجوههن
وحصل للناس غاية الرعب ومات من هذه الزلزلة قاضى القضاة شرف الدين بن عيد الحنفى
وكان جالسا بايوان المدرسة الصالحية فقام حين وقعت الزلزلة فسقط عليه ساقط من أعلى
الايوان فمات لوقته وكان عالما فاضلا دينا خيرا بعث السلطان خلفه من دمشق الى مصر
وولاه قضاء الحنفية فأقام بها ثمانية وخمسين يوما ومات بهذا السبب وكان أصله من
عجلان وهو موسى بن أحمد بن عيد الدمشقى الحنفى وكان ولى قضاء دمشق ثم طلب وولى
قضاء مصر وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة فلما أخرجت جنازته نزل السلطان وصلى
عليه ودفن بالصحراء وتوفى من الزلزلة عقيب ذلك الزينى أبو بكر بن القاضى عبد الباسط
ناظر الجيش كان وكان رئيسا حشما نادرة فى أبناء الزمان ذا شهامة وعظمة وكان من
أخصاء السلطان وكان عليلا فمات مرجوفا من الزلزلة حين ماج به البيت وكان
فى سعة من المال والقماش والبرك وولى من الوظائف نظر الجوالى وغير ذلك
وفيه خلع السلطان على قانصوه بن طراباى المعروف بخمسمائة الاشرفى وقرره
فى امرية الآخورية الكبرى عوضا عن قجماس الاسحاقى بحكم انتقاله الى نيابة
الشام وكان قانصوه يومئذ شابا بدا عذاره وولى الدوادارية وهو لابس الكوفية القندس
فلما بقى أمير اخور كبير بعث له السلطان بشاش فلف له تخفيفة كبيرة وكان حين لبس
الدوادارية الثانية قبل ان يلبس اقبردى التقدمة والامير اخورية الكبرى بعد ما لبس
اقبردى الدوادارية والمقصود انه صار مقدم ألف قبله وأخذ الدوادارية بالمنزلة فى محله
وقانصوه نط من الدوادارية الثانية الى الامير اخورية الكبرى فكان بينه وبينها عدة
وظائف وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازدمر تمساح
ويشبك الجمالى الزردكاش الكبير وازدمر المسرطن الظاهرى وفيه قرر فى قضاء الحنفية
بدمشق مجد الدين بن القصيف عوضا عن العبدوى وعزل العبدوى وكان ابن فرفور قرر
قبل ذلك فى نظر الجيش بدمشق فجمع بين نظارة الجيش وبين قضاء الشافعية وعزل عن
نظارة الجيش الشريف موفق الدين الحموى وأودع فى السجن بقلعة دمشق وخلع على

قطب الدين الخضيرى وقرره فى كتابة السر بدمشق فانفرد بكتابة السر دون قضاء الشافعية وكان قبل ذلك متوليا قضاء الشافعية بدمشق وفيه قدم قاصد ملك الحبشة فأوكب له السلطان موكبا بالحوش وكان موكبا حافلا وأحضر صحبته هدية حافلة للسلطان فأكرم ذلك القاصد جدا وسبب حضوره انه جاء يسأل البترك أن يولى شخصا يكون عنده ببلادهم وفى صفر خلع السلطان على قانى بك جشمة وقرره فى الرأس نوبة الثانية عوضا عن ازدمر تمساح بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر فى الجوبية الثانية تانى بك الاينالى عوضا عن قانى بك جشمة بحكم انتقاله الى رأس نوبة ثانى وفيه نزل السلطان الى جهة قليوب وكان يوم الجمعة فلما عاد صلى الجمعة فى قبة الامير يشبك التى بالمطرية وتوجه قاضى القضاة الشافعى وخطب به هناك وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بوفاة اينال الاسحاقى الظاهرى أحد العشراوات وشيخ الحرم الشريف النبوى وكان انسانا حسنا خيرا دينا وله اشتغال بالعلم وكان لابأس به وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين العزى بن المغربى وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن ابن عيد ولم يكن هذا العزى أهلا لولاية قضاء الحنفية ودلس على السلطان أمره وكان الساعى له فى هذه الوظيفة تغرى بردى الاستادار ويعقوب شاه المهمندار وقد عز ذلك على جماعة من الحنفية وكان فيهم يومئذ من هو أولى بذلك من العزى وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الاتابكى أزبك لما وصل الى حلب وجد أمر الفتنة التى وقعت بين عسكر مصر وبين بايندر قد سكن أمرها وان يعقوب بن حسن الطويل شق عليه مافعله بايندر من سرعة قتاله للامير يشبك الدوادار ولامه على ذلك ثم ان الاتابكى ازبك أرسل جانى بك حبيب قاصدا الى يعقوب بن حسن فتلطف به فى الكلام وكان الامير جانى بك حبيب سيوسا دريا حلو اللسان فأكرمه يعقوب وأجله ثم أطلق من كان عنده من الاسرى من النواب والامراء وغير ذلك فسلمهم للامير جانى بك حبيب فأتى بهم الى حلب صحبته فلما بلغ السلطان هذا الخبر سر به جدا وفيه خلع السلطان على البدرى حسن بن الطولونى وأعاده الى معلمة المعلمين وكانت قد أخرجت عنه مدة طويلة وفيه نزل السلطان وتوجه الى الخانكاه فاعجبه مكان عند قناطر المرج والزيات فأمر ببناء زاوية هناك وحوضا وسبيلا وأخذ فى أسباب ذلك وجاء من أحسن البناء وفيه توفى القاضى سعد الدين الكماخى أحد نواب الحنفية وهو ابراهيم بن محمد بن محمد بن قطلوبك شيخ المدرسة الظاهرية العتيقة وكان عالما فاضلا رئيسا حشما دربا محمودا فى قضائه وكان لابأس به وفى ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد المغازى ملك الروم وصاحب القسطنطينية العظمى وهو محمد بن مراد بن محمد بن عثمان وكان ملكا جليلا عظيما ساد على بنى عثمان كلهم وانتشر ذكره بالعدل فى سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم

والعدل

والعدل والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب ملك ممالكة الروم فى حياة أبيه ثم استقل به من بعده ومكث به مدة طويلة تزيد عن احدى وثلاثين سنة ومولده بعد الاربعين والثمانمائة ولما مات تولى بعده ولده أبو يزيد بلدرم الموجود الى تاريخه فلما سمع ذلك السلطان أظهر الحزن والاسف عليه وفيه خلع السلطان على العلائى على بن الصابونى وقرره فى نظر الخاص عوضا عن بدر الدين بن الكويز بحكم وفاته وقد جمع بين نظر الخاص ووكالة بيت المال وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر الشهابى أحمد بن الجمالى ناظر الخاص فى امرية الحاج بالركب الاول وقرر شاهين الجمالى فى نيابة جدة ويخرج صحبة الشهابى أحمد ناظر الجيش ويكون هو المتكلم على الحجاج بالركب الاول وفى ربيع الآخر نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها وصلى صلاة الجمعة هناك وخطب به محمد بن دمرداش امام القبة وعمل هناك بعد العصر ميعادا بحضرة السلطان فأنعم عليه بمائة دينار وفيه نزل السلطان وعدى الى جهة الروضة وأمر بتجديد الجامع الذى هناك تجاه المنشية وكان تلاشى أمره فأمر بهدمه وتجديده وكان الشاد على عمارته البدرى حسن ابن الطولونى ثم ان السلطان توجه الى المقياس ونزل عن فرسه ودخل الى قاعدة المقياس وأمر بتجديد بعض أماكنه واصلاح أساسه وغير ذلك ثم ان السلطان صار يتردد الى الروضة ويكشف عن بناء هذا الجامع حتى انتهى العمل منه فى سنة ست وثمانين وثمانمائة وقد جاء فى غاية الحسن والتزخرف وصار يعرف بجامع السلطان وكان أصل من أنشأ هذا الجامع الفخر ناظر الجيش وهو صاحب قنطرة الفخر الذى أنشأها فى دولة الناصر محمد بن قلاون ثم جدد بناءه الصاحب شمس الدين محمد بن المقسى فعرف به ثم جدد بناءه الاشرف قايتباى فعرف به وجاء من أحسن البناء هناك وفى جمادى الاولى توفى علان الاشقر بن ططخ الاشرفى أحد العشراوات ورؤس النوب وهو الذى أنشأ الحوض والسبيل بطريق بركة الحاج وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على اينال السلحدار نائب الاسكندرية وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن ردبك المعمار بحكم قتله فى واقعة باينذر وخلع على جكم قرا أمير اخور الجمالى الظاهرى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن اينال السلحدار بحكم انتقاله الى نيابة طرابلس وفيه توفى الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس كان وجاوز التسعين سنة من العمر وكان دينا خيرا رئيسا حشما وكان من الشجعان قبل أن يهرم وتولى عدة وظائف سنية منها الزردكاشية الكبرى ثم شادية الشراب خاناه ثم بقى مقدم ألف ثم بقى أمير مجلس واستعفى من ذلك ومات بطالا وكان لا بأس به وفيه خلع

السلطان على قانم الفقيه الظاهرى الاشقر بمشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن اينال باى الاسحاقى بحكم وفاته وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكى أزبك بأن الجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينه وبين أخيه أبى يزيد وان الجام وصل الى أطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن فى الدخول الى حلب فعاد من السلطان للاتابكى أزبك بأن يحضر الى القاهرة فى قليل من عسكره ثم ان السلطان أخذ فى أسباب تجهيز الملاقاة اليه الى أن يصل الى مصر وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى خامس عشر مسرى فلما أوفى رسم للامير أزبك السيفى بأن يتوجه ويفتح السد وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فوقع بالمجلس كلام يتعلق بالشهابى أحمد بن العينى بسبب تركة شرف الدين ابن كاتب غريب وكان بعض نواب المالكية سمع دعوى ابن العينى وحكم له ثم ان أمر هذى الدعوه وقف مدة طويلة فلما طلع القضاة فى الشهر المذكور أخذ السلطان يسأل القاضى المالكى والشافعى عن السبب فى تأخر ذلك بعد أن ثبت حق ابن العينى وحكم له بذلك فطال الكلام فى المجلس بين القضاة فحنق منهم السلطان فقام كاتب السر يتكلم للقضاة من نوع المساعدة لهم فقال له السلطان أنت معزول والقاضى الشافعى معزول والقاضى المالكى معزول فنزلوا الى دورهم وهم فى غاية النكد وكان آخر عزل ولى الدين الاسيوطى ولم يل بعد ذلك القضاء وكذلك برهان الدين اللقانى فكانت مدة ولى الدين الاسيوطى فى قضاء الشافعية نحوا من ست عشرة سنة وكان مشكور السيرة فى قضائه ثم أخذ السلطان فى أسباب من يلى قضاء الشافعية فترشح أمر الشيخ زين الدين زكريا فطلب وخلع عليه وتولى القضاء وقد تمنع من ذلك الى الغاية ثم شرط على السلطان شروطا كثيرة فأجيب الى بعضها ونزل من القلعة فى موكب حافل واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة وقد أخذها عن ولى الدين الاسيوطى بحكم صرفه عنها وكان الشيخ زكريا يومئذ رأس الشافعية ثم ان السلطان طلب محيى الدين بن تقى الدين المالكى وخلع عليه وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن برهان الدين اللقانى بحكم صرفه عنها واستمر فى هذه الولاية الى أن مات وأما القاضى كاتب السر ابن مزهر فانه أقام فى داره نحو ثمانية عشر يوما وهو منفصل عن كتابة السر ثم ان بعض الامراء مشى بينه وبين السلطان فى عوده بعد ما كان ترشح أمر قطب الدين الخضيرى بأن يلى كتابة السر ثم ان ابن مزهر أورد للسلطان مالا له صورة حتى رضى عليه فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأعاد وظيفته ونزل من القلعة فى موكب حافل وتخلق جماعته بالزعفران وزينت له حارته وهنأه الاديب أبو الخير بن النحاس بقوله فيه

مقام ابن مزهر فوق السها * وقد زاد ربى اجلاله

وظيفته الدهر تسمو به * ولم تك تصلح الا له

وقال آخر

يا كاتب الاسرار يامن فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا

هذى وظيفتك التى فارقتها * عادت اليك فرحبا بك مرحبا

وفيه حضر برقوق الساقى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان ممن أسر عند بابندر وحضر صحبته اياس مملوك الاتابكى أزبك وأخبر بأن النواب والامراء الذين كانوا فى الاسر عند بابندر قد أطلقوا أجمعين ودخلوا الى حلب صحبة جانى بك حبيب وقد خلع عليهم يعقوب بن حسن الطويل ثم أخبر اياس المذكور أن الجمجمة بن عثمان قد خرج من غزة وهو قاصد للديار المصرية فلما أخبر السلطان بذلك أخذ فى أسباب ملاقاة الجام وفيه توفيت خوند بنت الملك المنصور وهى زوجة تمراز التمشى رأس نوبة النوب وكانت شابة جميلة ماتت نفساء بعد أن وضعت وفيه قرر عماد الدين اسماعيل الناصرى الحنفى الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن ابن القصيف بحكم انفصاله عنها وفى شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمام الى ملاقاة الجام بن عثمان ومد له أسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقته الامراء المقدمون والعسكر ورؤس النوب والحجاب من المرج والزيات فسار فى موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فاقام له السلطان الموكب بالحوش فلما مثل بين يدى السلطان وهو جالس على الدكة فتحرك ولم يقم له فعد ذلك ناقصة من الاشرف قايتباى ثم خلع على الجام كاملية بسمور حافلة وأركبه فرسا خاصا من مراكبه بسرج ذهب وكنبوش زركش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء ورؤس النوب وكان له يوم مشهود وقد قيل فى المعنى

يا أيها الملك الهمام ومن له * أسد الفلا تأتى اليه ملجمه

قد فاق قدرك فى الملوك تعاظما * مذ صح بين يديك نطق الجمجمه

وأنزلوه بدار ابن جلود كاتب المماليك التى بفم الخور وقد حضر صحبته الجمجمة والدته وأولاده وعياله وقد فر من أخيه أبى يزيد خوفا على نفسه من القتل فالتجأ الى سلطان مصر وفيه قبض يشبك بن حيدر والى القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحابية وكانت من أعيان مغنيات مصر ولها انشاد لطيف وكان أصلها من مغنيات العرب ثم عظم أمرها جدا وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر وكانت جميلة حسنة الغناء فافتتن بها الكثير من الناس وقد قال فيها بعض الشعراء

رحابية تخفى الشموس جمالها * لها حسن انشاد يزين مقالها

وقد خايلت بالبدر ليلة تمه * فمازال من عينى وقلبى خيالها

فلما قبض عليها يشبك كانت فى بعض الافراح فقبض عليها من هناك فلما مثلت بين يديه قال لها أنت التى أفسدتى عقول الناس ثم أمر بضربها بين يديه نحوا من خمسين عصا وقرر عليها مبلغا له صورة وكتب عليها قسامة بانها لا تغنى ولا تحضر فى مقام فلما خلصت من ذلك أقامت مريضة مدة من الرجفة التى وقعت لها ثم ماتت عقيب ذلك وكان لها من العمر نحو الثلاثين سنة فتأسف عليها الكثير من الناس وفيه كان ختان أولاد القاضى كاتب السر ابن مزهر ببركة الرطلى وكان له مهم حافل جدا وحضر عنده جماعة من الامراء المقدمين والعشراوات وحضر عنده ججمة بن عثمان وبات عنده وكان النيل فى أواخره فأمر كاتب السر سكان بركة الرطلى بان يوقدوا فى البيوت وقدة حافلة وشرع يرسل فى كل بيت فى البركة عشرة أرطال زيت وطبلية فيها أكل فاخر من طعام ذلك المهم فاحتفلوا فى الوقدة وعلقوا فى الطيقان الاحمال والتنانير حتى كانت ليلة مشهودة يكاد الانسان أن يدخل الخيط فى خرم الابرة من عظم ضوء النور وأحرق حراقة عظيمة لم يسمع بمثلها حتى جاءت اليها الخلائق من كل مكان بسبب الفرجة وبلغ كراء كل مركب أربعة أشرفية واستمرت هذه الوقدة والحراقة ثلاثة أيام متوالية حتى عد ذلك من النوادر التى لم يقع مثلها واجتمع بالبركة نحو من أربعمائة مركب موسوقة بالخلائق وصار ابن رحاب عمالا ومغانى البلد من نساء ورجال فى كل ليلة وأنفق فى تلك الليلة من الاموال مالا يحصى حتى قيل ابتاع من عصفور الجبان على المتفرجين بنحو من مائة وعشرين دينارا جبن مقلى وكذلك ابن الزيبق الحلوانى ابتاع منه حلوى بمثل ذلك وقد خرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحد وقد رسم السلطان للقاضى كاتب السر أن لا يبقى ممكنا فى هذا المهم لاجل ججمة ابن عثمان لكونه كان حاضرا فى هذا المهم وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

طابت على بركة الرطلى ليلتنا * حتى تباهت على الخلجان والبرك
حفت بضوء مصابيح زهت وغدت * تضئ فى حندس الديجور والحلك
فكان لما تناهى حسن وقدتها * تخفى شموس الضحى فى دارة الفلك

وقال شمس الدين القادرى

تاه الانام بجنح الليل فاتخذوا * لهم دليلا لدى الظلما من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجا رغبت * عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وفيه عزم السلطان على الججمة بن عثمان وأضافه بقبة الامير يشبك التى بالمطرية وحضر ذلك الامراء المقدمون وكانت ضيافة حافلة جدا وخلع السلطان على الجججمة كاملية بسمور وفيه قرر الجمالى يوسف بن جاهين الكركى سبط ابن حجر فى قراءة الحديث الشريف بالقلعة عوضا عن برهان الدين بن الكركى الامام وكان السلطان تغير خاطره على ابن الكركى

واختفى مدة طويلة وفيه أحضر شخص من العرب بين يدى السلطان سنامن نواجذ بنى آدم من نسل العمالقة فكان وزنه ستة أرطال ونصفا فتعجب السلطان من ذلك وفى رمضان ثارت رياح من جهة الغرب وكانت عاصفة جدا وأظلم بسببها الجو وأرعد وأبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا وكان المطر فى غير أوانه فى أواخر بابه ثم جاءت الاخبار من دمياط بان هذا الريح كانت قوته بدمياط وقد قلع عدة أشجار وهدم بعض أماكن وأغرق عدة مراكب من مراكب الفرنج وكان ريحا مهولا جدا وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان فى ليلة ثالث عشر الشهر المذكور سقطت صاعقة عظيمة فى أواخر الليل على المسجد الشريف النبوى فاحترقت منها المنارة التى تجاه الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والاعمدة والابواب وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبعض حيطان المقصورة وقتل المؤذن الذى كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة وكان مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لاجل التسبيح رأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعملت فيه النار فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة فاقام ساعة ومات وقد عاين الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التى حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين القادرى يعتذر عن ذلك

بطيبة سيآت الركب بدلها * رب العلا حسنات عند ما زاروا
وعند ما قبلت ضاهت لدى حرم الـ * ـمختار من أكلت قربانه النار

واعتذر آخر

لم يحترق حرم النبى لحادث * يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الجناب فطهرته النار

واعتذر آخر

قالوا لقد غاب الصواب لحادث * تبنى عليه رضاهم الكفار
بل ضم شمل السحت وهو محرم * عند الرسول فخرقته النار

ثم ان السلطان شرع فى تجديد المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن بان يتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة

من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المحرم وكانت قبل ذلك من الخشب وتغيير المنبر والموادن التى كانت بالحرم ثم توجه ابن الزمن الى هناك وشرع فى البناء حتى انتهى منه العمل فى أواخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة فجاء غاية فى الحسن من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل ان السلطان صرف على بنائه نحوا من مائة ألف دينار وجدد معالمه وتناهى فى زخرفته الى الغاية ووقع مثل هذه الحادثة فى حرق المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام سنة احدى وخمسين وستمائة فى أواخر دولة ايبك التركمانى وفيه وصل قاصد من عند يعقوب بن حسن الطويل وعلى يديه مكاتبة من عند يعقوب وهو يعتذر فيها عما وقع من بايندر وأن ذلك لم يكن بعلمه فعتب السلطان على القاصد بسبب ما وقع من بايندر وسرعة قتله للامير يشبك ثم أضاف القاصد وخلع عليه وأذن له بالسفر وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك الدوادار التى فى رأس دور الحسينية فكشف عليها ورسم للامير تغرى بردى الاستادار بأن يكمل عمارتها فان الامير يشبك مات ولم يتم عمارتها فلما رجع السلطان شق من القاهرة فقام اليه الناس قاطبة وضجوا له بسبب الفلوس الجدد وغلو البضائع فلما طلع الى القلعة رسم بعقد مجلس بالمدرسة الصالحية فاجتمع القضاة الاربعة وكاتب السر وناظر الخاص العلائى ابن الصابونى والمحتسب ثم أخذوا يتكلمون فى أمر الفلوس وكان ناظر الخاص ضرب فلوسا جددا عليها اسم السلطان وقصد أن يخرجها باغلى من الفلوس العتق فلما تكلموا فى أمر الفلوس العتق أخذ ناظر الخاص يعارض فى ذلك لاجل غرضه فلما سمع العوام بذلك ثاروا عليه فى وسط المدرسة الصالحية ورجموه ولولا كاتب السر لقتلوه فلما طال المجلس فى ذلك اتفق الحال على أن تكون الفلوس كلها العتق والجدد بالميزان بستة وثلاثين الرطل فنادوا فى القاهرة بذلك فسكن الامر قليلا وفى شوال كان موكب العيد حافلا ورسم السلطان للجام بن عثمان بأن يلبس الشاش والقماش ويطلع ويصلى مع السلطان صلاة العيد فطلع وصلى وحضر الموكب وخلع عليه السلطان متمراوفوقانى بطرز عريض ونزل مع الامراء المقدمين وهو بالشاش والقماش وفيه خلع السلطان على بيبرس الرجبى قريبه وقرره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن الماس بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه خلع السلطان على قريبه قرازا التمشى وقرره فى امرية سلاح وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل الامير يشبك الدوادار وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل يشبك بن حيدر والى القاهرة وأمير الركب الاول الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص وسافر بصحبته الجام بن عثمان هو وأمه وعياله وقد هيأ له السلطان بركا عظيما

صرف

صرف عليه جملة مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بوصول الامير أزبك الى غزة وصحبته النواب والامراء الذين كانوا أسروا عند بايندر فأرسل السلطان هجانا للاتابكى أزبك بأن يقبض على قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام وأسر عند بايندر ويرسله الى القدس بطالا وأن بقية الامراء والنواب يحضروا الى القاهرة وكان قد بلغ السلطان بان قانصوه اليحياوى كان سببا لكسرة العسكر وقتل يشبك فعمل له ذنب كبير بسبب ذلك فكان كما قيل

له ألف ذنب لا تعد بواحد * ولى فرد ذنب لا يعادله ألف

وفيه كان وصول الاتابكى أزبك الى القاهرة فدخل فى موكب حافل وصحبته أزدمر نائب حلب الذى كان أسر عند بايندر وكذلك برسباى قرا حاجب الحجاب وتانى بك قرا أحد المقدمين وكانوا أسروا أيضا فكان لدخولهم يوم مشهود وأحضر الاتابكى أزبك مثقال البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس بطالا فلما حضر من غير اذن السلطان شق عليه ذلك وأمر بنفيه الى مكة المشرفة فلحق بالحجاج ثم ان الاتابكى أزبك شفع فيه وباس رجل السلطان مرارا فرسم بعوده الى القاهرة بطالا فعاد من أثناء الطريق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قريبه أزدمر الذى كان نائب حلب وقرره فى امرية مجلس وكانت شاغرة من حين عنى منها الاچين الظاهرى فقرر بها أزدمر بغير اقطاع فكان له فى كل شهر ألف وخمسمائة دينار مرتبة على الذخيرة ثم خلع على برسباى قرا وقرره فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تمراز الشمسى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وخلع على تغرى بردى ططر وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن برسباى قرا بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وخلع على قانصوه الغورى وقرره فى كشف الوجه القبلى وفى ذى الحجة قرر سيباى نائب غزة فى حجوبية الحجاب بدمشق عوضا عن يشبك العلائى بحكم انتقاله الى نيابة حماه عوضا عن جانم الجداوى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق عوضا عن شادبك الجلبانى وقرر سودون الطويل الاينالى فى تقدمة ألف بدمشق وقرر فى نيابة غزة دولات باى الاجرود الاينالى عوضا عن سيباى الذى قرر فى حجوبية دمشق وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وكشف عن الجامع الذى أنشأه هنالك وفيه توفى طوخ الذى كان زردكاش ونفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى مصر بطالا فمات بها وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ وكان لا بأس به وفيه توفى شيخ عربان الشرقية محمد بن عجلان بن بقر وكان لا بأس به وجرت عليه شدائد كثيرة ومحن وكان قد شاخ وكبر سنه وتوفى أبرك الظاهرى أحد العشراوات وتوفى جاهين التاجى دوادار جانم نائب الشام وكان لا بأس به وتوفى فى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

۞ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم جاءت الاخبار بموت جكم قرا العلائى الظاهرى نائب ثغر الاسكندرية وكان لا بأس به وفيه قدم الحاج الى القاهرة وحضر الجحمة بن عثمان صحبة الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص أمير ركب الاول فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة وفيه أفرج السلطان عن أمير ركب محمل العراق والقاضى الذى كان معه وكانا بالبرج الذى بالقلعة من أيام حسن الطويل وقد تقدم سبب ذلك وفيه قلق جحمة من اقامته بمصر وطلب التوجه الى بلاده ليحارب أخاه فجمع السلطان الامراء واستشارهم فى ذلك ثم أحضر الجحمة وتكلم مع الامراء بكلام كثير فأغلظ عليه الاتابكى أزبك فى القول وهو لا ينتهى عن السفر الى بلاده فطال الكلام بينه وبين الامراء فى ذلك ثم انفض المجلس وقد أذن له السلطان بالسفر الى بلاده على كره منه وكان ذلك عين الخطا وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وسنذكر ذلك فى موضعه وفى صفر خلع السلطان على شخص من الاراذل يقال له محمد بن العظمة وكان صنعته فراء ثم سعى له عند السلطان وسائط السوء بأن يقرره فى نظر الاوقاف فخلع عليه بذلك فلما استقر فى الوظيفة حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل والتزم بمال يورده فى كل شهر له صورة فصار يرسل خلف الناس من رجال ونساء ويرسم عليهم بسبب الاوقاف ويحاسبهم على الماضى والمستقبل ويأخذ منهم جملة مال وصار بابه أنحس من باب الوالى والتف عليه جماعة من المناحيس وصاروا يفرعون له الاذى تفريعا وكان ذلك فى صحيفة قايتباى رحمه الله الذى قرب مثل هذا وسلطه على الناس فكان كما قيل

لبابك بوّاب عن الخير مانع * يضم لقبح الوجه سوء خطابه
فساويت فيه من غدا يمنع القرى * ومن يربط الكلب العقور ببابه

وكان يوّرد هذه الاموال للسلطان لا يدرى أمن حلال هى أو من حرام كما قيل فى العنب

قيل للصب فيه خمر حرام * فتمنى حرامه وحلاله

وفيه توفى جانى بك كوهية الاسماعيلى المؤيدى الذى تقدم ذكره وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على موفق الدين بن الحمصى الاسلمى وقرره فى نظارة الدولة وكان فى خدمة الصاحب خشقدم وهى أول شهرته وفيه توفى أقبردى تمساح بن اسباى الاشرفى أحد العشراوات ورؤس النوب وكان من مماليك الاشرف برسباى وسافر الحجاز أمير الركب الاول غير مامرة وكان لا بأس به ومات فجأة وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر وفى ربيع الاول عقد الامير أقبردى على خوند أخت زوجة السلطان وهى بنت العلائى بن خاص بك التى كانت زوجة الامير جانم ناظر الجوالى قريب السلطان وكان يوم دخوله بها مهما حافلا وفيه فى أول يوم من بشنس قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد خالف العادة فى قلع الصوف

بأيام ثم عمل المولد النبوى وضرب الكرة وفيه ضرب السلطان شخصا يقال له بلبان الكاشف فلما ضرب به لم يجيبه ضرب رؤس النوب فنزل من فوق الدكة وتولى ضربه من عظم حنقه عليه وفى ربيع الآخر وقع بين قاضى القضاة زين الدين زكريا وبين الامير دولات باى الحسنى شاد الشون فكانت حادثة عظيمة قام فيها القاضى الشافعى فما حصل له من ذلك طائل وهذه الواقعة مشهورة بسبب وقف وفيه خلع السلطان على الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر دولات باى الحسنى شاد الشون فى امرية الركب الاول وفيه كان ختان أولاد الملك المؤيد أحمد بن الاشرف اينال بثغر الاسكندرية وكان حافلا فأرسل يطلب على بن رحاب المغنى بسبب الزفة وفيه خلع السلطان على الشيخ صلاح الدين الحنفى الطرابلسى وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية التى بجوار الوراقين عوضا عن البرهان بن الكركى بحكم اختفائه لما تغير خاطر السلطان عليه وفيه خلع السلطان على واحد من مماليكه يقال له على باى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن حكم قرا بحكم وفاته وكان على باى هذا كاشف الشرقية يومئذ وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار بقتل سيف أمير آل فضل الذى خرج الامير يشبك الدوادار بسببه كما تقدم قتله ابن عمه غسان فى بعض بلاد العراق وفيه خرج السلطان وسافر على الهجن ولم يعلم الى أين توجه وكثر الكلام فى حقه فى ذلك بسبب سفره ثم ظهر بعد ذلك أنه سافر نحو جهات العباسة وغيرها ثم رجع بعد أيام وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير خاير بك بن حديد الذى كان أحد المقدمين بمصر وتغير خاطر السلطان عليه كما تقدم فنفاه الى الشام فأقام بها مدة ثم نقله الى مكة المشرفة فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف برسباى وكان دينا خيرا عارفا بأنواع الفروسية وله اشتغال بالعلم وحذق جيد وفصاحة بالعربية مات وله من العمر زيادة عن الستين سنة وكان من جملة الامراء المقدمين بمصر وهو صاحب المدرسة التى بزقاق حلب * وفيه كانت وفاة شاعر العصر ورأس الادباء على الاطلاق الشيخ شهاب الدين أحمد المنصورى وهو أحمد بن محمد بن خضر بن على السلمى المنصورى المعروف بالهائم القاهرى الحنبلى وكان له شعر جيد ونظم رقيق جدا وفيه يقول الناصرى محمد بن شادى بخا العنبرى

أخبرتنا ملوك علم القوافى * فى بديع المنظوم والمنثور
ما وجدنا خليفة فى المعانى * لمكافى البيان كالمنصورى

وكان الشهاب هذا جميل الهيئة نير الوجه متعففا عن الناس ولما بلغ خمسة وسبعين سنة من العمر قال

بلغت من دنياى سنابه * وقعت فى السبعين والخمس
فالحمد لله الكريم الذى * متعنى بالسن والضرس

ولما بلغ الثمانين سنة من العمر قال

نحو الثمانين من العمر قد * قطعتها مثل عقود الجمان
وما أحوجت يوما عيني الى * عصا ولا سمعى الى ترجمان

ثم عرض له فى أواخر عمره فالج فلزم الفراش مدة طويلة وانقطع فى داره عن الحركة فانشأ يقول

آه يا درهمى ويا دينارى * ضعت بين الطبيب والعطار
كنت أنسى فى وحدتى وشفائى * من سقامى وصحتى فى انكسار
كنت تقضى مما حلا من غداء * وعشاء امنيتى أوطارى
قد حمانى الطبيب عن شهواتى * فاحم يارب قلبه بالنار
طال شوقى الى الفواكه والبطيخ والجبن واللبا والخيار
ضاع لبى على مقاساة لب الـ * قرع والهندبا وبزر الشمار
كلما أجمع اختيار احطاما * فرقته منى يد الاضطرار
ليت شعرى وللزمان خطوب * وبلاء يختص بالاحرار
هل لميت قضى عليه طبيب * من كفيل أو آخذ بالثار

واستمر بهذا الفالج الى أن مات (١) وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان بالقلعة وقصدوا أقتل مقدم المماليك حتى فر منهم واختفى وأحرقوا باب الزردخانه وكانت فتنة كبيرة ثم سكن الحال قليلا وفيه جاءت الاخبار بان الجام لما خرج من مصر وتوجه الى بلاد ابن قرمان بعث اليه أخوه جماعة من عسكره فتحاربوا فانكسر وفر هاربا وندم على خروجه من مصر ولم يعلم أين يتوجه وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه هجم اللصوص على قيسارية جركس وقتلوا البواب وأخذوا من الدكاكين أشياء كثيرة ولم ينتطح فى ذلك شاتان وفيه أنعم السلطان على الناصرى محمد ابن الاتابكى أزبك بامرية عشرة وأرسل اليه شاشا فلف له تخفيفة وفيه توفيت خوند شقرا بنت الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق زوجة الاتابكى جرباش كرت وكانت من مشاهير الخوندات فنزل السلطان وصلى عليها وفيه جاءت الاخبار بان الجمجمة بن عثمان لما فر من عسكر أخيه نزل فى مركب فى البحر الملح فخرج عليه بعض الفرنج فى مراكب فأسروه وقد ذهب جميع ما كان معه من مال وقماش وغيره وكان خروجه من مصر عين الغلط وفيه هلك بترك

(١) فى الشذرات ان مولده سنة ٧٩٩ وهو الصواب

النصارى اليعاقبة وكان عند أهل ملته مشكورا وفى شعبان صنع الاتابكى أزبك فى الازبكية حراقة نفط ووقدة عظيمة وكانت ليلة مشهودة وفيه رسم السلطان بعمارة سور البيرة فجاء من أحسن البناء وأنفق عليه مالاله صورة وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلة على الحرم الشريف النبوى فقامت على السلطان اسئلة بسبب ذلك وأفتى بعض العلماء بان ذلك لا يجوز فان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميت كحرمته وهو حى صلى الله عليه وسلم وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه وفيه توفى الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرت وهو ابن خوندشقرا فكان بينه وبين وفاة أمه نحو من شهر وقد مات فجأة وقيل وقع بينه وبين سرور مشد الحوش السلطانى وكان طواشى والدته قديما فخنق منه الناصرى محمد فتناول فصا من الماس وابتلعه فمات من ليلته وكان رئيسا حشما لطيف الذات لا بأس به وفى رمضان توجه الصاحب خشقدم الى الوجه القبلى بسبب ضم المغل وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى وفرقت الصرر والخلع على القضاة والعلماء وكان ختما حافلا وفيه خسف جرم القمر ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه توفى قاضى المحلة أوحد الدين بن العجمى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه رسم السلطان بنفى دولات باى بن مصطفى نائب غزة فنفى الى مكة المشرفة وفى شوال ظهر قاسم شغيتة الذى كان وزيرا وكان له مدة وهو مختف فلما ظهر خلع عليه السلطان كاملية حافلة وقرره فى نظر الدولة عوضا عن موفق الدين بن الحمصى الاسلمى وفيه حضر الصاحب خشقدم من السفر فلما حضر رسم السلطان عليه لعمل الحساب وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من سريته أصل باى الجركسية فسماه محمدا وهو الذى تسلطن بعده وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل أزبك اليوسفى أحد المقدمين وبالركب الاول دولات باى الحسنى شاد الشون وفى ذى القعدة رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقدوا المماليك من مماليكه حتى يأخذوا اذنا من أغاته وفى هذه الايام تزايد شر جماعة من المماليك الجلبان وصاروا يأخذون أشياء الناس بلاش من دكاكين التجار وغيرهم وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل وفيه توفى محب الدين كاتب النجم واسمه عبد الرحمن بن حسن بن الامين الحلبى الحنفى توفى بالبيمارستان وكان فاضلا شاعرا ماهرا وله خط جيد وكان عشير الناس فكه المحاضرة وكان من أخصاء الامير يشبك بن مهدى الدوادار لكنه كان مسرفا على نفسه يميل الى محبة الاحداث وله فيهم أشعار كثيرة وكان جاهلا مخترقا ومن شعره فى المعنى

أميل للمرد طرا * من كل نوع وجنس

لو طال ابرى قليلا * لنكت نفسى بنفسى

ومما داعب به الشيخ الشهاب المنصوري رحمة الله عليه قوله

في ملاح للتشي * صيف القلب وشتى

كم ليال مع مليح * يا محب الدين بتا

خده بستان حسن * حبذا البستان بستا

أنت بالصبيان صب * لو رأيت البنت بنتا

وفيه توفي الفتح محمد المنصوري أحد المباشرين وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه قدم الامير تمراز التمشي من البحيرة وكان مسافرا بها فخلع عليه السلطان ونزل الى داره وفي ذي الحجة كانت الاضحية غالية ولا توجد الا قليلا فحصل للناس غاية القلق بسبب ذلك وفيه قبض السلطان على شخص يقال له الشريف الاكفافي زعموا أنه قد قتل قتيلا وهو زوجته فضرب بين يدى السلطان فلم يقر بشئ فرسم بسجنه فسجن مدة طويلة ثم آل أمره الى أن صالح الورثة بمال وأطلق بعد ما قاسى شدائد ومحنا وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وقد ثبت الشهر بالاربعاء في اليوم التاسع من ذى الحجة فحنق السلطان من القاضى زكريا وأشيع عزله وقد فات الناس صوم يوم عرفة والتكبير في صبيحته وانطلقت ألسنة العامة على القاضى زكريا وسبوه جهرا وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر أنه وقع بمكة المشرفة سيل عظيم حتى دخل الحرم وعام منه المنبر ووصل الى قريب عتبة البيت الشريف وقتل بالغرق بسببه نحو من سبعين انسانا وهدم عدة دور وكان أمرا مهولا وأخبر المبشر بوفاة بدر الدين الدميرى المعروف بكتكوت أحد نواب الشافعية مات بالازلم من طريق الحجاز وهو محمد بن يوسف ابن على بن محمد بن أحمد بن سلطان الدميرى الشافعى وكان فاضلا فارقا بصنعة التوقيع وكان موقع الدست وأحد نواب الحكم وكان فكه المحاضرة كثير العشرة للناس طلق اللسان في حق الناس وكانت الشعراء تهجوه كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

قد عيل صبرى من خطب ألم به * عقلى وطرفى مذهول ومبهوت

فان غدا الديك سلطانا فلا عجب * فقد غدا قاضيا في الناس كتكوت

وفيه يقول الاديب على بن بردبك

ان الدميرى صديقى فلا * أسمع فيه قول واش ولاح

ولا أرى كالغير تقبيحه * بل هو عندى من ملاح الملاح

والنكتة هنا أن الكتاكيت ينادى عليهم يا ملاح الملاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب أن أبا عبد الله محمد بن حسن بن على بن أبي سعد بن الاحمر قد ثار على ابنه الغالب بالله صاحب غرناطة وملكها من ابنه وجرت بينهما أمور يطول شرحها وآل الامر بعد ذلك الى خروج الاندلس عن المسلمين وملكها الفرنج والامر لله فى ذلك وفيه توفى طرنطاى

المحمودى أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان جلب هو والسلطان قايتباى فى سنة واحدة وتوفى يونس الكاتب المجيد وكان أكتع ويكتب بيده اليسرى خطا جيدا وتوفى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على محمد بن عبد الرحمن وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم صرفه عنها وفيه نزل السلطان وتوجه الى سنيت بسبب الكشف على الجسور ثم زار سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه ورضى عنه وفيه كان الغلاء بمصر قليلا والاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والغلال وفيه توفى الشيخ علاء الدين الحصنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما متواضعا وفيه وصل الحاج الى القاهرة وقاسى مشقة زائدة ولم تحمد سيرة أمير الركب بالمحمل أزبك اليوسفى وفى صفر وقع بين كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر الذى توفى فى انبابه فيما بعد وكان يوشذ أحد الدوادارية وبين ناظر الجيش كمال الدين بعض تشاجر فلكمه كرتباى الاحمر أطاح عمامته عن رأسه بالحوش فى وسط الناس وراحت فى كيسه وفيه توفى الصارمى ابراهيم بن منجك وكانت وفاته بدمشق وكان رئيسا حشما من الاعيان وفيه توفى الشيخ أبو حامد المقدسى وهو محمد بن خليل المقدسى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وله عدة مصنفات ومولده بعد العشرين والثمانمائة لكنه كان سهلا بليد الذهن قليل الفهم ومما وقع له أن الزينى أبا الفتح بن النحاس الشاعر داعبه بهذين البيتين وكتبهما اليه فى ورقة ودفعهما له فى مجلس القاضى كاتب السر ابن مزهر فلما قرأهما استحسنهما ولم يفهم ما فيهما من الدسيسة عليه فكتبهما بخطه فى بعض مصنفاته وأوردهما لابن النحاس وهما

أبا حامد أنت الذى شاع ذكره * بكثرة تأليف وجمع به انفرد
فانت الذى ما مثل حفظك فى الورى * وأنت الذى ما مثل ذهنك فى البلد

وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانم الجداوى نائب حماه وأتابك دمشق وكان لا بأس به وفيه أشيع عن مثقال الساقى الطواشى الظاهرى رأس نوبة السقاة بانه يضرب فى بيته الزغل فارسل السلطان من كبس داره وقبض عليه وفى ربيع الاول رسم السلطان بعمل حساب قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بدار الامير برسباى قرا رأس نوبة وقاسى من البهدلة والانكاد ما لا يعبر عنه وفيه ثار بالناس فى فصل الربيع دموية وأمراض حادة ومات بذلك جماعة كثيرة حتى أطلق عليه الفصل الصغير ومات به من أعيان الناس سيدى فرج ابن تنم نائب الشام وكان شابا جميل الوجه لم يلتح بعد فتأسف الناس عليه قاطبة وفيه عمل

السلطان المولد النبوى وكان حافلا واجتمع الامراء والقضاة الأربعة وكان السلطان
شرع فى عمل خيمة كبيرة مدورة برسم المولد الشريف فنصبها فى ذلك اليوم بالحوش وفيه
توفى القاضى نجم الدين يحيى بن حجى وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد
الحسبانى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وعد من العلماء
وكان كريما سخيا وولى نظارة الجيش بمصر وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات
وجد عنده زيادة عن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وفيه فى آخر يوم من برمودة
قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد عجل بلبس البياض قبل أوانه بعشرة أيام وفيه
جاءت الاخبار من القدس الشريف بان قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام ونفى الى
هنالك بطالا قد أجرى عين ماء بالقدس وكانت معطلة مدة طويلة فصرف عليها مالاله صورة
من ماله وحصل بها غاية النفع وفى ربيع الآخر خلع السلطان على أزدمر تمساح أحد
الامراء المقدمين وقرره فى امرية الحاج فى ركب المحمل وقرر أزدمر الاشقر أحد العشراوات
فى امرية الركب الاول وفيه قرر شاد بك المحمدى الظاهرى أحد العشراوات فى نيابة
دمياط وفيه توفى أبو الفداء الواعظ الناثر المادح وكان من أعيان دواخل مصر فى حسن
الصوت وجودة الغناء وكان لابأس به وفيه ثارت فتنة كبيرة بين مماليك اقبردى الدوادار
وبين مماليك ازدمر نائب حلب ووقع بينهم فتنة بالرميلة حتى شهروا السلاح على بعضهم
فثار جماعة من مماليك السلطان مع مماليك اقبردى الدوادار فكادت أن تكون فتنة عظيمة
بين الامراء ثم سكن الامر قليلا وفيه توفى الشيخ الصالح سيدى أبو الفضل من أولاد سيدى
على وفا وكان حصل له انجذاب واستمر به الى أن مات وكان من بيت كبير الولاية وفيه
زلزلت القاهرة بعد العشاء لكنها كانت خفيفة ولم تدم ولو دامت قدر درجة لحصل منها غاية
الفساد وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ستة أذرع وأربع أصابع وفيه سافر
الامير أقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب ضم المغل وكان صحبته أمير عربان هوارة
داود بن عمرو كان قد أعاده السلطان الى امريته بالوجه القبلى وصرف محمد بن يونس ولد عمه
❁ ومن الحوادث أنه فى جمادى الاولى فى يوم الثلاثاء عاشره ثار جماعة من المماليك الجلبان
وتوجهوا الى دار برسباى قرا ونهبوا كل مافيها وأحرقوها عن آخرها ونهبوا الربوع التى
بجوارها وأحرقوها حتى نهبوا بسط المدرسة الابوبكرية والفخرية حتى أخذوا القناديل
التى بها وكانت مصيبة شنيعة وهذا أول فتك الجلبان بالقاهرة واستخفافهم بالسلطان
واستمرت الفتن من يومئذ تتزايد حتى كان منهم ماسنذكره فى موضعه وكان سبب كائنة
برسباى قرا ان شخصا من المماليك الجلبان دخل الى سوق الشرب ليشترى ثوبا بعلبكيا من
بعض التجار فتعترس المملوك على التاجر وضربه ضربا مبرحا وأخذ منه الثوب البعلبكى
غصبا

غصبا فشكاه التاجر من باب برسباى قرا وكان يومئذ رأس نوبة النوب فطلب ذلك المملوك
فلما حضر قامت عليه البينة بما فعله فى سوق الشرب فأدبه وضربه بين يديه فلما بلغ
خشداشينه ذلك ثاروا على برسباى قرا وفعلوا به مافعلوا وراموا ان يحرقوا سوق الشرب
حتى أخلوا منه التجار قاطبة وكادت أن تكون فتنة كبيرة تعم البلد ثم ان الاتابكى أزبك
جرى بين المماليك الجلبان وبين برسباى قرا بالصلح وسكن الحال قليلا وفى جمادى الآخرة
جاءت الاخبار بان على دولات بن دولغادر قد أتى الى ملطية فى جمع كثير من العساكر وقد
حاصر البلد أشد المحاصرة فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه توفى قانى باى الفلاح الاشرفى
أحد العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان بارعا فى فنون الرمح وتوفى
مغلباى الفقيه أحد العشراوات وكان أصله من مماليك العزيز وكان له اشتغال بالعلم وفيه
عرض السلطان الجند وعين تجريدة الى حلب بسبب على دولات بن دلغادر وعين بها من
العلماء أزدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب والامير تغرى بردى ططر حاجب الحجاب
الثانى ومن الامراء الطبلخانات قانى بك جشحه رأس نوبة ثانى ومن الامراء العشراوات
تانى بك الاينالى الحاجب الثانى وسودون الصغير العلائى وبردبك المحمدى الخازندار
الثانى ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك وأنفق عليهم فبلغت النفقة على الامراء
والجند زيادة عن سبعين ألف دينار وفيه حضر شمس الدين الحلبى تركة يحيى بن حجى
فرأى بين كتبه كتاب الفصوص لابن عربى فقال هذا الكتاب ينبغى أن يحرق وان ابن عربى
كان كافرا أشد من كفر اليهود والنصارى وعبدة الاوثان فقال له بعض الحاضرين كيف
تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كتاب الله تعالى فقال ولو كان فمسكوا عليه ذلك
وأرادوا تكفيره فبادر وترامى على كاتب السر ابن مزهر فقام معه وآل أمره الى أن عزروه
وكشفوا رأسه ثم حكم باسلامه وحقن دمه وقد قامت عليه الدائرة بسبب ذلك وفيه يقول
أبو النجا القمنى

أقعدت ياحلبى * بالصفع فى قفاكا
لما ادّعيت جهلا * حرق الفصوص ياكا فر
وماخلصت حتى * أقمت شاهدا كا

وفيه توفى قانصوه المداقف المحمدى أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر
جقمق وكان علامة فى الدقاق وفى رجب خرج الامراء والعسكر الى التجريدة التى عينت
الى على دولات بن دلغادر وكان آخر العهد بالامير ازدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب
فلم يدخل الى مصر بعد ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك أوفى ثانى عشر مسرى فلما أوفى
توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى بردبك الطويل المحمدى أحد الامراء
العشراوات وكان شادا على أوقاف الاشرف برسباى وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار

من مكة المشرفة بوفاة محمد بن عبد الرحمن ناظر جدة وكان رئيسا حشما لطيف الذات عشيرا للناس ولما مات دفن بمكة المشرفة أعزها الله تعالى وفى شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التى صنعها للحجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فنصبها بالحوش فى أول الشهر المذكور وكان زنتها أربعمائة قنطار من الحديد فحملت الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على سبعين جملا وفيه توفى جانم البهلوان أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان رأسا فى الصراع توفى بحلب ومات أيضا بحلب صنطباى العلائى الظاهرى أحد العشراوات وكان رأسا فى الرمى بالنشاب وكان من مماليك الظاهر جقمق وفى رمضان خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه فى يوم ختم البخارى وقع بين الشيخ بدر الدين بن الغرس الحنفى وبين الشيخ صلاح الدين الطرابلسى تنافس حتى خرجا عن الحد بسبب الجلوس فيمن يرتفع عن صاحبه وكان الصلاح الطرابلسى متعديا على ابن الغرس فاشكر على ذلك وكان مجلسا فاحشا الاخير فيه وفى شوال خرج من القاهرة المحمل فى تجمل زائد وكان يوما مشهودا وخرج معهم شادبك أحد الامراخورية لكنه كان ضخما ويلبس كم قصير وقد قرر على باشية الجند بمكة ومعه خمسون مملوكا وأرسل معه السلطان المقصورة الحديد التى صنعها للحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم أرسل معه مصحفا كبيرا حمل على جمل بمفرده كان من النوادر كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق الى الآن فى الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفيه كان عرس الركنى عمر بن أبى البقاء ابن الجيعان وكان مهما حافلا وفى ذى القعدة خلع السلطان على اقباى كاشف الشرقية وقرر فى نيابة غزة عوضا عن دولات باى بن مصطفى الماضى خبره بما جرى عليه الى أن نفى الى مكة المشرفة وفيه أنعم السلطان على ستة أنفار من الخاصكية الظاهرية بامريات عشرة منهم يشبك دجاج وأبو يزيد وبيبرس اليوسفى وملاج الاشقر وجانى بك البواب وقانم السواق وأنعم باقطاع جانم البهلوان المسافر فى التجريدة على سودون الصغير وقانصوه قراو كسباى الشريفى وآخرين من جلبانه وكان هذا اقطاع امرية عشرة وخرج بحكم وفاة جانم البهلوان وفى ذى الحجة قرر محمد بن السلاح فى التكلم على جهة الجيزة عوضا عن ابن الصعيدى وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وكانت الاضحية مشحوتة وغالية بسبب قلة الجالب من أذى المماليك الجلبان وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى الجماعة الغرناطى المالكى توفى بغرناطة وكان من أهل العلم والفضل وفى أواخر السنة المذكورة كثر الاذى من العبيد والزعر وكثر قتل القتلى حتى ان شخصا من البياطرة قتل بالجزيرة الوسطى ولا يعلم من قتله ووجد شخص من المماليك الاينالية مقتولا بمنزله ولا يعلم من قتله وقتل غير ذلك جماعة كثيرة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم توفى الجمالى يوسف الحنبلى ابن الشهابى أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادى قاضى قضاة الحنابلة وكان رئيسا حشما ولى عدة مدارس الحنابلة منها المدرسة البرقوقية وكان شاهد ديوان الامير تمراز التمشى أمير سلاح وكان لطيف الذات عشير الناس لا بأس به وفيه أعيد أبو الفتح المنوفى الى نيابة جدة عوضا عن عبد الرحمن بحكم وفاته وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدى على القليوبى رحمه الله ورضى عنه وكان له مكاشفات وكرامات خارقة وفيه قبض على شخص بالقرافة يتزيا بزى أهل الصلاح وله شعر فى رأسه فدخل الى مزار سيدى أبى العباس الحرار وسرق الستر من فوق ضريحه وقد فعل ذلك فى عدة مزارات وكان فى زى حسن لا يظن به سوء فلما اشتهر بذلك ضرب وشهر بالقاهرة وفيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى ثغر دمياط وكان دينا خيرا حسن السيرة لا بأس به وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر دخول المحمل الى رابع عشريه مما حصل لهم فى السنة المذكورة من المشقة الزائدة من موت الجمال والعطش وفيه عين السلطان تجريدة ثانية تقوية لمن تقدم من العسكر فعين تمراز التمشى أمير سلاح باش العسكر ومن المقدمين أزبك اليوسفى وعين من الجند نحوا من أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية وكان سبب تعيين هذه التجريدة أن السلطان قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمد على دولات بعساكر كثيرة وهذا أول تحول ابن عثمان على بلاد السلطان واستمرت الفتن بعد ذلك تتزايد الى أن كان ما سنذكره فى موضعه وفى صفر توفى الشيخ شهاب الدين الابناسى وهو أحمد بن ابراهيم بن على بن أحمد بن محمد الشافعى وكان عالما فاضلا دينا خيرا منقطعا الى الله تعالى وفيه توفى يحيى بن شادبك المعروف بقاصد الحبشة أحد أجناد الحلقة وكان رئيسا حشما عارفا بلغة الحبشة فكه المحاضرة ومولده بعد العشرة والثمانمائة وفيه توفى شيخ عربان جبل نابلس وهو حرب بن أبى بكر بن محمد بن على بن عبد القادر مات وهو مسجون بالبرج فى القلعة وجرى عليه شدائد ومحن وآل أمره الى أن مات مسجونا وفى ربيع الاول جاءت الاخبار بان العسكر الذى خرج من القاهرة قد تقاتل مع على دولات أخو سوار وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الامراء والجند فقتل الامير قانى بك جنجمه رأس نوبة ثانى أحد الامراء الطبلخانات وقتل معه جماعة من أمراء حلب والشام وكان قانى بك هذا أميرا انسانا حشما حسنا شجاعا بطلا تولى من الوظائف شادية الشون ثم الجويية الثانية ثم رأس نوبة الثانية بقى أمير أربعين وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان لا بأس به * وفيه رسم السلطان بعمل مولد للسيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها ورسم للخليفة أن يحضر به والقضاة الاربعة وأعيان الناس واجتمع هناك قراء البلد قاطبة ومد هناك أسمطة حافلة وهو أول من أحدث هذا المولد

بالمشهد الشريف وصار يقال له مولد الخليفة وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة على العادة وكان حافلا وفيه توفى المسند رضى الدين الاوكالى وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن العز الشافعى القاهرى وكان عالما فاضلا محدثا مسند القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ عباس الفاسى نزيل القاهرة وكان لا بأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان على الجمالى يوسف بن الزرازيرى كاشف البهنسا وقرره فى الوزارة عوضا عن خشقدم الطواشى بحكم صرفه عنها وقرر قاسم شغيته فى نظر الدولة وفيه كان تفرقة النفقة على الجند المعينين فى التجريدة بسبب على دولات ثم بعث النفقة الى الامراء الذين تقدم ذكرهم وكان تعين اقبردى الدوادار الى التجريدة ثم بطل بعد ذلك فشق على العسكر بطلانه وكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه توفى اقبردى اليوسفى أحد العشراوات وكان أصله من مماليك الاشرف برسباى وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانصوه الغورى بامرية عشرة وعينه الى التجريدة وقانصوه هذا هو قانصوه سلطان مصر الآن وفيه توفى تانى بردى الشرف الاينالى وكان لا بأس به تأمر بحلب امرية عشرة وفى جمادى الاولى توفى تاج الدين محمد بن الكردى الحنفى وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفى الخواجا الكارمى بدر الدين حسن بن ابراهيم بن عليبة السكندرى أخو الخواجا عبد القادر تاجر السلطان وكان لا بأس به وفيه كان خروج الامير تمراز التمشى أمير سلاح وأزبك اليوسفى ومن عين معهما من الامراء العشراوات والجند فكان لهم يوم مشهود وكان عدة الجند الذين خرجوا مع الامراء نحوا من ألف مملوك وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيعت البطة الدقيق باربعة أنصاف وكل اردب قمح بنصف دينار وانحطت الاسعار فى سائر البضائع بعد تلك الغلوة التى تقدمت وكان قد اشتد الامر جدا وانفرج عن قريب وفيه توفى التاجر نور الدين ابن مقلاح المصرى وكان فى سعة من المال وتوفى السيد الشريف شهاب الدين أحمد الارسوفى المالكى أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا مفتيا متواضعا علامة فى مذهبه ومولده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وفى جمادى الآخرة توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس ثم تزايد واستمرت الزيادة عمالة حتى كان الوفا وفيه عزل الجمالى يوسف بن الزرازيرى عن الوزارة وقرر بها قاسم شغيته على عادته وفيه خلع السلطان على القاضى شهاب الدين أحمد الدرسالى وقرره فى قضاء الاسكندرية عوضا عن عفيف الدين بحكم صرفه عنها وفيه كثرت المرافعات فى قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بسبب أوقاف الحنفية فرسم السلطان بان يتوجه الى بيت برسباى قرا رأس نوبة النوب وتحضر القضاة الثلاثة ويعقد مجلس بسبب أوقاف الحنفية فلما حضر الى هناك حصل له غاية البهدلة من الجباة وغيرهم وفيه توفى جانى بك بن تمرباى ابن أخت السلطان وكان شابا صغير السن جميل الصورة

لا بأس به ذا عقل وحشمة وفيه توفى سيدى محمد السدار رحمه الله ورضى عنه وكان له كرامات ومكاشفات خارقة وفى رجب توفى العلامة شمس الدين الجوهرى وهو محمد بن عبد المنعم بن اسماعيل القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم عارفا بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وله عدة مصنفات وتولى عدة تداريس وشهرته تغنى عن مزيد التعريف به وفيه توفى نور الدين على السنهورى المالكى وهو الشيخ على ابن عبد الله بن على الازهرى وكان اماما فى مذهب المالكية وله شهرة طائلة وكان بارعا فى الفقه والعربية والقراآت السبع وغير ذلك من العلوم وألف الكتب النفيسة فى العلوم الجليلة ومات وهو كفيف وكان دينا خيرا صالحا مباركا ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان عنده اطراح نفس مع تواضع وتقشف وقد كف فى آخر عمره فكان كما قيل

كفيف بالافادة لى كفيل * ضرير ماله فينا ضريب
سليب الكبر ذو قلب سليم * قرين للتقى مناقريب

وفيه خلع السلطان على شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى وقرر فى قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن الشهابى أحمد بن فرفور بحكم صرفه عنها وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى ثانى عشرى مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قبض السلطان على محمد بن العظمة ناظر الاوقاف وسلمه الى خشقدم الزمام وألزمه بمحاسبته وفى شعبان خلع السلطان على شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى وقرره فى نظر الاوقاف عوضا عن ابن العظمة بحكم صرفه عنها وفيه توفى جانى بك الشمسى نائب الكرك وكان لا بأس به وفيه توفى القاضى ولى الدين بركات بن الجيعان وهو أبو البركات أحمد بن يحيى بن شاكر القاهرى الشافعى وكان لا بأس به رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة تولى نيابة كتابة السر وصار من اخصاء السلطان وترشح أمره لكتابة السر وهرعت الناس الى بابه ومات وهو شاب فى عشر الثلاثين وكان جميل الهيئة حسن الوجه عاقلا بشوشا وله بر ومعروف وصدقات كثيرة وفيه يقول الشهاب المنصورى

قال العواذل ما للمدح قد غدا * يزداد فى الحركات والسكنات
فأجبتهم لاتعجلوا وتأملوا * مازاد الاوهو فى بركات

فلما مات تأسف عليه السلطان وقال لو كان يفدى بمال لفديته وكان يتصرف فى أشغال السلطان كما ينبغى ولما توفى القاضى بركات قرر أخاه صلاح الدين فى نيابة كتابة السر عوضا عن أخيه بحكم وفاته وفيه هبط النيل سريعا وقد ثبت على اثنين وعشرين اصبعا من الذراع الثامن عشر فشرق أكثر البلاد وزاد سعر الغلال ولاسيما القمح وكان هذا سببا للغلوة التى وقعت فى السنة الآتية وفى رمضان جاءت الاخبار من حلب بان ورديش نائب حلب خرج فى جمع من العساكر وتقاتل مع على دولات أخى سوار وقد أمده ابن عثمان بجمع

كثير من عساكره فلما التقى العسكران وقع بينهما واقعة مهولة فانكسر العسكر الحلبى وقتل وردبش نائب حلب وجماعة كثيرة من العسكر الحلبى والمصرى وكان وردبش شجاعا بطلا وأصله من مماليك الظاهر جقمق يعرف بوردبش بن محمود شاه وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة سيس ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها ثم تولى نيابة البيرة ثم بقى أتابك العساكر بحلب ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم بقى نائب حلب واستمر بها الى أن قتل على يد على دولات باى قيل انه ضرب عنقه بين يديه وقتل فى هذه المعركة جماعة كثيرة منهم ألماس نائب صفد وكان دينا خيرا عارفا بانواع الفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها استادارية الصحبة وشادية الشرابخاناه ثم بقى نائب صفد واستمر بها حتى قتل وكان شابا عاقلا حشما لا بأس به وقتل أيضا أزبردى الاشرفى أحد الامراء العشراوات بحلب وقتل تمراز حشيش بن حشاش الاينالى أحد الخاصكية وقتل أيضا طرباى الاشقر الابراهيمى الاينالى أحد الامراء بحلب وتغرى بردى بن محمد بن قاسم أحد الامراء العشراوات بحلب وغير ذلك جماعة كثيرة من العسكر وتوفى طقطباى المجدى الاشرفى نائب قلعة حلب وكان لا بأس به ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان الامير تمراز لما حصلت هذه الكسرة لعسكر حلب ركب هو والامير أزدمر أمير مجلس والعسكر المصرى وتوجهوا الى على دولات فتقاتلوا معه فانكسر على دولات وعسكره وعسكر ابن عثمان ونهبوا جميع بركهم وأخذوا صناجق ابن عثمان ودخلوا بها الى حلب وهى منكسة وكانت هذه الحركة أول الفتن مع ابن عثمان واستمرت من يومئذ عمالة مع سلطان مصر ومعه حتى كان من أمرهما ما سنذكره وكان أصل هذه الفتنة تعصب ابن عثمان لعلى دولات وكان ابن عثمان متحملا على سلطان مصر فى الباطن بسبب أشياء لم تظهر للناس وفيه رسم السلطان بنقل قانصوه الخفيف الاينالى من دمياط الى مكة المشرفة وقد بلغه عنه ما يوجب تغير خاطره عليه وفيه زاد النيل زيادة مفرطة فى غير أوانها بعد انهباطه وقد شرق غالب البلاد فدخل الماء الى الخليج بعدما كان قد نشف فتعجب الناس من ذلك ولكن لم تفد هذه الزيادة شيأ فى رى البلاد التى شرقت قبل ذلك وفى شوال خرج الحاج من القاهرة وأمير المحمل كان الامير أزدمر تمساح أحد المقدمين وبالركب الاول برسباى العلائى أحد العشراوات وحج صحبته سيدى منصور ابن الظاهر خشقدم وكان برسباى العلائى زوج أم سيدى منصور وحج فى السنة المذكورة أبو البقاء بن الجيعان وصحبته جان بلاط وماماى الخاصكيان وقد توجه بسبب ما رتبه السلطان فى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من أمر تفرقة الدشيشة التى رتبها هناك وحج فى هذه السنة المذكورة عالم سمرقند الشيخ أبو بكر الليثى وولده العلامة وكانا قدما من سمرقند لاجل الحج وحج فى السنة المذكورة الشيخ عبد اللطيف شيخ ركب المغاربة وكان قدم صحبة الركب من تونس يروم الحج وكان بالركب نحو

من

من ألف وخمسمائة انسان من المغاربة يقصدون الحج وفيه رسم السلطان بنفي مثقال الطواشي رأس نوبة السقاة فخرج صحبة الحاج منفيا الى مكة المشرفة وقد بلغ السلطان عنه أنه يضرب دراهم مغشوشة فقبض عليه وعلى شخص من مماليك الاتابكي أزبك يقال له تمر بغا فوجدوا في بيت مثقال آلة الضرب التي يصنعون بها الدراهم الزغل فرام السلطان قطع أيديهما فشفع فيهما من القطع فنفي مثقال الساقي وسجن تمر بغا على مال حتى مات في السجن وفيه مات على بن قتي رأس نوبة النقباء وكان من كبار الظلمة مات تحت العقوبة وكان من أعيان الناس خدم جان بك نائب جدة لما كان دوادارا كبيرا وخدم السلطان قايتباى لما كان رأس نوبة النوب وخدم يشبك الدوادار ثم تكلم في بعض جهات السلطان فوقف عليه مال واستمر تحت العقوبة حتى مات وكان من الاشرار وفيه توفي سودون الصغير العلائي الظاهري أحد الامراء الطبلخانات توفي بحلب وكان يعرف بسودون الخازندار وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان محمد بن العظمة ناظر الاوقاف بالمقارع في وسط الحوش وكتب عليه قسامة أن لا يعود قط يسعى في نظر الاوقاف ومتى سعى فيه يكون دمه هدرا ثم سجن بالمقشرة وكتب من هذه القسامة أربع نسخ وبعث الى كل قاض نسخة منها وفيه توفي قرقماس بن بخشباى البواب أحد الامراء العشراوات وكان موته فجأة وكان من خواص السلطان وفيه توفي أزبك أبو زيد الاينالي أحد أمراء حماه وكان لا بأس به وفيه توفي المسند الشريف أبو السعود محمد العلوي الهاشمي الشافعي وكان من الفضلاء بارعا في الحديث وفي ذي القعدة جاءت الاخبار بأن علي دولات قد أطلق اينال السلحدار نائب طرابلس وكان عنده مأسورا وفيه أرسل السلطان خلعة الى أزدمر أمير مجلس ورسم له بعوده الى نيابة حلب كما كان أولا عوضا عن وردبش بحكم قتله عند علي دولات وفيه خلع السلطان على مملوكه اينال الخسيف الذي كان أتابك العساكر بحلب ورسم له بأن يكون نائب صفد وكان من أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه فنفاه الى البلاد الشامية فأقام بها مدة ثم رضي عليه وولاه نيابة صفد بعد نيابة سيس وأتابكية حلب ثم ولاه فيما بعد نيابة حماه وفيه اقترن المشتري وزحل ببرج العقرب وذكر أرباب علم الفلك أن هذا القران لم يقع من منذ مائتين وستين سنة وان ذلك يدل على وقوع فتن عظيمة وكان الامر كذلك كما سيأتي الكلام عليه في محله وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند فأكرمه السلطان وخلع عليه وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا من الجند يقال له جرباش المجنون وكان غاية في الرمي بالنشاب وقف للسلطان في طلب اقطاع عن شخص توفي فلم يجبه السلطان الى ذلك فلما نزل الى داره ذبح نفسه بيده من حنقه من السلطان فراحت روحه ولم يرث له أحد وفيه توفي الزيني عبد الباسط ابن علم الدين شاكر بن

الجيعان وكان رئيسا حشما متحدثا على مباشرات عديدة من مدارس وجوامع وأوقاف وكان دينا خيرا عفيفا عن الرشوة صلبا في أموره ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه عز وجود القطن جدا حتى بلغ سعر كل قنطار ألفين وأربعمائة درهم ولا يوجد وفيه خلع السلطان على قريبه بيبرس الرحبي وقرره في نيابة طرابلس عوضا عن اينال السلحدار بحكم اسره عند على دولات وفي ذى الحجة ارتفع سعر البرسيم حتى بلغ سعر كل فدان عشرة أشرفية وفيه عز وجود الضحايا من الغنم والبقر بواسطة أذى المماليك الجلبان وفي يوم عيد النحر أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الارض وحصل للناس مشقة في مرورهم في الشوارع الى صلاة العيد وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان أسر عند على دولات وقد قطع أصابع جماعة منهم من عند الابهام وأطلقهم وفيه جمع السلطان الامراء ونشر وا مشورة في أمر ابن عثمان بسبب ما وقع منه في تعصبه لعلى دولات فاشار السلطان هو والاتابكى أزبك وغيره من الامراء بان السلطان يرسل هدية على يد قاصده وتزول هذه الوحشة من بينهما فما ساغ السلطان لهذا الكلام وعين في ذلك المجلس الامير جانى بك حبيب أمير اخور ثانى وكان حلو اللسان سيوسا دربا وقد تقدم أنه توجه الى يعقوب بن حسن الطويل وتلطف به في الكلام حتى أطلق من كان عنده من الامراء والنواب والجند كما تقدم وفيه خرج بيبرس الرحبي الذى قرر في نيابة طرابلس وكان له يوم مشهود وفيه توفى ناظر جيش غزة ابراهيم بن عبد الرحمن وكان رئيسا حشما لا بأس به وتوفى الشيخ المعتقد أحمد السبوعى وكان من أعيان الصوفية وله اختصاص بالاتابكى أزبك وفيه وصل مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له قايتباى من مماليك السلطان وأخبر بالامن والسلامة وأن القاضى كمال الدين ناظر الجيش اختار المجاورة بمكة المشرفة وكان حج في السنة المذكورة وحضر صحبة المبشر دولات باى بن مصطفى الذى كان نائب غزة ونفاه السلطان الى مكة المشرفة فبعث بحضوره فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب قونية من بلاد ابن قرمان وهو عبد الله أخو الجمجمة بن عثمان تولى على قونية بعد أخيه جمجمة وكان حسن السيرة لا بأس به ❁ ثم دخلت سنة تسعين وثمانمائة فيها في المحرم كانت وفاة قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى ثم الحلبى كان عالما فاضلا بارعا في مذهب أبي حنيفة وكان ناظما ناثرا رئيسا حشما جميل الهيئة حسن الشكل تولى عدة وظائف سنية منها كتابة سر مصر ونظر جيشها وتولى قضاء قضاة الحنفية عدة مرار ثم ولى مشيخة الخانقاه الشيخونية ومات وهو شيخها وجرى عليه شدائد ومحن شتى واعتراه في آخر عمره مرض الفالج واستمر به الى أن مات وقد ذهل في عقله وكان مولده سنة أربع

وثمانمائة ومات وقد قارب التسعين سنة من العمر وكان من أعيان الناس ورؤساء مصر وله عدة تآليف جليلة ومن شعره قوله

قلت له لما وفى موعدى * ان سلوى عن هوا كم نفاق
وجاد بالوصل على وجهه * حتى سما كل حبيب وفاق

فلما مات تولى ابنه الشيخ سرى الدين عبد البر مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن أبيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحضر أبو البقاء بن الجيعان وجانبلاط وماماى وجماعة من أقارب السلطان كانوا فى الحجاز فى تلك السنة وفيه وصل قرقماس التنمى نائب طرسوس وكان ممن أسر عند على دولات وفيه توفى يشبك العلائى نائب حماه وكان لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها امرية عشرة بمصر وبقى من جملة رؤس النوب ثم تولى نيابة الكرك ثم نيابة غزة ثم حجوبية الحجاب بدمشق ثم نيابة حماه ومات بها وفى صفر أرسل السلطان الى سيباى الطيورى صاحب دمشق وقرره فى نيابة حماه عوضا عن يشبك العلائى بحكم وفاته وقرر فى حجوبية دمشق بلباى أحد الدوادارية بدمشق وقرر فى الدوادارية جانى بك الطويل أحد مماليك السلطان وفيه كان توجه جانى بك حبيب أمير اخور ثانى الى ابن عثمان وقد تقدم القول فى ذلك فتوجه اليه من البحر المالح من الاسكندرية وأرسل السلطان صحبته تقليدا من الخليفة الى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله تعالى على يديه من البلاد الكفرية وأرسل اليه أيضا الخليفة مطالعة تتضمن تخميد هذه الفتنة التى قد انتشت بينه وبين السلطان وفى المطالعة بعض ترفق له والذى استفاض بين الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بينه وبين السلطان أن بعض ملوك الهند أرسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة وأحضرها صحبته الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان فى تلك الهدية وأخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء فى عقب ذلك أن على دولات ترامى على ابن عثمان وشكى له من أفعال السلطان وما يصدر منه فتعصب لعلى دولات وأمده بالعساكر واستمرت الفتنة تتسع حتى كان منها ما سنذكره فى موضعه وقد طمع غالب ملوك الشرق فى عسكر مصر بموجب ما وقع لهم مع سوار وبايندر وغير ذلك من ملوك الشرق ثم ان السلطان أرسل الخنجر المذكور والهدية التى بعث بها ملك الهند وأرسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد أن صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرا لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سرا يؤكد ما فرط
ومن ظن أن يمحو جلى جفائه * خفى اعتذار فهو فى غاية الغلط

ثم ان جانى بك لبس خلعة السفر ونزل فى موكب حافل و توجه الى ثغر الاسكندرية ونزل من هنالك فى مراكب و توجه الى بلاد ابن عثمان من البحر الملح وفيه قرر فى الاتابكية بحلب قرقماس التنمى عوضا عن اينال الخسيف بحكم انتقاله الى نيابة صفد وقرر فى نيابة الكرك أميرزاده بن حسن الدوكارى عوضا عن جانى بك الطويل وفيه توفى خليفة سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله ورضى عنه وهو خير الدين أبو الكرم الشافعى وكان لا بأس به ❁ وفى ربيع الاول عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى على دولات وعين بها من الامراء برسباى قرا رأس نوبة النوب و تانى بك الجمالى أحد المقدمين ورسم لهم بأن يتقدموا جاليش العسكر الى أن يخرج الاتابكى أزبك ثم أنفق على العسكر الذى تعين للتجريدة فبلغت النفقة زيادة عن مائة ألف دينار وفيه توفى قاضى قضاة الشافعية كان وهو بدر الدين محمد أبو السعادات ابن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكنانى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا تولى قضاء الشافعية بمصر فى دولة الظاهر خشقدم ولم تطل مدته بها وكان عنده خفة روح زائدة وهوج فى الامور وفيه توفى عبد القادر الجامى الجانى وكان رئيسا حشما سيوسا وكان لا بأس به وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ونصب فى ذلك اليوم الخيمة العظيمة التى أقامها على يديه وجاءت فى غاية الحسن والزخرف وحضر فى هذا المولد ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان وكان جاء صحبة الحاج من مكة المشرفة فعظم أمره بمصر جدا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الواعظ المحدث شهاب الدين أحمد العميرى المقدسى وكان عالما فاضلا علامة فى فن الوعظ دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه توفى برسباى بن قربغا الظاهرى المعروف بحشيش وكان من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه عمل مولد السيدة نفيسة رحمها الله ورضى عنها وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وكان حافلا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الشيخ سعد الله الهندى الحنفى امام المسجد الاقصى وكان من أهل العلم والفضل عارفا بالقراآت السبع وكان أحد نواب النواب بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك البجاسى الذى كان نائب حلب وعزل عنها مات بصفد وقد قاسى شدائد ومحنا ولاسيما ما وقع له مع النابلسى وكيل بيت المال وكان رئيسا حشما تولى عدة وظائف سنية منها نيابة ملطية ونيابة حماه ونيابة طرابلس ونيابة حلب وصودر وسجن بدمشق ثم نقل الى صفد فمات بها وفيه رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقد أحد منهم نكاحا على جلب من مماليكه فقلق المماليك من ذلك فكان حالهم كما قيل

اذا نكح الرجال بنات قوم * وصار المهر فى ايدى الفريق
عمدت الى يدى فنكحت بكرا * وأما مهرها عندى فريقى

ثم توجهوا فيما بعد للزواج ولم يلتفتوا الى قول السلطان وفى ربيع الآخر وجد شخص من المماليك السلطانية يقال له فارس الزردكاش مقتولا بالصوة ولا يعلم من قتله وجد بعد صلاة الصبح وفيه خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر برسباى قرا رأس نوبة النوب وصحبته تانى بك الجمالى أحد المقدمين وعدة من الامراء العشراوات وقد خرج المقدمون من غير طلب وفيه قبض أقبردى الدوادار على جماعة من أولاد ابن عمر وسجنهم فى البرج الذى بالقلعة وقد أحضرهم صحبته لما توجه الى الوجه القبلى وقد تغير خاطر السلطان على بنى عمر وفى جمادى الاولى قرر فى امرية الحاج بالمحمل ازدمر المسرطن أحد المقدمين وبالاول برسباى اليوسفى أحد الامراء الطبلخانات وفيه قرر دولات باى الحسنى الظاهرى شاد الشون فى رأس النوبة الثانية عوضا عن قانى بك جشمة وكانت هذه الوظيفة شاغرة مدة طويلة وفيه توفى قراجا نائب جدة وكان أصله من مماليك جانى بك نائب جدة وكان لا بأس به وفيه وصل الى القاهرة اينال السلحدار الاشرفى الذى كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه وأقره فى شادية الشراب خاناه وفيه توفى الشيخ المعتقد نور الدين على من أولاد سيدى يوسف العجمى رحمة الله عليه وكان لا بأس به وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة فى العام المذكور ثمانية أذرع وعشرين اصبعا فعد ذلك من النوادر وفيه أعيد القاضى شهاب الدين بن فرفور الدمشقى الى قضاء الشافعية بدمشق مضافا الى نظر الجيش وصرف عنها ابن المزلق وفيه هجم المنسر على الناس وهم فى زيارة الامام الليث بن سعد رحمه الله ورضى عنه فأخذوا عمائم الزوار حتى أزر النساء وعروا النساء فى الطريق بطولها حتى وصلوا الى باب القرافة وكانت كائنة عظيمة وفى جمادى الآخرة نسرب السلطان السيد الشريف الذى كان كاتب سر دمشق وأودعه بالمقشرة ولم يرث الى شرفه وفيه قرر الشيخ كمال الدين ابن أبى شريف المقدسى فى مشيخة مدرسة السلطان الذى أنشأها بالقدس الشريف وجاءت غاية فى الحسن وفيه خلع السلطان على السيد الشريف موفق الدين الحموى وقرره فى كتابة السر بدمشق وفيه رسم السلطان بقطع يد مملوك من جلبانه قد سرق غير ما مرة فلما أراد قطع يده شفع فيه بعض الامراء فخنق منه السلطان ورسم بقطع رجله أيضا وفيه رسم السلطان للامير أقبردى الدوادار وأبى البقاء بن الجيعان وجانبلاط ومامای ورمضان بأن يتوجهوا الى القدس وصحبتهم من القراء والوعاظ جماعة وأن يعمل وليمة لمدرسة السلطان التى أنشأها بالقدس وقد انتهى منها العمل وخرج ابن أبى شريف صحبتهم وقد تقدم تقريره بالمدرسة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كولك وكان بها شخص من المماليك السلطانية يقال له طوغان الساعى فلما حاصروه أسلمها اليهم بالامان

وكانت هذه أول وقائع ابن عثمان ثم اتسع الامر بعد ذلك وكان ماسنذكره فى موضعه وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة ملك الاندلس صاحب غرناطة وهو الغالب بالله أبو الحسن على بن سعد بن محمد بن الاحمر وكان من خيار ملوك الغرب مشتهرا بالعدل عارفا بتدبير المملكة حسن السيرة لابأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأن الأمطار كانت قليلة بها جدا وأن الآبار قد نشفت وأن العين التى أجراها السلطان قد وقفت وحصل لاهل مكة الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه تزايد شر المماليك الجلبان والزعر والعبيد حتى أعيا أمرهم الوالى وحاجب الحجاب وصارت الأحوال فى اضطراب وفى ثانى شعبان كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى العشرين من مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قرر البدرى محمود بن أجا فى قضاء الحنفية بحلب عوضا عن ابن الحلاوى وكان هذا أول شهرة البدرى محمود بن أجا وفيه كان أول فتح خليج الازبكية وكان يوما مشهودا وعزم الامير أزبك على الامراء المقدمين بالقصر المطل على البركة ومدت لهم الاسمطة الحافلة وفيه جاءت الاخبار بأن الفتن قائمة ببلاد المغرب بتونس وفاس وغير ذلك من البلاد وأن الفرنج قد استولت على مدينة مالقة وفيه جاءت الأخبار بوفاة بيبرس الرحبى قريب السلطان الذى كان نائب طرابلس وكان قد أشيع ذلك وقد صح وفيه جاءت الاخبار بأن عساكر ابن عثمان قد استولوا على أطراف بلاد السلطان وأرسل أزدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة أو يخرج السلطان بنفسه فتنكد السلطان لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض ثم عرض الجند بحضرة الاتابكى أزبك وكان هو المشار اليه فى تعيين الجند مما يختاره منهم ثم عرض القرانصة وأولاد الناس وصار الذى لايطيق السفر منهم يقيم له بديلا كاملا بخيوله ولبسه وغير ذلك ويورد مائة دينار من له اقطاع وجامكية ثم ان المماليك المعينة للسفر أطلقوا فى الناس النار وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصبا حتى أخذوا بغال الطواحين والاكاديش التى بها وتعطلت الطواحين بسبب ذلك وتشحط الخبز من الدكاكين وكادت أن تكون غلوة كبيرة حتى وبخ السلطان المماليك بالكلام ونادى فى القاهرة بالامان والاطمئنان وان كل من أخذ له بغل أو فرس يطلع الى أمير اخور كبير يخلصه فسكن الحال قليلا وفى رمضان توفى برسباى الخازندار المحمودى وكان من أخصاء السلطان وهو من الامراء العشراوات وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة القاضى كمال الدين ناظر الجيش وكان مجاورا بمكة المشرفة فأتاه الاجل هناك وهو محمد بن يوسف ناظر الجيش المعروف بابن كاتب جكم وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم وتولى نظر الجيش وهو فى حداثة سنه وباشر ذلك أحسن مباشرة وحمدت سيرته بها حتى مات وفيه كان ختم البخارى بالقلعة وكان حافلا جدا وفرقت الخلع

والصرر

والصرر على الفقهاء والعلماء وفى شوال خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر الاتابكى أزبك وكان صحبته قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وتانى بك قرا أحد المقدمين الالوف وقد تقدم قبلهم ستة من الامراء المقدمين ازدمر أمير مجلس وتغرى بردى ططر وقر ربعدهم تمراز أمير سلاح وأزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين ثم خرج من بعدهم برسباى قرا رأس نوبة النوب وتانى بك الجمالى أحد المقدمين فكان جملة الذين خرجوا أولا وآخرا تسعة أمراء بالاتابكى أزبك ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف مملوك مما تقدم فى الاول والآخر وكانت هذه التجريدة من أعظم التجاريد وطلب الاتابكى أزبك طلبا حافلا حتى رجت له القاهرة وكذلك قانصوه خمسمائة كان طلبه غاية فى الحسن بحيث لم يعمل مثله قط قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحوا من ثمانين ألف دينار وخرج العسكر وهم لابسون آلة الحرب وكان لهم يوم مشهود وكان مع الامير أزبك عدة أمراء طبلخانات وعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فعدت هذه التجريدة من النوادر وفيه كانت وفاة الخواجا محيى الدين عبد القادر بن ابراهيم بن حسن المعروف بابن عليبة السكندرى تاجر السلطان وكان رئيسا حشما من أعيان التجار وفيه خلع السلطان على القاضى شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرره فى نظر الجيش عوضا عن أخيه كمال الدين وفيه خلع السلطان على على بن عامر وقرره فى امرية آل فضل بحماه عوضا عن عساف بحكم قتله وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل أزدمر المسرطن وبالركب الاول برسباى اليوسفى وفيه طيف برأس شخص من العربان المفسدين يقال له محمد بن عامر أحد مشايخ هوارة وبعث بها ابن الزرازيرى الكاشف وعدة رؤس من العربان المفسدين وفى ذى القعدة فى ثالث عشرها نور زاد النيل زيادة مفرطة نحو الذراع حتى تعجب الناس من ذلك وفيه عاد جانى بك حبيب الذى توجه الى ابن عثمان قاصدا وكان قد سافر أولا من البحر المالح وعاد من على ملطية فلما طلع بين يدى السلطان كان عليه خلعة ابن عثمان فخلع عليه وعلى من كان معه من الخاصكية ثم ان جانى بك حبيب خلا بالسلطان وأخبره عن أحوال ابن عثمان بانه ليس براجع عن أذاه لعسكر مصر وانه لم يرمنه اقبالا ولا أكرمه وانه غير ناصح للسلطان فكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه توفى شمس الدين الوفائى قاضى الخانقاه وكان رئيسا حشما لا بأس به وفى ذى الحجة توفى قانم الفقيه الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان باش المجاورين بمكة المشرفة وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه أعيد الزينى أمير حاج الى نقابة الجيش على عادته وصرف عنها موسى بن الترجمان بعد كائنة عظيمة وقعت له وكان غير محمود السيرة سيئ التصرف فى أفعاله وفيه قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر فى كشف

البحيرة عوضا عن قرا كز مملوك تمراز أمير سلاح وفيه جاءت الاخبار من نائب حلب بان على دولات أرسل يسأل فى الصلح بعدما اتسع الخرق على الراقع كما قيل فى المعنى

أتروض نفسك بعدما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وفيه توفى قاضى الجماعة أبو عبد الله محمد بن محمد القلجانى التونسى المالكى وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبه قدم الى مصر وأقام بها مدة ثم عاد الى بلاده فمات بها وفيه جاءت الاخبار بوفاة المستنصر بالله محمد من أولاد الملك مسعود صاحب تونس وكان أكبر أولاده مستوليا على احدى جهات المغرب وكان شابا حسن السيرة عادلا فى الرعية فتأسف عليه والده جدا وقد خرجت السنة المذكورة عن فتن وشرور ببلاد الشرق وبلاد الغرب وحصل فى مصر تشحيطة فى سائر الغلال واشتد السعر ووقع الاضطراب بسبب ذلك لاهل التجار يدو حصل للناس من المماليك مالاخير فيه من أخذ البغال والخيول وغير ذلك مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة وحصل للناس وقوف حال بسبب ضرب الفلوس الجدد وتبطيل الفلوس العتق والامر لله تعالى فى ذلك

❁ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كان خليفة الوقت الامام أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز وسلطان العصر الملك الاشرف قايتباى أبو النصر المعروف بالمحمودى الظاهرى وأما القضاة الاربعة فهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الانصارى الشافعى والقاضى شمس الدين محمد الغزى الحنفى والقاضى محيى الدين بن تقى الدين المالكى والقاضى محمد السعدى الحنبلى وأما الامراء المقدمون فمنهم أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير وتمراز التمشى أمير سلاح وأما امرية مجلس فكانت شاغرة من حين عزل منها ازدمر قريب السلطان وتولى نيابة حلب وبرسباى قرا المحمدى الظاهرى رأس نوبة النوب وقانصوه بن طراباى المعروف بخمسمائة أمير اخور كبير واقبردى بن على باى أمير دوادار كبير وتغرى بردى ططر حاجب الحجاب وأما الامراء المقدمون غير أرباب الوظائف فأزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك الجمالى وتانى بك قرا الاينالى وازدمر تمساح وازدمر المسرطن ويشبك الجمالى وأما الامراء الطبلخانات فكانت عدتهم يومئذ نحو عشرة وأما الامراء العشراوات فكانت عدتهم يومئذ نحوا من ستين أميرا وأما أرباب الوظائف من المتعممين فالقاضى كاتب السر زين الدين أبو بكر بن مزهر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان وناظر الجيش الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص ومستوفى ديوان الجيش القاضى أبو البقاء بن الجيعان وناظر الخاص علاء الدين بن الصابونى وقد جمع بين نظارة الخاص ووكالة بيت المال والوزارة بيد قاسم شغيته متحدثا فيها وشرف الدين بن البقرى ناظر الدولة وقد جمع بين نظارة الدولة وبين نظارة الاوقاف فى تلك الايام

والبدرى بدر الدين بن مزهر محتسب القاهرة ووالى الشرطة يشبك بن حيدر الاينالى واستادار العالية تغرى بردى المعروف بالقادرى ونقابة الجيش بيد أمير حاج بن أبى الفرج وكتابة الخزانة بيد عبد الغنى بن الجيعان وكتابة المماليك بيد يوسف بن أبى الفتح نائب جدة ونظارة الاصطبل بيد يحيى بن البقرى ونظارة الزردخانه بيد عبد الباسط بن تقى الدين ونظارة الكسوة الشريفة بيد رمضان المهتار ونظر الجوالى بيد نور الدين على البتنونى المعروف بالحنبلى وأما أرباب الوظائف من الطواشية فمقدم الزمام الاحدى وخالص التكرورى مقدم المماليك ونائبه عنبر وسرور شاد الحوش وغير ذلك من أرباب الوظائف لم نذكرهم خوف الاطالة فى ذلك وانما ذكرنا الاعيان منهم فهذا كان ترتيب أرباب الوظائف فى مستهل السنة المذكورة على حكم ما ذكرناه ثم انقلبت الوظائف الى جماعة كثيرة من الاتراك والمباشرين كما سيأتى ذكره فى موضعه وفيه أعنى هذا الشهر توفى السيد الشريف أبو عوانة واسمه أحمد بن أبى بكر التونسى المالكى رحمه الله وكان يعرف بالعوانى وكان دينا خيرا جميل الصورة حسن الشكل ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده بعد الاربعين والثمانمائة وفيه توجه السلطان الى جهة الشرقية ليكشف على الجسور فغاب هناك أياما ثم عاد الى القلعة وفيه تناهى سعر البرسيم كل فدان مخضر باثنى عشر دينارا وبيع الدريس الحوفى كل مائة قتة بار بعمائة درهم حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن حب البرسيم التقاوى كان غاليا وكان النيل خسيسا والذى طلع من البرسيم أكلت غالبه الدودة وكان سعر الغلال مرتفعا فى السنة المذكورة حتى غلا سعر الماء والروايا من عدم العلف لجمال السقائين وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وعدى وهو راكب وكان معه القاضى قطب الدين الخضيرى وجماعة من الخاصكية فتوجه الى خرطوم الروضة وعدى وأقام به الى آخر النهار ونصب له هناك خيمة سحابة وموخر فطاب له ذلك المكان فأمر ببناء قصر مطل على الاربع جهات هناك فلم يتم له ذلك وفيه كان دخول الحاج فى خامس عشريه وقد حصل لهم بموت الجمال وشدة الغلاء مشقة زائدة وكان أمير ركب المحمل أزدمر وبالركب الاول برسباى اليوسفى وقد جاور أكثر الناس وانقطع جماعة بالينبع ولم يدخلوا القاهرة الا بعد أيام وفيه توجه اقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد ابن عمر وفيه توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية فلما رجع نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق وكشف عن أحوالها ثم عاد الى القلعة وألزم سرور اشاد الحوش بعمل مصالح الصوفية التى بتربة الظاهر برقوق وفى صفر قتل القاضى تقى الدين أبو بكر المعروف بخروف قتل بولاق ولا يعلم من قتله وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان ترشح أمره بأن يلى قضاء الحنفية فى دولة الظاهر

خشقدم وقد سعى له ابن العينى وفيه خسف جرم القمر وأظلم الجو واستمر على ذلك نحوا من
خمسين درجة وفيه توفى سيدى موسى بن الخليفة المتوكل على الله عم أمير المؤمنين أبى
العز عبد العزيز وكان رئيسا حشما وفاتته الخلافة عدة مرار وقد تولى أربعة من اخوته
وهو مبعد لقلة حظه وكان مولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار بوقوع
فتنة عظيمة بين عربان جبل نابلس وقتل فيها اقبردى بن بخشايش الاينالى استادار الاغوات
وقتل أيضا جماعة كثيرة من العربان منهم أبو بكر أمير حزم ويوسف بن الجيوسى
أحد المشايخ بنابلس وجماعة كثيرة من أولاد اسمعيل وأولاد عبد القادر وكانت فتنة
شنيعة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك عين اقبردى الدوادار الكبير بأن يتوجه الى جبل نابلس
ويخمد هذه الفتنة التى بين العربان فخرج مبادرا الى ذلك وفيه كانت وفاة قاضى
قضاة الشافعية كان وهو ولى الدين أحمد الاسيوطى بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد
العزيز بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محمودا فى أيام قضائه رئيسا حشما
سيوسا فى أفعاله ولى القضاء الاكبر ومشيخة الجمالية والناصرية وعدة تداريس وأقام فى
القضاء وهو مع الناس فى أحسن سيرة ودام فيها ستة عشر سنة والناس راضون عنه وكان
مولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن العسكر المصرى
تقاتل مع عسكر ابن عثمان وانتصر على عسكر ابن عثمان وقتل منهم جماعة كثيرة نحو من
أربعين ألفا من توابع عسكره وقبض على أحمد بك بن هرسك وكان باش عسكر ابن
عثمان واجل امرائه ومعه جماعة من الامراء أصحاب الصناجق العثمانية وأسروهم
وأودعوهم فى الحديد فلما بلغ السلطان ذلك سر به ۞ وفى ربيع الاول عمل السلطان
المولد النبوى وكان حافلا لكن كان أكثر الامراء غائبا بالتجريدة ولم يكن بمصر من الامراء
المقدمين سوى ثلاثة مقدمين وفيه توفى القاضى حسن بن عرب وهو على بن عمر الطبندى
الشافعى أحد نواب الشافعية بالحكم بالديار المصرية وكان لا بأس به وفيه اختفى
القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش أخو القاضى كمال الدين فلما اختفى خلع السلطان
على البدرى محمد ابن القاضى كمال الدين ناظر الجيش وقرره فى نظر الجيش عوضا عن عمه
الشهابى أحمد بحكم اختفائه وكان البدرى هذا حديث السن لما تولى نظر الجيش لم يلتح
بعد وفيه قرر شاهين الجمالى فى مشيخة الحرم النبوى وفيه توفى المسند شمس الدين محمد
البساطى الشافعى وكان علامة فى الحديث وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وصل دوادار
نائب حلب وأخبر بصحة كسرة ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك وجماعة من
أمراء ابن عثمان وأعيانهم وقد أخذ العسكر المصرى من النهب ما لا يحصى من خيول
وجمال وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك وأخذوا صناجقهم وكانوا نحوا من مائة وعشرين

صحبتها وقد قطعت عدة وافرة من رؤس عسكر ابن عثمان وسيحضر واصحبة قيت الرجبي الساقي الخاصكي فسر السلطان لهذا الخبر وخلع على دوادار نائب حلب خلعة حافلة وفيه سقط الصاري الخشب الذي تعلق فيه القناديل في رمضان بمنارة جامع القلعة فأخذ الناس يتفاءلون بشيء يحدث للسلطان عن قريب فلما كان اليوم الثاني من انكسار الصاري ركب السلطان على فرس وسير في الحوش ثم ساق ونخع الفرس باللجام فشب به وانقلب على السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجله تحت جنب الفرس فانكسرت رجل السلطان من عند عظمة فخذه كسرا بليغا فاغمي عليه وسال منه الدم فارجفت القلعة بموت السلطان واضطربت أحوال القاهرة بسبب ذلك وكثر القال والقيل بين الناس ولم يشك في موته أحد بل تيقنوا ذلك فحمله بعض الخاصكية وهو مغمى عليه وأدخله الى قاعة الدهيشة فتسامع الامراء بذلك فطلعوا اليه ثم طلع كاتب السر ابن مزهر فلما دخل عليه قال له اكتب في الحال في هذه الساعة مراسيم وأرسلها الى نائب حلب لتطمئن الامراء والعسكر بسلامة السلطان من هذا العارض وقد حصل له السلامة والشفاء عن قريب فكتبت المراسيم بصورة الحال وأدرجت على يد هجان في أثناء ذلك اليوم وتوجه الى حلب وقد نظم بعض شعراء العصر يعتذر عن هذه الواقعة بهذين البيتين وهما قوله

وقد زعموا أن الجواد كبا به * وحاشاه من عيب يضاف اليه
ولكن رأى سلطان عز وهيبة * فقبل وجه الارض بين يديه

وفيه توفي الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن حجاج الابناسي القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا دينا خيرا صالحا منجمعا عن أبناء الدنيا متصوفا على طريقة السلف متواضعا جدا أو طلب للقضاء غير مامرة وهو يأبى من ذلك ولما مات دفن بزاوية الشيخ شهاب الدين التي بحدرة الفول عند بركة الرطلي وفي ربيع الآخر طلع القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر فأذن لهم بالدخول على السلطان وهو في القاعة التي بالدهيشة وهي قاعة الحريم فلما دخلوا عنده وجدوه على سرير وقد قوروا له الفرش من تحته ورجله قدامه وهو لاينام ولا يتحرك وكان الامراء والمباشرون يدخلون عليه كل يوم ويعطونه الخدمة وهو جالس على ذلك السرير فيدعون له وينصرفون وفيه وصل قيت الساقي من حلب ومعه عدة وافرة من الرؤس التي قطعت من عسكر ابن عثمان فلما دخل الى القاهرة زينت له زينة حافلة واصطفت الناس للفرجة فدخل وقدامه الرؤس محمولة على الرماح وكان عدتها مايزيد على مائتي رأس فلما طلع الى القلعة دقت له البشائر وأقيمت الخدمة بالحوش ووقف أرباب الدولة كل واحد في منزلته على العادة وغطيت الدكة التي يجلس عليها السلطان بالملاءة الحرير فلما استقر قيت الساقي بالحوش باس الارض الى نحو الدكة

فاحضرت له خلعة ولمن كان صحبته من المماليك السلطانية فلبسوا تلك الخلع ونزلوا فى موكب حافل وكل ذلك والسلطان منقطع فى القاعة وهو فى غاية التألم من رجله وقيل ان السلطان فرق على الفقراء فى مدة انقطاعه بهذا العارض نحوا من ألف دينار على يد قطب الدين الخضيرى ثم انه بعد أيام علم على أربعة مراسيم وكانت العلامة قد تعطلت أيام مرضه وفيه توفى الشيخ جلال الدين البكرى وكان علامة فى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وكان اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الديروطى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم ناب فى القضاء مدة طويلة وتولى قضاء الاسكندرية ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية وكان بيده عدة تداريس ومولده سنة سبع وثمانمائة وفيه رسم السلطان على لسان القاضى كاتب السرابن مزهر بان يجمع رؤس النوب والنقباء الذين بابواب الحكام ويكتب عليهم قسائم انهم لا يأخذون من الاخصام عند انفصالهم من الحكم أكثر من نصفين فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك فأقام هذا الامر مدة يسيرة ثم عادوا لما كانوا عليه وفيه قرر شيخنا الجلال السيوطى فى مشيخة البيبرسية عوضا عن الجلال البكرى بحكم وفاته وكان الساعى له السيد الخليفة عبد العزيز وفيه هجم المنسر على سوق باب الشعرية وقتلوا البوّاب وفتحوا عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وخرجوا من الباب وتوجهوا من حيث أتوا وفى جمادى الاولى حملوا السلطان وهو على السرير وخرج الى الدهيشة وجلس بالشباك المطل على الحوش وعرض قدامه عدة خيول فحصل للناس الاطمئنان عليه وفيه حصل للسلطان الشفاء ودخل الحمام فلما كان يوم الجمعة ركب من باب الدهيشة وتوجه الى الجامع وصلى الجمعة وكان له بالقلعة يوم مشهود وتخلق الخدام بالزعفران وفرقت خوند على الناس البنود الحرير الاصفر للخدام والخاصكية والزمام ومقدم المماليك والغلمان السلطانية قاطبة وأعيان الناس من الحجاب ورؤس النوب ونقباء الجيش وغير ذلك من الاعيان ولما رجع السلطان من الجامع لاقته النسوة بالتهانى ونثرت خوند على رأسه خفائف الذهب والفضة وفرشت له الشقق الحرير تحت حوافر فرسه وكان يوما حافلا بالقلعة وخلع على الاطباء والمزينين الخلع السنية ودقت له البشائر بالقلعة ونودى بالزينة فى القاهرة فلما كان الثانى من يوم ركوبه حضر الخليفة والقضاة الاربعة وهنئوا السلطان بالعافية وجلس بالدكة وحكم بين الناس وكان مدة انقطاعه لهذا العارض نحوا من ثلاثة وخمسين يوما وكان الناس قد أيسوا منه وعد ركوبه من النوادر بعد ذلك العارض المهول عند الكبر وقد قال القائل فى ذلك

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض

فليت هذا الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض

فنى الامام له من غيرنا عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض
فما أبالى اذا ما نفسه سلمت * لو باد كل عباد الله وانقرضوا

وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة تجمع جيشا كثيفا ورجع الى المحاربة ثانيا وان عسكر السلطان بعد أن رجع الى حلب خرج ثانيا الى نحو كولك فتنكد السلطان الى الغاية لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض فعرض وعين جماعة من الامراء المقدمين والجند فكانوا نحوا من خمسمائة مملوك وكان الباش عليهم يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أحد المقدمين ثم أنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب وضاق الامر بالسلطان حتى قصد أن يخرج الى التجريدة بنفسه وأرسل السلطان الى كرتباى الاحمر كاشف البحيرة بان يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة ما يقدر عليه ثم عرض جماعة من الزعر وقصد أن ينفق عليهم لكل واحد ثلاثين دينارا وأن يخرجوا صحبته وصار ينظر ما يرد عليه من الاخبار وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد فاس من أعمال المغرب وقد حصل بين صاحب فاس والفرنج ما لا خير فيه من الحروب وقتل العساكر وان صاحب غرناطة توجه الى عمه يسئله أن يرسل له نجدة تعينه على قتال صاحب قشتاله وان الفتن هنالك قائمة والامر لله وفيه خرج الامير يشبك الجمالى ومن عين معه من الجند الى جهة حلب فكان لهم يوم مشهود وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة دولات باى المحوجب الشرفى نائب ملطية وكان عنده شجاعة وفروسية وتوفى قانم أمير شكار المحمدى الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفى السيد الشريف على أخو أمير مكة المشرفة وهو على بن بركات بن حسن بن عجلان الهاشمى العلوى وكان مقيما بالقاهرة من حين فر من أخيه وحضر الى مصر فأتاه الاجل بها وكان رئيسا حشما فاضلا ذكيا لا بأس به ومولده بعد الخمسين والثمانمائة وفى شعبان طلع القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالشهر فكثرت المرافعات فى قاضى قضاة الحنفية شمس الدين الغزى فحنق منه السلطان ورسم لنقيب الجيش بالقبض عليه فى المجلس وتوجه به الى المدرسة الصالحية ليقيم حساب أوقاف الحنفية وجرى عليه ما لا خير فيه واستمر فى الترسيم الى أن عزل وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى ثانى عشر مسرى فتوجه الامير ازدمر تمساح وفتح السد وكان الاتابكى أزبك غائبا فى التجريدة ومن النوادر ان النيل زاد فى ذلك اليوم عشرين اصبعا من الذراع السابع عشر فى يوم كسره واستمرت الزيادة عمالة حتى انه زاد فى ثلاثة أيام متوالية من الوفاء تسعة وتسعين اصبعا حتى عد ذلك من النوادر الغريبة فى الزيادة وقد قيل فى المعنى

وفا النيل اذ وفى البسيطة حقها * وزاد على ما جاده من صنائع

فماذا يقول الناس فى جودمنعم * يشار الى انعامه بالاصابع

وفيه نزل السلطان الى الميدان وجلس بالمقعد الذى به وعرض المحابيس من رجال ونساء وأطلق منهم جماعة ثم أمر بتوسيط احمد بن بشارة شيخ العشير بلاد صفد وفيه عاد الامير اقبردى الدوادار من جبل نابلس ومعه عدة من العربان وهم فى الحديد وقد قبض على أعيان مشايخهم وفى رمضان كان أول ما خطب بمدرسة الصاحب الزمام التى أنشأها بخط باب الرميلة وقد جاءت من أحسن البناء وكان أصلها قاعة فصنع بها محرابا واتخذها مدرسة وخطب بها وفيه توفى شمس الدين محمد الديجورى أحد نواب الحكم من الشافعية وكان انسانا حسنا لا بأس به ومولده سنة تسع وعشرين وثمانمائة وفيه قبض على انسان وهو سكران فى رمضان فضرب بالمقارع وجرس بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بوفاة العلائى على بن شاهين العثمانى نائب قلعة دمشق وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه كان ختم البخارى بالقلعة فى الحوش وكان ذلك على خلاف العادة وفيه تغير خاطر السلطان على خشقدم الزمام لامر وقع له وكانت كائنة عظيمة وقصد الاخراق به وأمر بضربه حتى شفع فيه ثم آل أمره بعد ذلك الى أن نفاه الى جهة قوص كما سيأتى ذكر ذلك وفى شوال جاءت الاخبار بوفاة بردبك سكر أتابك العساكر بطرابلس وكان شابا رئيسا حسنا حشما لا بأس به ولكن وقع له شدائد ومحن ونفى من مصر وكان من خواص السلطان ثم تغير خاطره عليه وجرى له أمور شتى وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين محمد بن الاخميمى شيخ المدرسة البرقوقية وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن شمس الدين الغزى بحكم انفصاله عنها وجرى على الغزى أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل ازدمر تمساح على العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من أعيان المفسدين فى الارض يقال له جورووسط معه جماعة آخرين مفسدين فى الارض فنزل جور من القلعة وهو مسمر على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجر بالحبل ولها حركات تدور بها فرجت القاهرة فى ذلك اليوم وكان يوما مشهودا وتوجهوا به الى جزيرة الفيل فوسطوهم هناك وأراح الله الناس منهم وفيه أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة بسبب فساد محمد الجويلى شيخ عربان البحيرة وكان باش الجند قرقماس المعلم أحد الامراء العشراوات واسباى المبشر وأزبك قفص وماماى ونحو من مائتى مملوك من المماليك السلطانية فلما وصلوا الى البحيرة تقاتلوا مع الجويلى أشد القتال وقتل من الترك والعرب جماعة كثيرة ورجع العسكر من غير طائل ولا حصلوا من الجويلى على شئ وفيه وقعت نادرة وهو أن مركبا ببولاق عدت تحت الليل فغرقت فى وسط البحر بمن فيها من الناس والدواب ومن العجائب انه كان بها انسان علامة فى السباحة الى الغاية فغرق ولم يعلم له خبر وكان الى جانبه

صبي صغير لا يعرف السباحة فنجا من الغرق وطلع فعد ذلك من النوادر كما قيل في المعنى

وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بعون الله من حيث يحذر

وفيه توفى الشيخ قلج الرومي الادهمي شيخ زاوية السلطان بالمرج والزيات فلما مات قرر في مشيخة الزاوية امرأة وهي زوجة قلج المذكور فعد ذلك من النوادر وكانت المرأة تقرب لجهان شاه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان العسكر قد ثار على الاتابكي أزبك وقصد العود الى القاهرة فتشوش السلطان لهذا الخبر وشكوا من الاشحات فارسل السلطان اليهم نفقة هنالك فانفق الاتابكي أزبك عليهم هنالك لكل مملوك خمسين دينارا حتى خمدت الفتنة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى بيت البدري بدر الدين ابن مزهر المحتسب وقصدوا احرق بيته فاختفى وذلك بسبب تسعير البضائع من اللحم والخبز والجبن وغير ذلك ثم توجهوا الى الشون وكسروا أبوابها ونهبوا ما فيها من القمح والشعير وفعلوا ذلك بشون السلطان والامراء وكانت فتنة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك بعث اليهم جماعة من الخاصكية ومقدم المماليك فما قدروا على ردهم فركب السلطان بنفسه بعد العصر وتوجه الى بولاق فلما رأوه فروا من وجهه ثم أتوا الى دار الصاحب قاسم فنهبوا كل ما فيها فلما أصبحوا لم ينتهوا عما هم عليه ولم يطلع أحد من المباشرين الى القلعة ثم ان القاضي كاتب السر ترامى على السلطان وقبل رجله ثلاث مرات بان يعفي ولده بدر الدين من الحسبة فما أجاب الا بعد جهد جهيد وفيه توفى الكاتب المجيد الزيني خطاب بن عمر بن خطاب الازهري الشافعي وكان فاضلا وله اشتغال بالعلم وكتب المنسوب من الخط الجيد وكان له في ذلك دعاوى عريضة جدا وفيه يقول الشهاب المنصوري

بذي التهذيب خطاب تسامت * صحائف زانها خطا وضبطا

فلو نطق الطروس لفضلته * وقالت أجود الكتاب خطا ب

وفيه وصل قيت الساقي الخاصكي الذي كان قد توجه الى يعقوب بن حسن الطويل فعاد ومعه مكاتبة باظهار التودد وصدق المحبة للسلطان وفيه توفيت خوند آسية بنت المؤيد شيخ وهي والدة سيدي يحيى بن يشبك الفقيه الذي كان دوادارا كبيرا وكان حصل لها أسف على ولدها يحيى لما مات فكف بصرها في أواخر عمرها ومولدها سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وكانت آخر من توفى من أولاد الملك المؤيد شيخ وفي ذي القعدة ظهر برهان الدين بن الكركي امام السلطان وكان مختفيا من حين تغير خاطر السلطان عليه فشفع فيه بعض الامراء حتى ظهر وقابل السلطان ونزل الى داره بطالا وفيه خلع السلطان على اقبردي الدوادار وقرره في الوزارة وكان متكلما فيها بغير تقرير وقرر موفق الدين بن القمص الاسلمي في نظر الدولة عوضا عن قاسم شغيتة بحكم صرفه عن الوزارة ونظر الدولة فوكل به وأقام في الترسيم

حتى يعمل الحساب وفيه خلع السلطان على كسباى الشريفى وقرره فى الحسبة عوضا عن البدرى ابن مزهر بحكم استعفائه وفيه رسم السلطان بتوسيط عبد العزيز المعروف بعزوز من أولاد بنى عمر أمير عربان هوارة ووسط معه جماعة من أقاربه وهم يعقوب بن سليمان وموسى بن عبد الله وموسى بن أبى الاسون وعلى أخو عزوز ومحمد بن بشارة فكانت آجالهم متقاربة من بعضها وفيه بلغ سعر الارز الى ستة أشرفية كل أردب ولا يوجد ثم عز جدا حتى تناهى سعره الى اثنى عشر دينارا كل أردب حتى عد ذلك من النوادر وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من كبار المفسدين يقال له أحمد الدنف وله حكايات فى فن السرقة يطول شرحها وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان مسافرا فى التجريدة وقد حضروا من غير اذن من السلطان وقصدوا الاخراق بالاتابكى أزبك باش العسكر وهو بحلب فقال لهم الذى يقصد الرواح الى مصر يروح ويقابل أستاذه فسار وافى الدس ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وصار جماعة من المماليك الجلبان يقفون للامراء بالسلم المدرج ويقولون لهم قولوا السلطان ينفق علينا والا يقع منا فتنة كبيرة وصاروا يغلظون عليهم فى القول وصار القال والقيل عمالا كل يوم بينهم وبين الامراء والاشاعات قائمة بوقوع فتنة وقصدوا الاخراق بالامير اقبردى الدوادار غير مامرة حتى امتنع أياما من طلوع القلعة وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق القاضى زين الدين عبد الرحمن الحسبانى عوضا عن عماد الدين اسمعيل الناصرى بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى مكة المشرفة البرهان بن ظهيرة الشافعى وهو ابراهيم بن على ابن محمد بن حسين بن على بن أحمد وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم رئيسا حشما انتهت اليه رياسة مكة المشرفة وكان المرجع اليه بها ولما مات قرر فى قضاء الشافعية بمكة المشرفة ولده أبو السعود عوضا عنه وفيه كان دخول الاتابكى أزبك وبقية الامراء والجند ممن كانوا مسافرين فى التجريدة الى على دولات والى عسكر ابن عثمان فلما دخلوا الى القاهرة كان لهم يوم مشهود وقدامهم الاسرا من عسكر ابن عثمان وهم مجنزرين والصناجق منكسة وكان صحبتهم جماعة من أعيان أمرائه وهم بزناجير على خيولهم وصحبتهم أيضا باش عسكر ابن عثمان وهو أحمد بك بن هرسك وهو راكب وفى عنقه زنجير وقيل ان ابن هرسك كان أميرا كبيرا أتابكى ابن عثمان فلما عرضوا على السلطان وهو بالحوش عاتب أحمد بن هرسك ووبخه بالكلام ثم سلمه الى الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير ثم وزع بقية الاسراء على جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة ثم خلع على الاتابكى أزبك وعلى بقية الامراء ونزلوا الى دورهم وفى عقيب ذلك ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان ولبسوا آلة الحرب وأشهروا السلاح وكان ذلك فى سلخ الشهر المذكور فاضطربت الاحوال

ووزع أكثر الامراء والناس حوائجهم فى الحواصل وغلقت الاسواق والدكاكين وجاءت الزعر أفواجا أفواجا وقبل ذلك توجه جماعة من المماليك الجلبان الى بيت اقبردى الدوادار وتكلموا معه فى ان يتكلم مع السلطان بان ينفق عليهم فى تطير تعب سرهم بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم على عسكر ابن عثمان وسألوه أيضا فيمن يعمل مصالحهم فى مرتب اللحم والعليق فلما اجتمع اقبردى بالسلطان كلمه فى ذلك غير مامرة وهو مصمم على عدم اجابتهم الى ماسألوه فيه فلما عاد الجواب لهم بعدم الاجابة فى ذلك ثاروا عليه واتسعت الفتنة وغلقت الامراء أبوابها واستمر الحال على ذلك وفى ذى الحجة لم يطلع أحد من القضاة الى القلعة بسبب التهنئة بالشهر وكانت الفتنة قائمة كما تقدم ثم طلع الاتابكى أزبك الى القلعة واجتمع بالسلطان وكلمه فى أمر النفقة على المماليك وتلطف به فى القول فما أجاب الى ذلك الا بعد جهد كبير فتقرر الحال على أنه ينفق عليهم لكل مملوك منهم خمسون دينارا ثم نادى فى القاهرة بأن النفقة ستكون فى أول السنة الجديدة فخمدت هذه الفتنة شيأ قليلا وفيه جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الاتابكى أزبك وفرقت الاقاطيع الشاغرة عمن توفى فى هذه التجريدة من الجند وصار الاتابكى أزبك هو المشار اليه فى هذا الامر وفيه أنعم السلطان على اقباى بن جانم الظاهرى خشقدم بامرية عشرة وهى امرية أصباى السيفى قرقماس الشعبانى بحكم انه كان مريضا منقطعا فى داره وأنعم على أبى شعر بامرية عشرة وهى امرية قراكز بحكم عزله أيضا وفيه كانت الضحايا قليلة جدا ولاسيما الغنم وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فامتنع المماليك من أخذها وصمموا وقالوا ما نأخذ الا النفقة مع الجامكية ولا نصبر الى الشهر الآتى فلما رآهم قد صمموا على ذلك أنفق عليهم فاعطى المماليك الجلبان كل واحد منهم خمسين دينارا وأعطى القرانصة كل واحد منهم خمسة وعشرين دينارا ولم يعط الذين لم يتوجهوا نحو التجريدة المقيمين ووقع القال والقيل بسبب ذلك فلم يلتفت الى شىء من كلامهم وخمدت هذه الفتنة

❁ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت الاسعار متشحطة ومشطة فى سائر البضائع وتشحط الخبز من الدكاكين حتى بيع كل رطل من الخبز بنصف فضة وكانت أحوال الناس واقفة بسبب الفلوس الجدد حتى غلا سعر راوية الماء وعز وجود جمال السقائين وصار الغلاء فى المأكول والمشروب هذا والمماليك قد طغوا فى حق الناس وتزايد منهم الضرر الشامل والعربان قد تزايدت شرورهم فى البلاد من الشرقية والغربية وابن عثمان فى غاية التحرك على البلاد الحلبية والسلطان فى غاية الظلم والمصادرات للناس بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان ثانيا وصار العسكر فى أمر مريب بسبب ذلك والاشاعات قائمة بوقوع فتنة بين الجلبان وقد صاروا فرقتين فرقة مع قانصوه خمسمائة وفرقة مع

اقبردى الدوادار والاضطراب بينهما عمال وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وكان ملكا جليلا وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ورحمه حتى صار مفتيا في طبقة العلماء ومات وهو في عشر الخمسين من العمر فلما بلغ السلطان وفاته رسم بنقل جثته الى مصر ودفن على أبيه الملك الظاهر جقمق وشرع في أسباب ذلك وعين من يتوجه الى هناك ليحضره وفيه رسم السلطان بفك قيد أحمد بن هرسك الذى قد أسر وكذلك فك قيود من أسر من عسكر ابن عثمان وأخذوا في أسباب تجهيزهم الى بلادهم وقد أشيع أمر الصلح بين السلطان وابن عثمان وفيه اشتد أمر الغلاء جدا حتى بيع القمح كل أردب بستة أشرفية وبيعت البطة الدقيق بار بعمائة وخمسين درهما وبيع خبز الذرة ولم يظهر خبز الذرة فيما تقدم من الغلوات المشهورة حتى صنف العوام رقصة وهم يقولون

زو يحيى دى المسخره * يطعمنى خبز الدره

وصار يموت الكثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع ثم ان السلطان فتح عدة شون وباع منها القمح على حكم خمسة أشرفية كل اردب وصار المحتسب يضرب الكثير من السوقة على عدم بيع الخبز واظهاره على الدكاكين وفيه أنعم السلطان على مملوكه قيت الساقى بامرية عشرة وكذلك مغلباى الجمقدار وقرر قيت الرحبى جمقدارا عوضا عن مغلباى وفيه حضرت جثة الملك المنصور عثمان من ثغر دمياط ودفن على أبيه الظاهر جقمق بتربة قانى باى الجركسى وفيه قدم اينال الخسيف نائب صفد أحد مماليك السلطان فلما حضر أرسل السلطان خلعة وتقليدا الى يلباى حاجب دمشق وقرره فى نيابة صفد عوضا عن اينال الخسيف ثم بعد مدة قرر اينال الخسيف فى حجوبية دمشق عوضا عن يلباى بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن سوله الفارسكورى وكان من أعيان الشافعية من أهل العلم والفضل وكان لا بأس به وفيه توفى المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حلة وكان من مشاهير الوعاظ وله نظم جيد ومولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه انحل سعر القمح وبيع الاردب القمح بأربعة دنانير بعد ستة أشرفية بواسطة كثرة جلب الذرة وقد حصل للناس به غاية الرفق وفى صفر خسف جرم القمر وأظلم الجو ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة فلهج الناس بان زوال السلطان قد قرب وما كان شئ مما لهجوا به وأقام السلطان بعد ذلك مدة طويلة فكان كما قيل فى المعنى

لا تفعل الشمس شيأ ولا القمر * وعن خسوفهما لا يصدر الكدر

وفيه توفى الشيخ نظام الدين محمد بن الحيبغا الحنفى التركى وكان عالما فاضلا من أعيان

الناس وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس فى سعة من المعيشة وفيه يقول المنصورى

سبحان من من بحسن الكلام * على نظام الدين دون الانام

فلفظ أهل العلم در ولا * يزين ذاك الدر الا النظام

وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير قانصوه السيفى الاحمدى الاينالى الذى كان أحد المقدمين ونفى الى دمياط ثم نقل الى مكة المشرفة فمات بها وجرى عليه شدائد ومحن وكان من أعيان طائفة الاينالية وهو الذى تعصب للاشرف قايتباى حتى تسلطن فما ناله منه خير كما يقال

رب من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقيل انه كان يقول فى مجالس بسطه لولا أنا ما فرح قايتباى بالسلطنة قط فلما سمع السلطان قايتباى ذلك جرى على قانصوه ما الاخير فيه وكان يطلق لسانه فى حق السلطان بما لا يليق فحقد عليه السلطان بسبب ذلك كما قيل فى المعنى

وقد يرجى لجرح السيف برء * ولا برء لما جرح اللسان

وفى ربيع الاول توفى الامير ملاج اليوسفى نائب القلعة وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان دينا خيرا رئيسا حشما عاقلا عارفا بفنون الفروسية وكان لا بأس به وفيه تعدى شخص من العوانية واحتكر بيع الملح وضمنه بمكس ولم يكن يعهد ذلك من قبل فلما جرى ذلك نشفت الملاحة فى تلك السنة حتى عز وجود الملح جدا وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وفى ربيع الآخر توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى عبد العظيم السدار الذى كان يبيع السدر والحناء عند الغرابليين وكان للناس فيه اعتقاد زائد وهو عبد العظيم بن ناصر الدين بن خاف المصرى ومولده بعد العشرين والثمانمائة وفيه توفى الشيخ محيى الدين عبد القادر الفرضى وكان علامة فى الفرائض وهو عبد القادر ابن على بن شعبان القاهرى الحنفى وكان امام جامع أصلان وفى جمادى الاولى توفى الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر البلقينى الشافعى وكان فاضلا ناب فى الحكم وكان محمود السيرة وفيه جاءت الاخبار من عند الامير اقبردى الدوادار بانه قد انتصر على العرب الاحامدة وكان توجه الى بلاد الوجه القبلى بسبب ذلك فقتل منهم ما لا يحصى وأسر نساءهم وأولادهم وبعثهم الى مصر وباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج ووقع لاقبردى مع الاحامدة أمور غريبة يطول شرحها وعذب جماعة منهم بالدفن فى التراب وهم أحياء ونوع لهم العذاب تنويعا وقد طهر بلاد الصعيد منهم وكانوا أظهروا الفساد بها جدا وفيه توفى القاضى سراج الدين عمر بن حريز المالكى وهو عمر بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن محرز الهاشمى القرشى العلوى الحسنى المنفلوطى المالكى وكان عالما فاضلا دينا خيرا وتولى قضاء المالكية بعد أخيه حسام الدين وجرى عليه شدائد ومحن وعزل عن القضاء ودام معزولا

حتى مات وفيه اقتتن طائفتان من الزعر ووقع بينهم أمور وشدائد يطول شرحها وصار يقتل بعضهم بعضا جهارا حتى أعيا الوالى أمرهم وفى جمادى الآخرة توفى برديك طرخان الظاهرى جقمق وكان انسانا حسنا لا بأس به وكان بيده امرية عشرة وأ كانها وهو طرخان وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قناطر بنى منجا فخرج البدرى حسن بن الطولونى ومعه جماعة من البنائين والمهندسين بسبب العمارة وصرف على ذلك نحوا من سبعة آلاف دينار وكانت هذه القناطر قد تشعثت وآلت الى السقوط فتداركـ السلطان ذلك وجاءت من أحسن البناء وفيه توفيت ست الخلفاء بنت الخليفة المستنجد بالله سيدى يوسف وكانت بارعة فى الحسن فكثر عليها الحزن والاسف من الناس وكانت أمها بنت قاضى القضاة البلقينى وكان عقد لها على الامير خشكلدى البيسقى ثم فسخ العقد قبل الدخول ثم تزوج بها كاتب السر ابن مزهر ثم تزوجت بالقاضى قطب الدين الخيضرى ثم تزوجت بعده بالسيد الشريف اسحاق البردينى وماتت تحته وكان مولدها سنة ستين وثمانمائة وفيه فى يوم الجمعة كان عقد قانصوه خمسمائة على بنت الاتابكى أزبك من خوند بنت الظاهر جقمق عقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأعيان الناس وكان عقدا حافلا وأحضر السلطان عدة زبادى صينى فيها سكر ومشننات فاكهة فرقت فى القلعة فكان كما قيل

على أيمن الساعات عقد مبارك * بهى كما شاء الاله وأظهرا
سنى المعالى يسرت حركاته * اذا الله سنى عقد أمر تيسرا

وفيه جاءت الاخبار بان جانم الاجرود الاينالى كاشف منفلوط قد فر الى بلاد النوبة وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ففر من الخوف على نفسه وأقام مدة وهو هارب حتى بعث السلطان له بالامان وفى رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر أمر السلطان بالقبض على جماعة القاضى الشافعى زين الدين زكريا فقبض على علاء الدين الحنفى النقيب وعلى أمين الحكم الصابونى وعلى جماعة من الجباة ووكل بهم لعمل الحساب لاجل أوقاف الشافعية التى تحت نظر قاضى القضاة الشافعى فاستمروا فى الترسيم بسبب هذه الواقعة نحوا من ثلاث سنين والسلطان يتغافل عنهم وفيه خلع السلطان على القاضى نور الدين الحساوى وأعاده الى قضائه بجلب عوضا عن ابن الشحنة أبى البقاء وفيه توقف النيل عن الزيادة اثنى عشر يوما متوالية الى تاسع أبيب فزاد قلق الناس بسبب ذلك ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمرت الى أن وفى وفيه كان دخول قانصوه خمسمائة على بنت أزبك أمير كبير فحمل الجهاز من الازبكية الى دار قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع فلما شق من القاهرة كان له يوم مشهود وكانت الحمالون التى تشيل الامتعة زيادة على أربعمائة حمال وقيل

صرف على هذا الجهاز نحو من مائتى ألف دينار ولما كانت ليلة العرس عمل بالازبكية وكان مهما حافلا ثم ان قانصوه خمسمائة ركب من باب السلسلة ومشت قدامه الامراء المقدمون بالشاش الذى يلبس فى الجمعة والاعياد وكذلك الخاصكية وبأيديهم الشموع الى أن وصل الى الازبكية وعد هذا الزفاف من النوادر الغريبة لكن حصل للناس فى تلك الليلة غاية الضرر من الجلبان وخطفوا العمائم وضربوا جماعة من الامراء المقدمين وخطفوا الشمع من أيدى الخاصكية وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت أن تكون فتنة كبيرة وفيه رسم السلطان لكسباى المحتسب بان تجمع له أعيان التجار الذين بالاسواق فلما عرضوا على السلطان قال لهم ساعدونى بشئ على خروج التجريدة ثم فرض عليهم أربعين ألف دينار فضجوا من ذلك وقالوا ما نقدر على هذا القدر فما زال يحط عنهم من ذلك القدر والتجار يقولون ما نقدر على ذلك فلما طال الامر بينهم وبين السلطان تقرر الحال على أن يوردوا اثنى عشر ألف دينار اذا خرجت التجريدة وانفض المجلس على ذلك وفى شعبان توفيت فاطمة بنت الجمالى يوسف ناظر الخاص التى كانت زوجة الامير خاير بك سلطان ليلة وكانت رئيسة حشمة لا بأس بها وفيه توفى الشيخ تاج الدين ابن قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وكان تولى بعد أبيه مشيخة الجامع المؤيدى وكان عالما فاضلا أخذ العلم عن أبيه ومولده سنة خمس وثمانمائة وفيه كان وفاء النيل المبارك فى ثانى عشر مسرى وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه قرر السلطان قرقماس بن ولى الدين فى امرية الاخورية الثانية وكانت شاغرة مدة وقرر فى باشية الجندبكة المشرفة أزدمر الاشرفى برسباى عوضا عن شاد بك أمير اخور الظاهرى بحكم وفاته وفى رمضان خلع السلطان على الشيخ بدر الدين بن الديرى وقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن عمه تاج الدين فاقام بها مدة يسيرة وسعى عليه محيى الدين عبد القادر ابن الدهانة الحنفى فقرره السلطان بها وقد أوردما لا له صورة وفيه وصل الامير اقبردى الدوادار وكان مسافر انحو الوجه القبلى بسبب فساد عربان طائفة الاحامدة وقد تقدم ماجرى عليهم منه وفيه خلع السلطان على الشيخ بدر الدين ابن قاضى القضاة صلاح الدين المكينى وقرره فى مشيخة الخشابية عوضا عن الشيخ فتح الدين محمد بن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى الشافعى بحكم وفاته فى شهر رجب وقد سعى فيها بدر الدين المكينى بمال له صورة حتى قرر بها وفيه توفى القاضى عبد الغفار الميدومى الشافعى أحد نواب الحكم وكان لا بأس به وفيه كان ختم قراءة البخارى الشريف بالقلعة وكان بالحوش كالعام الماضى وفرقت الصرر على الفقهاء بحكم النصف وقطعت صرر من له خلع وقد شح السلطان فى الايام التى خلت فى الشهر المذكور جدا وفى شوال جاءت الاخبار بوفاة نائب الشام قجماس الاسحاقى الظاهرى وكان

دينا خيرا في غاية الاحتشام مع لين جانب وكان انسانا حسنا لا بأس به وهو الذى أنشأ
المدرسة التى عند الدرب الاحمر بقرب سوق الغنم وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة
غير ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة فأمر بنفيه الى الكرك
فشفع فيه أزبك الامير الكبير ورده من الخانقاه فعزل من الولاية وقرر في امرية عشرة
وفيه توفى الجلال أبو البقاء ابن الشحنة الحلبى الشافعى قاضى القضاة بحلب وكان عالما
فاضلا تقلد بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وكان والده حنفى المذهب فقدم
الى القاهرة معزولا ومات بها وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان خلف قانصوه
اليحياوى الذى كان نائب الشام الذى كان بالقدس الشريف وهو معزول بسبب ما تقدم
ذكره فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره في نيابة الشام عوضا عن قجماس الاسحاقى
بحكم وفاته وفيه خلع السلطان على مغلباى الشريفى الذى كان استادار صحبة وقرره في
ولاية القاهرة عوضا عن يشبك بن حيدر ثم بعد مدة طويلة خلع على اسباى المبشر وقرره
في استادارية عوضا عن مغلباى وفيه جاءت الاخبار بفرار شاه بضاع بن دلغادر وكان
مسجونا بقلعة دمشق فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية ورسم بشنق نائب قلعة
دمشق ثم جاءت الاخبار بأن شاه لما فر من قلعة دمشق توجه الى ابن عثمان فأكرمه وأقام
عنده الى أن كان من أمره ما سنذكره في موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير
المحمل ازدمر تمساح وبالركب الاول خاير بك كاشف المحلة وفيه توفى مجد الدين اسماعيل
الشطرنجى وكان علامة في نقل الشطرنج وجيها عند الامراء كثير العشرة للناس ومولده
بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه تغير خاطر السلطان على موفق الدين بن القمص الاسلمى
ناظر الدولة فضربه بالمقارع بين يديه بالحوش وسلمه للامير أقبردى الدوادار ثم خلع السلطان
على شرف الدين بن البدرى حسن وقرره في نظر الدولة عوضا عن موفق الدين الاسلمى وفى
ذى القعدة جاء قاصد من عند ملك الغرب صاحب الاندلس وعلى يده مكاتبة من مرسله
تتضمن أن السلطان يرسل له تجريدة تعينه على قتال الفرنج فانهم أشرفوا على أخذ
غرناطة وهو في المحاصرة معهم فلما سمع السلطان ذلك اقتضى رأيه أن يبعث الى القسوس
الذين بالقمامة التى بالقدس بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من أعيانهم الى ملك الفرنج
صاحب نابل بأن يكاتب صاحب اشبيليه بأن يحل عن أهل مدينة غرناطه ويرحل عنهم
والا يشوش السلطان على أهل القمامة ويقبض على أعيانهم ويمنع جميع طوائف الفرنج
من الدخول الى القمامة ويهدمها فأرسلوا قاصدهم وعلى يده كتاب الى صاحب نابل كما
أشار السلطان فلم يفد ذلك شيأ وملك الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد وفيه توفى
الشهاب الابشيهى أحمد بن محمد المحلى الشافعى وكان عالما فاضلا وناب في الحكم مدة طويلة

وكان

وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس وفيه توفى أزبك الاشرفى أحد الامراء العشروات وكان لا بأس به وفيه كان علف الدواب غاليا ففرق السلطان الاضحية على الامراء والجند قبل عيد النحر بخمسة وعشرين يوما فعد ذلك من النوادر وفى ذى الحجة فى سابع عشره خرج قانصوه اليحياوى الى نيابة الشام وفيه سقطت قبة جامع القلعة على المحراب والمنبر وقتل تحتها بواب الجامع وولده فرجت له القلعة وخرج السلطان وهو ماش حتى يرى ماسقط فى الجامع وكان ذلك قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام فأمر السلطان بشيل الاتربة من الجامع ثم أخذ فى أسباب عمل قبة غيرها فجدد هذه القبة الموجودة الآن وجدد المنبر وكان قبل ذلك من الخشب فجعله من الرخام الملون وجدد عمارة الميضأة التى بالجامع فجاءت من أحسن البناء وفيه خلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له سيباى ابن بخت جاوقرره فى نيابة سيس عوضا عن قانصوه الجمالى بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على الجمالى يوسف كاتب المماليك وأخذ منه تسعة آلاف دينار وجدت عليه وعلى والده أبى الفتح نائب جدة أمور يطول شرحها حتى آل أمره الى ذهاب عقله واعتراه جنون وفيه قويت الاشاعات بثوران فتنة من المماليك الجلبان وكثر القال والقيل فى ذلك ونقل غالب الامراء وأرباب الدولة أمتعتهم من الدور خوفا من النهب عند وقوع الحركة فلما تزايد الكلام فى ذلك صلى السلطان صلاة الجمعة ثم بعد الصلاة جلس بالحوش ثم أحضر أغوات الاطباق وأعيان المماليك الجلبان وكلمهم كلاما كثيرا ووبخهم بالكلام حتى قال ان كان قصدكم قتلى فدونكم ذلك فاستغفروا الله ثم آل الامر الى صلحهم مع السلطان وسكون هذه الفتنة قليلا فلما خرجوا من عنده عادوا لما كانوا عليه من ثوران الفتنة حتى أشيع بين الناس أن السلطان قد تهيأ للفرار بنفسه ولم يعلم أين يتوجه وقد تزايد القول فى ذلك فكان كما يقال

لعمرى ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم فى أمر مريج وكانت الاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والاشاعات قائمة برجوع عسكر ابن عثمان وزحفهم على البلاد الحلبية والاشاعات قائمة بثوران فتنة كبيرة بمصر بين الجلبان والامراء واقفة والسلطان ناظر الى الظلم واخذ أموال الناس والامر لله

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم سافر قانصوه اليحياوى الى الشام وقد تقدم أنه تقرر فى نيابة الشام فخرج فى موكب حافل وفيه سمح خاطر السلطان بأن ينفق على مماليكه توسعة على نزول خيولهم من الربيع فأعطى لكل مملوك عشرة دنانير والقرانصة خمسة دنانير والسيفية ثلاثة دنانير فصرف فى هذه الحركة جملة مال له صورة

وفيه جاءت الاخبار بقتل حسن بن سليمان بن عيسى بن عمر الهوارى أخى داود بن عمر أمير هوارة قتله بعض أعدائه من العربان وكان شابا حشما لا بأس به وفيه توفى جانى بك حبيب العلائى الاينالى أحد الامراء الطبلخانات وأمير اخور ثانى وكان رئيسا حشما حلو اللسان حسن العبارة سيوسا دربا عارفا فصيح اللسان بالعربى توجه قاصدا الى يعقوب بن حسن الطويل ثم توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان مقبول الشكل حسن الوجه ومات ولم يظهر الشيب بلحيته وجرى عليه شدائد ومحن فى دولة الظاهر خشقدم وفر الى بلاد الغرب وأقام بها حتى توفى الظاهر خشقدم فعاد الى مصر وصار له خصاصة بالاشرف قايتباى وفيه توفى بيبرس اليوسفى الظاهرى أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه بلغ سعر الراوية من الماء نحو ثلاثة أنصاف وذلك بسبب عدم وجود الجمال لتسلط المماليك الجلبان على السقائين لاجل الدريس فحصل للناس غاية المشقة بسبب ذلك وفيه وصل الحاج الى القاهرة وكان أشيع عنهم أمور شنيعة فظهر أن ذلك كذب وكان أشيع عنهم أن طائفة عربان الاحامدة قد استولوا على الحجاج ولم ينج منهم أحد وفيه جاءت الاخبار بان ابن عثمان أرسل عسكرا عظيما وقصد محاربة عسكر مصر فتنكد السلطان لهذا الخبر وفيه حضر خضر بك نائب القدس فضرب بين يدى السلطان ضربا مؤلما وأقام بالترسيم حتى أورد مالا له صورة وكانت كثرت فيه الشكاوى عند السلطان وآل أمره الى أن عزل عن نيابة القدس وفيه قرر السلطان دقماق السيفى اينال الاشقر فى نيابة القدس عوضا عن خضر بك بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الجركسى وكانت وفاته فى ليلة رابع عشر الشهر المذكور فلما بلغ السلطان ذلك أخذ فى أسباب احضار جثته الى القاهرة ودفنه على أبيه الاشرف اينال وكان المؤيد هذا رئيسا حشما قليل الاذى وجرى عليه شدائد ومحن ونفى الى الاسكندرية ودام بها الى أن مات وهو فى عشر الخمسين وفيه وقع من الوقائع الغريبة أن محب الدين أبا الطيب الاسيوطى بلغه أن السلطان تغير خاطره عليه وقصد الاخراق به فلما تحقق ذلك توجه الى المقياس وألقى نفسه فى البحر عمدا فغرق ومات وكان عالما فاضلا من ذوى العقول رئيسا حشما وجيها عند الامراء وأرباب الدولة وكان من أعيان موقعى الحكم وكان عارفا بأمور صنعة التوقيع وكان اسمه محمد بن محمد بن على بن عمر بن حسن القاهرى الشافعى ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ولكن هانت عليه نفسه لما تأمل ما سوف يجرى عليه وكان له أعداء كثيرة فخاف على نفسه من السلطان فكان كما قيل فى المعنى

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وفى ربيع الاول قرر السيد الشريف موفق الدين الحموى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن محيى الدين عبد القادر بحكم وفاته وقرر ولده عبد الرحيم فى كتابة السر بدمشق وفيه قرر ايدكى الاشرفى فى نيابة القلعة بدمشق عوضا عن على بن جاهين بحكم صرفه عنها وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة فى العام الماضى وفيه أحضر السلطان بترك النصارى ورئيس اليهود وقرر على طائفة اليهود والنصارى مالا له صورة بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان وهذا أول فتح باب المصادرات للناس وفيه قرر السلطان بركب المحمل جان بلاط الاشرفى الخاصكى أحد الدوادارية وقرر بالركب الاول كرتباى كاشف البحيرة وفيه أنعم السلطان على مملوكيه وهما قانصوه الالفى وقانصوه الشامى بتقدمة ألف وفيه من الحوادث أن السلطان رسم بتوسيط مجد الدين ابن البقرى وقد جرى عليه شدائد وسجن بالمقشرة زيادة على ست سنين وكان السلطان يكرهه طبعا وقد بلغه أن مجد الدين هذا المقتول يشبك الدوادار أظهر الشماتة به وتخلق عياله بالزعفران وكان حصل له مع يشبك كائنة عظيمة فلما فرح به وأظهر السرور بلغ السلطان ذلك فنأثر منه وجرى له ما جرى وكان مجد الدين رئيسا حشما ولى الاستادارية غير ما مرة وكذلك الوزارة وكان أصله من القبط واسمه شاكر بن علم الدين ووسطوه ببركة الكلاب ثم حملوه الى تربة ابن عمه يحيى فدفن بها وكان عنده عنف وظلم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر برسباى قرا فى امرية مجلس عوضا عن ازدمر قريب السلطان بحكم عوده الى نيابة حلب وكانت امرية مجلس شاغرة فى هذه المدة وقرر تغرى بردى ططر فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن برسباى قرا وقرر تانى بك الجمالى فى حجوبية الحجاب عوضا عن تغرى بردى ططر بحكم انتقاله وقرر يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة أميراخور ثانى عوضا عن جانى بك حبيب وكان بيده امرية طبلخانات وقرر شادبك بن مصطفى المعروف بالحوخ فى نيابة القلعة عوضا عن ملاج بحكم وفاته وفى ربيع الآخر خلع السلطان على اسنباى المبشر الاشرفى وقرره فى الاستادارية الصحبة عوضا عن مغلباى بحكم انتقاله الى ولاية الشرطة وقرر اينال الفقيه الظاهرى فى الحجوبية الثانية عوضا عن تانى بك الابناسى وكانت هذه الوظيفة شاغرة وقرر كرتباى ابن أخت السلطان فى معلمية الدلالين وهى وظيفة تاجر المماليك عوضا عن قانصوه الشامى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه أنعم السلطان بامريات عشرة على جماعة من خاصكيته منهم قانصوه السيفى اقبردى وقانصوه بن فارس المعروف بقرا ودولات باى الفلاح وجان بلاط الغورى وسودون العجمى واصطمر بن ولى الدين وآخرون وفيه صرف شرف الدين بن البدرى حسن عن نظر الدولة وضرب بين يدى السلطان وخلع على قاسم

شغيتة وأعيد الى نظر الدولة وفيه من الحوادث أنه فى يوم الخميس عاشره جلس السلطان
على الدكة بالحوش على العادة فثارت ريح عاصف فوقعت من شدتها السحابة التى بالحوش
فاصابت جماعة من الامراء وجرح تانى بك الجمالى حاجب الحجاب فى وجهه وقد وقع عامود
السحابة التى بالحوش عليه وجرح أيضا دولات باى الحسنى وطاحت خفائف الامراء
وعمائم المباشرين فقام السلطان من وقته ودخل الى البحرة وتهارب العسكر وظنوا أنها
القيامة وهرب الفراشون أصحاب النوبة خوفا على أنفسهم من السلطان وقد أظلم الجو ظلمة
شديدة وقام رعد وبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى جرى السيل فى الاسواق والشوارع
وكان يوما مهولا وفيه جاءت الاخبار من سيس بان فى ذلك اليوم وقعت بها صاعقة مهولة
هدمت سور قلعتها وقتل بها من الناس جماعة وفيه توفى شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى
أخو مجد الدين شقيقه وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها نظر الاصطبل ونظر
الاوقاف ونظر الدولة وكان وجيها عند الناس حسن الهيئة وكان بين موته وموت أخيه
نحو من شهر وقيل مات مسموما وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان
جهز عسكرا وقد وصل الى ادنة فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى بالعرض
لحضر الاتابكى أزبك باش العسكر فكتب بحضرته من الجند نحوا من أربعة آلاف مملوك
وعين من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن
ستين أميرا حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد بلغ السلطان أن ابن عثمان جمع
من العساكر ما لا يحصى فلما عرض الجند وعين الامراء أخذ فى أسباب تفرقة النفقة ثم انه
عين ثلاثة من الخاصكية بان يسيروا على الهجن لكشف أخبار ابن عثمان وما يكون من
أمره واستحثهم على الخروج ورد الجواب عليه بسرعة ثم عين اقبردى الدوادار وكاتب السر
أن يتوجها الى جبل نابلس بسبب جمع العشراوات من جبل نابلس وفيه جاءت الاخبار
بان يعقوب بن حسن الطويل وقع بينه وبين صاحب هراة من الفتن ما لا يعبر عنه وآل أمره
الى كسرة يعقوب وانهزامه وقتل من عسكره ما لا يحصى فشق ذلك على السلطان وفيه
قرر السلطان شرف الدين بن البدرى حسن فى نظر الاوقاف عوضا عن شرف الدين بن
البقرى بحكم وفاته وقد وليها ابن البدرى حسن غير ما مرة وفيه تغير خاطر السلطان على
الامير دولات باى الحسنى وأمر بنفيه الى مكة فخرج الى الخانقاه ثم طلع أزبك الامير الكبير
وشفع فيه حتى عاد الى داره وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الابراهيمى الطويل الاشرفى
نائب صفد ثم دوادار السلطان بحلب وكان لا بأس به وقرر بدوادارية السلطان بحلب
اركماس بن ولى الدين عوضا عن دوادار السلطان بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار من
حلب بان عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة اياس من غير قتال ولا مانع فتنكد

السلطان

السلطان لهذا الخبر وفى جمادى الآخرة بعث السلطان نفقات الامراء المقدمين والعشراوات فبلغت النفقة على الامراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار والامراء المعينون الى التجريدة كما تقدم هم الامير الكبير أزبك وغراز أمير سلاح وبرسباى قرا أمير مجلس وقانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وتغرى بردى ططر رأس نوبة النوب وتانى بك الجمالى حاجب الحجاب ومن الامراء المقدمين غير أرباب الوظائف أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك قرا الاينالى ويشبك الجمالى السيفى ناظر الخاص وقانصوه الالفى وقانصوه الشامى ونحو من خمسين أميرا من الامراء الطبلخانات والعشراوات ثم أنفق على الجند على العادة فكانت جملة النفقة على الامراء والجند نحوا من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر ولم يسمع فيما تقدم من الدول الماضية أن أحدا من السلاطين فعل مثل ذلك وكانت نفقة أزبك الامير الكبير وحده ثلاثين ألف دينار وكانت عادة نفقة الاتابكية الى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط فكان كما قيل

تهب الالوف ولا تهاب ألوفها * هان العدو عليك والدينار

فلما أخذ المماليك النفقة أطلقوا فى الناس النار وأخذوا البغال والخيول حتى أكاديش الطواحين وحصل منهم الضرر الشامل فى حق التجار وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب باستيلاء الفنش صاحب قشتيلة على مدينة مالقة من بلاد الاندلس وكانت كائنة عظيمة وقعت هنالك وفيه كان خروج أزبك أمير كبير ومن عين معه من العسكر وكان يوما مشهودا واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى ما بعد الظهر وخرج العسكر وهم لابسون آلة السلاح حتى عد ذلك من النوادر وكان طلب أزبك أمير كبير وقانصوه خمسمائة غاية فى الحسن حتى قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحوا من ثمانين ألف دينار ثم ان الامراء برزوا ونزلوا بالريدانية واستمروا هنالك الى أن رحلوا ولم تخرج من مصر تجريدة أعظم من هذه لا فى زمن الظاهر برقوق ولا غيره وفيه قبض السلطان على أبى الفتح المنوفى نائب جدة ورسم عليه بطبقة الزمام وكان حصل له ماليخوليا وطرف جنون ثم خلع على جاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح ثم أمر السلطان بتوجه أبى الفتح الى البيمارستان فانه لما أحضره السلطان وكلمه رد له جواب من فى عقله خلل فأمر بضربه بالمقارع فشفع فيه بعض الامراء وشهد جماعة من المباشرين بأنه قد حصل له ماليخوليا وأمر بأن ينزلوا به الى البيمارستان وهو ماش مكشوف الرأس عريان وفى عنقه زنجير ورسم بأن يدعوه عند المجانين ففعلوا به ذلك فأقام بالبيمارستان أياما ثم شفع فيه فعاد الى طبقة الزمام وأقام فى الترسيم وكان أبو الفتح فى خدمة السلطان مذ هو شاد

الشراب خاناه وكان عنده من المقربين ثم غربه ووقع له أمور يطول شرحها وفيه توفى
برسباى الطلاشى الشمسى الظاهرى أحد العشراوات وكان من خشداشى السلطان
وكان لا بأس به وفى رجب بلغ السلطان أن العربان قالت ان مصر ما بقى بها من العسكر
الا قليل وزاد طمعهم فى الترك فرسم السلطان لمن بقى بالقاهرة بأن يركبوا فى كل يوم أحد
وأربعاء ويتوجهوا نحو المطرية ويعودوا ويشقوا من القاهرة وفى أوساطهم السيوف
والطراكيش فصاروا يفعلون ذلك فى كل يوم أحد وأربعاء ويدخلون من القاهرة أفواجا
أفواجا وتقعد الناس على الدكاكين لرؤيتهم فأقاموا على ذلك مدة ثم بطل وفيه كان
انتهاء القبة التى جددها السلطان بالجامع بالقلعة عوضا عن التى سقطت وجدد المنبر فجا آ
من أحسن ما يكون من البناء وفيه من الحوادث أن السلطان جدد مظلمة شنيعة وهو أنه
أرسل لكشاف الغربية والشرقية بأن يأخذوا من البلاد الخمس من خراج المقطعين
بسبب تجهيز خيالة من الشرقية من عربانها العشير يتوجهوا نحو العسكر عونة بسبب قتال
عسكر ابن عثمان فحصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض الفلاحين ونسب ذلك
الى شرف الدين بن البدرى حسن فانه كان هو القائم فى ذلك فوعدته المماليك الجلبان بالقتل
ونهبوا بيته فيما بعد وقد جبى الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين ولم تخرج
خيالة من الشرقية وكانت زيادة مظلمة أخرى وفيه وصل الزينى أبو بكر بن مزهر كاتب
السر وقد تقدم القول أنه خرج الى نابلس صحبة الامير اقبردى الدوادار بسبب جمع
العشير من جبل نابلس لاجل التجريدة الماضى ذكرها فحضر وهو متوعك فى جسده فلم
يقابل السلطان ولا طلع الى القلعة واستمر ملازم الفراش حتى مات كما سيأتى الكلام على
ذلك وفيه وصل قاصد ملك الفرنج الانكيروس من بنى الاصفر وصحبته هدية حافلة
للسلطان فاكرمه وأنزله فى مكان أعدله وفيه توفى دولات باى بن مصطفى الاشرفى المعروف
بالاجرود نائب غزة ثم بقى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ
شمس الدين محمد بن قاسم بن على الشافعى شيخ مدرسة كاتب السر بن مزهر التى أنشأها
بحارة برجوان وكان من أهل العلم والفضل وله شهرة بمصر وكان لا بأس به وفيه جاءت
الاخبار بوفاة تغرى بردى ططر التمشى الظاهرى جقمق رأس نوبة النوب توفى بحلب وكان
من أجل الامراء وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة القلعة بمصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى
حاجب الحجاب ثم بقى رأس نوبة كبير ومما وقع له ان الامراء كلهم خرجوا بالاطلاب ما عداه
فانه خرج من غير طلب فلما طلع الى القلعة مقته السلطان بسبب ذلك فقال له تغرى بردى
ططر لا تمقتنى ولا أمقتك أنا ما بقيت أرجع من هذه السفرة وكان الامر كذلك كما يقال ان
البلاء موكل بالمنطق وفيه جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان بعث عدة مراكب

من

من البحر وهى مشحونة بالسلاح والعسكر وقد وصلت الى جهة باب الملك ليقاطع بها على العسكر المصرى فسلم له ذلك وخذله الله تعالى وكانت النصرة لعسكر مصر كما سيأتى ذكره وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى حادى عشر مسرى فتوجه اقبردى الدوادار وفتح السد على العادة ولم يقع لاقبردى أنه نزل وفتح السد غير هذه السنة بموجب غياب الامير الكبير وبقية الامراء وكان يوما مشهودا وفيه خلع السلطان على فارس المنصورى وقرره فى نيابة دمياط عوضا عن شادبك الاشقر بحكم صرفه عنها وفى ثالث رمضان كانت وفاة الزينى أبى بكر بن مزهر كاتب السر بالديار المصرية وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بمزهر الدمشقى الانصارى الشافعى وكان عالما فاضلا عارفا بالفقه رئيسا حشما انتهت اليه رياسة عصره وكان وجيها عند الملوك والسلاطين وتولى من الوظائف السنية عدة منها نظر الاصطبل ونظر الجيش وكتابة السر ودام بها نيفا وعشرين سنة حتى مات وهو مقرر بها وتكلم فى وظيفة قضاء الشافعية مدة ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وكان قد شاخ وكبر سنه فلما مات رثيته بهذين البيتين من قصيدة قلتها فيه

صارت مرامله كثل أراملى * تبكى بأعينها دما وتترب
وكذا الدواة تسودت أقلامها * حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

وكانت جنازته مشهودة وغطى نعشه برقعة من الصوف فلما توفى خلع السلطان على ولده المقر البدرى محمد وقرره فى كتابة السر بمصر عوضا عن أبيه بحكم وفاته وذلك فى يوم الخميس سادس عشره وأخذ منه مالا له صورة حتى تولى هذه الوظيفة وكان شابا فى عشر الثلاثين لما قرر فى كتابة السر وكان السلطان محتفلا به فاستخلص منه أموال أبيه بحسن عبارة ولما تولى كتابة السر قلت فيه هذين البيتين

تشرف ذا الانشا من آل مزهر * بنجل سما قدرا وشاع له ذكر
أضاءت به الايام فى مصر بهجة * ولم لا وقد أضحى يلوح لها البدر

وفيه جاءت الاخبار أن أزبك الامير الكبير ملك باب الملك واستخلصه من أيدى عسكر ابن عثمان بعد أن أتوا اليه فى ستين مركبا وهى مشحونة بالسلاح والمقاتلين فتملق العسكر من ذلك وانقطعت قلوبهم وظنوا انهم هم المأخوذون فبينما هم على ذلك اذ بعث الله تعالى بريح عاصفة فغرق غالب تلك المراكب فى البحر الملح والذى فر من البحر من العسكر العثمانى وطلع الى البر قتله العسكر المصرى وكانت النصرة لهم على العثمانية وكانت على غير القياس فلما تحقق السلطان هذا الخبر سر به ولم يصدق بذلك وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بوفاة صاحب تونس السلطان المتوكل على الله عثمان بن محمد بن محمد ابن العزيز أحمد الهنانى

الموحدى وكان ملكا جليلا أقام فى الملك نحوا من أربع وخمسين سنة ومات وهو فى عشر التسعين سنة ومما مدحه به بعض شعراء الغرب

بقيت ولا أبقى لك الدهر حاسدا * فانك فى هذا الزمان فريد

على الملك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

ولما توفى تولى بعده ولد ولده يحيى المعروف بالحفيد فلم تطل أيام مدته وقتل واستطال عليه أعمامه وفيه جاءت الاخبار بوفاة سيباى بن تانى باى الطيورى الظاهرى نائب حماه وكان لا بأس به وفيه ورد الخبر من أزبك الامير الكبير بأنه فى ثامن رمضان وقعت معركة عظيمة بين عسكر مصر وعسكر ابن عثمان فقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان ممن قتل من أمراء مصر دولات باى الحسنى رأس نوبة ثانى أصيب بمدفع وقتل من مماليك السلطان عدة وافرة ومن العسكر العثمانى أكثر وقد هزموا العثمانية وغنم منهم عسكر مصر أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بدق البشائر بالقلعة سبعة أيام وفى شوال وصل مغلباى البجمقدار أحد الامراء العشراوات من مماليك السلطان وصحبته عدة رؤس قطعت من عسكر ابن عثمان وكانت نحوا من مائتى رأس فشق مغلباى من القاهرة وقدامه تلك الرؤس وهى على الرماح وكان له يوم مشهود فخلع عليه السلطان ونزل فى موكب حافل ثم أخبر بوفاة مغلباى الفهلوان المحمدى الاشرفى الاينالى أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكانت وفاته بحلب وكان عارفا بفن الصراع علامة فيه وفيه جاءت الاخبار بان العسكر العثمانى بعد ما حصلت له هذه الكسرة عاد أيضا الى أدنة وأن العسكر المصرى شرع فى حصارهم بها وقد تمادى الامر فى ذلك حتى أخذت بعد مضى ثلاثة أشهر وقتل فى مدة هذه المحاصرة من الفريقين ما لا يحصى وآل الامر الى أخذها بالامان وجرى فى ذلك أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جان بلاط الخاصكى أحد الدوادارية وبالركب الاول كرتباى الكاشف وحج فى تلك السنة داود بن عمر أمير عربان هوارة وفيه توفيت دولات باى الجركسية سرية الظاهر جقمق وهى زوجة برقوق نائب الشام وكانت دينة خيرة لا بأس بها وفيه أرسل السلطان خلعة الى اينال الخسيف باستقراره فى نيابة حماه وقد سعى له أزبك الامير الكبير فى ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانم دهيشة بن ازدمر الاشرفى الخاصكى الساقى أحد خواص السلطان خرج الى دمشق فى بعض مهمات السلطان بدمشق فمات بها وكان شابا جميل الصورة حسن الشكل لا بأس به وفيه أعيد زين الدين الحسبانى الى قضاء الحنفية بدمشق وصرف عنها مجد الدين الناصرى وسجن بقلعة دمشق وفيه توفى الناصرى محمد بن محمد بن سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان رئيس الحشمة من

مشاهير أولاد الاسياد وفى ذى القعدة توفى القاضى خير الدين الشنشى محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن موسى القاهرى الحنفى وكان من أعيان نواب الحنفية وكان عالما فاضلا عارفا رئيسا حشما وترشح أمره لأن يلى قضاء الحنفية بمصر ولم يل ذلك ومات له ومولده سنة أربعين وثمانمائة وفيه قرر شخص يقال له محب الدين وكان أصله من الاقباط فقرر فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن السيد الشريف موفق الدين بحكم صرفه عنها فعيب ذلك على السلطان واتفق أن محب الدين المذكور لما دخل الى الشام أقام بها أياما ومرض ومات وكان قد جدّ فى السعى على الشريف موفق الدين وأوردما لاله صورة وفيه ضرب السلطان شخصا من نواب الحنفية يقال له شهاب الدين بن القصيف ورسم بنفيه الى الواح فشفع فيه وكتب عليه قسامة بانه لا ينوب فى الحكم قط ولا يسعى فى ذلك بل ولا يشهد فى شئ من الامور الشرعية لأمر أوجب ذلك وفيه أحضرت جثة دولات باى الحسنى رأس نوبة ثانى من أدنة ودفنت بمصر فى تربته وفى ذى الحجة توفى الشيخ تقى الدين السخاوى واسمه أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الحديث سمع على الحافظ ابن حجر وغيره وكان لا بأس به وفيه قدم الزينى محمود بن أجا قاضى قضاة الحنفية بحلب فأقام بالقاهرة مدة ثم عاد الى حلب على وظيفته وفيه توفى برسباى العلائى الطويل الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات وكان يعرف بالبواب فمات هناك لما خرج فى التجريدة وتوفى قرقماس المحمدى الظاهرى المعروف بالمعلم وكان أحد الامراء العشراوات وكان عارفا بفنون الرمح علامة وتوفى ملاج الظاهرى الجقمقى أحد الامراء العشراوات وكان دينا خيرا من ذوى العقول ومما وقع له انه كان بيده اقطاع خراب وعنده عيال كثيرة وأولاد عدة فوقف الى السلطان وشكا له حاله وان اقطاعه خراب لا يحصل له منها شئ فلم يلتفت السلطان الى كلامه فنزل الى داره ودخل الى طبقة مهجورة عنده وعمد الى سلبة وربطها فى سقف الطبقة وعمل فيها خية وشنق نفسه بها فمات وقد هانت عليه نفسه من شدة قهره وكان ساكنا فى الجودرية وراح القتل فى كيسه ولم يرث له أحد وفيه جاءت الاخبار بقتل صاحب طرابلس الغرب واسمه أبو بكر بن عثمان ابن محمد الحفصى قتله صاحب تونس وقتل ولده أيضا وجماعة من أعوانه وتوفى فى السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان منهم قاضى الاسكندرية وهو محمد بن محمد بن عوض المالكى وكان لا بأس به

❁ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لما طلع القضاة لتهنئة السلطان رسم بعرض نواب الشافعية ونواب الحنفية وكلهم كلاما مزعجا وأمر بابطال جماعة منهم وجرت أمور يطول شرحها ثم آل الامر الى التحجير عليهم فى الاحكام الشرعية وأن لا يسجنوا الخصم

الا باذن من القاضي الشافعي والحنفي وعم ذلك سائر النواب وفيه تغير خاطر السلطان على الطواشي خشقدم الزمام وخازنداره ووزيره أيضا فرسم بالقبض عليه في وسط الحوش وهم بضربه ثم آل الامر الى أن خرج منفيا الى سواكن واحتاط على موجوده قاطبة واستمر منفيا الى أن مات هناك وكان عنده عسف وظلم وشدة بأس وسفاهة لسان وكان غير مشكور في أفعاله وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح وكان له خصاصة بالسلطان قال له ان الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ورضي عنه شخص من عباد الله الصالحين وكان قصد السلطان الاجتماع عليه فاخبره انه يتردد الى جامع محمود في مكان عنده بالقرافة تحت الجبل المقطم فقال له السلطان ان حضر هناك اعلمني فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ عبد القادر الدشطوطي وكان يدعي أنه شريف فاعلم السلطان بان الدشطوطي يحضر تلك الليلة الى المكان المذكور فصلى السلطان العشاء ونزل وصحبته ثلاثة أنفس فأتى الى ذلك المكان ونزل عن فرسه فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه في عبه فشرع السلطان يقبل رجليه ويقول يا سيدي احمل حملي مع ابن عثمان فصار ذلك الشخص يغرب عليه ويقول له أنت ما ترجع عن ظلم العباد فطال المجلس بينهما ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار وقيل خمسمائة دينار فصار يمتنع من ذلك والسلطان يتلطف به ويقول له فرق ذلك على الفقراء ثم ركب ومضى وهو يظن أنه الدشطوطي ثم بعد أيام انكشفت هذه الواقعة وظهر أنها مفتعلة فلما تحقق السلطان ذلك أحضر عبد القادر بن الرماح والشخص الذي تزيا بزي الدشطوطي وخدام المكان الذين كانوا به فضربوا بين يدي السلطان بالمقارع وأما عبد القادر بن الرماح الذي كان سببا لذلك فرسم السلطان بحلق ذقنه وشهره في القاهرة على حمارة ثم سجنه بالمقشرة الى أن مات عقيب ذلك وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع التي لم يسمع بمثلها مع ان عبد القادر بن الرماح كان من ذوي العقول ولكن قد يخبو الزناد ويكبو الجواد كما يقال

وانى رأيت المرء يشقى بعقله * وقد كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وفي صفر أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بامرية عشرة وهي أول استظهاره في العلو والرفعة وجان بلاط هذا هو الذي تسلطن فيما بعد وفيه جاءت الاخبار أن صاحب فاس من بلاد الغرب قد غزا الفرنج واستخلص منهم عدة بلاد كانت أخذت من أيدي المسلمين فأعادها لهم وقتل أخوه في المعركة وفيه صار العسكر الذين من مماليك السلطان يدخلون الى القاهرة شيأ فشيأ قبل حضور الاتابكي أزبك فتنكد السلطان لذلك وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوي وكان غالب الامراء مسافرين في التجريدة وكان أمر السماط فيه بحكم النصف على العادة وفيه بلغ السلطان أن المماليك الذين حضروا

من التجريدة قصدوا أن يثيروا فتنة كبيرة ويطلبوا من السلطان نفقة بسبب هذه النصرة التي وقعت لهم ثم بلغ السلطان أن المماليك قالوا ان كان السلطان لا يعطينا نفقة قتلنا الامراء والمماليك الذين كانوا بمصر ولم يسافروا وذكروا كلمات كثيرة من هذا النمط فلما تحقق السلطان ذلك أخذ في أسباب تحصيل المال واجتمع السلطان بالقضاة الاربعة وذكر لهم أن الخزائن نفد ما كان فيها من المال وان المماليك يقصدون نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ يثيروا فتنة كبيرة فاتفق الحال على أن يؤخذ من أرباب الاملاك والاوقاف التي بمصر والقاهرة أجرة شهرين مساعدة للسلطان على النفقة وانفض المجلس على ذلك ثم ان السلطان أمر تغرى بردى الاستادار بأن يتكلم في ذلك هو وناظر الخاص ابن الصابوني فاقتسموا التصرف في ذلك وشرعوا في جباية المال وفيه دخل الامير الكبير أزبك ومن كان معه مسافرا في التجريدة من الامراء وبقية العسكر وكان لهم يوم مشهود ومن العجائب أنه في حالة دخولهم الى القاهرة أشيع بين الناس عودهم الى حلب عن قريب لان عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الحلبية وحضر مع أزبك الامير الكبير جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان أتوا طائعين باختيارهم فأنزلهم السلطان في ديوانه وقرر لهم الجوامك وهم الى الآن باقون في الديوان يسمون العثمانية ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وأن المماليك قد صمموا على أخذ النفقة لكل واحد منهم مائة دينار فقلق السلطان لهذه الاشاعات واشتد عليه الامر وفي يوم السبت رابع ربيع الآخر جلس السلطان على الدكة بالحوش وأرسل خلف القضاة الاربعة وسائر الامراء فلما تكامل المجلس قال السلطان للامراء والقضاة هؤلاء المماليك يرومون مني نفقة وقد نفد جميع ما كان في الخزائن من المال على التجاريد ولم يبق بها شئ من المال ثم أقسم بالله انه نفد منه على التجاريد من حين ولي السلطنة الى الآن سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستون ألف دينار ثم قال للامراء اختاروا من تسلطنونه غيري واشهدوا على أيها القضاة أني خلعت نفسي وشرع يفكك أزراره وقصد الدخول الى قاعة البحرة فتعلق به القضاة ومنعوه من ذلك وشرع قاضي القضاة المالكية ابن تقي يبكي وأظهر التأسف لهذه الواقعة وصار يتفارش ويترب ثم ان الامير تمراز أمير سلاح صار يمشي بين الجلبان وبين السلطان في عمل المصلحة فكثر القال والقيل في ذلك وضج العسكر وترددت الوسائط بين السلطان وبين الجلبان ثم استقر الحال بعد جهد كبير على أن السلطان ينفق على الجلبان لكل واحد منهم خمسون دينارا من ذلك أربعون دينارا معجلة ويؤخر عشرة ينفقها عليهم بعد مدة شهرين وان القرانصة ينفق عليهم خمسة وعشرين دينارا فاستقر الحال على ذلك وسكن الاضطراب قليلا ثم ان السلطان أرسل خلف الخليفة المتوكل على

الله عبد العزيز وكان ساكنا عنده بالحوش فلما حضر جدد له مبايعة ثانية بحضرة القضاة الاربعة فكانت مدة سلطنته فى هذه المرة الاولى الى يوم خلعه هذا احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر ثم قام الخليفة ونزل القضاة الى دورهم وانفض الموكب وكان يوما مهولا ثم ان السلطان أخذ فى أسباب تحصيل المال لاجل النفقة واستحث فى احضار ما يجىء من المال بسبب الشهرين اللذين فرضهما على أرباب الاملاك ثم فرض على المماليك القرانصة وأولاد الناس الذين لم يسافروا فى التجريدة على كل من له جامكية ألفان أربعون دينارا ومن له ألف جامكية بحكم ذلك ومن لم يورّد شيأ من ذلك تقطع جامكيته ستة أشهر حتى يغلق ما فرض عليه ثم أنفق على المماليك فيما بعد وان الامير عزاز شفع فى القرانصة وأولاد الناس أن لا يورّدوا شيأ مما قرر عليهم وكان الغالب منهم اورد شيأ فراح عليه والمتأخر لم يحط شيأ بسبب الشفاعة وفيه ثار جماعة من العوام على الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشى الذى تولى قضاء الحنابلة فيما بعد وكادوا أن يقتلوه لولا انه اختفى مدة طويلة حتى سكن الامر وسبب ذلك ما نقل عنه انه قد أفتى السلطان بحل ما يجىء اليه من أجرة الاملاك فى الشهرين الماضى خبرهما فلما بلغ العوام ذلك ثاروا عليه وقصدوا قتله واستمر مختفيا حتى توجه الى مكة وجاور بها مدة وفيه كانت وفاة الشيخ بدر الدين بن الغرس وهو محمد بن محمد بن محمد بن خليل القاهرى الحنفى وكان عالما فاضلا عارفا بأصول الفقه وله نظم جيد وولى عدة وظائف سنية وناب فى القضاء مدة ثم تولى مشيخة تربة الاشرف برسباى ودام بها حتى مات وكان من أعيان الحنفية وذكر الى قضاء الحنفية غير ما مرة ومن نظمه قوله

ان جاءكم صب بكم فاكرموا * مثواه تجزون خيار الثواب
وجاوبوا العذال عمن غدا * من سقمه لا يستطيع الجواب

ولما مات رثاه الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى بقوله

لقد أظلمت مصر وأقفرت الدنيا * لموت عديم المثل بل أوحد العصر
فلا عجب ان ضاءت ليالى عصرنا * وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

وفيه كانت الاسعار مرتفعة فى سائر البضائع وسبب ذلك اهمال كسباى المحتسب فانه لم ينظر فى أحوال المسلمين فوبخه السلطان بالكلام ثم بطحه وضربه بين يديه نحوا من عشرين عصا فلما نزل من القلعة أطلق فى السوقة النار وكذلك سماسرة القمح وجرى بسبب ذلك أمور شتى وفيه كانت وفاة الحافظ قطب الدين الاخيضرى محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضمرة الرملى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما وكان من أخصاء الاشرف قايتباى وولى عدة وظائف سنية منها كتابة

سر دمشق ونظر جيشها وقضاء الشافعية بها وغير ذلك من الوظائف ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه بعث السلطان بالقبض على مملوكه أزبك النصراني وكان قرر في نيابة كرك فوقع منه غاية الفساد هنالك وآل أمره الى أن حزت رأسه وعلقت على باب كرك وكان من أشرار الناس وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس بأن فرس البحر قد ظهرت عند شبرا وصارت تتراآى للناس مدة ثم اختفت وتحققت الاقوال بذلك وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن تغرى بردى ططر بحكم وفاته وخلع على شاد بك الجوخ بن مصطفى وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن قانصوه الالفي بحكم انتقاله الى التقدمة وكانت الدوادارية الكبرى شاغرة مدة طويلة وأنعم على مملوكه طقطباى بامرية عشرة وجعله متحدثا في نيابة القلعة فاستمر بها من غير أن يخلع عليه بها وأنعم على يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة بتقدمة ألف مضافا لما بيده من الأخورية الثانية وأنعم على مملوكه جانم الذى كان بالشام أميرا بتقدمة ألف وكتب له بذلك البشارة وهو بالشام وقرر مملوكه مغلباى الشريفي في تقدمة ألف مضافا لما بيده من ولاية القاهرة فأقام على ذلك مدة حتى تقرر غيره وفيه كان ابتداء تفرقة النفقة على الجند كما استقر الحال عليه فيما تقدم وفيه توفى تقى الدين ناظر الزردخانه فلما مات قرر ولده عبد الباسط في نظر الزردخانه عوضا عن أبيه وفيه جاءت الاخبار بأن شاه بضاع بن دلغادر حضر الى الابلستين ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان وكبس على أخيه على دولات وقبض على اثنين من أولاده فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر جدا وفيه قرر الشهابى أحمد ابن الجمالى يوسف ناظر الخاص في نظر الجيش وصرف عنها بدر الدين بن أخيه كمال الدين وفيه عين السلطان عدة من أمراء البلاد الشامية فقرر في حجوبية دمشق يونس نائب البيرة وقرر في نيابة البيرة اينال باى من جلبانه وكان يقرب له وقرر باكير بن صالح الكردى حاجب حلب في نيابة قلعة الروم وقرر مملوكه قانصوه الغورى في حجوبية حلب عوضا عن باكير وقانصوه هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد وقرر اركماس بن ولى الدين في دوادارية السلطان بدمشق وقرر قانى بك نائب البهسنا في دوادارية السلطان بحلب وقرر في نيابة البهسنا كرتباى الاشرفي من مماليكه فخرجت اليهم المراسيم بمعنى ذلك وفيه أراد السلطان أن يقرر تانى بك الجمالى رأس نوبة كبير فامتنع من ذلك وصمم أنه ما يلى الامرية مجلس عوضا عن برسباى قرا بحكم وفاته في التجريدة بحلب فتغير خاطر السلطان على تانى بك الجمالى وقصد نفيه الى مكة بسبب ذلك وأقام على ذلك أياما لا يطلع القلعة ثم أرسل خلفه ووعده بها وصار يتكلم فيها على كره منه وفيه أرسل السلطان خلعة الى عبد الرزاق أخى على دولات وقرره في أتابكية حماه عوضا عن ابن طرغل ونقل ابن طرغل

الى نيابة طرسوس وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بان عسكر ابن عثمان لما بلغهم رجوع العسكر المصرى طمعوا فى أخذ البلاد الحلبية وأرسل يستحث السلطان فى خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حلب فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة وكتب عدة وافرة من الجند الذين كانوا مقيمين بالقاهرة وجعل الباش على هذه التجريدة قانصوه الشامى أحد المقدمى الألوف ومن الامراء الطبلخانات يشبك رأس نوبة ثانى وازدمر الدقيه الظاهرى وكرتباى بن تمرباى ابن أخت السلطان واصطمر بن ولى الدين أحد العشراوات ثم أنفق عليهم وعلى الامراء وأمرهم بسرعة الخروج الى التجريدة من اغير اهمال وفى جمادى الاولى توفى الشيخ محب الدين أخو قاضى القضاة الشافعى ولى الدين الاسيوطى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم وتولى خطابة الجامع المؤيدى وكان لا بأس به وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن الحليس أحد نواب الحنابلة وكان من أعيان الناس مشكور السيرة وفيه أنعم السلطان على طوخ المحمدى البجمقدار بامرية عشرة وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بسلخ شخص يسمى أحمد بن الديوان من أهل حلب فسلخه فى المقشرة وسلخ معه والده محمد وأشهر وهما فى القاهرة على جمال وكان أحمد بن الديوان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وكان من أخصاء السلطان فنقل عنه أنه كاتب ابن عثمان فى شئ من أخبار المملكة فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره عليه وجرى عليه أمور يطول شرحها وكانت من الوقائع المهولة وفيه خرجت التجريدة ومن عين بها من الامراء والعسكر وكان يوما مشهودا قيل قد بلغت النفقة على الامراء والجند فى هذه التجريدة الخفيفة نحو من مائة وخمسين ألف دينار غير جامكية أربعة أشهر وثمن الجمال وكان السلطان دريافى خروج هذه التجريدة اصون مدينة حلب وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدا الى ابن عثمان لعل أن يكون الصلح فرد له الجواب اذا أطلق تجار المماليك الذين عنده وبعث مفاتيح القلاع التى أخذها كاتبناه فى أمر الصلح وأرسلناله قاصدا ولكن جرى بعد هذه الواقعة أمور شتى وفى رجب خلع السلطان على تانى بك المحمدى الاينالى أحد العشراوات وقرره فى شادية الشون وأشركوا معه اقبردى ططر الظاهرى أحد الامراء العشراوات أيضا وفيه توفى جمال الدين الكورانى شيخ خانقاه سعيد السعداء وهو عبد الله بن محمد بن حسن بن خضر بن محمد الاردبيلى الشافعى وكان عالما فاضلا دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفى شعبان قرر فى مشيخة خانقاه سعيد السعداء الشيخ زين الدين عبد الرحمن القناوى الشافعى عوضا عن جمال الدين الكورانى بحكم وفاته وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان بسبب العشرة دنانير التى تأخرت لهم من الخمسين التى استقر الحال عليها فى أمر النفقة فما سكنت الفتنة حتى

أنفقها لهم وفيه حضر اسكندر بن جيحان أحد الامراء المقدمين لابن عثمان وقد أسره بعض النواب وكان على دولات هو القائم فى القبض عليه فكان له بالقاهرة لما دخل يوم مشهود وأسر معه جماعة من العثمانية فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم وفيه توفى سودون الثور أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وتوفى الطواشي مرجان الجمالى المعروف بستمائة وكان من أعيان الطواشية وفيه فى آخر يوم منه كان وفاء النيل المبارك وفى مستهل رمضان كان فتح السد عن الوفاء ووافق ذلك سادس مسرى فنزل أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وقيل ان جماعة من أوباش العوام أفطر وافى ذلك اليوم من شدة الحر والعطش وفى أثنائه عمل الاتابكى أزبك وقدة هائلة وحراقة نفط فى بركة الازبكية وعزم على الامراء وكانت ليلة حافلة وفى شوال كان أول توت وهو يوم النوروز عند القبط وكان عيد الفطر عند المسلمين فعد ذلك من النوادر وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل ازدمر تمساح وكان الحج فى تلك السنة قليلا وفيه جاءت الاخبار من سواكن بوفاة الصاحب خشقدم الاحمدى وكان رئيسا حشما من أعيان الطواشية وتولى عدة وظائف سنية منها الوزارة والزمامية والخازندارية الكبرى وكان ظالما غشوما عسوفا من وسائط السوء وفيه توفى الشيخ أبو الفضل محمد المحلى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفى ذى القعدة توفى الطواشى مرجان وكان لا بأس به وفيه توفى نوروز أخو برسباى قرا أمير مجلس وكان من الامراء العشراوات من خيار الطاهرية وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ جعفر بن ابراهيم السنهورى الشافعى شيخ القراء بمصر وكان يقرأ بأربع عشرة رواية وكان علامة فى القرآت وفيه جاءت جماعة من تجار الاسكندرية يشكون من نائبها على باى بأنه جار عليهم بالظلم والمصادرات فأرسل اليه السلطان يحذره من ذلك وفى ذى الحجة أنعم السلطان على سيباى نائب سيس بامرية عشرة وكذلك كسباى بن أزبك الساقى وفيه توفى شعبان الزواوى شيخ القبانيين وكان علامة فى صنعة القبانة والتحرير فى الاوزان وفيه توفى سليمان بن محمد المغربى وكان فاضلا فى علم الميقات وله شهرة فى ذلك

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة) فيها فى المحرم كسفت الشمس كسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وثارت عقيب ذلك رياح عاصفة حتى فزع الناس من ذلك وفيه قدم الى القاهرة شاه بضاع بن دلغادر وقد تقدم القول بأنه هرب من قلعة دمشق وكان مسجونا بها فلما هرب توجه الى ابن عثمان والتف على عسكره وملك الابلستين واستمر فى عصيانه مدة طويلة ثم وقع بينه وبين ابن عثمان فتنة وقصد قتله ففر منه والتجأ الى السلطان فلما جاء اليه أكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدة أرسله الى منفلوط ليقيم بها وأجرى عليه ما يكفيه فعد ذلك من جملة سعد السلطان وكانت من النوادر وفى صفر توفى الطواشي سرور السيفى قرا جا الحسنى وكان لا بأس به وتولى رأس نوبة السقاة وغير ذلك وفيه كان اقتران المريخ

مع زحل فافرط البرد فى تلك الايام حتى أحرق الاشجار وجمدت المياه وذكر بعض المنجمين أن هذا الاقتران يدل على وقوع فتن وان البرد يستمر أياما متوالية فى تزايد من الافراط وصار الثلج ينزل فى الليل وينعقد على الجدران بناحية الجيزة ومات الكثير من الحرافيش من شدة البرد فكان كما قيل

ويوم برد مدّ انفاسه * يخمش الاوجه من قرصها
يوم تودّ الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفيه كثرت الشكاوى فى محمد بن اسماعيل قاضى الواح فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بالمقارع ثم أشهره بالقاهرة وهو على حمار ثم سجنه بالمقشرة فمات بها بعد أيام وكان من كبار الظلمة من المفسدين فى الارض فلما خرجت جنازته ثار عليه جماعة كثيرة من أولاد أخيه ورجموه بالحجارة وهو فى النعش وأرادوا حرقه فخلصوه ودفنوه الا بعد جهد كبير وفى ربيع الاول جاءت الاخبار من عند على دولات بأن ابن عثمان اهتم فى تجهيز عساكر وقد وصل أوائلهم الى كولك فلما بلغ السلطان ذلك تنكد وجمع الامراء وأخذ رأيهم فى ذلك فوقع الاتفاق على خروج تجريدة صحبة أمير كبير ثم أخذ السلطان فى أسباب جمع الخيس من نواحى الشرقية كما فعل عند خروج التجريدة الماضية لاجل فرسان العرب لتخرج صحبة أمير كبير باش العسكر فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الاذى وقطع الخيس من خراجهم مرتين وفيه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الجوامك من ألف درهم فما دونه وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق الرصاص قبل ذلك فلما عرضهم ورموا قدامه كتبهم فى التجريدة وأنفق عليهم كل واحد ثلاثين دينارا وكل اثنين أشركهم فى جمل أعطاه لهما وخرجوا صحبة التجريدة وفيه خلع السلطان على قيت بن قانم الساقى وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مغلباى الشريفى بحكم انتقاله الى التقدمة وكان متكلما فى الولاية مع التقدمة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نادى السلطان للعسكر بالعرض وأشيع أمر التجريدة الى ابن عثمان فلما عرضهم السلطان بادر اليهم بتفرقة النفقة ثم وقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب من المماليك الجلبان وقام السلطان من الدكة ونزل وقال أنا أنزل لكم عن السلطنة وأمضى الى مكة فتلطف به الامراء ثم آل الامر بعد ذلك الى أن أنفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر وثمن جمل سبعة أشرفية فأنفق فى ذلك على عدة طباق واستمر على ذلك حتى أكمل النفقة ثم حملت نفقة الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وقد تعينوا للسفر أجمعين ولم يبق بمصر سوى اقبردى الدوادار وازدمر تمساح فكانوا على الحكم الاول كما تقدم فبلغت النفقة على الامراء والجند نحوا من خمسمائة ألف دينار وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد

الاشرف قايتباى الى ابن عثمان وغيره ولم يجرد بعدها أبدا ثم نادى للعسكر بان لايخرج منهم أحد قبل الباش فما سمعوا له شيأ وفيه قرر تنم الرجبى الخاصكى الخازندار فى نيابة جدة عوضا عن جاهين الجمالى وقد سئل الاعفاء عن ذلك وفيه تعين كرتباى كاشف البحيرة فى امرية الحاج بركب المحمل وعين اينال الفقيه الحاجب الثانى فى الركب الاول وفى خامس عشر ربيع الآخر خرج أمير كبير أزبك من القاهرة قاصدا البلاد الحلبية وصحبته الامراء والعسكر وكانت عدتهم عشرة وهم على ماذكرنا فى التجريدة الماضية وأما الامراء العشراوات والطبلخانات فكانوا زيادة على الخمسين أميرا وأما المماليك السلطانية فكانوا زيادة عن أربعة آلاف مملوك فكان لهم يوم مشهود حتى رجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى قريب الظهر وخرج مماليك الامراء وهم بالابس الكامل من آلة السلاح فعدّت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد طال الامر بين السلطان وبين ابن عثمان فى أمر الفتن والامر لله وفى جمادى الاولى رسم السلطان بنقل اسكندر بن النحال من البرج الذى فى باب السلسلة الى دار كاتب السر البدرى ابن مزهر وأمره بالحفظ عليه وفيه جاءت الاخبار من مكة بوقوع سيل عظيم فى خامس صفر وقيل انه بلغ الى الحجر الاسود وهدم عدة أماكن وحصل منه غاية الضرر وفى جمادى الآخرة قويت الاشاعات بسفر السلطان بنفسه الى حلب ونزل الى الميدان وعرض الهجن وعين جماعة من الخاصكية للسفر معه وأمر من بقى من العسكر بعمل برقهم وأن يكونوا على يقظة من السفر وفيه وصل اقبردى الدوادار من البحيرة وكان قد خرج بسبب فساد العربان وفى رجب كان ختان ابن السلطان المقر الناصرى محمد الذى تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحوا من سبع سنين وأشهر وكان المهم بالقلعة سبعة أيام متوالية وكان من نوادر المهمات فاجتمع به سائر مغانى البلد ورسم السلطان أن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الاسواق المشهورة وغير ذلك وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد وكان العسكر غائبا فى التجريدة والناس فى أمن من أذى المماليك وكانت تلك الايام مشهودة لم يسمع بمثلها ودخل على السلطان من التقادم مالا يحصى من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد على خمسين ألف دينار وكان من جملة ما أهداه الشهابى أحمد بن العينى طست وابريق ذهب زنته ستمائة مثقال برسم الختان وأشياء كثيرة غير ذلك واختتن مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد الامراء والاعيان والخاصكية فكانوا زيادة عن أربعين ولدا فرسم لكل صبى منهم بكسوة على قدر مقام أبيه فكان من جملة أولاد الاعيان ابن الخليفة أمير المؤمنين عبد العزيز وهو ابنه سيدى عمر وابن الجيعة بن عثمان وأولاد الملاتى على بن خاص بك وغير ذلك من أولاد

الامراء والاعيان فلما كان يوم الخميس عشريه اجتمع الامراء والاعيان من الناس بالحوش السلطانى وركب ابن السلطان من قاعة البحرة ومشت قدامه الامراء والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى قاضى القضاة الحنفى ناصر الدين الاخميمى وسائر أعيان المباشرين وأولاد الجيعان وأعيان الخدام وكان ماسك لجام الفرس الامير أقبردى الدوادار والشهابى أحمد بن العينى وهم بالشاش والقماش ولم يكن بحضر من الامراء المقدمين غير الامير اقبردى الدوادار والامير ازدمر تمساح والامير ازدمر المسرطن واستمر ابن السلطان فى ذلك الموكب من قاعة البحرة الى باب الستارة والسلطان جالس فى المقعد ينظر اليه وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ولاقته المغانى فنزل عن فرسه بباب الستارة ودخل به قاعة البيسرية فكان الختان بها وقيل دخل على المزين نحو من خمسة آلاف دينار فانعم عليه من ذلك بالف دينار والباقى تقاسمه الرؤساء من المزينين وعد هذا الختان من النوادر ثم نزل ابن الجمجمة وأولاد العلائى على بن خاص بك وتوجهوا الى بيوتهم فشقوا من القاهرة فى موكب حافل ورسم للقضاة الاربعة بان يركبوا قدامهم ففعلوا ذلك وفيه كانت وفاة الزينى خضر بن سنان النوروزى الجركسى وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وله اشتغال بالعلم على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ورحمه وكان فى سعة من المعيشة ومات وهو فى عشر الستين وفيه خسف القمر ودام فى الخسوف نحوا من أربعين درجة حتى انجلى وفيه عين السلطان جماعة من الجند الى مكة وجعل عليهم باش اقبردى تمساح الظاهرى أحد الامراء العشراوات وعين الطواشى اياس الشامى فى مشيخة الحرم النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وفيه ثار مماليك اقبردى الدوادار عليه وحاصروه وهو فى داره وطلبوا منه زيادة فى جوامكهم فبعث اليه السلطان بالوالى فقبض على جماعة منهم وضربهم بالمقارع وقطع أيدى جماعة منهم وفر الباقون الى الجامع الازهر وأقاموا به أياما ثم آل الامر الى أن نفى طائفة منهم الى جهة قوص وطائفة الى البلاد الشامية فسكن الحال قليلا وفيه وصل هجان من عند العسكر وأخبر بأن العسكر قصد التوجه الى بلاد ابن عثمان وقد أرسلوا اماماى الخاصكى رسولا الى ابن عثمان فلما أبطأ عليهم خبره زحف العسكر المصرى على أطراف بلاد ابن عثمان ووصلوا الى قيسارية وفتكوا بها ونهبوا عدة من ضياعها وأحرقوها ثم فعلوا مثل ذلك بعدة أماكن من بلاد ابن عثمان وانقسموا فرقتين فرقة الى ماوندة وفرقة مقيمة بكولك ينتظرون ما يكون من هذا الامر ثم حضر جان بلاط الغورى أحد مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات يومئذ وأخبر بأن العسكر فى قلق زائد بسبب الذى هنالك وان العليق ما يوجد وأنهم قد عولوا على المجىء الى مصر فتأسر السلطان ذلك وفى شعبان رفعت امرأة قصة للسلطان

تشكو

تشكو فيها من بدر الدين بن القرافى أحد نواب المالكية فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بين يديه ضربا مؤلما وآل أمره الى أن غرم فى هذه الكائنة مالاله صورة بعد عقد مجلس بينه وبين المرأة التى رافعت فيه وفيه كانت البشارة بالنيل المبارك وجاءت القاعدة سبعة أذرع الاثمانية أصابع وفيه قرر شهاب الدين بن الصيرفى فى تدريس الشافعية بالخانقاه الشيخونية عوضا عن جلال الدين ابن البلبانة بحكم نزوله عنها ولم ينزل أحد عن هذه الوظيفة قبل اليوم قط الا أن تخرج عنه بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على دقماق نائب القدس الشريف وفخر الدين بن نسيبة من أعيان بيت المقدس فرسم باحضارهما فلما حضرا أمر بضربهما فلما ضربا بين يديه أمر بنفى ابن نسيبة الى الواح حتى شفع فيه وفى رمضان قبض الوالى على جماعة من المماليك الاروام وجدهم يشربون الخمر فى رمضان نهارا فضربهم وأشهرهم بالقاهرة وسجنهم وفيه أخبرنى من أثق به أنه رأى بأسوان شخصا أسمر اللون وله عين واحدة فى جبهته وله أنف نابت فى وجهه تحت تلك العين وبين أنفه وفمه نحو من أربعة أصابع فكان من جملة الاعاجيب وفيه ظهرت فى القاهرة امرأة ولها ثلاثة أبزاز أحدها تحت ابطها وفيه فى رابع مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل أزدمر تمساح وفتح السد على العادة وكان الوفاء فى عاشر شهر رمضان ومن النوادر انه زاد فى اليوم الثالث من مسرى ثلاثة وثلاثين اصبعا فى دفعة واحدة وفيه توفى برهان الدين التتائى أخو شرف الدين الانصارى وهو ابراهيم بن على بن سليمان التتائى الانصارى المالكى وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفيه حضر هجان وأخبر بأن العسكر على حصار قلعة كوارة ومات فى مدة المحاصرة قانصوه بن فارس المعروف بقرا وهو من مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات ثم أخذت هذه القلعة فيما بعد وهدمت الى الارض وفى شوال كان الموكب السلطانى فى يوم عيد الفطر بالحوش على العادة التى استجدها السلطان فى غيبة الامراء فلم يحضر فى موكب العيد سوى الامير ازدمر تمساح وكان أقبردى الدوادار مسافرا الى جهة البحيرة بسبب فساد العربان فجلس السلطان بالحوش على الدكة وخلع على المباشرين وأرباب الدولة وانفض الموكب سريعا وفيه تزايد شر العبيد حتى خرجوا فى ذلك عن الحد وصار يقتل بعضهم بعضا حتى أعيا الوالى أمرهم وصاروا طائفتين طائفة تعادى طائفة وفيه قرر فى قضاء الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن عثمان الزعيم عوضا عن عز الدين الحسبانى وفيه قرر شمس الدين محمد بن أبى الفتح الكتبى فى مشيخة القبانيين ثم تولى بعد ذلك التحدث على مباشرة بندر جدة وفى ذى القعدة رسم السلطان بنقل سوق الحمير من عند باب الميدان الى جهة مدرسة قانى باى الجركسى واستمر على ذلك الى الآن وفيه ابتدأ السلطان بعمارة المكان

الذى أنشأه على بركة الفيل برسم ولده المقر الناصرى وكان يظن ان ولده يسكن بعده فيه ويستمر مقيما بمصر فجاء الأمر بخلاف ذلك وفيه أفرج السلطان عن علاء الدين الحنفى نقيب قاضى القضاة الشافعى وكان قاسى شدائد ومحنا وأقام فى الترسيم مدة طويلة وغرم جملة من المال وفيه رسم السلطان بقلع عينى شخص يقال له على بن محمد المرجوشى وقطع لسانه أيضا وسبب ذلك أنه أوحى الى السلطان بانه يعرف علم صنعة الكيمياء فانصاغ له السلطان حتى أتلف عليه جملة مال له صورة ولم يستفد من ذلك شيأ وفعل نظير ذلك بالامير تمراز الشمسى أمير سلاح فأتلف عليه جملة مال ولم يستفد من هذا شيأ فحنق منه السلطان وفعل به مافعل وفيه خرج الامير اقبردى الدوادار مسافرا الى جهة نابلس وحصل منه غاية الضرر للناس من ذلك أنه أخذ جمال السقائين لحمل سنيحه حتى عز وجود الماء وغلا سعر الراوية بسبب ذلك وضاق الامر وفيه خلع السلطان على الطواشى فيروز وقرره فى الزمامية عوضا عن الصاحب خشقدم بحكم نفيه الى قوص وفيه جاءت الاخبار بموت اقبردى ططر الظاهرى جقمق أحد العشراوات وشاد الشون وكان لابأس به وفيه جاءت الاخبار بأخذ قلعة كوارة من يد عسكر ابن عثمان فسر السلطان بذلك ثم بعد مدة وردت عليه الاخبار بان العسكر قلق وهو طالب المجىء الى مصر فتنكد السلطان لذلك وأرسل عدة مراسيم للامراء بالاقامة فما سمعوا له شيأ ثم جاءت الاخبار بان أزبك أمير كبير قد دخل الى الشام هو والامراء والنواب والعسكر قاصدين الدخول الى القاهرة من غير اذن وقد جاؤا طالبين وقوع فتنة وصرحوا بذلك ثم نودى من قبل السلطان بأن العسكر الذى قدم من التجريدة يصعد الى القلعة فامتنع المماليك من ذلك ولم يصعدوا الى القلعة وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الفرنج قد استولوا على مدينة غرناطة وهى دار ملك الاندلس ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها وقتل من عساكر الغرب والفرنج مقتلة عظيمة ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة والفرنج وقرر للفرنج فى كل سنة شئ من المال يوردونه لهم وفيه توفى قاضى قضاة المالكية محيى الدين بن تقى وهو عبد القادر بن أحمد بن محمد بن على بن تقى الدميرى المالكى وكان عالما فاضلا من أعيان المالكية رئيسا حشما وناب فى الحكم مدة وكان لا بأس به وأخذ العلم عن جماعة من الاقدمين كالبساطى والشيخ عبادة والشيخ طاهر وغير ذلك من المشايخ وفى السنة المذكورة كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدى أحمد بن عقبة اليمنى وكان من كبار أولياء الله تعالى وتوفى القاضى فتح الدين محمد السوهاجى وكان من أعيان نواب الشافعية وتوفى زين الدين الطوخى الخالدى وكان من الفضلاء وله نظم جيد

❁ ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمانمائة فيها فى مستهل المحرم كان دخول أزبك أمير كبير

ومن معه من الامراء والعسكر ودخلوا الى القاهرة فى موكب حافل وكان لهم يوم مشهود فلما طلعوا الى القلعة خلع السلطان على أزبك أمير كبير وعلى بقية الامراء ونزلوا الى دورهم وهذه آخر تجاريد أزبك أمير كبير الى البلاد الحلبية وفيه قرر السلطان كرتباى ابن أخته فى شادية الشراب خاناه وقرر ملوكه جان بلاط بن يشبك فى تجارة المماليك وفيه أشيع بين الناس أن المماليك يقصدون اثارة فتنة ويرومون نفقة على جارى العادة فاقسم السلطان بالله العظيم أنهم ان طلبوا نفقة يتوجه تحت الليل الى مكة المشرفة ويقيم بها وفيه توفى قاضى القضاة المالكية كان وهو ابراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جميل اللقانى المالكى الازهرى وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبه دينا خيرا رئيسا حشماما وهو منفصل عن القضاء وكان محمود السيرة فى أفعاله وفيه توفى الشيخ سنان الاوتجانى الحنفى وهو يوسف بن موسى بن سعد الدين وكان قرر فى مشيخة تربة الامير يشبك الدوادار وكان من أعيان الناس الحنفية وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن الشنتاوى شيخ خانقاه سعيد السعداء وكان عالما فاضلا دينا خيرا لا بأس به وفيه توفى الشيخ حافظ العجمى المقرى وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على أربعة من خاصكيته بامريات عشرة منهم بردبك بن بيرعلى الذى كان بقى مقدم ألف وخرج الى مكة المشرفة بعد كائنة اقبردى الدوادار وأمر أيضا قيت الرجبى الذى تولى الاتابكية فيما بعد وأمر أيضا مصرباى الذى تولى الدوادارية الكبرى فيما بعد وأمر أيضا اكشبغاى الذى تولى نيابة الاسكندرية ومات بها وفى صفر أنعم السلطان على جانم الذى كان نائب قلعة حلب بتقدمة ألف وقد تعينت له قبل أن يحضر الى القاهرة فأقام جانم فى هذه التقدمة نحوا من سنة ومات بالطاعون فى السنة الآتية وفيه قدم الشهابى أحمد بن فرفور من دمشق وأشيع عنه بين الناس أنه جاء يسعى فى كتابة السر فما وافق السلطان على ذلك فأقام فى مصر مدة ثم عاد الى دمشق وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك من جماعة الجند نحو من ثمانين انسانا من الشيوخ والعواجز والضعفاء فكثر عليه الدعاء من الناس فى ذلك اليوم بسبب ذلك وفى ربيع الاول خلع السلطان على الشيخ عبد الغنى بن تقى وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن أخيه محيى الدين بحكم وفاته وفيه رسم السلطان للاتابكى أزبك بأن يتوجه الى شبرمنت بنواحى الجيزة بسبب عمارة القناطر التى هناك فصرف عليها السلطان نحوا من خمسة آلاف دينار بسبب ترميمها فجاءت من أحسن البناء وبنى هناك رصيفا به نفع للمسافرين فى أيام النيل وبنى هناك لنفسه منظرة وغيطا على بركة هناك فجاء ذلك غاية فى الحسن من أجل المتنزهات وهو باق الى الآن وفيه من الحوادث المهولة أنه فى أثناء الشهر المذكور توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار كان التى هى فى رأس دور الحسينية فجلس هناك وأرسل خلف القضاة

الاربعة فحضر القاضى الشافعى زين الدين زكريا والقاضى الحنفى ناصر الدين بن الاخميمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقى والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى فلما تكامل المجلس شرع السلطان فى التكلم معهم فذكر لهم أن ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان أحوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت الى الخراب وان التجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف وان المماليك الجلبان يرومون منى نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبية لايخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم ثم شرع يقسم بالله تعالى أنه مابقى فى الخزائن شئ من المال لا كثير ولا قليل والقصد أن أفرض على الاوقاف والاملاك التى بمصر والقاهرة من اماكن وغيطان وحمامات وطواحين وأفران ومراكب وغير ذلك أجرة سنة كاملة استعين بها على خروج التجريدة فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضى الشافعى لعل الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك وقال القاضى المالكى ان أجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان ولابد من ذلك فلنفرض عليهم أجرة خمسة أشهر وقبل ذلك فرض عليهم أجرة شهرين فهذه سبعة أشهر وما يطيق الناس أكثر من ذلك فتوقف السلطان ثم آل الامر الى ماقاله قاضى القضاة المالكى وانفض المجلس على ذلك فلما بلغ الناس ماوقع اضطربت الاحوال وكثر القال والقيل فى ذلك وأشيع عن السلطان أنه يفرض على الجماجم من كل ذكر وأنثى من كبير وصغير على كل رأس دينارين ذهب وتكلموا من هذا النمط بأشياء كثيرة ثم بعد أيام رسم السلطان لتغرى بردى الاستادار بأن يكون متكلما فى جباية الاملاك من باب زويلة الى دير الطين ورسم لابن الصابونى ناظر الخاص بأن يكون متكلما فى جباية الاملاك من باب زويلة الى خارج الحسينية فعند ذلك اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال وتوجهت الرسل الغلاظ الشداد ولم يراعوا الوداد وأكثر الناس صاروا رسلا وطلبوا أعيان الناس وانقطع الرجا باليأس وصار الانسان يخرج من داره فيرى أربعة من الرسل فى استنظاره فيكون نهاره أغبر ويخرج وهو فى أذياله يتعثر فيقدحوا فيه الزناد ولا يرى له من اعتماد وقد قال بعض المؤلفين فى هذا المعنى

غرمت شهرين عن أجرة مكانى أمس * واصبحت مغموس فى بحر المغارم غمس
أقسم برب الخلايق والقمر والشمس * ماطقت شهرين كيف أقدر أطيق الخمس

وقد جرى فى هذه الواقعة أمور عجيبة وحكايات غريبة فمن ذلك أن بعض الرسل توجه نحو الحسينية فأتى الى امرأة ساكنة فى حوش ولم يجد عندها شيأ من متاع الدنيا فطالبها ذلك الرسول بأجرة الحوش الذى هى ساكنة فيه فجاء عليها من الاجرة عشرون نصفا عن مدة خمسة أشهر فلم تجد شيأ تعطيه للرسول فأغلظ عليها وخرج منه الحد فلما رأت منه ذلك وكان عندها شجرة تبق فى الحوش فقالت له اقطع هذه الشجرة وبعها وخذ ثمنها فى نظير ماجاء على

فأحضر القطاعين وقطع تلك السدرة وحملها ومضى وقد حصل للمرأة غاية الضرر لقطع شجرتها التى كانت تستظل تحتها فى أيام الصيف وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث فى دولة قايتباى ويا ليته صرف هذا المال فى شئ عاد نفعه على الناس ولكن صرفه فى غير مستحقه وراح فى البطال ولم ينتفع به كما سيأتى ذكر ذلك وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه كانت مصادرة المهتار رمضان فضيق عليه السلطان حتى أخذ منه ستين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكان المهتار متحصله فى كل يوم فوق الاربعين دينارا خارجا عن جهاته وحماياته وغير ذلك وكان متحدثا فى نظر الكسوة وغير ذلك من الجهات السلطانية ورأى من العز والعظمة مالم يره غيره من المهاترة السلطانية وفى ربيع الآخر ثارت المماليك الجلبان على السلطان فطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم فلما رأى منهم عين الجد أنفق عليهم على العادة كما تقدم شرح ذلك وفيه عين السلطان قرقماس أمير اخور ثانى ليتوجه الى دمشق بسبب جباية أملاك دمشق عن خمسة أشهر كما وقع بمصر وعين قاصدا أيضا الى ثغر الاسكندرية ودمياط وكانت هذه المصيبة عامة على الناس حتى أخذ من أوقاف البيمارستان خمسة أشهر وانقطع معلوم الايتام والضعفاء فى رواتبهم مدة خمسة أشهر وكذلك سائر أوقاف الجوامع والمدارس والترب وقطع معلوم الصوفية والصدقات الجارية فلما توجه قرقماس المذكور الى دمشق أظهر بها من المظالم أشياء كثيرة لم يفعلها هنا فى زمانه وقرقماس هذا هو الذى تولى نيابة حلب فيما بعد وقبض عليه طومان باى الدوادار لما خرج الى الشام بسبب عصيان قصروه نائب الشام فسجن قرقماس هذا بقلعة دمشق ثم عاد الى مصر وقد تولى الاتابكية وفى جمادى الاولى خلع السلطان على تانى بك الجمالى وقرره فى امرية مجلس عوضا عن برسباى قرا المحمدى بحكم وفاته فى حلب وكانت امرية مجلس شاغرة مدة طويلة وكان تانى بك الجمالى متكلما فيها بغير تقرير وفيه انتهت عمارة ابن الجيعان أبو البقا من تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الاوز وصارت من جملة متفرجات القاهرة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

عجبت لجامع قد زاد حسنا * وأبدع فى التزخرف والبناء
به الأنهار تجرى فى جنان * وقصر شاهق لابى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء من أحسن البناء وفيه انفصل على باى عن نيابة ثغر الاسكندرية وأتى الى مصر معزولا وفيه قدم اقبردى الدوادار وكان مسافرا الى جهة نابلس فأهلك الحرث والنسل فى هذه السفرة وحضر صحبته اركماس بن ولى الدين دوادار السلطان بدمشق وقد كثرت فيه الشكاوى فاستجار بالامير اقبردى وحضر صحبته وفيه جاءت الاخبار من بلاد الكرك بأنه ظهر بها فى قبيلة بنى لام رجل من بنى آدم ذقنه قدر غربال القمح وكان يأكل اللحم النئ بعظمه ويأكل الجيف من على الكيمان وربما افترس من

بنى آدم جماعة وكان يفترس البقر والغنم وكانوا يخرجون اليه جماعة من بنى لام ويرمونه
بالنشاب فلا يؤثر ذلك فيه ولو ضربوه بالسيوف وكان اذا صرخ تسقط منه الحوامل فلما
قوى تسلطه على ذلك المكان رحل عنه بنو لام وتركوه له وقد أعيا الناس أمره وهذه
الواقعة مشهورة بين الناس وقد وصل مطالعة الى السلطان بمعنى ذلك وفيه أرسل
السلطان مراسيم الى نائب الشام بأن يجمع أعيان التجار بها ومساتير الناس ويفرض
عليهم الاموال الجزيلة كل واحد على قدر مقامه مساعدة للسلطان على خروج التجريدة كما
فعل بمصر وكتب بمعنى ذلك مراسيم الى الاسكندرية ودمياط وأشيع بين الناس أن
السلطان يخرج هذه المرة بنفسه وقد قويت الاشاعات بذلك وفى جمادى الآخرة وقعت
بالقاهرة زلزلة خفيفة وماجت الناس ثم سكنت بعد ان ماجت منها الارض بعد المغرب
وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة ماماى الخاصكى الذى
توجه قبل تاريخه الى ابن عثمان وكان هذا القاصد الذى حضر من أجل قضاة ابن عثمان
وكان متوليا القضاء بمدينة بروسه وهو شخص من أهل العلم يقال له الشيخ على جلبى فلما صعد
الى القلعة أكرمه السلطان وبالغ فى تعظيمه جدا وأحضر على يديه مفاتيح القلاع التى كان
ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان وأشيع أمر الصلح فنزل القاصد فى مكان
عدّله وهو فى غاية الاكرام ثم ان السلطان أطلق اسكندر بن ميخال الذى كان أسر وحبس
كما تقدم وأقام مدة طويلة فلما أطلقه السلطان أحسن اليه وكساه وكذلك أطلق الاسراء
الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم وأحسن اليهم وتوجهوا الى بلادهم
صحبة القاصد لما سافر وهذا ما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان
وفيه أمر السلطان بضرب أبى يزيد الصغير أحد الجمقدارية وكان من خواصه ولكن
ضربه لامر أوجب ذلك وأبو يزيد هذا هو الذى صار رأس نوبة ثانى فيما بعد وقبض عليه
العادل طومان باى وحبسه بقلعة دمشق لما توجه الى هناك وتسلطن وفيه كسفت الشمس
كسوفا تاما ودامت فى الكسوف نحوا من ثلاثين درجة وعاودت الزلزلة التى كانت
بالامس وكانت خفيفة جدا وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وحضر قاصد
ابن عثمان فعرض السلطان فى ذلك اليوم كسوة الكعبة ومقام ابراهيم عليه السلام وزف
معهما المحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفيه توفى بركات الصالحى وكيل بيت المال
وكان من أعيان الموقعين وهو بركات محمد بن محمد بن أبى بكر القاهرى الشافعى الصالحى
وكان غير محمود السيرة فى أفعاله كثير الظلم والعسف ومولده سنة احدى وثمانمائة
وكان اعتراه آكلة فى رجله فاستمر بها الى أن مات وفيه يقول بعض الشعراء مداعبة لطيفة

بركات زاد الظلم فى أيامه * وعلى الورى قد جار فى توكيله
وبرجله كان الهلاك بعاهة * فمشى الى نار الجحيم برجله

وهو الذى كان سببا لايقاف جماعة قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى واستمر الشيخ برهان الدين القلقشندى فى التوكل به حتى مات بركات الصالحى فأفرج عنه بعد أن غرم أموالا لها صورة وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذى أنشأه بالروضة وجاء فى غاية الحسن وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام مالا يحصى ويجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الجم الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الامر وفيه أشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين الاسيوطى أفتى بانه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لان الاجماع منعقد على منع البناء فى شطوط الانهار الجارية وأما ذكر ان ذلك يجوز فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ورحمه فباطل وليس له صحة فى كتب الشافعية قاطبة وفيه خرج جان بلاط بن يشبك قاصدا من عند السلطان الى ابن عثمان فخرج فى تجمل زائد وموكب حافل وجان بلاط هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد بعشر سنين وفى شعبان قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر فى حجوبية الحجاب بطرابلس ونظر جيشها وغير ذلك من الوظائف بها وفيه ظهرت أعجوبة وهو أنه ولد مولود لستة أشهر فلما نظروا اليه وجدوا فى وجهه لحية وعلى فمه شارب وقد دارت لحيته فى وجهه وفى فمه أسنان مفلجة وكان عليه بشاعة فعاش ثلاثة أيام ومات وفى رمضان خلع السلطان على يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة وصار مقدم ألف وقرره فى نيابة حماه عوضا عن اينال الخسيف فى تقدمة ألف بمصر فيما بعد وفيه تغير خاطر السلطان على ازدمر المسرطن أحد مقدمى الالوف بمصر وقرره فى نيابة صفد عوضا عن بلباى المؤيدى بحكم وفاته عنها وكان ازدمر هذا من خواص السلطان وكان عنده من المقربين وكان أغات أقبردى الدوادار ثم وقع بينه وبين السلطان فى الباطن فمقته وولاه نيابة صفد عوضا عن بلباى المؤيدى بحكم وفاته واستمر بها الى أن مات وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية فى سائر البضائع حتى بيع كل ثلاثة أرادب قمح بدينار ورخص سائر الغلال جدا وفى شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل المبارك فاخر السلطان فتح السد فى ذلك اليوم وفتح فى اليوم الثانى من شوال ووافق ذلك خامس عشر مسرى القبطى فصار العيد عيدين فعد ذلك من النوادر وفى هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين الاسيوطى هذه الابيات

يوم عيد الفطر وافى * بهناء وسعاده

ختم الصوم وأوفى النيل فى أحسن عاده

يا له من يوم عيد * فيه حسنى وزياده

وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل الامير ازدمر غساج وفى ذى القعدة توفى تقى الدين بن نصر الله وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب وبين جماعة من أهلها وقتل فى هذه المعركة من مماليك أزدمر نائب حلب سبعة عشر مملوكا وقتل من أهل حلب نحو من خمسين انسانا وأحرقوا جماعة من حاشية النائب بالنار وكادت حلب أن تخرب عن آخرها ولولا أن قانصوه الغورى حاجب الحجاب بحلب قام فى اخماد هذه الفتنة حتى سكنت ما كان يحصل خير فى هذه الحركة فلما سمع السلطان بذلك تنكد جدا وعين ماماى الخاصكى بأن يتوجه الى حلب ليكشف عن هذه الفتنة وأخذ فى أسباب السفر الى حلب وفى ذى الحجة كان ابتداء الفتنة بين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وبين اقبردى الدوادار وقد وقع بينهما بسبب نوتى واستمرت الفتن تتزايد بينهما حتى كان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة كبيرة بين ملوك الشرق وأن يعقوب بن حسن الطويل قد قتل أخاه ووقع أيضا فتنة بين خليل الصوفى وسليمان ماجان واستمرت الفتن قائمة هناك فى جهات متعددة ووقعت أيضا فتنة كبيرة فى طرابلس الغرب وقتل شاسى بن أبى النصر ابن رجاء الخير قائد طرابلس وكان من خيار أعيان بلاد الغرب

❁ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كان دخول المحمل الى القاهرة وحجت فى تلك السنة زوجة اقبردى الدوادار وهى بنت العلائى على بن خاص بك أخت خوند زوجة السلطان قايتباى وكان طريق الحجاز فى تلك السنة مخوفا بسبب فساد العربان وفيه تغير خاطر السلطان على مجد الدين اسمعيل الناصرى قاضى قضاة الحنفية بدمشق فلما أحضر ضرب بين يديه ضربا مؤلما وقيل بل ضرب بالمقارع نحوا من عشرين شيبا وفى صفر توفى نور الدين على بن محمد بن عبد المؤمن البنتوفى الشافعى ناظر الجوالى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفى يشبك حبيب بن ططخ الظاهرى جقمق احد الامراء الطبلخانات رأس نوبة كبير وكان لا بأس به وقد جاوز السبعين سنة من العمر وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا وفيه قرر الناصرى محمد بن جرباش فى مشيخة المدرسة الظاهرية التى بين القصرين وفيه توفى تاج الدين بن الجيعان وهو عبد اللطيف بن عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متحدثا فى كتابة السر وكان شابا حسنا محمود السيرة فى أفعاله مات وهو فى عشر الثلاثين وفيه توفى ابو يزيد قصيعا الظاهرى جقمق وكان من الامراء العشراوات وفى ربيع الآخر تزايدت الاقوال بوقوع الطاعون حتى حكى أن شخصا من الاتراك رأى فى منامه ملك الموت عليه السلام فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت

الى أخذ أرواح الكثير من الناس فان الطاعون قد دخل الى مصر فقال له ذلك الجندى فهل تقبض روحى فى هذا الوباء فقال له قد بقى من عمرك سبعة أيام فانتبه الجندى من المنام وهو مرعوب فلما أصبح كتب وصية ثم انه فى اليوم السابع مات كما رأى فعد ذلك من النوادر الغريبة وفيه جاءت الاخبار بان مملكة حسن بك الطويل فى اضطراب وأن ابن عثمان قد أشرف على أخذ بلاد حسن الطويل من يد أولاده فلما بلغ السلطان ذلك قصد أن يخرج تجريدة صحبة حسين بن اعزلو بن حسن الطويل الذى كان مقيما بالقاهرة ثم آل الامر الى اهمال خروج التجريدة ومات حسين فيما بعد لما حج ودفن بالمدينة الشريفة وفى جمادى الاولى قويت الاشاعات بوقوع الطاعون وزعموا ان انسانا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ان الطاعون كان واقعا عليكم فشفعت فيكم عند ربى وقل للناس يصومون سبعة أيام متوالية فصار الكثير من الناس يصوم سبعة أيام متوالية فلم يفد ذلك شيأ ووقع الطاعون بالديار المصرية وكان طاعونا مهولا (قلت) ولم يقع الطاعون بمصر من سنة احدى وثمانين وثمانمائة الا فى هذه السنة وقد غاب الطاعون ست عشرة سنة لم يدخل مصر وكان هذا الطاعون من الطواعين المشهورة بموجب ابطائه هذه المدة وهو الطاعون الثالث الذى وقع فى دولة الاشرف قايتباى وكان مبدأ هذا الطاعون من حلب وكان فى مدة انقطاعه عن مصر كثر بها الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وجور المماليك فى حق الناس وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالفناء قال العلامة شهاب الدين بن حجر والحكمة فى ذلك أن الزنا حده ازهاق الروح فى المحصن فاذا لم يقم فيه الحد يسلط الله عليهم الجن فيقتلونهم ولما كان الزنا يقع من بنى آدم سرا سلط الله عليهم الجن يقتلونهم سرا من حيث لا يرونهم وقاعدة العذاب انه اذا نزل يعم المستحق له وغيره والرحمة لا تكون الا مخصوصة ثم يوم القيامة يبعثون على قدر نياتهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنا وقع الطاعون واذا كثر الكذب وقع الهرج وفى جمادى الآخرة هجم الطاعون بالقاهرة وفشا جملة واحدة وفتك فى الناس فتكا ذريعا وكانت قوة عمله فى المماليك والعبيد والجوارى والاطفال والغرباء ووقع فى هذا الطاعون أمور غريبة وحكايات عجيبة منها ان الكمثرى بيعت كل رطل باشرفيين ولا توجد وبيعت الواحدة منها باثنى عشر نصفا ومنها ان انسانا كان معه خمسة أولاد فطعن الخمسة فى يوم واحد وماتوا فى يوم واحد ومن العجائب أن جماعة كثيرة فروا من الطاعون لما دخل الى مصر فتوجهوا الى أماكن عديدة فلما ارتفع الطاعون عادوا الى مصر ولم يفقد منهم ولا من أولادهم أحد فسبحان القادر على كل شئ ولما كثر الموت عز وجود البعلبكى

وأضر ذلك بحال الناس وكفنوا موتاهم في الخام والمحم وغير ذلك وفيه توفي برسباى الخازندار أحد خواص السلطان والمتكلم على أوقافه وكان شابا رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفي مغلباى الشريفي ابن الطويل وكان لا بأس به وهو أحد مقدمي الالوف وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وفيه توفي جانم بن مصطفى الذى كان نائب قلعة حلب ثم بقي مقدم ألف بمصر وفيه توفي قيت الساقى أحد العشراوات ووالى القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفي مغلباى الاشرفي أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك قايتباى وفيه توفيت بنت أزبك الامير الكبير زوجة الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وكانت شابة جميلة وفيه توفيت أختها بعدها بأيام وكانت بكرا وفيه توفي نانق المؤيدى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفي رجب توفيت بنت السلطان قايتباى وكانت تسمى ست الجراكسة وكانت شابة جميلة مستحقة للزواج وكانت من سريته فماتت هي وأمها في يوم واحد وأخرجت قدام نعش ابنتها وكانت جنازة بنت السلطان حافلة وأخرجت في بشخانه زركش وقدامها كفارة وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بتقدمة ألف وبعث اليه باليلب وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وأنعم أيضا على مملوكه شادبك بن مصطفى الجوخ الدوادار الثاني بتقدمة ألف ثم حضر جانم المعروف بالمصبغة من الشام الى مصر فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بمصر وأنعم على كرتباى قريبه بتقدمة ألف وقرر ماماى الخاصكى في الدوادارية الثانية عوضا عن شادبك الجوخ بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر قيت الرجبى في ولاية القاهرة عوضا عن قيت الساقى بحكم وفاته بالطاعون وفيه كانت وفاة الشاب الفاضل على باى بن برقوق نائب الشام وكان شابا رئيسا حشما دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان له نظم جيد ومولده سنة ست وستين وثمانمائة ومن شعره الرقيق قوله

عود خيار شنبر * قد جاءنا بالعجب
أزهاره أبدت لنا * شمارخا من ذهب

ومما مدحه به المنصورى قوله

محاسن على باى بن برقوق مشرق * كطرة وسنى ليس بينهما فرق
فان يك سباقا الى الفضل والندى * فلا تعجبوا منه فوالده برقوق

ومن النكت اللطيفة قيل وقع بين الشهاب أحمد ابن الشيخ على المقرى وبين سيدى على باى هذا بعض وحشة فسطا على سيدى على باى وسماه زلابية مضافا الى اسم شخص من الاتراك كان مضحكا تعبث به الناس ويقولون له زلابية فيرجمهم فلما أشيع ذلك بين الناس أخذ بعض شعراء العصر هذا المعنى وعمل في ذلك مداعبة وقال

قد شبهوه بمن يدعى زلابية * وصح تشبيههم والاب برقوق
لكنهم فاتهم فى الوزن نسبته * فان إسم أبيه نصفه قوق

وفيه توفى حكم كاشف منف وشادبك كاشف قليوب ومن الخشقدمية جماعة كثيرة منهم قانبردى الظريف وكسباى المحمدى واقباى الطويل وقانصوه قر وابنال الاشقر وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليك السلطان والامراء ومات من العبيد والجوارى والاطفال والغرباء مالا يحصى عددهم وفى أواخر الشهر المذكور تناقص أمر الطاعون وخف بالنسبة لما كان عليه بعد ما جرف الناس جرفا وأخلى الدور من أهلها وقيل أحصى من مات فى هذا الطاعون بمصر وورد اسمه لديوان المواريث خارجا عن الغرباء ومن لم يرد اسمه الى الديوان فكانوا زيادة عن مائتى ألف فمن ذلك بنات بكرا ثنا عشر ألف بنت من مصر والقاهرة والضواحى وقد قال القائل فى المعنى

زالت محاسن مصر فى * عينى من هم ودهش
كادت بنو نعش بها * أن يلحقوا ببنات نعش

وقال الشيخ بدر الدين الزيتونى العوفى هذا الزجل يرثى به أهل مصر لما وقع الطاعون بها وهو

وحد ومن قد حكم بالموت * ونفد حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركو الابصار
بالممات رب البشر لما * قد حكم فى الكاينات باجمع
اختفوا فى ذا الوجود واضحوا * مالهم من ذا القضا مدفع
جا أخذ منهم ملاح كانوا * شبه أقمار البدور طلع
فاندبوا يا اهل الحى وابكوا * واجعلوا دمع العيون مدرار
واحزنوا على الذين ماتوا * واختفوا عن أعين النظار
كنت اجد أقمار بدور طلع * وشموس تشرق على الاطلال
حسنهم سما وقد كانوا * فى هنا بالجاه وكثر المال
جا الممات سرعه وعاندهم * اختفوا حين عاينوا الاهوال
وبقوا تحت الثرى غياب * بعد ما كانوا يروا أجهار
يا أسف قلبى وطول حزنى * عنى قد غابت شموس واقمار
حين أتى كاس الممات للناس * وبقى ما بينهم داير
وسقاهم فى المقام شربه * حتى صار فى سرهم ساير
أصبحوا فى حضرة غياب * بعد ما كان كل أحد حاضر
سكروا فى حضرة الساقى * لما كاس الموت عليهم دار

وبقوا ندمان وقد غابوا * من شراب ماهو خمر خمار
ركب الطاعون وقد طلب * وحمل في عسكر الاطفال
كم جرح قلوب وكم أفنى * من جموع لما عليهم مال
كم ترك مطعون بقي مطروح * كم كسر شجعان وكم أبطال
كم رأيت مقتول بذي الوقعه * بعد كسروما يجد اجبار
والقضا فرق جموع الناس * كن كان في ايدي القضا بتار
كم رأيت ملسوع بسم الموت * قد لسع ولا يجد ترياق
كم رأيت منصاب من افعالو * جت اليه آفة بلا تنساق
كم رأيت ثكلى وهي حيه * شعرها ناشر من الاشواق
كم رأيت فارس بقي ملقى * بعد ما كان في الوجود سيار
كم رأيت من دار خلاها الموت * ماترك فيها ولا ديار
يافهيم انظر لذي الدنيا * كيف بقت تحكي لنا بستان
والبشر قد أصبحوا فيها * كانهم أثمار على الاغصان
ومليك الموت بامر الله * قد بقي فيها شبيه جنان
كلما انتهى الى واحد * وبلغ حدوالى المقدار
جا اليه بامر الذي أنشاه * قطعو من بين دي الاثمار
نسألك يارب يارحمن * يا الله يا أول ويا آخر
يالطيف ياخالق ياحافظ * ياعليم بالذنب ياغافر
يابصير يافرد ياواحد * ياسميع ياحق ياقادر
ارفع الطاعون بجاه احمد * الممجد صاحب الانوار
وانزل الرحمه ومتعنا * بالرضا والعفو ياستار
وانا العوفي ولي أزجال * من نظام تحكي عقود جوهر
كلما كررتها تحلو * ما أحسن السكر اذا تكرر
فاسمعوا الى ما أقول واصغوا * ياجميع من حل دا المحضر
وحدوا من قد حكم بالموت * ونفذ حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركو الابصار

وفي شعبان ارتفع الطاعون عن مصر والقاهرة جملة واحدة ومشى نحو بلاد الصعيد وفيه توفي الشيخ شمس الدين الحصاني محمد بن أبي بكر بن محمد القاهري الشافعي الكاتب المجيد وكان عالما فاضلا عارفا بالقراآت السبع وكان امام جامع ابن طولون وكان خيرا

دينالابأس به ومولده سنة عشر وثمانمائة وفيه توفى محمد العجمى الذى كان مقيما بجامع
كراى وكان من أولياء الله تعالى مشهورا بالصلاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان
الفنش صاحب قشتيلة الفرنجى قد ملك غرناطة التى هى دار مملكة الاندلس وكانت
هذه الواقعة من أعظم الوقائع المهولة فى الاسلام وفى رمضان قرر ناصر الدين محمد الصفدى
فى وكالة بيت المال وحصل منه الظلم والعسف فى الناس وفيه ثارت فتنة بين المماليك
الجلبان بسبب تفرقة الاقاطيع التى توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون وفى شوال
خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى أمير مجلس وبالاول كرتباى
قريب السلطان وفيه تغير خاطر السلطان على الصاحب قاسم فعزله وكان يومئذ ناظر
الدولة فلما صرف عنها قرر بها عبد القادر الطويل عوضا عن قاسم شغيتة وفى ذى القعدة
ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع المتوفرة عمن مات بالطاعون فى السنة المذكورة فصار
يفرق أقطاع كل من توفى من الطباق لاهل طبقته ولا يخرج من ذلك شيأ لغير أهل طبقته
وكانت أغوات الاطباق والمماليك الجلبان يتراصون مع بعضهم بالنوبة ويحضروا
ويعرضوا ذلك على السلطان فينعم لهم بذلك فمنهم من يكون طبقته فيها اقطاعات كثيرة متوفرة
ومنهم من يكون فيها شئ قليل فتأخر من المماليك الجلبان جماعة بلا أقاطيع وذلك الى
آخر خرج المماليك فى السنة المذكورة سنة سبع فعرضهم السلطان فيما بعد وأخرج لهم
أقاطيع كانت متوفرة فى الذخيرة ففرقها على المماليك الذين لم يخصهم شئ من الاقطاعات
المتوفرة من الطاعون وصار الديوان يستدعيهم باسمائهم والسلطان يعطيهم ويكنت
حتى لم يبق من جلبان قايتباى أحد بلا اقطاع الا الذين استجدوا من بعد الفصل وكانت
الاقطاعات التى فرقت أكثرها ثلاثون ألفا وأقلها خمسة عشر ألف درهم والاقطاعات التى
توفرت من جماعة المماليك الاينالية فرقها على خشداشينهم الاينالية فوق اقطاعاتهم والتى
توفرت من الخشقدمية أعطاها لخشداشينهم من الخشقدمية وأعطى لبعض خشداشينه
وبعض أولاد الناس ممن كان منزلا بالديوان وهو بالطبقة اقطاعات خفيفة واستمرت تفرقة
الاقطاعات مدة ثلاثة أشهر وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الميدان الناصرى وكان أزبك
أمير كبير شادا على العمارة حتى انتهى منه العمل وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل أزبك أمير
كبير وفتح السد على العادة وفيه اختفى تغرى بردى الاستادار وقد تغير خاطر السلطان عليه
فلما طال اختفاؤه خلع السلطان على الامير أقبردى الدوادار وقرره فى الاستادارية عوضا
عن المذكور مضافا لما بيده وفيه فرق السلطان على جميع العسكر من القرانصة
والجلبان وأعطى لكل واحد منهم فرسا وديعة من موجود الذين ماتوا بالطاعون
وذلك لاجل كثرة الخيول وقلة الغلمان لخدمتها وفى ذى الحجة جاءت الاخبار من مكة

المشرفة بوفاة الخواجا شمس الدين بن الزمن وكان من مشاهير التجار فى سعة من المال وله بر ومعروف وهو صاحب المدرسة التى ببولاق عند الرصيف وكان دينا خيرا وكان لا بأس به وفيه توفى شيخ جبل نابلس يونس بن اسماعيل وتوفى يوسف بن بردبك العجمى وكان شابا حسنا لا بأس به وتوفى على بن الجمجمة الذى كان مقيما بمصر واختتن مع ابن السلطان

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لم يحضر مبشر الحاج وصار الناس فى قلق بسبب ذلك وكان المبشر فى السنة المذكورة تانى بك الاجح أحد المماليك السلطانية فاعترضه بعض العربان فى أثناء الطريق وأعاقوه عندهم أياما وفيه توفى برهان الدين بن النعمان المحدث وكان انسانا حسنا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بأنه نزل برد تحت الليل فكان قدر كل بردة مثل بيضة النعام ونزل بها بردة كبيرة فكانت زنتها خمسة وسبعين رطلا بالمصرى فقتل بسبب ذلك بهائم وطيور وغير ذلك وكان أمرا مهولا وفى صفر خرج الامير اقبردى الدوادار الى جهة نابلس وخرجت تجريدة الى جهة البحيرة وكان الباش عليها الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النوب وعدة وافرة من الامراء العشراوات والجند وفيه عاد الطاعون الى القاهرة ثانيا لكنه كان خفيفا بالنسبة لما قبل ذلك ومات به جماعة من المماليك والاطفال ومن كان فر قبل دخول الطاعون من القاهرة فى السنة الماضية وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانى باى قرا الرماح بامرية عشرة ثم بعد ذلك بمدة يسيرة قرره فى نيابة صهيون وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وقانى باى هذا هو الذى بقى أمير اخور كبير فيما بعد وفى ربيع الاول أنعم السلطان على مملوكه كسباى الشريفى بامرية عشرة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وحضر القضاة الاربعة والامراء وفى ربيع الآخر عين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير فى امرية الحاج بركب المحمل وعين الناصرى محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بانه فى ليلة تاسع عشر صفر سقطت صاعقة عظيمة فى المسجد الشريف فاحرقت منه جانبا وتساقطت فى تلك الليلة عدة صواعق خارج المدينة الشريفة فلما بلغ السلطان ذلك أمر باصلاح ما فسد من المسجد الشريف وفى جمادى الاولى توفى بركات بن الطريف المقرى وكان علامة فى قراآت الرياسة بالجوق وفيه توفى الناصرى محمد بن بردبك وهو سبط الاشرف اينال وكان رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس وكان مفرطا فى السمن جدا وكان لا بأس به وفيه توفى الخواجا عمر بن غازى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال وكان لا بأس به وفى جمادى الآخرة خسف جرم القمر جميعه وفيه توفى الشهابى أحمد بن برقوق نائب الشام وهو أخو سيدى على باى بن نائب الشام فكان بينه وبين موت أخيه دون السنة وكان شابا حسنا جميلا لم يلتح بعد وفى رجب ثار جماعة من المماليك

الجلبان

الجلبان على السلطان ووقفوا بالرميلة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وآل الامر الى
طلب نفقة من السلطان فمشى بعض الامراء بينهم وبين السلطان فى ذلك فوعدهم بالنفقة
بعد مضى شهر فسكن الحال قليلا ولكن استمرت الدكاكين مغلقة وكذلك الاسواق حتى
نودى لهم بعد أيام بالامان والاطمئنان وفيه وصل قاصد من عند رستم بن قرا ملك صاحب
العراقين وكان ملك العراقين بعد أمور يطول شرحها وفيه توفى القاضى نور الدين على بن
قاسم أحد نواب الحكم الشريف المالكى وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفى صندل
الحبشى نائب المقدم وفيه توفى برسباى أمير جندار وكان قد طعن فى السن وفى شعبان
توفى شادبك الاشقر المحمدى الظاهرى جقمق أحد الامراء العشراوات ونائب ثغر دمياط
وشاد الجر وكان لا بأس به وفيه عين السلطان قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أحد الامراء
العشراوات بان يتوجه قاصدا من السلطان الى ملك الشرق رستم أحد أولاد حسن الطويل
متولى العراقين وقد جرى بينه وبين اخوته ما الاخير فيه حتى تولى بعد أمور وقعت له فخرج
قانصوه المذكور بعد أيام فى تجمل زائد وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان أهلها قد رجموا
النائب قانصوه اليحياوى وقد ثارت بدمشق فتنة كبيرة وفى رمضان نودى بالصوم بعد ضحوة
النهار وقد ثبت الهلال بعد طلوع الشمس بثلاثين درجة وقد أكل غالب الناس فى ذلك اليوم
ولاسيما العوام فثقل عليهم الامساك فى ذلك اليوم بعد الافطار وفيه جاءت الاخبار من دمشق
بوفاة سودون الطويل الاينالى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه كان
ختم البخارى بالقلعة فخلع على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء ووقع فى ذلك
اليوم بحث بين البرهان الدميرى احد نواب المالكية وبين بعض الطلبة فانكروا على البرهان
الدميرى بما أجاب به فى المسئلة وكان الختم حافلا جدا وفى شوال كان وفاء النيل المبارك
ووافق ذلك ثانى عشر مسرى القبطى وتوجه أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وفيه
خرج الامير قانصوه خمسمائة بركب المحمل والناصرى محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول
فكان لهما بالقاهرة يوم مشهود وطلب الامير قانصوه ذلك الطلب الذى تقدم ذكره فى
التجريدة ومن غريب الاتفاق أن النيل أوفى وغالب الناس فى بركة الحاج مشغولين بالحجاج
فلما بلغ أزبك وفاء النيل حضر تحت الليل حتى فتح السد وعاد وفى ذى القعدة جاءت الاخبار
بوفاة الشيخ المحدث الواعظ برهان الدين ابراهيم بن الحوى رحمه الله ورضى عنه مات بطريق
الحجاز قبل وصوله الى العقبة ودفن هنالك وكان عالما فاضلا محدثا بارعا فى الحديث وكان دينا
خيرا من أهل الصلاح ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه خلع السلطان على داود بن سليمن
من أولاد ابن عمر أمير عربان هوارة وقرره فى امرية الوجه القبلى ببلاد الصعيد وفى ذى الحجة
توفى ابن العيسى ناظر الاحباس وهو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد العيسى الشافعى

وكان رئيسا حشما محمود السيرة لا بأس به وتوفى السيد محمد الشريف القادرى أخو زين العابدين وكان لا بأس به

❁ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد وصعد أيضا الشيخ جلال الدين الاسيوطى فلما جلس سأله السلطان عن أى سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشئ مع غزارة علمه وقوة اطلاعه وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف فى هذه المسئلة بأنه قصد بذلك الاذان فانه سنة ولم يفعله والاصح أنه أذن فى وقت وورد فى ذلك حديث وعمل فى هذه المسئلة كراسا مطولا وذكر فيه أشياء كثيرة مما سنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفعله وفيه أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بامريات عشرة منهم ماماى جوشن ومصرباى أخو مغلباى وبرسباى العلائى واسنباى الاصم وآخرون وفيه وصل الحاج ولم يثنوا على قانصوه جيلا ولا حمدت سيرته فى هذه السفرة وحكوا عنه أمورا غير صالحة فانه رمى الناس وأخذ جمالهم وترك جماعة منهم بالينبع حتى أتوا من البحر الملح فيما بعد وشال له الحاج راية سوداء وهم داخلون البركة وما لاقى الحاج فى السنة المذكورة خيرا وكانت سنة صعبة على الناس من الغلاء وموت الجمال واستمر قانصوه خمسمائة فى عكس ولم ينجح أمره من بعد ذلك حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى الشيخ جمال الدين يوسف بن شاهين الكركى سبط الحافظ ابن حجر القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن العربان تغلبوا على الكرك والشوبك وحصل هنالك فتن مهولة وفى صفر نزل ابن السلطان من القلعة فى موكب حافل وتوجه الى داره التى أنشأها السلطان على بركة الفيل فاقام بها ساعة ثم عاد الى القلعة وهذا أول ظهوره للناس ونزوله الى المدينة وكان معه اقبردى الدوادار والجم الغفير من الجند وكان نزوله سببا للانفاق على الجند لكل واحد منهم خمسون دينارا وسموها نفقة نزول ابن السلطان وكان قاصد ابن عثمان حاضرا الكى يشاع ذلك بحضرته وفيه جاءت الاخبار بوفاة ازدمر المسرطن نائب صفد الظاهرى جقمق وكان من أعيان الامراء جليلا سليم الفطرة ومات وهو فى عشر الستين وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة ازدمر نائب حلب قريب السلطان وكان انسانا حسنا لا بأس به وولى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس بمصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو فى عشر الستين وكان فى أوائل عمره فى قلة وخمول وأقام على ذلك دهرا طويلا فلما تسلطن السلطان قايتباى ظهر أنه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فاقام فيها مدة ومات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وهو ازدمر بن مزيد ثم

بعد موته أرسل السلطان خلعة الى اينال السلحدار نائب طرابلس ونقله الى نيابة حلب
عوضا عن قريبه ازدمر بحكم وفاته وكان اينال هذا ولى نيابة صفد أيضا بعد ازدمر
المسرطن وقتل فى واقعة اقبردى الدوادار لما سافر الى حلب وفى ربيع الاول توفيت خوندبنخ
زوجة الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وكانت زوجة تنم المؤيدى نائب الشأم
وكانت من مشاهير الخوندات وهى والدة سيدى فرج الماضى ذكر وفاته وكانت لا بأس
بها وكانت تقرب للملك الظاهر جقمق وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه
توفى الشيخ أحمد بن زروق المغربى المالكى وكان من أهل الصلاح والدين وفيه قبض
السلطان على بدر الدين بن الاينالى كاتب جيش الشام فضربه بالمقارع بين يديه وأمر بقطع
لسانه حتى شفع فيه بعض الامراء فعوفى من ذلك ولم يكن له ذنب يوجب ذلك ولكن خرج
خلق السلطان فى ذلك اليوم جدا وفى ربيع الآخر توفى القاضى تاج الدين ابن الامام وهو
محمد بن أحمد بن محمد الامام وكان أحد نواب الحكم من الحنفية وكان غير مشكور فى
قضائه وعنده خفة ورهج كما قال فيه الشهاب المنصورى

قالوا علا التاج وهو قاض * فقلت يا ضيعة الحقوق
غايتـــــه أنه توج * ملق على مفرق الطريق

وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأنه سقط بها ثلج حتى عم الاسطحة والشوارع
مثل ثلج الشام فعد ذلك من النوادر وفيه عين السلطان ازدمر تمساح أمير حاج ركب
المحمل وعين الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك أمير الركب الاول وعين يشبك
الاشقر باش المجاورين بمكة المشرفة وفيه عين السلطان الامير ماماى بن خداداد الدوادار
الثانى بأن يتوجه رسولا الى ابن عثمان وقد توجه قبل ذلك مرة أو مرتين وهذا آخر قصاد
السلطان الى ابن عثمان فشرع ماماى فى عمل برق عظيم وصنع له دركا ببركة الرطلى فى
زمن الشتاء وصار يوقد فى كل ليلة هناك وقدة حافلة وهرعت الناس الى هناك بسبب
الفرجة وعمل الجسر وسكن به الناس أياما فى قلب الشتاء حتى عد ذلك من النوادر وكان
يعمل هناك فى كل ليلة خيال ظل ومغانى عرب أو ابن رحاب المغنى أو جوق المحبظين وكانت
ليالى مشهودة فى القصف والفرجة حتى خرج الناس فى ذلك عن الحد وأقاموا على ذلك
نحوا من عشرين يوما ثم سافر الامير ماماى وخرج فى تجمل زائد وموكب حافل فتوجه الى
بلاد ابن عثمان وفيه تغير خاطر السلطان على فيروز الطواشى الزمام وأمر بسجنه فسجن
فى البرج الذى بالقلعة أياما حتى شفع فيه وأطلق وسبب ذلك ان شهاب الدين الكخيتى
رافع فيه عند السلطان فتغيظ عليه وفى جمادى الاولى أمر السلطان بتجديد عمارة باب
القرافة فعمره وأنشأ هناك الربوع والسبل وجاء من أحسن البناء ثم بعد مدة يسيرة أنشأ

جامعا بخطبة خارج باب القرافة فعمره فجاء فى غاية الحسن وحصل به النفع للناس وفيه قرر بردبك الطويل فى دوادارية السلطان بدمشق وقرر برسباى الصغير فى الجويبة الثانية وفيه توفى القاضى محيي الدين بن مظفر وهو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن على بن مظفر أحد نواب الحكم الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما محمود السيرة فى قضائه وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ الصالح سيدى على الجبرتى وكان مقيما بالجامع الازهر مات فجأة وهو بالحمام وكان رجلا مباركا وفى جمادى الآخرة كان الحريق المهول بالقلعة فى حواصل السلطان التى عند قاعة البحرة وكان فيها خيام كثيرة فاحترق غالبها ولعبت فيها النار ولم يسلم منها شئ سوى خيمة المولد الشريف فقط فقومت الخيام التى احترقت فكانت نحوا من مائتى ألف دينار وقيل بل أكثر من ذلك ولم يعلم سبب وقوع النار هنالك فقام السلطان بنفسه وبقى يطفى الحريق مع المماليك فأقامت النار تعمل هنالك ثلاثة أيام فلما طلع النهار صعد الامراء الى القلعة وصاروا يسلمون على السلطان بسبب ذلك الحريق وقد تأثر السلطان لذلك وشق عليه حرق تلك الخيام وشرع كل من طلع اليه من الامراء يشكوله بانه لم يبق عنده من الخيام شئ فصارت الامراء كل من كان عنده شئ من الخيام الجديدة يقدمه للسلطان ففعل ذلك الكثير من الامراء والمباشرين ثم أشيع بعد ذلك أن النار كانت من مطبخ بيت الخليفة وكان الخليفة ساكنا بالقلعة داخل الحوش بجوار قاعة البحرة فعند ذلك رسم السلطان للخليفة بان ينزل من القلعة ويسكن بالمدينة وما حصل للخليفة خير بسبب ذلك ونزل هو وعياله من القلعة وسكن بالقاعة التى بطريق السيدة نفيسة رضى الله عنها ورجها وكانت اشاعة النار بأنها من مطبخ الخليفة باطلة ليس لها صحة وانما ذلك كلام الاعداء فى حق الخليفة وفيه خسف بجرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وأقام فى الخسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بانه وقع الغلاء المهول حتى مات من أهلها نحو من ألفين وخمسمائة انسان من شدة الجوع وأكلوا الجيف والميتات وفيه أمر أزبك الأمير الكبير بتجديد عمارة المدرسة المنصورية التى بدهليز البيمارستان وعمل على الفسقية التى بها قبة وجدد بها منبرا وأقام بها خطبة ولم يعهد قبل ذلك ان أحدا من الاتابكية قبله أقام بها خطبة فعد ذلك من النوادر ولقد رام الاتابكى ايتمش البجاسى فى دولة الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتين وثمانمائة أن يفعل ذلك فتعذر عليه ذلك وأفتاه بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك وان فيه مخالفة لشرط الواقف فرجع عن ذلك فلما ولى الاتابكية تمراز الشمسى بعد أزبك أبطل الخطبة منها فلما قتل تمراز وأعيد أزبك الى الاتابكية ثانيا أعاد بها الخطبة واستمرت الى الآن وفيه ثارت ريح مزعجة حتى ارتاع الناس منها فلما أصبح الناس اجتاز بعض الناس بالكيمان التى خلف الجراة

فرأى

فرأى فى الارض أثر قدم انسان فكان طوله فوق الذراع وقد أثر ذلك فى التراب خلف الجراة فاشيع ذلك بين الناس ولا يعلم ما سبب ذلك وفى رجب كانت وفاة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى وهو محمد بن محمد بن يوسف الحنفى وكان عالما فاضلا مفتيا بارعا فى مذهبه وتولى عدة مدارس ثم تولى مشيخة المدرسة الاشرفية التى تجاه سوق الوراقين ومات وهو فى عشر الستين وكان لا بأس به وفيه قدم شخص من ماردين يقال له نور على وقد فر من رستم صاحب العراقين لذنب أوجب ذلك فانتمى الى سلطان مصر فلما حضر أكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر مدة طويلة حتى توفى الاشرف قايتباى ففر الى بلاده وفيه توفى يشبك قرقماس الحسينى الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى شعبان أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية لبرهان الدين الكركى الامام عوضا عن الصلاح الطرابلسى بحكم وفاته وفيه كانت وليمة عرس الامير جان بلاط على ابنة القاضى كاتب السر ابن مزهر وهى أخت البدرى كاتب السر ابن مزهر وكان مهما حافلا وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب تونس ومدينة افريقية وهو زكريا بن يحيى بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى فارس الحفصى مات بالطاعون فلما توفى قرر ولده عمر فى مملكة افريقية عوضا عن أبيه زكريا وفى رمضان رخص سعر البطيخ العبدلى حتى بيع كل حمل بنصفين فضة ولولا المكس لبيع كل حمل باقل من ذلك و بيع فى الحوانيت كل قنطار بنصفين فضة وفيه كانت وفاة العلائى على بن خاص بك صهر السلطان وهو على بن خليل ابن حسن بن خاص بك التركى الاصل وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أعيان أولاد الناس وقد كبر سنه وشاخ ومولده قبل الثلاثين والثمانمائة وكانت جنازته حافلة وأخرج بكفارة ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنين ومشت قدامه الامراء للتربة وكان له اشتغال بالعلم وكان ينظم الشعر وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى مؤذن

ومؤذن فى حسنه * أنا مغرم لا أصبر

لما طلبت وصاله * أضحى علىّ يكبر

وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على جماعة من الخاصكية منهم طوغان باى النورو تمر القصير الذى بقى زردكاش ثم بقى مقدم ألف وقايتباى الاشقر وآخرون وفى شوال كان عيد الفطر يوم الجمعة ولهج غالب الناس بزوال السلطان عن قريب وماذاك الا أن العيد كان يوم الجمعة و يخطب فى ذلك اليوم خطبتان و يدعى للسلطان فى ذلك اليوم مرتان فلهج الناس بان فيه كمال سعد السلطان وهو وجه العلة فى هذه المسئلة وقد جاء فى أيام الاشرف قايتباى خمسة أعياد بالجمعة ولم يضره ذلك ومكث هذه المدة الطويلة ولم يؤثر فيه ذلك شيأ فمن ذلك كان عيد الفطر بالجمعة سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وعيد فطر بالجمعة

أيضا سنة ست وثمانين وثمانمائة وعيد نحر بالجمعة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وعيد نحر أيضا بالجمعة سنة ست وتسعين وثمانمائة وعيد فطر أيضا سنة تسع وتسعين وثمانمائة فهذه خمسة أعياد قد مرت عليه وهي بالجمعة وهو ثابت في مملكته لم يتزحزح عن ملكه منذ ثلاثين سنة الا أياما وأشهرا فكان كما يقال

لا ترقب النجم في أمر تحاوله * فالله يفعل لا جدى ولا حمل
مع السعادة ماللنجم من أثر * فلا يضرك مريخ ولا زحل

وفيه توفي الاديب الفاضل محمد بن شادى خجا المجدى وكان شاعرا ماهرا وله نظم جيد فائق في المعانى ومن شعره الرقيق قوله

ماحيلتى فيمن بنى في الحشا * بيتا من الحب لواش وشا
رشا له لحظ اذا مارنا * أنسانى فيه الغى عين الرشا د

ومولده بعد الخمسين والثمانمائة ومما قاله فيه الشهاب المنصورى من المديح وأجاد

أنت شاد بنغمة الشحرور * في رياض المنظوم والمنثور
وادكارى بالعنبر الرطب منه * ضائع عند طيب ذاك العبير
عجبا لى مكاتب ورقيق * مع أنى أحتاج للتدبير
يا ابن شاد مذ صار مدحك ذكرى * قلت انى من حسنه في قصور

وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان ازدحم تمساح بالمحمل واينال الفقيه بالاول وفيه توفي تانى بك الخازندار وكان من خواص السلطان لا بأس به وفيه قرر في قضاء الحنابلة بمكة المشرفة الشيشى وهو قاضى قضاة الحنبلية الآن بمصر وفيه توفي جانى بك المحمودى الظاهرى جقمق خشداش السلطان وكان من الامراء العشراوات ورأى غاية العز في أيام السلطان قايتباى وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ أبو الكرم المغربى وكان فاضلا في علم الفلك ومعرفة أحواله وفي ذى القعدة توقف النيل عن الزيادة أياما حتى قلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على شراء القمح والشعير وغير ذلك من الغلال واستمر النيل واقفا ورد ما نقص الذى كان زاده ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمر حتى كان الوفاء وفي هذه الواقعة يقول الناصرى محمد بن قانصوه وهو قول ابن صادق

قلعت أصابع نيلنا * عين الذى خزن الغلال
وغدت تقول النقص كا * ن على الوفا قطعا وزال

وقال شيخنا عبد الباسط الحنفى

النيل وافى ووفى * مبشرا بالمنافع
وخازن القوت عينه * قلعت بالاصابع

وفيه كان الوفاء فى آخره وحصل للناس غاية الجبر بكسره بعد أن كان قد نقص وأيس الناس من طلوعه فى السنة المذكورة فتوجه أمير كبير أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفى عبد العظيم أحد كتاب المماليك وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك بن حيدر نائب حماه وكان أصله من مماليك الاشرف اينال وتولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة والامير اخورية الثانية ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم بقى نائب حماه وكان لا بأس به ومات وهو نائب حماه ودفن بها فلما مات يشبك خلع السلطان على اقباى الطويل وقرره فى نيابة حماه عوضا عن يشبك بن حيدر بحكم وفاته وفيه من الحوادث أنه وقع واقع وهو مقطع بالجبل المقطم على جماعة من الحجارين فماتوا تحته ومن المماليك ثلاثة أنفار كانوا هناك بسبب النقارة ومات تحت الواقع عدة جمال وحمير كانت هناك لاجل حمل النقارة وكان وقع على حين غفلة وكان أمرا مهولا ومن العجائب أن شخصا من المماليك الذين كانوا هناك ووقع الواقع عليهم تصاب عليه شئ من الاحجار فأقام تحت الردم ثلاثة أيام فعمل له نقب وخلصوه وهو فيه الروح وعاش بعد ذلك مدة طويلة وفى ذى الحجة فتح الاتابكى أزبك سد بركة الازبكية وكان يوما مشهودا ثم بعد أيام صنع وقدة حافلة وحراقة نفط وعزم على ابن السلطان فنزل اليه وبات عنده فى القصر المطل على البركة ومد له أسمطة حافلة وقدم له تقادم حافلة ما بين مماليك وخيول وقماش وغير ذلك ثم طلع ابن السلطان الى القلعة فى اليوم الثانى أواخر النهار ولم يشق ابن السلطان من المدينة سوى ذلك اليوم من منذ نشأ وكان مقيما بالقلعة لم ير البحر قط وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب سمرقند وهو الملك المعظم أحمد بن أبى سعيد فلما مات تولى على سمرقند بعده أخوه محمود صاحب بلخشان وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب فرغانة من بلاد المشرق وهو عمر بن أبى سعيد وكان فيه الخير والعدل فى الرعية ولما مات تولى من بعده على مدينة فرغانة أخوه أحمد

ثم دخلت سنة تسعمائة فيها فى المحرم صعدت القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فلما جلسوا أمر السلطان بعقد مجلس فى المدرسة الصالحية بسبب شمس الدين ابن الطواى المغربى القاضى المالكى بدمشق وكان قد حضر الى القاهرة لامر أوجب ذلك وفيه انتهى العمل من تجديد عمارة الجامع الازهر وقد جدده الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى وصرف عليه من ماله نحوا من خمسة عشر ألف دينار وجاء غاية فى الحسن وهو على ما جدده به الآن وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يقال له شمس الدين محمد بن عمران المقدسى وكان رفيقا لاحمد الحسينى فضرب بين يديه ضربا مؤلما فما أطاق ذلك ومات بعد أيام قلائل وفى صفر جاءت الاخبار بوفاة يونس الاشرفى حاجب دمشق فلما

مات قررفي جوبية دمشق قانى بك نائب غزة عوضا عن يونس المذكور وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان الحج الشامى لما رجع الى الشام خرج عليهم فى أثناء الطريق طائفة من عربان بنى لام فاحتاطوا على الركب جميعه وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وأسروا أمير الركب اركماس وكان أمراهمولا فتنكد السلطان وانزعج لذلك وفيه توفى كسباى بن أزبك الساقى أحد الامراء العشراوات وكان لابأس به وفى ربيع الاول توفى القاضى نور الدين الصوفى الحنفى أحد نواب الحنفية وكان رئيسا حشما لابأس به وكان من أعيان الناس وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وفيه هجم المنسر على سوق باب اللوق وأخذ منه أشياء كثيرة من القماش والامتعة وقتل تحت الليل جماعة من أرباب الدرك وفيه توفى يشبك بن قصروه المعروف بيشبك سحاب وكان من الامراء العشراوات وكان رئيسا حشما لابأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان على كرتباى أخى الامير اقبردى الدوادار وقرره فى نيابة صفد وفيه توفى جانى باى الحسنى الظاهرى جقمق أحد الامراء العشراوات وكان لابأس به وفى جمادى الاولى قرر عفيف الدين بن الشحنة فى قضاء الشافعية بحلب وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وفيه قرر مصرباى بن على باى فى نيابة قلعة حلب وفيه تعين تانى بك الجمالى فى امرية الحاج بركب المحمل وعين كرتباى ابن أخت السلطان فى امرية الركب الاول وفى جمادى الآخرة توفى الامير ازدمر تمساح بن يلباى الظاهرى جقمق أحد المقدمين الالوف وكان رئيسا حشما محمود السيرة ولاسيما فى سفر الحجاز وقد سافر أمير حاج بركب المحمل عدة مرار والناس عنه راضون والثناء عنه جميل وفيه توفى الصاحب قاسم شغيته وكان من الاعيان تولى نظر الدولة والوزارة غير مامرة وجاء فى الوزارة على الوضع وكان كفؤا للمنصب سائرا بالسداد منقادا فى مباشرته وجرى عليه شدائد كثيرة ومحن ومات وهو فى التوكل به ورىما قيل انه كان فى الخشب حتى مات وباشر ديوان الوزارة مدة طويلة وآل أمره الى أن مات شر ميتة نقل بعض المؤرخين أن قاسم هذا كان فى مبتدا أمره خبازا وان صلاح المكينى اشهره فى القاهرة لما كان محتسبا ثم ان قاسم هذا صار من جملة صيارف اللحم فلما قرر شمس الدين محمد البباوى تحشر فيه وصار من جملة المباشرين بالدولة فلما غرق البباوى تكلم فى الوزارة هو وعبد القادر الطويل ثم ان قاسم راج أمره وترشح للوزارة حتى استقر بها وصار من أعيان الرؤساء بمصر وباشر الوزارة أحسن مباشرة ونجح فى السداد بها وقد قيل فيه

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غدا شاكيا من لحن ألفاظه خفضا
وكم جاهل يدعى رئيسا القوة * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

وفى رجب كانت وفاة القاضى شرف الدين يحيى بن البدرى حسن ناظر الاوقاف وكان رئيسا حشما لكنه أظهر للسلطان نتيجة وعادى الناس قاطبة ولاسيما الاتراك بسبب مافرضه على البلاد لاجل الخمس كما تقدم ذكر ذلك ونهب المماليك داره فى بعض الركبات واستمر فى عكس الى أن مات ولم يثن أحد عليه خيرا فى مدة ولايته لنظر الاوقاف كما يقال

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وفيه توفى قاضى بولاق بن قرقماس أحد نواب الحنفية واسمه عبد القادر بن أحمد بن على بن محمد بن أبى بكر الدماصى وكان يعرف بابن قرقماس وكان من أعيان الحنفية مشكور السيرة فى قضائه وكان لابأس به وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل عشرة أرادب قمح بثلاثة دنانير حتى عد ذلك من النوادر وفيه توفى الطواشى سرور شاد الحوش وكان عنده قسوة زائدة وعسف وظلم وهو الذى أحدث بالقلعة السجن المسمى بالعرقانة من داخل الحوش وكان يحبس فيهما من يختار من أصحاب الجرائم واستمر بعده الى الآن يسجن به وفيه توفى المسند عبد القادر بن الزيات المناوى وكان لابأس به وفيه تغيظ السلطان على ولده الناصرى محمد وألبسه زنطا عتيقا وكبر شام ونزل به الى طبقة الزمام وقال لاغات الطبقة نوروز المجنون دعه يكنس الطبقة ويقعد على السفرة آخر المماليك وان قوى رأسه اضربه علقة قوية وعامله معاملة المماليك الجلبان فأقام فى الطبقة أياما حتى طلع الاتابكى أزبك وشفع فيه واستمر عنده ممقوتا حتى مات وفى شعبان وصل الى القاهرة شخص جركسى وهو جلب قح وقد جاوز الستين سنة من العمر ومعه اثنان من الاولاد وهما شباب ملاح الهيئة فذكروا أن ذلك الشيخ أخو السلطان وانه بيع ببلاد الفرنج وكان مقيما بها فلما حضر استسلمه السلطان وسماه قيت واستسلم أولاده وسمى أحدهما جانم والآخر جانى بك وأنزلهم بالطبقة ورتب لهم جوامك وصاروا من جملة المماليك السلطانية وفيه قدم الى القاهرة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى قاضى القضاة بها الشافعى فلما حضر جرى عليه أنكاد ومحن من السلطان وغرم مالا له صورة حتى استمر فى قضاء الشافعية بدمشق على عادته وفيه توفى أحمد حزينات وكان استاذا فى فن الموسيقى وعنده فكاهة وحسن محاضرة وفيه أشيع الخبر بموت الجمجمة بن محمد بن عثمان ملك الروم بنابل من بلاد الفرنج وجرى عليه أمور يطول شرحها ومات وهو فى أسر الفرنج وقد تقدم سبب ذلك وفيه غرقت معدية بساحل بولاق فمات بها كثير من الناس من رجال ونساء وأطفال وبهائم وفى رمضان توعك السلطان فى جسده حتى أرجف بموته ونسب قانصوه خمسمائة فى مدة توعك السلطان الى انه تقمع على السلطنة فمنع من الدخول على السلطان فى مدة انقطاعه ثم ان السلطان حصل له الشفاء ونودى فى القاهرة

بالزينة واستمرت الزينة أياما فى شهر رمضان حتى تعطلت الناس عن البيع والشراء وفيه أقيمت الخطبة بالجامع الذى أنشأه الامير ازبك اليوسفى فى رأس نوبة كبير بدرب البابا وفيه توفى تغرى برمش الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى شوال ليلة عيد الفطر خرج الامير قانصوه خمسمائة مسافرا الى بعض بلاده ولم يحضر موكب العيد فكثر القال والقيل فى ذلك اليوم وكان سفره برأى السلطان فلما كان يوم العيد ثارت فتنة من المماليك الجلبان وركب الكثير منهم فى ذلك اليوم وتوجهوا الى دار قانصوه خمسمائة ونهبوا ما فيها وأحرقوا بعض أماكن بها وأخربوا غالبها وهى الدار التى أنشأها فى قناطر السباع المطلة على الخليج الحاكمى وكان الذى أثار الفتنة طائفة من المماليك من عصبة اقبردى الدوادار فحصل الاضطراب فى ذلك اليوم ثم سكن الحال قليلا وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى وبالاول ابن أخت السلطان وفيه توفى القاضى نور الدين على بن داود الصيرفى الاسرائيلى الحنفى أحد نواب الحكم وكان من أعيان الحنفية وكان يكتب التاريخ مجازفة لاعن قائل ولا عن راو وله فى تاريخه خبطات كثيرة وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما يقال

يا من يقول بأن فى التاريخ كتبا كامله

لك بالاباعر نسبة * لم تدر ماهى حامله

وكان مولده سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان لا يخلو من فضيلة وفى ذى القعدة وصل سيف قان بردى نائب قلعة دوركى وكان غير محمود السيرة وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان هذا آخر فتح أزبك أمير كبير للسد وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل ثمانية أرغفة من الخبز البائت بثلاثة دراهم فلوس حتى عد ذلك من النوادر وفيه ابتدأ بالسلطان توعك فى جسده وظهر عليه أشاير الموت وضرب الكرة فى السنة المذكورة ضربا هينا بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك من القوة فسبحان مغير الاحوال وفيه توفى سيدى عبد الرحمن اليمنى وكان من أولياء الله تعالى وفيه توفى أقبردى التماسيحى الظاهرى جقمق وكان من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفى ازدمر بن مراد اخا الاشرفى برسباى وكان أحد الامراء العشراوات وباش مكة وكان لا بأس به وفيه ظهرت أعجوبة وهى أن امرأة ولدت مولودا صورته كصورة الفيل وله زلومة سوداء وكان بشع المنظر فمات من يومه وفيه توفى الطواشى سرور السيفى نائب المقدم وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب خراسان وهو حسين بن بيقرا بن منصور بيقرا جده قيل انه مات بعلة النقرس وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة جرت كائنة عظيمة وهى أن قانصوه خمسمائة لما توجه

الى أقطاعه فى ليلة عيد الفطر كما تقدم توجه طائفة من المماليك الى داره ونهبوا مافيها وأحرقوا غالبها فلما رجع قانصوه خمسمائة من السفر تغيرت القلوب بالعداوة بينه وبين اقبردى الدوادار وصارت العداوة كل يوم فى مزيد فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قانصوه خمسمائة ولبس آلة الحرب والتف عليه جماعة من أخصائه وخشداشينه مثل قانصوه الالفى وقانصوه الشامى ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جملة كثيرة منهم برسباى الخسيف وقرقماس الشريفى واسنباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وازبك ققص وقيت الرجبى وغير ذلك من الامراء والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك الذى أنشأه فى الازبكية فاجتمع هناك من العسكر ما لا يحصى فلما بلغ الامير يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أن العسكر قد اجتمع عند أزبك حضر عنده وكمل هناك أربعة أمراء مقدمين وجاء العسكر أفواجا أفواجا ولا يعلم ان كانت الركبة على السلطان أم على الامير اقبردى الدوادار فلما اشتد الامر طلع تانى بك قرا حاجب الحجاب الى السلطان ونعمه وخلابه وقال له انما هذه الركبة على السلطان وأن العسكر قائمة مع أزبك أمير كبير لاجل قانصوه خمسمائة فانه كان صهره فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وخشى من اتساع الفتنة فنزل وجلس فى المقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطانى ودقت الكؤسات حربى ثم نادى للعسكر من كان طائعا لله ولرسوله وللسلطان فليطلع الى الرميلة ويقف تحت الصنجق السلطانى فلما بلغ الامراء المقدمون ذلك طلع تمراز الشمسى أمير سلاح وتانى بك الجمالى أمير مجلس واقبردى الدوادار الكبير وأزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وتانى بك قرا حاجب الحجاب وجان بلاط بن يشبك وشادبك الجوخ وبقية المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات فلما بلغ من بالازبكية من العسكر أن السلطان نادى بان العسكر يطلعون الى الرميلة ويقفون تحت الصنجق صاروا فى الحال يتسحبون من هناك شيأ فشيأ ويطلعون الى الرميلة حتى لم يبق فى الازبكية الا المماليك الامراء الذين هناك فظهرت الكسرة على قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء وهذه أول حركات قانصوه خمسمائة وكان معكوس الحركات فى سائر أفعاله كما قيل

وأخرنى دهرى وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
فمذ أفلح الجهال أعلم أننى * انا الميم والايام أفلح أعلم

فبينما الاتابكى جالس بمقعده واذا بالامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النواب دخل اليه وصحبته الحاج رمضان المهتار بالطشتخانه فقال له قم كلم السلطان فى خبر فقام من وقته وتوضأ وصلى ركعتين وركب وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة بيضاء وهو مفكك الازرار

فطلع صحبتهما الى القلعة فلما رآه المماليك الجلبان كادوا أن يقطعوه بالسيوف وقيل ان
الأمير اقبردي الدوادار لكمه وشتمه فلما وقف بين يدي السلطان قام له وأمر بادخاله الى
قاعة البحرة خوفا عليه من المماليك الجلبان أن يقتلوه فلما بلغ قانصوه خمسمائة ومن معه
من الامراء ان أزبك أمير كبير قد عوقوه بالقلعة ركب وتوجه من على قنطرة
الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له خبر وكذلك قانصوه الالفي وقانصوه الشامي وبقية
الامراء ممن كان من عصبة قانصوه خمسمائة فلما اختفى الامراء انفض ذلك الجمع
الذي كان بالازبكية كأنه لم يكن وكان قانصوه خمسمائة في السنة المذكورة جدد سور
باب السلسلة وأنشأ المقعد المطل على الرميلة والبيت وحوله أبراج موجودة به الى الآن ثم
ان السلطان نادى للعسكر أن يقلعوا آلة الحرب ويتوجهوا الى بيوتهم ونادى للناس بالامان
والاطمئنان وسكنت تلك الفتنة فلما كان يوم الجمعة صبيحة ذلك اليوم قبض بعض مشايخ
العربان على قانصوه الالفي وكان قد توجه الى برالجيزة فقبض عليه من هناك وأحضره الى
بيت أقبردي الدوادار فقيده وأرسله الى السجن بقلعة صفد ثم ان قانصوه الشامي
أرسل يطلب من السلطان الامان فارسل له في ذلك اليوم منديل الامان فلما قابل السلطان
خلع عليه وقرره في نيابة حماه ورسم له أن يخرج من يومه الى السفر ثم ان الامير اقبردي
الدوادار صار يقبض على جماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ممن كان من عصبة
قانصوه خمسمائة فقبض على قيت الرجبي وبرسباي الثور الشريفي فقيدهما وتوجهوا
بهما الى السجن بالصليبة ثم على جماعة آخرين منهم وهم برسباي الخسيف وقرقماس
الشريفي واسنباي المبشر وقايتباي المبشر أيضا وأزبك قفص ولكن فر من أثناء الطريق
وقبض على سودون الفقيه فنفى هولاء الجماعة عن آخرهم واستمر قانصوه خمسمائة مختفيا
حتى كان من أمره ما سيأتي ذكره في موضعه وقد انتصف اقبردي الدوادار على جماعة
قانصوه خمسمائة وبدد شملهم وقتل في تلك الايام وطاش وخف الى الغاية واجتمعت فيه
الكلمة وصار صاحب الحل والعقد ليس على يده يد وكان ذلك من أكبر الفساد في حقه
كما قيل كل شيء اذا تناهى تواها * فانتقاص البدور عند التمام
ثم ان اقبردي الدوادار فرق في تلك الايام المذكورة أضحية جزيلة على العسكر فكانت تعادل
ضحايا السلطان من بقر وغنم حتى غمر العسكر بالاحسان فكان كما يقال في المعنى

أنا أسمر والراية البيضا لي * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل لي عيش العداة لأنني * نوديت يوم الحرب بالمزان

هذا ما كان من أمر هولاء وأما ما كان من أمر أزبك أمير كبير فانه أقام بقاعة البحرة ثمانية
أيام فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأن يصلي معه بالشاش والقماش على عادته فخرج

وصلى مع السلطان الجمعة فلما فرغ من صلاة الجمعة أراد أن ينزل فقيل له ان المماليك واقفة بالرميلة ومتى نزلت يقطعونك ويتناولك لا محالة فخاف عليه السلطان وأدخله الى قاعة البحرة ثم انه اجتمع بالسلطان وقال له انا ما بقى لى اقامة بمصر يقتلنى المماليك الجلبان وقصدى أتوجه الى مكة المشرفة فاجابه السلطان الى ذلك فلما كان يوم السبت ثامن ذى الحجة من تلك السنة نزل الاتابكى أزبك من القلعة وهو راكب على اكديش وعلى رأسه تخفيفة صغيرة وعليه ملوطة بيضا من غير تقييد ولا أوجاقى خلفه فتوجه الى مكة المشرفة من الطور مسافرا بالبحر الى أن يصل الى جدة ويرحل من جدة الى مكة المشرفة ورسم له السلطان أن يأخذ ولده يحيى معه الى مكة المشرفة وكانت نكبته بغتة على حين غفلة كما يقال

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وكانت مدته فى الاتابكية نحوا من سبع عشرة سنة وسوف يعود الى الاتابكية ثانيا كما سيأتى الكلام عليه وفيه فى ذلك اليوم رسم السلطان باخراج يشبك الجمالى الزردكاش الكبير وأحد المقدمين فخرج منفيا الى القدس ولم يكن له ذنب غير أنه كان من جماعة أمير كبير وحضر يوم الركبة فصار له ذنب وكان يشبك الجمالى من خواص السلطان ثم انقلب عليه فأقام بالقدس منفيا الى أن مات عن قريب فكان كما قيل

يعدون ذنبا واحدا ان جنيته * على وما أحصى ذنوبهم عدا

وفيه جاءت الاخبار من تونس بأن بها ثارت فتنة عظيمة وحصل لعساكر المغرب مقتلة مهولة والامر لله تعالى فى ذلك

❁ ثم دخلت سنة احدى وتسعمائة ختمها الله بخير وهى أول القرن العاشر وكان مستهلها بالاحد وهو أول أسابيع الايام وأول افتتاح العالم بالاحد فى المحرم كان خليفة الوقت الامام المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز العباسى وسلطان العصر الملك الاشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الظاهرى جقمق وقاضى القضاة الشافعية زين الدين زكريا الانصارى والقاضى الحنفى ناصر الدين محمد الاخميمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقى الدين والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى * فمن حوادث هذه السنة أن السلطان أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة ولم يعهد هذا قبل ذلك وكانت هذه الفعلة من أقبح مساويه واستمر ذلك فى صحيفته الى الآن وفيه قدم على باى نائب الاسكندرية فقرره السلطان فى تقدمة ألف وصار من جملة الامراء المقدمين وفيه قدم الحاج وقد قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة ولم يجدوا الماء بنخل فعرج بهم أمير الحاج الى جهة عيون

موسى حتى وجدوا الماء وأخبر بعض الحجاج أنه سمع وهو واقف بعرفة ماجرى بمصر من
ركوب المماليك وغيره من الاول الى الآخر فهذا من النوادر كيف أشيع ذلك بعرفة من
غير مخبر أتى هنالك وفيه قدم للسلطان أترجة غريبة الشكل اجتمع فيها سبع عشرة أترجة
من أصل واحد فكانت بديعة الخلقة جدا وفيه عاد الشيخ عبد المؤمن العجمى شيخ قبة
السلطان التى بالمرج والزيات وكان قد توجه الى ابن عثمان قاصدا عن لسان السلطان
وصحبته هدية حافلة الى ابن عثمان من جملتها قماش فاخر وسبع وزرافة وببغا حمراء اللون وغير
ذلك أشياء كثيرة فلما عاد عبد المؤمن أخبر بان ابن عثمان قد تلاشى أمر عسكره وبطلت
همته عن محاربة عسكر مصر فسر السلطان بهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من حلب
بوفاة صالح الكردى حاجب حلب وشيخ الاكراد بها مات قتيلا وفيه جاءت الاخبار من
حلب أيضا بقتل محمود بن أبى سعيد صاحب سمرقند قتله محمود بن يونس كان صاحب
شاس وملك من بعده سمرقند وكان محمود هذا آخر ذرية تمرلنك وبه زالت دولتهم كأنها لم تكن
وهو محمود بن أبى سعيد بن أحمد بن ميرزا شاه بن تمرلنك وكان من أعيان ملوك الشرق وفيه
ترشح أمر تمراز الشمسى بان يلى الاتابكية وفى صفر فى مستهله يوم الاثنين عمل السلطان
الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر تمراز الشمسى فى الاتابكية عوضا عن الاتابكى
أزبك بن ططخ بحكم نفيه الى مكة المشرفة وخلع على تانى بك الجمالى وقرره فى امرية مجلس
عوضا عن تمراز بحكم انتقاله الى الاتابكية وقرر ازبك اليوسفى فى امرية سلاح عوضا عن
تانى بك الجمالى بحكم انتقاله الى امرية مجلس وقرر تانى بك قرا الاينالى رأس نوبة كبير عوضا
عن أزبك اليوسفى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وقرر اينال الخسيف فى حجوبية الحجاب
عوضا عن تانى بك قرا بحكم انتقاله الى رأس نوبة كبير وأنعم فى هذا الشهر بتقادم ألف
على جماعة من مماليكه منهم ماماى بن خداد وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى وكرتباى
الاحمر كاشف البحيرة وقانم قريبه وأنعم على جماعة كثيرة ممن هم من عصبة اقبردى بامرية
طبلخانات وعشراوات منهم اقباى الطويل وخاير بك الدوادار وطقطباى من طبقة
الاربعين وطقطباى أيضا من طبقة الطازية وغير ذلك جماعة كثيرة يأتى الكلام عليهم فى
موضعه وفيه خلع السلطان على قانى بك الشريفى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا
عن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه توفى المسند شرف الدين القبانى وكان من
أهل الفضل لا بأس به وفيه خلع على الاتابكى تمراز وقرره فى نظر البيمارستان المنصورى
فتوجه الى هنالك فى موكب حافل وفى ربيع الاول خلع السلطان على شمس الدين محمد
ابن مزاحم وقرره فى نظر الاوقاف والاحباس ونظر القرافتين وكان أصله من طرابلس
وكان غير مشكور فى أفعاله وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهذا آخر

ـه والد السلطان قايتباى ولم يحضر بعد ذلك مولدا وفيه خلع على تانى بك قرا وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر بردبك فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة يشبك الجمالى الذى تقدم ذكره وكان دينا خيرا وأصله من مماليك ناظر الخاص يوسف ابن كاتب جكم ورقى فى دولة الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها حسبة القاهرة والزردكاشية الكبرى ثم بقى مقدم ألف وجمع بين الزردكاشية والتقدمة وسافر أمير حاج بركب المحمل غير ما مرة وفيه وقع بين الامير اقبردى الدوادار وقرقماس بن ولى الدين أمير اخور ثالث واستمرت العداوة بينهما تتزايد حتى كان ما سنذكره وفى ربيع الآخر خلع السلطان على شادبك بن مصطفى المعروف بالحوخ وقرره أمير اخور كبير عوضا عن قانصوه خمسمائة بحكم اختفائه وقرر بردبك المحمدى الاينالى أمير اخور ثانى وقرر صولاباى بن عينى الاينالى فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن يشبك الجمالى بحكم وفاته بالقدس الشريف بطالا وقرر برقوق الساقى الاينالى فى الحسبة عوضا عن كسباى وقرر كسباى فى الدوادارية الثانية وكان يعرف بكسباى الشريفى وقرر مصرباى فى شادية الشراب خاناه وقرر اركماس الحلبى فى نيابة القلعة وقرر سودون العجمى فى استادارية الصحبة وقرر بردبك بن بيرعلى فى تجارة المماليك فخلع السلطان على هؤلاء فى يوم واحد وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بأن أمير المدينة وجماعته هجموا على حواصل المال التى بها من قبل النذور فاستولى على اثنى عشر ألف دينار وأخذ عدة قناديل ذهب كانت معلقة بالحجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وخرج الى جهة العراق فلم يدرك وفيه أخبر جماعة من الفلكية بان زحلا قد اقترن مع المريخ فى برج الجوزاء وذكروا أن هذا القران سيقع فيه فتن عظيمة عن قريب فأجاب شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى عن ذلك بقوله

ليس القران بفاعل * كلا ولا بمؤثر
ان المؤثر من له * خلق القران ففكر
فالفعل عنه صادر * كم يا منجم تفترى

وفيه توفى بيغوت قرا ابن فنجق قرا الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به فلما مات أنعم السلطان بامريته على تانى بك الابح وفيه رخص المغل جدا حتى بيع كل خمسة أرادب قمح بدينار وبيعت البطة الدقيق بثلاثة أنصاف وعم الرخاء سائر البضائع وفى جمادى الاولى رسم السلطان بقطع أيدى ثمانية أنفار ممن يعمل الدراهم الزغل وكان فيهم شيخ قد أناف على الثمانين سنة من العمر فقطعت أيديهم وشهروا بالقاهرة وفيه توفى قايتباى الناظر الظاهرى خشقدم وكان من الامراء الطبلخانات بدمشق وفيه اذن السلطان

للقاضى بدر الدين محمود بن أجابان يتوجه الى حلب على وظيفته فى قضاء الحنفية وكان قد
حج فى العام الماضى وفى جمادى الآخرة نزل جماعة من المنسر على العلائى على بن الصابونى
ناظر الخاص وكان فى تربته التى أنشأها فى رأس درب الحسينية فأخذوا جميع ما كان
عنده وجرح ابن الصابونى فى يده وكانت واقعة مهولة وفيه مات يشبك دجاج المحمدى
الظاهرى جقمق أحد العشراوات وفى رجب توفى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عربشاه
الدمشقى الحنفى شيخ المدرسة الصرغتمشية وكان من أهل الفضل وكان لا بأس به وقرر
عوضه فى مشيخة الصرغتمشية شمس الدين الغزى وفيه جاءت الاخبار بان قانصوه نائب
دوركى شنق قاضى المدينة سيف الدين يوسف الحنفى وقد بلغه أنه يكاتب ابن عثمان باخبار
هذه المملكة ويدعوهم لذلك وفى شعبان كانت وفاة القاضى عبد الغنى بن الجيعان وهو
عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متولى كتابة الخزانة وكان من خيار بنى الجيعان رئيسا
حشما موصوفا بالكرم الزائد ويحكى عنه أشياء فى بره للناس مالا يحكى عن البرامكة فى
أيامهم ومات وهو فى عشر الثمانين وكانت جنازته حافلة وكان أحق بقول القائل

فلو أن البرامك عاينوه * وأنعمه تعم الخلق سقيا
فينضب جعفر ويعوز فضل * ويبلى خالد ويموت يحيا

وفيه هجم المنسر على سوق التجار بجامع ابن طولون وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا
ما كان فيها من القماش وراحت على أربابها وفى رمضان توفى سودون اكرش الظاهرى
جقمق أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه من الحوادث فى الشهر المذكور أن السلطان
نادى للعسكر بالعرض فلما طلعوا الى القلعة أحضر لهم المصحف الشريف الكبير العثمانى
وحلفهم عليه قاطبة وكذلك الامراء بان لا يخرجوا عن طاعته ولا يخالفوه فيما يأمر
وفيه أنفق السلطان على العسكر وقيل صدقة ففرق على المماليك القرانصة والسيفية
الذين كانوا منزلين بالديوان قبل سلطنته هم وجلبانه لكل واحد منهم مائة دينار والسيفية
الذين نزلوا أيام سلطنته لكل واحد منهم خمسون دينارا ولاولاد الناس أصحاب الجوامك
ألفين لكل واحد عشرون أو ثلاثون دينارا وقيل انه فرق بعد ذلك على الخدم الطواشية
لكل واحد منهم عشرون دينارا واثنا عشر دينارا ثم أرسل نفقة للخليفة ولبعض الامراء
فبلغت هذه النفقة زيادة عن أربعمائة ألف دينار ولا يعلم ما سبب هذه النفقة التى انفقت
من غير موجب لذلك والذى أشيع بين الناس ان السلطان قال أنا لما تسلطنت لم أنفق على
العسكر شيأ فهذه فى نظير ذلك والاصح ذلك لانه أنفق على القرانصة العتق والسيفية
العتق مائة دينار لكل واحد وعلى الذى تجدد من القرانصة السيفية فى أيامه خمسين
دينارا لكل واحد وسماها صدقة والوجه الثانى ما قيل ان السلطان قصده ظهور قانصوه

خمسمائة وكانت له به عناية تامة فأنفق على العسكر حتى أرضاهم بسبب ظهور قانصوه خمسمائة فانسهل ذلك على اقبردى الدوادار وأخذ حذره كما سيأتى ومن العجائب أن مال هذه النفقة كان مجمدا حاضرا وهو من الخمسة أشهر التى أخذها من أجرة الاملاك والاوقاف ومن أوقاف الجوامع والمدارس والبيمارستان وصادر فيها طائفة اليهود والنصارى وتجار الفرنج وتجار المغاربة والبرانسة وغير ذلك من أعيان التجار ومشاهير الناس وكان هذا المال الذى جمع من هذه الجهات تحت يد القاضى على بن الصابونى ناظر الخاص والامير تغرى بردى الاستادار فلما خمدت فتنة ابن عثمان التى كانت سببا لذلك لم يوفق الله تعالى السلطان أن يرد للناس ما أخذه منهم كما فعل الاشرف برسباى لما أخذ من أجناد الحلقة عن اقطاعاتهم بسبب تجريدة شاه روخ بن تمرلنك لما تحرك عليه فى سنة احدى وأربعين وثمانمائة فلما بطل أمر التجريدة وحصل للاشرف برسباى توعك فى جسده رد لاجناد الحلقة ما كان أخذه منهم وكتب ذلك فى صحيفته الى يوم القيامة والاشرف قايتباى جمع هذا المال من وجوه المظالم وحصل للناس بذلك مشقة زائدة وأخرجه فى غير مستحقه لا فى وجه فيه منفعة للمسلمين كما قيل

لست أعطى فى حرام * أبدا الا حراما

وفى شوال قرر عنبر التكرورى فى نيابة تقدمة المماليك ثم بقى بعد ذلك مقدم المماليك وفيه توفى تنم الضبع الظاهرى جقمق أحد الامراء العشراوات وكان أخو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما مات تنم الضبع وقف شخص من الامراء يقال له ملاج بن ططخ الظاهرى جقمق يطلب من السلطان اقطاع تنم الضبع فلم يوافق السلطان على ذلك فخنق ملاج من السلطان فلما نزل ملاج الى داره شنق نفسه من شدة قهره فمات هو وتنم الضبع فى يوم واحد وقد تقدم القول على وفاة ملاج وفيه وقعت الوحشة بين اقبردى الدوادار وبين جان بلاط وسبب ذلك ان جان بلاط طلب امرية الاخورية الكبرى وعينت له فوقف اقبردى وباس الارض على ان يكون شادبك الجوخ امير اخور كبير فانعم السلطان على شادبك بها فمن حينئذ وقعت الوحشة بينهما وقد اتفق على كرتباى الاحمر ويشبك قر وكان جان بلاط أعز أصحاب اقبردى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل الشريف تانى بك قرا وأمير الركب الاول برد بك نائب جدة وفيه توفى اركماس الحلبى نائب القلعة وكان لا بأس به وفيه توفى محمد بن نوروز المجمدى الميقاتى وكان علامة فى فن الميقات وفيه ظهر الامير قانصوه خمسمائة وكان مدة اختفائه تسعة أشهر فلما طلع الى القلعة رسم السلطان له بان يأخذ توبا بعلبكيا حتى يرق عليه قلب العسكر يعنى جاء وكفنه تحت ابطه فلما وقف بين يدى السلطان قبل الارض وخلع عليه كاملية صوف صينى

بسمودور وسم له بأن يتوجه الى داره ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الاتابكى تمراز واقبردى الدوادار فأوصلاه الى داره ورجعا وفى ذى القعدة ثارت فتنة كبيرة من المماليك الجلبان ممن هم من عصبة قانصوه خمسمائة فلبسوا آلة السلاح وطلعوا الى الرميلة وحاصروا اقبردى الدوادار فلما تزايد الامر أحرقوا الربع الذى عند سوق الحلاق فلما بلغ السلطان ركب ونزل الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل بالرميلة فلم تخش منه المماليك وتزايد الامر ومما أخش به المماليك فى حق السلطان أنه قبل ذلك بمدة طويلة كان السلطان ينام فى الصيف على الدكة التى بالحوش فدخل بعض الخاصكية عليه فى الليل وقالوا له ان المماليك الذين فى طبقة المطلع قد عوّلوا على أن ينشبوا على السلطان وهو راقد على الدكة فلما بلغ السلطان ذلك قام وبادر وراح من على الدكة فلما أصبح وجد ثلاثة أسهم من النشاب فى المخدة واللحاف الذى كان للسلطان بسبب النوم والتغطية عليه فخلوسع السلطان الا أنه فرق المماليك الذين بطبقة المطلع على الاطباق وجعل على حائط طبقة المطلع بناء يستتر منه رؤية الحوش وقيل ان الذى فعل به ذلك ورمى هو شخص خاصكى من أخصائه يسمى شرامنت فاحضره وضربه بين يديه نحوا من ألفى عصا حتى قيل انه مات وضرب معه جماعة من أصحابه وسجنهم بالبرج وقطع جوامكهم وأبطل شرامنت من الخاصكية وذلك قبل فتنة ابن عثمان مع السلطان واستمر السلطان جالسا بالمقعد الذى بباب السلسلة الى ما بعد العصر فبلغه ان اقبردى الدوادار قد غيب من داره فعند ذلك قام السلطان وقد حم فى جسده فركب وطلع الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه ورؤية الناس له فلما دخل الى الحوش طلع الى المقعد ودخل الى البيت الذى كان به فلزم الفراش وثقل فى المرض من ليلته ولما غيب اقبردى نهب العوام داره ودور الامراء الذين من عصبته منهم اينال الخسيف وشادبك وقانم وجانم مصبغة وغيرهم وهذه أوّل كسرة اقبردى فكان كما قيل

لا تعجبوا للدهر فى أفعاله * ان أضحك الباكى وأبكى الضاحكا

ثم ان السلطان تزايد به الالم وقوى عليه أمر الاسهال المفرط وعجز عن الحركة وكثر القيل والقال بين الناس ثم ان النيل أوفى فى تلك الايام فرسم السلطان لتمراز أمير كبير بان يتوجه ويفتح السد والناس فى غاية الاضطراب ثم طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ولبس خلعة بسبب فتح السد هذا كله والسلطان على غير استواء وأشيع أنه فى النزع وقد خرس فلما كان يوم الجمعة خامس عشريه طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ودخل على السلطان فى البيت فوجده فى السياق فقال له يا مولانا السلطان ان الاحوال قد فسدت ومن الرأى أن تسلطن سيدى محمدا فلم يرد السلطان له جوابا فاخذ سيدى محمدا ابن السلطان ونزل به الى باب

السلسلة فأجلسه فى المقعد الذى هناك وجلس معه ليواليه السلطنة فانتظر الامير اقبردى
الدوادار أن يطلع اليه فاختفى اقبردى ولم يطلع الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يشعر تمراز الا وقد
هاجته العساكر كالجراد المنتشر وذلك ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر لما بلغهما أن
تمراز الأمير الكبير بباب السلسلة ومعه ابن السلطان لبسوا السلاح وهجموا ودخلوا
الميدان من عند حوش العرب وطلعوا الى باب السلسلة من الاصطبل فقبضوا على تمراز الامير
الكبير وقيدوه وسجنوه بالبرج الذى بباب السلسلة ثم فى عقيب ذلك اليوم نزلوا به وهو
مقيد بقيدين أحدهما برجليه والآخر بركبتيه وخلفه أوجاقى بخنجر فنزلوا به من
باب الميدان الذى عند الحوش وتوجهوا به من جهة الجراة الى البحر فانزلوه فى الحراقة
وتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها وكان المتسفر عليه جانم بن برسباى أخو قانصوه
الالفى وبطلت الاشاعات بسلطنته فلما جرى ذلك وقع النهب فى داره وفى دار اقبردى
الدوادار وجماعة من الامراء ممن كانوا فى عصبة اقبردى الدوادار ثم ان قانصوه خمسمائة
وكرتباى الاحمر وجماعة من الامراء ممن هم فى عصبة قانصوه خمسمائة باتوا بباب السلسلة
واشتوروا فيمن يلى السلطنة فترشح أمر سيدى محمد ابن السلطان ووقع الاتفاق على سلطنته
فلما كان يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة اجتمع الامراء والعسكر بباب السلسلة
وأرسلوا خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز فحضر وحضر القضاة
الاربعة وهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى وقاضى القضاة ناصر الدين محمد
الاخميمى الحنفى وقاضى القضاة عبد الغنى بن تقى المالكى وقاضى القضاة بدر الدين محمد
السعدى الحنبلى فلما تكامل المجلس تكلموا فى خلع الاشرف قايتباى بحكم أنه قد أشرف
على الموت فخلع وبايع الخليفة ولده الناصرى محمدا بالسلطنة عوضا عن أبيه الاشرف
قايتباى وشهد عليه القضاة بذلك هذا كله والسلطان فى النزع لم يشعر بشئ مما جرى فلما
كان يوم الاحد سابع عشر الشهر المذكور من سنة احدى وتسعمائة كانت وفاة
السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى الى رحمة الله تعالى فى ذلك اليوم بعد
العصر ومات بالقلعة وأخرج صبيحة يوم الاثنين ثامن عشرى ذى القعدة وتوفى وله من
العمر نحو من ستة وثمانين سنة ومات وهو بعلة الديلة واعترته علة البطن أيضا وامتنع عن
الاكل مدة انقطاعه حتى مات وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة
وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما بما فيه من مدة انقطاعه عند توعك جسده
فانه تسلطن يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وتوفى يوم الاحد سابع
عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وهذه المدة لم تتفق لاحد من الملوك غيره قبله وعاش
عمره كله وهو فى عز وشهامة من حين كان خاصكيا الى أن بقى سلطانا وما نقى قط ولا سجن ولا

تقيد وكانت عليه سكينة ووقار مهيب الشكل فى العيون جميل الهيئة مجلا فى موكبه كفؤا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى عارفا باحوال المملكة يضع الاشياء فى محلها ولم يكن عجولا فى الامور بطئ العزل لارباب الوظائف يتروى فى الأمور أيا ماقبل وقوعها وكان لايخرج أقطاع أحد من الجند الابحكم وفاته ولامن أبناء الناس المقطعين الابحكم وفاته ويرسل يكشف عليه وهو ميت حتى يصدق بموته وكانت صفته طويل القامة عربى الوجه مصفر اللون نحيف الجسد شائب اللحية تولى الملك وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان موصوفا بالشجاعة عارفا بانواع الفروسية ولاسيما فى فن لعب الرمح علامة فى فنه لكنه كان محبا لجمع الاموال ناظر المافى ايدى الناس ولولا ذلك لكان يعد من خيار ملوك الجراكسة على الاطلاق ولكنه كان معذورا فى ذلك تحرك عليه فى أيام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرهم وجرد عليهم عدة تجاريد كثيرة وهو ثابت على سرير ملكه ولم يتزحزح حتى قيل ضبط ماصرفه على نفقات التجاريد التى جردها فى أيام سلطنته الى أن مات فكانت نحوا من سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار خارجا عن عما كان ينفقه عند عودهم من التجاريد وهذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها وكان مغرما بشراء المماليك حتى قيل لولا الطواعين التى وقعت فى أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك ومن العجائب أنه من بعده قد انحصرت مملكة مصر فى مماليكه فقط دون غيرهم وتسلطن منهم الى الآن أربعة سلاطين وكان متقيا فى نفسه لم يشرب قط خمرا ولا كان يستعمل شيأ من الاشياء المخدرة وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعة فى الكتب وله أذكار وأوراد جليلة الى الآن تتلى فى الجوامع وكان له اعتقاد فى الفقراء و يعظم العلماء عارفا بمقام الناس ينزل كل أحد منزلته وكان تابعا الطريقة الصوفية فى التقشف وكان لايوصف بالكرم الزائد ولا بالبخل المفرط وكان له بر ومعروف ووقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة وكانت محاسنه أكثر من مساويه رحمة الله عليه ولم يخلف من الاولاد سوى ولده محمد الذى تسلطن من بعده وكان من سريته اصلباى ولم يتزوج مدة عمره سوى فاطمة بنت العلائى على بن خاص بك واستمرت معه الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وفى أيامه توفى الاديب زين الدين أبو الخير بن النحاس وكان من أعيان الشعراء فى عصره وكانت وفاته بالشام ولما مات الاشرف قايتباى رثاه الشيخ بدر الدين محمد بن الزيتونى بهذا الزجل فقال

يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنوا المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر
لما زاد الضعف بقايتباى * والدوادار فى غاية الامكان
وتوافق مع الامير قراز * وطلع قانصوه الى الميدان

وأتى القلعة مع كرتباى * والاماره وهدموا البنيان
هرب اقبردى وقيدوا تمراز * وتولى سلطاننا الناصر
من يخالف أمره ومن يعصيه * ردّ مقهور والامر للقاهر
فولى الملك سادس العشرين * من شهر ذى القعده طلوع شمسو
بعد واحد من السنين تالى * تسعمايه بعد انقضا أمسو
وتوفى أبوه أخر النهار * فى صباحو وارو حلول رمسو
بعد ملكه تسعه وعشرين عام * وأربعه أشهر بالكاتب الحاصر
ويليها واحد وعشرين يوم * لاتزيد أوّل ولا آخر
مات الاشرف والقبر صار حاويه * بعد دلسو بالموت وسمو حاق
وسرا فيه سم الديب حائق * ماوجدلو مردى القضا ترياق
وقد أمسى مرهون بافعالو * وأنت لو آفة قضاه تنساق
لهف قلبى عليه شجاع وقتو * والخوندات تبكى عليه باكر
كم رأينا تبكى وهى حيه * شعرها صار من حزنها ناشر
لهف قلبى على الامير تمراز * كان موقر وهو الامير كبير
والدوادار حولو رجال واعوان * يضربوا بالحسام ومالو كتير
قالوا التمراز ماعندنا غيرك * كن مساعد وانت النظام والمشير
جت جماعه لقانصوه بالخبر * خبر وبيه ركب وكان صابر
وطلع للقلعه مسك تمراز * وظفر بيه وصار عليه ظافر
العجب فى الركبه نهار جمعه * من سنه كان فى الازبكية القوم
كيف يوافق لشهر ذى القعده * والعدد فيه خمسه وعشرين يوم
مثل يومو فى الشهر والجمعه * والعدد فيه فاعجب لهذا دوم
والجزا من جنس العمل قالوا * وبهذا صار المثل سائر
كل من كان يحفر لاخيه حفره * مايقع فى الحفرة سوى الحافر
الدوادار وشاد بك والحسيف * هم وجانم غابوا عن الحضار
والجمالى نظام أمير سلاح * بالمقعد وكرتباى قد صار
هو المقدم وكاشف الكشاف * ومدبر وزير واستادار
وعلى الكل قانصوه عالى * خمسمايه هو الشاطر الماهر
قد تولى أتابك العسكر * والامير كبير وهو الناظر
خلت دوله كرقعة الشطرنج * والدوادار وقانصوه فى رهان

كم رأينا بيدق من الحاشيه * قد تقدم عند وو صار فرزان
لما ساق الفرس يريد الفيل * غالبهم فى حومة الميدان
ضربوا شاه لما انكشف رخو * ما وجد لو فى رقعتو ساتر
ماتت النفس وانقلب دستوا * وهرب مرماه وهو الخاسر
ضربوا تخت الرمل للغياب * جودلتهم دلت على الحضره
ورأينا الالفى نقا خدو * فى بياض وقد أشرقت حمره
واجتماعو باصحابو بالاحباب * وكذا الاشكال يلتقى بهم نصره
وظهر لوراية فرح فى الطريق * مع جماعة بالعز تتباشر
بانو يطلع وينظر السلطان * مرحبا بالطالع وبالناظر
اعتذارى للى سمع قولى * ان صحبى والقرب ياتونى
يطلبونى ويقصدوا فنى * وان تواتيت بالعجز يرمونى
أستحى أن أظهر ضعيف نظمى * واجمالى تنسب لزيتونى
ولكنى أبو النجا العوفى * ان تجد نى فيما أقول حاضر
استر العيب وارج ثواب سترى * جل من لا عيب فيه وهو الغافر
لو تكون البحار مع الانهار * وجميع المياه وسيل الغمام
حبر جارى وسائر الاعشاب * والنبات والشجر جميع أقلام
والسموات والارض والاكوان * تبقى أوراق طباق ليوم القيام
وجميع العالم يجوا كتاب * يكتبوا المدح فى النبى الطاهر
للقيامه ما يحصروه ذرة * من مديحو ووصفه الفاخر
كان للاشرف خصال ملاح فاسمع * ما رأينا فى عصرنا مثالو
يا الذى جا يسمع بديع نظمى * خذ وحرر عنى جميع نقالو
وان أتى لك من يطلب التاريخ * والوقائع عن الملوك قالو
يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنو المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر

وأما ما أنشأه الاشرف قايتباى فى أيام دولته من البنيان الفاخر فأشياء كثيرة منها أنه جدد عمارة المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام لما احترق وأنشأ قبة عظيمة على القبر الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ هنالك مدرسة مطلة على الحرم النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ مدرسة بمكة المشرفة عند باب السلام وعدة ربوع وأماكن بمكة المشرفه وأنشأ مدرسة ببيت المقدس ومدرسة

وبيوتا ودكاكين بدمشق ومدرسة بغزه ومدرسة بثغر دمياط ومدرسة بثغر الاسكندرية والبرج العظيم الذى أنشأه مكان الفنار القديم والبرج الذى بثغر رشيد وأماما أنشأه من البنيان بالديار المصرية فالجامع الذى بالصحراء مكان تربته وجامع بالروضة وجامع برأس الكبش وجامع بباب الخرق عند الشيخ سلطان شاه والسبيل والمكتب الذى بقرب تحت الربع وجامع لطيف خارج باب القرافة وجدد عمارة قبة الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وأنشأ زاوية بالمرج والزيات ومدرسة بالخانقاه وغير ذلك من الجوامع والمدارس فى أماكن شتى من البلاد وأنشأ السبيل الذى برأس سويقة عبد المنعم وأنشأ بالقاهرة عدة زوايا وأسبلة وصهاريج وغير ذلك وعدة ربوع وحوانيت فى مواضع متفرقة وجعلها وقفا على الدشيشة التى قد كان قررها بالمدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأماما أنشأه بالقلعة فالمقعد الذى أنشأه داخل الحوش والميدان اللذان حوله والحواصل التى بجوار قاعة البحرة وجدد عمارة الايوان الناصرى الذى بالقلعة وأنشأ مواضع كثيرة بالقلعة وجدد عمارة قناطر أبى المنجا والقناطر التى بشبرمنت بالجيزة وأنشأ هناك رصيفا وحصل به غاية النفع فى أيام النيل للمسافرين وجدد عمارة قنطرة باب البحر وجدد عمارة الميدان الكبير الذى بجوار البركة الناصرية وصرف عليه جملة مال وجدد مقام سيدى أحمد البدوى وبناه بناء حافلا ووسعه وجدد بناء زاوية الشيخ عماد الدين رحمه الله وجدد عمارة باب القرافة وأنشأ هناك الربوع وأنشأ مقعدا ومبيتا وجنينة بدار البقر التى تحت القلعة وجدد عمارة جامع الرحمة الذى بغيط جانى بك نائب جدة وأنشأ عدة ربوع بالخشابين والبندقانيين وبالجامع الازهر وغير ذلك وله عدة أماكن قد أنشأها وحصل بها النفع العام للمسلمين وأما ما أبطله فى أيام سلطنته من شعار المملكة فخدمة القصر بالشاش والقماش وقد قرر به الملوك السالفة لاقامة الحرمة ونظام المملكة وأبطل الرمايات التى تعمل ببركة الحبش ودخول الملوك الى القاهرة والعسكر قدامها بالشاش والقماش ويكون يوما مشهودا وأبطل لبس الصوف بالمطعم وكان الملك يشق من القاهرة وهو لابس الصوف هو والامراء ويكون لهم يوم مشهود وأبطل المركب المسماة بالذهبية وكانت من شعار المملكة ولاسيما فى يوم الوفاء بالنيل وكانت الملوك تتوجه فيها الى المقياس وكان بها ستون مقذافا وأبطل المركب المسماة بالدرمونة وكانت تحمل مغل الحرمين الشريفين وكانت غريبة الهيئة فى شكلها وأبطل دوران المحمل الرجبى فى أيام سلطنته وما كان يعمل فيه وأبطل المسايرات التى كانت تعمل فى تلك الايام وكان ينفق فى مدة دوران المحمل مالا ينحصر وأبطل فى أيام سلطنته أشياء كثيرة من شعار المملكة لم نذكرها خوف الاطالة ولكن آخر من مشى من السلاطين على النظام القديم مما ذكرناه الظاهر خشقدم رحمه الله تعالى وأماما عدله من المساوى فانه لما تولى السلطنة ندب

يشبك الدوادار لما ولى الوزارة فقطع لحوم جماعة من الناس كانت مرتبة لايتام ونساء أرامل وكانت تباع وتشترى من الناس من الديوان الى آخر دولة الظاهر خشقدم وكانت الوزراء تسخ بالسداد لذلك ثم فعل مثل ذلك بالجوامك وقطع عدة جوامك لجماعة من أولاد الناس والذى أبقاه أخذ منه مائة دينار ممن له جامكية ألف درهم وأخذ ممن له جامكية ألف درهم خمسين دينارا وذلك بسبب بدل تجريدة سواء ممن لم يسافر للتجريدة وأخذ من أجرة الاملاك والاوقاف من الجوامع والترب بالقاهرة وغيرها أجرة سبعة أشهر وحصل للناس بذلك الضرر الشامل وصادر اليهود والنصارى فى أيامه مرتين وصادر جماعة من أعيان التجار ومن تجار الارياف والبرانسة ورمى على البلاد التى فى الشرقية شيأ يقال له الجس بسبب خيالة تخرج مع التجريدة الى ابن عثمان وفعل مثل ذلك بعربان جبل نابلس ثم قطع هذا الجس من خراج المقطعين ومنها انه كان ولى جماعة من مماليكه عوضا عن مشايخ العربان فجاروا أيضا على الفلاحين وأخذوا منهم غير العادة أضعافا وكذلك الكشاف يقرر عليهم الاموال فيجوروا أيضا على البلاد ويأخذوا المال أمثالا فمن يومئذ تلاشى أمر البلاد وانحط خراج المقطعين جدا ومنها أنه أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة خارجا عن ثمنه لمن يشترى أو يبيع وقد تزايد الامر بعده فى ذلك حتى صار على كل اردب نصفان وهو أول من أحدث تفرقة الجامكية بحضرته وضيق على الناس ولم يفعل ذلك أحد قبله من الملوك وكان مقدم المماليك وأحد رؤس النوب يتولى تفرقة الجامكية فى الايوان ولم يشعر السلطان بذلك فبطل ذلك واستمرت من يومئذ تنفق بحضرة السلطان الى الآن ومنها انه فعل بجماعة من المباشرين وغيرهم الافعال الشنيعة منها شنق القاضى ابن المقسى وتوسيط مجد الدين ابن البقرى الاستادار وغير ذلك مما تقدم ذكره وقطع يد ابراهيم بن فريعين صير فى الجامكية وكان فى سن الشيخوخة وعاش بعد ذلك مدة طويلة وهو أقطع وقد رتب له السلطان ما يكفيه الى أن مات وهو أول من أحدث برددارية السلطان ولم تكن هذه الوظيفة قبل ذلك تعرف فصارت زيادة مظلمة أخرى ومن محاسن الاشرف قايتباى رحمة الله عليه انه كان فى شدة غضبه يستحيل فى الحال راضيا ويزول ما كان عنده من الحدة وهذه من أجل الخصال وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان من خيار ملوك الترك بالنسبة لمن جاء بعده من السلاطين ولو لم يكن عنده بعض طمع لكان أجل ملوك الجراكسة وكان من خيارهم ولكن كما يقال

ومن الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال بعض الشعراء

اذا أنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع
انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار
ولما مات تولى ابنه محمد .

ذكر سلطنة الملك الناصر أبى السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الاشرف أبى النصر قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الثانى والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية تقدم أنه بويع له بالسلطنة يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وقد تقدم ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر والامراء الذين يلونهم لما هجموا على الامير تمراز بباب السلسلة قبضوا عليه وقيد وأرسل الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك وقع الاتفاق على سلطنة الناصر محمد ابن السلطان قايتباى فأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الاشرف قايتباى من السلطنة وبايعوا ولده من غير عهد له من أبيه ولقبوه بالملك الناصر وكنى بابى السعادات وكان تلقب بالمنصور أولا ثم قرر لقبه بالناصر فلما انقضى أمر المبايعة أحضر اليه شعار الملك وهى الجبة السوداء وقد فصلت على قدره ولفت له عمامة لطيفة مناسبة له وتقلد بالسيف الجائلى وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش وركب من سلم الحراقة وكانت مبايعته فى الساعة الرابعة من النهار والماضى من الشروق ثمانية وأربعون درجة والطالع بالميزان فلما ركب تقدم قانصوه خمسمائة وحمل القبة والطير على رأسه وقد ترشح أمره لأن يلى الاتابكية فركب السلطان والخليفة معه ومشى بين يديه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وقبل له الامراء الارض وضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفى حال جلوسه على سرير الملك خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على قانصوه خمسمائة وقرره أميرا كبيرا عوضا عن تمراز الشمسى وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى الدوادار وخلع على تانى بك الجمالى وصيره نظام الملك مضافا لما بيده من امرية سلاح وكان القائم فى هذه الامور وتدبيرها كرتباى الاحمر هذا كله جرى والاشرف قايتباى فى النزع لم يشعر بما وقع من هذه الامور ولو كان واعيا لما مكن الامراء أن يسلطنوا ولده ولا كان هذا قصده وكان الملك الناصر لما تولى الملك له من العمر نحو أربع عشرة سنة وأشهر وقد قارب البلوغ وكان مولده سنة سبع وثمانين

وثمانمائة وكانت أمه جركسية تسمى أصلباى من مشترى الاشرف قايتباى وكان الملك الناصر محمد هـذا جميل الهيئة مليح الشكل وعنده عترسة وجراءة فى الامور متحركا فى نفسه وعنده رهج وخفة ومما مدح به قول القائل

ان العناصر فى سـلطاننا اجتمعت * شمائل بهرت من حسـين مولده
قد ناسب النار عزما والهوى خلقا * والبحر جـودا وملك الارض فى يده

ولما كان يوم الاحـد سابع عشرى هذا الشهر كانت وفاة الملك الاشرف قايتباى رحمة الله عليـه توفى بعد العصر من ذلك اليوم وبات بالقلعة فطافت له نذراء بالقاهرة وهم يقولون يصلى غدا باكر النهار على العبد الفقير الى الله تعالى الملك الاشرف قايتباى رحمه الله فتأسف عليـه الكثير من النـاس فلما كان يوم الاثنين ثامن عشريه وهو اليوم الثالث من سـلطنة ولده شرع الامراء فى تجهيزه واخراجه فغسل فى البيت الذى مات فيـه وأخرج نعشه قدام الدكة التى بالحوش وصـلى عليـه هنالك ونزلوا به من سلم المدرج ومشت قدامه الامراء والعسكر قاطبة وكـانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك فتوجهوا به الى تربتـه التى أنشأها بالقرب من زاوية سـيدى عبد الله المنوفى رحمه الله فدفن بها وانقضت مدته من الدنيا كأنها لم تكن وزال ملكه بعـد أن حكم بالبلاد الشامية والبلاد المصرية تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما وهذه المدة لم تتفق لاحد من ملوك الترك قبله وقد قيل فى المعنى

ان الذى اغـتر بالدنيا وزينتها * وظل فيها بحب المـال مفتونا
أتت اليـه المنايا وهى مسرعـة * فاصبح الجسم تحت الترب مـدفونا
قد فارق الاهل والاوطان وانقطعت * آماله وغـدا فى القـبر مرهونا
خـلا باعماله ماكـان من حسن * أو من قبيح به قد صار مقـرونا

وفى ذى الحجـة فرق السلطان الملك النـاصر الضحايا على العادة للعسكر وفيـه أنعم السلطان بتقادم ألوف على جماعـة من الامراء منهـم أزبك اليوسـفى الظاهرى جقمق المعروف بقشق وكسباى الزينى ويشبك الجمى المعروف بقمر وقرقماس بن ولى الدين وفيـه كتب المراسيم بحضور الامراء الذين كانوا أخرجوا الى النفى من حين كانت وقعة قانصوه خمسمائة واقبردى وكتب بحضور قانصوه الشامى الذى كان قرر فى نيابة حماه وقرر عوضه بنيابة حماه اركماس أحـد المقدمين بدمشق وكـتب بحضور قانصوه الالفى أيضا وبقية الامراء المنفيين وفيـه ظهر تغرى بردى الاستادار وكان له مدة وهو مختف تزيد على أربع سنين وكان قد فر خوفا من السلطان قايتباى لما تحمد عليه مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بقتل أحمد بن بهادر نائب قلعة صفد وكان لا بأس به وقد قتله كرتباى أخو اقبردى الدوادار

وكان كرتباى يومئذ نائب صفد فخرجت المراسيم بقبضه على يد خاصكى يقال له الماس بن ولى الدين فلما تحقق كرتباى ذلك ضرب عنق الماس وأحمد بن بهادر نائب القلعة وخرج من مدينة صفد وفيه عينت نيابة صفد لبردبك الطويل عوضا عن كرتباى بحكم صرفه عنها وفيه قرر القاضى عبد القادر القصروى فى نظر الجوالى وهذه أول وظائفه وفيه عظم أمر الاتابكى قانصوه خمسمائة الى الغاية حتى انه لم يصل مع السلطان صلاة عيد النحر ولا صلاة الجمعة ثم أمر باخراج مماليك اقبردى الدوادار الى أماكن شتى من البلاد وكان قد تخوف منهم وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى على الغزال وكان مقيما بخانقاه سرياقوس وفيه فرق الملك الناصر جملة أقاطيع كانت فى الذخيرة من أيام الاشرف قايتباى وكانت نحوا من ألف اقطاع ففرقت على المماليك جميعا ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك وفيه قرر جان بلاط الغورى فى نيابة القلعة عوضا عن ايدكى وفيه قرر طراباى الشريفى أمير اخور رابع عوضا عن تغرى بردى يونس السيفى الدوادار بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الثالثة وفيه قرر السيد الشريف عبد الرحيم الحموى فى كتابة سر دمشق عوضا عن محب الدين الاسلمى فاقام بها مدة وعزل عنها وتوجه الى ابن عثمان فأكرمه وفيه قرر بخشباى فى تقدمة ألف بدمشق ثم تولى نيابة حماه فيما بعد وفيه قرر كرتباى الاحمر فى الوزارة والاستادارية وكاشف الكشاف مضافا لما بيده من تقدمة ألف وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام فاظهر أشياء كثيرة من أنواع العدل منها أنه أبطل وظيفة نظر الاوقاف ونودى بذلك فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وأبطل عدة مكوس ومظالم وحجر على البرددارية والرسل والنقباء أن لا يأخذوا من الاخصام أكثر من نصف فضة وأن أحدا منهم لا يقرر على أحد رسما ولو دام كرتباى بمصر لحصل للناس به خير وفيه قبض على القاضى أبى المنصور صاحب ديوان اقبردى الدوادار فتسلمه الامير جان بلاط الدوادار وضربه ضربا مبرحا وقرر عليه مالا له صورة وفيه خلع على الامير اقباى الطويل نائب غزة واستمر على نيابته بغزة وكان أشيع عزله لانه كان من عصبة اقبردى الدوادار فلما أراد أن يتوجه الى غزة أخذ معه اقبردى الدوادار فى الخفية فلما بلغ قانصوه وكرتباى الاحمر أن اقبردى الدوادار خرج صحبة اقباى الطويل بعثا اليه والى الشرطة الى الخانقاه ففتشوا حوله حتى الحوايج خاناه وستر الله تعالى على اقبردى حتى خرج من القاهرة ولم يظفر به أحد وهذا كان سبب خروج اقبردى من مصر وتوجهه الى غزة وكبسوا بسببه فى ذلك اليوم عدة أماكن ودور بالخانقاه حتى هجموا هناك الجوامع والزوايا وحصل الضرر الشامل بسبب ذلك للناس وقيل انه لما خرج من الخانقاه فتشوا سنيح الامير اقباى الطويل أيضا وكان قد اختفى اقبردى فى الدست الكبير الزجنية لما حملوها على الجمل فستر الله عليه وفيه نزل السلطان الملك الناصر من القلعة وتوجه الى القرافة فزار وعاد الى

القلعة وهذا أول ركوبه في حال السلطنة وفيه حضر الامير خشكلدى السيفي وكان مقيما بدمشق من أيام الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى فلما حضر أكرمه السلطان وكان من أمره ماسنذكره في موضعه وفيه كثرت الاشاعات بوقوع فتنة فبادر الاتابكى قانصوه وقبض على جماعة من طائفة الاينالية نحو ستة عشر نفرا وأخرج جوامع نقيب الجيش شيأ فشيأ وتوجهوا نحو البلاد فكان منهم بردبك المحمدى وبرقوق ودولات باى بن عيسى وآخرون وفيه قوى الفحص والتفتيش على اقبردى الدوادار وهجموا بسببه عدة دور فلم يجدوه ولم يعلموا أنه خرج صحبة أقباى نائب غزة

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعمائة) فيها في المحرم كان خليفة الوقت يومئذ الامام المتوكل على الله عبد العزيز العباسى وكان سلطان العصر يومئذ الناصر أبو السعادات محمد ابن الاشرف قايتباى والقضاة الاربعة على الحكم الاول كما تقدم وكان الاتابكى قانصوه خمسمائة ونظام الملك تانى بك الجمالى الظاهرى والدوادار الكبير جان بلاط بن يشبك والاستادار كرتباى الاحمر وفيه خرج اصطمر بن ولى الدين ومعه عدة من الجند بسبب القبض على أمير الحاج تانى بك قرا الاينالى فلاقاه من عجرود وقيده وبعث به من هناك الى ثغر الاسكندرية فسجن بها مع تمراز أمير كبير كان وفيه جاءت الاخبار بقتل عساف الحبشى نائب صيدا وبيروت وكان من مشاهير الرؤساء وله شهرة زائدة بتلك البلاد وفيه كانت نفقة البيعة على الجند فأنفق على الجند على العادة ولكن لم يعط مائة دينار كاملة لغير القايتباهية وأعطى من دون ذلك لكل واحد خمسون دينارا وأنفق على أولاد الناس ثلاثين دينارا وفيه أحضر السلطان المصحف العثمانى وحلف عليه سائر الامراء والعسكر ولم يطلع الاتابكى قانصوه خمسمائة ولا حلف ولكن طلع بعد أيام وحلف أيمانا غير صادقة كما يقال في المعنى

خان اليمين وعهد الود قد فسخا * ولا ترى قط صدقا خالصا نسخا

وفيه قرر دولات باى بن اركماس الساقى في نيابة البيرة وخرج اليها عن قريب ودولات باى هذا هو الذى تولى الاتابكية بمصر وفيه قبض كرتباى الاحمر على شمس الدين القرنوى امام اقبردى الدوادار وعاقبه أشد العقوبة وتسلم أيضا المنصور وعاقبه أشد العقوبة وجرى لهما أمور يطول شرحها وماخلصا الا بعد جهد كبير وكان السلطان له عناية في الباطن بجماعة اقبردى الدوادار وفيه قبض كرتباى الاحمر على جماعة من الامراء العشراوات ممن كان من عصبة اقبردى الدوادار منهم اسنباى الابراهيمى المعروف بالاصم وبرسباى السلحدار وجانى بك بن ازدمر المعروف بالصغير وبخشباى بن عبد الكريم وطقطباى ابن بردبك الدوادار ومن الخاصكية تمراز جوشن واينال السلحدار وقانصوه الساقى وأبو يزيد

الصغير وآخرون غيرهم ولم يكن ذلك باختيار السلطان وفيه توفي الشيخ حمزة بن محمد
ابن حسن بن علي بن عبد الحليم المغربي البحيباوي المالكي وكان عالما فاضلا مقيما
بالخانقاه الشيخونية وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان للخليفة بأن يطلع الى القلعة ليسكن
فيها كما كان سكنا من قبل وكان السلطان قايتباى رسم له بأن ينزل ويسكن
بالمدينة عند ما حرق حاصل الخيام كما تقدم وفيه من الحوادث أن السلطان ضرب
امرأة بين يديه بالمقارع وشهرت على حمارة وفي عنقها زنجير وهذا لم يعهد قط فلما طاش
الملك الناصر وخف وكل كرتباى الاحمر أربعة من الخاصكية يمنعونه من اللعب مع أولاد
العوام ومن كل تصرف في شيء وصار تانى بك الجمالي نظام الملك يبيت عنده كل ليلة بالقلعة
ومع ذلك ما ارعوى وما حصل من هذا طائل وزاد في الطيشان حتى خرج في ذلك عن الحد
وكان منه ما سنذكره في موضعه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد نفى تانى بك قرا من عجرود
فلما دخل المحمل طلبه السلطان عنده بالقلعة ليراه ولم يكن رآه قط قبل ذلك وفيه أنعم
السلطان بتقدمة تانى بك قرا على قيت الرجبي وفيه ان من جملة طيشان الملك الناصر أنه
خرج لصلاة الجمعة وهو بغير كلوته بل بتخفيفة صغيرة فشق ذلك على الامراء وعابوا عليه
هذه الفعلة وفي صفر خلع السلطان على قانصوه الشامي الذي كان نائب حماه وقرره في
الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تانى بك قرا السابق أمير مجلس ونفى الى الاسكندرية وفيه قرر
في مشيخة تربة الامير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير كان الشيخ أبو النجا الفوى الواعظ
وكان من أهل الفضل وفيه من الحوادث ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز عهد
للشيخ جلال الدين الاسيوطي بوظيفة لم يسمع بمثلها قط وهو أنه جعله على جميع القضاة قاضيا
كبيرا يولى منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء مطلقا في سائر ممالك الاسلام وهذه الوظيفة
لم يلها قط سوى القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز في دولة بني أيوب فلما بلغ القضاة ذلك شق
عليهم واستخفوا عقل الخليفة في ذلك وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط
ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا فلما قامت الدائرة
والالسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال ايش كنت أنا الشيخ جلال الدين هو الذي حسن
لي ذلك وقال لي هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم
أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك وبعث أخذ العهد الذي كان كتبه للشيخ جلال
الدين الاسيوطي وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها
ثم سكن الحال بعد مدة وفيه أشيع أن الاتابكي أزبك قد حضر من مكة في الخفية
فاضطربت أحوال المماليك الجلبان وكادوا أن ينشؤا فتنة ولم يكن لتلك الاشاعة صحة
وفيه عزل الشهابي أحمد ناظر الجيش وتولى القاضي محيي الدين عبد القادر القصروى

وكان الساعى له فى ذلك جان بلاط الدوادار وكان من أخصائه وفيها ابتدأ الامراء المقدمون فى لبس التخافيف التى بالقرون الطوال وقد خرجوا فى ذلك عن الحد وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

يقول أميرنا المتبدى * أنا فى الحرب ذو القرنين دعنى
أنا كبش وأعدائى نعاج * اذا برزوا فأنطحها بقرنى

وفيه خلع السلطان على قانصوه الالفى وقرره أمير اخور كبير عوضا عن شادبك الجوخ بحكم انتقاله وفيه أنعم السلطان على دولات باى النفلاح بتقدمة ألف وصار من جملة المقدمين وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره فى نيابة قلعة دمشق بعد ما كانت بيد غيره وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وفيه جاءت الاخبار بوفاة كرتباى نائب البيرة وكان قصد الحضور الى مصر فمات ببعلبك وفى ربيع الاول خلع السلطان على الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن العينى وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن عبد القادر القصروى وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهذا أول مواليده فلما جلس بين الامراء اعتراه النعاس حتى رش الماء على وجهه كى يستفيق وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى تربة والده فزار قبره ثم توجه من هناك الى قبة الامير يشبك الدوادار التى بالمطرية ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة فى موكب حافل وفيه خلع السلطان على كرتباى ابن عمة السلطان وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وفيه قرر قانصوه الدوادار يشبك فى امرية ميسرة بحلب ثم جرى عليه بعد ذلك أمور شتى وفيه قرر قصروه فى نيابة الكرك كما كان أولا وفيه قرر طومان باى الخازندار فى نيابة الاسكندرية فأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى القاهرة وطومان باى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالعادل وفيه حضر الى القاهرة قانى باى الرماح وكان أتابكا بحلب وصرف عنها وفى ربيع الآخر سافر سيباى الدوادار الثانى الى جهة غزة بسبب اقبردى الدوادار وقد ثبت أنه عند اقباى نائب غزة ثم جاءت الاخبار بأن اقبردى الدوادار خرج من غزة هو واقباى نائب غزة وتوجها الى البلاد الشامية فتأثر الامراء لذلك وضربوا مشورة فى أمره فوقع الاتفاق على أن يكتبوا له بأمان من السلطان والامراء فكتبوا له أمانا وأرسلوه له وكل هذا عين الخداع وفيه قرر محمد بن أبى يزيد فى نظر البيمارستان المنصورى وكان قد عظم أمره فى تلك الايام جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانصوه نائب قلعة الروم وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى نزل السلطان من القلعة وتوجه الى قبة يشبك الدوادار التى فى المطرية وبات بها ثم طلع الى القلعة وشق من القاهرة وزينت له وكان يوما مشهودا وفيه تزايدت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة ونقل الناس أمتعتهم من الدور فلما كثر الكلام فى ذلك أحضر السلطان المصحف العثمانى وطلع به الى

القلعة وحلف عليه الأمراء والجند بأن يكونوا كلمة واحدة ويكونوا عباد الله اخوانا وأن الامراء الذين هم من عصبة الأمير أقبردى الدوادار يظهرون ويكونون واياهم شيأ واحدا فوافق الاتابكى قانصوه خمسمائة على ذلك وكذلك كرتباى الاحمر وبقية الامراء فلما جرى ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن الغياب الذين من عصبة اقبردى يظهرون ولهم الأمان من السلطان فعند ذلك ظهر شادبك الجوخ الذى كان أمير اخور كبير واينال الخسيف الذى كان حاجب الحجاب وقانم قريب السلطان أحد المقدمين بمصر وجانم مصبغة فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة خلع عليهم السلطان كوامل بسمور وذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرى الشهر المذكور ثم رسم لهم السلطان بأن يتوجهوا الى دار الاتابكى قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع ويقبلوا يده فتوجهوا الى هناك وقبلوا يد الاتابكى قانصوه خمسمائة ورجعوا الى بيوتهم فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الاتابكى قانصوه خلفهم وزعم أنه يضيفهم ويعدلهم مدة فحضر اليه شادبك الجوخ واينال الخسيف وقانم قريب السلطان ولم يحضر صحبتهم جانم مصبغة وكان صاحب الرأى فى عدم حضوره فلما اجتمعوا عند الاتابكى قانصوه طاولهم بالكلام ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشربوا ولم يجلس معهم شادبك ثم فتحوا بينهم باب العتاب واستمروا على ذلك حتى تنصف الليل فلم يشعروا الاوقد دخل عليهم مصرباى الثور والى القاهرة فقبض على الثلاثة وتوجه بهم الى نحو الجزيرة الوسطى فقيل انه أغرقهم هناك وكان هذا آخر العهد بهم كما قيل فى المعنى

لما رأيت الغدر منهم بدا * والبغض من أعينهم لى يلوح
فقلت للقلب ارتجع عنهم * ماقصدهم منك سوى أخذ روح

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الاربعاء ثامن عشره صلى الاتابكى قانصوه العشاء وركب بمن معه من الامراء والعسكر وهجم وملك باب السلسلة وكان قانصوه الألفى أمير اخور كبير فما أحوجه يدق باب السلسلة ولا ينتظر الجواب فلما كان يوم الاربعاء صبيحة تلك الليلة جلس الاتابكى قانصوه خمسمائة فى الحراقة التى بباب السلسلة وأرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز فحضر وحضر القضاة الاربعة واجتمع عنده أربعة عشر مقدم ألف والعسكر قاطبة من الامراء والجند فلما تكامل المجلس مشوا مع الخليفة فى خلع الملك الناصر وتولية قانصوه خمسمائة فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية وكتب بذلك صورة محضر وشهد فيه جماعة كثيرة وبويع قانصوه خمسمائة بالسلطنة وتلقب بالاشرف أبى النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته قبل له الامراء الارض والعسكر قاطبة ونودى له فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وخلع على شخص يسمى جانم أخا قانصوه الالفى وجعله والى القاهرة وكان

قانصوه خمسمائة محبا للناس قاطبة بخلاف اقبردى فلما لم يبق سوى أن يفاض عليه شعار الملك و يركب فرس النوبة ويحمل على رأسه القبة والطير و يصعد الى القلعة ويجلس على سرير الملك وقع عند ذلك العجائب والغرائب كما يقال فى المعنى

ستقضى لنا الايام غير الذى قضت * ويحدث من بعد الامور أمور

ثم ان قانصوه خمسمائة بعث بعض الامراء الى القلعة بأن يقبض على الملك الناصر ويدخله الى قاعة البحرة فتعصب له جماعة من مماليك أبيه الذين كانوا بالطباق وجداريته وكتابه وكانوا نحوا من ألف مملوك وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر فنعوه من دخول قاعة البحرة ومن اعطائه الترس والنمجاة ولم يكن عند الناصر أحد من الامراء فقام قانصوه فى محاربة قانصوه خمسمائة أشد القيام وقاتل هو والجلبان قتال الموت فلكوا فى ذلك اليوم رأس الصوة وسلم المدرج والطبلخاناه وعمد قانصوه خال السلطان الى الزردخانه ففتحها وأخرج منها زرديات وخوذا وقسياونشابا وفرقها على المماليك الجلبان وكان البدرى حسن بن الطولونى نائبا بالقلعة فاحضر البخارين والجارين فعملوا أشياء من الطوارق والمدافع وكان عند الملك الناصر عدة وافرة من العبيد رماة ما بين بندق رصاص ونفطيه فحاصروا قانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة أشد المحاصرة ثم ان كرتباى الاحمر توجه خلف القلعة ونصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ورمى بها على الحوش السلطانى فلم يفد ذلك شيأ ثم ان قانصوه خمسمائة نادى فى القاهرة بأن أولاد الناس النفطية تطلع الى باب السلسلة و يبيتون بها فلم يطلع اليه أحد منهم فاستمر قانصوه فى المحاصرة وهو مقيم بباب السلسلة والخليفة والقضاة الاربعة والامراء عنده واستمر على ذلك يوم الاربعاء والخميس فلما كان يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة وقع فى ذلك اليوم واقعة مهولة وقت صلاة الجمعة وأحرق المماليك الذين بالقلعة سقيفة الاصطبل السلطانى بحراريق و بارود رموه عليها فاحترق الاصطبل وصار المقعد الذى بباب السلسلة مكشوفا فخاف قانصوه خمسمائة على نفسه أن يرموا عليه شيأ من فوق وكانت سقيفة الاصطبل تمنع الرمى عن المقعد الذى بباب السلسلة فلما رأى قانصوه خمسمائة عين الغلب ركب ونزل من باب السلسلة ووقف عند سبيل المؤمنين فرعليه بعض الرماة بكفيه وقيل ببندقية فجاءت على طرق أذنه جوازا فسقط عن فرسه الى الارض وقد أغمى عليه وغاب عن الوجود فحمله الغلمان على أعناقهم و بقى لباسه بتكنه بأسنا الناس ورأسه مكشوفة وعليها زنط أقرع فنزلوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار وهو مغمى عليه لا يدرى ما جرى له فلما وصلوا به الى درب الشمسى اختفى فى مكان هنالك وكانت هذه الواقعة من أعجب الوقائع كما قيل

و بين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

فلما انكسر قانصوه وخرج من باب السلسلة على أنحس حال نزل المماليك الجلبان من القلعة الى باب السلسلة ونهبوا كل ما فيه من سلاح وقماش وغير ذلك ونهبوا الطشتخاناة الامراء والخليفة وخطفوا عمائم القضاة ونوابهم وما سلم الخليفة والقضاة من القتل الا السلامة وقتل فى هذه الحركة جماعة من الجند وقتل شخص من الامراء العشراوات يقال له كشبغا وكانت النصرة للملك الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس بعد أن ملك باب السلسلة وبايعه الخليفة وتلقب بالأشرف واجتمع عنده سائر الامراء المقدمين من الظاهرية الجقمقية والقايتباهية وسائر العسكر من كبير وصغير وقبلوا له الارض قاطبة فاورث الخذلان وانتصر عليه الملك الناصر وكان قد استخف به لصغر سنه وقلة عصبته فكان كما قيل فى المعنى

ولا تحقرن صغيرا رمالك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن كيد الصغير فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن صغيرا فى مخاصمة * ان الذبابة تدمى مقلة الأسد

فلما كان يوم السبت مستهل جمادى الآخرة طلع الخليفة الى القلعة والقضاة الاربعة يهنئون السلطان بالشهر وبهذه النصرة التى حصلت له ثم ان الخليفة أعاد الناصر الى السلطنة وبايعه ثانيا وكان خلع من السلطنة وأقام ثلاثة أيام الى أن عاد اليها وقيل ان الملك الناصر رشد فى ذلك اليوم وثبت رشده وأباح واله التصرف فى المملكة بما يختار ثم انه خلع على الخليفة ونزل الى داره وضربت البشائر بالقلعة وتخلق جماعة السلطان بالزعفران وفرق على الخاصكية سلاريات حرير أصفر بسنجاب وتوشحوا بالبنود الحرير الاصفر وفى ذلك اليوم رسم السلطان بالافراج عن الاتابكى تمراز الشمسى وتانى بك فتوجهوا بالمراسيم الى ثغر الاسكندرية الى مغلباى الشريفى وهو الآن الزردكاشى الكبير وكتب السلطان أيضا مراسيم الى اقبردى الدوادار بالحضور وتوجه اليه جانى باى وفى ذلك اليوم خلع السلطان على اينال السلحدار وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مصرباى التور بحكم اختفائه وصرف نظر الجيش عن عبد القادر القصروى، وأعيد اليها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرر البدرى محمد بن كمال الدين ناظر الجيش فى نظر الجوالى عوضا عن الناصرى محمد بن العينى بحكم صرفه عنها وقرر شمس الدين القرنوى فى نظر الاحباس عوضا عن محمد بن مزاحم الطرابلسى وعين الأمير سودون العجمى فى نيابة الاسكندرية عوضا

عن قانى بردى البهلوان وأرسل بالقبض عليه فلما جرى ذلك وقع النهب فى بيوت الامراء الذين اختفوا لما انكسر قانصوه خمسمائة وأقامت القاهرة نحوا من أربع عشرة ليلة لم يدق فيها طبلخانات بموجب اختفائهم واضطربت الاحوال وفى هذه المدة كانت القلعة شاغرة لم يقم بها خدمة ولا يصعد اليها أمير والاشاعات كل ليلة قائمة بوقوع فتنة وكثر القال والقيل فى ذلك وامتنع الناس من السفر الى الشرقية والغربية لتزايد فساد العربان فى الطرقات والقاهرة مائجة باهلها يترقبون وقوع فتنة كبيرة وفيه من الوقائع أنه لما انكسر قانصوه خمسمائة توجه فى ذلك اليوم قانصوه الشامى ومصرباى والى القاهرة فخرجا على جرائد الخيل الى بر الجيزة وتوجها من هناك الى ثغر الاسكندرية ليقتلا الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وكانا بالسجن بالاسكندرية كما تقدم وكان قانى بردى البهلوان أخو قانصوه خمسمائة يومئذ نائب الاسكندرية فلم يشكا بأن نائب الاسكندرية يمكنهما من قتل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وكان تدبيرهما فى يد غيرهما فبينما هما فى أثناء الطريق اذ خرج عليهما جماعة من العربان فى تروجة فتحاربا معهم فانكسرا وقبضت عليهما العربان فقتل مصرباى الثور وحزت رأسه وعلقت على باب الاسكندرية وأما قانصوه الشامى فقبضوا عليه وأحضروه الى الاسكندرية فسجن بالبرج الذى كان فيه الاتابكى تمراز والجزاء من جنس العمل وكانت مدة سجن الاتابكى تمراز بالاسكندرية ستة أشهر وأياما وكذلك تانى بك قرا بعده بمدة يسيرة وأخرجا من السجن معا وقد قيل

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فأقام قانصوه الشامى أياما فى السجن بثغر الاسكندرية وفيه بعث السلطان مراسيم على يد قانصوه دوادار الامير شادبك الخوخ الذى قتل بضرب عنق قانصوه الشامى فلما وصلت المراسيم الى ثغر الاسكندرية أخرج قانصوه الشامى من برج الاسكندرية وتوجه به الى آخر المدينة وضرب عنقه قيل وكان المشاعلى غائبا والذى ضرب عنقه كان صبى المشاعلى وقيل انه ضربه ثلاث ضربات حتى أطاح رأسه وعذبه غاية التعذيب وذلك أن قانصوه دوادار شادبك الخوخ أخذ بثار أستاذه منه وعلقت رأسه على باب الاسكندرية وهى مشهورة فكان أول من قتل من الامراء وكان شجاعا بطلا عارفا بانواع الفروسية وكان لا بأس به وفى أثنائه وصل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا فخرج الناس الى ملتقاهم وطلعا الى القلعة فى موكب حافل وعليهما الملايط الطرح فلما قابلا السلطان خلع عليهما ثم أعاد تمرازا الى الاتابكية عوضا عن قانصوه خمسمائة وخلع على تانى بك قرا وقرره فى امرية مجلس عوضا عن أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وأنعم على قانى بك المعروف بنائب الاسكندرية وقرره من جملة المقدمى الالوف وقرر خشكلدى فى

استادارية الصحبة وعزل اينال السلحدار عن ولاية القاهرة وقرر بها قانصوه الفاجر عوضا عن اينال وفيه أنعم السلطان على مصرباى الشربقى شاد الشرابخاناه بتقدمة ألف وخلع على خاله المقر السيفى قانصوه بن قانصوه وقرره فى شادية الشرابخاناه وأنعم عليه بامرية طبلخاناه وهذا أول ظهوره بمصر واشتهاره وكان من جملة مماليك السلطان الجدارية ولم يكن خاصكيا فخدمه السعد جملة واحدة واستمر يرتقى الى أن بقى سلطانا كما سيأتى ذكره فى موضعه فلما بقى شاد الشرابخاناه اجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار المرجع لارباب الوظائف من بابه وعوّلت الناس على أشغالها فى ردجوابه فهذا كله جرى وقانصوه خمسمائة من حين انكسر مختف والاشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة وصار الناس على رؤسهم طيرة ثم أشيع بين الناس ان المماليك الذين من عصبة قانصوه خمسمائة يقصدون قتل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا فرسم لهما السلطان بأن يطلعا الى القلعة ويقيما بها حتى يكون من الامر مايكون فطلع الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وأقاما فى الجامع الصغير الذى هو داخل الحوش السلطانى أياما فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر الاشرف قانصوه خمسمائة من مكان فى درب المرسينة الذى عند قناطر السباع وكان قد أشيع بأنه قد خرج على وجهه من حين انهزم من الرميلة فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته وأتوا اليه أفواجا أفواجا فركب من هناك وتوجه الى الميدان الناصرى الذى عند البركة وعلى رأسه صنجق فلما تسامع به العسكر حضر عنده جماعة من الامراء ممن كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة فحضر قانصوه الالفى وجان بلاط بن يشبك وماماى وقرقماس بن ولى الدين وقانصوه المحمدى وقيت الرحبى وكرتباى الاحمر وكسباى الشربقى ويشبك قمر فهؤلاء مقدموألوف وحضر من الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة فلما تكاثر هناك العسكر ضاق بهم الميدان فحسن ببال قانصوه خمسمائة أن يأخذ العسكر ويتوجه الى الازبكية فتوجه الى هناك ونزل بدار الاتابكى أزبك فلم يحضر اليه من العسكر الاقليل فتلاشى أمره وبان عليه الخذلان وهو لا ينتبه عماه وفيه كما يقال فى الامثال الموت فى طلب الثار * ولا الحياة فى العار

﴿وقال آخر﴾

فوتى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش فى أرب النفوس

فبات تلك الليلة هناك فى الازبكية فلما أصبح يوم الاربعاء نسحب من كان عنده من العسكر ولم يبق عنده منهم لاقليل ولا كثير وتوجه الامير كرتباى الاحمر الى المطرية وخليج الزعفران لاجل أخذ الخيول فانها كانت فى الربيع وبلغ قانصوه خمسمائة أن المماليك الجلبان نازلة من الطبقات وهم مشاة وقد وصلوا الى رأس البندقانيين فلما تحقق ذلك طلب الفرس وركب هو ومن عنده من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات نحو من

عشرين أميراو الطواشي فيروز الزمام ومنهم قايتباي الاقرع الزردكاش وبرسباي الخسيف أمير اخور ثاني وقرقماس الشريفي المحتسب واسنباي المبشر وقرازالشيخ ودولات باي المصارع وازدمر الخازندار ودولات باي جركس وتمرباي المحمدي كاشف الشرقية وسودون الدوادار وطومان باي أخو الامير جانم وآخرون من الامراء فخرجوا من الازبكية بعد طلوع الشمس وهم على جرائد الخيل وتوجهوا نحو خانقاه سرياقوس بعد ان أخذوا خيول السلطان وغيره من الربيع وكان آخر العهد بهم وقد قتلوا أجمعين كما سيأتي ذكره فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة وكان أرشل معكوس الحركات في سائر أفعاله لم يطب طبه وكان ذلك خذلانا من الله تعالى له وقد قيل في المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
فان نال بالسعي المنى تم سعده * وان حالت الاقدار كان له العذر

فلما وصل المماليك الجلبان الى الازبكية وجدوا قانصوه قد تسحب منها وكان الاتابكي قرازنزل مع جماعة من الجلبان من على باب الخرق وأتوا الى الازبكية والجماعة الثانية مع تاني بك قرا نزلوا وتوجهوا من البندقانيين من على قنطرة الموسكي وأتوا الى الازبكية من هناك فلم يجدوا بها أحدا فاحرقوا طبلخانة الامير أزبك ونهبوا داره والربوع التي هناك ونهبوا قناديل الجامع والحصر التي به وكان هناك حواصل للاتابكي فيها خيام ونشاب فنهبوا ذلك جميعه ونهبوا دور سكان الازبكية فكان كما يقال

غيري جنى وأنا المعذب فيكم * فكأنني سبابة المتندم

وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه خمسمائة لما خرج من الازبكية قصد التوجه الى غزة ليقتل اقبردي الدوادار ولكن فاته الشنب وكان مقيما عند اقباي نائب غزة وكان السلطان أرسل خلفه ليحضر الى القاهرة وكان يظن أن الوقت قد صفا له بكسرة قانصوه خمسمائة فقصد التوجه الى الديار المصرية فلما خرج من غزة ووصل الى خان يونس الذي هناك فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر قانصوه خمسمائة ولم يكن عنده علم بذلك فاحاطوا به وكان بينهما واقعة قوية مهولة فانكسر اقبردي الدوادار ودخل الى خان يونس وأغلق عليه الباب فحاصره قانصوه خمسمائة أشد المحاصرة وأحرق باب الخان وأشرف أن يظفر به فلما رأى اقبردي عين الغلبة طلب من قانصوه خمسمائة الامان فلم يعطه الامان فبينما هو على ذلك وقد دنت الشمس للغروب واذا باقباي نائب غزة واينال باي نائب طرابلس وشيخ العرب بن نبيه ومعهم جماعة من العربان والعشير أتوا ليتوجهوا مع اقبردي الى القاهرة فوجدوه في المحاصرة وهو في خان يونس فكان كما يقال * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج *

فكان بينهما واقعة لم يسمع بمثلها فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء والعسكر وهذه رابع كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة فكان كما يقال

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة * حتى تروم التى من دونها العطب

فكان أول من أسر من الامراء ماماى بن خداد فحزت رأسه بين يدى اقبردى ثم حزت رأس فيروز الزمام وحزت رأس سودون الدوادار وأما قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقول انه قتل فى المعركة وحزت رأسه وأخذت فرسه والهيا كل التى كان حاملها ومن الناس من يقول انه لما انكسر وحال بينهما الليل ركب فرسه وكان مجروحا فنجا بنفسه ولم يعلم له خبر والاصح أنه قتل وحزت رأسه وأحضرت بين يدى اقبردى ودخلت رأسه الى القاهرة وهى على رمح وصار الناس بعد ذلك يشكون فى قتله الى الآن ويزعمون أنه باق فى قيد الحياة الى الآن وهذا من الأمور المستحيلة وقد قضى الامر فى قتله فلما كان صبيحة يوم الواقعة صار اقبردى يقبض على الامراء الذين كانوا صحبة قانصوه خمسمائة فقبض عليهم من الغيطان التى هناك والخانات فأمسك منهم قانصوه الالفى وكسباى الزينى ويشبك قمر ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن عشرين ممن تقدم ذكرهم فلما قبض عليهم قيدهم وقبض على جماعة من الخاصكية ممن كان صحبة قانصوه خمسمائة واستمروا فى أسره حتى كان من أمرهم ما سنذكره فى موضعه هذا ما كان من أمر قانصوه خمسمائة واقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر بعد حركة قانصوه خمسمائة فانه صار مع مماليك أبيه فى الضنك وهو يهدد كل يوم بالقتل حتى امتنع من صلاة الجمعة وصار الاتابكى تمراز فى غاية المشقة وقد وعد بالقتل غير ما مرة وفيه فى يوم السبت تاسع عشريه وقعت قلقلة بين المماليك والامراء بالقلعة فقال المماليك للامراء غيروا لقب السلطان ولقبوه بالاشرف على لقب أبيه فطال الكلام فى ذلك فقالت الامراء كيف يكون هذا الامر بعد ما خرجت عدة مناشير ومربعات الى البلاد الشامية باسم الملك الناصر فكيف يغير لقبه بالملك الاشرف فقال المماليك لا بد من ذلك وصمموا على قولهم فعند ذلك غير لقبه ونودى فى القاهرة بان السلطان تغير لقبه وتلقب بالملك الاشرف فتعجب الناس من ذلك وصار الخطباء منهم من يخطب باسم الملك الناصر ومنهم من يخطب باسم الملك الاشرف وكان سبب تغير لقب السلطان أنه أخرج خرجا من المماليك فصاروا يسمون الناصرية ومماليك أبيه يسمون الاشرفية فصارت المماليك الناصرية أرجح كفة من المماليك الاشرفية فما أطاقوا ذلك وقالوا لقبوا السلطان بالاشرف ونصير كلنا أشرفية فما زالوا على ذلك حتى فعلوه وتقرب هذه الواقعة مما اتفق للملك الصالح أمير حاج ابن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الالفى أنه تسلطن أولا وتلقب بالملك الصالح الى ان خلعه الظاهر برقوق من السلطنة

وتسلطن عوضه فلما أعيد الى السلطنة ثانيا وخلع برقوق من السلطنة فى فتنة يلبغا الناصرى ومنطاش غير واقبه بعد مضى ثمانية أشهر واقبوه بالملك المنصور وقد تقدم سبب ذلك وفيه كثر الاضطراب بالديار المصرية وامتنع الامراء من طلوع الخدمة وكثر بين الناس القال والقيل بأن المماليك يقصدون الهجوم على السلطان ويقتلونه فرسم السلطان بسد باب السلسلة وباب الميدان وباب الحوش الذى يلى العرب فسدوها بالحجر واستمروا على ذلك مدة طويلة فكان الناس يطلعون الى القلعة من باب المدرج فقط ويطلعون الى باب السلسلة من الباب الذى عند الصوة تحت الطبلخانات وفى رجب خلع السلطان على ابن سيف وقرره فى امرية آل فضل عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان بنفى أزبك قشق الظاهرى جقمق وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على بردبك نائب جدة ومصرباى وقرقاس التنمى ولكن لم يتم له ذلك فيما بعد وقرر فى نيابة غزة عوضا عن اقباى كما سيأتى الكلام عليه وفيه أنعم السلطان أيضا على قانى بك نائب الاسكندرية وصار من جملة المقدمين وقرر مغلباى البجمقدار فى الخازندارية الكبرى وفيه هجم المنسر على سوق باب اللوق وأخذوا أموال التجار وفتحوا عدة من الدكاكين وفعلوا مثل ذلك بسوق تحت الربع وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا مافيها وفيه قبض الملك الناصر على القاضى كاتب السر بدر الدين ابن مزهر واودعه بالطشتخاناه التى بجوار البحرة وقرر عليه أموالا لا يقدر عليها وهذه أول نكباته وقاسى من البهدلة والانكاد مايطول شرحه واستمر بعد ذلك فى النكبات وهى تترادف عليه شيأ بعد شئ حتى كان فيه هلاكه كما سيأتى ذكر ذلك وكان سبب ذلك أنه يوم مبايعة قانصوه خمسمائة كان هو المذبذب له وأظهر البشر والفرح فى ذلك اليوم فصار له ذنب عند الملك الناصر بسبب ذلك ومن جملة ما قاساه أن الناصر لكمه على عينه فنفرت من مكانها وكادت أن تذهب وأقام أياما وعينه مرفودة وهو فى التوكيل به أياما حتى أورد مالا له صورة مما قرر عليه وفيه رسم السلطان للاتابكى تمراز والامير تانى بك قرا بأن ينزلا الى دورهما وكانا بجامع القلعة من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر كما تقدم ذكر ذلك وخلع عليهما ونزلا الى دورهما فى غاية التعظيم وفيه جاءت الاخبار بنصرة أقبردى الدوادار على قانصوه خمسمائة فلما تحقق السلطان ذلك نادى فى القاهرة بالزينة ودقت البشائر بالقلعة وفيه فى يوم الخميس رابع رجب جاءت رؤس من قتل فى المعركة على خان يونس كما تقدم ذكر ذلك فكان عدة الرؤس التى حضرت الى القاهرة أربعا وثلاثين رأسا وهى معلقة على رماح وينادى عليها هذا جزاء من يخامر ويعصى على السلطان وكان من جملة تلك الرؤس رأس ماماى بن خداد أحد المقدمين وكان رئيسا حشما وافر العقل شجاعا بطلا وكان من خواص الاشرف قايتباى توجه قاصدا الى ابن عثمان غير ما مرة وتولى من

الوظائف الدوادارية الثانيـة ثم بقى مقـدم ألف وهو الذى جـدد الدار المعظمة التى بين
القصرين وصرف عليها جملة مال عظيم ومن جملة الرؤس رأس فيروز الطواشى الزمام فلم
يرث له أحد من الناس ولا أثنى عليه خيرا وكان عنده خفة وطيش ومن الامراء العشراوات
بخشباى بن عبد الكريم وتمرباى كاشف الشرقية وسودون الدوادار ومن الخاصكية عدة
وافرة منهم قايتباى بن قيت الرجبى وخايربك دوادار الاتابكى أزبك وأزبك البيرى السيفى
جانى بك نائب جـدة وآخرون من الخاصكية المماليك السلطانية وكان آخر الرؤس الذى
تسلطن وما كان أغناه عن هـذه السلطنة فصنعوا له عيونا من زجاج حتى يعرف بها من بين
الرؤس وكان قانصوه خمسمائة أميرا جليلا موصوفا بالشجاعـة وافر العقل كثير الادب
والحشمة ويقال كان أصله من مماليك الملك الظاهر خشقدم من كتابيته واشتراه الاشرف
قايتباى وأعتقه فهو من عتقائه وتولى من الوظائف الدوادارية الثانيـة والاميراخورية
الكبرى ثم بقى أتابك العساكر بمصر ثم تسلطن وتلقب بالاشرف وأقام فى السلطنة ثلاثة
أيام وخرب بسببه عدة دور وقتلت جماعة كثيرة من الامراء وكان قانصوه خمسمائة ليس له
سعد فى حركاته وقتل وهو فى عشر الخمسين فلما عرضوا تلك الرؤس شك أكثر الناس بان هذه
ليس برأس قانصوه خمسمائة واستمروا على ذلك الى الآن والاصح أنه رأسه فأمر السلطان
أن تعلق بباب زويلة وباب النصر واستمرت الكؤسات تدق بالقلعة سبعة أيام وكذلك بيوت
الامراء المقدمين ثم ان اقبردى الدوادار أرسـل يشاور السلطان فى أمر هؤلاء الامراء الذين
أسروا بخان يونس فبرزت اليه المراسيم الشريفة بقتلهم أجمعين فلما وصـل اقبردى الى
الخطارة سلم هؤلاء الامراء الى شيخ العرب أحمد بن قاسم بن بقر فأتى بهم الى فاقوس وقتلهـم
أجمعين تحت جميزة كانت هنالك ثم رموهم ببئر كانت هنالك وانقضت أخبارهـم وقيل ان
الذى باشر قتلهم تانى بك أبو شامة وقتل تانى بك أبو شامة بعد مدة يسـيرة كما سيأتى الكلام
عليـه ومثل ما تعمل شاة الجبى فى القرظ يعمل القرظ فى جلدها فكان عدة من قتل هنالك من
الامراء نحوا من خمسة عشر أميرا منهم مقـدمو ألوف ثلاثة وهم قانصوه الالفى وكسـباى
الزينى ويشـبك قمر وكان قانصوه الالفى من خواص الاشرف قايتباى وتولى من الوظائف
الدوادارية الثانية ثم بقى مقـدم ألف ثم بقى أميراخور وكسباى الزينى تولى حسبة القاهرة
والدوادارية الثانية ثم بقى مقدم ألف ويشبك قمر تولى ولاية القاهرة ثم بقى مقدم ألف ومات
بقية الامراء شر ميتة حتى قيـل ان العرب قطعوا أرجلهم بالخناجر حتى أخذوا منها القيود
الحديد وألقوهـم هنالك فى بئر خراب وأما من قتـل هنالك من الامراء الطبلخانات فالامير
قايتباى الاقرع الزردكاش الكبير وبرسباى الخسيف أميراخور ثانى وقرقماس الشريفى
المحتسب واسنباى المبشر استادار الصحبة وتمرباى وتمراز الشيخ ودولات باى بن جركس

وازدمر الخازندار ودولات باى المصارع وآخرون من الامراء العشراوات وقد تقدم القول على ذلك وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع وأبشعها وكان قانصوه خمسمائة لما تسحب من الازبكية وقصد التوجه الى غزة أخذ عدة خيول السلطان وللناس كانت فى المرابط على البرسيم فى زمن الربيع فحصل بسبب ذلك غاية الضرر وكانت تلك الايام كلها اضطراب وفيه أرسل السلطان الملك الناصر يستحث اقبردى الدوادار على الدخول الى القاهرة وكان ظن أن الوقت قد صفا له ولكن حدث بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها وفيه خلع السلطان على جوهر المعينى وقرره فى الزمامية عوضا عن فيروز الرومى بحكم قتله كما تقدم وقرر عبد اللطيف الرومى فى الخازندارية الكبرى عوضا عن فيروز أيضا وفيه أنعم السلطان على قانى باى الرماح بتقدمة ألف وكان أمير عشرة وولى نيابة صهيون قبل ذلك وفيه خلع السلطان على أبى يزيد الصغير وقرره فى باشية مكة المشرفة وكان ذلك باختياره خوفا على نفسه من القتل والفتن وفيه من الحوادث أن مماليك الاتابكى تمراز قتلوا شخصا من خواصه يقال له محمد البارنبالى وكان من وسائط السوء عند تمراز وكان صاحب ديوانه ومباشره فما أطاق المماليك فعله فقتلوه وهو جالس بباب الاتابكى تمراز وتعصب لهم بعض مماليك السلطان فلم يطلع من يد الاتابكى تمراز فى حقهم شئ وراح القتل فى كيس محمد البارنبالى وفيها ابتدأ الملك الناصر فى الطيش ومخالطة الاوباش والاطراف وحملت اليه مركب صغيرة فجعلها فى البحرة ووضع بها حلاوة وفاكهة وجبنا مقليا وصار ينزل فى المركب بنفسه ويبيع كما يصنع البياعون فى المتفرجات وكان كل ذلك خذة له غرسنه ثم انه عرض المحابيس فاطلق منهم جماعة وأمر باتلاف سبعة أنفار من المفسدين كانوا معهم فى السجن ثم أدخلهم الى الحوش الذى قدام باب قاعة البحرة فوسطهم بيده وعلمه المشاعلى كيف يوسط ثم قطع أيديهم وآذانهم وألسنتهم بيده والمشاعلى يعلمه كيف يصنع وهذا كله من أقبح الفعال التى لا تليق بالملوك ولكن قصد أن يمشى على طريقة الملك الناصر فرج بن برقوق وهى أنحس طريقة وفى يوم الاحد رابع عشر رجب كان دخول اقبردى الدوادار الى القاهرة فزينت له ودخل فى موكب حافل وطلب طلباء عظيما وكان له يوم مشهود ودخل معه من الامراء اقباى نائب غزة واينال باى نائب طرابلس وشيخ العرب ابراهيم بن نبيعة وجماعة من الامراء والخاصكية ممن كان من عصبته وفر معه منهم بردبك المحمدى الخازندار الاينالى ودولات باى ومغلباى عسل نحل وجانم الاجرود فهؤلاء من الاينالية وأما من كان من القايتباهية فهم اسنباى الاصم وبرسباى السلحدار وجانى بك الصغير وآخرون وأحضر صحبته جماعة ممن كان فر مع قانصوه خمسمائة من الخاصكية والمماليك السلطانية ممن أسر منهم وهم فى جنازير حديد فقصد اقبردى أن يدخل بهم قدامه وهم فى جنازير وكانوا نحو مائتى انسان

فتعصب

فتعصب لهم خشداشينهم وقالوا متى فعل ذلك قتلناه فرجع عن ذلك وكان أحضر معه رأس قانصوه الالفى وكسباى الزينى و يشبك قر الذين قتلا فى الخطارة وقصد أن يشهرهم على الرماح قدامه لما يدخل الى القاهرة فلم يجسر يفعل ذلك ولكن عرضهم على السلطان فيما بعد فى الخفية ولم يشعر بهم أحد فلما شق القاهرة وطلع الى القلعة خلع السلطان عليه وعلى من جاء صحبته من الامراء وعلى شيخ العرب بن نبيعة ونزلوا الى دورهم ثم ان الملك الناصر قصد أن يفتك بالمماليك الذين حضروا صحبة اقبردى ممن أسر على خان يونس فما جسر على ذلك وخشى من وقوع فتنة فما وسعه الا أنه عفا عنهم وأنفق على كل واحد منهم عشرة دنانير وأطلقهم وخمدت فتنة قانصوه خمسمائة وفيه عمل السلطان الموكب وحضر الاتابكى تمراز وتانى بك قرا أمير مجلس وأقبردى الدوادار ثم أحضر المصحف العثمانى الى القلعة فحلف عليه الاتابكى تمراز وتانى بك قرا واقبردى الدوادار ولم يكن حلفهم قبل اليوم بانهم لا يخامروا ولا يعصوا ولا يركبوا على السلطان فحلفوا على ذلك ثم انه خلع على اقبردى الدوادار وقرره فى امرية سلاح عوضا عن تانى بك الجمالى بحكم أنه اختفى وقرره أيضا فى الدوادارية الكبرى عوضا عن جان بلاط بن يشبك بحكم اختفائه وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم اختفائه أيضا فصار كما كان يشبك بن مهدى وكان نهاية سعد اقبردى فأقام على ذلك مدة يسيرة نحوا من شهرين وكان من أمره ماسنذكره فى موضعه وفيه قرر كرتباى أمير اخور كبير عوضا عن قانصوه الالفى بحكم قتله وفيه خلع السلطان على اقباى نائب غزة وقرره فى رأس نوبة الكبرى عوضا عن قانصوه الشامى بحكم قتله بالاسكندرية وأنعم على جانم الاجرود كاشف منفلوط بتقدمة ألف وأنعم على برد بك المحمدى بتقدمة ألف وأنعم على كرتباى أخو اقبردى بتقدمة ألف وقرر اينال باى نائب طرابلس على حاله فأقام فى القاهرة أياما ورجع الى طرابلس على عادته وفيه رسم السلطان لكاتب السر وناظر الجيش أن لا يخرجوا مراسيم سلطانية ولا مربعات ولا مناشير الا بخيم من وراء العلامة السلطانية وأن يكتبوا أيضا وراء العلامة ما تضمنه ذلك المرسوم وفيه قويت الاشاعات بوقوع فتنة وأخذ السلطان فى تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من الدقيق والبقسماط والاحطاب والماء والعليق وغير ذلك وكانت الاحوال فى غاية الاضطراب وظهر غالب من كان اختفى من عصبة قانصوه خمسمائة وانتموا الى قانصوه خال السلطان والتفوا عليه بغضا فى اقبردى الدوادار وقد تلاشى أمره لما عاد فى هذه المرة وصار مهددا بالقتل فى كل ليلة ولم تنفذ له كلمة كما يقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فحيثما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

فكان زوال اقبردى عن قريب وفى شعبان أنعم السلطان بامرية عشرة على قرا كز البهلوان وهى امرية قايتباى الشرفى الذى قتل بغزة وفيه حضر الى الابواب الشريفة بردبك الطويل نائب صفد فلم يأذن له السلطان بالاجتماع به ومنع من الطلوع الى القلعة عند حضوره وقاسى من أقبردى الدوادار غاية البهدلة وفيه أمر السلطان بان تقطع الحيات التى تصنع فى البيمارستان بحضرته حتى يتفرج عليها فاحضروها بين يديه بقاعة البحرة فقطعت بحضرته وهو ينظر اليها وخلع على رئيس الطب شمس الدين القوصونى وولده والحاوى الذى أحضر الحيات وآخرين منهم وفيه أنعم السلطان على طومان باى الخاصكى بالخازندارية وامرية عشرة وكان قد قدم من البلاد الشامية وطومان باى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالملك العادل وكان بين امرية العشرة وسلطنته دون الاربع سنين وفيه هجم المنسر على سوق أمير الجيوش وأخذوا منه أشياء كثيرة من عدة دكاكين وقتلوا الغفير وراحت على أصحابها وفيه خلع السلطان على جانم المصبغة وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن اينال الحسيف وفيه رسم السلطان بشنق عبد القادر صبى القصديرى وفيه جاءت الاخبار من دمشق بقتل شمس الدين بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى مات مذبوحا بدمشق وهو فى داره وكان متولى قضاء الشافعية بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة رستم صاحب العراقين وديار بكر وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان على السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت له فأنفق عليهم بعدما كانت فتنة كبيرة بسبب ذلك فبلغت هذه النفقة نحوا من خمسمائة ألف دينار وصودر فيها جماعة كثيرة من المباشرين وغيرهم وفيه صار السلطان يخرج اقطاعات الناس والرزق بل والاملاك ويفرقها على مماليكه الجلبان وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه قرر السلطان تمراز جوشن أمير اخور ثانى وقرر قصروه فى نيابة القلعة وفيه قبض اقبردى الدوادار على داود بن عمر أمير هوارة وقد آل أمره فيما بعد الى أنه شنق على باب شونة منفلوط بالوجه القبلى لامور حقدها عليه وفيه جاءت الاخبار من نواحى هرمز بان خسف بها مدينة كاملة باهلها وفيه أكمل السلطان النفقة على الجند والامراء وفيه توفى شهاب الدين أحمد بن عامر المغربى المالكى شيخ تربة الاشرف قايتباى وكان عالما فاضلا صالحا متقشفا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزة وهو زاحف نحو البلاد المصرية وفيه خلع السلطان على وفاء الماوردى وقرره فى امرية دون أمير شكار وأمر له بان يتزيا بزى الاتراك ويلبس التخفيفة التى بالقرون والسلارى القصير الكم وكان عاميا يلبس لبس العوام فعد ذلك من نواقص الملك الناصر وفيه تزايد أذى الجلبان فى حق اقبردى وصار مهددا بالقتل فى كل يوم حتى سأل السلطان أن يوليه نيابة الشام ويخرج اليها

خوفا على نفسه من الجلبان فلم يسمع له السلطان بذلك وفى رمضان فى أول ليلة منه لم
يطلع أحد من الامراء ولا أفطر عند السلطان على جارى العادة وكثرت الاشاعات بوقوع
فتنة كبيرة بسبب اقبردى فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان ركب الامير اقبردى
ووافقه على ذلك تانى بك قرا أمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة
حاجب الحجاب وجانم الاجرود كاشف منفلوط أحد المقدمين وغير ذلك من الامراء
الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الجند ممن كان من عصبة اقبردى فوقع فى ذلك
اليوم واقعة مهولة فانكسر اقبردى بعد العصر واختفى فلما دخل الليل هرب اقبردى
هو ومماليكه وأخذ صحبته اقباى نائب غزة رأس نوبة كبير فلما هرب توجه نحو
الصعيد فاقام به حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى خالص الطواشى التكرورى
مقدم المماليك وكان عنده لين جانب وكان لا بأس به فلما مات قرر فى تقدمة المماليك
مثقال الحبشى البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس وأعيد الى القاهرة
وفيه اشتد الحر وعز وجود السقائين وتكالب الناس على الروايا والجمال حتى تخانقوا
بالعصى وبلغ سعر راوية الماء ثلاثة انصاف وفيه من الوقائع الغريبة انه فى اليوم التاسع
والعشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بان تدق الكؤسات بالقلعة وقال أنا أعمل
العيد فى الغد من هذا الشهر ان رأوا الهلال أو لم يروا فلما أشيع ذلك بين الناس ركب
قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا وطلع الى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه بأن
العيد لا يكون الا اذا رؤى الهلال فى تلك الليلة فشق ذلك على السلطان وهم بعزل القاضى
فى ذلك اليوم فلما دخل الليل لم ير الهلال فى تلك الليلة وجاء العيد بالجمعة وكأن الناصر تطير
من العيد أن يجئ يوم الجمعة فكان ذلك على رغم أنفه وفى شوال لم يخرج السلطان
الى صلاة العيد ولا طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ولا بقية الامراء المقدمين فبعث السلطان
الخلع اليهم فى بيوتهم وفى أواخر ذلك اليوم طلع الخليفة ليهنى السلطان بالعيد وكان
بقاعة البحرة مع الاوباش الذين يعاشرهم فلم يخرج اليه السلطان وأرسل يتشكر منه
وأمره بالانصراف فعد ذلك من نواقص الملك الناصر وكان الملك الناصر فى تلك الايام فى
غاية الطيشان وفيه أنعم السلطان على قصروه بتقدمة ألف بمصر وخلع على عمه قيت
وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن قصروه بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر ولده جانم فى
الزردكاشية عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان لشخص من الامراء يقال له قانصوه
الساقى بأن يكون أمينا على باب القلعة عند سلم المدرج يحيط علما بمن يطلع الى القلعة
أو ينزل منها فعد ذلك من النوادر وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام بوفاة الحافظ شمس الدين السخاوى وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن أبي بكر بن عثمان وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث وألف تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساوي في حق الناس وكان مولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من الصعيد بانه قد قامت هناك فتنة كبيرة بين حميد بن عمر أمير هوارة وهو أخو داود الماضي خبره فوقع بين حميد وبين قريبه ابراهيم فتنة مهولة يأتي الكلام عليها وفيه كانت الفتن قائمة بين طائفة بني حرام وبني وائل حتى أعيا جان بردى الكاشف أمرهم وخرجت اليهم تجريدة وبها عدة من الامراء ولم يفد ذلك شيأ وفيه عين السلطان أبايزيد الصغير بأن يتوجه الى أقبردى الدوادار للصعيد وصحبته خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش وعلى يده مراسيم شريفة لاقبردى الدوادار بأنه على عادته في وظائفه حتى يصير له حرمة على العربان ثم حضر الى القاهرة عن قريب وكان من أمره ما سنذكره في موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل مصرباى أحد المقدمين وبالركب الاول الناصري محمد بن العيني وكان الحاج في تلك السنة قليلا وفيه صعد سليمان ابن قرطام أحد مشايخ بني حرام الى القلعة وعلى رأسه منديل الامان من السلطان فلما مثل بين يديه لكمه قانصوه الفاجر والى الشرطة وأخذ منه منديل الامان والسلطان ساكت لم يتكلم وثارت عليه جماعة من المماليك السلطانية وقالوا هذا قتل خشداشينا الذين قتلوا بالخطارة فكيف تعطونه منديل الامان فشق ذلك على السلطان وقام من فوق الدكة وهو غضبان من المماليك وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة قانصوه اليحياوي نائب الشام وحضر سيفه وكان أصله من مماليك السيفي جقمق وكان لا بأس به تولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ونيابة صفد ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وجرى عليه شدائد ومحن وأسر عند يعقوب بك ابن حسن الطويل في كائنة يشبك الدوادار مع بايندر ونفي الى القدس ثم تولى بعد ذلك نيابة الشام ومات بها وهو على نيابته وكان من أجل الامراء وأعظمهم قدرا وفيه توفي الشيخ الصالح المسلك نور الدين الذاكر ابن عين الغزال وكان معروفا بالصلاح لا بأس به وفي ذي القعدة توفي قاضي القضاة الحنبلي بدر الدين السعدي وهو محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلف بن ابراهيم الحنبلي وكان عالما فاضلا عارفا بمذهبه تولى القضاء بمصر وهو في عنفوان شبوبيته وأقام به مدة طويلة حتى مات وهو في وظيفته وكان لا بأس به توفي وهو في عشر الستين فلما مات أرسل السلطان خلف شهاب الدين الشيشي وكان بمكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأقره في قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدي بحكم وفاته وهو باق على وظيفته الى أن مات بها لكن بعد عزل واعادة وفيه ظهر قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي أحد الامراء المقدمين وكان مختفيا من حين ركب قانصوه

خمسمائة وانكسر فلما ظهر أمنه السلطان على نفسه وأقام بداره وفيه من الحوادث
أن القاضي أبا البقاء بن الجيعان كان طالعا الى القلعة فصلى صلاة الفجر وخرج
من داره فلما وصل الى الحمام الذى هو خارج من زقاقهم خرج عليه بعض المماليك
بخنجر فضربه فى بطنه ضربة بالغة فات من وقته وما عرف قاتله واتهم به جماعة من المماليك
وكان رئيسا حشما فاضلا عالما عارفا باحوال المملكة وكان مقربا عند السلطان الاشرف
قايتباى ترقى فى أيامه وانتهت اليه الرياسة وفاق على من تقدم من أقاربه وكان أدوبا حلو
اللسان سيوساوله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ أولاد ابن الجيعان وهو أبو البقاء محمد بن
يحيى بن شاكر وله بر ومعروف وهو الذى أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة وحوضا
وسبيلا وأنشأ هنالك القصور والمناظر والغيط وصار ذلك المكان من جملة متفرجات القاهرة
تسعى اليه الناس فى زمن النيل بسبب الفرجة هنالك وصار عوضا عن التاج والسبعة
وجوه التى كانت من المتفرجات القديمة ومات أبو البقاء وقد قارب الستين سنة من العمر
فلما مات خلع السلطان على أخيه صلاح الدين وقرره فى استيفاء الجيش مضافا لما بيده
من نيابة كتابة السر وفيه ترايد شر المماليك الجلبان وضيقوا على السلطان وصار معهم
فى غاية الضنك فأرسل يستحث اقبردى الدوادار فى سرعة المجىء وفيه فى رابع عشرى
الشهر المذكور يوم الخميس وصل اقبردى الى بر الجيزة فلما تسامع به الامراء خرجوا اليه
قاطبة وكذلك العسكر ولم يخرج اليه قانصوه خال السلطان فتلطف به الاتابكى تمراز حتى
ركب معه وتوجها الى نحو السواقى التى عند الهد بالقرب من درب الخولى فقصد خال
السلطان أن يعدى من هنالك ويتوجه الى اقبردى ليسلم عليه فنعه المماليك من ذلك وقالوا له
متى عديت ورحت اليه يقبض عليك فتخيل من ذلك ورجع من حيث أتى فعند ذلك كثر
القال والقيل واضطربت الاحوال وصار العسكر على ثلاث فرق فرقة مع اقبردى الدوادار
وفرقة مع قانصوه خال السلطان وهى الفرقة التى كانت من عصبة قانصوه خمسمائة
فالتفوا على خال السلطان وفرقة وافرة من المماليك الجلبان مع السلطان ثم ان طائفة من
المماليك لبسوا آلة السلاح وتوجهوا الى بيت اقبردى الدوادار عند حدرة البقر فاحرقوا
مقعده ونهبوا رخامه وأخشابه وأبوابه وذلك قبل دخول اقبردى الى القاهرة فلما كان يوم
الجمعة خامس عشرى الشهر المذكور عدى اقبردى من الجيزة الى مصر فلما وصل مصلاة
خولان التى بالقرافة الكبرى لاقاه الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وقد ظهر وكان مختفيا من
حين كسرة اقبردى فى شهر رمضان كما تقدم وتوجه الى اقبردى الجم الغفير من العسكر وكان
اقبردى أرسل خلف جماعة من عربان عزالة وبنى وائل ثم ان العربان كانوا فى طلائع عسكر
اقبردى وأتوا معه ووصلوا الى باب الزغلة وقد كان توجه اليهم جماعة من المماليك الذين هم

من عرضى قانصوه خمسمائة فالتقى معهم خاير بك الكاشف وجماعة من المماليك الذين هم من عصبة اقبردى فكسروهم وطردوهم هم والعرب الى أن وصلوا الجراة التى عند باب الزغلة وصار العرب يشوشون على الناس الذين يتوجهون من هناك ويعرونهم ويأخذون عمائمهم وأثوابهم وقتل فى ذلك اليوم جماعة من الغلمان واثنان من المماليك السلطانية فلما كان يوم سادس عشرى الشهر المذكور دخل اقبردى الدوادار من مصلاة خولان ودخل المدينة على مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها ولم يشق من الصليبة بل توجه الى بيته من درب الخازن فلما استقر بداره أتى اليه الامراء والعسكر أفواجا أفواجا ولو حطم فى ذلك اليوم وطلع الى القلعة لملكها من غير مانع وكان ذلك من عين الصواب لكن أشار عليه الاتابكى تمراز بالمجىء الى داره والتثبت فى ذلك فكان كما يقال فى المعنى

وربما فات بعض الناس حاجته * مع التأنى وكان الرأى لو عجلا

فلما بلغ قانصوه خال السلطان أن اقبردى دخل الى القاهرة وأحضر صحبته عربان من بنى وائل وعزالة اضطربت أحواله ولم يكن عنده بالقلعة من العسكر الا القليل فعند ذلك طلع الى القلعة الامير كرتباى الاحمر وكان مختفيا من عهد واقعة خان يونس فلما بلغ جماعة قانصوه خمسمائة بأن كرتباى قد طلع الى القلعة بادروا اليه بالطلوع وكان قد حضر من الشام مماليك قانصوه اليحياوى وصعدوا الى القلعة لينزلهم السلطان فى الديوان فأقاموا بالجامع وصاروا من عصبة الفواقة وكان أكثرهم رماة بالمدافع والسبقيات والبندق الرصاص وهم الذين كانوا سببا فى كسرة اقبردى فقويت شوكة خال السلطان بهم وبالامير كرتباى الاحمر وصار جماعة المماليك طالعين الى القلعة أفواجا أفواجا وقويت الفواقة وأرسل خال السلطان خلف طائفة عربان من بنى حرام وأحضر قراجا نائب غزة كان عربان السوالمة فصارت العربان يقاتل بعضهم بعضا فلم يحصل بالطائفتين نفع بل حصل منهم غاية الضرر وصاروا يعرون الناس ويخطفون العمائم بالمطرية وبولاق ومصر العتيقة والقرافة وصاروا ينهبون الترب ومزارات الصالحين حتى مزار الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهم ورحمهم وأظن أن هذا هو الذى كان سببا فى كسرة اقبردى ثم ان اقبردى أحضر أشياء كثيرة من الاخشاب وشرع فى عمل طوارق وأحضر عدة قناطير نحاس وشرع فى سبك مكحلتين كبار وأحضر المعلم دميلكو السباك وشرع فى سبكها وأظهر اقبردى الدوادار فى هذه الحركة همة عالية وكان عنده من الامراء الاتابكى تمراز وتانى بك قرا الاينالى أمير مجلس وكرتباى ابن عمة السلطان أمير اخور كبير واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وتانى بك الشريفى نائب الاسكندرية أحد مقدمى الالوف وجانم الأجرود أحد المقدمين وبردبك المحمدى الاينالى أحد المقدمين

ومن

ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة على ثلاثين أميرا منهم مغلباى صصرق الاشرفى برسباى وغير ذلك من الامراء واجتمع عنده الجم الغفير من العسكر من سائر الطوائف فكان اقبردى فى كل يوم يمد للامراء والخاصكية أسمطة حافلة فى أول النهار وفى اخره ثم يحضر لهم السكر والحلواء والفاكهة والبطيخ الصيفى واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين وحاصر اقبردى من بالقلعة أشد المحاصرة ومنع الغلمان والعبيد أن يصعدوا الى القلعة بشىء من الاكل وقطع آذان جماعة من العبيد وأيديهم بسبب ذلك وفى ذى الحجة قوى عزم اقبردى على محاصرة القلعة وكان يركب كل يوم هو والاتابكى تمراز والامراء وعلى رأسه الصنجق السلطانى يخفق وقد أرسله اليه الملك الناصر فى الدس وكان له به عناية فى الباطن فصار اقبردى يظهر أنه لم يكن راكبا على السلطان وانما له غرماء من الامراء وقصده القبض عليهم هذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر فانه لم يكن عنده من الامراء سوى قانصوه خاله ثم صعد فى ذلك اليوم كرتباى الاحمر على الفور وكان مختفيا وجلس بالمقعد الذى برأس سلم المدرج وكان الامير سودون العجمى وجان بلاط الغورى وقانى باى الرماح وطومان باى الشريفى ودولات باى قرموط وغيرهم من الامراء قد ركبوا المكاحل حول القلعة والسبقيات وركبوا المكحلة المسماة بالمجنونة على باب السلسلة وكان غالب مماليك قانصوه اليحياوى نائب الشام الذى توفى وحضرت مماليكه فى تلك الايام كلها رماة بالسبقيات والبندقيات الرصاص فاخذ بخاطرهم كرتباى الاحمر وخال السلطان قانصوه وأنزلوهم فى الديوان السلطانى وصرفوا اليهم الجامكية حتى انهم صاروا معهم وكانوا زيادة عن مائتى انسان وصار الحرب ثائرا بين الفريقين فبقى مع الفرقة التى بالقلعة من باب المدرج الى رأس الصوة الى باب زويلة الى باب النصر الى المطرية وصار مع الفرقة التى مع اقبردى من باب القرافة الى الصليبة الى قناطر السباع الى مصر العتيقة وبولاق وصار يقتل فى كل يوم من طوائف العربان مقتلة كبيرة من بنى وائل وبنى حرام وكانوا يدخلون برؤس القتلى آخر النهار فى شباك التبن فقتل فى هذه المعركة من العربان نحو من ألف انسان وزيادة على ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت الاتراك تتقاتل مع بعضها والعربان تقاتل مع بعضها فلما قرب عيد الاضحية فرق اقبردى على الامراء والعسكر الذين ركبوا معه عدة أبقار وأغنام كثيرة ثم أنفق لهم جامكية ذلك الشهر والاضحية من ماله دون مال السلطان فصرف فى هذه الحركة فوق المائة ألف دينار وياليت هذا أفاده شيأ ثم ان اقبردى أحضر دميلكو السبالك واستحثه فى سرعة عمل سبك المكحلة فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان اقبردى وزع الامراء فى أماكن شتى بسبب حصار القلعة فكان كرتباى ابن عمة السلطان أمير اخوركبير وتانى بك قرا أمير مجلس

وجماعة من العسكر فى مدرسة السلطان حسن بسبب حصار القلعة فكانوا يرمون عليها
فلم يفد شيأ من ذلك ثم انهم رموا بالمكحلة المسماة بالمجنونة على من فى مدرسة السلطان
حسن فخرق المدفع شباك المدرسة ودخل فقتل ثلاثة أنفار من المماليك الذين هناك فحصل
للعسكر من ذلك زمقة وكان لهم يوم عيد النحر واقعة قوية تشيب منها النواصى وقتل فى
ذلك اليوم شخص من الامراء العشراوات يقال له جانم بن قايتباى وآخر من الامراء يقال
له طومان باى نائب البهسنا وشخص يسمى قصروه نائب سنجر وكان حضر صحبة الأمير
اقبردى الدوادار من البلاد الشامية وقتل ممن كان بالقلعة شخص من الامراء الطبلخانات
يقال له برسباى اليوسفى أبو ذقن وكان من مماليك الظاهر جقمق مات فجأة بالقلعة فى مدة
المحاصرة وكان لا بأس به فلما طال على العسكر الذين كانوا مع اقبردى أمر الحصار وأبطأ
عليهم دميلكو بفراغ المكحلة التى شرع فى سبكها وصار يقتل كل يوم من جماعة اقبردى
جماعة كثيرة فبقى ينسحب منهم جماعة ويطلعون الى القلعة شيأ فشيأ فبان على اقبردى
أمر التلاشى فلما حييت الطائفة الفوقانية ظهر جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا
كبيرا وظهر الامير قرقماس بن ولى الدين وقيت الرحبى وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى
وكان ظهر قبل هذا اليوم عند دخول اقبردى القاهرة كرتباى الاحمر ثم ظهر أزبك اليوسفى
الظاهرى وتانى بك الجمالى وغير ذلك من الامراء ممن كان مختفيا من حين ركب قانصوه
خمسمائة وانكسر فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة قويت شوكتهم وجدوا فى القتال ولو
حطم اقبردى أول يوم دخل فيه الى المدينة وطلع الى القلعة لكان ملك القلعة فى ذلك اليوم
من غير مانع ولم يكن بها أحد من العسكر وكانت قلوب العسكر معمرة منه بالكرب الشديد
واستخف اقبردى بمن فى القلعة وسمع رأى الاتابكى تمراز وتوجه الى بيته حتى كان ذلك
سببا لله نصرته ولم يعلم ماوراء ذلك فاشتد أمر القتال ممن كان بالقلعة واستطالوا على
التحتانيين الذين من حلف اقبردى بالنشاب والبندق الرصاص والمدافع حتى أهلكوا منهم
مالا يحصى وكان مع اقبردى مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنين وسويقة عبد المنعم
وصار اقبردى معه صنجق سلطانى ويقول الله ينصر السلطان الملك الناصر وكرتباى الاحمر
وبقية الامراء معهم صنجق سلطانى وهم يقولون الله ينصر السلطان فحار فكر الناس بين
الفريقين ولم يبق يعلم هذه الركبة على من هل هى على السلطان أو على الامراء فى بعضهم
واستمر الحال على ذلك حتى كان ماسنذكره فى موضعه وفيه توفى من الاعيان قاضى القضاة
ناصر الدين محمد بن الاخميمى الحنفى وهو محمد بن أحمد بن الانصارى القاهرى الحنفى وكان
عالما فاضلا يقرأ بالسبع روايات وكان ضنينا بنفسه وكان امام السلطان الملك الاشرف
قايتباى ثم قرر فى قضاء القضاة واستمر به الى أن مات وكان موته فجأة فأخرجت جنازته ولم

يشعر به أحد من الناس بسبب تلك الفتن القائمة وفيه توفى القاضى أبو الفتح المنوفى كاتب المماليك ونائب جدة وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة ما لا يوصف وفى آخر عمره قاسى شدائد ومحنا واعتراه جنون ومالبخوليا واستمر على ذلك حتى مات وفيه توفى سيدى ابراهيم بن أبى الفضل بن أبى الوفاء وكان شابا صالحا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة تغرى بغا الترجمان وكان لا بأس به وفيه توفى شمس الدين محمد بن الخادم الحنفى وكان من أهل العلم والفضل وكان لا بأس به وفيه توقف النيل عن الزيادة فى ليالى الوفاء وكان كل أحد مشغولا بنفسه عن ذلك والفتن قائمة وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشرى الشهر المذكور الموافق لسابع عشرى مسرى وفى النيل المبارك وكسر فى الثامن والعشرين من مسرى وقد أبطأ عن ميعاده فلما وفى شاوروا الامير اقبردى فى فتح السد فبعث اليه والى القاهرة ليفتحه فوجد الشيخ عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه قد فتح جانبا منه قبل مجىء الوالى ولم يتوجه أحد ليتفرج على فتح السد على جارى العادة لكون القاهرة كانت فى غاية الاضطراب من عدم الأمن وفساد الأحوال من هذه الشرور والفتن فكان كما قيل

أتطلب من زمانك ذا وفاء * وتنكر ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء به وانى * لأعجب من وفاء النيل فيه

فلم يقم النيل سوى أيام قلائل وهبط بسرعة وشرق غالب البلاد وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل ولما وقعت بمصر الفتن بين الاتراك وقعت الفتن أيضا بين العربان وأحرقوا القمح والشعير وهو فى الجرون ونهبوا اعدة بلاد فوقع الغلاء بالديار المصرية وانتهى سعر القمح الى ألف درهم كل اردب واستمر على ذلك مدة طويلة وكانت الاحوال فى تلك الايام فى غاية الفساد واستمر الحرب ثابتا على ما ذكرناه من القتل والنهب حاصل والحصار ليلا ونهارا حاصل فى القلعة وفيه فى يوم الجمعة سادس عشرى الشهر المذكور تسحب من كان عند اقبردى الدوادار من العسكر جملة ولم يبق معه سوى مماليكه وبعض مماليك السلطان والامراء المقدمين وكان الامير جانم الاينالى كاشف منفلوط وأحد المقدمين قد جرح واختفى ومات من ذلك ولم يشعر به أحد ثم ان الامير اقبردى اضطربت أحواله وتشتت عنه جماعته بعدما أكلوا عيشه وأخذوا أضحيته وجامكيته وصرف عليهم جامكية شهرين من ماله ولم يراعوا له حق ذلك ولا أثر فيهم ما فعله بهم فكان كما قيل فى المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالى أصدوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم ما أثم للمرء أو عار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

وكان أحسن لغالبهم وأنفق على بعضهم وأرضاهم بكل ما يمكن وبعد ذلك بعضهم رماه وطلع

الى القلعة فلما كان وقت المغرب من ليلة السبت نزل كرتباى الاحمر من القلعة وصحبته جميع من كان بالقلعة وكان خشكلدى البيسقى قد ظهر وطلع الى القلعة فنزل صحبة الامراء ممن كان بالقلعة والمماليك الكبار والصغار الذين كانوا بالطباق فزحفوا زحفة واحدة وهجموا على جماعة اقبردى فانكسروا وفروا فهجموا على من كان بمدرسة السلطان حسن واحرقوا بابها ودخلوا على من بالمدرسة من الامراء فأخرجوا كرتباى ابن عمة السلطان وهو مجروح جرحا بليغا فقتل منه وهو أمير اخور كبير وهرب تانى بك قرا فلم يظفروا به وهرب من كان بمدرسة السلطان حسن من الامراء والمماليك فنهب الجلبان جميع ما كان بالمدرسة من طشتخانات الامراء ونهبوا بسط المدرسة والقناديل وقلعوا شبابيك القبة التى بالمدرسة وأخذوا رخامها واحرقوا الربع الذى عند سوق الرميلة بجوار بيته وربع يشبك الدوادار وربع خشكلدى البيسقى وسبيل المؤمنين و بعض من بيوت الصوة وغير ذلك فلما دخل الليل ركب اقبردى فى نفر قليل من مماليكه وطلع الى الرميلة فلم يطب طبه واستمر على ذلك طول الليل فلما أصبح يوم السبت سابع عشرى الشهر المذكور وهو ذو الحجة انكسر اقبردى كسرة مهولة ورجع الى داره وأخذ بركه وزردخانته والطشتخاناه وخرج من داره وعلى رأسه صنجق وقدامه طبلان وزمران ومماليكه حوله وهم لابسون آلة السلاح وخرج صحبته من الامراء تانى بك قرا أمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة كبير وجانم مصبغة حاجب الحجاب وقانى بك نائب الاسكندرية أحد المقدمين وكرتباى أخو اقبردى الدوادار أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة نحو من عشرين أميرا فمن جملتهم اينال السلحدار المعروف بالصغير ومن المماليك السلطانية والسيفية نحو من ألف مملوك فلما خرج من داره دخل من الدرب الذى عند حمام الفارقانى وخرج من الدرب الذى تجاه المدرسة الصرغتمشية وتوجه من هناك الى بولاق وطلع على جزيرة الفيل ثم خرج الى الفضاء وقصد التوجه الى البلاد الشامية فدخل خانقاه سرياقوس فلم يقم بها واستمر بجد السير حتى وصل الى بلبيس فلم يتبعه أحد من الامراء ولا العسكر حتى خرج وتوجه الى البلاد الشامية وجرى منه أمور يطول شرحها يأتى الكلام على بعضها فى مواضعه والذى وقع لاقبردى الدوادار لم يقع لمنطاش الناصرى فى أيام الظاهر برقوق وكانت مدة محاصرته للقلعة احدا وثلاثين يوما ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم قال بعض المؤرخين لم يقع بمصر من يوم فتحها الى الآن مثل واقعة اقبردى الدوادار فكانت من غرائب الوقائع وفى مدة هذه المحاصرة كانت الاسواق معطلة والدكاكين مقفلة وامتنع البيع والشراء ولم تظهر فى تلك الايام امرأة بالاسواق ولا بالطرقات وكثر القتل والنهب وكان الناس فى أمر عظيم قيل لما طال أمر هذه الفتنة دخل على الامير اقبردى جماعة من الفقراء

الرفاعيـة والقادرية والاحمدية وجماعة من الصوفية سألوه أن يكف عن هذا القتال وان يقع الصلح بين الطائفتين فأبي اقبردي ذلك ثم نزل اليـه مثقال مقدم المماليك رسولا عن لسان السلطان بأن يكون الصلح بينـه وبين الامراء على يد السلطان فأبي اقبردي ذلك وكان دميلكو قد فرغ من المكحلة وركبها ورمي بها أول حجر فكسر باب السلسلة فاضطرب من كان بالقلعـة وهجموا على المكحلة ودقوا بها مسمارا وكانت معيبة فلما خرقوا مناقضها وشمت النار خرج الحجر منها على حين غفلة وانكسر اقبردي وكانت هـذه ثالث كسرة وقعت لاقبردي وكانت آخر العهد به فلم يدخل بعدها الى مصر وقاسي شدائد ومحنا يأتي الكلام عليها فهـذا ما كان من أمر اقبردي الدوادار وأما ما كان من أمر الاتابكي تمراز فانه كان مقيما بالبيت الذي بجوار بيت يشبك الدوادار الذي كان عند المدرسة البندقدارية وكان متوعكا في جسده فلم يشعر بكسرة اقبردي فلما أراد اقبردي أن يفر أرسل خلف الاتابكي تمراز وأعلمه بما جرى وأراد أن يأخذه معه فابطأ عليه وخشي من العسكر أن يهجموا عليه ويقتلوه فأسرع في الخروج من داره وترك الاتابكي تمراز في داره ومضى ثم ان الاتابكي لبس قماشه وركب وخرج من البيت الذي كان به فلما وصل الى بيت تاني بك قرا لاقاه جماعة من المماليك الفواقة وقبضوا عليه وقصدوا قتله وأدخلوه الى بيت تاني بك قرا ثم بدا لهـم أن يطلعوا به الى القلعة فلما خرجوا به من بيت تاني بك قرا ومشوا الى رأس الصليبة لقيه طائفـة من المماليك الفواقة غير هؤلاء فقنطروه عن فرسه فوقع الى الارض وطلعوا به الى دكان هناك ونزعوا ثيابه عنـه وحزوا رأسـه على الدكان بالسيف فلم تنقطع فكسروها حتى خلصت عن جثته وكان الذي قتله من أرذل المماليك السيفية يقال له برد بك الاشقر ثم أخذ رأسه وقبض عليها من ذقنه وطلع بها الى القلعة فلما عرضت على الملك الناصر شق عليـه ذلك لكونه كان من قرابة أبيـه الملك الاشرف قايتباي رحمه الله ثم أمر بلفها في فوطة وأرسل معها ثوبين بعلبكيين وثلاثين دينارا ثم ان بعض جماعة الاتابكي تمراز أحضروا له نعشا وأخذوا فيه جثته وتوجهوا بها الى مكان بالقرب من بيت تغري بردي الاستادار وخيطوا رأسه على جثته وغسلوه ثم أحضروا كرتباي ابن عمة السلطان الذي قتل في مدرسة السلطان حسن فغسلوه مع الاتابكي تمراز وأخرجوهما في يوم واحد وصلوا عليهما في مصلى باب الوزير ثم توجهوا بهما الى تربة الاشرف قايتباي فدفن الاتابكي تمراز داخل القبة ودفن كرتباي ابن عمـة السلطان على جانم قريب السلطان الذي كان ناظر الجوالي ومقدم ألف وكان الاتابكي تمراز أميرا جليـلا معظما دينا كثير البر والصدقة محسنا للناس جميل الهيئـة وله آثار ومعروف منها ما فعله في الجسور التي صنعها بالغربيـة وهو كاشف التراب بالغربية وكان أصـل الاتابكي تمراز من مماليك الاشرف برسباي فأعتقه وأخرج له خيلا

وقاشا وصار من الجمدارية ثم بقي خاصكيا ساقيا في دولة الاشرف اينال ثم أنعم عليه بامرية عشرة وصار عنده من المقربين ثم نفي الى دمياط في دولة الظاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة في دولة الظاهر تمربغا ثم ظهر انه ابن أخت السلطان الاشرف قايتباى فلما تسلطن جعله مقدم ألف ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير سلاح ثم بقي أتابك لعسكر عوضا عن أزبك بن ططخ لما نفي الى مكة المشرفة كما تقدم وكان تمراز أميرا كبيرا كان اذا جلس في أى مكان ودخل اليه الادنى أو الاعلى يقوم له القيام الكلى و يجلسه وكان لا يجلس بمقعده الا وهو من ررا الملوطة وهو بالخف والمهماز ولم تبن له رجل وهو جالس وهذا من النوادر في زمننا هذا فلما مات رثيته بهذه الابيات وهي قولي مع التضمين

أرغمت يادهر أنوف الورى * بقتل تمراز ويتم العباد
أتابك العسكر ذو رأفة * بالجود قد شاع لأقصى البلاد
أخطات ياقاتله كيف قد * قتلت من يقمع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها * قد أطلقت في كل قلب زناد
لكن له في قتله اسوة * الى الحسين بن على الجواد
من أودعوه الرمس ما أنصفوا * بل كان يخفى في صميم الفؤاد
فالله يأجره على ماجرى * من قتله بالعفو يوم المعاد

ومات الاتابكي تمراز وهو في عشر الثمانين وكان لين الجانب واسطة خير وكان يظن كل أحد انه يتسلطن وقد ترشح أمره اليها غير ما مرة وكان اذا سأله أحد في حاجة يقول له اصبر علينا حتى يجيء وقتها وكان طامعا في السلطنة فخابت فيه الظنون وجاء الامر بخلاف ما أمله أن يكون فكان كما يقال

وقائل لى لما أن رأى قلقي * من انتظارى لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وفيه جاءت الاخبار بأن أقبردى لما مر على الشرقية كادت طائفة عربان بني حرام أن تقتله فرجموه حتى جاءته رجمة في وجهه وسبوه سبا قبيحا وفعلوا به ذلك في عدة أماكن وما خلص منهم الا بعد جهد كبير وسبب ذلك أنه سلط عليهم بني وائل وقتل منهم في مدة المعركة مالا يحصى فلما انكسر ومر بهم انتقموا منه وجرى عليه منهم مالا خير فيه فلما هرب اقبردى وقتل تمراز اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال ونزل المماليك من القلعة وعطعطوا في المدينة وصاروا يدخلون الحارات وينهبون البيوت حتى نهبوا الربوع التي هي سكن العوام ثم توجهوا الى حارة زويلة ونهبوها بسبب انه كان لاقبردى حاصل هناك فيه مال فنهبوا ما كان فيه حتى قيل كان فيه ما يزيد على مائة ألف دينار غير الخيام والقماش الذي كان به ونهبوا

بيوت اليهود الذين حوله ودخل الزعر والعبيد فنهبوا القبة التى فى مدرسة السلطان حسن وأخذوا الرخام التى بها والشبابيك والنحاس الذى بها والابواب ومن يومئذ تلاشى حال المدرسة الى الآن واستمر النهب والقتل دائرا ثلاثة أيام متوالية ولم يجدوا من يردهم عن ذلك والمدينة مائجة وقد تعطلت الخطبة واقامة الصلاة من مدرسة السلطان حسن نحوا من ستة أشهر وكان كل من ظفروا به من جماعة اقبردى يقتلونه أشر قتلة ثم قبض على المعلم دميلكو وأحضروه عند الامير كرتباى الاحمر فقطع رأسه وعلقها على باب السلسلة كما قيل فى الامثال وربما عوقب من لا جنى وقد خرجت السنة المذكورة على ماشرح فيها من الفتن والانكاد والفساد وخراب البلاد ووقع فيها الغلاء وتشحطت الغلال وقتل فيها من الامراء نحو من خمسين أميرا ما بين مقدمى ألوف وطبلخانات وعشراوات وقد تقدم ذكر ذلك عند وقوع كل حادثة من أوائل السنة المذكورة الى آخرها حسبما أوردناه من الوقائع وقتل من الجند والعرب نحو من ألف انسان فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما حصل لعسكر مصر بعد وفاة الاشرف قايتباى خير وجاءت الامور بضد ما أملوه من بعده فكان كما يقال

يسعى ابن آدم فى قضا أوطاره * والموت يتبعه على آثاره
يلهو وكف الموت فى أطواقه * كالكبش يلعب فى يدى جزاره
يمسى وقد أمن الحوادث ليله * فلربما تطرقه فى أسحاره
من رام ينظر كيف تصبح داره * من بعده فليعتبر بجواره

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فيها كان مستهل المحرم يوم الثلاثاء ووافق ذلك اليوم يوم النوروز للقبط بموجب تحويل السنة القبطية الى السنة العربية فصعد القضاة الى التهنئة بالشهر والعام الجديد وبهذه النصرة التى وقعت للسلطان ولم يحضر الخليفة فى ذلك اليوم بسبب انه كان متوعكا فى جسده وهو مقيم بالقلعة فنزل الى داره فى محفة وكان ذلك ابتداء ضعف الموت وفى ذلك اليوم خلع السلطان على برهان الدين بن الكركى الامام وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن ناصر الدين بن الاخميمى بحكم وفاته وهذه أول ولاية ابن الكركى وخلع على الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن البرهان بن الكركى فلم يقم بها عبد البر غير ثلاثة أشهر وأعيد اليها ابن الكركى مضافا لما بيده من قضاء الحنفية وفيه تخوف السلطان على نفسه من الامراء فأحضر لهم المصحف العثمانى وحلف عليه الامراء الذين هم من حزب قانصوه خمسمائة بأنهم لا يخونونه قط ولا يغدرون به ولا يركبون عليه وهذا رابع يمين حلفه السلطان للامراء على المصحف العثمانى وكل أيمانهم كانت كاذبة فاجرة وفيه عمل

السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء منهم المقر السيفى قانصوه خال السلطان وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى بحكم هروبه وخلع على كرتباى الاحمر وقرره فى امرية سلاح وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره فى نيابة حلب وخرج اليها عن قريب وفيه دخل مبشر الحاج وهو شخص من العرب وقد تأخر عن عادته ستة أيام لفساد طريق الحجاج وفيه توفى الزينى قاسم بن قاسم المالكى أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا متقننا لا بأس به وفيه قرر كشبغا الشريفى فى نيابة الاسكندرية عوضا عن اسنباى وفيه عين السلطان خاير بك أخا قانصوه بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وفيه قرر عبد القادر بن النقيب فى مشيخة خانقاه سعيد السعداء وكانت عينت للسلمى ولم يتم له ذلك وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد الوفائى وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على طرباى الشريفى وقرره أمير اخور ثانى وهذه أول وظائفه وخلع على دولات باى الاجرود وقرره فى ولاية الشرطة وفيه وقع الاتفاق من الامراء على عود الاتابكى أزبك وحضوره من مكة المشرفة ليلى الاتابكية عوضا عن تمراز فكتبت له المراسيم بالحضور وتوجه بها طراباى الشريفى الذى قرر أمير اخور ثانى فخرج على الفور بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على قانى باى الرماح وقرره أمير اخور كبير عوضا عن كرتباى بحكم قتله بمدرسة السلطان حسن فى واقعة اقبردى وخلع على قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى وقرره فى امرية مجلس عوضا عن تانى بك قرا الاينالى بحكم هروبه مع اقبردى وخلع على قيت الرجبى وقرره حاجب الحجاب عوضا عن جانم مصبغة بحكم اختفائه وهروبه مع اقبردى وخلع على طومان باى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن سيباى نائب سيس وخلع على سيباى وقرره فى تقدمة ألف وهى تقدمة جانم الاجرود الاينالى كاشف منفلوط بحكم أنه خرج فى واقعة اقبردى ومات عقيب ذلك وخلع على تمراز الزرد كاش الكبير وقرره بها عوضا عن قيت الاحول أخى الاشرف قايتباى وقرر بيبرس فى نيابة القلعة عوضا عن قيت عم الملك الناصر فعزل عن الزردكاشية الكبرى ونيابة القلعة وقد نسب الى ميل مع عصبة اقبردى الدوادار وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وقرره مقدم ألف مشير المملكة وقرر قانصوه كرت فى الخازندارية الكبرى وفيه دخل الحاج الى القاهرة بعدما قبض على أمير الحاج مصرباى فى عجرود وتوجهوا به من هنالك الى السجن بثغر الاسكندرية فسجن بها وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى الدوادار لما خرج من مصر بعد فراره استولى على غزة وملكها فاتفق رأى الامراء على تجريدة اليه وفيه خلع السلطان على جان بلاط الغورى وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن اقباى نائب غزة بحكم فراره مع اقبردى وقرر أزبك قفص فى الرأس نوبة الثانية وفيه

أشيع بين الناس ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز قد اشتد به المرض وأشرف على الموت وقد عهد بالخلافة الى ولده الشرفى يعقوب وحكم بذلك قاضى القضاة المالكى عبد الغنى بن تقى ونفذه بقية القضاة وعهد أيضا لولده محمد من بعد أبيه يعقوب فلما بلغ ذلك ابن عمه خليل اضطربت أحواله وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وكان منتظرا للخلافة بعد عمه عبد العزيز فلم ينله من ذلك شئ وفاته المطلوب فقدح فى الشرفى يعقوب بكلمات قبيحة من نار قلبه فلم يفده من ذلك شئ ولم يلتفت اليه أحد من القضاة ولا السلطان وتولى الخلافة يعقوب على رغم أنف خليل كما سيأتى ذكر ذلك وقد قلت مع التضمين فى هذه الواقعة

قالت العليا لمن حاولها * سبق المولى وقد حل عراها
فدعوا الحاسد فيها انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

فلما كان يوم الخميس سلخ المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة كانت وفاة أمير المؤمنين أبى العز عبد العزيز وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولم يل والده يعقوب الخلافة بل جده محمد المتوكل على الله وكان الخليفة عبد العزيز رئيسا حشما ذا شهامة جميل الهيئة كفؤا للخلافة وافر العقل سديد الرأى وله اشتغال بالعلم وحفظ جيد مع حسن عبارة وكان عنده لين جانب واتضاع كثير العشرة للناس وتوفى وله من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ومولده بعد العام السابع عشر والثمانمائة وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وأياما وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن قايتباى الاشرف رحمهم الله تعالى ومبايعة قانصوه خمسمائة وكان من خيار بنى العباس وكان له مشهد عظيم ونزل الملك الناصر وصلى عليه بسبيل المؤمنين ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها ورحمهم داخل القبة التى بها مشاهد الخلفاء ثم بعد وفاته تولى بعده ولده يعقوب

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبى الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

وهو الرابع والخمسون من خلفاء بنى العباس فى العدد وهو الخامس عشر من خلفاء بنى العباس بمصر وهو من خلاصة بنى العباس لكونه هاشمى الابوين ولم يل الخلافة من هو هاشمى الابوين غير أربعة من بنى هاشم وهم الامام على كرم الله وجهه وكانت أمه هاشمية وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم ابنه الحسن رضى الله عنه ورحمه وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم محمد الامين بن زبيدة وكانت أمه هاشمية

ثم يعقوب بن عبد العزيز وأمه هاشمية تسمى آمنة بنت أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان فهؤلاء الاربعة هاشميو الابوين وغيرهم من الخلفاء كانوا من سرارى مولدات وحبش وغير ذلك وكانت صفة ولاية الشرفي يعقوب أنه لما كان يوم السبت ثالث صفر بعث الملك الناصر خلف الشرفي يعقوب فحضر وحضر ابن عمه خليل فعرض العهد المقدم ذكره على السلطان فشرع خليل يتكلم في حق الشرفي يعقوب بكلمات فاحشة منها أنه قال انه قليل النظر ولا تصح ولايته فلم يلتفت السلطان الى كلام خليل وقال أهذا أبوه كان خليفة فقيل له لا فقال ما يلي الخلافة الا من كان أبوه خليفة وشرع كرتباى الاحمر وأزبك اليوسفي مشير المملكة وتغرى بردى الاستادار يساعدون الشرفي يعقوب فترشح أمره لأن يلي الخلافة وفي الحقيقة لم يكن يومئذ من بني العباس من يصلح للخلافة غير الشرفي يعقوب في الدين والخير والصلاح فاتفق رأي الامراء على ولايته ونزل خليل من القلعة بخفي حنين فلما حضر القضاة وتكامل المجلس لم يحتج الى مبايعة ثانية لانه استقر في الخلافة بعهد من أبيه له عند موته فاستكفى القاضي الشافعي بذلك ثم أحضر اليه شعار الخلافة فأفيض عليه وتلقب بالمستمسك بالله أبي الصبر وعدّ لقبه هذا من النوادر وقيل ان الشيخ جلال الدين الاسيوطي هو الذي كناه ولقبه بهذا اللقب ومن الغرائب أنه لم يل الخلافة من بني العباس ولا من بني أمية من اسمه يعقوب سواه فلما تمت بيعته أحضر اليه التشريف وأفيض عليه فصار في غاية الابهة والوقار وفي الحقيقة انه من عباد الله الصالحين لم يعهد له صبوة من منذ نشأ الى الآن رضي الله عنه وفيه أقول مضمنا

يا أمير المؤمنين اقبل ولا * ترتجي غير الذي قد شرفك
لو أتى العباس أضحى قائلا * يرحم الله الذي قد خلفك

وكان له من العمر لما ولي الخلافة نحوا من خمسين سنة وقد وخطه الشيب فنزل من القلعة في موكب حافل حتى وصل الى داره واستمر في هذه الولاية مدة طويلة حتى كان من أمره ما سنذكره في موضعه وفي ربيع الاول خلع السلطان على قانصوه خاله وقرره في الاستادارية والوزارة عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم استعفائه من ذلك وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة السيد الشريف الحسيب النسيب محمد بن بركات أمير مكة المشرفة وكان رئيسا حشما في سعة من المال كفؤا للامرية بمكة المشرفة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة اينال باى الابراهيمي نائب طرابلس وكان من حلف اقبردى الدوادار وفيه جاءت الاخبار أيضا بوفاة اينال باى وبوفاة كرتباى أخي اقبردى الذي كان نائب صفد ثم بقي مقدم ألف بمصر وفر مع أخيه اقبردى فمات في أثناء الطريق ودفن هناك وفيه خلع السلطان على تغرى بردى القادرى وقرره في الاستادارية نائبا عن قانصوه خال السلطان

وفيه فى أوائل بابه أمطرت السماء مطرا مهولا حتى وقعت منه عدة أماكن وخسف غالب القبور التى بالقرافة والصحراء وكان من نوادر الوقائع وفيه خلع السلطان على كرتباى الاحمر وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم وفاته وكان كرتباى الاحمر هو الساعى فى ذلك خوفا على نفسه من الملك الناصر أن يسلط عليه المماليك الجلبان يقتلونه وقد هم بذلك غير ما مرة لاجل أن كرتباى الاحمر كان يحجر على الملك الناصر ويمنعه عن الافعال الفاحشة الشنيعة فكرهه بسبب ذلك وقصد قتله حتى قيل انه ذبح يوما كبشا بيده وقال هكذا أفعل بكرتباى الاحمر عن قريب فلما خرج كرتباى الاحمر من القاهرة كان له يوم مشهود وطلب طلبا حافلا وفيه عين السلطان تجريدة بسبب اقبردى الدوادار فانه لما انكسر وخرج من مصر هاربا حاصر الشام وقصد أن يملكها فما قدر فنهب الضياع التى حول دمشق وخرب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب فوقع الاتفاق من الامراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وأنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة وبعث نفقة الامراء الذين عينوا للخروج الى التجريدة وهم قانصوه البرجى أمير مجلس وقيت الرحبى حاجب الحجاب وقانصوه الغورى أحد المقدمين وهو الذى تسلطن فيما بعد واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وقصروه أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى بعد أن حاصر الشام نحوا من شهرين لم يقدر عليها وحاربه الامراء الذين بالشام ورموا عليه بالمدافع وفر الى حلب فلما توجه الى حماه حاصرها وأخذ منهم أموالا لها صورة فلما وصل الى حلب حاصرها نحوا من شهرين وكان اينال السلحدار يومئذ نائب حلب وكان من عصبة اقبردى فقصد أن يسلمه مدينة حلب فرجمه أهل المدينة وطردوه منها وحصنوا المدينة بالمدافع على الاسوار فعند ذلك فر اقبردى ومن كان معه من الامراء والعسكر وكذلك اينال نائب حلب صحبتهم وفروا أجمعون وتوجهوا الى على دولات والتجؤا اليه فلما بلغ الامراء ذلك اضطربت أحوالهم فوقع الاتفاق على أن يولوا جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا كبيرا نيابة حلب عوضا عن اينال الذى كان بها بحكم فراره مع اقبردى وفيه خلع السلطان بعد خروج كرتباى الاحمر الى محل نيابة الشام على محمد بن العظمة وأعاده فى نظارة الاوقاف وكان الساعى له فى ذلك عبد القادر بواب الدهيشة فكثر عليه الدعاء من الناس بسببه وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه فى يوم الخميس ثانى عشريه كان دخول الاتابكى أزبك الى القاهرة وقد حضر من مكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأعاده الى الاتابكية عوضا عن تمراز الشمسى بحكم وفاته فكانت مدة غيبته بمكة سنتين وثلاثة أشهر وفيه خلع السلطان على جان بلاط المؤتر أحد العشراوات وقرره فى الحسبة عوضا عن

تانى بك بن حديد بحكم وفاته وفى تلك الايام اشتد الغلاء وانتهى سعر القمح الى ثلاثة
أشرفية كل أردب وفيه هجم المنسر على سوق تحت الربع وسوق الحاجب وفتحوا عدة
دكاكين فلما بلغ الوالى ذلك ركب وتحارب مع المنسر وقتل جماعة من أعوانه ولم يبلغ
من المنسر أربا وراحت على التجار أموالها وفى ربيع الآخر يوم الثلاثاء رابعه كان
خروج الامراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة
وقد تقدمهم كرتباى الاحمر الذى تقرر فى نيابة الشام وجان بلاط بن يشبك الذى تقرر فى
نيابة حلب واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر والعسكر خارجون أفواجا
أفواجا وفيه ظهر تانى بك الجمالى وكان مختفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر
فلما ظهر خلع عليه السلطان وأعاده الى امرية سلاح عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم
انتقاله الى نيابة الشام وفيه أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية الى برهان الدين بن الكركى
وانفصل عنها عبد البر بن الشحنة وفيه نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية
وبات بها فلما أصبح شق من القاهرة فى موكب حافل وصحبته قانصوه خاله وبعض أمراء
وحمل قدامه طبلين وزمرين وعبيدا سودا ترمى بالنفوط قدامه على هيئة الكشاف وقد
تهتكت حرمة السلطان والمملكة ولم يقع من ابناء الملوك من السواقط ما وقع للناصر هذا
كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه وفيه حضر الشهابى الشيشينى من مكة المشرفة وقد
أرسل اليه السلطان مرسوما بالحضور الى قضاء الحنابلة فلما حضر خلع عليه السلطان
قرره فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدى وفيه نادى والى القاهرة على لسان
السلطان بان أهل الاسواق والحارات يعملون عليهم دروبا فامتثلوا ذلك وبنيت بالقاهرة عدة
دروب منها على سوق تحت الربع وسوق أحمد بن طولون وسوق أمير الجيوش وغير ذلك
من الاسواق والحارات وكانت المناسر قد كثرت فى تلك الايام جدا وصاروا يهجمون
على الاسواق والحارات ويعطعطون بها وفيه من الحوادث الشنيعة نادى السلطان فى
القاهرة بأن الامراء المختفين الذين هم من عصبة اقبردى يظهرون وعليهم أمان الله تعالى
وأشيع ان اقبردى قد ظهر وانه عند السلطان بالقلعة فعند ذلك ظهر بردبك المعروف
بنائب جدة الذى كان من جملة المقدمين وظهر بردبك المحمدى الاينالى وأبو يزيد الصغير
وبرسباى السلحدار وبرقوق المحتسب وشادبك ويبرس وقانصوه التاجر وكرتباى
الكاشف وخاير بك الكاشف وقانصوه الساقى ودولات باى بن عينى وآخرون من الخاصكية
وكان قبل ذلك رسم السلطان بالافراج عن مصرباى وكان فى السجن بثغر الاسكندرية
فحضر وحضر أيضا قنبك أبو شامة وتانى بك المحمدى الاينالى وجانى باى وكان هؤلاء فى
السجن من حين ركب اقبردى الدوادار وانكسر فلما ظهر هؤلاء كثر القال والقيل فى سبب

ظهورهم

ظهورهم ثم ان السلطان صرح فى قوله وقال أنا ما رسمت بالاخراج الا لاصلح بينهم وبين الطائفة التى من عصبة قانصوه خمسمائة فلما ظهر واوطلعوا الى القلعة قرّى السلطان تلك الليلة خمسة ومداسمطة حافلة وباتوا عنده فلما صلوا العشاء أحضر عدة خلع فخلع على مصرباى وعينه أميراخوركبير وخلع على أبى يزيد الصغير وعينه دوادارا ثانيا وخلع على قنبك أبى شامة وعينه نائب القلعة وقرر آخرين منهم فى تقادم ألوف وآخرين فى امريات عشرة وكل هذا خفة وطيش وصبينة من الملك الناصر وقد طاش الى الغاية لما خرج كرتباى الاحمر الى الشام وكان يظن أنه مابقى على يده يد وكل هذا من عقل الصغار فكان كما قال المعمار

دى دولة خواطر * تسويقه معتر

خليلى وشاطى * والخيار مقصر

فلما جرى ذلك تحت الليل بلغ الامراء الذين من عصبة قانصوه ماوقع من السلطان تلك الليلة فلما طلع النهار لبسوا آلة الحرب وصعدوا الى القلعة وثبوا على بعضهم بها وكانت فتنة مهولة فقتلوا الامير أبايزيد الصغير والامير برسباى الاشقر وهرب الامير مصرباى وقتل قنبك أبوشامة واتسعت الفتنة وقتل فى هذه المعركة جماعة من الخاصكية وقدهم وابقتل السلطان لولا أنه اختفى ثم نزلوا بجثة أبى يزيد على حمار وتوجهوا بها الى داره ليغسلوه ويدفنوه ثم نزل جماعة من المماليك ونهبوا بعض أماكن الامراء الذين من حلف اقبردى ونهبوا بيت الناصرى محمد بن خاص بك لكونه كان صهر اقبردى الدوادار فلما بلغ الاتابكى أزبك ماجرى طلع الى القلعة واجتمع بالسلطان ولامه على هذه الافعال الشنيعة التى تصدر منه فلم يلتفت الى كلامه ثم نزل الاتابكى أزبك الى داره وقد خمدت هذه الفتنة قليلا وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر وفى جمادى الاولى وقع من الناصر غاية القبح فى حق الامراء المقدمين بأشياء ماسبقه اليها أحد وهو أنه أضاف لكل أمير مقدم ألف ثلاثين مملوكا من المماليك الجلبان يأخذون من اقطاعه فى كل سنة كل واحد منهم عشرة آلاف درهم وأضاف الى أمير كبير أربعين مملوكا لكل واحد كما تقدم وأضاف الى كل أمير طبلخانات عشرة من المماليك يأخذون من اقطاعه كما تقدم وأضاف الى كل أمير عشرة خمسة مماليك يأخذون منهم كما تقدم فحصل من المماليك فى حق الامراء مالاخير فيه وصاروا يدخلون بيوت الامراء وهم راكبون ويشوشون على مباشريهم بالضرب والسب حتى يأخذوا منهم ماقرر لهم فأضر ذلك بحال الامراء وما أطاقوا ذلك ولكن لم يطلع من أيديهم شئ بسبب اضطراب الاحوال فى تلك الايام فكان كما يقال

اخضع لقرد السوء فى زمانه * وداره مادام فى سلطانه

وفيه أمر السلطان بهدم كنيسة اليهود التى فى دموه فتوجه الى هناك بنفسه وهدمت

بحضرته ثم عاد الى القلعة وفيه تزوج الامير طومان باى الدوادار الثانى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق فكان لها مهم حافل وفيه كانت وفاة شيخنا علامة العصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن حسن بن عمران بن نجيب المعروف بالقادرى وكان شاعر العصر على الاطلاق بعد الشهاب المنصورى وكان مولده بعد الثلاثة والثلاثين والثمانمائة وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى ميقاتى وأجاد

فى صنعة الميقات بدر نجمه * بالسعد يخدمه مدى الساعات

حجت عيون الناس كعبة حسنه * وقضت مناسكها من الميقات

وقوله فى فرس محجل الثلاثة مطلوق اليمين

وطرف زانه التحجيل يحكى * لمن يحكيه بالسحر المبين

جواد رام أن يخفى نوالا * فأسبل كمه فوق اليمين

وفيه جاءت الاخبار من مكة بانه وقع بين السيد الشريف بركات وبين أخيه هزاع فتنة كبيرة وكادت أن تخرب فيها مكة المشرفة وفيه توفى امام الكاملية وابن امامها وكان من عباد الله الصالحين دينا خيرا لا بأس به وفى جمادى الآخرة وقعت الوحشة بين السلطان والامراء بل وبين خاله قانصوه بسبب ما تقدم من تلك الفتنة التى وقعت من حلف اقبردى وقد نسب فيها السلطان الى غرض وفيه قرر يحيى بن سبع فى امرية الينبع عوضا عن دراج بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار بقتل الطواشى لؤلؤ الرومى رأس نوبة السقاة والخازندار وكان قد خرج الى الوجه القبلى فى بعض أشغال ليتوجه الى مكة المشرفة وكان صحبته السحيمى المرافع فخرج عليهم جماعة من العربان فقتلوا لؤلؤا والسحيمى ومن معهم وفيه نزل السلطان وبات فى تربة أبيه وحصل منه تلك الليلة عدة مساوى لا ينبغى شرحها وفيه جاءت الاخبار بوصول الطاعون الى قطيا وقد فشا بها وهو زاحف نحو الديار المصرية وفيه نادى السلطان فى القاهرة ومصر بان تعلق على الحوانيت قناديل وكذلك البيوت المطلة على الشوارع وصار يركب هو بنفسه فى كل ليلة بعد العشاء وقدامه فانوسان أكره وأربعة مشاعل ومعه أولاد عمه قيت وهما جانم وأخوه جانى بك وقدامه عدة عبيد سود معهم بندقيات نفط وكان اذا طاف بالقاهرة بعد العشاء ورأى أحدا يمشى يقطع أذنه مع أنفه ومنهم من يضربه بالمقارع ومنهم من يوسطه فقتل من الناس جماعة فى مدة يسيرة وكان اذا مر بدكان ولم ير عليها قنديلا يأمر بتسميرها وهو واقف بنفسه عليها حتى يسمروها وكل هذا خفة وطيش وقد بهدل حرمة المملكة فى أيامه ولم يتبع طريقة الملوك السالفة فى اقامة حرمة السلطان وصار على طريقة والى الشرطة وفيه قبض بعض الخاصكية والمماليك على عبد من عبيد السلطان يقال له فرج الله وكان مقربا عنده الى

الغاية فضربوه وقتلوه بالرميلة فشق ذلك على السلطان وتأسف عليه ولم يقدر أن يحميه من المماليك فانهم كانوا ومتذطا لبين للشر مع السلطان بسبب هذه الافعال التى تصدر منه وفيه قرر شاهين الجمالى فى نظر الحرم الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على عادته فخرج الى السفر عن قريب وأمره السلطان بأن يتوجه الى يحيى بن سبع أمير الينبع ويصلح بينه وبين أمير مكة المشرفة وكان قد وقع بينهما فى تلك الايام وحشة وفى رجب ظهر الطاعون بالقاهرة ومات بها جماعة وفيه تخوفت خوند اصل باى أم الناصر على ولدها من خاله قانصوه وكانت المماليك قد التفت عليه فأحضرت المصحف العثمانى بين يديها فى قاعة العواميد وحلفت عليه أخاها قانصوه وابنها الملك الناصر محمد بوفاء كل منهم ما لصاحبه ولم تفد تلك الايمان شيأ وفيه خرج خاير بك بن قانصوه البرجى قاصدا الى ابن عثمان فخرج فى تجمل زائد وصرف فى هذه الحركة مالا له صورة وفيه توفى الشيخ داود المالكى وكان من أعيان علماء المالكية من أهل العلم والدين وكان لا بأس به وفى شعبان تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية ومات من المماليك والاطفال والعبيد والجوارى جانب فلما كثر الموت فى المماليك صنع السلطان ثلاثين نعشا برسم من يموت بالقلعة وحصل بذلك النفع وفيه توفى اينال الفقيه الحسنى الظاهرى جقمق أحد الامراء الطبلخانات حاجب ثانى وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا من المماليك السلطانية مات وغسل وكفن ووضع فى نعشه وحمل ليدفن فبينما هو فى أثناء الطريق اضطرب وتحرك فى أكفانه فوضع على الارض وحلوا أكفانه فاستوى قائما وعاش بعد ذلك مدة وفيه توفى العزى عبد العزيز بن البرهان وكان من مشاهير الناس لا بأس به ومات بالطعن وفيه من الحوادث ان الصوفية الذين بالخانقاه البيبرسية ثاروا على شيخهم الشيخ جلال الدين الاسيوطى وكادوا أن يقتلوه ثم حملوه بأثوابه ورموه فى الفسقية وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان طومان باى الدوادار محطا عليه فلما تسلطن فيما بعد اختفى الشيخ جلال الدين الاسيوطى فى مدة سلطنته حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه خلع السلطان على ماماى جوشن وقرره فى الجوبية الثانية وفيه صارت معاملة الفلوس الجدد بالعدد وبطل أمر وزنها بالميزان وفيه تزايد شر المماليك وجاروا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الاسواق وصاروا يستخفون بالسلطان والامراء قيل ان بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون فصادف جنازة فى وجهه فجفل منها فرس ذلك المملوك ووقع الى الارض فقام وهاش وضرب الحمالين الذين كانوا يحملون الميت فلما عاين ذلك الحمالون ألقوا الميت على الارض وهربوا فلما هربوا وقع المملوك فى الميت وضربه بالدبوس حتى اشتفى وصار الميت ملقى على الارض الى

آخر النهار وقد جرت هذه الواقعة فى سويقة صفية وصار الطعن عمالا والمماليك جائرة فى حق الناس بالأذى حتى قلت فى ذلك هذه المداعبة وهى قولى

قد قلت للطعن والمماليك * جاوزتما الحد فى النكايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

وكان الناس على ما ذكرناه من هذه الافعال الشنيعة والملك الناصر فى طيشانه ولعبه وفيه نزل الناصر الى بولاق فى ليلة سيدى اسماعيل الانبابى رحمه الله تعالى ورضى عنه وشق البحر فى مركب ومعه جماعة من العوام يغنون على النداء والاجهار وكان معه أولاد عمه وهما جانم وأخوه جانى بك وأحرق تلك الليلة ببولاق حراقة نفط عظيمة وبات فى المركب تلك الليلة وكانت من الليالى المشهورة وفعل مثل ذلك عدة مرار وفيه مات بالطاعون شاه بضاع بن دلغادر أمير التركمان وكان مقيما بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بأن العسكر الذين توجهوا الى مواجهة اقبردى قد تبعوه الى عين تاب وتقاتلوا معه هنالك ووقع بينهم واقعة عظيمة فانكسر اقبردى كسرة مهولة وقتل من عصبته جماعة كثيرة منهم اينال السلحدار نائب حلب الذى كان معه وقتل لعلى دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه جماعة كثيرة وقد حاربه كرتباى الاحمر نائب الشام أشد المحاربة وكان قد توجه اليه صحبة العسكر الى عين تاب حتى تحارب معه وانكسر وهرب وطلع على جبل الصوف وقيل انه لما انكسر وصعد على جبل الصوف توجه الى نحو الفرات بمن معه من الامراء والمماليك وفى رمضان تزايد أمر الطاعون وفتك فى المماليك والاطفال والغرباء والعبيد والجوارى فتكا ذريعا حتى قيل انه انتهى الى ثمانية آلاف من الاموات فكان كما قيل

ألا ان بحر الوبا قد طغى * وقد أرسل الطعن طوفانه
ولا عاصم اليوم من أمره * سوى رحمة الله سبحانه

ومات من الاعيان جماعة كثيرة منهم الناصرى محمد ابن الشهابى أحمد بن العينى وكان شابا رئيسا حشما أديبا عاقلا تولى من الوظائف حسبة القاهرة ونظر الجوالى ووكالة بيت المال وتوجه الى الحجاز أميرا أول فى دولة الملك الناصر وكان عنده من أخصائه ومات بيبرس ابن حيدر الاشرفى قايتباى نائب القلعة ومات الامير جان بلاط الغورى رأس نوبة النوب وكان قليل الاذى لا بأس به وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى ومات صنطباى المبشر الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطبلخانات وماتت شاشة أم اقبردى الدوادار الجركسية فنزل السلطان وصلى عليها وحمل نعشها قانصوه خال السلطان ومشى به خطوات وماتت أم الجمجمة بن عثمان سرية أبيه محمد بن عثمان ملك الروم وكان اسمها چچك وكانت لا بأس بها وماتت قيت الاشرفى أحد العشراوات وشاد الطرانة ومات عبد القادر الالواحى بواب

الدهيشة

الدهشة وكان عند الملك الناصر من جملة المقربين وكانت الناس تسعى فى الوظائف على يديه وفيه من الوقائع أن شخصا من المماليك الجلبان طعن فلما أشرف على الموت أحضر شهودا وأخرج بين أيديهم جملة قماش مابين بشاخين ومقاعد ومخدات وبسط وغير ذلك ومبلغه وامن ثلاثة آلاف دينار وأخبر أنه نهب ذلك من مكان سماه ثم قال لغلامه امض وأتنى بأصحاب ذلك القماش فمضى الغلام والشهود جالسون عنده فغاب ساعة ثم أحضر أصحاب القماش فعرفهم ذلك المملوك فسلمهم تلك الاموال والقماش بحضرة الشهود وسألهم المحاللة فلما حاللوه ومضوا مات من ليلته فعد ذلك من الوقائع ومات آخر من المماليك الجلبان فوجد عنده خمسة عشر ألف دينار فذكر غلامه أنه نهب ذلك من حاصل اقبردى الدوادار فى حارة زويلة فحمل ذلك المال الى خزائن السلطان ومات مصرباى بن على باى الذى كان نائب قلعة حلب وعزل عنها وفيه رسم السلطان لما كثر الموت بعمارة سبيل المؤمنين وهى المصلى التى بالرميلة وكان خرابا من حين حاصر اقبردى القلعة وفيه جدد الامير طومان باى الدوادار الثانى ما فسد من مدرسة السلطان حسن من حين كانت واقعة اقبردى الدوادار فجدد باب المدرسة الذى كان احترق وسد شبابيك القبة وأصلح ما فسد منها وأقيمت الخطبة بها وصلاة التراويح وكانت معطلة نحوا من عشرة أشهر بسبب ما تقدم وفيه قبض على انسان زعموا أنه ينبش القبور على الموتى ويسرق أكفانهم فأمر السلطان بسلخ وجهه وهو حى فسلخوه من رأسه الى رقبته وأرخوه على صدره وصار عظم رأسه ظاهرا وطافوا به فى القاهرة ثم علقوه على باب النصر واستمر معلقا الى أن مات ثم نودى للحفارين بحفظ أكفان الموتى وفى أواخره تناقص أمر الطاعون وكانت مدته ثلاثة أشهر ومات به زيادة على مائتى ألف انسان من كبير وصغير ومن المماليك السلطانية نحو من ألف ومائتى انسان وفى شوال خلع السلطان على قرقماس بن ولى الدين وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن جان بلاط الغورى بحكم وفاته وفيه قرر بلباى المؤيدى من جملة المقدمى الالوف بمصر وفيه فى رابع عشره وصل سودون الدوادارى أحد الامراء العشراوات وصحبته عدة رؤس ممن قتل فى المعركة التى وقعت بين اقبردى والعسكر الذين خرجوا من مصر كما تقدم فكان عدة تلك الرؤس احدى وثلاثين رأسا وكان فيها رأس اينال السلحدار نائب حلب الذى فر مع اقبردى وفيها رأس ابن على دولات الذى قتل فى المعركة وقيل ان الذين قتلوا اثنان وثلاثون فكان لدخولهم فى القاهرة يوم مشهود دخلت الرؤس وهى مشهورة على رماح وشقوا بها من القاهرة والمشاعلى ينادى عليها فلما عرضوا على السلطان رسم بان يعلقوا على أبواب المدينة فعلقت رأس اينال ورأس ابن على دولات على باب زويلة والباقى على باب النصر وغيره وكل هذا يشق على الملك الناصر فى الباطن وكانت له عناية بأقبردى وتعصب وأخبر سودون الدوادارى ان كرتباى الاحمر نائب الشام رجع الى الشام وان

جان بلاط نائب حلب رجع الى حلب وان العسكر واصل عن قريب وفيه جاءت الاخبار أن كرتباى الاحمر لما استقر فى نيابة الشام استولى على نيابة قلعة الشام أيضا مضافا لما بيده من نيابة الشام وهذا الامر عزيز الوقوع جدا وفيه أمر السلطان ببناء جامع الفيوم وكان القائم فى ذلك الشيخ عبد القادر الدشطوطى وأرسل السلطان صحبته جماعة من البنائين والمهندسين وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان كاتب السر بدر الدين ابن مزهر لما توجه الى مكة أصلح بين أمير مكة المشرفة وأخيه بمرسوم السلطان وجاءت الاخبار من مكة المشرفة أيضا بوفاة بردبك نائب جدة وكان أحد المقدمين بمصر وخرج منفيا الى مكة المشرفة بعد كسرة اقبردى فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان لابأس به وفيه كان ابتداء الوحشة بين السلطان وخاله وصار بعض الامراء يرمى بينهما الفتن حتى بلغ بذلك مقاصده وخيلوا الملك الناصر من خاله وخيلوا خاله منه باشياء من أنواع الحيل والخداع وأخذوا فى أسباب ماتم به الحيلة على قتل الملك الناصر وقد سعوا فى ذلك سعى الشطار حتى كان من أمره ماسنذكره فى موضعه وقد قيل فى معنى ذلك

صف بالدهاء الذى يخشى الدهاء فما * ينام خيفة ان تبدو له الحيل

فقد يبيت بقلب ضمه أسد * ولا يبيت بقلب ضمه رجل

وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى وأمير ركب الاول جان بلاط المؤتر المحتسب وفيه جدد الامير قانصوه خال السلطان خطبة فى المدرسة البشيرية التى بدرب الخازن ولم يكن بها قبل ذلك خطبة فجدد الخطبة بسبب مماليكه وكان ساكنا بالقرب منها وفيه قبض الوالى على شخص من السراق فلما عرضه على السلطان أمر بقطع يده ورجله وألزم ذلك السارق أن يقطعهما بيده ففعل ذلك بحضرة السلطان. وفيه دخلت التجريدة التى توجهت الى اقبردى الدوادار وقد حضروا من غير اذن السلطان فشق عليه ذلك وأخذ حذره من الامراء لكونهم دخلوا من غير اذن منه وفى ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان اقبردى الدوادار لما بلغه أن التجريدة عادت الى مصر عاد الى عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار فلما بلغ الامراء ذلك أعياهم أمره وفيه تزايد أمر العربان بالشرقية حتى خرج اليهم قانصوه خال السلطان وقرقماس رأس نوبة كبير فلما خرج قانصوه خال السلطان سرح فى بلاد الشرقية والغربية سرحة عظيمة وغاب نحوا من شهر ودخل عليه جملة تقادم حافلة من الكشاف ومشايخ العربان وغيرهم وفيه قصد السلطان أن يخرج الى مولد سيدى أحمد البدوى رحمه الله ورضى عنه فلم يمكنه الامراء من ذلك وفيه توفى الخطيب الوزيرى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عثمان المالكى وكان من أهل العلم والفضل لابأس به وفى ذى الحجة عاد قانصوه خال السلطان من السرحة

فنادى له السلطان فى القاهرة بالزينة فزينت له ثم انه دخل فى موكب حافل وطلع الى القلعة فخلع عليه السلطان خلعة سنية فلما نزل من القلعة ووصل الى رأس الصوة لاقاه جماعة من المماليك السلطانية الجلبان وبأيديهم دبابيس مسحوبة فقالوا له قل للسلطان ينفق علينا بسبب نصرته على اقبردى واستمروا يحاصرونه من رأس الصوة الى أن دخل بيته الذى عند درب حمام الفارقانى فلما دخل الى بيته وقفوا له على الباب حتى قلع الخلعة وأكل المدة وأركبوه ثانيا وطلعوا به الى القلعة وهو مهددمعهم بالقتل فلما طلع الى السلطان لم يوافقه على ذلك فرد الجواب على المماليك بالمنع من السلطان فاستمروا صابرين حتى مضى عيد النحر وانقضى أمر تفرقة الاضحية فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة وحاصروا السلطان وهو بالقلعة وكان قانصوه خاله عنده فوق القلعة وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك فاركبوه غصبا وطلعوا به الى القلعة فتكلم مع السلطان فى ذلك فامتنع ساعة ثم انه وقع الاتفاق على أنه ينفق عليهم بعد مضى شهر لكل مملوك خمسون دينارا فلما نزل الاتابكى أزبك من القلعة رد عليهم الجواب بذلك فخمدت تلك الفتنة وقلعوا آلة السلاح وفيه أخذ السلطان فى أسباب جمع الاموال فوزع على المباشرين جانبا وعلى قضاة القضاة جانبا وعلى أعيان الناس من التجار وغير ذلك حتى على اليهود والنصارى قاطبة ومشاهير السوقة والمتسببين وكان القائم فى ذلك قانصوه خال السلطان وأعوانه وهم ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال وابراهيم المهاجرى امام الامير قانصوه خال السلطان وقانى بك الدوادار فجلس قانصوه خال السلطان فى داره الذى عند درب حمام الفارقانى وأحضر المعاصير والكسارات وأحمى خود حديد على النار وطلب الناس بالرسل الغلاظ الشداد فاما قاضى القضاة المالكى ابن تقى فانه اختفى فى بيته وكذلك قاضى القضاة الحنبلى الشهاب الششينى وطلب القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش فامتنع مما قرر عليه فطرح على الارض ليضرب وكذلك ناظر الخاص علاء الدين بن الصابونى وعلى هذا فقس بقية الناس من الاعيان والمشاهير فجمعت تلك الاموال من الناس بالضرب والحبس والتراسيم وحصل لهم غاية المشقة بسبب ذلك فكثر الدعاء على الناصر وخاله وقد تزايد الظلم والجور فى تلك الايام الى الغاية حتى فرج الله تعالى عن قريب وكان كما قيل

وماذا ينفع الترياق يوما * اذا وافى وقد مات اللديغ

فلما تكامل جمع الاموال ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة فأعطى لطائفة المماليك القايتباهية لكل واحد منهم خمسون دينارا وما عدا ذلك خمسة وعشرين دينارا وفيه كان من أخبار الملك الناصر التى هى فى غاية البشاعة انه دخل الى حارة الروم وهجم على دار ابراهيم مستوفى الخاص ليلا وقبض على ولده أبى البقا ورام توسيطه فالتى والده نفسه

عليه وافتداه بألف دينار قيل كان سبب ذلك أن الناصر بلغه أن زوجه أبي البقاء جميلة فهجم عليه بسببها فاخفوها منه فجرى بسبب ذلك ماجرى وهذا الكلام مستفاض بين الناس والله أعلم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان المسلمين أخذوا حصن جربة من أيدي الفرنج وكانوا قد استولوا عليه نحوا من سنة وأشهر فكانت النصرة للمغاربة على الفرنج وفيه كثرت الفلوس الجدد بأيدي الناس حتى صار النصف الفضة يصرف باربعة عشر من الفلوس الجدد وصار الدينار الذهب يصرف من الفلوس بثلاثين نصفا وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس الجدد وأضر ذلك بحال الناس وقد وقع فى دولة الاشرف قايتباى أن النصف الفضة وصل صرفه بالفلوس أربعة وعشرين وفيه تزوج قايتباى قرا أمير اخور كبير بنت يشبك الدوادار التى كانت زوجة كرتباى ابن عمة السلطان الاشرف قايتباى الذى قتل فى واقعة اقبردى بمدرسة السلطان حسن وفيه خرج نوروز الخوخ أحد الامراء العشراوات قاصدا الى كرتباى الاحمر نائب الشام وعلى يده مراسيم بالعتب عليه لكونه استولى على نيابة قلعة الشام من غير اذن السلطان فتوجه اليه وعاد بعد مدة بغير طائل وفيه توفى اقباى استادار الذخيرة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة اسنباى الذى كان نائب الاسكندرية واتهم بموته كاتب السر لما توجه الى هناك وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم فى أمر عظيم ووقع بها الغلاء والفناء والمصادرات وجور السلطان فى حق الناس كما تقدم وأذى المماليك فى حق الرعية وقد كان الناس فى غاية الاضطراب وما كفى هذا كله حتى فشا فى الناس داء يقال له الحب الفرنجى أعاذنا الله تعالى منه والمسلمين أجمعين بمنه وكرمه وقد أعيا الاطباء أمره ولم يظهر هذا بمصر قط الا فى أوائل هذا القرن ومات به من الناس مالا يحصى

❁ ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة فيها فى المحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز وسلطان العصر الملك الناصر أبا السعادات محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله وأما القضاة الاربعة فالقاضى زين الدين زكريا الشافعى والقاضى برهان الدين بن الكركى الامام الحنفى والقاضى عبد الغنى بن تقى المالكى والقاضى شهاب الدين احمد بن الشيشينى الحنبلى وأما الامراء المقدمون فقد تقلبت أحوالهم بموجب ماجرى من الفتن والقتل كما تقدم فى أخبار السنة الخالية فكان الاتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير يومئذ وتانى بك الجمالى الظاهرى جقمق أمير سلاح وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أمير مجلس وقانى باى الرماح أمير اخور كبير وقانصوه خال السلطان دوادار كبير واستادار كبير وكاشف الكشاف وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير وقيت الرحبى حاجب كبير وبقية الامراء على حكم ماتقدم من أخبارهم وأما

المباشرون

المباشرون فالقاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان والقاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش والقاضي علاء الدين بن الصابوني ناظر الخاص ووكيل بيت المال وبقية المباشرين على حكم ما تقدم وفيه من الوقائع أن النيل أوفى تاسع عشر مسرى الموافق لرابع المحرم وكان السلطان عوّل على أن ينزل ويفتح السد بنفسه وأخذ في أسباب ذلك فلم يمكنه الامراء من ذلك خوفا عليه من القتل فشق عليه ذلك فلما صلى العشاء نزل من القلعة على حين غفلة وقدامه عدة فوانيس ومشاعل ومعه أولاد عمه وبعض خاصكية نحو من مائة خاصكي فتوجه الى السد وفتحه تحت الليل ثم توجه الى سد قنطرة قديدار ففتحه أيضا ثم عاد الى القلعة وكل هذا تحت الليل فلما طلع النهار وجد الناس الماء في الخلجان والبرك قد غمرت بالمياه فتعجبوا من ذلك وما وقع قط في الجاهلية ولا في الاسلام أن السد فتح بالليل وقد قطع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء وما كان فيه من القصف والفرجة المعتادة وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

منذ السلطان قالوا * للورى بالكسر جبر

كسر السد بليل * فغدا للناس كسر

وفيه توجه السلطان الى قناطر أبي المنجا وفتح سدها أيضا فعد ذلك من النوادر وفيه ضرب السلطان الكرة بالحوش في غير موكب وكان معه بعض أمراء الطبلخانات والعشراوات منهم الامير طومان باي الدوادار الثاني فاقتحم على أخذ الكرة من السلطان فحنق منه السلطان وضربه على ظهره بالصولجان غير مامرة فكان ذلك من جملة ما حقده طومان باي حتى كان سببا لقتله عن قريب وفيه مر السلطان من بين القصرين بعد العشاء فرأى شخصا ماشيا في السوق وقد خرج من الحمام فقيل له هذا الرجل سكران فوسطه ولم يفحص عن أمره وراح ذلك الرجل ظلما وكان الناصر قد تزايد شره في تلك الايام الى الغاية وفيه نادى السلطان لسكان بركة الرطلي بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليال متوالية فامتثلوا ذلك وصار ينزل في المراكب ويطوف البركة هو وأولاد عمه وان رأى امرأة جميلة في بيتها هجم عليها وطلع لها من الطاق وأخذها غصبا وضرب زوجها بالمقارع في وسط بيته فارتاب الناس منه وبقي على رؤسهم طيرة وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس ان السلطان عمل له برقا حافلا بتربة أبيه وقد عول على أن يسافر في الدس الى نحو البلاد الشامية بسبب اقبردى الدوادار ليكون له عونا على نصرته ودخوله الى مصر وكان الناصر له عناية باقبردى ظاهرا وباطنا فلما بلغ الامراء ذلك توجهوا الى المكان الذي فيه السنيح ونهبوه الى آخره وضربوا الغلمان الذين تعينوا الى السفر مع السلطان وكادت أن تكون فتنة مهولة بسبب ذلك وقصدوا أن يلبسوا آلة السلاح ويشيروا فتنة عظيمة ثم سكن الامر قليلا وفيه وصل الحاج

ودخل الى القاهرة بعد أن قاسى مشقة زائدة وعطشا وقلة أمن من فساد العربان وأشيعت الاخبار بوفاة يوسف بن أبي الفتح كاتب المماليك مات بمكة المشرفة وكان مجاورا بها وكان لابأس به وفيه وقعت نادرة وهي أن المحمل لما دخل الى القاهرة صحبة الحاج شق المدينة فلما أن وصل الى جامع الماردانى بركوا جمل المحمل هنالك وأرادوا أن ينزعوا ما عليه من القماش واذا بقاصد من عند السلطان يطلب المحمل وكان بقبة يشبك التي بالمطرية فتوجهوا به اليه فشقوا به من القاهرة ثانيا حتى رآه السلطان وهو بالقبة ثم عادوا به فشق القاهرة ثالث مرة فعد ذلك من النوادر التي قط ما وقعت وفي صفر جاءت الاخبار من البحيرة بان الجويلي ومرعى أثاروا فتنة مهولة بالبحيرة ونهبوا البلاد وأسروا النساء وقتلوا الاطفال وأشيع ان الجويلي حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغربية والبحيرة في السنة المذكورة فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة الى البحيرة فلم يوافق أحد من الامراء ولا العسكر على ذلك وكان النيل في قوة زيادته ثم ان السلطان نادى للعسكر بالعرض في الميدان فلما حضر العسكر لم ينزل اليهم السلطان وقد تخوف على نفسه فانفض ذلك الجمع وكثر القال والقيل بين الناس وكانت أيام الناصر كلها فتنا وشرورا وفيه ظهر البدري بن مزهر كاتب السر وكان مختفيا فارسل له السلطان بالامن والامان وفيه قرر السلطان قانصوه جركس المعروف بابن اللوقاني بحجوبية الحجاب بدمشق وفيه قرر ابراهيم بن يحيى المهاجري في نظر الديوان المفرد بواسطة قانصوه خال السلطان فانه كان امامه وفيه نودي في القاهرة من قبل السلطان بان جميع الحوانيت التي بالاسواق والشوارع يبيضون وجوهها ويزخرفونها بالدهان فحصل للناس بسبب ذلك غاية المشقة ثم رسم بتبييض وجوه الربوع المطلة على الشوارع وكل هذا من وسائط السوء التي حوله وعقل الصغار وفيه تزوج السلطان بمصرباي الجركسية زوجة كرتباي أخو قايتباي الدوادار الذي كان نائب صفد ووقع بين السلطان وأمه بسبب زواج مصرباي ما لا خير فيه وكانت عليه كعب الشوم فاقام معها دون الشهر وقتل وفي ربيع الاول طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثماني بين يديه وحلف العسكر قاطبة عليه ثم حلف الامراء فلما حلفوا قالوا مثل ما حلفنا السلطان يحلف لنا هو أيضا أنه لا يمسك منا أحدا بغير سبب فتوقف السلطان في ذلك اليمين وكان المتكلم بين السلطان والامراء تاني بك الجمالي أمير سلاح فانفض المجلس على مانع ونزل الامراء من غير رضا فلما كان يوم الجمعة لم يطلع من الامراء أحد الى صلاة الجمعة مع السلطان واجتمعوا في بيت قانصوه خاله ولم يمكنوه من الطلوع الى القلعة واستمر الحال الى يوم الاثنين ثم ان السلطان أرسل نقيب الجيش الى طومان باي الدوادار الثاني وطراباي أمير اخور ثاني وازدمر شاد الشراب خاناه واسنباي فقال لهم نقيب الجيش عن لسان

السلطان رسم السلطان لكم بأن تكتبوا وصية وتخرجوا فى عقيب هذا اليوم وتتوجهوا الى مكة المشرفة من البحر فلم يلتفتوا الى كلام نقيب الجيش وقالوا والله ما نخرج من مصر لموضع ومهما يفعل بنا يفعل فعند ذلك أضمروا له السوء وتغيرت عليه خواطر الامراء قاطبة وهو فى غفلة عما يراد به وقد حقدوا عليه قبل ذلك مما يقع منه من هذه الافعال الشنيعة وصار كل أحد من الناس حاقدا عليه باطنا وظاهرا من سوء تدبيره كما قيل

ما تفعل الاعداء فى جاهل * ما يفعل الجاهل فى نفسه

وفيه ظهر مصرباى وآخرون من الامراء ممن كانوا مختفين من عصبة اقبردى الدوادار فلما ظهروا طلعوا الى القلعة وهم مصرباى وقانبك أبوشامة وقانصوه التاجر وتمراز جوشن وقانصوه الساقى وآخرون من الخاصكية وكان ظهورهم بأمر السلطان وجماعة من الاينالية منهم دولات باى بن عينى و برقوق الساقى فلما قابلوا السلطان خلع عليهم وعلى خاله وأشيع بان الصلح قد وقع بين حلف اقبردى الدوادار و بين حلف قانصوه خمسمائة وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حق الملك الناصر وأخذ عقيب ذلك بايام وفيه نزل السلطان بقبة يشبك الدوادار التى بالمطرية فأقام بها الى آخر النهار وعاد الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه الى جهة قبة يشبك وفيه عمل السلطان المولد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فلم يطلع الى القلعة من الامراء سوى أزبك أمير كبير وتانى بك الجمالى أمير سلاح و بعض أمراء عشراوات والقضاة الاربعة ولم يطلع خاله قانصوه ولا أحد من الامراء ولا حضروا المولد ووقع فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان فى حق الامراء والفقهاء ما لا خير فيه و رجموا الامراء من الاطباق وكبوا عليهم الماء المتنجس بالاوساخ وخطفوا عمائم الفقهاء وكان يوما مهولا فلما انقضى يوم المولد بعث السلطان يقول لطومان باى دوادار ثانى اخرج فى هذه الساعة على جرائد الخيل الى جهة البحيرة بسبب فساد جويلى ومرعى فخرج طومان باى من يومه وأتى الى بر الجيزة ونصب بها خيامه فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر المذكور نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القناطر العشرة وكان ذلك فى أواخر النيل فعدى الى بر الجيزة وسبقه الخيام والمطبخ وكان عنده جانب كبير من بقية احتياج المولد فلما وصل السلطان الى الوطاق نزل به ولم يكن معه سوى أولاد عمه قيت وهما جانم وجانى بك أخوه وجماعة من الخاصكية ولم يتوجه معه أحد من الامراء ولا خاله فارسل أحضر أبا الخير ومعه خيال الظل وجوق مغانى العرب و براوه رئيس المخبطين فأقام هناك ثلاثة أيام وهو فى أرغد عيش وقد خرج عن الحد فى اللهو والخلاعة والانشراح ومد هناك أسمطة حافلة وحلوى وفاكهة وغير ذلك وأنعم على جماعة من الخاصكية بخيول وقماش ومال وانشرح فى تلك الايام بخلاف العادة وتلاعبت به الدنيا

كما تلاعبت بامثاله من المقدمين فكان كما قيل

تزود من الدنيا فانك لا تدرى * اذا جن ليلك هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة * وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

فلما كان يوم الاربعاء خامس عشر الشهر المذكور أدركت السلطان تفرقة الجامكية فأذن للخاصكية الذين كانوا معه أن يتقدموا قبله كى لا يزاحمونه وقت التعدية فتقدم جماعة منهم وراحوا الى بيوتهم فصلى السلطان العصر وركب ولم يبق معه سوى ابنى عمه وبعض سلحداريته فلما ركب مر على الطالبية وكان الامير طومان باى هنالك بقصد التوجه الى البحيرة كما تقدم ذكره فلما مر عليه خرج له طومان باى مسرعا وعزم عليه فلم ينزل عنده فخرج اليه بجفنة فيها لبن فاخر فوقف السلطان وهو راكب على فرسه فقدموا له الجفنة اللبن ومعلقة فمد يده الى الجفنة وأكل من اللبن فبينما هو يأكل والامير طومان باى ماسك لجام فرسه فلم يشعر الا وقد خرج عليه كمين من الخيام التى هنالك نحو من خمسين مملوكا وهم لابسون آلة السلاح فاحتاطوا به وعاجلوه بالحسام قبل الكلام فقتلوه شر قتلة وحملوا عليه اى حملة فجاءته ضربة على عاتقه وكتفيه فهدلته وطعن فى جوفه فوقع عن فرسه الى الارض وقتلوا أولاد عمه الاثنين جانم وأخاه جانى بك وكانا شابين جميلين وقتل معهما شخص من السلحدارية يقال له أزبك الغرى الخاصكى المعروف بالبواب وكان من خواص السلطان وتقرب هذه الواقعة من واقعة الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاون وقد قتل مثل هذه القتلة بعينها فى تروجة بمكان يعرف بالحمامات وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة قتله مماليك أبيه أيضا وكانت قتلة الملك الناصر فى يوم الاربعاء بعد العصر خامس عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وقتل بارض الطالبية وقد نسب قتله الى طومان باى وأزبك وازدمر وبعض مماليك أبيه فكان كما قيل فى المعنى

كنت من كربتى أفر اليهم * فهمو كربتى فأين المفر

أو كما قيل

رعاة الشاة تحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هى الذئاب

فلما قتل الملك الناصر صارت جثته مرمية على الارض ومن قتل معه فلما دخل الليل حمله جماعة شيخ الطالبية وأدخلوه مسجدا هنالك وألقوه على حصير هو ومن معه وهو ملطخ فى دمه ورأسه مشتبكة فى جثته ببعض شئ فبات هنالك فى تلك الليلة فلما جاءت الاخبار الى القاهرة بما وقع للناصر من قتله اضطربت أحوال المدينة وماجت باهلها ولبس العسكر آلة الحرب وكانوا تلك الليلة فى اضطراب وكان جماعة من الامراء قرروا مع الامير قانصوه خال السلطان انه اذا قتل الناصر يكون هو السلطان بعده فتغافل عن هذه الواقعة حتى قتل الناصر ولولا انهم استمالوا خاله لما قدروا عليه ولا قتلوه فلما كان يوم الخميس صبيحة ذلك الامر

بعث خال السلطان ثلاثة نعوش الى الطالبية فأحضروا جثة السلطان وأولاد عمه جانم وأخاه جانى بك وازبك الخاصكى فلما عدوا بهم من الجيزة أتوا بهم الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه بقرب حمام الفارقانى فغسلوا السلطان وأولاد عمه والخاصكى وأخرجوا ولم يكن معهم غير الحمالين فقط فأتوا بهم الى باب الوزير فلم يجدوا من يصلى عليهم حتى أمسكوا بعض الفقهاء وصلى عليهم ثم توجهوا بهم الى تربة الاشرف قايتباى فدفنوا الملك الناصر على أبيه داخل القبة وأولاد عمه على جانم قريب السلطان وازبك الخاصكى وحده بعيدا عنهم فى التربة وقد رثيت الملك الناصر لما مات بهذين البيتين وهما قولى

يا قبر لا تظلم عليه فطالما * جلى بطلعته دجى الاظلام

طوبى لقبر قد حواه وكيف لا * يحكى السماء وفيه بدر تمام

وكان الملك الناصر حسن الشكل أبيض اللون عربى الوجه نحيف الجسد معتدل القامة وكان ضعيف الخط فى العلامة قتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة لكنه كان جاهلا عسوفا جرىء اليد سفاكا للدماء سيىء التدبير كثير العشرة للاوباش من أطراف الناس ووقعت منه أمور شنيعة فى مدة سلطنته لا ينبغى شرحها وليس له من المحاسن الا القليل وسار فى المملكة أقبح سير ولم يقع من أبناء الملوك من السوء قط ما وقع منه فى سائر أفعاله حتى جاوز الحد فى ذلك وفيه أقول

سلطاننا الناصر المفسدى * أخباره نقلها صحيح

بالجهل أضحى قبيح فعل * فلم يفد شكله المليح

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحوا من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما وكانت أيامه كلها فتنا وشرورا وحروبا قائمة كما تقدم ذكر ذلك من الوقائع وما كان قصد السلطان الاشرف قايتباى أن يتسلطن ولده خوفا عليه من ذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار ولما قتل الملك الناصر تولى بعده خاله المقر السيفى قانصوه الدوادار الكبير

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد قانصوه ابن قانصوه الاشرفى

وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وكان أصله جركسى الجنس اشتراه الامير قانصوه الالفى مع جملة مماليك وقدمهم للسلطان الاشرف قايتباى فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة

فأنزل بالطبقة مع جملة المماليك الكتابية فأقام بها مدة يسيرة ثم ظهر انه أخو سرية السلطان أصل باى الجركسية ام ولده محمد الذى تسلطن فأخرج له السلطان خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية فأقام على ذلك حتى توفى الاشرف قايتباى وتسلطن ولده الناصر محمد فجعله خازندار كبير وبقى يسمى خال السلطان فلما وثب قانصوه خمسمائة على الملك الناصر كما تقدم لم يكن عنده بالقلعة الا خاله قانصوه هذا وجماعة كثيرة من المماليك الجلبان فقام قانصوه بنصرته هو والمماليك الجلبان وقاتلوا قتال الموت بعد ما أرسل قانصوه خمسمائة بادخال الناصر الى قاعة البحرة وتقييده فلما انتصر الناصر على قانصوه خمسمائة خلع على خاله قانصوه وقرره أمير طبلخانات وشاد الشراب خاناه دفعة واحدة فعظم أمره وشاع بين الناس ذكره ولما ركب اقبردى الدوادار وانكسر وتوجه الى البلاد الشامية خلع السلطان على خاله وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى ثم قرره فى الوزارة والاستادارية فعظم أمره جدا فلما قتل الناصر وقع الاضطراب بين الامراء فيمن يتسلطن بعد الناصر فاجتمع الامراء بدار الطاهر تمربغا وحضر الاتابكى أزبك وبقية الامراء وأشيع فى ذلك اليوم أن قانصوه خمسمائة فى قيد الحياة فنودى له بالامان وأن يظهر فلم يكن لهذا الكلام تأثير وبطلت هذه الاشاعات ثم قالوا للاتابكى أزبك تتولى السلطنة أنت فحلف بالطلاق ثلاثا من بنت الملك الظاهر بانه ما يتسلطن وان يعود الى مكة المشرفة كما كان ثم صعدوا الى باب السلسلة وحضر قانصوه خال السلطان الناصر من بيته المشهور وصعد الى باب السلسلة ووقع الاتفاق على سلطنته وكان القائم فى ذلك طومان باى الدوادار الثانى فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين الدين زكريا الشافعى والبرهان بن الكركى الحنفى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب الششينى الحنبلى فبايعه الخليفة بالسلطنة وشهد عليه القضاة الاربعة بذلك وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد وذلك فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول من سنة أربع وتسعمائة وذلك فى أثناء الساعة الرابعة وهى لزحل فاحضر شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء والسيف البداوى فأفيض عليه شعار الملك وقدمت له فرس النوبة وركب من سلم المقعد الذى بباب السلسلة ومشت الامراء بين يديه وركب الخليفة معه وتقدم الاتابكى أزبك وحمل القبة والطير على رأسه وكان هو أولى بالسلطنة من كل أحد وقد فاتته عدة مرار كما قيل

اذا رفع الزمان محل شخص * وكان سواه أولى لو تصاعد

فكم فى العرس أبهى من عروس * ولكن للعروس الوقت ساعد

فلما طلع الظاهر الى القصر جلس على سرير الملك فأول من قبل له الارض الاتابكى أزبك

ثم بقية الامراء شيأ فشيأ وقيل ان الذى لقبه بالملك الظاهر هو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما جلس خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على الاتابكى أزبك بالاستمرار فى الاتابكية وخلع على طومان باى الدوادار الثانى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن نفسه ثم دقت البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وفرح كل أحد من الناس بسلطنته بغضا فى الملك الناصر مما كان يفعله من الافعال الشنيعة فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم خطب باسم الملك الظاهر على المنابر وجاء فى حال سلطنته باشياء على الوضع وانصلحت الاحوال فى أيامه على قدر ما كان جلبا فتولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان له عقل وافر وثبات جنان والذى وقع له لم يقع لاحد من مبتدا دولة الاتراك الى الآن فانه كان من دخوله الى مصر واقامته فى الطبقة وحضوره من بلاد جركس وامريته وسلطنته دون الست سنين وهذا لم يتفق لاحد من الاتراك قبله وكان من جملة الجدارية فى دولة الاشرف قايتباى ثم صار فى دولة الناصر كما تقدم وكان له سعد خارق من العناية الازلية فى القدم كما قيل

اذا خصص الرحمن عبدا بنعمة * فكل حسود بعد ذلك مقمع

فيا طالب العلياء مهلا ولا تطل * فليس بسعى المرء ما شاء يصنع

وفى حال سلطنته حضر سيف كرتباى الاحمر نائب الشام لموته وقد مات الناصر بحسرة أن يسمع بذكر موته ويقال ان الناصر رشا على قتل كرتباى الاحمر بألف دينار قيل ان بعض غلمانه سمه فى زيق الكوفية وقيل فى قبة العرقية فلما لبسها وعرق سرى السم فيه فورم وجهه ووصل الورم الى قلبه فمات وقد تمت حيلة الناصر عليه وكان كرتباى الاحمر أميرا جليلا رئيسا وكان يحجر على الناصر وينهاه عن هذه الافعال الشنيعة فكرهه بواسطة ذلك وكان الناصر يصور أوراقا بقاعة البحرة بهيئة كرتباى الاحمر وهو مسمر على جمل والناس تتشبه وكان كرتباى يصرخ فى وسط مجلسه فى الشام ويقول أنا من تحت حكم صبى أو امرأة يعنى الناصر وأمه ولما استقر كرتباى فى نيابة الشام ملك قلعتها وطرد نائبها ووقع منه أمور شتى فى حق السلطان الناصر يطول شرحها وفى ذلك اليوم ثار جماعة من المماليك الجلبان على ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال فضربوه ضربا مبرحا حتى كاد أن يموت وفيه عمل السلطان الموكب بالقصر وخلع على قصروه بن اينال وقرره فى نيابة حلب عوضا عن جان بلاط بن يشبك وأرسل الى جان بلاط خلعة ونقله من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته وفيه قرر الامير طومان باى فى الوزارة والاستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وفيه ثار جماعة من المماليك الناصرية على الامير طومان باى ورجموه من الطباق وقصدوا قتله غير ما مرة وقد أشيع عنه انه كان سببا

لقتل الناصر فلما بلغ السلطان ذلك رسم بسد جميع الطباق والشبابيك والمناور التى تطل على دهاليز القلعة من طباق المماليك وفيه خلع السلطان على طراباى الشريفى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن طومان باى المذكور وقرر تانى بك الجمالى أحد الامراء العشراوات فى الخازندارية وقرر اقباى الطويل فى نظر الجوالى وأنعم على بيبرس الاشقر بامرية عشرة وفيه قبض الامير طومان باى على على بن رحاب المغنى وضربه بالمقارع وشهره بالقاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار وكان على بن رحاب طالما أدخل نفسه فيما لا يعنيه وتعصب لاقبردى الدوادار وصار يسب الامراء سبا قبيحا فى المجالس جهارا ويهجوهم الهجو الفاحش ويصرح بذلك فى السماعات وهو على الدكة وكان كرتباى الاحمر قبض عليه قبل ذلك وأراد ضربه ثم وبخه بالكلام وعفا عنه فلما زاد فى هذا الامر ضربه طومان باى وشهره فى القاهرة والمشاعلى ينادى عليه هذا جزاء من يكثر كلامه ويدخل نفسه فيما لا يعنيه وفيه أخذ السلطان فى أسباب تحصيل الاموال لاجل النفقة على الجند فقرر على الشهابى أحمد ناظر الجيش مبلغا له صورة فاختفى فلما اختفى خلع السلطان على القاضى عبد القادر القصروى وقرره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى أحمد بحكم اختفائه وفيها اختفى الشهابى أحمد بن العينى بسبب مال فرض عليه واختفى جوهر المعينى الزمام بسبب مال فرض عليه وقبض على محسن الطواشى الخازندار وآخرين من الطواشية وقرر عليهم الاموال وتسلم طراباى محسن الخازندار والطواشية وعاقبهم واستخلص منهم الاموال حتى باعوا جميع ما يملكونه من بيوت وقماش ولم يبق مما قرر عليهم شئ وكان من جملة الطواشية مسك الساقى وغيره من الطواشية وفى ربيع الآخر خرج قصروه فى نيابة حلب وخرج صحبته اقباى الذى قرر فى نيابة قلعة الشام وفيه تعين قرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير فى امرية ركب المحمل وتعين أزبك المكحل أحد الامراء الطبلخانات فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار قد حاصر حلب أشد المحاصرة وأحرق ماحولها من الضياع وأشرف على أخذ المدينة وقد التم عليه الجم الغفير من الناس والتركمان وحصل منه غاية الضرر فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيلة الى اقبردى وكان باش العسكر تانى بك الجمالى أمير سلاح وبها من الامراء المقدمين قانى باى أمير اخور كبير وسودون العجمى وبلباى المؤيدى وجماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من العسكر فأنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة وفيه توجه جانم طاز الابراهيمى أحد العشراوات الى على دولات بن دلغادر وصحبته خلعة وتقليد الى على دولات باستمراره على امرية التركمان على عادته وفيه أمر السلطان بتوسيط شخص من المماليك يقال له

المباس

الناس وقد قتل قتيلا فوسطه السلطان بسبب ذلك وفى جمادى الاولى فى يوم الاثنين عاشره خرجت التجريدة المعينة الى اقبردى الدوادار وكان لخروجها يوم مشهود وفيه صنع السلطان مولدا فى غير وقته وحضر فيه القضاة الاربعة على العادة وكان يوما حافلا سلطانيا وفيه أنعم السلطان على جان بردى الاشقر الكاشف بامرية عشرة وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة هلال الطواشى الرومى وكان صار مقدم المماليك وكان لا بأس به وفيه كان ابتداء نفقة البيعة على الجند وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه الذى قرر نائب حلب لما دخل الى الشام وضع يده على مال كرتباى الاحمر جميعه وكان مبلغا ثقيلا نحوا من سبعة وستين ألف دينار وكان هذا أول عصيان قصروه واستخفافه بالسلطان فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه الى قصروه وان يأمره برد ما أخذه من مال كرتباى الأحمر فلما توجه الى قصروه لم يلتفت الى مراسيم السلطان ولا ردشيأ من المال الذى أخذه واعتذر باشياء لم تقبل وفيه قبض السلطان على شخص من الحرامية يقال له ابن الوارث فقطع لسانه وكحلت عينه بالنار ومع هذا لم يرتجع عن الحرام والسرقة وقد قبض عليه بعد ذلك وعلى رأسه عملة والطبع فى الانسان لا يتغير وفيه جاءت الاخبار بوفاة كسبغا الشريفى نائب الاسكندرية وكان لا بأس به وفيه أخرج السلطان تقدمة أزبك اليوسفى بحكم أنه كبر سنه وعجز عن الحركة فلما أخرجت عنه أنعم السلطان بها على ازدمر بن على باى الذى كان شاد الشراب خانه وفى جمادى الآخرة عاد الامير طومان باى الدوادار من السرحة التى سرحها نحو بلاد الصعيد وأحضر صحبته من الاغنام فوق الاربعة آلاف رأس زعموا أنها من أغنام عرب عزالة وجرى فيما بعد أمور غريبة بسبب ذلك يأتى الكلام عليها وفيه قرر السلطان أزبك المكحل فى نيابة الاسكندرية عوضا عن كسبغا الشريفى وفيه كثرت المصادرات للمباشرين وأعيان الناس بسبب النفقة وقد عجز السلطان عن سدها وفيه عين السلطان البدرى بن مزهر كاتب السر بان يخرج الى مكة المشرفة فى بعض المهمات الشريفة وفيه قبض السلطان على الناصرى بن خاص بك أخى خوند زوجة الاشرف قايتباى فأقام فى الترسيم مدة وطلب منه مال له صورة وعرض للضرب غير ما مرة وقد آل أمره الى أن يخرج أمير حاج بالركب الاول وأمره أن يقوم بما يحتاج اليه من ماله ولا يأخذ من السلطان شيأ ثم قبض على اخت خوند بنت خاص بك التى كانت زوجة أقبردى الدوادار ورسم عليها وطالبها بمال له صورة وزعم أن أقبردى أودع عندها مائة ألف دينار وأجرى عليها ما الاخير فيه من الانكاد والضرر وفيه غمز بعض التجار على قنبك أبى شامة أحد الامراء وكان مختفيا فى مكان فى رأس حارة زويلة فكبس عليه والى الشرطة ومعه جماعة من المماليك فلما دخلوا عليه هاش عليهم بالسيف فتكاثروا عليه

ومسكوه وقتلوه بالدار التى كان بها وكان قنبك أبوشامة من الامراء الطبلخانات وكان
من أكبر أصحاب أقبردى الدوادار وقد فاته القتل عدة مرار وكان غير مشكور السيرة فى
أفعاله وفى رجب أنعم السلطان على أنس باى وقرره فى شادية الشراب خانه عوضا عن ازدمر
ابن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه خلع السلطان على يخشباى وقرره فى نيابة
حماه وخرج اليها فيما بعد وفيه قرر شخص يقال له محمد الباسطى فى التكلم على جهات
الحسبة وجرى من الباسطى هذا أمور يطول شرحها وآل أمره الى ان ضرب بالمقارع وشهر
على جمل فى دولة العادل طومان باى وفى شعبان غرق محب الدين محمد ابن قاضى القضاة
الشافعى زين الدين زكريا قيل انه كان فى مركب فغرق قدام المقياس وكان غير مشكور
السيرة وفيه جاءت الاخبار بأن الامير طومان باى الدوادار لما توجه الى جهة الصعيد احتال
على حميد بن عمر أمير عربان هوارة فلما ظفر به قتله وحز رأسه وأرسلها الى مصر فعلقت بباب
زويلة ثلاثة أيام وفيه فى حادى عشره وصل خاير بك أخو قانصوه البرجى الذى توجه
قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر أرسله قاصدا عن لسانه الى ابن عثمان
فأكرمه وأظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر فلما بلغه قتلة الملك الناصر شق عليه ووبخ
خاير بك بالكلام وفيه تغير خاطر السلطان على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية
وأمر بتوسيطه حتى شفع فيه وفيه عاد الطاعون الذى كان فى العام الماضى ومات فيه
كثير من الناس من الغرباء ممن فرّ وعاد بعد رفع الطاعون وفى هذه السنة كان الطاعون
خفيفا جدا وفيه جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل
الامر الى أن ابن عثمان أرسل يقول لنائب حلب اعزل ابن طرغل فأجابه نائب حلب
الى ذلك وعزل ابن طرغل وفى رمضان خلع السلطان على بهاء الدين عبد الرحمن بن قدامة
الدمشقى وقرره فى قضاء الحنبلية وصرف عنها الشهاب أحمد بن الشيشينى فأقام ابن قدامة
فى منصب القضاء شهرا واحدا وأربعة أيام وعزل عنها وأعيد الشيشينى الى القضاء ثانيا
وفيه تغير خاطر السلطان على الشيخ سراج الدين عبد البر بن الشحنة ورسم بنفيه الى قوص
فشفع فيه بعض الامراء من النفى فرسم له بأن يلزم داره ولا يركب ولا يجتمع على أحد من
الناس وجرت عليه أمور مهولة فى تلك الايام وفيه اجتمع السلطان والامراء فى قاعة
البحرة وضربوا مشورة فى أمر اقبردى الدوادار فوقع الاتفاق فى ذلك اليوم على أن أقبردى
يستقر فى نيابة طرابلس وان اقباى الذى كان رأس نوبة كبير يستقر فى الاتابكية بدمشق
وان تانى بك قرا يتوجه الى القدس بطالا فانفصل المجلس على ذلك وفيه تغير خاطر السلطان
على جان بلاط الابح نائب القلعة وأمر بنفيه نحو البلاد الشامية حتى شفع فيه بعض
الامراء من النفى وفيه وقع للناصرى محمد ابن بنت جمال الدين الاستادار كائنة عظيمة

وهى أن شخصا تخاصم معه فشكاه من بيت طراباى وكان يومئذ دوادارا ثانيا فوقع من ابن بنت جمال الدين فى المجلس بعض كلام فى حق خصمه فبطحه طراباى بين يديه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك وفيه قرر ابن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق وتوجه اليها فيما بعد وفيه فى يوم الاربعاء عشرينه كانت وفاة الاتابكى أزبك بن ططخ وقد زعموا أن ولده يحيى قد سحره حتى مات وقبض على شخص يقال له القصديرى وصبيه اتهم انه الذى سحره حتى مات وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان أزبك من أجل الامراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان أميرا جليلا فى سعة من المال وافر الحرمة نافذ الكلمة وكان أصله من عتقاء الظاهر جقمق يقال ان أصله من كتابية الاشرف برسباى واشتراه الظاهر جقمق من بيت المال وأعتقه فصار من عتقائه وصاهره مرتين فى ابنتيه وولى عدة وظائف سنية بمصر منها الجوية الحجاب ورأس نوبة كبير ثم بقى نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى ثم عاد الى مصر وولى الاتابكية فى دولة الاشرف قايتباى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأقام بها نحو ثلاثين سنة وكان من مبدا أمره رئيسا حشما ترقى فى امرية العشرة فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ولا زال يترقى حتى كان من أمره ما ذكرناه وقاسى شدائد ومحنا ونفى نحوا من أربع مرات وسجن بالاسكندرية مرتين وكان كفؤا للمهمات السلطانية والتجاريد وقد سافر فى عدة تجاريد وبطلب الاطلاب الحافلة وصرف على التجاريد من ماله مالا يحصر وكان مسعود الحركات فى سائر أفعاله ذا شهامة وعلو همة وأظهر العزم الشديد فى قتال عسكر ابن عثمان ولم يجئ فى الاتابكية بعده مثله ومات وله من العمر نحو من خمس وثمانين سنة وخلف من الاولاد ولده الناصرى محمد الذى من بنت الظاهر جقمق وولده يحيى وصاهره قانصوه خمسمائة فى احدى بناته وماتت معه فلما مات ترافع محمد ويحيى بين يدى السلطان فوضع السلطان يده على تركته من صامت وناطق قيل وجد له من الذهب العين سبعمائة ألف دينار خارجا عن البرك والخيول والقماش والتحف وخارجا عن جهاز ابنته التى ماتت مع قانصوه خمسمائة وقد قوم ذلك بنحو من مائة ألف دينار فحمل ذلك جميعه الى الخزائن الشريفة وقد نال أزبك أمير كبير من الدنيا منا لا عظيما فكان كما قيل

أتلهو من نعيمك فى قصور * وأنت من الهلاك على شفير
فيامن غره أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك فى القبور
هى الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كلما جمعت منها * كعارية ترد على المعير

ولولا الذى صرفه أزبك أمير كبير على التجاريد وعمارة الازبكية ما كان ماله ينحصر وكانت

تركته تعادل موجود سلار نائب السلطنة وقد تقدم ذكر ذلك ومن أراد أن يعلم علو همة الاتابكى أزبك فلينظر ما صنعه من عمارة الازبكية وقد أنشأها فى سنة احدى وثمانين وثمانمائة وقد تقدم ذكر ذلك كما يقال

(١) ليس الفنا بفناء يستظل به * حتى يكون له فى الارض آثار

ومما عد من مساوى أزبك أمير كبير انه كان شديد الخلق صعب المراس اذا سجن أحدا لا يطلقه أبدا وكان عنده حدة زائدة وشح فى نفسه جرىء اللسان مع تكبر و بطش وقد فاتته السلطنة عدة مرار فكان كما يقال

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فلما علم السلطان بموته نزل وصلى عليه وكان له يوم مشهود ودفن بتربة أستاذه الملك الظاهر جقمق فلما نزل السلطان وصلى عليه قيل له ان الامير أزبك اليوسفى أمير مجلس فى النزع وسيموت فى هذه الساعة فجلس السلطان على مدورة فى سبيل المؤمنين ينتظر أزبك اليوسفى حتى يموت و يصلى عليه فلم يمت فى تلك الساعة فقام السلطان وطلع الى القلعة فلما كان وقت العصر من ذلك اليوم توفى فيه الامير أزبك اليوسفى فهيئ وصلى عليه السلطان وطلعت جنازته من الصليبة فلما رجعوا به توجهوا به الى مدرسته التى أنشأها ودفن بها وكان أميرا جليلا دينا خيرا لين الجانب وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بازبك الخازندار وناظر الخاص مات وهو طرخان وقد كبر سنه وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر وكان قليل الاذى كثير البر والصدقات وتولى عدة وظائف سنية منها الخازندارية الكبرى ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير مجلس ثم مشير المملكة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم أخرجت عنه التقدمة الى ازدمر بن على باى فأقام على ذلك مدة يسيرة ومات وفى شوال فى يوم عيد الفطر جاءت الاخبار بان عربان عزالة ثاروا على الكاشف بالبحيرة فحاربهم فقدروا منه وعدوا من الوراق وطلعوا بالقرب من شبرا وتوجهوا من خلف الجبل الاحمر وطلعوا من بحر بلامه قبالة طرا ثم نزلوا بالمعيصرة وهى ضيعة هنالك فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريدة تخرج اليهم فى الحال قانصوه البرجى أمير مجلس وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة النوب وقيت الرجبى حاجب الحجاب وسنباى نائب سيس أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات منهم طراباى الشريفى دوادار ثانى والجم الغفير من العسكر فلبسوا آلة السلاح وخرجوا يوم عيد الفطر فتوجهوا الى نحو المعيصرة فوجدوا هنالك عزالة نازلين فتقاتلوا معهم قتالا عظيما فانكسر الاتراك وتشتتوا وقتل من الاتراك من المماليك السلطانية نحو من خمسين مملوكا ومثل ذلك من الغلمان والعبيد وجرح الامير قرقماس رأس نوبة كبير فى وجهه وكذلك قيت الرجبى وأما

(١) ذكر هذا البيت فى صحيفة (١٨٩) من هذا الجزء مغايرا لما هنا

طرا باى فقيل انه جاءته حربة فى نحره فذبحته من وريده لكنه لم يمت من ذلك وجرح من العسكر مالا يحصى ثم ان العرب نهبوا بركهم عن آخره وتوجهوا الى نحو بلاد الصعيد فلما جاءت هذه الاخبار الى القاهرة اضطربت وماجت فنادى السلطان للعسكر قاطبة للخروج الى المعيصرة وهم لابسون آلة السلاح فلما وصلوا الى هناك وجدوا العرب قد رحلوا والذين قتلوا من العسكر مطروحين على الارض فارسلوا يطلبون من القاهرة عدة نعوش بسبب من قتل هناك فارسلوا لهم نعوشا فى مراكب من البحر الى طرا فأحضروا فيها من قتل وصار العيد مثل المأتم فى كل حارة نعى كايام الفصول بسبب من قتل وموجب ذلك ان الترك استخفوا بالعرب فاكمنوا لهم أكمنة فخرجت الترك وخرجت العرب من ورائهم فانكسروا وقتل منهم من قتل وكانت هذه الحادثة من الحوادث المهولة وقد قلت فى معنى ذلك

ألا قولوا الأعراب تجروا * على حرب فهل يخشوا عقيبه
سهام مليكنا أضحت نفوذا * ونرجو أن تكون لكم مصيبه

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن الامير دولات باى الفلاح أحد المقدمين خرج فى يوم الاربعاء يسير الى نحو الرصد فلعب هناك بالكرة وساق الفرس فى أرض محجرة فقنطرته فمات لوقته فحملوه على قفص حمال وأتوا به الى بيته حتى غسلوه وكفنوه وأخرجوه يوم الخميس ونزل السلطان وصلى عليه ثم ان السلطان بعد أن صلى عليه توجه الى بيت طرا باى الدوادار الثانى وسلم عليه بسبب ما وقع له من عرب عزالة وفيه تغير خاطر السلطان على قراجا نائب غزة فاحضره الى القاهرة وهو فى الحديد وجرى عليه ما لا خير فيه ثم آل أمره الى أن تولى نيابة طرسوس وقتل وفيه دخل الامير طومان باى الدوادار الكبير الى القاهرة وكان مسافرا فى جهة الصعيد فلما بلغه ما فعلت عرب عزالة كما تقدم ذكره كبس عليهم فى مكان بالوجه القبلى وقبض على جماعة منهم نحو من ثلثمائة انسان من رجال ونساء وصغار فوصلوا بهم الجيزة وعدوا بهم وطلعوا بهم من الصليبة قدام الامير طومان باى فكان يوما مشهودا فوضعوا الرجال فى زناجير والنساء والصغار فى حبال وعلقوا رؤس من قتل من الرجال فى رقاب النساء وكانت واقعة من الوقائع الغريبة ولم يتفق مثل ذلك الا فى أيام الظاهر برقوق بما وقع لبدر بن سلام كبير عربان البحيرة وقد تقدم ذكر ذلك فى أخبار الظاهر برقوق فلما طلع الامير طومان باى الى القلعة صادف ذلك اليوم خروج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل قرقماس رأس نوبة كبير وبالاول الناصرى بن خاص بك فلما عرضوا عرب عزالة على السلطان رسم بتسميرهم على جمال فسمروهم وشقوا بهم من القاهرة وكان يوما مشهودا وصارت الفرجة فرجتين على المحمل وعلى عربان عزالة ثم انهم

كلبوهم وعلقوهم على أبواب المدينة على كل باب نحو من عشرة أنفار حتى على باب القنطرة وباب الشعرية وغير ذلك من الابواب ثم ان السلطان رسم بان سائر الناس يرجمون العربان بالاحجار حتى يكون من أمرهم ما يكون وقد قام الامير طومان باى بنصرة الاتراك على العرب بعد كسرتهم التى تقدمت وفى هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتونى

نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب
والعرب أكثروا الفساد * من عزاله وعزلوا
جو وعدوا وشرقوا * وعلى الحرب عولوا
واهلكوا الحرث والنسل * فى الضواحى وجهلوا
من عزاله عرب طغوا * عمرهم فى الوغا ذهب
جتهم الترك أرخوا * واقعتهم بما انذهب
صار عزيز العرب ذليل * وبقى فى الوجود عدم
وجميع ماجرى لهم * بالقدر وبالحكم
كان مسطر على الجبين * وبهذا جرى القلم
نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب

وهذا الزجل يقرب من الزجل الذى قاله الغبارى فى واقعة العرب التى كانت فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فى دولة الظاهر برقوق وقد وقع فيهما ما يشبه ذلك وهذا الزجل الذى تقدم من اختصاره وفيه قرر شمس الدين بن مزاحم الطرابلسى فى نظر الاصطبل عوضا عن يحيى بن البقرى بحكم صرفه عنها ومات يحيى عقيب ذلك وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار دخل الى حلب طائعا وقد تم الصلح بينه وبين الامراء الذين توجهوا من مصر وسبب ذلك ان العسكر الذين توجهوا الى قتال اقبردى وجدوه بالمرعش عند على دولات فلما طال الامر على العسكر وكان الغلاء موجودا بحلب والعليق لم يوجد أرسل قصروه نائب حلب يسأل اقبردى فى الصلح فتوجه اليه قانى باى الرماح أمير اخور كبير فشى فى أمر الصلح وكان السلطان والامراء مائلين الى ذلك فلما وثق اقبردى بذلك حضر صحبة قانى باى الرماح ودخل الى حلب طائعا مختارا فلاقاه قصروه نائب حلب وسائر الامراء الذين كانوا هنالك وكان له بحلب يوم مشهود وكان الامير اقبردى متوعكا فى جسده فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرسا بسرج ذهب وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس ومالها فى كل سنة ثم أخذوا فى أسباب التوجه اليه

وفيه توفى برهان الدين مستوفى الخاص وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان الامير تمراز الزردكاش الى المقر السيفى جان بلاط بن يشبك نائب الشام يسأله فى الحضور الى مصر ليلى الاتابكية عوضا عن أزبك بحكم وفاته فخرج تمراز بسبب ذلك وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بوفاة أقبردى بن على باى الدوادار الكبير وكان أميرا جليلا رئيسا حشما بشوشا متواضعا كريما سخى النفس فى سعة من المال مثريا جدا وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم ظهر أنه قريبه ورقى فى أيامه الى منتهى الرياسة وولى عدة وظائف سنية منها امرية السلاح والدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وصاحب الحل والعقد بالديار المصرية وكان قريب السلطان وعديله تزوج باخت خوند الخاصكية وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة شديد العزم شجاعا بطلا مقداما فى الحرب تولى الدوادارية الكبرى بعد يشبك بن مهدى سنة سبع وثمانين وثمانمائة وأقام فيها نحوا من ست عشرة سنة وكان مشهورا بالعطاء الجزيل على الامراء والعسكر وجرى عليه شدائد ومحن ونهبت أمواله أربع مرات وقاسى من الشدائد والضيق ما يطول شرحه واستمر يحارب عسكر مصر بمفرده ثلاث سنين وكان غالبا للعسكر وتوجه الى آخر الصعيد ثم توجه الى الشام وحاصرها وكذلك حماه وحلب ثم توجه الى بلاد التركمان ولم يظفر به أحد ولم يسلم نفسه عن عجز ولا سجن قط ولا تقيد وآخر الامر مات على فراشه من غير أن يقتل فكان كما قيل

أنا أسمر والراية البيضا لى * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الحرب بالمران

قيل ان أقبردى لما دخل الى حلب وأقام بها اعترته آكلة فى فمه وقيل فى وجهه رعت فيه حتى مات بحلب ودفن عند سيدى سعد الانصارى رحمة الله عليه ثم نقلت جثته الى القاهرة فى أواخر صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بتربته التى أنشأها فى الصحراء ومات وله من العمر دون الخمسين سنة وكان أسمر اللون مستدير اللحية أسود الشعر غير عبوس الوجه وكان لا بأس به وكان الامراء والسلطان يخشون من سطوته فلما مات كفى كل أحد شره وقد قلت فى ذلك مع التضمين والاقتباس هذه الابيات

مات اقبردى الامير وولى * بعد عز وحاز جاها ومالا

فأتاه من بعد ذا ريب دهر * نال منه من العنا ما أنالا

وقضى نحبه بغير قتال * وكفى الله المؤمنين القتالا

فلما تحقق السلطان موت أقبردى جهز مراسيم للامراء الذين كانوا صحبة أقبردى وهم تانى بك قرا الذى كان أمير مجلس وأقباى نائب غزة الذى كان رأس نوبة كبير وجانم مصبغة

الذى كان حاجب الحجاب وقنبك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين بمصر فأما تانى بك قراواقباى فرسم السلطان لهما بان يتوجها الى القدس و يقيما به بطالين وأما جانم مصبغة وقنبك فرسم لهما أن يتوجها الى الشام بطالين فاستمروا مقيمين بالشام والقدس حتى كان من أمرهم ماسنذكره وأما اينال الصغير السلحدار الذى كان واليا أحد العشراوات قيل انه قتل وقيل انه غرق فى بعض الانهار وأما بقية العسكر الذين كانوا مع أقبردى فمات منهم جماعة كثيرة ودخل الباقون الى مصر وخمدت فتنة أقبردى كأنها لم تكن بعد ماجرت منه أمور مهولة بمصر والشام وغير ذلك وهذا ملخص واقعته وفى ذى الحجة فرق السلطان الضحايا على العسكر وكان عيدا حافلا وجاء العيد بالجمعة فلهج الناس بزوال السلطان عن قريب وكان الامر كذلك ولم يقم الى العيد الثانى وفيه توفى الطواشى مقبل الرومى رأس نوبة السقاة الاشرفى اينال وكان لابأس به فلما مات خلع السلطان على الطواشى محسن الحبشى الاشرفى قايتباى وقرره رأس نوبة السقاة عوضا عن مقبل الرومى بحكم وفاته وقد قاسى محسن هذا فيما بعد غاية الشدائد والمحن وفيه انتقل قصروه من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله الى الاتابكية بمصر وانتقل دولات باى بن اركماس نائب طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قصروه وقرر بلباى المؤيدى فى نيابة طرابلس عوضا عن دولات باى وأضيف الى بلباى حجوبية طرابلس مع النيابة وفيه دخلت مسرى من الشهور القبطية فكانت زيادة النيل فى ثالث مسرى ثلاثين اصبعا وفى الرابع منها أربعين اصبعا وفى الخامس منها عشرين اصبعا وفى خامس مسرى وكسر فى اليوم السادس منها الموافق لحادى عشرى ذى الحجة فرسم السلطان للامير طومانباى الدوادار الكبير بأن يتوجه و يفتح السد وكانت الاتابكية شاغره من حين توفى أزبك وكانت الامراء غائبين فى التجريدة بسبب اقبردى فلم يكن بمصر أكبر من طومان باى فتوجه الى المقياس فى الحراقة وفتح السد وكان له يوم مشهود وكان نيلا عظيما فى تلك السنة وثبت فى أواخر بابه كما قيل

وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وفيه دخل الامراء الذين كانوا توجهوا الى التجريدة بسبب اقبردى فحضر صحبتهم من كان مع اقبردى من الامراء العشراوات منهم اسنباى الاصم ونوروز أخو يشبك الدوادار كان وجانم أقجى الابراهيمى وآخرون من الخاصكية ممن كان من عصبة اقبردى فأقاموا بالقاهرة مدة يسيرة ثم عادوا الى البلاد الشامية وفيه توفى شرف الدين بن الاشقر وكان من أعيان المباشرين وفيه توفى جلال الدين الصالحى وكان لابأس به وقاسى شدائد

ومحنافى آخر عمره وفيه جاءت الاخبار بوفاة داود باشا وزير ابن عثمان ملك الروم وكان رئيسا حشما مدبر المملكة الرومية سديد الرأى وافر العقل مشكور السيرة وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد الغرب بين ملوك الفرنج وملوك الغرب وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج ولله الحمد وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى بالصحراء وحصل للناس منه غاية الضرر بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة بين الشريف محمد أمير مكة المشرفة وبين أخيه هزاع واستمرت الفتنة قائمة هناك فيما بعد حتى كان ماسنذكره فى موضعه

❁ ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة فيها فى المحرم كان الخليفة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب العباسى الهاشمى الا بوين والسلطان الملك الظاهر أبا سعيد قانصوه خال الناصر وأما القضاة الاربعة فعلى حكم السنة الماضية وكذلك الامراء المقدمون من أرباب الوظائف غير الاتابكية فانها عينت الى جان بلاط المقدم ذكره وكتب له بالحضور وفيه توفى يحيى بن البقرى الذى كان ناظر الاصطبل وصرف عنه وكان لا بأس به وفيه تغير خاطر السلطان على القاضى علاء الدين بن الصابونى ناظر الخاص فعزله ورسم عليه ثم خلع على شهاب الدين الرملى وقرره فى نظر الخاص عوضا عن ابن الصابونى ولم يكن شهاب الدين هذا تقدم له رياسة بمصر ولا ولى قط تلك الوظيفة السنية وكانت ولايته من غلطات الزمان وفى ذلك يقول شيخنا عبد الباسط الحنفى

قد ولى الرملى على منصب الـ * ـخاص برأس العام ياخلى

من عدم الدست ومن جهل من * يطبخ حتى انحط للرملى

وفيه استعفى هلال الرومى من تقدمة المماليك وسأل أن يتوجه الى الشام ويكون بها على امرية عشرة فأجيب الى ذلك ثم ان السلطان خلع عليه بذلك وخلع على عنبر التكرورى وقرره فى تقدمة المماليك عوضا عن هلال الرومى وفيه توفى أزبك قفص الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطبلخانات الرأس نوبة الثانى ثم بعد موته خلع السلطان على أبى يزيد المحمدى وقرره فى رأس نوبة ثانى عوضا عن المذكور بحكم وفاته وفيه كانت اقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه بركات بن قريط بحارة زويلة وجاء فى غاية الحسن ولاسيما فى ذلك الخط وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى فى تلك السنة مشقة زائدة وخرج طائفة من العربان على الركب الغزاوى بالقرب من الشرفة فاستولوا عليه من أوله الى آخره وأسروا النساء وقتلوا الرجال ولولا أنهم أدركهم قرقماس أمير كبير بعد أمير ركب المحمل لاخذوا جميع من فى الركب الغزاوى وقد نهبوا أطراف الركب الاول من الناصرى محمد وكان أمير الركب الاول الناصرى محمد بن خاص بك أخو خوند وفيه توفى الشيخ خالد الوقاد النحوى الازهرى

الشافعى وكان فاضلا فى النحو وله فى ذلك عدة تصانيف وفى صفر كان دخول المقر السيفى جان بلاط نائب الشام فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره عوضا عن أزبك فى الاتابكية بحكم وفاته وسكن بالازبكية فلما أقام بمصر شرع فى بناء تربته التى بجوار باب النصر وصنع بها جامعا بخطبة ولم تتم الا بعد موته ودفن بها وفى ثالثه توفى الشيخ الصالح الزاهد الورع أبو العباس أحمد بن محمد الغمرى رحمه الله ورضى عنه ودفن بجامعه الذى أنشاه بالقرب من مرجوش وباب القوس وفيه حضرت جثة اقبردى الدوادار ودفنت فى تربته التى أنشأها بالصحراء وقد نقلت من حلب الى مصر بعد دفنه فى تربة سيدى سعد الانصارى رحمه الله ورضى عنه وفى ربيع الاول عين السلطان قانصوه كرد أحد الامراء الطبلخانات والخازندار الثانى بأن يتوجه الى ابن عثمان ملك الروم قاصدا فخرج بعد مدة وجرى عليه أمور شتى من بعد ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة أيدكى حمار الاشرف قايتباى نائب قلعة الشام وجرى عليه قبل موته شدائد ومحن شتى وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه عين السلطان الامير قانصوه البرجى المحمدى أمير مجلس أمير ركب المحمل وعين جان بلاط الموتر المحتسب أمير الركب الاول وفيه جاء السلطان ولد ذكر من زوجته خوند جان كلدى الجركسية فسماه أحمد فلما كان يوم سابعه اجتمع سائر الخوندات ونساء الاعيان بالقلعة وكان مهما حافلا وحمل الزمام جوهر المعينى القبة والطير على رأس خوند جان كلدى وكان لها يوم مشهود وفيه تزوج السلطان بخوند مصرباى زوجة الناصر وكانت عليه كعب الشوم ولم يتهن معها وفى ربيع الآخر جاءت الاخبار بأن قصروه الذى تولى نيابة الشام قد عصى وخرج عن الطاعة واستولى على قلعة دمشق كما فعل كرتباى الاحمر واستمر العصيان يتزايد من قصروه حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه قبض السلطان على خاير بك الكاشف فأحضر فى الحديد فأمر بنفيه الى قلعة المرقب فسجن بها ثم أطلق وجرى عليه من الانكاد ما لا خير فيه وصودر غير ما مرة وفيه قدم البدرى محمود بن اجا وقد انفصل من قضاء الحنفية بحلب وأتى الى مصر وأقام بها وكان من أمره ما سنذكره وفيه قرر فارس المنصورى نائب دمياط فى كشف الغربية عوضا عن خاير بك الماضى ذكره وفيه قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية فلما قبض عليه رسم السلطان بان يشنكلوه على باب زويلة وأقام معلقا ثلاثة أيام بلياليها وفيه قبض السلطان على أخت خوند بنت خاص بك زوجة أقبردى فرسم عليها بالقلعة وقرر عليها مالا له صورة وقد رافعها أبو المنصور مباشر اقبردى وزعم أن اقبردى أودع عندها مالا فاقامت فى الترسيم حتى أوردت ما قرر عليها وفعل مثل ذلك باختها خوند الكبرى زوجة قايتباى وقرر عليها مالا له صورة ووكل بها خمسة من الطواشية حتى

أوردت ماقرر عليها أو باعت أشياء كثيرة من قماشها وقد حصل عليها ما هو أعظم من ذلك
وهو أنه فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى توجه طائفة من المماليك الجلبان الى دارها
وقصدوا ان يهجموا عليها ثم قالوا لبعض الطواشية ادخلوا وقولوا لخوند تنفق علينا لكل
مملوك خمسون دينارا فلما بلغ خوند ذلك غيبت من البيت وكان سبب ذلك انه أشيع عنها
أنها تزوجت بقانصوه خمسمائة فى الخفية فلما قتل قانصوه تحرشت المماليك على خوند
وطلبوا منها النفقة كما تقدم وكان الذى تحرش على خوند جماعة من عصبة اقبردى
فلما بلغ ذلك الملك الناصر قام مع خوند قياما تاما ونادى فى القاهرة لجميع العسكر حسبما
رسم السلطان المقام الشريف ان لا يتوجه أحد من العسكر الى بيت خوند زوجة الاشرف
قايتباى ولا يقف لها على باب وكل من خالف مرسوم السلطان شنق بلا معاودة فانكف
المماليك عن التوجه الى بيت خوند من حين نادى وكان تقدم ذكر ذلك فى دولة الملك
الناصر وقام بنصرتها بعد ماقصدت أن تسافر الى المدينة مع أن الملك الناصر صادر خوند فى
أيامه بحسن عبارة وأخذ منها جملة مال وحصل لها عقيب ذلك طاوع فى وجهها واستمر
بها ذلك العارض حتى ماتت كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفى جمادى الاولى فى
اليوم الثانى منه نزل السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح
ركب وشق من القاهرة وزينت له ثم طلع من الصليبة والامراء والمباشرون قدامه واستمر
فى ذلك الموكب الحافل حتى طلع الى القلعة وفيه قرر ابن النبرى فى نظر الجيش بدمشق وقد
سعى فى ذلك بمال له صورة وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة الطواشى هلال الرومى
الذى كان مقدم المماليك توفى بدمشق وكان لا بأس به وفيه فى يوم الجمعة ثامنه عقد للاتابكى
جان بلاط على خوند أصل باى الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه وكان
العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وكان عقدا حافلا وفيه جاءت الاخبار من
القدس بوفاة اقباى الطويل الذى كان نائب غزة ثم بقى رأس نوبة كبير وفر مع اقبردى
الدوادار لما انكسر وخرج من مصر وآل أمره الى ان أقام بالقدس بطالا حتى مات وكان
أصله من مماليك الاشرف قايتباى وقيل انه مات مسموما وكان شجاعا بطلا وجرى عليه
شدائد ومحن وقاسى ما لا خير فيه بسبب صحبته لاقبردى الدوادار وهو الذى كان سببا
لنصرته على قانصوه خمسمائة فى الواقعة بخان يونس الذى بقرب غزة وفيه قرر على بن
طرغل فى نيابة عين تاب وفيه توفى شمس الدين محمد الفرنوى الذى كان امام اقبردى
الدوادار ثم بقى ناظر الاحباس وكان يكتب الخط الجيد المنسوب وقاسى من الشدائد
والمحن ما لا يعبر عنه وعذبه كرتباى الاحمر بانواع العذاب وفيه توفى الشيخ أحمد المجذوب
الذى كان يجلس تحت الكوم الذى عند القنطرة الجديدة وكان من كبار الصالحين وفيه

خرج الامير طومان باى الدوادار متوجها الى الشرقية والغربية فسرح فى البلاد نحوا من عشرين يوما ثم عاد الى القاهرة وقد حاش عدة خيول وجمال وأغنام من العربان وفى رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه خال الناصر فجلس على الدكة التى بالحوش ونصب سحابة جديدة صنعها من المخمل المذهب و بهار نولد زركش فجاءت غاية فى الحسن فجلس على الدكة والسحابة على رأسه وطلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وكان موكبا حافلا وفى حادى عشر منه تغير خاطر السلطان على القاضى كاتب السر بدر الدين ابن مزهر فقبض عليه وسجنه بالعرقانة ثم طلب أخاه كمال الدين محمد وقرره فى كتابة السر عوضا عن أخيه بدر الدين وفيه قرر سيباى فى نيابة صهيون عوضا عن قنبك الشيخ بحكم فراره عند ابن عثمان وخوفه على نفسه من القتل وفيه كان دخول خوند أصلباى ام الملك الناصر على جان بلاط أمير كبير فنزل جهازها من القلعة فى يوم السبت خامس عشره وشق من القاهرة واستمر ينسحب من ضحوة النهار الى وقت الظهر وتوجهوا به الى الازبكية فكان عدة الجمالين أربعمائة جمال والبغال نحو من مائتى بغل فرجت له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان فيه من الامتعة والتحف مايعجز عنه الواصفون فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشره نزلت خوند أخت السلطان فى محفة زركش وتوجهت الى الازبكية ومشى قدامها جماعة من المباشرين منهم كاتب السر كمال الدين بن مزهر وناظر الجيش عبد القادر بن القصروى وصلاح الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وآخرون من المباشرين والطواشية وبعض أمراء عشروات وهم بالشاش والقماش وعدة وافرة من الخاصكية فلما وصلت الى باب البيت الكبير الذى بالازبكية فرشت لها الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثرت على رأسها خفائف الذهب والفضة وكان يوما مشهودا ولكن جرى بعد ذلك أمور شتى وأنكاد مترادفة يأتى الكلام عليها فى موضعها كما يقال

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى شعبان فى يوم السبت سادسه جاءت الاخبار من القدس بقتل الامير تانى بك قرا وكان مقيما بالقدس كما تقدم ذكر ذلك وكان من عصبة اقبردى وفر معه فلما استقر بالقدس توجهت المراسيم بخنقه فخنق وهو بين أولاده وعياله وكانوا توجهوا اليه وكان قتله يوم الاحد ثانى عشرى رجب ودفن بالقدس فلما جاءت الاخبار بوفاته تأسف عليه الكثير من الناس وكان أميرا جليلا رئيسا حشما لين الجانب قليل الأذى كثير الخير ومن آثاره السبيل والصهريج الذى أنشأهما برأس سويقة ابن عبد المنعم تجاه الرميلة وصرف على ذلك من ماله مالاله صورة فلما كمل بناء ذلك قدم هذا السبيل والصهريج للسلطان قايتباى فصار ذلك يعرف بسبيل السلطان ومن آثاره المسجد اللطيف الذى أنشأه بجوار بيته عند خوخة القردمى وكان أصله من مماليك الاشرف اينال ورقى فى دولة الاشرف قايتباى وولى

عدة وظائف منها تاجر المماليك والدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي حاجب الحجاب ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير مجلس ووقع له من الشدائد والمحن ما يطول شرحه وفاته القتل عدة مرار وفر مع اقبردى الى البيرة وعدى الى الفرات وكان موصوفا بالفروسية والشجاعة ومات وله من العمر زيادة عن ستين سنة والله أعلم ولما مات رثيته بهذه الابيات

من طالع التاريخ يوما أوقرا * يروى صروف الدهر عن تنبك قرا
شاع الحديث بخنقه فلاجل ذا * خنقت بعبرتها الورى مستعبرا
قد خانه ريب الزمان بفعله * والدهر ان يصفو يعود مكدرا
قد كنت أحذر من وقوع حمامه * والآن دمعى كالدماء وقد جرى
لهفى عليه من أمير صارم * فى يوم حرب للعداة مدمرا
لم يقتلوه فوق ظهر جواده * لكن قاتله تعدى وافترى
يالهف قلبى قد تجرع فقده * وتجددت أحزانه بين الورى
يالهف قلبى كم أمير كان فى * عز وجاه فانطوى تحت الثرى
قد غادر الامراء جور زمانهم * فالحكم للرحمن فيما قدرا
يارب فاجعل قبرهم فى روضة * واجعل برحمتك الجنان لهم قرا

وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى توفى ببلاد ابن عثمان وكان لابأس به وهو الذى جدد عمارة الجامع الازهر وصرف على ذلك مالا له صورة من ماله وكان مشكور السيرة وفيه طلع الاتابكى جان بلاط الى القلعة وضمن بدر الدين بن مزهر كاتب السر فان الاتابكى جان بلاط كان زوج أخت بدر الدين بن مزهر فلما ضمنه تسلمه من السلطان على مال قرره عليه فلما استقر عنده هرب ثالث ليلة فى مكان بالازبكية فتشوش الاتابكى جان بلاط لذلك ثم غمزوه على بدر الدين بن مزهر فقبض عليه عقيب ذلك وآل أمره الى كل سوء وفيه توفى ابن السلطان الماضى حديث وضعه وكانت مدة حياته أربعة أشهر وثلاثة عشر يوما فأظهروا عليه الحزن والاسف ودفن فى تربة أبيه التى أنشأها بالصحراء فكان كما يقال فى المعنى

بدا وفى حاله توارى * فيا لها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا * دموع عينى لها عقيقه

وفيه توفى القاضى شهاب الدين بن الصيرفى وهو أحمد بن صدقة الاسرائيلى الشافعى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان عالما فاضلا فننا من أعيان النواب وله تصانيف ونظم جيد ومات وقد قارب السبعين سنة وفيه جاءت الاخبار بقتل قراجا نائب سيس وكان تولى

نيابة غزة وكان موصوفا بالشجاعة وفيه توفى الناصرى محمد بن أبي يزيد وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وفيه عين السلطان نيابة حلب للامير قرقماس ولى الدين فلما اقر فى نيابة حلب أخرج عنه وظيفة رأس نوبة الكبرى وقررها الامير قانصوه الغورى ولم يتم أمر قرقماس فى نيابته بحلب وأعيد الى تقدمة ألف و وقع بعد ذلك أمور شتى وفى رمضان عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء التى بالحجرة وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أرباب الحقوق ووزن عن جماعة من ماله وأطلق فى ذلك اليوم نحوا من مائتى انسان وضاع للناس بعض حقوقها ممن كان له دين على من أطلقه من المحابيس فكان كما يقال فى المعنى

رام نفعا فضر من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقا

وفى يوم الاثنين رابع عشره عين السلطان تجريدة الى الكرك بسبب عربان بنى لام وقد تقدم منهم فى حق الحجاج غاية الضرر وكان باش العسكر سنباى نائب سيس أحد المقدمين وجماعة من الجند فخرجوا فى أثناء ذلك اليوم مسرعين وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه نائب الشام خرج عن الطاعة وأظهر العصيان جملة واحدة وحضر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا حاجب دمشق وأخبر أن قصروه نائب الشام صرفه عن الحجوبية وقصد القبض عليه ففر منه وأخبر بان قصروه نائب الشام قد استولى على قلعة الشام وعلى ما فيها من المال فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية واضطربت أحواله وأظهر أنه يخرج الى الشام بنفسه وشرع فى أسباب ذلك ثم نزل الى الميدان وعرض ما عنده من الهجن وأمر صلاح الدين بن الجيعان بان يحضر قوائم مصروف الاشرف برسباى عند توجهه الى آمد وكل هذا هيت وتهييت على الامراء والعسكر ثم عين قانى بك أحد الدوادارية أن يتوجه لكشف الاخبار عن الحقيقة وفيه أفطر السلطان ليلة العيد بالقصر الكبير واجتمع عنده الامراء وضربوا مشورة فى أمر قصروه فعد فطوره فى الايوان من النوادر وفى شوال صادف أن فى يوم عيد الفطر قلع السلطان الصوف فى ذلك اليوم ولبس البياض وخرج الى صلاة العيد وهو راكب على فرس أبيض قرطاسى بسرج فضة بيضاء من غير طلاء وعباءة حرير أبيض وخف أبيض ومهاميز بيض حتى قلع الكلفتاه حتى المشاية التى فى رجله كانت برغالى أبيض فعد ذلك من النوادر وكان لبس البياض فالا عليه فانه خلع من السلطنة عقيب ذلك وفيه صلى الامير طومان باى الدوادار الكبير صلاة الجمعة مع السلطان بالقلعة فلما انقضت الصلاة خلع عليه السلطان ونزل متوجها الوجه القبلى وكان فى تلك الايام قويت الاشاعات بان السلطان يقصد القبض على الامير طومان باى وكان وقع بينهما فى الباطن بسبب قصروه نائب الشام وكان الامير طومان باى

متواطئا مع قصروه على السلطان وكان طومان باى يقصد التمهيد لنفسه حتى يتسلطن وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد كما يقال

بت فى قلوب أسود * لا فى قلوب رجال

فالكيد للناس لالك * بهائم الجهال

وفيه أشارت الامراء على السلطان بان يبعث الى قصروه قاصدا وعلى يده مراسيم بان يكون على نيابة الشام وأن يسلم قلعة الشام الى نائبها ولا يؤاخذه بما فعل فعين له اقباى الطويل ناظر الجوالى فخرج عن قريب وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل قانصوه البرجى وبالاول جان بلاط المؤتر المحتسب فلما توجه الى بركة الحاج استمر المحمل مقيما بالبركة الى خامس عشرى شوال حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن غلمان أمير الركب الاول هرب أكثرهم وتعطلت أحواله بموجب ذلك وفيه جاءت الاخبار بان قصروه قد استولى على مدينة طرابلس وقبض على نائبها بلباى المؤيدى وسجنه بقلعة دمشق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قيت الرجبى حاجب الحجاب وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن بلباى المؤيدى ولم يتم له ذلك فيما بعد وفيه خلع السلطان على شخص من خواصه يقال له تمر بن جانم وقرره فى الحسبة عوضا عن جان بلاط المؤتر وهو غائب بالحجاز فلم ينتج أمره هذا وقبض عليه فيما بعد وفيه أنعم السلطان على انس باى شاد الشراب خاناه وقرره فى تقدمة ألف وفيه فى ثالث عشره حضر اقباى الطويل الذى توجه الى قصروه كما تقدم فعاد الجواب على السلطان بان قصروه مستمر على العصيان ولم يدخل تحت الطاعة فعند ذلك عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى قصروه وعين بها من الامراء المقدمين ثمانية ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات نحو من ثلاثين أميرا ومن المماليك السلطانية ألفى مملوك وأظهر السلطان انه يخرج الى الشام عقيب ذلك بنفسه وفيه جاءت الاخبار بقتل قانى بك أحد الدوادارية الذى كان توجه الى قصروه لكشف الاخبار وكان قد سافر من البحر الملح لموجب فساد الطرقات وفيه قويت الاشاعات ان السلطان أرسل بالقبض على الامير طومان باى الدوادار وهو بالصعيد وكانت هذه الاشاعات من أكبر الفساد فى زوال ملك الظاهر قانصوه فلما قويت الاشاعات بذلك نادى السلطان فى القاهرة بان أحدا لا يكثر كلاما فيما لا يعنيه وان الامير طومان باى دوادار كبير على عادته وكان ترك هذه المناداة أصوب وقد تأكد الامر بذلك وفيه هجم المنسر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة وكسروا عدة حوانيت ونهبوا ما فيها وقتلوا ثلاثة من الغفراء وكان المنسر نحوا من مائة نفر ما بين مشاة وركاب ومعهم قسى ونشاب فنهبوا قماشا بنحو عشرة الاف دينار وكانت هذه من الوقائع المهولة

وفيـه كانت وفاة الرئيس نورالدين بن رحاب المغنى الناشد المادح فريد عصره ووحيد دهره وكان من نوادر الزمان ينظم الشعر ويلحن الخفائف بالحان غريبة وكان آخر مغانى الدكة فى الدخول والطرب ولم يجئ بعده أحد فى الدخول مثله وقد رثيته بعد موته بهذه الابيات

توفى نزهة الاسماع طرا * وصار العيش منا فى ذهاب

وناحت بعـده الآلات حزنا * وأظهرت الصراخ مع انتحاب

وأبدى الدف والماصول زعقا * لكن جاء المآتم فى المصاب

وأضحى الناس فى قلق ولم لا * وقد ضاق الوجود بلا رحاب

وفى آخره حضر الامير طومان باى الدوادار وكان مسافرا الى جهة الصعيد فلما حضر الى الجيزة خرج الامراء والعسكر قاطبة الى ملاقاته فأقام بالجيزة ولم يعد فتوجه اليه الامير طراباى أحد المقدمين وعلى يده صورة حلف عن لسان السلطان أنه لايشوش عليه اذا قابله ولايقبض عليه فلما توجه اليه طراباى لم يثق الامير طومان باى بذلك الحلف وأظهر العصيان فرجع الامير طراباى بجواب غير صالح وقد تقلب على الظاهر قانصوه خال الناصر غالب العسكر فلما رأى أحواله مضطربة تحقق وقوع فتنة فأخذ فى أسباب تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من البقسماط والجبن وملأ الصهاريج التى بالقلعة وفرق السلاح على مماليكه وانتظر مايكون من الامير طومان باى فلما عدت اليه الامراء قبض على جماعة منهم الامير قانى باى الرماح أمير اخور كبير فلما قبض عليه شكه فى الحديد وقبض على القاضى عبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلى آخرين من الامراء فلما كان يوم الاربعاء سادس عشرى ذى القعدة عدى الامير طومان باى من معادى امبابة وطلع من بولاق بمن معه من العسكر وتوجه الى الازبكية بعـد العصر وبات بها وكان الاتابكى جان بلاط ساكنا هنالك فاجتمع الامراء عنـده وضربوا مشورة فى أمر الظاهر قانصوه فوقع الاتفاق على خلعه من السلطنة فلما كان يوم الخميس سابع عشريه لبس العسكر آلة الحرب وركب الاتابكى جان بلاط والامير طومان باى وبقيـة الامراء من الازبكية وتوجهوا الى بيت الطاهر تمر بغا الذى عند سوق السلاح بالقبو فعند ذلك ركبوا وتوجهوا لحصار القلعـة ولم يكن عند الظاهر من الامراء سوى جان بلاط الابح نائب القلعة وبعض أمراء عشراوات ومن الجند نحو ألف انسان واستمر الحرب ثائرا بين الفريقـين ثلاثة أيام وذلك على قلة من عنده من العسكر بالقلعة وكان الظاهر قانصوه حصن القلعة وسد باب الاصطبل الذى من جهة باب القرافة فلما كان يوم الجمعة بعد العصر ملك الامير طومان باى باب السلسلة فلما كان يوم السبت تاسع عشريه انكسر الظاهر قانصوه وتشتت من كان عنده بالقلعة فلما رأى عين الغلب دخل الحريم وتزيا بزى النساء ونزل من القلعة وتوجه الى

نحو

نحو الترب فاختفى فكان كما يقال

وقائلة لم دهتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم

فقلت ذرينى على غصتى * فان الهموم بقدر الهمم

فلما انكسر الظاهر قانصوه لم يجسر الامير طومان باى أن يتسلطن وكان قدامه الاتابكى جان بلاط فاستمرت القاهرة بلا سلطان يوم السبت ويوم الاحد وقد أشيع وجود قانصوه خمسمائة الذى تسلطن فنودى فى القاهرة ان كان قانصوه خمسمائة موجودا فليظهر وله الأمان فلم يكن لهذه الاشاعة صحة فعند ذلك وقع الخلف بين الامراء فيمن يلى السلطنة فذكر تانى بك الجمالى فلم يرض به العسكر ثم ذكر الاتابكى جان بلاط فلم يرض به العسكر فتعصب له الامير طومان باى حتى تسلطن كما سيأتى ذكره فى موضعه وكانت مدة الظاهر قانصوه فى السلطنة سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما وكان ملكا هينا لين الجانب قليل الاذى كثير البر والمعروف وكان مسلوب الاختيار مع الامراء مهما يقولوا له يقول بخشى فسمته العامة بخشى كما سموا الظاهر بلباى ايش كنت أنا قل له وكانت أيام الظاهر قانصوه أصلح حالا من أيام الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى وقد انصلحت أحوال البلاد الشرقية وقل الاذى من العربان وكذلك البلاد الغربية ووقع الرخاء فى أيامه فى سائر البضائع وانكفت المماليك عما كانوا يعملون من الاذى فى أيام الملك الناصر وساس الناس فى أيامه أحسن سياسة وخلع والناس عنه راضون وكانت صفته أبيض اللون يميل الى الصفرة نحيف الجسد قصير القامة أسود الشعر عربى الوجه مستدير اللحية جميل الهيئة حسن الشكل فى المنظر جركسى الجنس قليل الكلام بالعربى الغالب عليه الجلوبية تولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان وافر العقل ثابت الجنان مع سكون وعدم رهج وأما ما عد من مساويه فقتله للامير تانى بك قرا من غير ذنب أرسل بخنقه وهو بين عياله وأولاده بالقدس ومنها أنه صادر خوند الخاصبكية زوجة أستاذه الملك الاشرف قايتباى ووكل بها طواشيته حتى باعت قماشها مثل التركة وأوردت ما قرر عليها من المال وصادر أختها زوجة اقبردى ووكل بها بالقلعة وطالبها بمائة ألف دينار وزعم ان اقبردى أودع عندها الاوصادر أخاها الناصرى محمد بن خاص بك وعرضه للضرب غير مامرة وألزمه أن يسافر أمير حاج بالركب الاول من ماله ولم يعطه شيأ كعادة أمراء الحاج من النفقة ومنها أنه ظلم جماعة من أعيان المباشرين من رجال ونساء وأخذ أملاكهم غصبا وهدمها بسبب البيت الذى أنشأه على بركة الفيل لاجل أخيه قانم وفعل مثل ذلك بالتربة التى أنشأها بالصحراء وضيق بها الطريق على المارين هنالك وأعمى ترب الناس التى بجواره ومنها انه كان متواطئا مع الامراء على قتل الملك الناصر محمد ابن أخته ولولا تراخيه لما قدروا على قتله ومنها أنه رسم بشنق بدر

الدين بن مزهر كاتب السر حتى شفع فيه طومان باى الدوادار ومنها انه كان غير عفيف الذيل على ماقيل والله أعلم انتهى ماأوردناه من أخبار الملك الظاهر أبى سعيد قانصوه خال الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمة الله تعالى عليه وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر جان بلاط ابن يشبك الاشرفى

وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وكان أصله جركسى الجنس اشتراه الامير يشبك بن مهدى أمير دوادار كبير وأقام عنده مدة وحفظ القرآن ثم ان الامير يشبك قدمه مع جملة مماليك الى الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم اخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجدارية ثم بعد مدة بقى خاصكيا ثم بقى دوادار سكين وسافر أمير حاج بالركب الاول وهو خاصكى غير مامرة ثم أنعم عليه السلطان بامرية عشرة فى سنة أربع وتسعين وثمانمائة وسافر الى الحجاز أمير ركب المحمل وهو أمير عشرة وقرر فى نظر الخانقاه ثم توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم فى سنة ست وتسعين وثمانمائة وكان يومئذ أمير طبلخاناه تاجر المماليك ثم بقى مقدم ألف فى آخر دولة الاشرف قايتباى ثم بقى دوادارا كبيرا عوضا عن اقبردى فى دولة الناصر ثم قرر فى نيابة حلب وخرج اليها فلما ولى السلطنة الظاهر قانصوه نقله الى نيابة الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته ثم احضر الى القاهرة وقرر فى الاتابكية عوضا عن الاتابكى أزبك بحكم وفاته ثم تزوج بخوند اصلباى ام الملك الناصر واستمر على ذلك حتى وثب طومان باى على الظاهر قانصوه وخلعه من السلطنة وانكسر فوقع الاتفاق على سلطنته على كره من الامراء والعسكر وكانت صفة مبايعته انه لما تسحب الظاهر قانصوه من القلعة واختفى كما تقدم اقامت القاهرة يومين بغير سلطان فلما كان يوم الاثنين ثانى ذى الحجة صعد الامراء والعسكر الى باب السلسلة واشتوروا فيمن يلى السلطنة وكانت قصد الامير طومان باى الذى تسلطن فيما بعد ولكن كان قدامه جان بلاط وتانى بك الجمالى أمير مجلس فلم يجسر أن يتسلطن وكان العسكر غير راض بجان بلاط فاوسع طومان باى الا أنه تعصب له وسلطنه فارسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين الدين زكريا الشافعى والبرهان بن الكركى الحنفى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى فلما تكامل المجلس عملوا صورة محضر لخلع الظاهر قانصوه فخلع من السلطنة فى الحال ثم ان الخليفة بايع الاتابكى جان بلاط بالسلطنة وتلقب بالاشرف وكنى

بأبي النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته أحضر اليه شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك الشعار وقدمت اليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة الذى بباب السلسلة ورفعت على رأسه القبة والطير وركب الخليفة عن يمينه ومشت الامراء بين يديه واستمر فى ذلك الموكب حتى طلع من باب سر القصر وجلس على سرير الملك وقبل له الامراء الارض من كبير وصغير ثم خلع على الخليفة وألزمه أن ينتقل من يومه ويسكن بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان ملء العيون كفؤا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى وفى حال سلطنته رسم بالافراج عن الامير قانى بك الرماح أمير اخور كبير وكان مشكوكا فى الحديد عند الامير طومان باى الدوادار وقد قاسى من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وكذلك الامير طراباى عنده فى الترسيم أيضا فخلع السلطان على قانى باى الرماح وأعاده الى الامير اخورية الكبرى وأطلق طراباى وانس باى شاد الشراب خاناه وأبقاهما على وظائفهما ثم انه عين الاتابكية الى قصروه نائب الشام وكان يظن انه يدخل تحت طاعته وكان الامر بخلاف ذلك وقيل انه تسلطن فى ساعة الشمس وفى يوم الثلاثاء ثالثه جلس فى شباك الدهيشة وعرض مماليك الظاهر قانصوه ومسح منهم جماعة وفيه فى ذلك اليوم بعث الامير طومان باى الدوادار نحوا من ثلثمائة فرس من خيوله الخاصة التى كانت عنده لما حضر من الشام وفى يوم الخميس خامسه فرق السلطان الاضحية على الامراء والجند ومن له عادة ثم خلع على بدر الدين بن مزهر وأعاده الى كتابة السر وعزل أخاه كمال الدين عنها وأعيد الشهابى بن ناظر الخاص الى نظر الجيش وعزل عبد القادر القصروى وأعاده فى الترسيم وقرر عليه مالا له صورة وخلع على جلال الدين بن الصابونى وأعاده الى نظر الخاص وعزل شهاب الدين بن الرملى عنها وسلمه الى طراباى على مال قرر عليه وفيه خلع السلطان على قيت الرجبى وأعيد الى حجوبية الحجاب وبطل سفره الى طرابلس نائبا وخلع على أربك الناشف وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن جان بلاط الابح بحكم اختفائه ثم عين قصروه الصغير بان يمضى الى قصروه نائب الشام بالبشارة بسلطنته وظن ان قصروه يسر بسلطنته فما ازداد الاعصيانا وأرسل اليه بالحضور ليلى الاتابكية فلم يجب قصروه الى ذلك وتمادى على ماهو عليه من العصيان وفيه قبض السلطان على تمر قريب السلطان الظاهر قانصوه الذى كان محتسبا ووكل به وقرر عليه مالا وكذلك قبض على تانى بك الخازندار وقرر عليه مالا وفيه عين السلطان لدولات باى تقدمة ألف وكذلك بردبك المحمدى وكذلك خاير بك أخو قانصوه البرجى وفيه قوى الفحص والتفتيش على الظاهر قانصوه وصار والى الشرطة فى كل يوم وليلة يكبس الحارات ويهجم البيوت وحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل من الكبس والنهب فلما طال الامر قبض السلطان على الطواشى مسك

وضربه فأقربان زوجته خوندجان كلدى تعرف طريقه فبعث اليها السلطان الامير طراباى فسألها عنه فلم تقر بشىء فاحضر اليها المعاصير وعصرها فى رجليها فلم تقر بشىء فاحضر الوالى وعاقب الجوارى وآخرين من جماعتها فلم يقروا بشىء ولما اشتد الامر بسبب ذلك حضر شخص من أولاد الناس يقال له محمد بن اينال وكان ساكنا فى سويقة صفية عند الزير المعلق فأمر للامير ازدمر أحد الامراء المقدمين أن الظاهر قانصوه عنده فى بيته فلما تحقق الامير ازدمر ذلك طلع وأعلم السلطان فارسل جماعة من الخاصكية مع والى الشرطة الى ذلك المكان فقبضوا عليه وأركبوه على بغل وعلى رأسه زنط وعليه كبر أبيض وأتوا به على بركة الناصرية وقاسى من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وقيل انه وقع من فوق البغل فى أثناء الطريق وتعترس عليهم فأركبوه غصبا وكان القبض عليه فى يوم الاحد ثانى عشرى ذى الحجة وكانت مدة اختفائه أربعة وعشرين يوما جرى عليه هذا كله وهو ساكت لا يتكلم فكان كما يقال

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

واستمر على هذه الحالة حتى أتوا به الى بيت ازدمر فلما رآه قام له وأدخله الى البيت فلما كانت ليلة الثلاثاء خامس عشريه رسم السلطان باخراج الظاهر الى ثغر الاسكندرية فسجن بها وقيل ان السلطان جان بلاط أنعم عليه بخمسة آلاف دينار لكونه كان صهره زوج أخته وكان المسفر عليه الامير ازدمر بن على باى فأوصله الى ثغر الاسكندرية وسجنه بها وعاد وخمدت فتنة الظاهر كأنها لم تكن وفيه قامت المماليك على الاشرف جان بلاط بسبب نفقة البيعة فلما رأى منهم الجد أخذ فى أسباب جمع الاموال فأطلق فى الناس نار المصادرة وقبض على جماعة من الاعيان ووزع على قاضى القضاة مالا له صورة فشفع الخليفة فى قاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقى فعفى عما قرر عليه لفقره وفيه قبض السلطان على الحاج رمضان المهتار وسلمه الى طراباى فعاقبه وعصره واستخلص منه ثلاثين ألف دينار وقد صودر غير مامرة وهذا آخر مصادراته فباع جميع ما يملكه حتى بيوته وشوار نسائه وانكشف حاله جملة واحدة وكان رئيسا حشما أقام فى مهتريته بالطشتخاناه نحوا من ثلاثين سنة ونال من العز والعظمة فى دولة الاشرف قايتباى ما لا رآه غيره من المهاترة وفيه اشتد الامر على الناس بسبب المصادرات وقاسى أعيان الناس من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وكان المتكلم فى أمر هذه المصادرات بدر الدين بن مزهر كاتب السر فاظهر النتيجة لصهره الاشرف جان بلاط وحصل منه للناس غاية الضرر الشامل وشوش على الكثير منهم وقد عقب ذلك عليه حتى كان من أمره ما سنذكره وعمت

هذه

هذه المصادرة طائفة اليهود والنصارى وجماعة من أعيان التجار والطواشية منهم مسك ومحسن ومختص وغيرهم وكانت حادثة مهولة وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على خاير بك العلائى أحد خواصه وعلى جان م المحمدى الظاهرى خشقدم وعلى على باى دوادار خشكلدى البيسقى وآخرين من الخاصكية وفى ليلة الجمعة سابع عشريه وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نصف درجة وقد شاهدوا بعض النجوم فى السماء تتناثر وفيه نزل السلطان وتوجه نحو تربة الاشرف قايتباى فزار قبره ثم توجه الى باب النصر وكشف عن عمارة مدرسته التى أنشأها هناك ثم دخل من باب النصر وشق المدينة ثم أتى الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه ببركة الفيل فكشف عن زوجته خوند أم الملك الناصر وكانت مقيمة هناك فزارها ثم عاد الى القلعة وفيه أعيد الطواشى محسن كما كان وقد قاسى من الانكاد ما لا خير فيه وفيه كانت وفاة صاحبنا تقى الدين بن محمود أحد أعيان الشهود بالمدرسة الصالحية وكان رئيسا حشما عشيرا للناس فكه المحاضرة لكنه كان ملسنا كثير التعلق بالناس لا يفوته أحد من كبير وصغير وكانت أعيان الناس يخشون من كلامه ولسانه حتى قضاة القضاة وقد هجاه الاديب زين الدين ابن النحاس بقوله فيه

قف وقفة وانتظر عند الامام ترى * جيوش أجفانه بالسود قد كسرت
ومن توقد نيران الحشيش غدت * عيناه ترمى جمارا كلما نفرت

وفى هذه السنة انقطع البلسان من مصر وهو البلسم وكان من آثار عيسى بن مريم عليهما السلام وكانت الفرنج يجيئونه من أقصى البلاد حتى يشترون من دهن هذا البلسم ويتغالون فى ثمنه وقد أحضر حب البلسان البرى من الحجاز وزرعوه بأرض المطرية وعالجوه فلم ينبت وانقطع من مصر بالكلية كأنه لم يكن قط بعين شمس وهو أجل نباتها وهذا لم يتفق قط وكان قبل ظهور الاسلام بمدة طويلة وكان ذكى الرائحة أشبه شئ بورق الملوخية وكان دهنه ينفع للامراض الباردة كوجع الظهر والركب وغير ذلك من الامراض البلغمية وكان يستخرج دهن هذا البلسم فى رابع عشرى بشنس القبطى وكان فى الزمن القديم يحضر يوم استخراج دهنه بعض الامراء وقيل الخازندار الكبير وأجود ما طبخ دهنه فى برمهات وكان يزرع حبه فى بؤنه الى هاتور وكان معدودا من جملة محاسن مصر وكان انقطاعه من مصر فى رأس القرن العاشر ومن حوادث هذا القرن أيضا الحب الفرنجى أعاذنا الله منه فشا فى الناس جدا وقد أعيا الاطباء أمره واستمر يعرض للناس الى الآن

(ثم دخلت سنة ست وتسعمائة) فيها كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب الهاشمى الابوين والسلطان الملك الاشرف أبا النصر جان بلاط بن يشبك الاشرفى والقضاة الاربعة على حكم ما تقدم وكانت الاتابكية شاغرة وقد تعينت لقصروه نائب الشام وفى يوم

الثلاثاء مستهل المحرم كان صعود خوند اصلباى زوجة الاشرف جان بلاط وهى أم الناصر وسرية الاشرف قايتباى وأخت الظاهر قانصوه فكان يوم صعودها الى القلعة يوما مشهودا فشقت من الصليبة وهى فى محفة زركش وحولها الخدام من أعيان الطواشية وقدامها أعيان المباشرين وجماعة من الخاصكية نحو من خمسين انسانا وهم بالشاش والقماش وجماعة من المماليك نحو من مائة انسان وبأيديهم العصى يفسحون الناس فاستمرت فى هذا الموكب الحافل حتى صعدت الى القلعة ومعها نحو من مائتى امرأة على مكارية وفيه فرق السلطان نفقة البيعة على العسكر وقد جمع هذا المال من وجوه الظلم والمصادرات ففرق على جماعة مخصوصة من العسكر وقطع للاكثر من الجند وأولاد الناس وغيرهم وفى يوم الخميس ثالثه حضر قصروه الصغير الذى كان قد توجه الى قصروه نائب الشام ببشارة سلطنة الاشرف جان بلاط فلما عاد أخبر أن قصروه نائب الشام باق على عصيانه ولم يدخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط ولم يلبس خلعته ولا قبل له الارض فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية وكان يظن ان قصروه يدخل تحت طاعته فجاء الامر بخلاف ذلك وفى يوم الجمعة رابعه صلى السلطان صلاة الجمعة وجلس بباب الستارة وخلع على الامير تانى بك الجمالى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه وكان السلطان أخر الوظيفة لقصروه فلما تمادى على عصيانه قربها تانى بك الجمالى وخلع على الامير طومان باى وقرره فى امرية السلاح مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية وكشوفية الكشاف كما كان الامير يشبك بن مهدى فعظم أمره جدا وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام وفيه استمر قرقماس بن ولى الدين فى ولاية حلب كما قرره الظاهر قانصوه وقرر دولات باى بيك الطويل فى نيابة طرابلس عوضا عن قيت الرجبى الذى كان تعين اليها وقرر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا فى نيابة حماه وكان قرره قبل ذلك فى نيابة غزة ثم بطل أمر هؤلاء النواب جميعا وحدثت أمور بعد ذلك يأتى الكلام عليها فى موضعها وفى يوم السبت خامس المحرم الموافق لثامن مسرى وفى النيل المبارك وكسر يوم الاحد سادس المحرم فلما وفى توجه الامير طومان باى الدوادار وفتح السد على العادة فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة وفرق على المتفرجين نحوا من مائتى مجمع حلوى ومائتى مشنة فاكهة حتى فرق البطيخ الصيفى ونثر للعوام فضة لما أراد أن يركب عند السد فارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان له يوم مشهود وكان هذا آخر فتحه للسد وعقيب ذلك تسلطن وجرت عليه أمور يأتى الكلام عليها فابتهج الناس بيوم الوفاء لكون النيل كان وفاؤه مسرعا وحصل به غاية النفع وكان نيلا عاليا مباركا فكان كما يقال

كان فى يوم الوفا نيلنـــا * أتقن عـلم الحرف بالضبط
اذ بالصباصفحات خلجانه * تجدولت بالكسر والبسط

وفيه تكلم وسائط السوء مع السلطان فى اعادة وظيفة نظر الاوقاف فلما عرضوا ذلك على الامــير طومان باى لم يوافق على اعادة هــذه الوظيفة وكان الملك الناصر أبطلها بواسطة كرتباى الاحمر فلما توجه كرتباى الاحمر الى الشام وطاش الملك الناصر بعد سعى محمد بن العظمة الذى كان ناظر الاوقاف فى اعادته الى هذه الوظيفة وكان الساعى له عبد القادر البواب بواب الدهيشة فقرره السلطان فى نظر الاوقاف فأقام بها مـدة يسيرة وضج منه الناس فشكوه للملك الناصر فقبض عليــه وضربه ضربا مبرحا ونفاه الى قوص وقد تولى هذه الوظيفة غير مامرة ولم ينتج أمره وقـد تولاها جماعة كثيرة منهم شخص يسمى الفار الوكيل فلم ينتج أمره وتولى بها أيضا شرف الدين بن البـدرى حسن فلم ينتج فيما تقرر عليه من المال وقد تولاها جماعــة كثيرة ولم يمكنهم الســداد وهى وظيفة شر وظـلم فشكر الناس فعل الامير طومان باى الدوادار على ابطال هذه الوظيفة فى تلك الايام المسيئة وفيه قبض السلطان على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاصطبل وقرر عليه مالا له صورة يورده للخزائن الشريفة وفيه عاد سنباى نائب سيس أحد المقدمين وكان توجــه الى الكرك لقتال بنى لام وعاد من غير طائل وفيــه اجتمع السلطان بالامراء وضربوا مشورة فى أمر قاصروه نائب الشام فأشاروا على السلطان بأن يرسل اليه قاصدا فعين شخصا من الامراء العشراوات وهو ازدمر الفقيه وعــين معــه الامير اصباى فتوجها اليه عن قريب وفى أثناء ذلك حضر خاير بك الكاشف الذى كان الظاهر نفاه وفر من أثناء الطريق وتوجه الى قصروه وأظهر العصيان معه فلما بلغه سـلطنة الاشرف جان بلاط فر من عند قصروه ودخــل تحت طاعــة الاشرف جان بلاط فلما حضر خلع عليه ووعده بتقدمة ألف وفى خامس عشريه كان دخول الحاج الى القاهرة وقد حصل لهم مشقة زائدة وعوقهم العرب حتى فات ميعاد دخولهم وفيه تعين تمر باى خازندار الامير طومان باى وأظهر للسلطان أنه يروم الصلح بينه وبين قصروه وكان الامر بخلاف ذلك وانما أرسل تمر باى فى عمل مصلحة نفسه وقد ظهر ذلك فيما بعد وتلاعب بالاشرف جان بلاط وهو يظن أنه له من الناصحين وهو بضد ذلك كما يقال فى أمثال الصادح والباغم

جهد البلاء صحبة الاضداد * كأنها كىّ عــلى الفؤاد

ومنها
كذا الذى يستنصح الاعادى * يردونه بالغـــش والفساد

ومنها
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * أن يبتلى من جنسه بالضـد

وفيه جاءت الاخبار بان قصروه قد استولى على غزة وأعمالها والقدس وغير ذلك من النواحى

وفى صفر عظم أمر الامير طومان باى جدا وتصرف فى أحوال المملكة كما يختار وصار الاشرف جان بلاط معه كالمحجور عليه لا يقضى أمرا دونه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان دولات باى نائبها أظهر الطاعة للسلطان وانه ليس مع قصروه نائب الشام وهذا كله حيل وخداع وترتيبت من الامير طومان باى حتى كل عزم السلطان عن ارسال تجريده الى قصروه نائب الشام وكانت لوائح الخذلان ظاهرة على الاشرف جان بلاط وأحواله كلها معكوسة وصار طومان باى يمهد لنفسه فى الباطن وفيه توعك قاضى القضاة زين الدين زكريا وحصل له ضعف فى بصره فاغلق عليه بابه وأظهر أنه قد عزل نفسه عن القضاء فلم يلتفت السلطان اليه فلما كان يوم الاثنين عشريه خلع السلطان على محيى الدين عبد القادر بن النقيب وقرره فى قضاء الشافعية عوضا عن القاضى زكريا بحكم انفصاله عنها فكانت مدة ولاية الشيخ زكريا فى قضاء الشافعية نحوا من عشرين سنة فانه تولى فى دولة الاشرف قايتباى فى سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة وعزل فى صفر سنة ست وتسعمائة وهذه المدة لم تقع لاحد من قضاة الشافعية فى ولاية واحدة غيره فعد ذلك من النوادر وسيعود الى القضاء ثانيا عن قريب فلما تولى عبد القادر بن النقيب شق على كل أحد من الناس ولايته ولاموا السلطان على ذلك وكان يومئذ فى الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ولكن سعى بمال له صورة حتى تولى على كره من الناس فكان كما يقال دوبيت

في مصر من القضاة قاض وله * فى أكل موار يث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقم مجتهدا * من عذله دراهما عدله

وهو أول قضائه بمصر وقيل انه سعى بسبعة آلاف دينار حتى تولى وسيعزل عن قريب وفيه جاءت الاخبار من جهة المغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التى هى دار ملك الاندلس ووضعوا فيها السيف للمسلمين وقالوا من دخل فى ديننا تركناه ومن لم يدخل قتلناه فدخل فى دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على انفسهم من القتل ثم ثار عليهم المسلمون ثانيا وانتصفوا عليهم بعض شئ واستمر الحرب ثائرا بينهم والامر لله تعالى فى ذلك وفى ربيع الاول نزل السلطان الى بيت الامير طومان باى وترجل ونزل عن فرسه ودخل هو واياه الى المبيت وأقام عنده ساعة يتحدثان فى أمر قصروه ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهو اول موالده وفيه فى يومه عين السلطان خاير بك أخا قانصوه البرجى ومعه جماعة من العسكر وأمرهم أن يقيموا بغزة خشية من قصروه أن يطرق غزة على حين غفلة فخرج خاير بك والعسكر مسرعين وفيه ماتت خوند حبيبة ابنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وهى زوجة الامير طومان باى الدوادار وكانت جنازتها حافلة وفيه عين السلطان الامير سودون العجمى أحد المقدمين وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وعين دولات باى قرموط والى القاهرة بالركب الاول وفيه عرض

السلطان العسكر وعين تجريدة الى قاصروه نائب الشام وقد تمادى على العصيان والخروج عن الطاعة واضطربت أحوال البلاد الشامية وامتنع ورود القماش والفاكهة وغير ذلك مما كان يجلب من البلاد الشامية فلما عرض العسكر عين نحوا من ألفي مملوك ومن الامراء المقدمين أحد عشر أميرا وكان الباش على هؤلاء الامراء المقر السيفي طومان باى دوادارا كبيرا وأمير سلاح ووزيرا واستادارا وكاشف الكشاف ومشير المملكة ومامع ذلك من الوظائف وفيه عرض السلطان العسكر وأنفق عليهم وبعث نفقة الامراء ثم استحثهم على الخروج بسرعة ورسم لهم أن يخرجوا شيأ بعد شئ فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشريه خرج جماعة من الامراء الطبلخاناه المعينين في هذه التجريدة فكان جاليش العسكر قيت الرجبي حاجب الحجاب واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وسودون الدوادار أحد المقدمين وخرج صحبتهم خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وفيه قرر الامير قان بردى اليوسفي في شادية الشرابخاناه مع امرية أربعين وكان من خواص الامير طومان باى الدوادار وقرر قلج في نيابة البيرة ثم لم يتم له ذلك وقرر في نيابة الاسكندرية ثم نفي في دولة العادل طومان باى الى البلاد الشامية وفيه قرر الشيخ صنطباى في نظر المدرسة السنقرية التي بباب النصر وأخرج النظر عن قاضي القضاة الشافعي بأمر السلطان وفيه قرر السلطان أنس باى الذي كان شاد الشرابخاناه في تقدمة ألف وكان من خواص الامير طومان باى وفيه قرر طقطباى في كشف أسيوط وصرف عنها يوسف النوام وقرر جانم المحمدي الخشقدمي في كشف منفلوط وصرف عنها حيدر السيفي أزبك اليوسفي وفي يوم السبت مستهل ربيع الآخر خرج من تعين من النواب المقدم ذكرهم وهم قرقماس بن ولى الدين المعين لنيابة حلب ويردبك الطويل المعين لنيابة طرابلس وقانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا المعين لنيابة حماه وقد تعينت لدولات باى نائب حلب نيابة الشام عوضا عن قصروه اذا قبض عليه وكانت هذه التراتيب كلها في البطال وآل الامر الى خلاف ذلك كما يأتي الكلام عليه في موضعه وفي يوم الاثنين رابعه خرج المقر السيفي طومان باى أمير سلاح ومامع ذلك فلما خرج طلب طلبا حافلا حتى رجت له القاهرة فلما طلع الى القلعة أفاض عليه السلطان خلعة حافلة وهي فوقاني حرير ازرق بوجه أخضر بطرز يلبغاوى عريض قيل كان طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين ونصف من الذهب الخالص البندقي وكان مادخل فيه ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل قط مثله ولاسمع بمثل ذلك وكان الاشرف جان بلاط يقاتل على رضا الامير طومان باى بكل ما يمكن ومع هذا كان الامير طومان باى يضمر له كل سوء فكان لسان حال جان بلاط يقول

أقاسي المنون لنيل المنى * ويا ليت هذا بهذا يفي

وكان الامير طومان باى باغيا على الاشرف جان بلاط فكان كما يقال

والغدر بالعهد قبيح جـــدا * شر الورى من ليس يرعى عهدا

فلما خرج كان صحبته من الامراء المقدمين قانى باى الرماح أمير اخور كبير والامير قانصوه الغورى رأس نوبة كبير والامير ازدمر بن على باى أحـد المقدمين وأنس باى أحد المقدمين فكانوا عن تقدمهم من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن المماليك السلطانية نحو من ألفى مملوك وزيادة وكانت هذه التجريدة المعينة الى قصروه نائب الشام تعادل تجريدة ابن عثمان وقد تقـدم ذكر ذلك فى دولة الملك الاشرف قايتباى فلما شق الامير طومان باى من القاهرة كان له يوم مشهود وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان محبوبا للناس ولاسيما العوام فلهج الناس بأنه سيعود سلطانا وكان الامر كذلك واستمر فى ذلك الموكب حتى نزل بالريدانية فى الوطاق فأقام به أياما وقيـل ان السلطان نزل اليـه هناك فى الخفية تحت الليل وجلس عنده وتحـدثا فيما يكون من أمر قصروه وأنعم عليـه السـلطان باشـياء كثيرة من مال وقماش وتحف حتى باحجار حيوانية لمنع السموم القاتلة ثم ودعه وطلع الى القلعة وكان يظن ان الامير طومان باى ناصحا له وكان الامر بخلاف ذلك وفيه من الحوادث ان السلطان تغير خاطره على القاضى كاتب السر بدر الدين بن مزهر فقبض عليـه وعلى حاشـيته وسجنـه بالعرقانة وضربه ضربا مبرحا غـير ما مرة وسبب ذلك ان السلطان لما صادر الناس كما تقدم ندب القاضى بدر الدين الى ذلك فأظهر من الظلم والعسف والتشويش على الناس ما يطول شرحه وأظهر النتيجة فى ذلك للاشرف جان بلاط فانه كان صهره فكثر الدعاء عليه وأخذه الله من الجانب الذى يأمن اليه وكان كما يقال

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

ثم انه قرر عليـه مالا وأقام فى العرقانة حتى يورد ما قرر عليه من المال وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه فلما كان يوم الخميس ثانى عشره خلع السلطان على صلاح الدين بن يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين بن مزهر بحكم صرفـه عنها وهـذه آخر ولايتـه لكتابة السر فلم يعد اليها بدر الدين بعد ذلك وفى ليلة الجمعة ثالث عشره خسـف جرم القمر خسوفا تاما وأقام فى الخسوف الى قريب التسـبيح وغرب وهو مكسوف وفيـه توفى القاضى جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية وهو عبد الرحمن ابن محمد بن عبـد العزيز وكان عالما فاضـلا رئيسا حشما وفاته منصب القضاء غير ما مرة وهو اخر من روى صحيح مسلم عن الزين الزركشى بالسماع وكان قد طعن فى السن وقارب التسـعين من العمر وفيـه نودى من قبل السلطان بابطال ما تجدد من المكوس والمظالم الحادثة من بعـد موت الاشرف قايتباى وفيـه عاد تمر باى خازندار الامـير طومان باى

الدوادار

الدوادار الذى كان توجه الى قصروه نائب الشام ليمشى بينه وبين السلطان بالصلح فلم يوافق قصروه على ذلك وفيه توفى أصباى الاشرفى قايتباى وكان أحد الدوادارية وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى فى يوم الاثنين خامسه وصل هجان من الشام فى الخفية وعلى يده مكاتبات الى تمرباى خازندار طومان باى ليفرقها على الامراء وكان مضمونها أنه تسلطن بالشام وتلقب بالملك العادل واستفاض هذا الكلام بين الناس وفشا فلما فرق تمرباى المكاتبات على الامراء خاف على نفسه ففر تحت الليل وستر الله عليه حتى خرج من القاهرة وفيه جاءت الاخبار مفصلة بصحة ماجرى وهو أن العسكر لما وصل الى الشام نزل فى مكان يسمى سعسع بالقرب من دمشق فركب قصروه نائب الشام فى نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع فاطمأن له العسكر وكان غالب الامراء خشداشينه فلما حضر اليهم دخل معهم الى الشام واجتمعوا فى القصر الابلق الذى فى الشام بالميدان ولما حضر قصروه نائب الشام ذكروا له أنه يطلع الى القلعة ويقرأ مراسيم السلطان فطلع وطلع الامراء الى القلعة فعند ذلك قرؤا عليه مراسيم السلطان فلم يلتفت الى ذلك ثم تفاوض هو والامراء فى الكلام ثم ثارت فتنة كبيرة بالقلعة ثم أمر قصروه والامير طومان باى بالقبض على جماعة من الامراء وهم قرقماس ابن ولى الدين نائب حلب الذى قريبا وازدمر بن على باى أحد الامراء المقدمين وخاير بك اخو قانصوه البرجى أحد الامراء المقدمين وسودون بن يشبك الدوادار أحد الامراء المقدمين وقانصوه بن سلطان جركس الذى قرر فى نيابة حماه وقبض على آخرين من الامراء الطبلخانات والعشراوات فلما قبض عليهم قيدهم وسجنهم بالقلعة بدمشق وفى أثناء ذلك حضر الى دمشق دولات باى بن اركماس نائب حلب الشهير باخى العادل فلما حضر تعصب للأمير طومان باى وتكلم فى سلطنته فاحضر قضاة الشام وكتب صورة محضر فى خلع الاشرف جان بلاط من السلطنة وبايعوا طومان باى من غير خليفة وتلقب بالملك العادل أبى النصر وأحضر له شعار الملك فأفيض عليه وقبل له الامراء الارض فأول من قبل له الارض قصروه نائب الشام ثم بقية الامراء شيأ فشيأ فلما تم أمره فى السلطنة عين الاتابكية بمصر لقصروه نائب الشام وعين نيابة الشام لدولات باى نائب حلب وعين نيابة حلب الى اركماس بن ولى الدين وعين نيابة طرابلس لبردبك الطويل وعين نيابة صفد لجانم وقررقيت الرجبى فى امرية سلاح عوضا عن نفسه وقرر قانصوه الغورى فى الدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكاشف الكشاف عوضا عن نفسه وقرر قانى بك نائب الاسكندرية فى الرأس نوبة الكبرى وقرر اصطمر بن ولى الدين فى الحجوبية الكبرى وعين عدة امريات الوف وامريات طبلخانات وعشراوات لجماعة من عصبته ثم انه رسم بشنق أحد مشايخ العربان من أولاد ابن نبيعة وشنق شخصا آخر من مشايخ بنى حرام يقال له نابت

فلما تم أمره فى السلطنة خطب باسمه على منابر دمشق ثم أخذ فى أسباب الحضور الى مصر
فلما سمع الاشرف جان بلاط هذه الاخبار اضطربت أحواله وضاقت به الدنيا ثم أخذ فى
أسباب تقرير الوظائف للامراء الذين بمصر عوضا عمن أظهر العصيان بدمشق فاستمال
قلوبهم حتى يكونوا له عونا ويدخلوا تحت طاعته فاحضر لهم المصحف العثمانى وحلف عليه
سائر الامراء من كبير وصغير بعد صلاة الجمعة بحضرة الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة
الاربعة وكان قاضى القضاة الشافعى عبد القادر بن النقيب ألف صورة أيمان مغلظة بالله
وبالمصحف وبالحج وبالعتق والطلاق ثلاثا وغير ذلك من التأكيد فى الايمان المغلظة
وكتب ذلك فى سجل ودفعه الى صلاح الدين بن الجيعان كاتب السر ليحلف عليه الامراء
وكان هذا سببا لانتقام العادل من ابن النقيب لما حضر الى مصر وتم أمره فى السلطنة
فجرى على ابن النقيب منه أمور مهولة يأتى الكلام عليها فلما تكامل المجلس حلف
الامراء بتلك الايمان التى تقدمت أنهم لا يخونون ولا يغدرون ولا يميلون مع العادل
اذا حضر فحلفوا على ذلك ثم أحضر لهم عدة تشاريف فخلع على قانصوه المحمدى
المعروف بالبرجى وقرره فى امرية السلاح عوضا عن طومان باى بحكم سلطنته بدمشق
وقرر خشكلدى البيسقى الظاهرى خشقدم فى امرية مجلس عوضا عن قانصوه البرجى بحكم
انتقاله الى امرية سلاح وقرر مصرباى فى الدوادارية الكبرى عوضا عن طومان باى بحكم
سلطنته بدمشق وقرر سنباى نائب سيس فى الاميراخورية الكبرى عوضا عن قانى باى
الرماح بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر سودون العجمى فى الرأس نوبة الكبرى عوضا
عن قانصوه الغورى بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر بردبك المحمدى الاينالى فى حجوبية
الحجاب عوضا عن قيت الرجبى بحكم عصيانه وقرر قانصوه الصغير فى ولاية القاهرة وقرر
تانى بك الابح فى شادية الشراب خاناه وقرر اقباى الطويل فى تجارة المماليك وقرر تمرباى
أمير شورى فى استادارية الصحبة وقرر جان بردى رأس نوبة ثانى وأنعم بتقادم الوف
على جماعة من الامراء منهم بيبرس الفهلوان وأزبك المكحل وخشكلدى الذى كان
استادار الصحبة ودولات باى قرموط الذى كان والى القاهرة وأزبك الناشف وتمراز جوشن
وتمراز الزردكاش وقرقماس الشرابى وخير بك الكاشف وغير ذلك من الامراء ممن خامر
مع طومان باى ثم فرق عدة أقاطيع على الخاصكية عوضا عمن كان صحبة طومان باى ثم
أخذ فى أسباب تحصين القلعة فركب حولها المكاحل المعمرة بالمدافع وأصلح سورها
وأبراجها وبنى فوق سلم المدرج بابا وهو موجود الى الآن ثم بنى برجا محيطا على باب
السلسلة فبناه بالفص الحجر وصنع فيه مرامى وأبوابا صغارا ثم سد باب الميدان وباب
حوش العرب وباب الاصطبل الذى عند الصوة وصار ينزل فى النهار مرتين يكشف على

العمارة بنفسه ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن فهدم منها بعض شيء من وراء ظهر محراب القبة فأقاموا يهدمونها ثلاثة أيام فلم يقدروا على هدم ذلك فتكلم الامير تغرى بردى الاستادار مع السلطان في عدم ذلك فرجع السلطان وترك الهدم وقد تأسف الناس على هدمها لانه لم يعمر في الدنيا مثلها ولو هدمها ما كان يفيده من هدمها شيء وما كان يقدر على هدمها فكان ترك ذلك أوجب وقد ظهر عجزه عن ذلك وفي هذه الواقعة يقول شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفي

هتكت قبة الحسن * وانتفى وصفها الحسن

ان في ذا لعبرة * لكن المستفيق من

وقال محمد بن قانصوه بن صادق سامحه الله

حسن السلطان قد هتكت * خيفة المحذور رقبته

تعس الراضي بذا وغدت * مثلها في الهتك حرمته

ثم ان السلطان نقل الى القلعة من البقسماط والجبن والغنم والبقر والاوز والدجاج والقمح والشعير وأشياء كثيرة من احتياج المطبخ ما يكفي للمحاصرة نحو الشهرين ثم نادى في القاهرة باصلاح الدروب واصلاح باب المدينة فاضطربت الاحوال وتزايدت الاقوال وكثر القيل والقال ووزعوا قماشهم في الخبايا وظن كل أحد أن هذه فتنة مهولة ما تنجلي الا عن أمور شتى وصار الناس في رعب من ذلك وقد اشتد الامر جدا وفيه قبض السلطان على اسماعيل زامل وشنقه على باب الميدان وسبب ذلك انه لما هرب تمرباي خازندار طومان باي الذي تسلطن بالشام مكنه أن يتوجه الى الشام وما أعلم السلطان بذلك فشنقه لاجل ذلك وصار له ذنب كبير ثم ان السلطان أراد أن يقبض على الامير طراباي ويعوقه بالقلعة ساعة ثم بدا له ترك هذا الامر ثم ان السلطان رسم بقطع سلالم مدرسة السلطان حسن وأمر بنقض أماكن من دار يشبك الدوادار ونقل الى القلعة أخشابا كثيرة صنع منها عدة طوارق وسلالم خشب وغير ذلك من آلة الحرب ثم فتح الزردخانه وفرق منها على جماعة من الجند عدة سيوف وزرديات ولبوس وتراكس وقسي ونشاب وغير ذلك ثم فرق عليهم عدة خيول خاص من خيول الامراء الذين خامروا مع طومان باي فأخذ خيولهم وفرقها على العسكر وفرق عليهم من خيوله الخاص أيضا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وأنعم على أكثرهم بوظائف واقطاعات وفرق مثالات تكتب على بياض على جميع من كان عنده ولم يفده من ذلك شيء فكان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

وفي جمادى الآخرة في يوم الاربعاء مستهله خلع السلطان على الامير عبد اللطيف الطواشي

وقررمزماماوخازندارا كبيراعوضاعن جوهر المعيني بحكم وفاته كما تقدم وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي عبيد القفاص وكان من الصالحين وفي يوم السبت رابعه جاءت الاخبار بأن العادل طومان باي خرج من الشام هو وقصروه نائب الشام ودولات باي نائب حلب وجماعة من النواب والتف عليهم الجم الغفير من عسكر الشام وعربان جبل نابلس والعشير وغير ذلك وقد وصل الى غزة فلما تحقق السلطان ذلك علق الصنجق السلطاني على باب السلسلة ونادى للعسكر بأن يطلع الطائع الى القلعة ومعه آلة الحرب وان سائر الامراء تطلع الى القلعة صغارهم وكبارهم ثم رسم لقضاة القضاة بأن يطلعوا الى القلعة فطلعوا الى القلعة وكذلك سائر المباشرين من أرباب الوظائف يطلعون الى القلعة أجمعين فامتثلوا ذلك وطلعوا الى القلعة وأقاموا بها واحتاط في الامور بكل ما يمكن ولم يفده من ذلك شيء فكان كما يقال

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده

فلما كان يوم الخميس تاسعه وصل العادل بمن معه من العساكر الى خانقاه سرياقوس ودخل أوائل عسكره الى القاهرة فماجت القاهرة واضطربت وقلق الاشرف جان بلاط وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فكان كما يقال في المعنى

قد كان يرجف في ليالي وصله * قلبي فكيف الآن عند صدوده

وفيه جاءت الاخبار بوصول عسكر العادل الى المطرية فخرج اليه بعض العساكر السلطانية وتقاتلوا معهم هناك قتالا هينا ففر منهم أزبك النصراوي ودخل تحت طاعة العادل وقبل له الارض فخلع عليه العادل هناك وقرره والى الشرطة بالقاهرة ثم ان بعض المماليك توجه الى بيت العادل الذي كان ساكنا به وهو بيت الظاهر تمربغا الذي عند سوق السلاح بالقبو فاحرقوا مقعده ومبيته ونهبوا منه بعض أثاث وفي يوم السبت حادي عشره كان دخول العادل طومان باي الى القاهرة فدخل من باب الفتوح ورفع على رأسه صنجق خليفتي وكان معه من الامراء قاني باي الرماح أمير اخور كبير وقانصوه الغوري رأس نوبة كبير وقيت الرحبي حاجب الحجاب وكان معه من النواب قصروه نائب الشام ودولات باي نائب حلب وبرديك الطويل نائب طرابلس وجانم نائب حماه وغير ذلك من الجند والعربان والعشير فشق من القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس قاطبة فنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وان لا يشوش أحد على أحد من الرعية فتزايدت له الناس بالدعاء وكان الناس يظنون ان العادل طومان باي يخرب مصر عن آخرها بسبب ما يقع من الفتن وان الامر يطول في ذلك فما حصل الا كل خير وانفرج الامر عن قريب فاستمر العادل طومان باي في ذلك

الموكب وكان له يوم مشهود حتى توجه الى بيت قانى بك قرا الذى عند حمام الفارقانى فنزل به ونزل قصروه بالازبكية بدار الاتابكى أزبك ونزل دولات باى نائب حلب بجامع شيخو ونزل نائب طرابلس بدار أزبك اليوسفى أمير مجلس الذى كان بدرب ابن البابا بالقرب من الصليبة وتوزع الامراء والنواب الذين حضروا صحبة العادل كل واحد فى مكان بالقرب من الصليبة ثم ثار الحرب بين الفريقين وعظم الامر جدا وكان القائم بنصرة العادل قصروه نائب الشام فأمر بحفر خنادق فى الطرقات ووراءها سور من الحجارة فحفروا خندقا برأس الرميلة عند سويقة ابن عبد المنعم وخندقا عند حدرة البقر وخندقا عند باب الوزير وخندقا برأس سوق جامع أحمد بن طولون وخندقا عند سوق القبو عند مدرسة السلطان حسن فكانت خمسة خنادق ثم ان العادل أحضر عدة أخشاب لاطات وجزم وصوارى وأحضر جماعة نجارين فصنعوا منها عدة طوارق وسلالم وشرعوا فى عمل مجانيق وسدوا عدة أماكن شتى وبنوا عليها ادروباوصار يغلقونها وظنوا أن هذه الفتنة يطول أمرها ففى اليوم الثالث من المحاصرة ملك قصروه مدرسة السلطان حسن وركب المكاحل المعمرة بالمدافع ووقف بها ورموا على من بالقلعة بالسبقيات و بالبندق الرصاص فقتل ممن كان بالقلعة جماعة كثيرة وجرح آخرون فضعف عزمهم عن القتال وبانت الكسرة عليهم ولم يكن عند الاشرف جان بلاط بالقلعة سوى الاتابكى تانى بك الجمالى والأمير طراباى والامير مصرباى والامير قانصوه البرجى وخشكلدى البيسقى ونائب سيس سنباى وآخرين من الامراء المقدمين وغيرهم وكان الرماة أشاعوا عن السلطان جان بلاط لما وصل العادل الى المطرية أن يخرج اليه الاتابكى تانى بك الجمالى وآخرون من الامراء ويحاربونه وكان هذا عين الصواب لوفعلوه كما يقال فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد

ثم ان العادل قصد أن يحضر جماعة من فرسان عربان الشرقية يقاتلون معه كما فعل أقبردى الدوادار فلم يوافقه الامراء على ذلك وقالوا هذا يحصل منه غاية الفساد فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره اشتد الحرب بين الفريقين ووقع بينهما واقعة مهولة بباب الوزير فجرح فيها شخص من الامراء الطبلخانات يقال له تمرباى الطويل استادار الصحبة فلما جرح أغمى عليه فسقط عن فرسه فأخذوا لبسه وسلاحه وحمل الى داره فمات بعد أيام وفى ذلك اليوم تقنطر الامير مصرباى الدوادار بالتبانة وأخذوا فرسه من تحته ونجا بنفسه وهرب وجرح فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من الفريقين وقتل فى ذلك اليوم أيضا الامير قانى بك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين قتل بكفيه وكان من عصبة الامير اقبردى الدوادار

وحضر الى القاهرة صحبة قصروه نائب الشام وكان مقيما بالشام وقتل جماعة من الخاصكية فى ذلك اليوم وفى يوم الأربعاء خامس عشره استمر الحرب ثائرا بين الفريقين الى يوم الخميس سادس عشره فأنفق العادل طومان باى على العسكر الذين من عصبته جامكية شهر وصار الاشرف ينفق الجامكية بالقلعة على من عنده من العساكر والعادل طومان باى ينفق الجامكية فى بيت تانى بك قرا على من عنده من العسكر فلما تلاشى أمر الاشرف جان بلاط وترشح أمر العادل طومان باى ولاحت عليه لوائح النصر صار جماعة من الامراء والعسكر يتسحبون من القلعة و ينزلون عند العادل طومان باى فنزل اليه قانصوه الفقيه وتمر الظاهرى وجان بلاط الابح وقانى بك الابح وغير ذلك من الامراء والخاصكية ثم نزل فى ذلك اليوم القاضى عبد القادر القصروى وتوجه الى العادل فخلع عليه وأقره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى أحمد ناظر الجيش وكان الاشرف جان بلاط وعد العسكر أنه ينفق عليهم مع الجامكية فلم ينفق عليهم شيأ فانقلبوا عليه وتسحبوا غالبهم وأتوا الى العادل فرحب بهم فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خرج العادل من بيت تانى بك قرا وهو راكب وعليه سلارى شوح احمر بفرو سمور وعلى رأسه تخفيفة صغيرة والامراء حوله فتوجه الى جامع شيخو فصلى به صلاة الجمعة فارتفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان يوما مشهودا فلما خطب الشرفى يحيى بن العداس خطيب جامع شيخو دعا فى آخر الخطبة باسم الملك العادل فهى أول خطبة خطبت باسم العادل فى القاهرة قبل أن يخلع جان بلاط من السلطنة وقد خاطر الشرفى يحيى بن العداس بنفسه فى ذلك فعد ذلك من النوادر فلما تسلطن العادل وتم أمره فى السلطنة كتب للشرفى يحيى بن العداس جامكية فى كل شهر ألف درهم فى نظير ذلك وفى يوم السبت ثامن عشره وقت صلاة الفجر نزل من القلعة جماعة من الامراء العشراوات منهم جان بردى الغزالى وخاير بك الكاشف وآخرون من الخاصكية فتوجهوا الى العادل ثم ان جان بلاط رسم بتفرقة الجامكية الثانية فى الاصطبل السلطانى وحضر هناك العسكر وهم لابسون آلة الحرب فبينما العسكر الذين بالقلعة مشغولون بنفقة الجامكية واذا بالقلعة قد ماجت واضطربت وثار الجم الغفير بالرميلة من المماليك الذين من عصبة العادل فنهبت الجامكية عن آخرها التى أنفقت بالاصطبل وكان سبب ذلك ما استفاض بين الناس أن الملك الاشرف جان بلاط كان مقيما فى مدة حصاره بالقلعة بالقصر الكبير وعنده جماعة من المشايخ الصوفية ومن يعرف بالصلاح فلما ضاق الامر على الاشرف جان بلاط قام ودخل الى دور الحريم فأبطأ فيه ساعة طويلة فعمد الامير طراباى الى النمجاة والترس فأخذهما ونزل بهما من القلعة وتوجه الى العادل طومان باى وأشاع ان الاشرف

جان بلاط قد هرب من القلعة فلما سمع بذلك الاتابكى قصروه وكان مقيما بمدرسة السلطان حسن حطم عن معه من الجند ذلك باب السلسلة وسلم المدرج من غير مانع ولم يفد تحصين الاشرف جان بلاط شيأ ولا بنايته تلك الابراج ولا تركيب المكحلة الكبيرة التى يقال لها المجنونة وكان هذا اخذلانا من الله تعالى له وقد قلت فى المعنى مع التضمين

تحصن خوفا جان بلاط بقلعة * فلم تدفع الاعداء عنه المدافع

وكانت مدافعه كفارغ بندق * خلى من المعنى ولكن يفرقع

فلما كانت الكسرة على الاشرف جان بلاط وقع النهب بالقاعة فى الحواصل السلطانية فنهبوا أشياء كثيرة من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك مما نقله الاشرف جان بلاط الى القلعة من أغنام وأبقار و بقسماط وسكر واحتياج المطبخ وغير ذلك ثم انه فى ذلك اليوم رسم العادل بالافراج عن القاضى بدر الدين بن مزهر كاتب السر وكان الاشرف جان بلاط سجنه بالعرقانة وقرر عليه مالاله صورة وأقام بالعرقانة مدة طويلة فأفرج عنه ونزل الى داره فى ذلك اليوم فلما حصلت هذه النصرة من غير قتال مهول ركب العادل طومان باى من بيت تانى بك قرا وعلى رأسه الصنجق السلطانى وصعد الى باب السلسلة من غير مانع وملكه وكان من أمر سلطنته ما سيأتى الكلام عليه فى موضعه فى أثناء ذلك اليوم قبض على الاشرف جان بلاط قيل وجد فى مكان مهجور بدور الحريم فأمسك من هناك فلما قبضوا عليه أدخلوه الى قاعة البحرة وقيدوه بقيد ثقيل ووكلوا به جماعة من الخاصكية وفيهم شخص من مماليك اقبردى الدوادار فحصل للاشرف جان بلاط منه غاية الضرر والبهدلة وما لا خير فيه فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم

عند تمام المرء يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه

﴿ومنها﴾

كم عشت فى لذة عيش وهنا * فاصبر الآن لهذى المحنا

ثم نقل الاشرف جان بلاط من البحرة الى المبيت الذى بجوار المقعد الذى بالحوش فأقام نحوا من ثمانية عشر يوما وقيل كان تأخير الاشرف جان بلاط هذه المدة لأجل ان يورد ما قرره عليه العادل من المال فلما كان يوم الاثنين خامس رجب توجهوا بالاشرف جان بلاط الى السجن بثغر الاسكندرية فنزلوا به من باب الدرفيل وقت الظهر وهو مقيد وخلفه أوجاقى بخنجر فتوجهوا به من جهة الجراة الى البحر فنزلوا به فى الحراقة وساروا الى الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير انس باى أحد المقدمين والامير قانبردى أحد الامراء العشراوات وجماعة من الخاصكية فتوجهوا به الى الاسكندرية ورجعوا وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ستة أشهر وثمانية عشر يوما وكان فى هذه المدة فى غاية الضنك مع الامير طومان

باى وآخر الامر وثب عليه وخلعه من السلطنة وحاصره وهو بالقلعة نحوا من سبعة أيام فانه دخل الى القاهرة يوم السبت حادى عشر هذا الشهر وهو جمادى الآخرة وملك القلعة يوم السبت ثامن عشره وتعب فى تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من كل صنف كما تقدم وظن ان حصار القلعة يطول فما افاده ذلك شيأ وكان الاشرف جان بلاط أرسل غليظ القلب قليل الخط عسوفا ظالما حصل منه فى مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الاموال ولو أقام فى السلطنة لحصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والاذى فعجل الله تعالى به ومن مساويه ما وقع له مع اقبردى الدوادار فانه كان من أعز أصحابه وقيل ضبط ما وهبه له اقبردى فكان ينيف عن خمسين ألف دينار ثم بعد هذا الاحسان انقلب عليه كأنه لم يعرفه وكانت صفته أبيض اللون طويل القامة مستدير الوجه أسود اللحية جميل الهيئة حسن الشكل تولى الملك وله من العمر نحو من أربعين سنة وكان من خواص الاشرف قايتباى وساعدته الاقدار حتى تسلطن وأقام هذه المدة اليسيرة وآل أمره الى أن خنق وهو مسجون بالبرج كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف جان بلاط وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل طومان باى بن قانصوه أبى النصر الاشرفى قايتباى

وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية وكان أصله جركسى الجنس اشتراه قانصوه اليحياوى نائب الشام وقدمه مع جملة المماليك الى الاشرف قايتباى فأقام بالطبقة مدة طويلة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية جمدارا ثم بقى خاصكيا خازندار كيس فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ثم بقى أمير عشرة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم قرره فى نيابة الاسكندرية فى سنة اثنتين وتسعمائة وبوجه اليها وأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى مصر ثم بقى مقدم ألف دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر قانصوه ثم بقى أمير سلاح ودوادارا كبيرا واستادارا ووزيرا وكاشف الكشاف ومدبر المملكة فى دولة الاشرف جان بلاط ثم ثم سافر لما عصى قصروه نائب الشام فتسلطن هناك وعاد سلطانا كما تقدم فلما دخل الى القاهرة وصحبته قصروه وبقية النواب قام قصروه بنصرته قياما حافلا وصار ينفق على حفر الخنادق ويشيل التراب بالقفة على راسه وكتفه هو ومماليكه مع الفعلاء ونصب المكاحل على مدرسة السلطان حسن ووقف الرماة بالبندق الرصاص واستمر

يحاصر القلعة سبعة أيام فلما كان يوم السبت ثامن عشر هذا الشهر انكسر الاشرف
جان بلاط خطم العادل وملك باب السلسلة من غير مانع فلما استقر بباب السلسلة
قبض على قاضي القضاة الشافعي محيي الدين عبد القادر بن النقيب ووكل به جماعة من
الاوجاقية وقرر عليه مالاله صورة فنزلوا به وهو ماش على أقدامه وحوله اوجاقية ورسل
قابضين عليه من اكمامه فشقوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فسبه العوام وكادوا أن
يرجموه حتى جاءه بعض الاتراك واستمر على ذلك حتى أتوا به الى بيت على بن أبي الجود البزدار
وكان ساكنا في ربع الاشرف برسباي الذي بالصليبة فأقام هناك في الترسيم حتى يورد المال
الذي قرر عليه وكان قد بلغ العادل ما رتبه من الاقسام المغلظة التي حلفها الاشرف
جان بلاط للعسكر لما بلغ ابن النقيب سلطنة العادل بدمشق فانتقم منه العادل بسبب ذلك
وعزله عن القضاء فكانت مدته في هذه الولاية ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما وسيعود
الى القضاء ثانيا عن قريب وقد قلت في ذلك

ولوك أشرف منصب يا قاضيا * لكن ان عدل الزمان ستنسخ
طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

ثم ان الملك العادل طلب قاضي القضاة زين الدين زكريا فلما توجهوا اليه امتنع من الحضور
واعتذر بأنه متوعك في جسده فلازالوا به حتى أركبوه وطلعوا به الى القلعة فخلع عليه
العادل وأعاده الى القضاء عوضا عن ابن النقيب بحكم عزله كما تقدم ثم حضر قاضي قضاة
الحنفية ابن الكركي وقاضي قضاة المالكية عبد الغني بن تقي وقاضي قضاة الحنابلة الشهاب
الشيشيني ثم حضر أمير المؤمنين أبو الصبر المستمسك بالله يعقوب فلما تكامل المجلس
عملوا صورة شرعية في خلع الاشرف جان بلاط وولاية العادل طومان باي فخلع جان بلاط
من السلطنة وبايع الخليفة طومان باي بالسلطنة وجدد له مبايعة ثانية زيادة على ما بيده
من مبايعته بالشام واستمر على لقبه بالعادل الذي تلقب به بالشام وكان أولا تلقب بالملك
المؤيد وهو بالشام ثم تحول لقبه الى الملك العادل فلما انكسر الاشرف جان بلاط كما
تقدم وطلع العادل الى القلعة لم يجلس بالمقعد الذي بباب السلسلة بل طلع الى القصر الكبير
وجلس به وحضر الخليفة العباسي والقضاة الاربعة ووقعت مبايعته هناك وأفيض عليه
شعار الملك واجتمع عليه هناك الامراء والعسكر وأرباب الدولة قاطبة واستمر على ذلك حتى
جلس على سرير الملك ورفع الزردكاش القبة والطير على رأسه وكان قانى بك الجمالي أمير
كبير مختفيا وقبل له الامراء الارض قاطبة ثم خلع على الخليفة العباسي وكان ساكنا
بالقلعة ثم قرر قصروه في الاتابكية عوضا عن قانى بك الجمالي بحكم اختفائه فخلع عليه
في ذلك اليوم الفوقاني الذي كان الاشرف جان بلاط صنعه له عند توجهه الى دمشق وكان

فوقانى حرير أزرق بوجه مخمل أخضر بطرز يلبغاوى عريض طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين وزنه ف قيل فيه من الذهب ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل مثله قط ثم قام العادل لقصروه وقبل رأسه ونزل من القلعة فى موكب حافل فتوجه الى الازبكية بدار الاتابكى أزبك وكان هذا كله عين الخداع من العادل فى حق قصروه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما يقال فى المعنى

اذا رأيت ثنايا الليث كاشرة * فلا تظن بان الليث يبتسم

ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وكان محببا للناس ولاسيما العوام فزينت له القاهرة سبعة أيام متوالية وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وصار كل أحد فى فرح بسلطنته وانفرجت تلك الفتنة عن الناس عن قريب وكان يظن كل أحد أن أمر الفتنة يطول ويتسع فآل الامر الى خير بخمود الفتنة عن قريب فكان كما يقال

ملك نداه المبتدا * للناس والمدح الخبر

أمضى لسان سيفه * حكم القضاء والقدر

فلما تم أمره فى السلطنة كان أول شئ صدر منه من الافعال الشنيعة أنه قبض على خوند أصلباى أم الناصر وزوجة الاشرف جان بلاط وأخت الظاهر قانصوه فوكل بها عشرة من الخدام وقرر عليها نحوا من خمسين ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار فباعت أشياء كثيرة من قماشها وأخذت فى أسباب وزن ما قرر عليها من المال ثم انه عزل برهان الدين ابن الكركى عن قضاء الحنفية وقرر بها الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة وهذه أول ولايته لقضاء الحنفية وفيه قرر قرقماس المقرى فى الحسبة فلما قرر بها قبض على محمد الباسطى الذى كان متكلما فى الحسبة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى فلما قبض عليه ضربه بالمقارع فى يوم شديد البرد وأشهره فى القاهرة على جمل فما أطاق ذلك ومات عن قريب وكان من الظلمة الكبار وفيه خلع على اسنباى الاصم وقرره فى الجوبية الثانية وقرر نوروز أخا يشبك الدوادار فى رأس النوبة الثانية وقرر طومان الاشرفى فى الامير اخورية الثانية وقرر القاضى عبد القادر القصروى فى نظر الجيش وصرف عنها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص وفيه رسم السلطان برم ما فسد من حيطان مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة فرم ذلك جميعه وفيه توفى الشرفى يونس بن محمد أينبك أحد الزردكاشية وكان لا بأس به وفى ليلة الخميس مستهل رجب جرى من الحوادث الغريبة ان الاتابكى قصروه طلع الى القلعة ليبيت عند السلطان وكان يبيت بالقلعة ليلة الاثنين وليلة الخميس فى تلك الايام فلما طلع على جارى العادة وأكل السماط وجلسوا ساعة يتحدثون قال له

السلطان قلبي خائف منك يا أمير كبير فلما صلى العشاء مع السلطان أمر بعض الخاصكية بالقبض عليه فأقاموه من مجلس السلطان وتوجهوا به الى المكان الذى أنشأه الظاهر قانصوه بجوار الدهيشة فأقام هنالك أياما ثم أمر بخنقه فخنق تحت الليل وغسل وكفن وأنزلوه من باب الدرفيل فدفن فى تربة الصاحب خشقدم الزمام التى بالقرب من حوش العرب وكان قصروه أميرا جليلا رئيسا حشما مهيبا مبجلا وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر وكان فى أيام العادل له الامر والنهى فى الموكب واذا نزل من القلعة يتوجه معه الامراء الى الازبكية وجميع قراء البلد والوعاظ وعزم على سائر الامراء فى ليلة وعمل أسمطة حافلة جدا وحضر عنده جميع الامراء أكابرهم وأصاغرهم وباتوا عنده وأنعم فى تلك الليلة على جماعة من الامراء بخيول ومال حتى استمال قلوبهم وكان يوصف بالكرم الزائد مع الشجاعة فوعد العسكر بكل جميل فمالوا اليه وعولوا فى السلطنة عليه فلما بلغ العادل ذلك المجلس استغنم الفرصة وبادر بالقبض عليه وخنقه تحت الليل ودفنه فكان كما قيل فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تنتهزها غصة

وقد قلت فى واقعة قصروه عدة مقاطيع منها

اعجبوا من أمر قصروه الذى * ملكه بالشام جهلا قد ترك
وأتى مصرا فما نال المنى * ورماه الدهر فى وسط الشرك

﴿وقولى فيه﴾

كان قصروه قصيرا عمره * خانه الدهر فولى مسرعا
طلبوا التسليم منه فأبى * ثم ما سلم حتى ودعا

﴿وقولى فيه أيضا مضمنا﴾

لم ينل قصروه ما أمله * من علو فاته فى دهره
رام كيد الملك عادل * فرماه كيده فى نحره

ولكن كان العادل باغيا على قصروه ووشت بينهما الاعادى بالكلام حتى وقع بينهما وجرى ما جرى من القتل وكان قصروه سببا لنصرته بالشام وبمصر وكان فى الحصار بمصر معه بكل ما يمكن كما تقدم وكان يشيل التراب مع الفعلاء على كتفه عند حفر الخنادق وقت محاصرة القلعة عند حضوره من الشام وما أبقى ممكنا فى نصرة العادل على جان بلاط وآخر الامر قتله ظلما فلم يعش الملك العادل بعده الا أياما قلائل وقد قال على كرم الله وجهه من سل سيف البغى قتل به وفى الامثال

البغى داء ما له دواء * ليس لملك بعده بقاء

وكان بين العادل طومان باى وبين قصروه أيمان غليظة وعهود ومواثيق وما كان قصروه يظن أن العادل يخون تلك الايمان والعهود كما قيل

وحلفت أنك لاتميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتنى

وكان قصروه عفيفا عن المنكرات شجاعا بطلا سخى النفس غير أنه كان عنده طيش وخفة وسلامة باطن ومات وقد قارب الخمسين سنة من العمر ووخزه الشيب فلما مات تأسف عليه الكثير من الناس وزال حب طومان باى من قلوب الناس كأنه لم يكن ولم يستحسن أحد منهم قتله لقصروه الذى كان سببا النصرته فنفرت عنه قلوب الرعية وكان هذا على غير القياس كما يقال

لاتشكرن امرأ حتى تجربه * ولاتذمنه من غير تجريب

فشكرك المرء مالم تختبره خطا * وذمه بعد شكر محض تكذيب

ويقرب من واقعة قصروه مع العادل طومان باى ماوقع لطشطمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخرى مع الملك الناصر محمد بن قلاون فان طشطمر وقطلوبغا الفخرى كانا سببا النصرته لما حضر من الكرك فلما تسلطن قبض عليهما وقيد طشطمر وقطلوبغا ولم يرع لهما ودا ثم أمر بتوسيطهما عند عوده من الكرك ولم يكن لهما من الذنب ما أوجب ذلك وهذه الافعال ماتصدر الا من جاهل أحمق يعد من جملة المجانين وكانت هذه الواقعة فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وفعل العادل هذه الفعلة مع قصروه بعد ما خدعه وألبسه الاتابكية وخلع عليه وعلى الامراء الذين كانوا معه بالوظائف السنية منهم قيت الرحبى خلع عليه وقرره فى امرية سلاح وقانصوه المحمدى البرجى خلع عليه وقرره فى امرية مجلس وقانصوه الغورى خلع عليه وقرره فى الدوادارية الكبرى وخلع على قانى باى الرماح وقرره فى الاميراخورية الكبرى وخلع على طراباى الشريفى وقرره فى الرأس نوبة الكبرى وخلع على طشتمر وقرره حاجب الحجاب وأنعم على جماعة بامريات تقادم ألوف منهم خضر بك أخو قانصوه البرجى أنعم عليه بتقدمة ألف وطبلخانات وعشراوات ووظائف ممن كان فى عصبته وفيه قبض السلطان العادل على تخشباى الذى كان نائب حماه ثم بقى مقدم ألف فى دولة الاشرف جان بلاط وقبض على تمراز جوشن أميراخور ثانى ثم شفع فيه بعض الامراء فقرره بحجوبية الحجاب بدمشق وخرج من يومه ثم قبض على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية وعلى جماعة أخر من الامراء العشراوات والخاصكية ممن كان من عصبة قصروه وفى يوم الخميس ثامن رجب قبض السلطان على الامير قانصوه البرجى المحمدى أمير مجلس وأمر بنفيه الى مكة المشرفة بطالا فتوجه من البحر الملح ثم قبض على قلج نائب الاسكندرية وبعثه الى الشام بطالا وقبض على جان بلاط الموتر الذى كان

محتسبا ونفاه وفيه خرج الاشرف جان بلاط منفيا الى ثغر الاسكندرية وهو مقيد كما تقدم وفى يوم الجمعة عاشره عقد السلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة العلائى على بن خاص بك زوجة الاشرف قايتباى فعقد لها عليه بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة العقد وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على قان بردى اليوسفى بتقدمة ألف وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن طراباى الشريفى بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وفيه عمل الموكب وخلع على جماعة من الامراء فخلع على دولات باى المشهور برباخى العادل وقرره فى نيابة الشام وقرر ارقماس بن ولى الدين فى نيابة حلب عوضا عن دولات باى وخلع على جانم بن قجماس وأقره فى نيابة طرابلس عوضا عن بردبك الطويل وخلع على الامير سنباى نائب سيس وقرره فى نيابة حماه وخلع على قانصوه الفاجر وقرره فى نيابة صفد وخلع على ملاج الاشرفى قايتباى وقرره فى نيابة القدس وخلع على قصروه الصغير وقرره فى نيابة البيرة وخلع على جانم وقرره فى نيابة طرسوس فلما خلع عليهم استحثهم فى الخروج بسرعة الى محل ولايتهم فخرجوا بغير اطلاب وفيه أمر بنفى جماعة من الامراء العشراوات الى نحو قوص منهم جان بردى الغزالى وقرقماس قرا وقايتباى وآخرون من الخاصكية وقيل انه فقد منهم جماعة وفيه فى يوم السبت سادس عشريه خلع السلطان على جانبك السيفى اقبردى الدوادار وقرره فى شادية الشراب خاناه وقرر طوخ المحمدى فى نيابة القلعة وقرر تمرباى أحد خواصه فى الخازندارية الكبرى وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم طقطباى وماماى جوشن وفيه حضر خاير بك أخو قانصوه البرجى وكان ممن سجن بقلعة دمشق مع الامراء المقدم ذكرهم فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت الاتابكية شاغرة من حين قتل قصروه فرسم السلطان للامير طراباى أن يتكلم فى جهات الاتابكية حتى يقرر فيها من يختار وفيه عزل السلطان القاضى عبد البر الحنفى وأعاد البرهان بن الكركى فكانت مدة القاضى عبد البر فى القضاء أياما وعزل عنها وقد قلت فى ذلك

ولولا قاضى القضاة لكن * جاؤه بالعزل عن قريب
فمدة الحكم منه كانت * أقصر من جلسة الخطيب

ولما أعيد قاضى القضاة برهان الدين بن الكركى الى القضاء قلت فى ذلك

بقاضى القضاة استبشرت مصر فرحة * بعودته فى منصب للشرائع
فقيل من أولى برتبة القضا * على مذهب النعمان من كل بارع
أشار اليه بالايادى مليكها * وأوما اليه نيلها بالاصابع

وقد سعى ابن الكركى فى عوده الى القضاء بمال له صورة وفيه اختفى شيخنا جلال الدين

السيوطي وقد طلبه ليفتك به وكان بينهما حظ نفس من حين كان السلطان العادل في الدوادارية الكبرى وجرى بينهما أمور شتى يطول شرحها فلما اختفى قرر السلطان الشيخ يس البلبيسي في مشيخة الخانقاه البيبرسية عوضا عن الجلال السيوطي بحكم صرفه عنها وقد جاءت الاخبار بالقبض على مغلباي زجاج حاجب دمشق ونائب قلعتها أيضا ثم ان السلطان قرر في حجوبية دمشق بردبك تفاح وقرر تمر بن جانم الظاهر في حجوبية حلب عوضا عن تمراز جوشن وكانت حيلة عليه فلما خرج أرسل بالقبض عليه ومضوا به الى القدس بطالا وفي شعبان المبارك كانت تفرقة السلطان لنفقة البيعة وفيه حضر قاصد علي دولات وعلى يده مكاتبات للسلطان تتضمن أنه أرسل يشفع في الامير قاسم نائب البيرة وكان فر الى ابن عثمان وعاد فأقام عند على دولات حتى شفع فيه عند السلطان وفيه عوّل السلطان بالقبض على الامير خشكلدي البيسقي فلما بلغه ذلك فر من داره واستمر مختفيا حتى جرى للعادل ما جرى وفيه طلع جهاز خوند الخاصكية الى القلعة فشق من الصليبة وكان يوما مشهودا وفي يوم الاثنين رابع الشهر المذكور جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بقتل الاشرف جان بلاط مخنوقا وهو بالبرج بالاسكندرية قاتل الله من فعل به ذلك وكان قد أرسل العادل مرسومه على يد مصرباي الصغير الى نائب الاسكندرية بخنقه وهو في قيده وقيل لما أرادوا خنقه أحدث في ثيابه وصار يخير كالثور العظيم فلما مات غسل وكفن وصلي عليه ودفن بمقابر الاسكندرية ثم نقل بعد موته كما سيأتي الكلام عليه في موضعه وكان الاشرف جان بلاط ملكا جليلا وافر العقل جميل الهيئة وكان من خواص الاشرف قايتباي وتولى عدة وظائف سنية منها تجارة المماليك وتقدمة ألف والدوادارية الكبرى ونيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر ثم تولى السلطنة وأقام بها ستة أشهر وثمانية عشر يوما وآل أمره الى أن مات مخنوقا بالسجن وقاسى شدائد ومحنا كما يقال في الامثال

والمرء لا يدري متى يمتحن * فانه في دهره مرتهن

ولما مات الاشرف جان بلاط كان له من العمر زيادة على الاربعين سنة ولما مات على تلك الحالة رثيته بهذه الابيات

جان بلاط بداله * طالع النحس طرده
نجمه لاح مخبرا * بمعكوس مؤبده
عند ما ظن انه * نال بالملك مقصده
جاءه الموت عاجلا * في بروج مشيده

وفي يوم الخميس سابعه صعدت خوند الخاصكية زوجة الملك العادل طومان باي الى القلعة

فخرجت من بيتها الذى بقنطرة سنقر وهى فى محفة زركش ومشى قدامها رؤس النوب والحجاب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى أيضا قدامها الوالى ونقيب الجيش وعبد اللطيف الزمام وأعيان الاكابر والمباشرين منهم كاتب السر صلاح الدين بن الجيعان وعبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلاء الدين بن الصابونى وناظر الخاص وبقية المباشرين قاطبة وأعيان الطواشية منهم عنبر مقدم المماليك وآخرون من الخدام وكان معها من نساء الامراء والاعيان نحو مائتى امرأة فلما وصلت الى باب الستارة فرشت لها الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثر عليها خفائف الذهب والفضة وحمل الزمام القبة والطير على رأسها حتى جلست بقاعة العواميد والنوبة السلطانية عمالة وكان يوما بالقلعة مشهودا واستمر المهم بالقلعة عمالا ثلاثة أيام وكان لها موكب حافل لما شقت من الصليبة وكان قدامها المجمع السلطانى والبقج وطشت وابريق بلور ومدورة زركش ولم يتفق لاحدى الخوندات قبلها أنها نزلت من القلعة وعادت اليها على هذا الوجه سوى هذه وخوند اصلباى أم الملك الناصر ولكن هذه أعظم وأحكم موكبا وقلت فى هذه الواقعة أبياتا لطيفة المعنى

عادت خوند الى سرور ثان * مذ زوجت بالعادل السلطان
فى وجهها الاقبال والبشر الذى * يتقاولون به بكل لسان
طلعت كشمس الافق ضمن محفة * تجلى كحور العين وسط جنان
فى موكب يحكى مواكب قيصر * فاقت على كسرى أنوشروان
لما أتت عند الصعود لقلعة * نثرت عليها الدر كالعقيان
عادت الى الاوطان فى بشروفى * عز واقبال وصفو زمان
نالت مراتب عزها مذ أقبلت * عاد السرور بمقدم السكان
واستبشرت دار بها سكنت وقد * رقصت بها طربا على العيدان
وتبسمت أزهار أغصان الربا * فرحا بها فى روضة البستان
بحر السماح غدا براحة كفها * يروى العطاش بمنهل الاحسان
وتجود من فيض الندى بمكارم * فيكون منه شفاء للظمآن
فالله يكفيها مؤنة حاسد * ويطيل أيامها بأمان
ماماس غصن فى الرياض وكللت * أيدى الغمام شقائق النعمان

وقد عرضت هذه القصيدة على خوند واستحسنتها وفيه خلع السلطان على طوخ المحمدى وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن طقطباى بحكم اختفائه وفيه قرر شمس الدين أبو النصر فى كتابة الخزانة مشاركا لصلاح الدين بن الجيعان وفيه قبض السلطان على القاضى ناظر

الجيش عبد القادر القصروى ووكل به وخلع على القاضى شهاب الدين أحمد وأعاده الى نظر
الجيش عوضا عن القصروى وفيه رسم السلطان للامير خشكلدى البيسقى أن يتوجه
وفيه تغير خاطر السلطان على الامير اطمر بن ولى الدين وقصد الاخراق به لكونه صهر
البيسقى وصار مقوتا عنده وفى مستهل رمضان رسم السلطان للخليفة أن ينزل ويسكن بداره
وكان الملك الاشرف جان بلاط رسم له أن يسكن بالقلعة وفى يوم الاثنين خلع السلطان على
المقر البدرى بدر الدين محمود بن أجا الحلبى الحنفى وقرره فى كتابة السر بالديار المصرية عوضا
عن صلاح الدين بن الجيعان بحكم استعفائه منها وقد تقدم للبدرى محمود أنه ولى قضاء
الحنفية بحلب غير ما مرة وكان والده القاضى شمس الدين محمد بن أجا الحلبى رئيسا حشما
من الاعيان وولى قضاء العسكر فى أيام الاشرف قايتباى وكان من خواص الامير يشبك
الدوادار ورأى الاوقات الجيدة وفيه توفى العلائى على بن الصابونى ناظر الخاص وهو على
ابن أحمد بن محمد بن سليم البكرى الدمشقى الشافعى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف
سنية منها قضاء الشافعية بدمشق ووكالة بيت المال ونظر الخاص بمصر ومات وله من العمر
خمس وثمانون سنة فلما مات خلع السلطان على علاء الدين على بن حسن الامام وكان من
جملة مباشرى الخاص وولى نظارة الطور وكانت نظارة الخاص تعينت الى ناصر الدين
الصفدى ثم تحولت الى علاء الدين بن الامام وفيه أنفق السلطان الكسوة على العسكر
على العادة وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه قرا الذى كان كاشف الشرقية ثم
بقى نائب غزة وقرره فى نيابة حلب فاستعظم الناس عليه ذلك ولاموا السلطان على هذه
الفعلة فخرج اليه بالتقليد شخص من بعض الدوادارية يقال له ايدكى وفيه قرر السلطان
فى نيابة غزة على باى السيفى بن يشبك عوضا عن قانصوه الشهير بقرا رجله بحكم انتقاله الى
نيابة حلب وقرر بلباى المؤيدى فى دوادارية السلطان بدمشق وفى نظارة الجيش بها أيضا
حتى عد ذلك من النوادر وقرر قانصوه الجمل فى الاتابكية بدمشق عوضا عن قرقماس التنمى
بحكم صرفه عنها وفيه مات فجأة كسباى المغربى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان
لا بأس به وفيه تزايد شر العادل وصار يكبس البيوت والحارات بسبب الامراء الذين
اختفوا منه وهم مصرباى وطقطباى وتمرباى وكرتباى وخشكلدى وجماعة آخرون
وصار طراباى وأنس باى وبيبرس البهلوان وقان بردى الغورى وأزبك النصراوى ووالى
الشرطة يطوفون بعد العشاء ومعهم جماعة وافرة من مماليك السلطان فيشوشون على
الناس ويكبسون عليهم البيوت تحت الليل ويسبون حريمهم فحصل للناس الضرر الشامل
بسبب ذلك فما كان عن قريب حتى هرب العادل واختفى وصاروا يكبسون عليه البيوت
والحارات ويطلبونه أشد الطلب وكما يدين الفتى يدان وفيه حضرت الى القاهرة

زايضا خاتون ابنة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين حضرت تروم الحج فأكرمها السلطان ورسم لها بجمل برق وفيه كان ختم البخاري بالقلعة واجتمع القضاة الاربعة وأرسل السلطان خلف قانصوه الغوري أمير دوادار كبير وقيت الرحبي أمير سلاح وكان يوما حافلا فلم يحضر قانصوه الغوري ولا قيت الرحبي وقد أحسا بما عول عليه السلطان من مسكهما وفيه دارت عدة طواشية على الخيل وأشيع بالعرض للعسكر وان السلطان يريد القبض على جماعة من الجند والمماليك فتخيلوا من ذلك ولم يطلع أحد منهم الى القلعة وقد تغيرت عليه خواطر العسكر قاطبة وفيه أخرج السلطان جماعة من مماليكه وسماهم العادلية وقد استمر الحال في اضطراب الى يوم الاحد سلخ شهر رمضان فلبس العسكر آلة السلاح ووثبوا على العادل وكان القائم بهذه الفتنة قيت الرحبي ومصرباي فلما اتسعت الفتنة ظهر جماعة من الامراء المختفين منهم خشكلدي البيسقي وجان بردي الغزالي وآخرون من الامراء ممن كان مختفيا فلما تحقق العادل أن الركبة عليه نزل الى باب السلسلة وعلق الصنجق السلطاني ونادى للعسكر أن تطلع الى القلعة فلم يطلع اليه أحد من الأمراء ولا من العسكر ولم يكن عنده أحد من الامراء سوى الامير قانبردي الدوادار الثاني أحد المقدمين وكان من عصبته ومن خواصه وقد أشيع بين الناس أنه سيوليه الاتابكية عوضا عن قصروه وكان عنده قرقماس المقري المحتسب وطراباي رأس نوبة كبير وأنس باي وآخرون من الامراء وبعض مماليك سلطانية جلس في المقعد المطل على الرميلة فلم يطلع اليه أحد من العسكر وفي ذلك اليوم وقع قتال هين وجرح الامير اقبردي في وجهه فلما كان وقت الغروب من سلخ شهر رمضان نزل الامير قانباي الرماح من باب السلسلة ومعه ماماي جوشن ونزل طراباي وأنس باي فلما رأى ذلك من كان عند العادل من المماليك السلطانية تسحبوا جميعا وتمت الكسرة على العادل فلما دخل الليل قام ونزل من القلعة واختفى وكانت ليلة عيد الفطر فاضطربت الاحوال ولاسيما في تلك الليلة وقد قلت في المعنى

في ليلة العيد أتى * سلطاننا كل الضرر

فلم تكن كسرته * الا كلمح بالبصر

وكان سبب هذه الفتنة انه قد أشيع بين الناس في ليلة العيد أن السلطان قد عول على مسك جماعة من الامراء يوم العيد وهم في الجامع فلما بلغهم ذلك وثبوا عليه تلك الليلة فلما نزل من القلعة واختفى وقع النهب في الاصطبل السلطاني والزردخاناه فنهب منها أشياء كثيرة نحو من ستين ألف دينار على ماقيل فلما كان يوم العيد لم يصل أحد من الامراء صلاة العيد واشتغل كل أحد بما هو فيه ووقع الخلف بين الامراء فيمن يلي السلطنة وكان من الامر ماسنذكره فكانت مدة السلطان الملك العادل طومان باي بالديار المصرية ثلاثة أشهر

وعشرة أيام خارجا عن سلطنته بدمشق وكان ملكا جليلا مهيبا مبجلا تولى الملك وقد جاوز الاربعين سنة وكانت صفته طويل القامة أبيض اللون مشربا بحمرة مدوّر الوجه مستدير اللحية أسود الشعر الغالب عليه الشقرة وكان ممتلئ الجسد جميل الهيئة وافر العقل سديد الرأى غير انه كان سفاكا للدماء عسوفا ظالما قتل الاتابكى قصروه ظلما وأرسل بخنق الاشرف جان بلاط وهو بالبرج وعول على خنق الظاهر قانصوه أيضا وهو بالبرج ولكن كان فى أجله تأخير ونفى جماعة كثيرة من الامراء والخاصكية والمماليك فى هذه المدة اليسيرة ولو دام فى السلطنة لوقع منه أمور شتى ولكان يقتل غالب الامراء وثلث العسكر وكانت مدة سلطنته كلها شرور وفتن مع قصرها وآخر الامر هرب واختفى واستمر مختفيا حتى ظهر وقبض عليه وقطعت رأسه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وآل الامر الى أن خلع من السلطنة وتسلطن بعده قانصوه الغورى كما سنذكره فى محله انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك العادل طومان باى وذلك على سبيل الاختصار وقد قلت

لله تاريخ له * كل التوارخ تحسد
كادت تذوب لقهرها * لكنها تتجلد

﴿وقلت أيضا﴾

وتاريخ يفرّق كل همّ * ويبعث كل بشر بعد غم
اذا سرحت طرفى فيه يوما * رمى شيطان أحزانى بسهم

﴿وقال بعضهم﴾

اذا عرف الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش من أوّل الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى * وكن ذا نوال واغتنم أطول العمر

تم الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس المسمى بدائع الزهور فى وقائع الدهور ويليه فى أوّل الجزء الذى بعده ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة

﴿تنبيه﴾

جميع النسخ التى بأيدينا من تاريخ مصر لابن اياس تنقص أغلب مدة سلطنة الغورى وذلك من أثناء سنة ست وتسعمائة الى اخر سنة احدى وعشرين وتسعمائة

فهرست

الجـــزء الثالث

مـــن تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثالث وهو الاخير من تاريخ مصر لابن اياس)

صحيفة

(تمت)

الجزء الاخير من تاريخ مصر

المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور

تأليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس
الحنفى المصرى رحمه الله تعالى
آمين

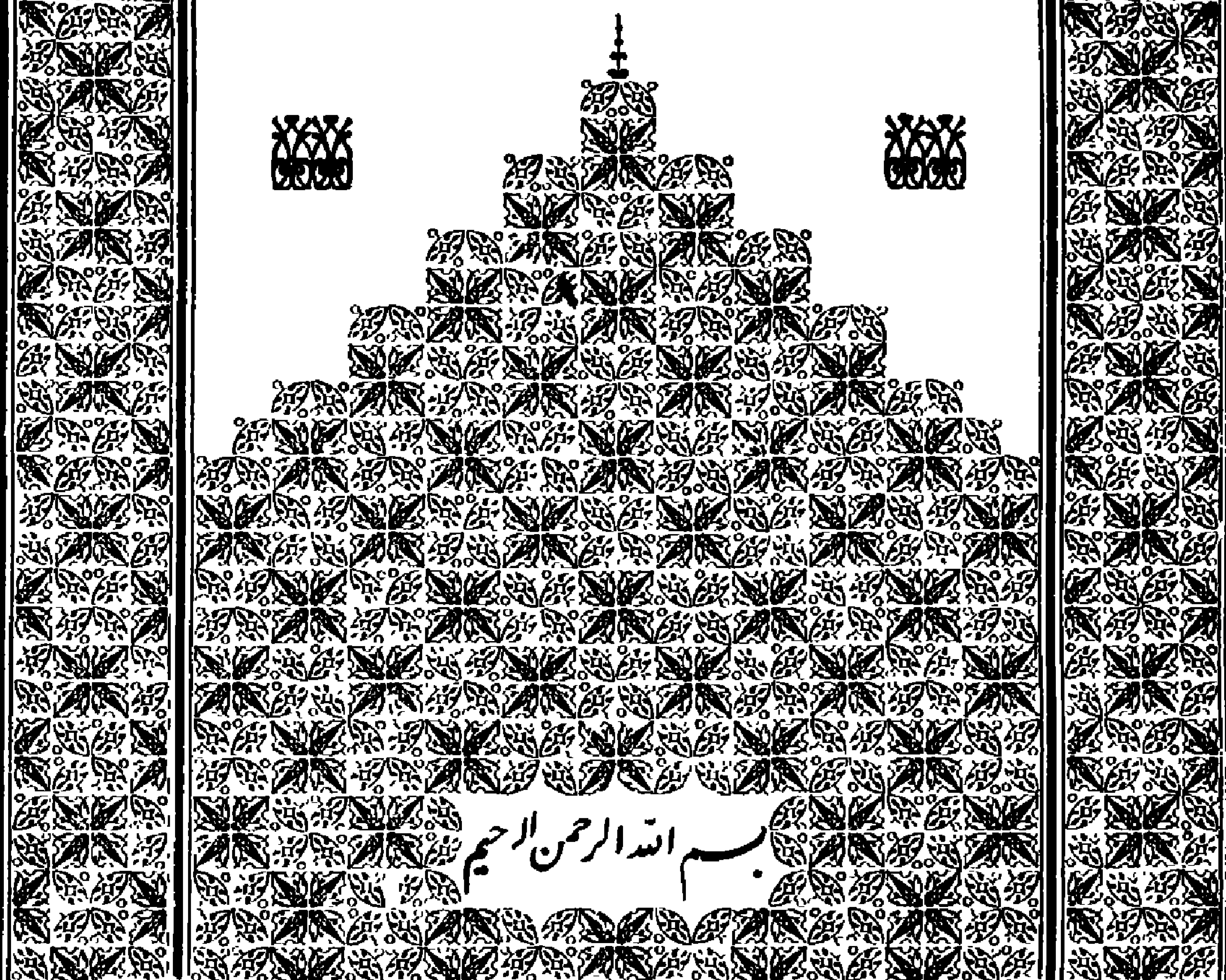
(طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٢

هجريه



مناقب الاشرف الغوری قد شرفت * علی جميع ملوك الارض فی الخبر
لانه العقد فی جيد الملوك ولا * تقاس قط عقود الجزع بالدرر

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة المباركة فكان مستهل المحرم يوم الاثنين وكان يومئذ خليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب عز شرفهما وسلطان مصر يومئذ الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغوری عز نصره

(وأما السادة القضاة الاربعة) فالقاضی الشافعی كمال الدين الطويل والقاضی الحنفی قاضی القضاة حسام الدين محمود ابن قاضی القضاة سری الدين عبد البر بن الشحنة الحلبی والقاضی المالكی قاضی القضاة محيی الدين ابن قاضی القضاة برهان الدين الدميری والقاضی الحنبلی قاضی القضاة شهاب الدين الفتوحی أيد الله بهم الاسلام

(وأما الامراء المقدمون) فكانت عدتهم يومئذ ستة وعشرين أمير مقدمی ألوف منهم أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكی سودون العجمی أمير كبير وكانت يومئذ امرية السلاح

شاغرة

شاغرة والاميرازكاس بن طراباى أمير مجلس والمقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف
أميراخوركبير والاميرسودون الدوادار رأس نوبة النوب والاميرانسباى بن مصطفى حاجب
الحجاب والاميرطومان باى بن قانصوه ابن أخى السلطان أميردوادار كبير وقد جمع بين
الدوادارية الكبرى والاستادارية العالية وكاشف الكشاف (وأما الامراء المقدمون غير
أرباب الوظائف) فهم الامير بخشباى بن عبد الكريم نائب طرابلس كان والامير قانصوه
ابن كسباى بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا والامير عمر الحسنى المعروف بالزردكاش
والامير قانصوه أبوسنة الوالى كان السيفى يشبك وقيل ان السلطان عين له تقدمة الامير
حسين نائب جدة وتوجهت اليه البشائر بها قبل والامير طقطباى العلائى نائب القلعة
والامير قانصوه كرت بن تمرباى والامير جان بلاط المحمدى المعروف بالموتر والامير تانى بك
النجمى والامير ازدمر الشريفى الكاشف والامير تانى بك بن يشبك المعروف بالخازندار
والامير قانصوه يشبك المعروف برجلة نائب قطيا والامير خاير بك السيفى اينال والامير
قانصوه الفاجر والامير ازبك بن طراباى المعروف بالمكحل والامير بيبرس ابن عبد الكريم
والامير أبرك الاشرفى والامير علان بن قراجا وقد جمع بين التقدمة والدوادارية الثانية
والامير خدابردى الاشرفى نائب الاسكندرية والامير أقباى بن قانصوه وقد جمع
بين الامير اخورية الثانية والتقدمة والامير خاير بك العلائى المعروف بالمعمار
(وأما نواب البلاد الشامية والحلبية) فالمقر السيفى سيباى بن بخت خجا والمقر السيفى
خاير بك بن بلباى نائب حلب وتمراز الاشرفى نائب طرابلس وجان بردى الغزالى نائب حماه
ويوسف الذى كان نائب القدس انتقل الى نيابة صفد ونائب غزة دولات باى وقد أضيف
اليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزة وأما الامراء الطبلخانات من أرباب الوظائف
فالامير يوسف الناصرى الذى كان نائب حماه شاد الشرابخانة الشريفة والامير مغلباى
الشريفى الزردكاش الكبير والامير نوروز تاجر المماليك والامير قانصوه بن دولات بردى
استادار الصحبة والامير قانى بك بن بخشباى رأس نوبة ثانى والامير طومان باى قرا
حاجب ثانى والامير كرتباى الاشرفى والى الشرطة والامير ازدمر المهمندار والشريفى
يونس نقيب الجيوش المنصورة والامير بخشباى قراشاد الشون والامير يونس الترجمان
ومعلم المعلمين البدرى حسن بن الطولونى ولكن الوظيفة بيد ولده أحمد من حين كف بصره
وانقطع وأما الامراء الرؤس نوب فكثيرون لم نوردهم هنا خشية الاطالة (وأما أرباب
الوظائف من أعيان المباشرين المتعممين) فالمقر القاضوى المحبى محمود بن أجا الحلبى كاتب
السر الشريف ناظر ديوان الانشاء أعزه الله ونائبه المقر الشهابى أحمد بن الجيعان والمقر
القاضوى محيى الدين عبد القادر الشهير بالقصروى ناظر الجيش الشريف والزينى

عبد القادر وأخوه أبو بكر أولاد الملكى مستوفيا ديوان الجيوش الشريف والمقر العلائى
على ابن الامام ناظر الخاص الشريف وناظر الاوقاف وكانت الوزارة يومئذ شاغرة من حين
عزل عنها يوسف البدرى فكان حينئذ القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة ومتكلما
فى ديوان الوزارة وقد جمع بين نظارة الدولة وكتابة المماليك وكانت وظيفة الاستادارية يومئذ
بيد الامير طومان باى الدوادار والقاضى أبو البقاء ناظر الاصطبل الشريف ومستوفى
ديوان الخاص والقاضى عبد الباسط تقى الدين ناظر الزردخانة والقاضى عبد الكريم بن
الادمى مستوفى الزردخانه والقاضى زين الدين بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة
وغير ذلك من الوظائف والامير شرف الدين يونس النابلسى استادار العالية كان وناظر
الاحباس بدر الدين العبسى ونقيب الاشراف السيد الشريف أفضل الدين محمد والآن
صار متحدثا فى استيفاء ديوان الجيش الشامى والقاضى كريم الدين أخو القاضى شرف
الدين أحمد بن الجيعان والشمسى محمد ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان متحدثا فى
الخزائن الشريفة والشمسى محمد بن ابراهيم الشرابيشى متحدثا فى وظيفة الزمامية
والعلائى على البرماوى متحدثا فى جهات الديوان المفرد وبردداريه السلطان وعبد العظيم
الصيرفى متحدثا فى الشون السلطانية وأمر العليق وغير ذلك من المباشرين وأعيان الدولة
(وأما الاعيان من الخدام الطواشية) فان وظيفة الزمامية لها مدة وهى شاغرة من حين توفى
الامير عبد اللطيف الزمام والآن الامير بشير بن مصطفى رأس نوبة السقاة والامير
مرهف بن قانصوه ساقى خوند والامير سنبل العثمانى مقدم المماليك ونائبه جوهر الرومى
والامير سرور الحسنى شاد الحوش الشريف وغير ذلك من أعيان الخدام وفى هذه السنة
تكاملت خاصكية السلطان نحو ألف ومائتى خاصكى من مشتروات فقرر منهم جماعة
أرباب وظائف ما بين دواداريه سكين وسلحداريه وزردكاشية وأمراخورية وسقاة وغير
ذلك من الوظائف وقد تكامل فى هذه السنة من الامراء الطبلخانات والعشراوات فوق
الثلثمائة أمير وقد كثر العسكر وقلت الرزق انتهى ذلك ولما كان مستهل الشهر يوم
الاثنين جلس السلطان فى الميدان وطلع اليه الخليفة والقضاة الاربعة فهنوا السلطان
بالعام الجديد ورجعوا الى دورهم ثم فى ذلك اليوم نزل الزينى بركات بن موسى المحتسب
وصحبته الامير كرتباى والى القاهرة وأشهروا المناداة فى القاهرة بالامان والاطمئنان
والبيع والشراء وأن لا أحد من الناس يكثر الكلام وان كل شئ على حكمه يعنى فى أمر
المشاهرة والجامعة التى قررت على الحسبة وأن لا أحد من الناس يخرج من بعد العشاء
بسلاح ولا يتزيا بزى ولا يغطى وجهه فى الاسواق ومن فعل ذلك شنق من غير معاودة وأن
لا أحد من الناس يحتمى على المحتسب وقد تقدم القول بأن المماليك الجلبان أثاروا فتنة

كبيرة حتى حنق منهم السلطان وتوجه الى المقياس وأقام به ثلاثة أيام فمشت الامراء بينه
وبين مماليكه بالصلح على أن يعزل الوزير يوسف البدرى من الوزارة والامير كرتباى من الولاية
والزينى بركات بن موسى من الحسبة ويبطل المشاهرة والجامعة التى قررت على السوقة
أرباب البضائع وقد تقدم القول بما كان سبب ذلك فلما أن طلع السلطان الى القلعة وبات
بها أصبح فأمر بأن ينادى فى القاهرة بما تقدم ذكره ولم يفعل شيأ مما وقع عليه الاتفاق مع
المماليك الجلبان فشق عليهم هذه المناداة وأشيع باثارة هذه الفتنة ثانيا وكثر القال
والقيل بين الناس وكانت الناس استبشرت بابطال المشاهرة والجامعة فلما نودى بأن
كل شئ على حكمه نزل على الناس جمرة بسبب ذلك وفى يوم الثلاثاء ثانى الشهر جلس
السلطان فى الحوش وعرض أغاوات الطباق فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام وقال
لا تسمعوا للمماليك القرانصة كلاما لانهم يرمون بينى وبينكم ولا تشمتوا العدو فينا وابن
عثمان متحرك علينا ولا بد من خروج تجريدة له عن قريب فخلوا معكم ذهبا ينفعكم
اذا سافرتم والذى هو منكم متزوج يطلق زوجته حتى لا يبقى وراءكم التفاتة اذا سافرتم فى
التجريدة فلما سمعوا ذلك شق عليهم وقصدوا أن يثيروا فتنة فى ذلك اليوم وتزايد الاضطراب
ولهج الناس بوقوع فتنة عظيمة وقد توعد المماليك بركات بن موسى المحتسب بالقتل لانه
لما نزل فى ذلك اليوم ونادى بأن كل شئ على حكمه وتخلقت جماعته بالزعفران فى عمائمهم
وشق فى القاهرة تنكد المماليك الجلبان لذلك وقالوا لم يطلع بأيدينا من الاتفاق شئ وخلق
جماعته بالزعفران نكاية فينا والله ما نرجع حتى نقتله وقد تقدم القول بأن المماليك قالوا
للسلطان سلم لنا ابن موسى المحتسب نقتله بسبب غلاء البضائع من كل شئ فى الاسواق وفى
يوم الاحد سابعه توفى الشرفى يحيى ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان وكان شابا حسن
الشكل ضخم الجسد ومات وله من العمر نحو عشرين سنة وكانت جنازته حافلة وفى أثناء
ذلك اليوم ركب الزينى بركات بن موسى المحتسب وشق القاهرة وقبض على جماعة من
السوقة أرباب البضائع وضربهم ضربا مبرحا وأشهرهم فى القاهرة وأشهر المناداة فى ذلك
اليوم وسعر اللحم والدقيق والخبز والاجبان وسائر البضائع وكل ذلك خوفا من المماليك
الجلبان وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند سوارشاه الذى تعصب له ابن
عثمان عوضا عن دولات فاحضر صحبته تقدمة فشروية للسلطان وجودها وعدمها سواء
وهى خمسة عشر جملا بخاتى وثمان أكاديش وستة بغال من غير زيادة على ذلك وأرسل
يترفق للسلطان فى مطالعته فاستشار السلطان الامراء بأن يقبل منه تلك التقدمة أم يردها
عليه فأقامت الامراء عند السلطان الى قريب الظهر ولم يعلم أحد ما وقع عليه الاتفاق

فى ذلك اليوم وفيه خرج الامير طومان باى الدوادار وصحبته الامير أرزمك الناشف
أحد الامراء المقدمين فتوجها الى جهة الفيوم ليكشفا عن الجسر الذى هناك وقد قيل
انه لما كان النيل عاليا فى هذه السنة انقلب وكان السلطان قبل وقوع فتنة المماليك المتقدم
ذكرها قصد أن يسافر الى الفيوم بنفسه ويكشف عن أمر هذا الجسر فاتم له ذلك فرسم
الى الامير الدوادار بأن يتوجه الى هناك ويكشف عن أمر هذا الجسر وفيه نادى
السلطان للعسكر بأن يطلعوا الى القلعة بسبب اللحوم المنكسرة فطلع الجم الغفير من
العسكر الذين معهم وصول باللحم المنكسر وقد تجمد للعسكر من اللحوم المكسورة فى
ديوان الوزارة فوق أربعين ألف دينار فثقل أمر هذا على السلطان وفيه نادى السلطان بان
الوزير يوسف البدرى يظهر وعليه أمان الله تعالى وكان مختفيا من حين توعدته المماليك
الجلبان بالقتل فظهر فى يوم الثلاثاء تاسعه فلما قابل السلطان خلع عليه كاملية بسمور
ونزل الى داره وفى يوم السبت ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط خمسة أنفار من المنسر
الذى شاع أمره فى القاهرة وقد قبض عليهم شيخ العرب بن أبى الشوارب فرسم السلطان
بتوسيطهم فى ذلك اليوم وكان فيهم شخص يسمى أبو عزرائيل وهو كبيرهم فوسطهم
أجمعين وفى هذا الشهر أو الذى قبله كانت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى الولى المعتقد
سيدى محمد بن عثمان رحمة الله عليه وكان من أعيان المشايخ الصوفية وله شهرة بالصلاح
والاعتقاد بين الناس وفى يوم الاثنين خامس عشره حضر الى الابواب الشريفة الامير
قانصوه جانية وكان قد توجه الى طرابلس بسبب المشاة من العربان الذين يخرجون أمام
العسكر فى التجريدة فاحضر الاموال صحبته ودخلت الى الخزائن الشريفة وفى يوم الثلاثاء
سادس عشره ابتدأ السلطان بتفرقة اللحوم التى كانت مكسورة للعسكر فصار يستدعيهم
واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية وكان فيهم من له عشرة أشهر مكسورة وفيهم من له
أربعة وفى يوم الخميس ثامن عشره كان دخول الامير قايتباى أحد الامراء الطبلخانات
وهو قريب زوجة الاتابكى قانم التاجر على ابنة الامير قطباى نائب القلعة أحد المقدمين
فكان هذا العرس من الاعراس الحافلة قيل اجتمع فيه من المغنيات خمس وعشرون
رئيسة ومدوا فيه أسمطة حافلة من الاطعمة الفاخرة وصنعوا فيه شموعا مزهرة بين
وشامات وكان من المهمات المشهورة وفى يوم الاثنين ثانى عشريه دخل أمير ركب
الحاج الاول وهو المقر العلائى على ابن الملك المؤيد أحمد فخلع عليه السلطان ونزل الى
داره فى موكب حافل وفى يوم الثلاثاء ثالث عشريه دخل الامير علان أمير حاج
ودخل صحبته المحمل الشريف وكان يوما مشهودا فطلع الامير علان الى القلعة وخلع عليه
السلطان خلعة سنية ونزل الى داره فى موكب حافل وقد أثنى عليه الحاج خيرا كثيرا بما

فعله فى طريق الحجاز من وجوه البر والصدقات وقد حصل فى هذه السنة للحجاج مشقة عظيمة فى مغارة شعيب بسبب السيل الذى نزل عليهم هنالك وهلك من الحجاج فى هذه السنة جماعة كثيرة وكان معهم الغلاء موجودا وكانت العربان طافشة فى درب الحجاز ولاسيما ماوقع للبشر فى هذه السنة وقد تقدم القول بأن العربان عروه وأخذوا كل مامعه حتى كتب الحجاج فلم يصل لاحد من حاجه فى هذه السنة كتاب ولاعلم لهم خبر ولما حضر الامير علان أشيع انه قبض فى مكة على شخص يقال له المعلم احمد الشامى وكان أصله من عتالين الزردخاناه فوجد معه مالا يتجر فيه فى مكة فلما بلغ أمره الامير علان قبض عليه وكان له رفيق فهرب من هنالك فلما دخل احمد الشامى هذا الى القاهرة أسفرت القضية عن كونه سرق العملة الضائعة التى كانت بالقلعة وسرقت من مال السلطان وهى اثنا عشر ألف دينار وقد تقدم الكلام على ذلك وأن السلطان غرمها للمعلم يعقوب اليهودى معلم دار الضرب فلما حضر احمد الشامى بين يدى السلطان اعترف بذلك فسلمه السلطان للوالى يعاقبه حتى يستخلص منه المال الذى أخذه ثم ان احمد الشامى أقر على شخص كان معه لما أخذ المال وهو كان بالقاهرة مقيما فلما أقر عليه خاف على نفسه من العقاب فارسل للسلطان أربعة آلاف دينار وقال هذا هو القدر الذى نابنى من المال ولم يخصنى شئ غير ذلك فلم يكتف منه السلطان بذلك ورسم عليه وشكه فى الحديد حتى يحضر بقية المال وكان هذا الشخص من معلمى دار الضرب أيضا وقد ظهر هذا المال الذى سرق من دار الضرب بعد مدة طويلة فعد ذلك من جملة سعد السلطان وفى يوم الخميس خامس عشريه حضر قاصد من عند ملك الحبشة وكانت قصاد ملوك الحبشة لهم مدة طويلة لم يدخل منهم أحد الى مصر وقد دخل قاصد من عند ملك الحبشة فى دولة الملك الاشرف قايتباى وذلك فى سنة ثمانين وثمانمائة ومن بعد ذلك لم يدخل قاصد من عند ملوك الحبشة سوى هذا القاصد لان بلادهم بعيدة ومالهم شغل فى مصر فلما حضر هذا القاصد عمل له السلطان موكبا بالحوش من غير شاش ولاقماش كما تقدم للاشرف قايتباى فجلس السلطان على المصطبة التى أنشأها بالحوش ونصب على رأسه السحابة الزركش واصطفت الامراء عن يمينه وشماله كل واحد منهم فى منزلته ثم طلع القاصد من الصليبة وصحبته الامير ازدمر المهمندار وجماعة من الرؤس النوب ومن المماليك السلطانية وغير ذلك وكان القاصد معه من أعيان أمراء الحبشة نحو خمسة أنفار والبقية كلهم ليسوا من الاعيان وفيهم من هو عريان مكشوف الرأس وعلى رأسه شوشة شعر وفيهم من فى أذنه حلق ذهب قدر القرصة وفى أيديهم أساور ذهب وأما القاصد الكبير فذكروا أنه كان ابن أمير كبير الحبشة وقيل ان أباه هو الذى حضر فى دولة الملك الاشرف قايتباى وكان على رأسه خودة مخمل أحمر وفيها

صفائح ذهب وفيها بعض فصوص وعلى رأس الخودة درة كبيرة مثمنة وعليه شايات حرير ملون وعلى بقية أمراء الحبشة شايات حرير ملون وعلى رؤسهم شدود حرير وذكروا ان فيهم شخصا شريفا وكان مجموع هؤلاء الحبشة الذين حضروا الى مصر نحو ستمائة انسان وأوساطهم مشدودة بحوائص كهيئة الدنانير وكان معهم لما شقوا من الصليبة طبلين على جمل يضربون عليهما وكان صحبتهم البترك وعليه برنس حرير أزرق وكانت أعيانهم راكبة على خيول والبقية مشاة فطلعوا القلعة من سلم المدرج والبترك ماش قدامهم فلما وصلوا الى باب الحوش كان صحبتهم كراسي حديد عالية وقصدوا أن يجلسوا عليها بحضرة السلطان فلم تمكنهم رؤس النوب من ذلك ووقع فى أيام الملك الاشرف قايتباى مثل ذلك وطلعوا معهم بكراسي فامكنوهم من الجلوس عليها بحضرة السلطان فلما وصل هذا القاصد الى الحوش قبل الارض فلما وصل الى أوائل البساط قبل الارض هو ومن معه من أعيان الحبشة ولم يدخل معه قدام السلطان غير سبعة أنفس والبقية لم يدخلوا فلما قربوا من السلطان قبلوا الارض بين يديه ثالث مرة ثم قدموا كتاب ملك الحبشة قيل انه فى ضمن غلاف من الفضة وقيل من الذهب فلما قرئ على السلطان وجد فيه ألفاظا حسنة ونعتا عظيما للسلطان وان قصادنا أتوا الى مصر ليزوروا القمامة التى بالقدس فلا تمنعوهم من ذلك فاستمروا على أقدامهم واقفين نحو خمس درج حتى قرؤا كتابهم ثم انصرفوا ونزلوا من القلعة فرسم لهم السلطان أن يقيموا فى ميدان المهارة الذى بالقرب من قناطر السباع الى أن يسافروا وأرسل لهم خياما ضربت لهم من داخل الميدان ووكل بباب الميدان جماعة من المماليك يمنعون من يدخل اليهم من العوام فلما نزلوا من القلعة نزل معهم الوالى والمهمندار وجماعة من رؤس النوب فوصلوهم الى الميدان خوفا عليهم من العوام أن يرجموهم فكان لهم يوم مشهود فان قصاد ملوك الحبشة لا يدخلون الى مصر الا قليلا لان بلادهم بعيدة حتى قيل ان هذا القاصد له تسعة أشهر وهو مسافر حتى دخل الى مصر ثم ان القاصد أرسل الى السلطان تقدمة لم تكن كبيرة أمر قيل قومت بنحو خمسة آلاف دينار أودون ذلك فلما عاينها السلطان وبخ الذى طلع بها وأحضر له قوائم هدايا ملوك الحبشة الى الملوك السالفة مثل الاشرف برسباى والظاهر جقمق والاشرف قايتباى وغير ذلك من الملوك وأحضر له عدة تواريخ يذكر فيها هدايا ملوك الحبشة الى ملوك مصر فقرئت عليه ولكن ضعف أمر ملوك الحبشة بالنسبة الى ما كانوا عليه من قديم الزمان حتى نقل بعض المؤرخين أنه كان للملوك الحبشة على نواحى النيل ستون مملكة لا ينازع بعضها بعضا فيما بأيديهم من الاراضى التى هناك والآن قد ضعف أمرهم بالنسبة الى ما كانوا عليه من قبل ذلك وقد أرسل بعض ملوك الحبشة تقدمة للملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة

اثنتى عشرة وسبعمائة فقومت بمائة ألف دينار أو أكثر من ذلك حتى عدت من النوادر ثم ان قاصد الحبشة أقام فى الميدان ثلاثة أيام وسافر هو ومن معه الى القدس ليزوروا القمامة وفيه حضر الامير طومان باى الدوادار وقد تقدم القول على انه سافر الى جهة الفيوم هو والامير أرزمك الناشف ليكشفا على الجسر الذى هناك وقد انقلب من الماء وكان السلطان قصد أن يتوجه الى هناك بنفسه فما تم له ذلك كما تقدم ذكره فلما توجه الامير الدوادار الى هناك قرروا على عمارة هذا الجسر نحو ثلاثين ألف دينار فلما رجعا أخبر السلطان بذلك وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين السكندرى وقرره اماما عوضا عن الشيخ محب الدين الشاذلى الامام بحكم وفاته قيل ان شمس الدين السكندرى سعى فى هذه الوظيفة بألف ومائتى دينار حتى قرر بها وفيه احتمل السلطان تفرقة ثمن اللحوم التى كانت منكسرة للعسكر وقيل ان السلطان أخرج من الخزائن الشريفة خمسة عشر ألف دينار وسلمها للقاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة ليشترى بها أغناما لأجل تفرقة لحوم المماليك وقال ما بقيت أكسر للعسكر لحوما بعد هذا اليوم وقد ثقل عليه ما صرفه للعسكر بسبب اللحوم التى كانت منكسرة لهم حتى قيل انه صرف فى حركة تفرقة اللحوم فوق الاربعين ألف دينار واستمرت الوزارة شاغرة من حين عزل عنها يوسف البدرى وفيه نادى السلطان للعسكر بأن كل من كان له فرس أو أكثر فى الديوان يطلع يقبض ثمنه ومن حين تحقق السلطان أن ابن عثمان زاحف على البلاد السلطانية وهو يأخذ بخواطر المماليك القرانصة ويرضيهم بكل ما يمكن وصرف لهم اللحوم التى كانت منكسرة وأعطاهم ثمن الخيول التى كانت لهم فى الديوان وفيه أخرج السلطان جانبا من مماليكه الغورية وفرق عليهم فى ذلك اليوم زرديات وسيوفا وترا كيش وقسيا ونشابا وكانوا نحو ثلثمائة مملوك وفيه توفى الامير قنبك بن تربك أحد الامراء الطبلخانات وهو ابن عم الاتابكى أزبك وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه أرسل السلطان الى عبد الرزاق أخى دولات والى أولاد على دولات الكبار والصغار ثمانية آلاف دينار فقسمت بينهم وأرسل يقول لهم اعملوا بهذه النفقات برقكم واخرجوا سافروا قبل خروج التجريدة واجمعوا عسا كركم من التركمان الى أن أحضر أنا والعسكر وفيه أرسل السلطان مكاحل حديد ومدافع وصوانا الى ثغر الاسكندرية وسافرت فى المراكب الى هناك فكانت نحو مائتى مكحلة وقد بلغه أن ابن عثمان جهز عدة مراكب تجىء على السواحل للديار المصرية وفيه نادى السلطان فى القاهرة بأن أصحاب الدكاكين والاملاك يقطعون الاراضى من الاسواق والشوارع فامتثلوا ذلك وشرعوا فى العمل لكن حصل للناس مشقة زائدة فى الصرف على ذلك لجماعة الوالى والترابة فى شيل التراب وقد وقع له مثل ذلك فى أوائل

سلطنته فى سنة تسع وتسعمائة وقطع الطرقات قاطبة وادّعى أن الاراضى قد علت وقد تقدم لى أنى قلت فى ذلك

فى دولة الغورى رأينا العجب * وقد حملنا فوق مالا نطيق
وقد كفى فى عامنا ماجرى * من قلة الامن وقطع الطريق

وفى يوم الخميس خامس عشريه أظهر السلطان العدل وأشهر المناداة عن لسان السلطان فى سواحل مصر العتيقة وبولاق بأن المكوس التى كانت تؤخذ على الغلال بطلت وكانت مظلمة عظيمة من البدع المنكرة وهى أنه كان يؤخذ على كل اردب قمح أوشعير أوفول يباع أو يشترى نصف فضة وكان الاشرف قايتباى أبطل ذلك فلما تسلطن ابنه الملك الناصر أعاد هذه المظلمة فلما تسلطن الاشرف قانصوه الغورى تزايد الامر حتى صار يؤخذ على كل اردب ثلاثة أنصاف من البائع والمشترى وصار يسمى الموجب ثم انتقلوا من الغلال الى أن جعلوا على البطيخ مكسا أيضا فاستمر ذلك مدة طويلة الى أن ألهم الله تعالى السلطان ابطال ذلك جميعه وفى يوم السبت سابع عشريه كان دخول الامير الماس أحد الامراء العشراوات على ابنة الامير قانى باى قرا أمير اخور كبير كان فكان ذلك المهم من المهمات المشهورة وحضر فى هذه الوليمة الاتابكى سودون العجمى والمقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف وسائر الامراء من كبير وصغير وكان يوما مشهودا وفى يوم الاثنين تاسع عشريه أكمل السلطان تفرقة ثمن الخيول التى كانت للعسكر فى الديوان وأكمل تفرقة اللحوم التى كانت مكسورة للعسكر وعوق بعض اللحوم التى كانت منكسرة لجماعة من المباشرين الزردخانية وفى ذلك اليوم طرق السلطان أخبار رديئة بسبب ابن عثمان فتنكد لذلك وخلا هو والامراء يضربون مشورة بينهم فى أمر ابن عثمان وفى يوم الثلاثاء سلخ هذا الشهر أشهر السلطان المناداة فى القاهرة للعسكر بالعرض يوم الخميس وأن لا يتأخر عن العرض أحد من كبير ولا صغير فاضطربت لذلك أحوال العساكر قاطبة وفى صفر وكان مستهله يوم الاربعاء طلع الخليفة والقضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فقال السلطان للخليفة لما جلس عنده اعمل برقك الى السفر وكن على يقظة فأنا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الاربعة مثل ما قال للخليفة اعملوا برقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحبتى فقالوا الأمر لمولانا وفى ذلك اليوم خلع السلطان على شخص من القراء يقال له شهاب الدين بن الرومى وقرره اماما عوضا عن عبد الرازق بحكم وفاته وقيل انه سعى فى ذلك بألف دينار حتى قرربها وفى يوم الخميس ثانيه جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجميع فعرض فى ذلك اليوم أربع طباق ولم يعف من العسكر أحدا وفى ذلك اليوم كانت وفاة الامير خاير بك ابن اينال أحد الامراء المقدمين ويعرف بكاشف الغربية وأصله من مماليك الامير اينال

الأشقر

الاشقر أمير سلاح كان وقد ساعدته الاقدار حتى صار باش العسكر ثم بقي كاشف الغربية
ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وسافر الى الحجاز باش العسكر في التجريدة التي خرجت
بسبب الجازاني وانتصر على العربان من قبيلة بني ابراهيم فحز رؤسهم وأرسلها الى القاهرة
وكان مسعود الحركات فلما مات نزل السلطان وصلى عليه وكانت جنازته مشهودة وكان
في سعة من المال تخلف من الموجود مالا يحصى وفي يوم السبت رابعه عرض السلطان
مماليك الامير خاير بك المتوفي وأخذ منهم ما اختاره وأرسلهم الى الطباق ثم أرسل رسم على
دوادار خاير بك وعلى مباشريه وشكهم في الحديد وكان الامير خاير بك قد كتب وصية وبرأ
جماعته فلم يلتفت السلطان الى وصيته وفي أثناء هذا الشهر كانت وفاة الشيخ نور الدين علي
المحلي رحمه الله وكان يعرف بقريبة وكان من أعيان علماء الشافعية وله شهرة زائدة بين
الناس ۞ ومن الحوادث في هذا اليوم ما وقع لعلم الدين جلبي السلطان وهو أنه كان ساكنا
في الحسينية وكان السلطان رسم للوالي بأن يباشر قطع أراضي الاسواق بنفسه فلما انتهوا
في القطع الى الحسينية جاء مماليك الوالي الى الحسينية وأخذوا حميرا من حمام الجبالين
ليشيلوا عليها التراب الذي قطعوه فمنعهم من ذلك جماعة علم الدين وتخاصموا مع مماليك الوالي
فجاء عبد علم الدين وقال لاستاذه على ذلك وكان علم الدين في الحمام فقال علم الدين
اضربوا مماليك الوالي وامنعوهم فمسكوا بهم وضربوهم ضربا مبرحا حتى شجوا بعضهم
وكسروا أيدي بعضهم فلما سمع الوالي بذلك ركب وأتى الى علم الدين فاغلظ عليه
علم الدين في القول ورماسفه على الوالي فقبض الوالي على عبد علم الدين الذي ضرب
مماليك الوالي فوضعه في الحديد ثم طلع الوالي الى السلطان وأحضر مماليكه الذين ضربوا
بين يدي السلطان فلما عاين السلطان ذلك شق عليه ما فعل علم الدين في حق الوالي ثم
طلع علم الدين الى السلطان وظن أن السلطان يقوم في نصره فلما عاين السلطان علم
الدين رسم لنقيب الجيش بان يقبض على علم الدين ويمضي به الى الوالي يوسطه وصمم
السلطان على ذلك فقبض نقيب الجيش على علم الدين وقلع سلاريه وفك أزرار ملوطته
وأركبه على بغلة ومضى به الى الوالي ليوسطه فاستدرك الوالي فرصة في هذه الواقعة وركب
في أثناء ذلك اليوم وأتى الى الامير الكبير سودون العجمي وترامى عليه بسبب علم الدين بأن
يطلع يشفع فيه عند السلطان من التوسيط فطلع أمير كبير فشفع فيه فقبلت شفاعته ثم ان
الوالي ألبس علم الدين كاملية صوف بسمور وطلع علم الدين الى السلطان ليبوس الارض
فنترفيه السلطان لما رآه وقال له الزم بيتك ولا ترني وجهك أبدا فقيل ان علم الدين خدم
السلطان بمال له صورة حتى رضي عليه وخدم الوالي أيضا بمال لكنه استمر ممنوعا من الطلوع
الى القلعة من بعد ذلك وقد تزايد هذا الامر الفشروي حتى خرج عن الحد وكان علم الدين

لما قرره السلطان طاش وكان فى خدمة السلطان من مبدأ أمره حين كان أمير عشرة وكان علم الدين عنده بجمقدار وهو صبى أمرد فلما تسلطن السلطان صار علم الدين عنده من المقربين وصار يلبس سلارى بكم قصير مثل الامراء العشراوات ويشق القاهرة والركبدار يمشى فى جانبه يفسح له الطريق وخلفه بجمقدار وعلى كتفه فوطة حرير وهو راكب على بغلة عالية فكانت المماليك كلما رأوه يلعنونه فى الباطن وربما توعدوه بالقتل وأمه كانت صانعة وقيل ان أصله كان من أبناء الساسة التى بالحسينية وعنده كثافة فى طبعه وقلة فضيلة فكان كما قيل

نقصت عقلا وفهما * وزدت شحما ولحما

ورثت طالوت جسما * ولم ترث منه علما

أو كما قيل

كأن أباه حين جامع أمه * أتاها وفى احليله كوز بلغم

فجاء ثقيل الطبع فظا مغلظا * ذميما ثقيل الروح واللحم والدم

وفى يوم الاثنين سادس صفر جلس السلطان بالميدان وعرض من العسكر فى ذلك اليوم أربع طباق ومن الحوادث اللطيفة فى ذلك اليوم أن السلطان أمر بابطال المشاهرة والجامعة التى كانت للمحتسب وأشهر النداء فى مصر والقاهرة بذلك وان مكس البحرين الذى كان يؤخذ على الغلال بطال فارتفعت له الاصوات بالدعاء بالنصر وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ونقطت الناس المنادين بالفضة على تلك البشارة الحسنة التى سرت القلوب والاسماع وكان يوما مشهودا وقلت فى هذه الواقعة هذه الابيات

قد جاد سلطان الورى * بعدله فى القاهره

مذ رخص الاسعار مع * ابطاله المشاهره

كم جائع من فرحة * يدعو له مجاهره

وكم حزين قلبه * بالكسر أضحى جابره

وقد عفا غلالنا * من المكوس الجائره

وصرف اللحم الذى * أرضى به عساكره

فارتفعت أيدى الورى * له بفضل شاكره

وحاز أجرا ناله * من الدنا والآخره

وقد علا تاريخه * فوق النجوم الزاهره

لانه فى عصره * بين الملوك نادره

فيا لها من سنة * خيراتها مبادره

فحكم

فكم له فى الخير من * أفعال بر ظاهره
يارب فاجعل يده * لكل باغ قاهره

وكانت هذه المشاهرة من أكبر أسباب الفساد فى حق المسلمين فان الوسائط السوء حسنوا للسلطان عبارة بأن يجعل على السوقة فى كل شهر مالا يوردونه للمحتسب فتزايد الامر الى أن صار مقررا على السوقة فى كل شهر فوق ألفى دينار من هذه الجهة وغيرها من الجهات المتكلم عليها الزينى بركات بن موسى وكان جماعة من الامراء الذين بغير أقاطيع محتالة فى كل شهر على الزينى بركات بن موسى بما يتحصل من المشاهرة والمجامعة فكانت السوقة تجور فى أسعار البضائع ولا يجسر أحد من الناس يكلمهم فيقولون علينا مال للسلطان نورده فى كل شهر فاستمر ذلك من أول دولة السلطان الى أن الهمه الله تعالى ابطالها وفيه وجد مملوك من مماليك السلطان مقتولا بباب الوزير وكان ذلك المملوك من جلبانه وكان مصارعا ولا يعلم من قتله فتنكدت المماليك بسبب ذلك وفى يوم الثلاثاء سابعه عرض السلطان الامراء المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات وكان قد دار عليهم نقيب الجيش من قبل وأعلمهم أن العرض يوم الثلاثاء فطلعوا جميعا فقيل عين فى ذلك اليوم من الامراء المقدمين ستة عشر أميرا وأما الامراء الطبلخانات والعشراوات فلم يعف منهم الا القليل وقال لهم الذى له عذر يعوقه عن السفر يذكره لى فأعفى منهم جماعة وفى يوم الخميس تاسعه أكمل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يعف منهم أحدا وفى ذلك اليوم خلع السلطان على القاضى بركات بن موسى وقرره ناظر الذخيرة الشريفة كما كان شمس الدين بن عوض ولم يعد الزينى بركات الى الحسبة فنزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الامير طومان باى الدوادار وقدامه السعاة ماشية وشق من الصليبة واستمرت الحسبة شاغرة الى الآن لم يلها أحد وفى يوم الجمعة عاشره صلى السلطان صلاة الصبح ونزل الى الميدان ثم خرج من باب الميدان الذى عند باب القرافة وتوجه من هناك الى الروضة وعدى الى المقياس وأقام به ذلك اليوم وأشيع أن السلطان يريد أن يتوجه من هناك الى الفيوم ليكشف عن أمر الجسر الذى انقلب هناك من الماء وذلك لانه لم يكتف بتوجه الامير طومان باى الدوادار والامير ازدمك الناشف الى هناك قبل ذلك كما تقدم ذكره فصمم على ذلك وتوجه فكان صحبته من الامراء المقدمين الاتابكى سودون العجمى والامير اركماس أمير مجلس والامير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والامير انسباى حاجب الحجاب والامير طومان باى الدوادار والامير قرا زالزردكاش أحد المقدمين وبعض أمراء عشراوات ونحو خمسين خاصكيا وبعض جماعة من المباشرين وأقام فى المقياس الى ان صلى الجمعة وعدى الى الجيزة ونصب له وطاق عند الاهرام فأقام ذلك اليوم هناك ثم توجه الى الفيوم من تحت

الجبل ومن الوقائع الغريبة أن السلطان لما غضب على علم الدين الجلبي بسبب ما تقدم واستمر علم الدين ممنوعا من طلوع القلعة قال السلطان لمحمد المهتار انظر لي جلبي يحلق رأسي فعرض عليه عدة جلبية فما أعجبه منهم أحد فقال له محمد بقي عندنا صبي صغير أمرد يسمى عبد الرزاق أصله من باب الوزير وهو يتيم وكان يحلق لجماعة من الخدام وهو يحلق مليحا فقال السلطان أحضره حتى يحلق لي فأحضره فلما حلق له أعجبته حلاقته فاستقر به جلبي السلطان عوضا عن علم الدين فسافر هذا الصبي مع السلطان الى الفيوم وأنعم عليه بكسوة حافلة وأخرج له كديشا وبغلة وصار جلبي السلطان في ساعة واحدة واذا أعطى لا مانع والله عند القلوب المنكسرة جابر والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجده فعد ذلك من النوادر وفي يوم الاثنين ثالث عشره خرج عبد الرزاق أخو دولات وأولاد علي دولات الذين كانوا حضروا الى مصر فلما حضروا وأرسل اليهم السلطان ثمانية آلاف دينار ليعملوا بها برقهم فتأهبوا وخرجوا وسافروا في ذلك اليوم وقصدوا التوجه الى حلب وفي يوم الخميس سادس عشره جلس نائب القلعة ومقدم المماليك عند باب القلعة وصرفوا الجامكية على المماليك والعسكر في غيبة السلطان على جاري العادة وفي يوم الاحد تاسع عشره حضر السلطان من الفيوم وعدى من الجيزة فلاقاه الخليفة والقضاة الاربعة فشق من الصليبة وقدامه القضاة الاربعة والاتابكي سودون العجمي وسائر الامراء المقدمين وأعيان المباشرين وانسحبت الجنائب قدامه وطلع الى القلعة في موكب حافل وكانت مدة غيبته في الفيوم تسعة أيام فكشف على الجسر الذي هناك وعاد فدخل عليه تقادم كثيرة من الكشاف ومن المدركين ما بين خيول وأغنام وأبقار وجمال وغير ذلك من التقادم الفاخرة قيل لما توجه الخليفة ليسلم على السلطان لم يجتمع به هناك فطلع بعد العصر الى القلعة وسلم على السلطان وهنأه بالسلامة ومن الحوادث في ذلك اليوم أن السلطان لما عدى من الجيزة كان في ذلك اليوم رياح عاصفة فغرقت مركب قدام المقياس وقد ازدحمت فيها الخيول وشبت على بعضها فاشيع أن المركب قد انقلبت بمن فيها ثم خمدت تلك الاشاعة عن ذلك الخبر وفي يوم الاثنين عشريه كان عيد النصارى وهو أول يوم من الخماسين وكانت خماسين مباركة لم يظهر فيها علة بمصر ولا بأعمالها قاطبة وفي يوم الخميس ثالث عشريه أشيع بين الناس أن النيل قد زاد ذراعين فطلع ابن أبي الرداد وأخبر السلطان أن النيل قد زاد نصف ذراع وكان النيل يومئذ في اثني عشر ذراعا وثلاث أصابع فزاد على ذلك نصف ذراع وكان ذلك في شهر برمهات وسبب هذه الزيادة أن الامطار كانت بأعلى بلاد الصعيد فانحدرت منها السيول الى النيل فزاد هذه الزيادة في غير أوانها وقد وقع مثل ذلك في بعض السنين الماضية وزاد في غير أوانه بسبب السيول نحو ذراعين وفي يوم السبت

خامس عشريه جلس السلطان فى الميدان وعرض الامراء الطبلخانات والعشراوات ورؤس النوب فلما عرضهم قال لهم اعملوا برقكم وكونوا على يقظة من السفر فانى أنفق وأخرج فى جمعتى هذه فنزلوا على ذلك وفى يوم الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساع وقيل اثنان من عند نائب حلب وأخبرا بان نائب حلب أرسل مطالعة على يديهما فلما قرئت على السلطان فاذا فيها ان شاه اسماعيل الصوفى ملك العراقين جمع من العسكر مالا يحصى وهم زاحفون على بلاد ابن عثمان وكان فى سنة عشرين وتسعمائة حصل بينه وبين سليم شاه ملك الروم واقعة مهولة وقد تقدم القول على ذلك وانكسر اسماعيل شاه الصوفى كما تقدم فاستمر الصوفى من حين جرى له ما جرى وهو فى جمع عساكر واستعان بملوك التتار فقيل انه جمع الجم الغفير من العساكر فان ابن عثمان كان قد قتل غالب عسكره فى الواقعة المقدم ذكرها فلما راج أمر الصوفى وجمع العساكر قصد الزحف على بلاد ابن عثمان فقيل انه كبس على جماعة ابن عثمان الذين كانوا فى آمد وقد كان ملكها من يد الصوفى حين محاربته معه فى الواقعة المذكورة وجعل ابن عثمان فيها نائبا من قبله فأشيع أن الصوفى كبس على من كان بآمد على حين غفلة وقتل من كان فيها من العثمانية واستخلصها من يد جماعة ابن عثمان وانتصر عليهم فلما طرق هذا الخبر سمع السلطان اجتمع بالامراء فى الميدان وأقاموا فى ضرب مشورة بسبب ذلك الى قريب الظهر فاشيع أن السلطان قال أنا أخرج بنفسى وأقعد فى حلب حتى أنظر ما يكون من أمر الصوفى وابن عثمان فان كل من انتصر منهما على غريمه لابد أن يزحف على بلادنا فانفض المجلس على أنه لابد من خروج تجريدة تقيم بحلب وتحرس البلاد الحلبية وأشيع فى ذلك اليوم باحضار الكشاف ومشايخ العربان والزامهم أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير وفرسان العرب ويوزعوا ذلك على سائر البلاد من الشرقية والغربية وجهات الصعيد وهذا من أكبر أسباب الفساد فى حق الجند والمنطعين فان الكشاف ومشايخ العربان يأخذون فى هذه الحركة من البلاد المثل عشرة أمثال لأنفسهم وفى ربيع الاول وكان مستهله يوم الجمعة طلع الخليفة والقضاة الاربعة وهنوا السلطان بالشهر وقيل ان السلطان أرسل شمس الدين بن ناشى وبركات بن الطريف شيخ القراء الى الخليفة وهو يقول اعمل برقك الى السفر فانه لابد من سفر السلطان الى حلب وانه ينفق ويخرج فى شهر واحد فتنكد الخليفة لهذا الخبر وفى يوم الاحد ثالثه جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبلخانات وخاصكية الخواص وعين منهم جماعة للسفر ثم طلع ودخل الى قاعة البيسرية وفتح الحواصل وأخرج منها عدة سروج بلور وعقيق وكنابيش زركش وسروج ذهب وبركستوانات فولاذ مكفتة بذهب وغير ذلك وأفرد منها ما حسن بباله لاجل الطلب اذا خرج وسافر وهذا كله حتى يشاع بين الناس سفر السلطان

الى حلب وفى يوم الثلاثاء خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض الامراء الطبلخانات والعشراوات وألزم كل أمير أن يستخدم عنده مماليك شئ خمسة وشئ ثلاثة وشئ اثنان بحسب اقطاعه وقرر معهم أن بعد المولد الشريف يعرضهم قدامه بالميدان وهم باللبس الكامل والخيول الجيدة وكل من لم يفعل ذلك يخرجه عن امريته ويجعله طرخانا وفى يوم الثلاثاء المذكور نزل القاضى شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتب السر عن لسان السلطان الى أمير المؤمنين المتوكل على الله بسبب عمل برقه وقد كشفوا فى الدفاتر القديمة فوجدوا أن الخليفة اذا سافر صحبة السلطان يكون جميع برقه على السلطان فكتب الخليفة قوائم بمصروف عمل البرق فكان ذلك بعشرة آلاف دينار وقيل خمسة آلاف دينار فاخذ الشهابى أحمد تلك القوائم وطلع بها الى القلعة ليعرضها على السلطان وفى هذا الشهر خلع السلطان على الامير طراباى الذى كان قبل ذلك نائب صفد واعاده الى نيابة صفد كما كان وعزل عنها يوسف الذى كان نائب القدس فكان مكثه فى نيابة صفد دون السنة ثم عزل وولى طراباى المذكور وفى يوم الاربعاء سادسه جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان قاطبة وعينهم الى السفر صحبته ولم يعف منهم سوى المماليك الصغار الكتابية المرد وفى يوم الخميس سابعه رسم السلطان للطواشية بأن تدور على المماليك البطالة وأولاد الناس الذين كان السلطان قطع جوامكهم بأن يطلعوا يوم السبت للعرض فالذى يصلح للسفر يعيد السلطان له جامكيته و يكتبه للسفر ثم من بعد ذلك ظهرت اشاعة برد الجوامك التى قطعت فلما كان يوم السبت تاسعه جلس السلطان بالميدان وعرض جماعة من المماليك القرانصة من الشيوخ والعواجز وأولاد الناس أصحاب الجوامك فلما عرضهم عين منهم جماعة للشرقية وعين منهم جماعة مع كاشف الغربية و جماعة الى البحيرة و جماعة منهم الى الطرانة و جماعة الى المنوفية وجماعة الى منفلوط وجماعة الى الجيزة وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف لرد العربان اذا ظهر منهم فساد وحفظ البلاد فى غيبة السلطان اذا سافر وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان الى حلب ودارت الطواشية على المماليك القرانصة وأولاد الناس بسبب هذا العرض حتى عين هؤلاء الجماعة الى هذه الجهات المذكورة لا بسبب رد الجوامك التى كانت قطعت للمماليك العواجز وأولاد الناس واستقرت هذه الواقعة على ماذكرناه وفى يوم الاحد عاشره نزل السلطان وعدى الى بر الجيزة وعرض جمال الامير خاير بك كاشف الغربية الذى توفى ثم عاد وطلع الى القلعة ودخل الى قاعة البيسرية وعرض فى ذلك اليوم بكاير وقرقلات وجواشن وغير ذلك أشياء كثيرة من آلات السلاح من حواصل الذخيرة وفى يوم الاثنين حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى على العادة ونصب الخيمة العظيمة التى صنعها الملك الاشرف وكانت هذه

الخيمة كهيئة قاعة فيها اواوين ثلاثة وفى وسطها قبة على أربعة أعمدة قيل لم يعمل فى الدنيا فظ لها نظير وهى من قماش ملون وهذه الخيمة كان لا ينصبها الا ثلثمائة رجل من النواتية وقيل ان مصروفها ستة وثلاثون ألف دينار فنصبها بالحوش ونصب الشربدارية فى الحوش أحواض جلد مملوأة بالماء الحلو وعلقوا شوكات بالكيزان الفاخرة وزينوا بالاوانى الصينى والطاسات النحاس وأوسعوا فى زينة الشرابخانة الزينة الفاخرة أكثر من كل سنة ثم جلس السلطان فى الخيمة وحضر الاتابكى سودون العجمى وسائر الامراء من المقدمين وغيرهم وحضر القضاة الاربعة وأعيان الناس والمباشرون والوعاظ على العادة ثم مدوا السماط وقد أوسع فى أمره وكان مولدا مشهودا أبهج مما تقدم من الموالد الماضية وفى ذلك اليوم توفى قاضى القضاة محيى الدين بن النقيب رحمة الله عليه وهو محيى الدين عبد القادر بن على بن مصلح الشافعى كان يقرب للخواجا شمس الدين بن قضا الجوهرى وكان من أهل العلم والفضل لكنه كان جافى النفس و ينسب الى شح زائد وله فى ذلك الامر أخبار شنيعة لم تذكر هنا لكنها شائعة بين الناس ومات وله من العمر نحو الثمانين سنة وكان سبب موته انه كان يمشى فى الاسواق بقبقاب سجك فتوجه الى خان الخليلى فرفسه فرس فوقع على فخذه فانكسر فحملوه الى خلوته التى فى المدرسة المنصورية فأقام بها أياما ومات وكان منفصلا عن القضاء وقد ولى منصب القضاء ست مرات ونفد منه فى هذه الست ولايات ستة وثلاثون ألف دينار وكانت اقامته فى الست ولايات نحو سنتين وكان قليل الحظ عند الناس قاطبة وكان يسعى على القضاة المتولين ولا يزال عليهم حتى يعزلهم و يتولى منصب القضاء فعزل به قاضى القضاة زكريا وقاضى القضاة ابن أبى شريف وقاضى القضاة القلقشندى وقاضى القضاة عماد الدين الطويل و بدر الدين المكينى وعلاء الدين بن النقيب وكان يسعى بجملة من الأموال ولا يقيم فى منصب القضاء غير أشهر ثم يعزل فنفد منه مال له صورة على هذه الطريقة وقد قلت فى ذلك مداعبة لطيفة

منصب الحكم فى القضا قال لما * كشف الله ما به من هموم
زال عنى ابن النقيب وانى * كنت معه فى قبضة الترسيم

وقيل كان متحصل ابن النقيب هذا فى كل يوم من وظائفه نحو أشرفيين من خبز وجوامك وكان يحرم نفسه من المأكل والمشرب والملبوس وفى ذلك اليوم توفى المهتار حسن شربدار السلطان وكان فى سعة من المال وصادره السلطان غير ما مرة فلما مات ختم السلطان على حواصله ولم يلتفت الى أولاده وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره توفى الشيخ محب الدين الحلبى امام السلطان وكان من المقربين عنده وكان لا بأس به وفى يوم الخميس رابع

عشره وورد على السلطان مطالعة من عند سيباى نائب السلطان بالشام فأرسل يقول له يامولانا السلطان ان البلاد الشامية مغلية والعليق والتبن لا يوجد والزرع فى الارض لم يحصد ولا ثم عدو متحرك ولا يتعب السلطان سره ولا يسافر وان كان ثم عدو متحرك فنحن له كفاية فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر باقيا على حركة السفر الى حلب وفى يوم الاثنين ثامن عشره خلع السلطان على الامير ازدمك الناشف أحد المقدمين وقرره أمير حاج بركب المحمل وخلع على الامير برسباى الفيل أحد أمراء الطبلخانات وقرره أمير حاج الركب الاول فنزلا من القلعة فى موكب حافل وفى هذا اليوم خلع السلطان على الامير الماس أحد الامراء العشراوات ويعرف بدوادار سكين وقرره فى ولاية الشرطة بالقاهرة عوضا عن الامير كرتباى بحكم انتقاله الى تقدمة ألف وكان الامير كرتباى من أعيان مماليك السلطان وولى كشف الشرقية وولاية القاهرة ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وقيل ان الامير الماس سعى فى الولاية بواحد وأربعين ألف دينار منها عشرون ألف دينار معجلة وواحد وعشرون يدفعها على نقدات متفرقة وفى ذلك اليوم خلع السلطان على مملوكه الامير ماماى الصغير وقرره فى نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزينى بركات بن موسى بحكم انتقاله الى استدارية الذخيرة وكانت مدة اقامة الزينى بركات بن موسى فى الحسبة احدى عشرة سنة الا اشهرا وعزل عنها والناس عنه راضية وقيل ان الامير ماماى الصغير سعى فى الحسبة بخمسة عشر ألف دينار حتى وليها وكانت الحسبة والولاية فى قديم الزمان من أقل الوظائف ووليها جماعة كثيرة من أبناء الناس والفقهاء ولكن عظم أمر هاتين الوظيفتين فى هذا الزمان الى الغاية وصارتا من أجل الوظائف وهذه الاموال العظيمة التى يسعى بها هؤلاء انما يستخلصونها من اضلاع المسلمين ودمائهم والامر الى الله وفى ذلك اليوم أنفق السلطان على العسكر نفقة السفر وقد تحقق أمر خروج التجريدة فأنفق على كل مملوك مائة دينار وجامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف وثمن جمل سبعة دنانير ثم ان السلطان كتب أولاد الناس قاطبة الى السفر ولم يعطهم نفقة بل أعطاهم جامكية أربعة أشهر بثمانية آلاف وكان سبب ذلك أن القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك قال للسلطان انا نظرنا فى بعض التواريخ ان الملك الظاهر برقوق لما خرج الى التجريدة لم ينفق على أولاد الناس شيأ فأعجب السلطان منه ذلك وقطع نفقة أولاد الناس قاطبة فكثر عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب ذلك وكانت هذه الواقعة من أعظم مساويه فى حق أولاد الناس وحصل لهم كسر خاطر شديد وفى يوم الاحد سابع عشره ظهر أحمد بن الصائغ الذى كان ضد الزينى بركات بن موسى فى الحسبة وكان له مدة وهو مختف فظهر فى ذلك اليوم وقابل السلطان ثم خمد أمره ولم ينتج مع وجود الزينى بركات بن موسى وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره توفيت خوندجان

سكر الجركسية مستولدة السلطان وهى أم ولده الذى توفى فى الفصل سنة عشرين وتسعمائة
وكانت دينة خيرة قليلة الاذى فلما أشيع موتها طلع الخليفة والقضاة الاربعة وسائر الامراء
وأعيان المباشرين فصلى عليها الخليفة عند باب الستارة ونزلوا بها من سلم المدرج وهى فى
بشخانة زركش ونهبت الكفارة من قدامها قبل أن تنزل من القلعة ومشى الخليفة والقضاة
الاربعة وسائر الامراء قدامها من القلعة الى مدرسة السلطان التى فى الشرابشيين
فدفنت هناك على أولادها ولم يدخلوا بها من باب زويلة بل دخلوا بها من خوخة ايدغمش
وكانت جنازتها حافلة وكثر عليها الاسف والحزن من الناس وفى يوم الخميس حادى عشريه
وقف جماعة من أولاد الناس الى السلطان بسبب النفقة فلما وقفوا له ساعدهم الامير علان
الدوادار وبقية الامراء فلم يرث لهم السلطان وقال أنا ما عندى نفقة لهؤلاء فالذى لاقدرة
له على السفر يرد الاربعة شهور الجامكية التى أخذها وأنا أترك له شهرا ويستريح وتنقطع
عنى جامكيته فرد جماعة كثيرة من أولاد الناس جامكية الاربعة شهور التى أخذوها واستمر
أمرهم مبنيا على السكوت وفى يوم الاربعاء ويوم الخميس أنفق السلطان على بقية العسكر
النفقة وفى يوم السبت ثالث عشريه أكمل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من
قرانصة وجلبان ونادى عليهم فى الحوش ان السفر أول الشهر فاضطربت أحوال العسكر
وارتجت القاهرة وعز وجود الخيل والبغال وصار المماليك يهجمون الطواحين ويأخذون
منها الخيول والبغال والاكاديش فغلقت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من الاسواق
وكذلك الدقيق ووقع القحط بين الناس وضج العوام وكثر الدعاء وغلقت أسواق القماش
بسبب المماليك واختفى الصنائعية والخياطون واضطربت أحوال القاهرة واختفى جماعة
من التجار خوفا من المماليك واختفى طائفة من الغلمان خيفة السفر وصارت أحوال مصر
مثل يوم القيامة كل واحد يقول يارب روحى وقد عاب العسكر على السلطان هذا الرهج
الذى وقع منه ولم يمش على طريقة الملوك السالفة عند خروجهم للسفر مع انه لم يكن أمر
يستحق هذا الرهج العظيم ولا جاءت أخبار بان ابن عثمان قد وصل الى حلب ولا جاليشه ولا
تحرك على بلاده وعابوا على السلطان أيضا عرضه عسكر مصر قاطبة فى أربعة أيام وأنفق
عليهم مع العرض فخشوا أن يشاع فى بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفى أن السلطان الغورى
قد عرض عساكره جميعا فى أربعة أيام فينسبونهم الى قلة وانه ما ثم بمصر عسكر وربما طمع
العدو اذا سمع بذلك وما كان هذا الرأى من الصواب وهذه الاحوال كلها غير صالحة وفى
يوم السبت المقدم ذكره أرسل السلطان نفقة الامراء المقدمين فأرسل للاتابكى سودون
العجمى خمسة آلاف دينار والامير اركماس أمير مجلس والامير سودون الدوادارى رأس نوبة
النوب والامير انسباى حاجب الحجاب لكل واحد أربعة آلاف دينار وبقية الامراء

المقدمين الذين هم بغير وظائف لكل واحد منهم ثلاثة آلاف دينار وأين هذه النفقة من النفقة التى كان يرسلها الاشرف قايتباى للامراء المقدمين عند خروجهم الى تجاريد ابن عثمان فكان يرسل للاتابكى أزبك وحده ثلاثين ألف دينار والامير تمراز أمير سلاح عشرين ألف دينار وأمير مجلس مثل ذلك وبقية الامراء المقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عد ذلك من النوادر الغريبة ولم يفعل الاشرف قايتباى ذلك الا فى آخر تجاريده لابن عثمان سنة خمس وتسعين وثمانمائة فبلغت نفقة الامراء قاطبة دون الجند مائة ألف دينار وفى يوم الاحد رابع عشريه نزل السلطان وتوجه الى مدرسته التى بالشرابشيين فأقام بها الى ما بعد العصر وأشيع انه قد عرض موجود خوند فان حواصلها كانت هناك فظهر لها موجود عظيم ما بين ذهب وفضة عين وفصوص وقماش فاخر وغير ذلك وفى يوم الاثنين خامس عشريه أنفق السلطان على الامراء الطبلخانات والامراء العشراوات وصار يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية فأعطى لكل أمير طبلخانات خمسمائة دينار وأعطى لكل أمير عشرة مائتى دينار ولم يرسل للخليفة نفقة فحصل له غاية المشقة وترامى على جماعة من الامراء فى أن يقرضوه مبلغا بربح ودخل فى جهته ديون كثيرة ولم يتفق قط ان السلطان اذا سافر البلاد الشامية وصحبته الخليفة أن يخرج بلا نفقة وكانت عادة جميع السلاطين ان برك الخليفة اذا سافر يكون على السلطان وكان يرسل اليه خمسمائة دينار لاجل جوامك اتباعه فلم يلتفت السلطان لشىء من ذلك وشح معه فى أمر النفقة وكان الخليفة مظلوما مع السلطان فى هذه الواقعة ثم انه عرض المماليك القرانصة الشيوخ والعواجز وكتب منهم جماعة الى الشرقية والغربية والصعيد وألزمهم أن يخرجوا بلا نفقة وكانوا نحو خمسمائة مملوك وفى يوم الثلاثاء سادس عشريه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى الريدانية ورتب الفراشين كيف ينصبون الوطاق اذا برز السلطان للسفر ورتب منازل الامراء وكيف تكون منازلهم بالريدانية وفى ذلك اليوم رسم السلطان لولده أمير اخور كبير بأن يعمل برقه ويسافر صحبته وكان فى الاول رسم له بأن يكون مقيما بباب السلسلة الى أن يحضر السلطان ثم بطل ذلك ورسم له بأن يشرع فى عمل برقه الى السفر وفى يوم الجمعة تاسع عشريه الموافق لسادس بشنس القبطى خلع السلطان الصوف ولبس البياض وكانت أول جمعة خوند زوجة السلطان التى توفيت فصنع لها السلطان مادة حافلة وحضر هناك الخليفة والقضاة الاربعة وجماعة من الامراء المقدمين وحضر قراء البلد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة مشهودة بمدرسة السلطان التى بالشرابشيين وفى يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر جلس السلطان بالميدان وطلع اليه الخليفة والقضاة الاربعة فهنوه بالشهر الجديد وعادوا الى دورهم وفى ذلك اليوم خلع السلطان على ولد المهتار حسن الشربدار

الذى تقدم ذكر وفاته وقرره فى وظيفة أبيه فى مهتارية الشرابخاناه عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفى ثانيه فرق السلطان على مماليكه الجلبان لبوس الخيل من حرير ملون وخود وأتراس وبدلات ما بين زنود وركب فولاذ وغير ذلك من آلة السلاح التى فى الزردخانه فتزاحمت عليه المماليك وصاروا يخطفون اللبوس الملاح بأيديهم ولا يرضون بالذى يفرقه السلطان عليهم فعجز عن رضاهم فى ذلك اليوم وكثر تمردهم فى هذه الايام الى الغاية ﴿أعجوبة﴾ قيل ان امرأة ولدت ولدا له راسان وأربع أيدى وأربع أرجل فلما شاهده السلطان تعجب منه وقيل وقع مثل ذلك فى زمن الامام على رضى الله عنه ومن جملة انعام الله تعالى على المسلمين ان السلطان أبطل سفر العربان الذين أفردهم على البلاد الشرقية والغربية والصعيد وقد تقدم القول على أن السلطان قصد أن يأخذ معه فى التجريدة جماعة من الخيالة من فرسان العرب يكونون أمام العسكر وقت الحرب فأحضر مشايخ العربان والكشاف وأفرد عليهم نحو خمسمائة خيال وقيل خمسة آلاف خيال فنزلوا الى البلاد قاطبة وصاروا يفردون على كل بلد خيالين بمائة دينار وعلى البلد الكبيرة أربع خيالة بمائتى دينار فلما سمع أهل النواحى من الفلاحين بذلك الامر أخلوا البلاد وتركوا زروعهم فى الارض ورحلوا وخرب بعض بلاد فى هذه الحركة فلما بلغ الامراء ذلك وقفوا للسلطان وشكوا اله من ذلك وأن غالب البلاد تخرب وأخلاها الفلاحون وأغلظ الامراء على السلطان فى القول وقالوا له نسافر معكم وتخرب بلادنا فمن أين نأكل ونسدد دواننا اذا سافرنا فاستحى منهم السلطان وأمر بابطال ذلك وأخرج مراسيم شريفة الى الكشاف ومشايخ العربان بابطال ما كان قد رسم به فى الاول واعادة ما أخذ من الفلاحين بالنواحى فخرجت المراسيم الشريفة الى البلاد بمنع ذلك ولو استمر على قوله الاول لخربت مصر عن آخرها ووقع بها الغلاء العظيم من خراب البلاد فلله الحمد على ذلك ومن الحوادث فى هذه المدة أن السلطان صادر ابنة الامير خاير بك كاشف الغربية أحد الامراء المقدمين وهى زوجة الامير تانى بك الخازندار أحد الامراء المقدمين وهى التى كان وقع لها ذلك الامر الفاحش المقدم ذكره فلما صادرها قرر عليها مالا ثقيلا له صورة فأرسل رسم عليها بجماعة من الطواشية فلما تحقق ذلك شرعت فى بيع جهازها وجميع ما تملكه من صامت وناطق وكان سبب ذلك انه لما توفى والدها الامير خاير بك تكلم الاعداء فى حقها بأنها أخذت من موجود أبيها ثلاث قدور فيها مال جزيل له جرم فأرسل خلفها فلما حضرت بين يديه سألها عن ذلك فأنكرت وحلفت أنها ما رأت تلك القدور الذهب التى اتهموها بها فحنق منها السلطان وقال لها أنسيتى ذنبك يعنى أمر الصبى الذى وجدوه عندها فحلف السلطان ان لم تحضر بالمال الذى أخذته من مال أبيها والا يغرقها وصمم على ذلك فلما جرى ذلك شرعت فى بيع جهازها لتورد المال الذى قرر عليها فصار فى كل يوم سبت وثلاثاء

بحضر الزينى بركات بن موسى وجماعة من المباشرين ويبيعون قماشا مثل التركة وقد وقع لابنة يشبك الدوادار زوجة الامير قانباى أمير اخور كبير كهذه الواقعة بعينها وصودرت وباعت جهازها وقماشها وجواريها مثل التركة وغلقت ما عليها من المال وقد تقدم ذكرها وفى يوم الخميس سادسه صرف السلطان للعساكر المتوجهة الى السفر ثمن اللحوم المنكسرة لهم على ثلاثة أشهر لكى يتوسعوا فيها ولم يصرف للذين تأخروا بمصر شيأ وأحالهم على الطباخين يصرفون لهم فى غيبته وفى ذلك اليوم برز السلطان خيامه الى الريدانية وقد تحقق أمر سفره الى البلاد الشامية ثم نادى للعسكر فى الميدان أن كل من جهز برقه ولابقى له عاقة يخرج ويسافر ويتقدم قبل خروج السلطان ولكن الى الآن لم يعلق السلطان الجاليش الذى هو مقدمة الجيش اذا سافروا الى البلاد الشامية وكانت العادة أنهم اذا سافروا الى البلاد الشامية يعلقون الجاليش قبل خروجهم بأربعين يوما فلم يمش السلطان على طريقة الملوك السالفة وفى يوم الخميس المذكور أرسل السلطان الى أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله نفقة السفر على يد حسام الدين الالواحى بواب الدهيشة ألف دينار وكان الساعى له فى ذلك الامير طومان باى الدوادار الكبير ولولاه هو ما كان يرسل له شيأ فان السلطان أرسل للقضاة الاربعة يقول لهم اعملوا برقكم ولم يرسل لهم شيأ من النفقة وقد حصل لهم غاية الكلفة والمشقة لانه من حين سافر الاشرف برسباى الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة لم يخرج الخليفة ولا القضاة الاربعة الى البلاد الشامية صحبة السلطان وكان للخليفة والقضاة الاربعة على السلطان عادة أنهم اذا سافروا الى البلاد الشامية يرسل لهم نفقة السفر فتغافل السلطان عن ذلك ثم بعد أيام أرسل السلطان للخليفة سيفا مسقطا بالذهب على يد شخص من الزردكاشية يقال له محمد العادلى وقد تقدم القول على أنه أرسل له نوبة جام جديد فكان مجموع ما حصل له من السلطان من الانعام ذهب وغير ذلك دون ألفى دينار وقد تكلف الخليفة فى هذه الحركة على مصروف برقه وغير ذلك نحو الخمسة آلاف دينار أو أكثر وفى يوم الجمعة سابعه خرجت جماعة كثيرة من مماليك السلطان وتوجهوا الى السفر نحو البلاد الشامية وقد نادى عليهم السلطان قبل ذلك أن كل من جهز برقه يخرج ويسافر قبل خروج السلطان فصار يخرج فى كل يوم جماعة من العسكر شيأ فشيأ ولم يسافروا وفى ذلك اليوم حضر خليفة سيدى أحمد البدوى وقد حضر بطلب من السلطان فلما مثل بين يديه قال له اعمل برقك حتى تسافر صحبتى الى حلب فلما سمع ذلك تعلل وأظهر أنه ضعيف ولم يقدر يسافر فحنق منه السلطان وألزمه بالسفر ولم يقبل له عذرا وأرسل يقول لخليفة سيدى أحمد الرفاعى رحمة الله عليه اعمل برقك حتى تسافر صحبتى فلما تحقق القضاة سفر السلطان أخذوا فى تجهيز أمرهم وعمل برقهم وعينوا معهم جماعة كثيرة من النواب فتقلقوا من أمر السفر فعند ذلك فرض القضاة الاربعة مبلغا له صورة على نوابهم على كل

واحد من النواب قدر معين على قدر مقامه فقامت النائرة والشناعة على القضاة بسبب
ذلك ولما بلغ السلطان ذلك الخبر أنكر على القضاة هذه الفعلة وفيه طلع قاضي القضاة
الشافعي كمال الدين الطويل وصلى بالناس صلاة الجمعة ثم استأذن في الدخول على السلطان
فدخل عليه وهو بالدهيشة فلما جلس بين يدي السلطان شرع يحلف له أنه لم يدخل كيسه
شيء مما قرروه على النواب وانما النواب الذين عينوا للسفر قالوا نجعل كلفتنا على النواب
المقيمين بمصر فلما سمع السلطان ذلك قال لا تشوشوا على أحد من النواب ولا تأخذوا أحدا
منهم بالغصب فالذي يسافر من تلقاء نفسه يسافر والذي لا يسافر لا تغصبوه على السفر
فبطلت تلك الحادثة الشنيعة ولله الحمد بعد ما كان جماعة من النواب شرعوا في بيع قماشهم
وكتبهم وقد حصل لهم الضرر بسبب ما قرروه عليهم كما تقدم ذكره ولم يقع للقضاة مع
نوابهم مثل ذلك لما سافر الاشرف برسباي الى آمد وفيه عرض السلطان غلمانا البيوتات
من الفراشين والبابية والركبخانه والجمارين والشربدارية والزردخانيه من النفطية وغير
ذلك وطلب الامير علم الدين الذي يحكم على الطبالين والزمارين وألزمه أن يصرف على من
يسافر صحبته من الطبالين والزمارين والمنفرين من كيسه وقال له أنت تأكل معلوم هذه
الوظيفة عدة سنين فانفق عليهم من عندك والا فعندنا من يلي هذه الوظيفة ويفعل ذلك
ثم عرض مغاني الدكة وهم أحمد أبو سنه والحوجب والحلاوي وأمرهم بان يسافروا
صحبته ثم عين جماعة من النجارين والجمارين وأمرهم بالسفر معه ثم عرض هؤلاء
المذكورين ولم ينفق عليهم شيأ بل صرف لهم جامكية أربعة شهور لاغير ولم يعطهم نفقة
وقال لهم أنتم تأكلون جوامك السلطنة كذا وكذا سنة فعند ما ادني سفر كم تطلبون مني
نفقة وكان قبل ذلك لما قرر القضاة على نوابهم مبلغا مساعدة للنواب الذين يسافرون
أفرد شمس الدين الظريف نقيب القراء على جماعة من القراء والوعاظ والمؤذنين وأمرهم
أن يسافروا صحبة السلطان كما فعل القضاة مع نوابهم وفي يوم الاحد تاسعه حضر الى
الابواب الشريفة العجمي الشنقجي نديم السلطان الذي كان توجه بالافيال الى نائب الشام
ونائب حلب وقد أبطأ مدة طويلة حتى أشاعوا موته غير مامرة فظهر أن السلطان أرسله الى
شاه اسمعيل الصوفي في الخفية في خبر سر بين السلطان وبين اسمعيل شاه كما أشيع ذلك
بين الناس وفي يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر خرج طلب السلطان وكان من ملخص أمره
انه أخرج الطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشى به من الرميلة ونزل من حدرة البقر
وطلع به من الصليبة وكان ما اشتمل عليه ذلك الطلب انه جر فيه خمس عشرة نوبة هجن
بأكوار زركش وكنابيش وخمس عشرة نوبة بأكوار مخمل ملون وأما الخيول فثلثمائة
فرس منها مائة فرس بير كستوانات فولاذ مكفت بذهب وجواغين مكفتة بالذهب وشيء

مخمل ملوّن ومنها ثلاث طوابل بكنابيش زركش وسروج ذهب ومنها ثلاث طوابل بعراقى وسروج بداوى وطبول بازات وكان فى الطلب أربعة وعشرون تختا بأغشية حرير أطلس أصفر وبجاوتين مخمل بزركش وهما الجوشنان وكان فيه ست خزائن بأغشية حرير أصفر وكان فيه محفتان على البغال بأغشية حرير أصفر وكان بالطلب خمسة رؤس خيل خاصة منها اثنان بأرقاب مزركش وكنابيش وسروج بلور مزيكة بذهب وشئ عقيق وطبول بازات بلور مزيكة بذهب وكان به فرسان بكنابيش وسروج ذهب عليها غواشى ذهب وعليها هلالات ذهب عوضا عن الطيور وكان راكبا بالطلب بعض أمراء عشراوات رؤس بالشاش والقماش وبعض خدام من الطواشية وكان راكبا به من المباشرين القاضى محمود بن أجا كاتب السر والقاضى محيى الدين القصروى ناظر الجيش والقاضى علاء الدين ابن الامام ناظر الخاص والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان كاتب السر والقاضى أبى البقاء ناظر الاسطبل والقاضى بركات بن موسى المحتسب والقاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وناظر الدولة والشرفى يونس النابلسى الاستادار كان والقاضى كريم الدين بن الجيعان وأولاد الملكى وغير ذلك من المباشرين ثم جاء الصنجق السلطانى وانجرت الكوسات والصناجق السلطانية والخليفة وكان به أربعة طبول وأربعة زمور وعشرة أحمال كوسات وكان عادة طلب السلطان أن يكون به أربعون حمل كوسات فشق طلب السلطان من الرميلة واصطف العسكر والجم الغفير من الناس بسبب الفرجة على الطلب فلما مر الطلب لم يعجب الناس واستقلوا الطبول التى به وقال من أدرك طلب الاشرف برسباى لما خرج الى آمد كان فى طلبه أربعمائة فرس مزينة بالبركستوانات المخمل الملون والفولاذ ومنهم بعض الناس طلب يشبك الدوادار لما خرج الى شاه سوار على طلب السلطان وشكره على هذا الطلب لانه كان مرتبا عن طلب السلطان ونزل من جهة باب الوزير ودخل من باب زويلة وشق من القاهرة وكان يوما مشهودا حتى رجت له القاهرة فى ذلك اليوم فاستمر ينسحب حتى خرج من باب النصر وتوجه الى المخيم الشريف بالريدانية وفى ذلك اليوم خرج سنيح أمير المؤمنين المتوكل على الله وكان قدامه طبلين وزمرين ونفيرا ولم يخرج فى ذلك اليوم غير طلب السلطان فقط وكانت العادة القديمة أن يخرج السلطان عقيب طلبه ثم تنسحب أطلاب الامراء بعده شيأ فشيأ فلم يمش السلطان على النظام القديم وخالف عوائد الملوك فى أشياء كثيرة من أفعاله منها انه لم يعلق الجاليش على الطبلخانات كعادة الملوك السالفة فانهم كانوا يعلقون الجاليش ويعرضون العسكر ثم ينفقون عليهم نفقة السفر ويستمر الجاليش معلقا الى أن يخرج السلطان ولو بعد شهرين وقد حكى عن الظاهر برقوق انه لما جرد الى تمرلنك خرج طلبه ينسحب من باب الميدان وكان الظاهر برقوق يرتب طلبه بنفسه وهو راكب على فرسه وفى يده طبر ويكر بفرسه من باب

الميدان الى الصوة قيل ان السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون الى البلاد الشامية عند
ماتنتقل الشمس الى برج الحمل فى أوائل فصل الربيع والوقت رطب وأما الغورى فانه سافر فى
قوة الحر والشمس فى برج السرطان فحصل للعسكر مشقة شديدة فى الطريق وليس من العادة
القديمة أن السلطان يشق عند خروجه القاهرة بل يخرج من الصوة وفى العود يشق
القاهرة وكان السلطان الغورى لايقتدى الا برأى نفسه فى جميع الامور وفى يوم الخميس
ثالث عشره أشيع بين الناس أن شخصا من مماليك السلطان الجلبان يقال له جانم الافرنجى
وكان مجرما عائقا مسرفا على نفسه خرج صحبة المماليك السلطانية الذين تقدموا
قبل خروج السلطان فصار جانم هذا يخطف كل شئ لاح له و يؤذى الناس بطول الطريق
فلما بلغ السلطان ذلك أرسل مراسيم شريفة الى أرباب الادراك بأن يقبضوا عليه و يشنقوه
حيث وجدوه من غير مشورة فقيل انهم قبضوا عليه وشنقوه على شجرة فى بلبيس وهو
بقماشه وسيفه وتركاشه ووضعوا غلمانه فى الحديد الى أن أتوا بهم الى المقشرة وفى يوم الجمعة
رابع عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه الى القرافة وزار قبر الامام الشافعى والامام
الليث رضى الله عنهما وكان صحبته ولده أمير اخور كبير وقيل انه تصدق فى ذلك اليوم بمال له
جرم وفى ذلك اليوم برز سنيح السلطان وتوجه الى الريدانية وكذلك الامراء اخرج سنيحهم
فلما كان يوم السبت خامس عشره خرج السلطان الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغورى
الى البلاد الشامية والحلبية والناس مدة طويلة لم يروا سلطانا اخرج الى تلك البلاد على
هذا الوجه من حين توجه الاشرف برسباى العلائى الى آمد وذلك فى سنة ست وثلاثين
وثمانمائة فكانت المدة نحو سبعة وثمانين سنة ولما كانت صبيحة يوم السبت المذكور
اجتمع سائر الامراء المقدمين عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقماش فخلع السلطان
فى ذلك اليوم ميمرو أطلسين على الامير اركماس بن طراباى أمير مجلس وقرره فى امرية السلاح
وكانت شاغرة من حين قرر الامير سودون العجمى فى الاتابكية فكانت عدة الامراء المقدمين
الذين تعينوا للسفر صحبة الركاب الشريف خمسة عشر أميرا منهم أرباب الوظائف خمسة
وهم المقر الاتابكى سودون بن جانى بك الشهير بالعجمى والمقر السيفى اركماس أمير مجلس سلاح
والمقر الناصرى محمد ابن المقام الشريف أمير اخور كبير والمقر السيفى سودون الدوادارى
رأس نوبة النوب والمقر السيفى قانصوه بن سلطان جركس ثم الامير تمراز الحسنى الشهير
بالزردكاش والامير علان بن قراجا دوادار ثانى أحد المقدمين والامير قانصوه كرت والامير
جان بلاط الشهير بالموتر والامير تانى بك الشهير بالخازندار والامير بيبرس قريب السلطان
والامير ابرك رأس الجلبان الاشرفى والامير اقباى الطويل أمير اخور ثانى أحد المقدمين
والامير كرتباى الاشرفى الذى كان والى القاهرة أحد المقدمين وأما الامراء الطبلخانات من

أرباب الوظائف منهم الامير يوسف الناصرى شاد الشرابخاناه والامير مغلباى والشرفى يحيى الزردكاش الكبير والامير قانى بك بن بخشباى رأس نوبة ثانى والامير طومان باى قرا حاجب ثانى وغير ذلك من الامراء الطبلخاناه وأما الامراء العشراوات فعين منهم جماعة كثيرة يخرجون الى السفر صحبة الركاب الشريف وأما الامراء الذين تخلفوا بالقاهرة فهم المقر السيفى طومان باى أمير دوادار كبير ابن أخى السلطان وقد تعين أن يكون نائب الغيبة عن السلطان الى أن يحضر والامير قطباى نائب القلعة أحد المقدمين والامير ازدمك الشهير بالناشف والامير قانى بك النجمى أحد المقدمين وكان قرر فى امرية الحاج والامير ازبك الشهير بالمكحل أحد المقدمين والامير قانصوه الفاجر أحد مقدمى الالوف والامير بخشباى أحد المقدمين وكان قد توجه الى الفيوم بسبب عمارة الجسر الذى هناك والامير خاير بك المعمار أحد المقدمين وكان مقيما بثغر رشيد بسبب عمارة الابراج التى هناك والسور والامير خدابردى نائب الاسكندرية أحد المقدمين وكان مقيما بها والامير قانصوه الشهير برجله أحد الامراء المقدمين نائب قطيا وكان مقيما بها فلما أشرقت شمس يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر المقدم ذكره انسحبت اطلاب الامراء المقدمين المتوجهين صحبة الركاب الشريف فكان أولهم طلب الامير كرتباى أحد المقدمين وهو الذى كان والى القاهرة ثم طلب الامير اقباى الطويل أمير اخور ثانى أحد المقدمين ثم طلب الامير تانى بك الخازندار ثم طلب الامير ابرك الاشرفى أحد المقدمين ثم طلب الامير علان بن قراجا الدوادار الثانى أحد المقدمين ثم طلب الامير بيبرس قريب السلطان ثم طلب الامير جان بلاط الشهير بالموتر ثم طلب الامير قانصوه كرت ثم طلب الامير قرا الحسنى الشهير بالزردكاش ثم طلب الامير قانصوه ابن السلطان جركس ثم طلب الامير انسباى بن مصطفى حاجب الحجاب ثم طلب الامير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب ثم طلب المقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف امير اخور كبير ثم طلب الامير اركماس بن طراباى أمير مجلس وقد قرر أمير سلاح ثم بعد ذلك مشى طلب الاتابكى سودون بن جانى بك الشهير بالعجمى وكان طلبه غاية فى الحسن والترتيب فلما انقضى أمر الاطلاب خرج السلطان من باب الاصطبل الذى عند السلم المدرج فخرج وقدامه النفير السلطانى المسمى بالبرغشى وهو فى موكب عظيم قل أن يتفق لسلطان موكب مثل ذلك الموكب فكان فى أول الموكب الافيال الثلاثة وهى مزينة بانواع الزينة ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ثم الامراء رؤس النوب بالعصى يفسحون الناس وقد ترادفت الامراء الطبلخانات والامراء العشراوات قاطبة ثم أرباب الوظائف من المباشرين منهم المقر القاضوى محب الدين محمود

ابن

ابن اجا كاتب السر الشريف والقاضى ناظر الجيش محيي الدين عبد القادر القصروى ومنهم ناظر الخاص علاء الدين ابن الامام والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر ومستوفى ديوان الانشاء الشريف والقاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة الشريفة وكاتب العساكر المنصورة والقاضى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة واستادار الذخيرة والشرفى يونس النابلسى كاتب جيش الشام واستادار العالية كان والقاضى أبو البقاء ناظر الاسطبل المعمور وأولاد الجيعان كتاب الخزائن الشريفة وأولاد الملكى كتاب استيفاء الجيش وكاتب الزردخاناه وغير ذلك من أرباب الوظائف من المباشرين والشرفى يونس نقيب الجيوش المنصورة وكان حاضرا هذا الموكب السادة الاشراف اخوة الشريف بركات أمير مكة فكانوا قدام الامراء المقدمين ثم تقدمت الامراء المقدمون قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المقر الناصرى أمير اخور كبير والى جانبه الاتابكى سودون العجمى ثم من بعد ذلك تقدمت السادة القضاة الاربعة مشايخ الاسلام وهم قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنة وقاضى القضاة المالكى محيي الدين يحيى الدميرى وقاضى القضاة الحنبلى شهاب الدين أحمد الفتوحى الشهير بابن النجار ثم بعدهم أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن المستمسك بالله يعقوب العباسى وهو لابس العمامة البغدادية التى بالعذبتين وعليه قباء بعلبكى بطراز أسود حرير ولم يكن على رأسه صنجق خليفتى وقد اختصر هذا الخليفة أشياء كثيرة مما كان يعمل للخلفاء المتقدمين من أقاربه ثم مشت الجنائب السلطانية فكانوا طوالتين خيل بعراقى وسروج بغواشى حرير أصفر وطبول بازات وطوالتين خيل بكابيش وسروج ذهب ومياثر زركش وبعضهم بسروج بلور مزيكة بالذهب وشئ عقيق مزيك بفضة وقد تقدم ذكر الطلب بما شرح من وصفه قبل ذلك ثم تقدمت جماعة من رؤس النوب مشاة والجاويشية والطبردارية مشاة بالاطبار ولم يكن قدامه لاوطاق ولا شبابة سلطانية كما هى عادة السلاطين فى المواكب ثم مشت البقج والجامع مغطية بالحرير الاصفر ومشى البخورى بالمجمرة قدامه ثم أقبل السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى عز نصره وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة وكان السلطان راكبا على فرس أشقر بسرج ذهب وكنبوش وعلى رأسه كاوته وهو لابس قباء بعلبكى أبيض بطرز ذهب على حرير أسود عريض قيل كان فيه خمسمائة ذهب بنادقة وكان ذلك اليوم فى غاية الابهة والعظمة فانه كان حسن الهيئة تملأ منه العيون مبجلا فى المواكب وأقبل والصنجق السلطانى على رأسه ومقدم المماليك سنبل العثمانى خلفه وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش والجم الكثير من الخاصكية والجمدارية فدخل من باب زويلة وشق القاهرة فى ذلك

الموكب الحافل فارتجت له القاهرة فى هذا اليوم وضجت الناس له بالدعاء من العوام وغيرهم وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان فاستمر فى ذلك الموكب حتى خرج من باب النصر وكان يوما مشهودا ثم وصل الى المخيم بالريدانية ثم فى عقيب ذلك اليوم نزلت خوبخانات فيها الذهب والفضة وضمن كل واحدة من الذهب العين ألف دينار خارجا عن المعادن وقد فرغ الخزائن من الاموال التى جمعها من أوائل سلطنته الى أن خرج فى هذه التجريدة وفرغ أيضا حواصل الذخيرة وأخذ ما فيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة التى كانت بها من ذخائر الملوك السالفة من سروج ذهب وبلور وعقيق وغير ذلك من كنابيش زركش وطبول بازات بلور ومينه وبركستوانات مكفتة واكوارزركش وغير ذلك من التحف الملوكية فنزل جماعة من كتاب الخزينة صحبة الخوبخانات وجماعة من الخزندارية وهم بالشاش والقماش فكانت تلك الخوبخانات محملة على خمسين جملا ثم نزلت الزردخانه وهى محملة على مائة جمل وقدامها طبلان وزمران وعيدان نقر على جمال فتوجهوا الى الوطاق وفى يوم الاحد سادس عشره أرسل السلطان نادى فى القاهرة أن الرحيل يوم الجمعة حادى عشريه فلا يتأخر أحد من العسكر الذى تعين للسفر ولا يحتج بحجة ولا عذر ولما أقام السلطان فى الوطاق عين جماعة من نواب السادة القضاة للسفر صحبة الركاب الشريف فأما نواب الشافعية فعين منهم الشيخ زين العابدين نجل القاضى كمال الدين الطويل والقاضى شمس الدين بن وحيش والقاضى شمس الدين التفهنى امام الامير اركماس أمير سلاح والقاضى زين الدين الظاهرى فجملة ذلك أربعة من نواب الشافعية وعين من مشايخ العلم الشافعية جمال الدين الصانونى مفتى المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبى قارئ الحديث الشريف وسافر صحبة هؤلاء العلماء اخوة الشريف بركات أمير مكة وأما من تعين من نواب السادة الحنفية فالسيد الشريف القاضى البرديني والقاضى زين الدين الشرنقاشى والقاضى شرف الدين البلقينى والقاضى عز الدين خليل وأما نواب السادة المالكية فتعين منهم القاضى شمس الدين المدينى والقاضى معين الدين بن يعقوب وأما نواب السادة الحنابلة فتعين منهم القاضى شهاب الدين الهيثمى والقاضى شمس الدين الطرابلسى وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من مشايخ الصوفية فنهم السادة الاشراف القادرية وخليفة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه والشيخ محمد بن كشك وخليفة سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه والشيخ عفيف الدين شيخ مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من أئمة السلطان فقاضى القضاة الحنفية شمس الدين السمديسى والشيخ شهاب الدين بن الرومى وأما من توجه من مشايخ القراء صحبته فالشيخ شمس الدين بن الطريف والشيخ الخواص

والرومى والشيخ حسن الطنتنائى وابن القاضى خليل والشيخ أبو الفضل الفار وابنا عثمان الاثنان وأما من سافر معه من المؤذنين فنهم نور الدين الخواص ونور الدين الحسنى وجلال الدين وناصر الدين وأما من توجه صحبة السلطان من الموقعين فنهم القاضى رضى الدين الحلبى والقاضى عمر بن معين الدين والقاضى علم الدين العباسى والقاضى محب الدين الطاهرى وشمس الدين الجيزى وسعد الدين بن الرومى وأما من توجه صحبته من كتاب الخزينة فنهم القاضى كريم الدين عبد الكريم بن الجيعان أخو الشهابى أحمد والقاضى شمس الدين محمد ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان وأما كتاب الزردخانة فنهم القاضى زين الدين عبد الباسط والقاضى عبد الكريم بن الادنى وغير ذلك من المباشرين وأما من توجه صحبة السلطان من الاطباء فنهم محمد بن الرئيس شمس الدين القوصونى وهو رأس الاطباء الآن وصحبته جماعة من الاطباء ومن الكحالين عبد الرحمن بن الشريف ومحمد بن العفيف وآخرون ومن المزينين عبد القادر المرشدى وآخرون من الجرايحية وأما من توجه صحبته من مغانى الدكة فهم نور الدين المحوجب وأحمد بن أبى سنة وأحمد الحلاوى وتوجه صحبة السلطان جماعة كثيرة من البنايين والنجارين والحدادين كما جرت به العادة وسافر معه شيخ المشايخ المسمى بشيخ الحرافيش وجنده وصنجقه وطبله وكان هو قدام طلب السلطان لما دخل الى دمشق كما جرت به العوائد القديمة عند خروج التجاريد ولما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر رحل من المخيم الشريف ثلاثة من الامراء المقدمين وهم الامير كرتباى الاشرفى الذى كان والى القاهرة وبقى مقدم ألف وكان جملة ما معه من مماليكه أربعين مملوكا والامير برك الاشرفى والامير بيبرس قريب السلطان وكان جملة ما معه من مماليكه أربعة وأربعين مملوكا وفى يوم الاربعاء تاسع عشره رحل من الامراء المقدمين ثلاثة أيضا وهم الامير تانى بك الخازندار وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين وستين مملوكا والامير قانصوه كرت وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين وخمسين مملوكا والامير قانصوه ابن سلطان جركس وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وسبعين مملوكا وأما الامير جان بلاط الموتر فكان جملة ما معه من مماليكه ستة وثلاثين مملوكا والامير تمر الزردكاش كان جملة ما معه من مماليكه اثنين وسبعين مملوكا وفى يوم الجمعة حادى عشريه رحل من الامراء المقدمين أرباب الوظائف الامير انسباى حاجب الحجاب وكان جملة من معه من المماليك أربعة وستين مملوكا والاتابكى سودون العجمى وأما المقر الناصرى ولد السلطان أمير اخور كبير والامير اقباى الطويل أمير اخور ثانى فانهم لا يرحلون الا فى ركاب السلطان وكان جملة ما مع الاتابكى سودون من مماليكه مائة وخمسة وثلاثين مملوكا وولد السلطان عشرين مملوكا كتابية صغار الخدمة وجملة ما مع

الاميراقباى الطويل من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا فكان جملة مامع هؤلاء الامراء الذين توجهوا صحبة السلطان تسعمائة وأربعة وأربعين مملوكا على ماقيل ويقال ان عدة المماليك الذين خرجوا فى هذه التجريدة من القرانصة والجلبان وأولاد الناس خمسة آلاف نفر على ماقيل والله أعلم وقيل تأخر بالقاهرة من المماليك القرانصة والعواجز والشيوخ والمماليك الجلبان فى الطباق والقلعة وأولاد الناس نحو ألفى نفر على ماقيل وفى يوم الجمعة حادى عشريه رحل من الريدانية الاتابكى سودون العجمى هو وأتباعه ومماليكه وتأخر ابن السلطان والاميراقباى الطويل أميراخور ثانى وأشيع أنهما يرحلان صحبة السلطان ولما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نائب حلب واذا فيها ان ابن عثمان أرسل قاصدا فعوقناه عندنا وأخذنا الكتاب منه وها هو واصل لكم فوصل اليه وهو بالمخيم بالريدانية ولما فكه السلطان وقرأه فاذا فيه عبارة حسنة وألفاظ رقيقة منها أنه أرسل يقول له أنت والدى وأسئلك الدعاء وانى مازحفت على بلاد على دولات الا باذنك وانه كان باغيا على وهو الذى أثار الفتنة القديمة بين والدى والسلطان قايتباى حتى جرى بينهما ماجرى وهذا كان غاية الفساد فى مملكتكم وكان قتله عين الصواب وأما ابن سوار الذى ولى مكانه فان حسن ببالكم أن تبقوه على بلاد أبيه أو تولوا غيره فالامر راجع اليكم وأما التجار الذين يجلبون المماليك الجراكسة فانى مامنعتهم وانما هم تضرروا من معاملتكم فى الذهب والفضة فامتنعوا عن جلب المماليك اليكم وان البلاد التى أخذتها من على دولات أعيدها لكم وجميع ماترومونه ويريده السلطان فعلناه فلما سمع السلطان ذلك أحضر الامراء المقدمين وقرأ عليهم كتاب ابن عثمان فانشرح الامراء والسلطان لهذا الخبر واستبشروا بأمر الصلح والعود الى الاوطان عن قريب وكان هذا كله حيل وخداع من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد وفى عقيب ذلك اليوم حضر الامير اينال باى الدوادار سكين الذى كان توجه الى حلب بسبب كشف خبر ابن عثمان فلما حضر وجد السلطان قد برز خيامه الى السفر وخرج من القاهرة فاخبر أن قاصد ابن عثمان وصل الى حلب وأن ابن عثمان يقصد الصلح بينه وبين السلطان فقدم لاينال باى هناك تقدمة حافلة ومما وقع للسلطان وهو بالوطاق أن ليلة رحيله من الريدانية خلع على الامير طومان باى الدوادار كاملية بسمور حافلة وقرره نائب الغيبة بالقاهرة الى ان يحضر وخلع على القاضى بركات بن موسى وقرره فى الحسبة عوضا عن الامير ماماى الى أن يحضر وجعل الزينى بركات بن موسى المذكور متحدثا فى جميع أمور السلطنة وفى تلك الليلة أحضر مشاعل موقدة فطارت منها شرارة على خيمة السلطان فاحترق جانب منها فلم تتفاءل الناس بذلك بسبب السلطان فلما دخل الزينى بركات بن موسى

الى القاهرة تضاعفت عظمته الى الغاية وصار فى مقام نظام الملك وهو المتصرف فى أمور المملكة والامير الدوادار الكبير معه كالدولاب يديره كيف يشاء وفى تلك الليلة أيضا خلع على الامير الماس وقرره والى القاهرة وأوصاه بحفظها وعدم الظلم وخلع على الامير ماماى المحتسب ورسم له بالسفر معه الى حلب فرجع الامير الدوادار من عند السلطان وشق من الصليبة فى موكب حافل وقدامه المنادون تنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد من الناس يمشى من بعد العشاء بسلاح ولا يشوش مملوك ولا غلام على متسبب وأن من كان له ظلامة أو حق شرعى على أحد ولم يدفعه له فعليه بباب الدوادار فارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وكان الامير الدوادار محببا للرعية والفقراء قليل الاذى فى حق الناس ولما شق الصليبة شق فى موكب حافل وقدامه السعاة والسقاؤن والجم الكثير من الناس والاتباع والمماليك السلطانية وتوجه الى منزله فى ذلك الموكب وقد قلت فى ذلك

لقد شرف الاكوان نائب غيبة * أمير دوادار الى النهى والامر
كريم شجاع فى المعامع فارس * له نصرة فى الحرب بالبيض والسمر
اذا ما اشتكى المظلوم من جور ظالم * له طلعة بالعدل تؤذن بالفجر
فيارب كن عونا له ومساعدا * على كل ما يغشاه من حادث الدهر
وأبق ابن موسى للرعية انه * كليم زكى القلب أمن من السحر
جناب كريم ثم ناظر حسبة * ومولده قد كان فى ليلة القدر
وللسادة الاشراف ينظر بالتقى * ونال بهذا غاية الفوز بالاجر
وصار لديوان الذخيرة ناظرا * وعامله فى أعناق أعدائه يبرى
عزيز بمصر حاز طلعة يوسف * أعوذه بالنجم والنور والحشر

وفى يوم السبت ثانى عشرى ربيع الآخر رحل السلطان من المخيم الشريف بالريدانية وصحبته الخليفة والقضاة الاربعة وولده المقر الناصرى أمير اخور كبير واقباى الطويل أمير اخور ثانى فصلى صلاة الصبح ورحل وتوجه الى خانقاه سرياقوس وكانت مدة اقامته فى الوطاق بالريدانية سبعة أيام فلما توجه الى خانقاه سرياقوس أقام بها يوما وليلة ورحل عنها يوم الاحد ثالث عشريه وفى يوم الاثنين رابع عشريه فرقت الجامكية الثالثة على العسكر الذى تأخر بمصر فجلس الامير طقطباى عند سلم المدرج وصرفت الجامكية بحضرته وهذه أول جامكية صرفت فى غيبة السلطان وفى ذلك اليوم رسم الامير الدوادار للامراء المقدمين الذين عينهم السلطان الى الشرقية والغربية بأن يخرجوا ويسافروا لاجل حفظ البلاد من فساد العربان فتوجه الامير تانى بك الى الشرقية والامير ازبك المكحل الى الغربية والامير قانصوه الفاجر الى المنوفية والامير قانصوه أبو سنه الى

البحيرة والامير بخشباى كان مسافرا الى جهة الفيوم بسبب عمارة الجسر الذى هنالك ثم
نادى الامير الدوادار فى القاهرة لجميع المماليك السلطانية المعينين الى البلاد بان يخرجوا
صحبة الامراء الذين يسافرون الى الشرقية والغربية ولا يتأخر عن ذلك أحد من المماليك
المعينة للسفر فامتثلوا ذلك وفى يوم الاثنين رابع عشريه توفى الامير نوروز تاجر المماليك
وأحد الأمراء الطبلخانات وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان قد كبر وثقل
فى الشحم حتى عجز عن الحركة واستمر على ذلك حتى مات فأشيع أن السلطان أنعم على
مملوكه ماماى الذى قرر فى الحسبة بيرك نوروز وخيوله وبغاله وخيامه على ماقيل والله أعلم
وفى ذلك اليوم أظلم الجو وأرعد وأبرق وأمطرت السماء مطرا غزيرا وكان ذلك فى أول بؤنة
من الشهور القبطية فاستمر المطر عمالا ثلاثة أيام متوالية حتى عد ذلك من النوادر وقام
عقيب ذلك رياح واصفر الجو صفرة عظيمة وقت المغرب فتفاءل الناس بوقوع فتن فى الوجود
وقد جرى فيما بعد وفى ذلك اليوم جاءت الاخبار من عند السلطان انه لما رحل من الخانقاه
وجد فى وطاقه شخص من السعادنة زعموا انه فداوى أرسله علم الدين جلبى السلطان
الذى تغير خاطره عليه كما تقدم ذكر ذلك فقال أعداء علم الدين انه أرسل ذلك الفداوى
ليقتل الصبى المسمى بعبد الرزاق الذى صار جلبى السلطان عوضا عن علم الدين فقبضوا
على ذلك الرجل الذى زعموا انه فداوى وأحضروه بين يدى السلطان فقرره فأنكر فرسم
بشنقه ثم ان السلطان أرسل يقول للامير الماس والى القاهرة بان يكبس على علم الدين
وعلى أقاربه ويقبض عليهم ويشنق علم الدين على بابه فلما بلغ علم الدين الجلبى ذلك اختفى
وهرب من بيته ثم ان الوالى قبض على جماعة من الساسة من أقارب علم الدين ووضعهم
فى الحديد فأشيع بين الناس انهم شنقوهم فى المقشرة أو سجنوهم حتى يحضر السلطان
وكان قبل ذلك حرق للامراء أيضا عدة شون دريس فى الحسينية بنحو ألفى دينار فنسبوا
ذلك لفعل جماعة من الساسة من أقارب علم الدين الجلبى واذا وقعت البقرة كثرت
سكاكينها واستمر الطلب الحثيث على علم الدين الجلبى الى أن ظفروا به فقيل ان الوالى لما
هرب علم الدين أرسل مماليكه بالابس الكامل فى طلب علم الدين فلم يظفروا به وفى يوم الجمعة
ثامن عشريه خرج الامير الدوادار وسافر بسبب سد جسر الفيض وجسر ابى المنجا وقد
أعيا الخولة سدهما وكان النيل قد زاد قبل المناداة وكان فى اثنى عشر ذراعا فتعب الامير
الدوادار فى سد تلك الجسور غاية التعب وكسر مراكب فى أساس هذين السدين والماء
يقوى على مايصنعون الى ان أعان الله وسدهما ورجع وفى جمادى الاولى خرج الامير
ماماى الصغير المحتسب وسافر ولحق السلطان وخرج صحبته صبى صغير عمره ثلاث عشرة
سنة ويقال له قاسم بن احمد بك بن أبى يزيد بن عثمان وكان عمه سليم شاه بن عثمان لما قتل أخاه
أحمد بك فر ابنه قاسم هذا هو ولالاه ودخل الى حلب فى الخفية ثم جاء الى مصر وأقام بها الى

ان

أن خرج السلطان الى جهة البلاد الشامية فأخذه صحبته ليبلغ بذلك مقاصده فلم يفد من ذلك شيء ولما خرج صحبة الامير ماماي خرج وقدامه جنائب وكان السلطان قد قام له بمصالح البرق وتكلف عنه بنحو ألفي دينار حتى يظهر أمره ويشاع ذكره فى بلاد بنى عثمان بان فى مصر من أولاد بنى عثمان ولداذكرا وظن السلطان أن عسكر ابن عثمان اذا سمعوا ذلك يخامرون على سليم شاه ويأتون الى هذا الصبى قاسم فلم يظهر لهذا الامر نتيجة ولا أفاد ماقصده شيأ فشق من الصليبة وعلى رأسه عمامة تركمانية وفى وسطه خنجر ملوكى وقيل كان فى اذنه بلخشة مثمنة وصحبته جماعة من العثمانية وخرج صحبته الامير ماماي والامير اينال باي دوادار سكين الذى كان قد حضر من البلاد الشامية فرسم له السلطان بالعود ثانيا صحبته الى حلب ومن الحوادث التى جرت فى غيبة السلطان ان الامير الماس والى الشرطة صار يحجر على الناس ويأمرهم بأن يعمروا على الحارات والازقة دروبا فأماكن شتى فعمروا دربا فى رأس سوق الدريس ودربا فى الحسينية ودربا على قنطرة الحاجب ودربا عند الفرايين وآخر عند خوخة القطانين وآخر عند المقس وعدة دروب فى أماكن شتى وسد عدة خوخ كانت بالقاهرة فصار على رأس الناس طيرة بسبب المناسر والحريق بالقاهرة وأمرهم بأن يعلقوا على كل دكان قنديلا وان لا يخرج أحد من الناس من بيته بعد العشاء ولا يمشى بسلاح ومن الوقائع اللطيفة أن الامير الدوادار لم يشوش على أحد من أجناد الحلقة ولا ألزمهم بالمبيت فى القلعة فى غيبة السلطان وكانت العادة القديمة ان السلطان اذا سافر نحو البلاد الشامية تتسلط نقباء القصر على أولاد الناس من نقباء الحلقة ويلزمونهم بالمبيت فى القلعة فى كل ليلة فى مدة غيبة السلطان الى أن يحضر من السفر فيحصل لهم مشقة زائدة ويقاسون تعبا شديدا بسبب طلوعهم كل ليلة الى القلعة ليبيتوا بها بعيدا عن بيوتهم فى الشتاء والذى لا يبيت يقيم له بديلا يبيت عنه بالقلعة وكان ذلك يعمل الى أيام الاشرف قايتباى لما كان يسافر فلم يتعرض الامير الدوادار لما سافر الغورى الى أحد من الناس من أجناد الحلقة فكتب ذلك فى صحيفة الامير الدوادار ودعاله أولاد الناس الذين أبطل عنهم هذه السنة السيئة ومن الحوادث فى غيبة السلطان أن شخصا من مماليك السلطان الجلبان قصد أن يشترى قحا من مركب على شاطئ البحر فلما اشتراه لم يجد تراسا فوجد شخصا من الفلاحين الصعائدة ومعه حمار وزكيبة فأمسك المملوك ذلك الحمار والزكيبة فلم يعطه الفلاح اياهما وتنازع معه فضربه المملوك ضربا مبرحا على رأسه حتى سال دمه فألقى الرجل نفسه فى البحر فأغمى عليه فمات فعند ذلك تكاثر الناس على ذلك المملوك فمسكوه وأتوا به الى بيت الامير الدوادار فوضعه فى الحديد وأرسله الى الوالى فلما بلغ خشداشينه أتوا الى بيت الدوادار فوجدوه غائبا نحو جسر الفيض بسبب سده فقيل

للماليك ان ذلك المملوك سلمه الامير الدوادار الى الامير الماس الوالى فعند ذلك نزل من
الطباق الجم الكثير من المماليك الجلبان لأجل أن ينهبوا بيت الوالى و يحرقوه
و يطلقوا المملوك فتغافل الامير الدوادار عن أمر ذلك القتيل وراحت على من راحت
❁ ومن الحوادث فى غيبة السلطان ان شخصا من الطواشية يقال له عنبر مقدم طبقة
الاشرفية وكان ساكنا بالقلعة فى خرائب تتر وكان متهما بالمال وكان عنده ودائع من جوامك
المماليك فنزل عليه بعض الحرامية وهو راقد فى بيته ليلا وضربوه على رأسه بالجلبات حتى
مات وأخذوا جميع ما فى بيته وقتلوا عبده وجاريته ولم ينتطح فيها شاتان حتى تحير الامير
طقطباى نائب القلعة من ذلك وكيف جرى فى وسط القلعة والابواب تغلق من بعد المغرب
فعد ذلك من العجائب وفى يوم الثلاثاء تاسعه توفى قاضى القضاة الشافعية جمال الدين
ابراهيم ابن الشيخ علاء الدين القلقشندى رحمة الله عليه وكان من أهل الدين والعلم والفضل
وله سند عال فى الحديث الشريف وولى منصب القضاء فى أيام الاشرف الغورى مرتين
وكان قد كبر وشاخ وقارب التسعين سنة وكان من أعيان علماء الشافعية رحمة الله عليه
وفيه وردت الاخبار بأن السلطان دخل الى الصالحية فى يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع
الآخر قيل انه لما أراد الرحيل منها أذن للخليفة والقضاة الاربعة أن يتقدموا الى غزة
ثم لما وصل الى قطيا لاقاه الامير قانصوه رجله نائب قطيا ومد له هناك مدة حافلة وقدم له
تقدمة جيدة على ما قيل ومن الاشاعات التى أشيعت فى أثناء الطريق أنه سرقت بغلة قاضى
القضاة الحنفية ثم ظهرت بعد ذلك وتكاف عليها الحلوان حتى رجعت اليه وأشيع أن
بقجة فيها قماش قاضى القضاة الحنبلى سرقت من خيمته وأشيع أنه قد سرق للسلطان جمل
عليه مال له صورة فقبض على من فعل ذلك ووسط من الجمالة ثلاثة أنفار وكل ذلك اشاعات
ليس لها صحة ثم وردت الاخبار أن السلطان دخل مدينة غزة المحروسة يوم الخميس رابع
جمادى الاولى فلاقاه الامير دولات باى نائب غزة ومد له مدة حافلة وقدم له تقدمة عظيمة
وقيل انه أقام بها خمسة أيام ورحل عنها وأشيع أن السلطان لما كان بغزة خلع على جمال
الدين الالواحى بوابة الدهيشة وقرره معلم المعلمين عوضا عن الشهابى أحمد بن الطولونى بحكم
انفصاله عنها وكان هذا من غلطات الزمان فى تولية الوظائف غير أهلها وفى يوم الجمعة تاسع
عشره طلع ابن أبى الرداد بشارة النيل المبارك فأخذ القاعدة فجاءت اثنى عشر ذراعا وهذا
من النوادر وقد بقى على الوفاء ستة أذرع هكذا نقله المقريزى فى الخطط وزاد الشيخ جلال
الدين السيوطى فى كتابه المسمى بكوكب الروضة أربعة وعشرين اصبعا
من أيام الناصر محمد بن قلاون ما رأوا القاعدة جاءت اثنى عشر ذراعا فان فى أيامه سنة احدى
وستين وسبعمائة جاءت القاعدة اثنى عشر ذراعا وكان الوفاء سادس مسرى و بلغت الزيادة

فى تلك السنة الى مايقرب من أربعة وعشرين ذراعا فحصل للناس بسبب ذلك الضرر
الشامل واستمر وافى هبوطه حتى هبط بعد مامكث الى آخر توت ثم فى أيام الاشرف
برسباى فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة جاءت القاعدة أحد عشر ذراعا وعشرة أصابع
وكان الوفاء ثانى مسرى وبلغت الزيادة فى تلك السنة عشرين اصبعا من الذراع العشرين
وثبت الى أواخر بابه فلما جاءت القاعدة فى هذه السنة اثنى عشر ذراعا حسبت الناس أن
النيل يمكث على الاراضى وقت أوان الزرع وانه يبقى فى غير أوانه فما حصل فى هذه السنة
الا كل خير ووفى النيل فى أوانه وسيأتى الكلام عليه فى موضعه وفى يوم السبت سابع
عشره توفى الامير جانى باى من طبقة الزمامية وكان من أمراء الطبلخانات وأصله من
مماليك الاشرف قايتباى وكان لا بأس به وفيه أخرجوا فلوسا جددا وأبطلوا الفلوس
العتق ونادوا بان الفلوس العتق بنصفين الرطل والجدد معاددة فوقف حال الناس بسبب
ذلك وفى جمادى الآخرة وكان مستهله يوم الثلاثاء توجه جماعة من نواب القضاة وأعيان
الناس الى بيت الامير الدوادار وهنوه بالشهر وفى هذا الشهر وردت الاخبار بان السلطان
دخل الى دمشق المحروسة يوم الاثنين ثامن جمادى الاولى فلاقاه الامير سيباى نائب الشام
ودخل فى موكب حافل وقدامه الخليفة والقضاة الاربعة وسائر الامراء المقدمين
وأمراء الطبلخانات والعشراوات وأرباب الوظائف من المباشرين والجم الكثير من
العسكر والناس ولاقاه أمراء الشام وعساكرها وحمل على رأسه القبة والطير كما جرت به
عوائد الملوك من قديم الزمان فزينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودقت له البشائر بقلعة
دمشق ونثر على رأسه بعض تجار الافرنج ذهبا وفضة وفرش له سيباى تحت حافر فرسه
الشقق الحرير وازدحمت عليه المماليك بسبب نثار الذهب والفضة فكاد السلطان أن
يسقط عن ظهر فرسه من شدة زحام الناس عليه فنعهم من نثار الذهب والفضة ومن فرش
الشقق الحرير تحت حافر فرسه فكان له بدمشق يوم مشهود وعد ذلك من المواكب
المشهودة فاستمر ذلك الموكب الحفل حتى دخل من باب النصر الذى بدمشق وخرج الى
الفضاء منها وتوجه الى المصطبة التى يقال لها مصطبة السلطان وهى بالقابون القاقونى
فنزل هناك ورسم لبعض حجاب دمشق بعمارتها وكانت قد تشعثت من مرور السنين وهذا
الموكب لم يتفق لسلطان من بعد الاشرف برسباى لما توجه الى الشام فى سنة ست وثلاثين
وثمانمائة سوى الملك الاشرف قانصوه الغورى ثم ان السلطان أقام بالمصطبة التى بالقابون
تسعة أيام وقيل ان قاضى القضاة كمال الدين الطويل خطب بجامع بنى أمية جمعتين
ولم يحضر السلطان هناك الصلاة الجمعة وقيل استمرت مدينة دمشق مزينة سبعة أيام
ثم ان السلطان رحل عنها وتوجه الى حمص ثم رحل عنها وتوجه الى حماه فلاقاه نائبها جان

بردى الغزالى قيل انه مدله هنالك مدة حافلة أعظم من مدة أمير الشام على ما أشيع وقيل ان السلطان لما رحل من حماه نزل بها قانم بك بن أحمد بن عثمان الذى تقدم ذكره عند ما خرج من مصر وسافر صحبة الامير ماماى المحتسب كما تقدم وقيل انه فى ليلة الاثنين رابع عشر هذا الشهر خسف جرم القمر خسوفا فاحشا حتى أظلمت الدنيا وأقام فى الخسوف فوق خمسين درجة وتغطى بالسواد جميعه واستمر فى الخسوف الى ثلث الليل الاخير وفى يوم الاثنين رابع عشره رسم الامير الدوادار بشنق شخص من العربان المفسدين على قنطرة الحاجب وقد ضبط الامير الدوادار أحوال الديار المصرية فى غيبة السلطان ضبطا جيدا ورسم للامير ألماس والى القاهرة بأن يطوف فى كل ليلة من بعد العشاء وعين معه مائة مملوك من المماليك الجلبان يطوفون معه كل ليلة تنزل جماعة من المماليك من طباقهم بالنوبة ويطوفون مع الوالى الى طلوع الفجر فلم يقع فى غيبة السلطان فى القاهرة الا كل خير وكان ذلك على غير قياس وكان الامير الدوادار فى كل وقت يقمع الامير ألماس الوالى بسبب ما أخذه من الناس لاجل الدروب وقد أفحش فى الظلم فى هذه الحركة فكان يتفق مع أرباب الادراك والخفراء فيجبوا له من سكان الخطط والحارات لاجل عمارة الدروب فجبوا له من الناس أموالا لها صورة فكانت الخفراء اذا وقفوا على باب أحد من السكان يقررون عليه من الدراهم بحسب ما يختارونه من ذلك فاذا هرب صاحب الدار سمروا الباب على أولاده وعياله حتى يحضر ويدفع لهم ما قرروه عليه والمرأة الارملة يسمروا بابها عليها ويتركوها بالجوع والعطش حتى ترمى لهم من الطاقة اللحاف أو الطراحة أو البساط أو غير ذلك فكانوا يقررون على الفقراء من الناس شئ أشرفى وشئ أشرفيين وأما أعيان الناس فكانوا يقررون عليهم شئ خمسة أشرفية وشئ عشرة أشرفية بحسب ما يختارونه ففعلوا مثل ذلك بخط المقس وخط باب البحر وسويقة اللبن والحسينية وسوق الدريس وخط بركة الرطلى وغير ذلك من الاماكن والخطط ففعلوا فى هذه الحركة ما لم يفعله هناد من وجوه الظلم والفساد وهم يزعمون أن فى ذلك نفعا للمسلمين فى عمارة الدروب فجبوا من هذه الحركة مالاله صورة ولم يصرفوا منه الا القليل ثم حسنوا للوالى عبارة بأن يجبى من جامع ابن طولون الى مشهد السيدة نفيسة الى آخر السوق الطولونى على جميع الاملاك والدكاكين التى هناك وزعموا أنهم ينشؤا سورا على حدرة ابن قميحة الى باب القرافة وزعموا أن ذلك يمنع هجمة العربان على حين غفلة وكل هذا حيلة على أخذ مال الناس فشرعوا فى كتب أسماء الدكاكين والاملاك التى بتلك الحارات الطولونية والقرافية فلما بلغ الامير الدوادار زجر ألماس وحط عليه وكان أشاع ذلك على لسان الامير الدوادار فحلف الامير الدوادار أيمانا مغلظة أنه ماله علم بذلك وأبطل هذه الحادثة المهولة فدعا له الناس قاطبة ثم ان جماعة حاجب الحجاب قصدوا

أن

أن ينشؤا مظلمة أخرى وهى انهم يجبوا من سكان بركة الرطلى مالاله صورة بسبب قطع الطين الذى فى فم البركة فانه كان قد علا جدا حتى امتنع دخول المراكب للبركة ولما بلغ الامير الدوادار ذلك أبطل هذه الفعلة أيضا ورسم بسد فم البركة رأسا حتى لا تدخل اليها المراكب وفى يوم السبت تاسع عشره حضر الامير الدوادار وكان قد توجه الى الفيوم ليكشف عن الجسر الذى عمره الأمير يخشباى هناك فكشف عليه وعاد بعد أيام وفى غيبة السلطان كان الامير الدوادار يركب كل يوم ومعه الامراء العشراوات الذين بمصر ويسيرون نحو المطرية وبركة الحاج فاذا رجع يدخل من باب النصر وقدامه الجم الكثير من الامراء والعسكر وكل هذا الاجل العرب والفلاحين حتى لا يظنوا انه ما بقى فى مصر عسكر ولا يطمعوا فى أمر العامة وكان هذا من الآراء الحسنة وفى يوم الاثنين حادى عشرى جمادى الآخرة الموافق لسابع عشرى أبيب كان وفاء النيل المبارك وفتح السد يوم الثلاثاء ثانى عشريه الموافق لثامن عشرى أبيب وقد وفى قبل دخول مسرى بأربعة أيام وكان للناس مدة طويلة من سنة خمس وأربعين وثمانمائة ما رأوا النيل وفى فى سابع عشرى أبيب الا فى تلك السنة فصنف منادى البحر هذه الكلمات يا حبيب اهنا وطيب النيل أوفى فى أبيب وقد بقينا فى هنا يا فرحنا وكلمات أخر غير ذلك فلما وفى النيل توجه الامير طومان باى الدوادار نائب الغيبة لفتح السد فنزل فى مركب الحراقة وتوجه الى المقياس وخلق العامود ثم نزل من المقياس فى الحراقة المذكورة وصحبته جماعة من الامراء المقدمين الذين كانوا بمصر منهم الامير قطباى نائب القلعة والامير أرزمك الناشف وآخرون من الامراء فتوجه لفتح السد وكان يوما مشهودا فلما فتح انسد عاد الامير الدوادار الى بيته فى موكب حافل وقدامه الامراء بالشاش والقماش وجماعة من المباشرين فلما فتح السد جرى الماء فى الخلجان بعزم قوى وسر الناس فى ذلك اليوم بوفاء النيل قبل ميعاده وقد قيل فى المعنى

تمتع بماء النيل قبل وفائه * فقد طاب منه الشرب وهو لنا طب
وقد سكبت منه الجنادل فيضها * فأضحى بلا شك حلاوته سكب

ومن الحوادث أن الامير الدوادار نائب الغيبة منع الناس أن يسكنوا الجسر الذى ببركة الرطلى والخلجان قاطبة وعمل جسرا على خليج الزربية عند موردة الجبس فآل أمر الجزيرة الوسطى الى الخراب فلم يكن بها بيت ولا فتح فيها دكان ومنع المقاصفية أن ينصبوا مقصفا فى الجسر ولا فى الزربية فلم يكر فى الجسر ولا فى الزربية بيت ولا دكان ولم يسكن المسطاحى ولا حكر الشامى ولا الزربية وصارت بيوت بركة الرطلى خاوية على عروشها ولا سيما بيوت أولاد الجيعان وبيت كاتب السر وغير ذلك من بيوت الاعيان فحصل للناس فى هذه السنة غاية الانكاد بسبب ذلك وخسر الناس كراء بيوتهم وأشيع سد خوخة الجسر فتلطف القاضى

بركات بن موسى المحتسب بالامير الدوادار في أن يسمح للناس في دخول المراكب على العادة وأن يسكنوا الجسر فأبى من ذلك وقال ان العوام يفسدون نساء الاغوات المسافرين صحبة السلطان في هذه النيلية واستمر مصمما على منع ذلك ثم في أواخر النيلية شفع القاضي بركات بن موسى في خمسة مراكب للبياعين أن تدخل في البركة على العادة فدخل الحلواني والجبان والفاكهاني والعداس والسويحاتي لاغير فأقاموا أياما يسيرون فلم يجدوا من يبيعون عليه فضوا الى حال سبيلهم واستمرت بركة الرطلي ليس بها ديار ولا نافخ نار فعند ذلك عمل الشيخ بدر الدين الزيتوني هذه المرثية اللطيفة في واقعة الحال فقال

سألت اله العرش يسعم بالنصر * لسلطاننا الغوري فهو أبو النصر
مليك عزيز أشرف ومظفر * مؤيد دين ظاهر كامل القدر
لغيبته أضحى على الكون وحشة * فهابركة الرطلي مدمعها يجري
يحق لنا نرثي المقاصف بالبكا * خصوصا من المسطاح مع لذة الجسر
لقد كان فيه للخليع تواصل * لعمرك ان الوصل خير من الهجر
وكان بها جزيرة طاب ظلها * فناح عليها الطير والوحش في القفر
على ماجرى للجسر سافية بكت * وصاحت بقلب صار في غاية الكسر
ودوحته تبكي بجامعه دما * وقد أصبح الشامي يبكي على الحكر
وأضحت بيوت الجسر خالية فلا * لصاحبها سكنى ولا أحد يكرى
وقد أصبحت تلك القصور خواليا * فياوحشة السكان من كل ذي قصر
على بركة الرطلي نوحوا وعددوا * لما حل فيها من نكال ومن خسر
فكان بها القادسي حلاوة * مشبكها يشدو من المسك والعطر
وكان بها الفكاه يسعى بمركب * بخوخ ورمان يبشر بالبشر
وزهر ونسرين وآس ونوفر * لها بهجة للمرء طيبة النشر
وكان بها الجبان يقلي بمركب * فيجمع بين النار والماء في البحر
وكان بها اللاكلين قطائف * بها عطش تسقى من الغيث بالقطر
لها رونق في الصحن من فستق بها * وسكرها يروى حديث أبي ذر
وكان بها الحشاش يسرد بهجة * فذقطعوا الذاته صار في فكر
وكان بها السكير في غاية الهنا * يدير كؤس الراح في ليلة البدر
وكان بها السرا كبين مراكب * مستترة فيها وأخرى بلاستر
وكم داخل فيها مغن ومنشد * بنغمة فم من خفيف ومن شعر
وكم آلة للطر بين عهدتها * وجنك وأعواد تغرد كالقمري

وقد

وقد درست تلك المعاهد كلها * وناحت بها الغربان والبوم في الوكر
وشق شقيق الروض فيها ثيابه * وأرمى غصين الدوح ما فيه من زهر
وقد لبس الشجر ورسود ثيابه * وأبدى خرير الماء لطما من النهر
وسالت دموع السحب من أعين السما * وصار ضياء الصبح كالليل اذ يسرى
وقد كسفت شمس الضحى في سمائها * وأظلم نور البدر بالخسف للفجر
جزيرتنا الوسطى خراب لانها * بها وضعوا سد الماء بها يجرى
وقد أخذوا أنقاضها لبيعها * ولم يبق فيها من بناء سوى الجدر
وقد أصبح النوتي في غاية الضنا * ولا يلتقى فيها معاش ولا مكرى
وباع قماش الستر منها وقاعها * وباع المدارى حيث يدرى ولا يدرى
فيا مقلتى جودى بدمع تحسرا * ويا مهجتى صبرا وناهيك بالصبر
رعى الله أياما تقضت بطيبها * ونحن بمصر فى أمان وفى بشر
وكان الدوادار الكبير هو الذى * أشار بهذا المنع بالنهى والامر
أراد بهذا المنع صون حريم من * غدا صحبة السلطان والبنت فى الخدر
فكان بهذا الامر أكرم صائن * حريم جميع الناس من آفة الدهر
ولولا ابن موسى كان فى البعض شافعا * وقد نال شكر الشاكرين مع الاجر
لما سمعوا فيها بمركب بائع * ولا لاح فيها من جليس على الجسر
فيا ربنا أنعم علينا بنصرة * لسلطاننا الغورى والعسكر المصرى
وأنعم بعود الكل فى خير مقدم * الى الاهل والاوطان فى غاية الجبر
وصل على المختار من آل هاشم * محمد الهادى الى الخير والبشر
كذا الآل والاصحاب والتبع الأولى * لهم غاية الاحسان فى موقف الحشر
عليهم صلاة الله ما هبت الصبا * صباحا على عود وما غرد القمرى
وناظمها العوفى يدعو لكل من * رأى عيب زيتونى ويتم بالستر

وفى يوم الجمعة خامس عشريه توفى الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله وكان من أعيان مشايخ الصوفية وله شهرة طائلة بالصلاح والاستقامة بين الناس وكان لا بأس به وفى شهر رجب توفى الامير طراباى أحد الامراء العشراوات وكان مستهله يوم الخميس فتوجه جماعة من نواب القضاة والكتاب والاعيان الى بيت الامير الدوادار نائب الغيبة وهنؤه بالشهر وفى يوم الخميس ثامنه توفى تغرى بردى المعروف بالشمشماني وكان يدعى أنه من الامراء العشراوات قيل انه كان من جملة السقاة فمات عن عدة أقاطيع ورزق مشتروانه وكان فى سعة من الرزق وكان ينسب الى شح زائد وبخل وفيه جاءت الاخبار بوفاة شخص من الامراء

العشراوات يقال له مسايد وكان مسافرا صحبة السلطان فى التجريدة وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وفيه دخل الامراء الذين كانوا فى نواحى الشرقية والغربية كما تقدم ذكر ذلك فرجعوا عندما أوفى النيل وتقطعت الطرقات بالمياه وفيه قلق الناس بسبب الفلوس الجدد فصارت البضائع تباع بسعرين ووصل صرف النصف الفضة بالفلوس العتق الى ستة عشر درهما وكانت الفلوس الجدد تصرف معاددة وهى فى غاية الخفة فتضرر الناس لذلك وغلقت الدكاكين بسبب ذلك وتشحط الخبز وسائر البضائع وكادت أن تنشأ من ذلك غلوة وفيه وردت الاخبار بأن السلطان وصل الى حلب فدخلها فى يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة فكان لدخوله يوم مشهود وقدامه الخليفة والقضاة الاربعة وسائر الامراء كموكبه بالشام وحملت القبة والجلالة على رأسه وكان حاملها ملك الامراء خاير بك نائب حلب كما فعل سيباى نائب الشام وفى حال دخول السلطان الى حلب حضر قصاد سليم شاه بن عثمان ملك الروم فقيل أنه أرسل اليه قاضى عسكره وهو شخص يقال له ركن الدين وأحد أمرائه يقال له قراجا باشا وصحبتهم سبعمائة عليقة فنزلوا بمدينة حلب وبلغنى من الكتب الواردة بالاخبار أن السلطان لما حضر بين يديه قاضى ابن عثمان وقراجا باشا شرع يعتبهم على أفعال ابن عثمان وما يبلغه عنه وما جرى منه فى حقه وأخذه البلاد على دولات فقال له القاضى وقراجا باشا نحن فوض لنا أستاذنا أمر الصلح وقال كل ما اختاره السلطان افعلوه ولا تشاورونى وكل هذا حيل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال وينثنى عزمه عن ذلك وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد ثم ان قاضى ابن عثمان أحضر فتاوى من علماء بلادهم وقد أفتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفى وان قتله جائز فى الشرع وأرسل يقول فى كتابه للسلطان أنت والدى وأسألك الدعاء لكن لا تدخل بينى وبين الصوفى ومن جملة مخادعة السلطان ابن عثمان للسلطان الغورى أنه أرسل يطلب منه سكرا وحلوى فأرسل له الغورى مائة قنطار سكر وحلوى فى علب بكار وهذه حيلة منه وأرسل يقول فى كتابه انى لا أحول عن اسمعيل شاه أبدا حتى أقطع اثره من وجه الارض فلا تدخل بيننا فيما يكون فى أمر الصلح وأظهر أنه قاصد نحو الصوفى ليحاربه والامر بخلاف ذلك فى الباطن وذكروا انه على القيسارية بقصد التوجه الى الصوفى ثم ان السلطان خلع على قصاد ابن عثمان الخلع السنية وقيل ان السلطان ابن عثمان أرسل الى السلطان الغورى تقدمة حافلة وللخليفة وأمير كبير سودون العجمى فكان ما أرسله ابن عثمان من التقدمة أربعين مملوكا وأبدان سمور وأثواب مخمل وأثواب صوف وأثواب بعلبكية وغير ذلك وكان ما أرسله الى الخليفة بدنين سمور وثوب مخمل بكفوف قصب وثوبين صوف عال وأرسل اليه قاضى عسكر ابن عثمان ثوبين صوف وسجادة وبغلة وأرسل ابن عثمان الى أمير كبير أيضا تقدمة حافلة ما بين سمور ومخمل وصوف ومن المماليك اثنين ثم ان السلطان عين الامير مغلباى دوادار سكين بأن يتوجه

الى ابن عثمان وعلى يده مطالعة من عند السلطان الى ابن عثمان تتضمن أمر الصلح بينهما والامراء والعسكر منتظرون رد الجواب عن ذلك وقد نظمت هذه القصيدة فى معنى واقعة سفر السلطان من حين خروجه من مصر الى دخوله مدينة حلب فقلت

أدعوا بنصر للمليك الاشرف * سلطان مصر ذى المقام الاشرف
قد قدر الرحمن نقل ركابه * نحو الشآم وحسنها المستظرف
اختار أن يطأ البلاد لكشفها * فغدت تجود له بجود متحف
خضعت له النواب طوعا باللقا * من غير حرب أو حسام مرهف
لو كان ذو القرنين حيا فى الورى * لاقاه بالاكرام والفضل الوفى
تاريخه فاق الملوك تعاظما * فاصغى له واسمع بغير تكلف
عاينته يوما مضى فى موكب * يزهو على برقوق وهو الاشرفى
ركب الخليفة والقضاة أمامه * وجيوشه منها الاساود تختفى
عوذت طاعته بسورة يوسف * وجميع عسكره بآى الزخرف
فى غرة قد كان يوم دخوله * يوم الخميس بعسكر مترادف
قالت دمشق لفرحها لما أتى * أهلا بسلطان الانام المنصف
وتهللت بالنور جبهة ربوة * لما اكتست بالزهر حلة يوسف
وحماة أحياها بصائم عدله * فأطاعه العاصى بغير توقف
واشتاقه نهر الفرات وقد أتى * تياره بالماء فى عزم وفى
واستأنست حلب به مذ زارها * واستوحشت مصر له بتكلف
شرفت به حلب وقالت فرحة * ياحبذا من قادم مستظرف
سلطاننا الغورى صار مؤيدا * مذ حفه الرحمن باللطف الخفى
فالله يبقيه على طول المدا * ما أسكرت ريح الصبا كالقرقف
قد صار لابن اياس شعر قاله * لكن نظمى قد أتى بتضعف
ثم الصلاة على النبى المصطفى * خير البرية ماله من مسعف
والآل والاصحاب ما جن الدجى * أو ضاء صبح بعد ليل أوطف
وختام مسك قد شذا لما بدا * سلطان مصر ذى المقام الاشرف

وحكى أن السلطان لما دخل الى حلب رسم لقاضى القضاة كمال الدين الطويل بأن يخطب فى الجامع الكبير الذى بحلب فاجتمع الجم الكثير من أهل حلب فى الجامع المذكور فخرج قاضى القضاة كمال الدين الطويل ورقى المنبر وخطب خطبة بليغة وأورد أحاديث شريفة فى معنى الصلح وأذن المؤذنون بالجامع وقرؤا حزب السلطان هنالك وعملت الوعاظ وكان يوما

مشهودا بالجامع المذكور ولم يحضر السلطان ولم يصل صلاة الجمعة هناك كما فعل بدمشق فعابوا عليه ذلك وكان قاضى القضاة كمال الدين يخطب بالجامع الكبير مدة اقامة السلطان بحلب ومن الحوادث التى وقعت من السلطان بحلب انه أنعم على قانصوه نائب حلب بتقدمة ألف وعلى يوسف الناصرى شاد الشراب خانه الذى كان نائب حماه وعلى طراباى نائب صفد وعلى قرا زنائب طرابلس ومنها انه أنفق على أولاد الناس الذين توجهوا صحبته بلا نفقة لكل واحد منهم ثلاثون دينارا وكان رسم لهم قبل ذلك لكل واحد بخمسين دينارا فعارض فى ذلك كاتب المماليك وجعلها ثلاثين دينارا وصرف للعسكر ثمن اللحم عن ثلاثة شهور ثم ان السلطان فرق على مماليكه الجلبان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح لم يعبر عنها وفرق عليهم خيولا مالها عدد وصار ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال وخيول خاص وسلاح بطول الطريق ولم يعط المماليك القرانصة شيأ فعز ذلك عليهم فى الباطن ثم ان السلطان قرأ ختمة فى الميدان الكبير بحلب يوم الخميس مع ليلة الجمعة وحضر أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الاربعة ومشايخ الزوايا وصلى أمير المؤمنين بالسلطان فى الخيمة صلاة العصر وصلاة المغرب وأنعم السلطان فى ذلك اليوم باربعمائة دينار ومائة رأس غنم وأنعم على قاضى القضاة الشافعى بسبعين دينارا وعلى نوابه ومن معه من العلماء بسبعين دينارا والقاضى الحنفى كذلك وانعم على القاضى المالكى بخمسين دينارا وعلى نوابه الثلاثة بثلاثين دينارا وكذلك القاضى الحنبلى وأنعم على مشايخ الزوايا لكل واحد منهم خمسون دينارا وأنعم على الفقراء الذين سافروا صحبته لكل واحد منهم عشرة دنانير وأنعم على القرّاء الذين حضروا هذه الختمة من قراء حلب وغيرها لكل واحد خمسة دنانير وفى عقيب ذلك أحضر السلطان الامراء المقدمين الألوف والنواب والامراء الطبلخانات والامراء العشراوات وحلفهم على المصحف الشريف بانهم لا يخونونه ولا يغدرونه فحلفوا كلهم على ذلك ثم نادى للعسكر بالعرض فى الميدان الذى فى حلب فعرضوا وهم باللبس الكامل وأدخلهم من تحت سيفين على هيئة قنطرة كما هى عادة الاتراك وعندهم ان هذا هو القسم العظيم ثم ان السلطان أرسل خلف قاسم بك فى حماه فلما حضر خلع عليه وأشهر أمره بحلب ثم وردت الاخبار الى حلب بان سليم شاه بن عثمان قبض على قاصد السلطان الذى كان أرسله الى ابن عثمان وهو الامير مغلباى أحد الدوادارية ووضعه فى الحديد وكان السلطان جهز الامير كرتباى الاشرفى أحد الامراء المقدمين الذى كان والى القاهرة الى ابن عثمان وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف دينار وخلع على قاضى عسكر ابن عثمان ووزيره قراجا باشا الذى تقدم ذكرهما خلعة سنية بطرز يلبغاوى عريض وأذن لهما بالعود الى بلادهما وكان هذا هو عين الغلط من السلطان الغورى حيث أطلق قصاد ابن عثمان قبل أن يحضر مغلباى ويظهر له من امر ابن عثمان ما يعتمد عليه ثم لما وصل الامير كرتباى الى

عنتاب

عنتاب بلغه ان السلطان ابن عثمان أبي الصلح وقبض على الامير مغلباى ووضعه في الحديد بعد أن قصد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه وقصد حلق لحيته وقد قاسى منه من البهدلة مالا يمكن شرحه فلما تحقق الامير كرتباى ذلك رجع الى حلب وأعلم السلطان بما فعله سليم شاه بن عثمان بالامير مغلباى وأن طوالع عسكره قد وصلت الى عنتاب وملكت قلعة ملطية وبهسنا وكركر وغير ذلك من القلاع ولما وصل الامير كرتباى بهذه الاخبار الردية الى السلطان اضطربت أحواله وأحوال الناس وأحوال العسكر قاطبة ثم ان السلطان أنعم على الامير عبد الرزاق وولاه على اقليم أولاد دولغادر فخرج من حلب وصحبته ملك الامراء خاير بك في موكب حافل فخرج نائب حلب وأمراؤها وعساكرها ونزلوا عن حلب يوم وصحبتهم من المشاة خمسة آلاف ماش وأنفق عليهم السلطان جامكية شهر واحد ثم خرج بعدهم ملك الامراء سيباى نائب الشام وتمراز نائب طرابلس وطراباى نائب صفد ونائب حمص ونائب غزة فخرجوا من حلب يوم السابع عشر من شهر رجب وقد أشيع أن ابن عثمان ماش من جهة وابن سوار ماش من جهة ثم ان السلطان نادى للعسكر بالرحيل من حلب والنزول على جيلان لقتال الباغي ابن عثمان وان السلطان والامراء عن قريب يخرجون الى القتال والذي يريده الله هو الذي يكون وهذا ما نقل من شرح كتاب أمير المؤمنين الى والده أمير المؤمنين يعقوب ثم ذكر فيه عن أمر الاسعار في حلب فقال الشعير كل اردب بسبعة وعشرين نصفا والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والجبن بنصفين الرطل واللحم بتسعة دراهم كل رطل مصري والدبس بنصف فضة الرطل المصري وتناهى سعر القمح الى اشرفيين كل اردب والكرسنة عليق الجمال بمائة وأربعة وعشرين درهما الاردب ثم ان السلطان أرسل مثالا اشريفا الى الامير الدوادار يتضمن الوصية بالرعية وان المماليك الجلبان الذين بالطباق يكفون الاذى عن الناس ولا يشوشون على أحد من المتسببين وان الامير الدوادار يعرض جميع من في الحبوس قاطبة من رجال ونساء ويطلق المديونين وغيرهم ولا يترك بالحبوس غير أصحاب الجرائم ممن عليه دم وأرسل أيضا يقول له ان كان درب الحجاز آمنا من العربان فجهز الحاج من القاهرة وان كان مخوفا فلا يسافر أحد من الحجاج في هذه السنة وأرسل أيضا مثالا اشريفا الى المماليك الجلبان الذين بالطباق بأنهم لا ينزلون من الطباق الى المدينة ولا يشوشون على أحد من الناس قاطبة ومن يفعل ذلك يشنق من غير معاودة فقرئ عليهم هذا المثال بالقلعة بين يدي الامير طقطباى نائب القلعة وأرسل بالسلام على الامراء والعسكر قاطبة وفي شهر شعبان وكان مستهله يوم الجمعة ووافق ذلك يوم النوروز من السنة القبطية فعد ذلك من النوادر وقد دخلت سنة قبطية في أول يوم من الشهور العربية ولا سيما يوم الجمعة وهو يوم فيه ساعة الاجابة وفي يوم السبت خلع الامير

الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له جانى بك القصير وهو من مماليك السلطان وقرره فى كشف منفلوط عوضا عن اينال بن جانى بك الذى كان بها وقد ضعف بصره وفى يوم الاحد ثالثه عرض الامير الدوادار الحبابيس الذين بالسجون وعرض النساء اللاتى بالحجرة فاطلق منهم جماعة ممن عليهم دين وصالح أرباب الديون من ماله وأرضاهم واستتاب جماعة من الحرامية وأطلقهم ورسم بتوسيط جماعة ممن عليهم الدم وأبقى منهم جماعة فى السجون الى ان يحضر السلطان ثم ان الامير الدوادار تصدق على الفقراء بمبلغ له صورة ورسم بقراءة ختمات فى جميع مساجد القاهرة وقال ادعوا للسلطان بالنصر وفى يوم الاثنين رابعه خلع الامير الدوادار على يوسف البدرى وأعاده الى الوزارة كما كان وهذه رابع ولاية له بالوزارة وفى ذلك اليوم نودى فى القاهرة بسفر الحاج على العادة وكان أشيع عدم خروج الحاج فى هذه السنة وفى يوم الثلاثاء خامسه مع ليلة الاربعاء توفى قاضى الحنفية كان برهان الدين ابراهيم بن الكركى وهو ابراهيم ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الكركى الحنفى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان الحنفية سمع على الشيخ محيى الدين الكافيجى والشيخ سيف الدين وآخرين من علماء الحنفية وكان امام الاشرف قايتباى ورأى فى أيامه غاية العز والعظمة وولى عدة وظائف سنية منها انه ولى مشيخة أم السلطان التى فى التبانة ومنها استيفاء الصحبة ثم ولى قاضى قضاة الحنفية مرتين ثم ولى مشيخة المدرسة الاشرفية وقاسى محنا وشدائد من الاشرف وكان بشوش الوجه عنده رقة حاشية ولطافة غير كثيف الطبع ومات وهو فى عشر الثمانين وعاش سعيدا ومات شهيدا وكان فى أرغد عيش من المال والجاه وكان سبب موته أنه كان ساكنا على بركة الفيل فنزل يتوضأ على سلم القيطون وفى رجله قبقاب فزلقت رجله بالقبقاب فوقع فى البركة وكانت فى قوة ملئها أيام النيل ولما وقع ثقلت عليه الثياب فمات من وقته رحمة الله عليه ومات شهيدا وفيه خلع الامير الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له خماس وقرره فى كشف المنوفية عوضا عن قانصوه الذى كان بها وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة شمس الدين محمد بن ناشى شيخ سوق الكتبيين وكان مقربا عند السلطان وقد حاز عدة وظائف سنية وفيه جاءت الأخبار بوفاة الامير يوسف الشهير بالمقطش الذى كان نائب صفد وعزل عنها ثم توفى بحلب وأشيع وفاة أبرك الذى كان كاشف اقليم الجيزة وكان من الامراء العشراوات وأشيع وفاة جماعة كثيرة كانوا صحبة السلطان بسبب وخم حصل لهم فماتوا فى غزة وفى الشام وفى حلب من الأمراء العشراوات والخاصكية والغلمان وغير ذلك مالا يحصى عدده ماتوا من كثرة الاوخام التى كانت معهم بطول الطريق وفيه جاءت الاخبار بصحة ما تقدم ذكره وان السلطان لما كان بحلب أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الامراء منهم الامير يوسف الناصرى شاد الشرابخاناه ومنهم

طراباى بن يشبك نائب صفد ومنهم قانصوه استادار الصحبة ومنهم قانصوه الاشرفى نائب
قلعة حلب ومنهم تمراز نائب طرابلس وآخرين والذى يظهر من أمر السلطان أنه كان يريد
ابطال جماعة من الامراء المقدمين العواجز ويجعل هؤلاء عوضاعنهم وفى يوم الجمعة خامس
عشر شعبان توفى الحاج على البرماوى برددار السلطان والمتحدث على جهات الديوان المفرد
وقد رأى من العز والعظمة مالم يره غيره من البرددارية وساعدته الاقدار حتى وصل الى مالم
يصل اليه غيره فى هذه الوظيفة وكان سبب موته أنه طلع له شقفة فى ظهره فانقطع اثنى عشر
يوماومات وكان أصله من فلاحين برمة يبيع الخام والطرح فى الاسواق وهو راكب على حمار
الى أن فتح الله عليه وكان لا بأس به وعنده لين جانب مع تواضع زائد وظهر له من الموجود بعد
موته من الذهب العين خمسمائة ألف دينار وستمائة دينار ووجد له فى مكان اثنا عشر ألف
دينار ذهب عين برسبيه ووجد له من الجوخ والمهارة نحو خمسة وأربعين رأسا ومن
الجاموس مائة رأس ومن الغنم الضأن ألف راس ووجد له بالدواليب أربعمائة ثور وضاع له
عند الفلاحين بالبلاد أكثر مما تقدم ذكره فقوم ذلك الموجود بمائة ألف دينار وفى يوم
السبت سادس عشر شعبان أشيع خبر هذه الكائنة العظيمة التى طمت وعمت وزلزلت لها
الاقطار وما ذلك الا ان أخبار السلطان والعسكر انقطعت مدة طويلة ثم حضر كتاب على يد
ساع مجرد مطرد من عند الامير علان دوادار ثانى أحد الامراء المقدمين وضمنه ان السلطان
كان يكذب فى أمر سليم شاه بن عثمان تارة ويصدق أخرى الى أن حضر الامير مغلباى دوادار
سكين من عنده وهو فى حال نحس برنط أقرع على رأسه وعلى بدنه كبر عتيق دنس وهو راكب
على اكديش هزيل وقد نهب جميع بركه وأخذت خيوله وقماشه وأخبر أن ابن عثمان أبى
الصلح وقال له قل لاستاذك يلاقينا على مرج دابق وأخبره أنه وضعه فى الحديد وقصد أن
يحلق لحيته وقدمه الى الشنق ثلاث مرات فشفع فيه بعض وزرائه وحمله الزبل من تحت
خيله فى قفة على رأسه وقاسى منه من الهوان والاهوال مالا خير فيه فلما سمع السلطان
هذه الحكاية تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان فقيل انه أنعم على مغلباى بألف دينار
وخيول وقماش فى نظير ماذهب له والذى استفاض بين الناس من أخبار السلطان انه
صلى الظهر وركب وخرج من ميدان حلب يوم الثلاثاء فى العشرين من رجب
وصحبته أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الاربعة وكان قد تقدمه نائب الشام
ونائب حلب وجماعة من النواب فخرجوا باطلاب حربية وطبول وزمور ونفوط حتى
رجت لهم حلب فلما خرج السلطان من حلب توجه الى جيلان فبات بها فلما أصبح
يوم الاربعاء حادى عشرى رجب رحل السلطان من جيلان وتوجه الى مرج دابق
فأقام الى يوم الاحد خامس عشرى رجب وهو يوم نحس مستمر فما يشعر الا وقد دهمته
عساكر سليم شاه ابن عثمان فصلى السلطان صلاة الصبح ثم ركب وتوجه الى زغزغين

ونزل الفار قيل ان هناك مشهد نبي الله داود عليه السلام فركب السلطان وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة وعلى كتفه طبر وصار يرتب العسكر بنفسه وكان أمير المؤمنين على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طبر مثل السلطان وعلى رأسه الصنجق الخليفتي وكان حول السلطان أربعون مصحفا في أكياس حرير أصفر على رؤس جماعة أشراف وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم خليفة سيدي أحمد البدوي ومعه أعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم أعلام خضر وخليفة سيدي أحمد بن الرفاعي ومعه أعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة رضي الله عنها بأعلام سود وكان الصبي قاسم بك ابن أحمد بك بن عثمان المقدم ذكره واقفا بازاء الخليفة وعلى رأسه صنجق حرير أصفر وقيل أحمر وكان الصنجق السلطاني خلف ظهر السلطان بنحو عشرين ذراعا وتحته مقدم المماليك سنبل العثماني والسادة القضاة الاربعة والامير تمراز ردكاش أحد المقدمين وكان على ميمنة العسكر الامير سيباي نائب الشام وعلى الميسرة خاير بك نائب حلب فقيل أول من برز الى القتال في الميدان الاتابكي سودون العجمي وملك الامراء سيباي نائب الشام والمماليك القرانصة دون المماليك الجلبان فقاتلوا قتالا شديدا هم وجماعة من النواب فهزموا عسكر ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة منكرة وأخذوا منهم سبع صناجق وأخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق فهم ابن عثمان بالهروب أو بطلب الامان وقد قتل من عسكره فوق العشرة آلاف انسان وكانت النصرة لعسكر مصر أولا وباليته تم ذلك لكنه قد بلغ المماليك القرانصة أن السلطان قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا ابدا وخلوا المماليك القرانصة يقاتلون وحدهم فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال فبينما هم على ذلك واذا بالاتابكي سودون العجمي قتل في المعركة وقتل ملك الامراء سيباي نائب الشام فانهزم في الميمنة من العسكر جانب كبير ثم ان خاير بك نائب حلب انهزم وهرب فكسر الميسرة وأسر الامير قانصوه بن سلطان جركس وقيل قتل وقيل ان خاير بك كان موالسا على السلطان الغوري في الباطن وهو مع ابن عثمان على السلطان وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد فكان هو أول من هرب قبل العسكر قاطبة وأظهر الهزيمة وكان ذلك من الله تعالى خذلانا لعسكر مصر حتى نفذ القضاء والقدر وصار السلطان واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي يا أغوات هذا وقت المروأة هذا وقت النجدة فلم يسمع له أحد قولا وصاروا ينسحبون من حوله وهو يقول للفقراء ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر فهذا وقت دعائكم وصار لا يجد له معينا ولا ناصرا فانطلقت في قلبه جمرة نار لا تطفأ وكان ذلك اليوم شديد الحر وانعقد بين العسكرين غبار حتى صاروا لا يرى بعضهم بعضا وكان ثم ارغضب من الله تعالى قد انصب على عسكر مصر وغلت أيديهم عن القتال

وشخصت

وشخصت منهم الابصار وقد قلت في هذه الواقعة هذه الابيات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا * في مرج دابق قال هل من مسعفي

فله أجاب لسان حال قائلا * عرضت نفسك للبلا فاستهدف

واشتد بالجلبان رعب قلوبهم * وغدوا يقولوا أي أرض نختفي

والنهب أطمعهم لذل نفوسهم * حتى أتاهم بالقضاء المتلف

فلما اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير تمر الزردكاش على الصنجق السلطاني فأنزله وطواه وأخفاه ثم تقدم الى السلطان وقال له يامولانا السلطان ان عسكر ابن عثمان قد أدركنا فانج بنفسك وادخل الى حلب فلما تحقق السلطان ذلك غلب عليه في الحال خلط فالج أبطل شقه وأرخى حنكه فطلب ماء فأتوه بماء في طاسة من ذهب فشرب منه قليلا وألفت فرسه على أنه يهرب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فأقام نحو درجة وخرجت روحه ومات من شدة قهره وقيل فقئت مرارته وطلع من حلقه دم أحمر فلما أشيع موته زحف عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس أحد المقدمين وقتلوا جماعة من الخاصكية وغلمان السلطان ممن كان حوله وأما السلطان من حين مات فلم يعلم له خبر ولا وقف له على أثر ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الارض قد ابتلعته في الحال وفي ذلك عبرة لمن اعتبر فداس العثمانية وطاق الغوري بما فيه من الامتعة والارزاق التي كانت حوله بأرجل الخيول وفقد المصحف العثماني وداسوا اعلام الفقراء وصناجق الامراء ووقع النهب في أرزاق عسكر مصر وبركهم وزال ملك الاشرف الغوري في لمح البصر فكأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير فاضمحل أمره وزال ملكه بعد ما تصرف في ملك مصر وأعمالها والبلاد الشامية وأعمالها وكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما فانه ولي ملك مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكانت الناس معه في هذه المدة في غاية الضنك وقد قلت في المعنى

اعجبوا للاشرف الغوري الذي * مذ تناهى ظلمه في القاهره

زال عنه ملكه في ساعة * خسر الدنيا والآخره

وقد أقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس الى ما بعد الظهر وانتهى الحال الى الامر الذي قد قدره الله تعالى فقتل في تلك الواقعة من عسكر السلطان ابن عثمان ومن عسكر السلطان الغوري ما لا يحصى عدده فقتل من الامراء المقدمين ثلاثة وهم الاتابكي سودون العجمي وبيبرس قريب السلطان واقباي الطويل وأسروا قانصوه بن سلطان جركس وقتل سيباي نائب الشام وتمراز نائب طرابلس وطراباي نائب صفد وأصلان نائب حمص وغير ذلك جماعة كثيرة من أمراء دمشق وأمراء حلب وطرابلس وقتل من أمراء مصر جماعة كثيرة من

أمراء الطبلخانات والعشراوات والخاصكية وأكثر من قتل من عسكر مصر المماليك القرانصة ولم يقتل من المماليك الجلبان الا القليل فانهم لم يقاتلوا فى هذه الواقعة ولا ظهر لهم فروسية ولا جذبوا سيفا ولا هزوا رمحا فكأنهم خشب مسندة وقتل من عسكر ابن عثمان مالا يحصى ضبطه وقتل من أمراء مصر ومن دمشق وحلب فوق الاربعين أميرا وقتل فى ذلك اليوم القاضى ناظر الجيش عبد القادر القصروى وجماعة كثيرة من الجند يأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكانت ساعة يشيب منها الوليد ويذوب لسطوتها الحديد فكان مرج دابق فيه جثث مرمية وأبدان بلا رؤس ووجوه معفرة بالتراب قد تغيرت محاسنها وصار فى ذلك المكان خيول مرمية موتى وسروج مفرقة وسيوف مسقطة بذهب وتركستوانات فولاذ بذهب وخود وزرديات وبقج قماش فلم يلتفت اليها أحد وكل من العسكرين قد اشتغل بما هو أهم من ذلك وقال بعض الموالياً فى المعنى

صنق جوادى وقد حسيت يوم الحرب * عودى فغنت صوارم شرقها والغرب
ضربت عاده تنقط فى سماع الضرب * رؤس الاعادى وترقص داخله فى الحرب

ثم ان ابن عثمان زحف بعسكره وأتى الى وطاق السلطان ونزل فى خيامه وجلس فى المدورة واحتوى على الطشتخاناه ومافيها من الاوانى الفاخرة وعلى الزردخاناه ومافيها من السلاح وعلى خزائن المال والتحف ونزل كل أمير من أمرائه فى وطاق أمير من أمراء الغورى واحتوى على مافيها فاحتوى على وطاق خمسة عشر أميرا مقدمى ألوف خارجا عن أمراء الطبلخانات والعشراوات واحتوى العسكر على خيام العسكر المصرى والشامى والحلبى وغير ذلك كما يقال مصائب قوم عند قوم فوائد

ولم يقع قط للملوك ابن عثمان مثل هذه النصرة على أحد من الملوك قاطبة بل ان تمرلنك زحف على بلاد ابن عثمان وحارب أحد أجداده وهو شخص يقال له يلدرم فلما حاربه انكسر فأسره تمرلنك ووضعه فى قفص حديد وصار يعجب عليه فى بلاد العجم فاطاق ابن عثمان ذلك فابتلع فص الماس فمات وهو فى ذلك القفص الحديد ولم يقع قط لاحد من سلاطين مصر مثل هذه الكائنة ومات تحت صنجقه فى يوم واحد وانكسر على هذا الوجه أبدا ولا سمع بمثل ذلك ونهب ماله وبركه بيد عدوه غير قانصوه الغورى وكان ذلك فى الكتاب مسطورا وكان السلطان والامراء ما منهم أحد ينظر فى مصالح المسلمين بعين العدل والانصاف فردت عليهم أعمالهم ونياتهم وسلط عليهم ابن عثمان حتى جرى لهم ما جرى كما قيل فى المعنى

اين الملوك الاولى فى الارض قد ظلموا * والله منهم لقد أخلى أماكنهم

ثم ان السلطان ابن عثمان تحول من مرج دابق فدخل الى حلب فملكها من غير مانع ونزل بالميدان الذى بها فى المكان الذى كان به السلطان الغورى وهذا ما انتهى الينا من ملخص هذه

الواقعة

الواقعـة مع مافيها من زيادة ونقصان فهذا ما كان من أمر السلطان الغوري وابن عثمان وأما ما كان من أمر الامراء والعسكر بعـد الكسرة فانهـم توجهوا الى حلب وأرادوا الدخول بها فوثب عليهم أهـل حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سـلاحهم وخيولهم وبرقهـم ووضعوا أيديهم على ودائعهم التى كانت بحلب وجرى عليهم من أهل حلب مالم يجر عليهـم من عسكر ابن عثمان وكان أهل حلب بينهم وبين المماليك السلطانية حظ نفس من حـين توجهوا قبـل خروج السلطان من القـاهرة الى حلب صحبة قانى باى أمير اخور كبير فنزلوا فى بيوت أهل حلب غصبا وفسقوا فى نسائهم وأولادهم وحصـل منهم غاية الضرر والاذية لاهل حلب فـاصدق أهل حلب أن وقعت لهـم هذه الكسرة فاخذوا بثارهم منهم فلما رأى الامراء وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب على حمية وتوجهوا الى دمشـق ودخلوها وهـم فى أنحس حال لا برك ولا قماش ولا خيول ودخل غالب العسكر الى الشام وبعضهم راكب على حمار وبعضهم راكب على جمل وبعضهم عريان وعليه عباءة أو بشت ولم يقع لعسكر مصر مثـل هذه الكائنة فاقام الامراء والمباشرون والعسـكر فى الشام حتى تتكامل البقيـة ويظهر السالم من العاطب قيل ان الامراء لما دخلوا الى الشام وصاروا فى حر الشمس لم يجـدوا ما يسـتظلون به حتى صنع لهم الغلمان عرايش من فروع الشجر يستظلون بها وأما ما كان من أمر سليم شاه بن عثمان فانه أقام بالميدان الذى فى حلب فتوجه اليه أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الثلاثة وهم قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويـل وقاضى القضاة محيى الدين الدمـيرى المـالكى وقاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى الحنبلى وأما قاضى القضاة محمود بن الشحنة فانه هرب مع العسكر الى الشام ونهب جميع بركه وقماشـه ودخل الى الشام فى انحس حال قيـل لما دخل أمير المؤمنين على ابن عثمـان وهو بالميـدان عظمه وأجلسه وجلس بين يديه فاشيع انه قال له أصلكم من اين فقال له من بغداد فقال له ابن عثمـان نعيدكم الى بغداد كما كنتم والاقوال فى ذلك كثيرة فلما أراد الخليفة الانصراف خلع عليه خلعة سنية من ملابسه وأنعم عليه بمال له صورة ورده الى حلب ووكل به ان لا يهرب وقيـل لما دخل عليه القضاة الثلاثة المذكورون وبخهم بالكلام وقال لهم أنتم تأخذون الرشوة على الاحكام الشرعية وتسعون بالمـال حتى تتولوا القضاء وما منكم من أحد يرشد الى الخير لانكم لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التى كان يفعلها بالناس وأنتم ترون ذلك منـه ولا تنكرونه وأشاعوا من هـذه الاخبار العجائب والغرائب والمعول فى ذلك على الصحـة وأخبرنى من رأى سـليم شاه بن عثمان انه مربوع القامـة واسع الصدر اقنص العنق مكرفس الاكتاف مترك الوجنتين واسع العينين درى اللون وافر الانف ملىء الجسد حليق اللحية ليس له غير الشوارب كبير الرأس عمامته صغيرة دون عمائم أمرائه فلما جاء الى حلب سلمه أهلها المدينة من غير نزاع وهرب قانصوه الاشرفى نائب القلعة وتوجه

الى الشام مع العسكر وترك أبواب قلعة حلب مفتحة فلما بلغ ابن عثمان ذلك أرسل اليها شخصا من جماعته أعرج أجرود وفى يده دبوس خشب فطلع الى قلعة حلب فلم يجد بها مانعا يرده فختم على الحواصل التى بها واحتوى على مافيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك وقد فعل ابن عثمان ذلك ليقال انه أخذ قلعة حلب بشخص أعرج وفى يده دبوس خشب وهو أضعف من فى عسكره وقد قيل فى المعنى

لاتحقرن ضعيفا فى مخاصمة * ان الذبابة تدمى مقلة الأسد

وأشيع ان ابن عثمان من حين استولى على مدينة حلب لم يدخلها غير ثلاث مرات المرة الاولى دخلها وطلع الى القلعة بسبب عرض حواصلها فلما عرضت عليه رأى ما أدهشه من مال وسلاح وتحف وكان فيهما من المال نحو مائة ألف ألف دينار ورأى من الكنابيش الزركش والرقاب الزركش والطبر والسروج الذهب والبلور وطبول البازات واللجم المرصعة والفصوص المثمنة والبركستوانات الفولاذ الملون والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخود الفاخرة وغير ذلك من السلاح مالم يره قط ولا فرح به أحد من أجداده ولا أحد من ملوك الروم لان الذى جمعه الغورى من الاموال من وجوه الظلم والجور والتحف التى أخرجها من الخزائن من ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسة احتوى عليه جميعه السلطان سليم شاه بن عثمان من غير تعب ولا مشقة هذا خارج عما كان للامراء المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات والمباشرين والعسكر قاطبة من الودائع بحلب من مال وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك فاحتوى ابن عثمان على ذلك جميعه وقيل انه ملك ثلاث عشرة قلعة من بلاد السلطان واحتوى على مافيها من مال وسلاح وغير ذلك فكان الذى ظفر به سليم بن عثمان فى هذه الواقعة من الاموال والسلاح والتحف وغير ذلك لاينحصر ولا ينضبط وقد قسم له ذلك من القدم واحتوى على خيول وبغال وجمال لايحصى عددها واحتوى على خيام وبرك ولاسيما ما كان مع السلطان وامراء العساكر كما يقال فى المعنى

ألا انما الاقسام تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ودخل المرة الثانية فصلى صلاة الجمعة فى جامع الاطروش الذى بحلب وخطب باسمه ودعى له على المنابر فى مدينة حلب وأعمالها وزينت له مدينة حلب وأوقدت له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الاصوات بالدعاء وهو مار عند عوده من الجامع وفرح الناس به فرحا شديدا وانتمى اليه الخواجا ابراهيم السمرقندى والخواجا يونس العادلى والعجمى الشنقجى وكان هؤلاء من أخصاء الغورى وكانوا مع ابن عثمان فى الباطن ويكاتبونه بأحوال السلطان وما يقع من أخبار المملكة فلما فقد السلطان الغورى أظهروا عين المحبة لابن عثمان وصاروا يحطون على الغورى ويذكرون أخباره الشنيعة لابن عثمان وصاروا من جماعته ونسوا احسان الغورى اليهم كما يقال فى المعنى

لقاءأ كثرمن يلقاك أوزار * فلاتبالى أصدوا عنك أوزاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم منكر للمرء أوعار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أوطاروا

وممن كان مو الساعلى السلطان فى الباطن خاير بك نائب حلب فانه أول من كسر عسكر السلطان وانهزم عن ميسرته وتوجه الى حماه ولما ملك ابن عثمان حلب أرسل خلفه فلما حضر اليه خلع عليه وصار من جملة أمرائه ولبس زى التراكمة العمامة المدورة والدلامة وقص ذقنه وسماه السلطان خاين بك لكونه خان سلطانه وأطاع ابن عثمان فلما جرى ذلك تسحبت مماليك خاير بك وتوجهوا صحبة العسكر الى مصر ودخل هو تحت طاعة ابن عثمان وهذه الواقعة تقرب من واقعة ابن العلقمى وزير بغداد لما والس على الخليفة المعتصم بالله وملك هولاكو بغداد وقتل الخليفة فصار ابن العلقمى مقربا عند هولاكو ثم انقلب عليه وقتله وقال أنت مافيك خير لاستاذك فما يكون فيك الخير لى وربما يقع لخاير بك مثل ذلك ثم ان ابن عثمان دخل الى مدينة حلب ثالث مرة بسبب انه دخل بها الحمام وأنعم على المعلم بمبلغ له صورة واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة الشافعى والمالكى والحنبلى فى الترسيم بحلب لايخرجون منها الى أن يأذن لهم ابن عثمان وأقام بحلب جماعة كثيرة من أعيان الناس بعد الكسرة منهم القاضى عبد الكريم بن الجيعان كاتب الخزائن الشريفة وعبد الكريم بن نخيرة أحد كتاب المماليك وعبد الكريم بن الادمى مستوفى الزردخانه والرئيس محمد بن القيصونى امام السلطان الغورى والسمديسى الذى كان قاضى القضاة الحنفية وامام السلطان والخواص مؤذن السلطان ورفيقه رصاص المؤذن ويحيى بن بكير ورفيقه وجماعة آخرون لم يحضرنى أسماؤهم الآن فهؤلاء تخلفوا بحلب بعد الكسرة حتى يؤذن لهم وقيل لما دخل ابن عثمان الى مدينة حلب نادى فيها بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء وكل من كان عنده للامراء والعسكر شئ من خيول أوسلاح أوقماش يحضر ماعنده وان لم يحضر ماعنده وغمز عليه شنق من غير معاودة وأما من قتل فى هذه المعركة من الامراء وأعيان الناس فالذى يحضرنى من ذلك وتحققته الاتابكى سودون العجمى وملك الامراء سيباى نائب الشام والامير قانصوه بن سلطان جركس وقيل لم يقتل وأسر الامير بيبرس قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من الجودرية والامير اقباى الاشرفى الطويل أحد المقدمين أمير اخور ثانى فهؤلاء الذين قتلوا من الامراء المقدمين فى هذه الواقعة وأما من قتل من النواب فتمراز الاشرفى نائب طرابلس ونائب صفد وأصلان نائب حمص وجماعة كثيرة من نواب الشام وحلب وأما من قتل من الامراء الطبلخانات فجماعة كثيرة منهم طومان باى بن قرا حاجب ثانى

وجانى بك العادلى شاد الشرابخاناه كان وقانصوه حبانية وبردبك رأس نوبة عصاه ونوروز رأس نوبة عصاه وقانصوه الذى كان أستادار الصحبة وبخشباى قراشاد الشون وقيت الاحول وقرقماس المقرى توفى بالشام ويوسف المفتش الذى كان نائب صفد ومن الامراء العشراوات جانم المحمدى وجان بردى الذى كان كاشف الرميلة وبرسباى أحد الامراء العشراوات وتوفى أقباى الطويل الذى كان كاشف الشرقيه وملاج الذى كان نائب القدس وان بردى وطراباى أخو الاتابكى قيت الرجبى وخدابردى وقانم الاعرج وجانم الطويل وقايتباى أخو اصطمر وتوفى مسايد وتوفى طراباى قراوأقطوه الطويل خادم السادة وجان بلاط الذى كان والى قطياو برسباى أحد الامراء العشراوات وصهره وتوفى لاجين ناظر مقام سيدى أحمد البدوى بغزة وقانصوه الناصرى وطراباى الاشرفى وتوفى الامير اينال خازندار الامير قانى باى أمير اخور كبير وكان من أمراء الطبلخانات وغير ذلك ممن يأتى ذكره حتى قيل انه مات فى هذه الواقعة من أمراء مصر والشام وحلب وغير ذلك نحو أربعين أميرا لم تحضرنى أسماؤهم الآن وقتل أزبك العجمى أمير طبلخانات وقتل جان بلاط الساقى أمير طبلخانات وتوفى شادبك نائب المهمندار وتوفى الامير اياس المشطوب رأس نوبة عصاه من العشراوات وأما من توفى من المباشرين فالقاضى ناظر الجيش عبد القادر القصروى وقتل يوطاق السلطان وقتل محمد العفيف رئيس الكحالين وتوفى جلال الدين أحمد كتاب المماليك بغزة عند العود وخليفة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وغير ذلك ممن لا يحضرنى أسماؤهم وأما القاضى جمال الدين عبد الله مباشر وقف قانى باى الجركسى قيل انه قتل فى الواقعة وأما من توفى من أولاد الناس فالشرفى يونس بن قانصوه أحد أولاد بنت قرقماس الطبردارية وشخص يقال له محمد بن قرقماس الجمالى أحد الطبردارية أيضا وقتل ابراهيم قريب الشرفى يونس نقيب الجيوش المنصورة وآخرون من الاعيان ممن لا يحضرنى أسماؤهم الآن وقتل بعد الواقعة بحلب عبد الكريم الأدمى مستوفى الزردخاناه وقتل ابن على الزردى ومن هنا نرجع الى أخبار القاهرة بعد هذه الواقعة فانه لما ورد كتاب الامير علان الدوادار الثانى بما وقع من هذه الامور المهولة فى تلك الواقعة وقتل الامراء والاعيان والقضاة قام العزاء والصراخ فى بيت الاتابكى سودون العجمى وكان أميرا دينا خير الين الجانب وكان يعرف بسودون بن جانى بك وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وولى عدة وظائف سنية منها امرية مجلس وامرية سلاح والأتابكية واصطلى الحرب وأظهر الفروسية فى هذه الواقعة واستمر يقاتل حتى قتل على ظهر فرسه رحمة الله عليه وقام نعى السلطان فى ذلك اليوم ونعى الامراء والاعيان الذين قتلوا وصار فى كل حارة وزقاق وشارع من القاهرة صراخ وبكاء بسبب من قتل من العسكر

وغيرهم

وغيرهم ورجت القاهرة وضجت الناس واضطربت الاحوال وكثر القال والقيل وفى يوم الاحد سابع عشر شعبان وردت الاخبار على الامير الدوادار بان عربان بنى عطية والنعائم نهبوا ضياع الشرقية وأخذوا منها نحوا من أربعمائة رأس غنم من غنم السلطان والدوادار ودخلوا وادى العباسة ولما بلغ الامير الدوادار ذلك صلى الظهر ثم ركب وخرج اليهم وصحبته خمسمائة مملوك فكبس عليهم فهربوا من وجهه وغنموا ما نهبوه من الاموال والمواشى والغلال وغير ذلك فرجع الامير الدوادار الى داره وفيه خلع الامير الدوادار على الزينى بركات بن موسى فشق القاهرة وأشهر النداء بالامان والاطمئنان وأن المشاهرة والجامعة بطالة وجميع المظالم الحادثة بطالة وأن الزينى بركات بن موسى على عادته ولا يحتمى عليه أحد وقد تضاعفت حرمته ونفذت كلمته فوق ما كان واجتمع معه عدة وظائف سنية وصار هو المتصرف فى جميع أمور المملكة ليس على يده يد وفى يوم الاثنين ثامن عشره أنفق الامير الدوادار الجامكية على العسكر الذين فى القاهرة فجلس الامير طقطباى نائب القلعة عند سلم المدرج وأنفق الجامكية هناك والاشاعات فاشية بموت السلطان والاحوال مضطربة وفيه رسم الدوادار بعرض من فى السجون حتى النساء اللاتى بالحجرة فلما عرضوا عليه أفرج على جماعة كثيرة منهم جان بك دوادار الامير طراباى وكان له مدة وهو فى السجن بالمقشرة بسبب المال الذى تبقى عليه من حين كان متحدثا فى نظر الديوان المفرد وأفرج عن القاضى بدر الدين بن ثعلب قاضى أسيوط وكان له مدة فى المقشرة على بقايا من مال المصادرة وأفرج عن ولده شمس الدين وأخيه نجم الدين وأفرج عن صلاح الدين ابن كاتب غريب ابن أخى أبى الفضل وأفرج عن المعلم شمشو اليهودى الذى كان يهوديا وأسلم وقد تقدم سجنه وأفرج عن المعلم يعقوب الصائغ معلم دار الضرب وأفرج عن جماعة كثيرة من العمال والفلاحين وغيرهم حتى أفرج عن النساء اللاتى كن بالحجرة وعمن كانوا فى السجون من الاعيان ولم يبق فى السجون غير أصحاب الجرائم ومن عليه دم قديم وقطع أيدى جماعة وأطلقهم ثم وسط جماعة من المجرمين منهم شخص يقال له عبد القادر أبو دية وآخرون منهم وقطع أيدى جماعة من الحرامية وأفرج عن القاضى صلاح الدين ابن أبى السعود ابن القاضى ابراهيم بن ظهيرة قاضى قضاة مكة وكان له مدة وهو فى الحديد فى بيت الزينى بركات بن موسى فى الترسيم وأقام على ذلك مدة طويلة حتى أفرج الله عنه وكان سبب ذلك شخص يقال له ابراهيم السمرقندى ترافع معه عند السلطان حتى قال انه لقى خبيئة بمكة فيها مال كثير وأرسل السلطان أحضره على غير صورة مرضية من مكة ولما حضر قال له المال الذى لقيته أحضره لى فأنكر ذلك فوضعه السلطان فى الحديد وسلمه الى الزينى بركات فأقام عنده فى الترسيم فى الحديد مدة طويلة بغير ذنب وفى يوم

الثلاثاء تاسع عشره خلع الامير الدوادار على الشهابى أحمد بن المنذرى حسن بن الطولونى وأعاده الى وظيفته معلم المعلمين وكان السلطان أخرجها عنه وجعل جمال الدين الالواحى بواب الدهيشة متكلما فى المعلمية عوضا عن ابن الطولونى وفيه رسم الامير الدوادار نائب الغيبة باشهار المناداة فى القاهرة بأن جميع المكوس الحادثة بطالة وتجرى على ما كانت عليه أيام الاشرف قايتباى من غير زيادة على ذلك فارتفعت له الاصوات بالدعاء وفى ذلك اليوم شق الزينى بركات بن موسى القاهرة وسعر جميع الاسعار حتى الكنافة سعرها بدرهمين الرطل وكانت باربعة دراهم كل رطل وسعر الاجبان واللحوم وفى أثناء ذلك الشهر فتح سد أبى المنجا وكان النيل يومئذ فى عشرين ذراعا ووافق ذلك ثانى عشرى توت أول الشهور القبطية وكان الامير الدوادار فى مدة غيبة السلطان يركب فى كل يوم ويسير نحو المطرية فاذا رجع يدخل من باب النصر ويشق من القاهرة وقدامه الامراء المقدمون الذين تخلفوا بمصر والجم الكثير من العسكر فيشق القاهرة وقدامه السعاة والعبيد النفطية ومماليكه متقلدون بالسيوف وبأيديهم رماح بشطفات حرير ملونة فترتج له القاهرة وترتفع له الاصوات بالدعاء من الناس فكانت نفسه تحدثه بالسلطنة قبل وقوعها وقد عظم أمره جدا وهابه الناس هيبة عظيمة وفى يوم الجمعة ثانى عشريه لما تحقق موت السلطان لم تدع الخطباء فى ذلك اليوم على المنابر باسم السلطان بل دعوا باسم الخليفة فقط ولم يذكروا اسم السلطان وبعضهم قال اللهم ولّ علينا خيارنا ولا تولّ علينا شرارنا واستمر الحال على ذلك مدة طويلة ومصر بلا سلطان وكذلك البلاد الشامية وفى تلك الايام وقع الفساد من العربان فى الشرقية وغيرها من البلاد فنهبوا عدة بلاد من المنزلة وغيرها من ضواحى الشرقية ولم يبقوا لهم مواشى ولا بقرا ولا غنما حتى أخذوا اصيغة النساء وقتل من الفلاحين فى هذه الحركة ما لا يحصى عددهم وكذلك من القصاد وغيرهم وانقطعت جميع الطرقات من المسافرين ولا سيما لما تحققوا موت السلطان وصارت مصر فى اضطراب والاشاعات قائمة بالاخبار الرديئة عما جرى للسلطان والعسكر وكان أكثر من شن هذه الغارات أولاد شيخ العرب الامير أحمد بن بقر وجماعة من العشير وفعلوا ما اعظم خبره فى العساكر والتجار الذين دخلوا صحبة القفل الشامية فقتلوا من العساكر والتجار ما لا يحصى عددهم وأخذوا أموالهم وجمالهم والذى سلم من القتل عروه وجرى على العسكر من هؤلاء العربان ما لم يجر عليهم من عسكر ابن عثمان ووقع لهم ذلك بين قطيا والصالحية عندما وصلوا الى الأمان وفى هذا الشهر أشيع أن المماليك الجلبان قصدوا أنهم ينزلون من الطباق وينهبون خان الخليلى ثم يحرقونه ويقتلون من به من تجار الاروام وقالوا هؤلاء التجار من جهة ابن عثمان وقد شمتوا باستاذنا لما مات فلما بلغ الامير الدوادار ذلك أحضر أغوات الطباق وقال لهم

لا أطلب خمود هذه الفتنة الا منكم فنعوهم من النزول من الطباق ولولا الامير الدوادار قام
فى هذه الحركة حتى خمدت هذه الفتنة لخربت مصر عن آخرها من المماليك الجلبان وفيه
اهتم الامير الدوادار بعمل طوارق خشب وكفيات وبندقيات وغير ذلك من آلات الحرب
وأشيع أنه يتسلطن قبل مجىء العسكر وكان القائم فى ذلك الامير طقطباى نائب القلعة
والامير علان الدوادار الثانى وفى يوم الجمعة الثانية لم تذكر الخطباء اسم سلطان فى الدعاء كما
فعلوا فى الجمعة الماضية ومن حين ورد كتاب الامير علان بما جرى للعسكر من أمر الكسرة
وأمر السلطان لم يرد من بعد ذلك أخبار صحيحة وانقطعت الاخبار عن مصر نحو أربعين يوما
وكثر القال والقيل فى ذلك على أنواع شتى ومن جملة ما أشيع ان جان بردى الغزالى نائب
الشام منع أن يصل الى مصر أحد وعوق العسكر بالشام وفيه وردت أخبار من عند الامير
حسين نائب جدة والرئيس سلمان العثمانى انهما لما توجها الى الهند صحبة العسكر المقدم
ذكرهم ووصلا الى كران وهى ضيعة من ضياع الهند أنشؤا هنالك قلعة ذات أبراج فكمل
بناؤها فى نحو خمسة أشهر ثم ان الامير حسين أرسل طائفة من العسكر نحو مكان يسمى
اللحية وأرسل طائفة من العسكر الى مكان يسمى موزا وأقام الامير حسين هو وبقية
العسكر فى مكان يسمى بيت الفقية فأقاموا بها نحو شهر ثم ان الامير حسين والرئيس سلمان
والعسكر توجهوا الى نحو زبيد وحاصروا صاحبها عبد الملك أخا الشيخ عامر فلكوا منه
زبيد وذلك صبيحة يوم الجمعة فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين
وتسعمائة فوجدوا بها من الامم ما لا يحصى عددهم ثم ذكروا فى الكتاب أن الامير حسين لما
أن فتح زبيد توجه الى حصار مدينة عدن وانه أشرف على أخذها ولما ملكوا زبيد أقاموا
بها شخصا من مماليك الاشرف الغورى وهو من أمراء العشراوات يسمى برسباى ومعه
بعض جماعة من المماليك وأولاد الناس الذين كانوا صحبتهم والتف عليهم جماعة من
العربان نحو عشرة آلاف انسان ولما ملك برسباى زبيد تسلطن بها ورتب له دوادارا
وخازندارا وأرباب وظائف كعادة السلاطين وغنم منها أموالا جزيلة هو ومن معه من
العسكر ولما توجه الى حصار عدن أيضا ملكها كما قيل وفى هذا الشهر عرض الامير
الدوادار العسكر الذين فى القاهرة وكان ذلك العرض فى بيته وكان سبب هذا العرض انه بلغ
الامير الدوادار أن عدة مراكب وصلت الى ثغر اسكندرية ورشيد فخشى أن تكون من
عند ابن عثمان فبادر الى عرض العسكر وقال لهم كونوا على يقظة وعبوا برقكم حتى
يتضح هذا الخبر وانفصل المجلس على ذلك فانصرف العسكر فى هرج وفى شهر رمضان
وكان مستهله يوم السبت توجه لبيت الامير الدوادار جماعة من نواب القضاة وهنؤه بالشهر
وكانت القضاة الثلاثة والخليفة فى أسر سليم شاه بن عثمان بحلب لا يمكنهم العود الى مصر

وفى يوم الاحد ثانيه كان أول بابه من الشهور القبطية فثبت فيه النيل المبارك على عشرين ذراعا وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك واستمر فى ثبات الى أول هاتور ثم وردت الاخبار على يد ساع بأن الامراء والعسكر دخلوا الى الشام وهم فى أنحس حال وقد نهب بركهم وخيولهم وجمالهم وجميع مايملكونه وأخبر ذلك الساعى أن أهل الشام لما تحققوا موت السلطان وثب بعضهم على بعض ونهبوا زروع الشام وأخذوا أموالهم وقتلوا منهم جماعة واضطربت أحوال البلاد الشامية غاية الاضطراب وفيه دخل قاضى القضاة محمود بن الشحنة وقد نهب جميع بركه وكل مايملكه وأخبر أن ابن عثمان ملك ثلاث عشرة قلعة وخطب باسمه فيها ومشى حكمه من الفرات الى حلب وأخبر أن الخليفة والقضاة الثلاثة فى اسر ابن عثمان بحلب ولولا انه هرب مع العسكر والا كان أسر معهم وأخبر ان ابراهيم السمرقندى ويونس العادلى والعجمى الشنقجى الذين كانوا من أخصاء السلطان لما مات الغورى التفوا على سليم شاه بن عثمان وصاروا من جماعته وصاروا يتقربون اليه بذكر مساوى أستاذهم الغورى وأمرائه ويظهرون له معائبهم وقبائحهم ولم يذكروا شيأ من احسان الغورى لهم لا جليلا ولا حقيرا وكانه لم يكن سلطانا لهم ولا أستاذا ونسوا جميع انعامه واحسانه اليهم ولاسيما ما أحسن به الى العجمى الشنقجى من سلاريات وشقق حرير وسمور ومال وانعامات جزيلة فلم يثمر ذلك فيهم فلما بلغ الامير الدوادار ذلك رسم للوالى أن يكبس على بيت السمرقندى ويونس العادلى فتوجه اليهم الوالى وقبض على عيال السمرقندى ويونس العادلى وحريمهما وحاشيتهما ووضع عبد السمرقندى فى الحديد وختم على حواصل السمرقندى ويونس العادلى وظهر أنهم كانوا موالسين على السلطان وكانوا يكاتبون سليم شاه بن عثمان فى الباطن بأحوال السلطان وأمور المملكة وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وفى يوم الجمعة سابعه صلى الامير الدوادار صلاة الجمعة وخرج الى ملاقاة الامراء المقدمين الذين حضروا من الشام وقد بلغه وصولهم الى بلبيس فدخل القاضى محمود بن أجا كاتب السر وهو فى محفة وصحبته الشهابى أحمد بن الجيعان ودخل الامير اركماس أمير سلاح وهو فى محفة عليل ودخل الامير انسباى حاجب الحجاب وتمر الزردكاش والامير علان الدوادار الثانى وآخرون ثم دخل بقية العسكر وهم فى أسوء حال من العرى والجوع والضعف ودخلوا وأطواقهم مفككة وأظهروا الحزن على السلطان وصار الامراء والعسكر يدخلون شيأ فشيأ وفى يوم الخميس ثالث عشره دخل الامير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والامير كرتباى قانصوه والامير جان بردى الغزالى نائب حماه ودخل المقر الناصرى محمد نجل السلطان الغورى والامير جان بلاط الموتر والامير أزبك الاشرفى والامير تانى بك الخازندار والامير كرتباى وفيه تكامل دخول الامراء فسلم عليهم

الامير الدوادار ورجع الى منزله ودخل صحبته الامير قانصوه الاشرفى الذى كان نائب قلعة حلب وهو الذى سلم القلعة بما فيها من المال والسلاح والقماش والكنابيش الزركش والسروج الذهب وغير ذلك من التحف فتسلمها ابن عثمان من غير أن يحاصر القلعة فخرج قانصوه هذا والامراء الذين معه فارين الى جهة الشام مع ان قلعة حلب حصينة مانعة فلما قابله الامير الدوادار وبخه بالكلام ورسم بسجنه فى البرج الذى بالقلعة واستوعده بكل سوء فلما دخل الامراء الى القاهرة اجتمع رأى الجميع على سلطنة طومان باى الدوادار وترشح أمره لان يلى السلطنة فصار يمتنع من ذلك غاية الامتناع والامراء كلهم يقولون ماعندنا من نسلطنه الا أنت ولا محيد لك عنها طوعا أو كرها ثم ان الامير الدوادار ركب وصحبته جماعة من الامراء المقدمين منهم الامير علان والامير انسباى حاجب الحجاب والامير تمر والامير طقطباى نائب القلعة وآخرون من الامراء وتوجهوا الى العارف بالله تعالى الشيخ أبى السعود الذى فى كوم الجارح فلما تكامل المجلس عنده ذكروا له أمر سلطنة الدوادار وانه امتنع من ذلك فأحضر لهم الشيخ مصحفا شريفا وحلف الامراء الذين حضروا صحبة الدوادار بأنهم اذا سلطنوه لا يخونونه ولا يغدرونه ولا يخامرون عليه ويرضون بقوله وفعله فحلف الجميع على ذلك ثم ان الشيخ حلفهم أن لا يعودوا الى ما كانوا عليه من ظلم الرعايا وان لا يشوشوا على أحد بغير طريق شرعى ولا يجددوا مظلمة وأن يبطلوا جميع ما أحدثه الغورى من المظالم ويبطلوا ما كان على الدكاكين من المشاهرة والجامعة وان يجروا الامور على ما كانت عليه فى أيام الاشرف قايتباى ويمشوا الحسبة على طريقة يشبك الجمالى لما كان محتسبا فحلفوا على ذلك ثم ان الشيخ ذكر للامراء ان الله تعالى ما كسركم وذلكم وسلط عليكم ابن عثمان الا بدعاء الخلق عليكم فى البر والبحر فقالوا له تبنا الى الله تعالى من اليوم عن الظلم ثم انفض المجلس على ذلك وخرجوا من عند الشيخ أبى السعود على أن يسلطنوا الامير الدوادار وأخذ الشيخ عليهم العهد بجميع ما حلفهم عليه بحضرته كما تقدم وترشح أمر الامير الدوادار الى السلطنة وتسلطن كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه

*ومن هنا نرجع الى أخبار الاشرف الغورى فانه خرج من القاهرة خامس عشر ربيع الآخر من هذه السنة واستمر نافذ الكلمة وافر الحرمة الى أن دخل الى حلب وأقام بها وأرسل اليه ابن عثمان عدة قصاد بالخلع السنية وانعم عليهم بالعطايا الجزيلة الى أن حضر مغلباى دوادار سكين الذى كان أرسله الى ابن عثمان فلما رجع من عنده وهو فى غاية التحقير كما تقدم وكان السلطان أرسل مغلباى هذا الى ابن عثمان فى هيئة تشعر بالشدة والقوة لابس آلة الحرب باللبس الكامل فشق ذلك على ابن عثمان وبهدله فلما حضر الى الغورى أعلمه أن ابن عثمان قد أبى من الصلح فلما تحقق السلطان أن ابن عثمان يريد الشر معه نادى للعسكر بالرحيل والخروج من حلب فخرج العسكر قاطبة وهم كالنجوم الزاهرة من آلة

السلاح والخيول الفاخرة وكل فارس مقوم بالف فارس من عسكر ابن عثمان ولكن الله تعالى يعطى النصر من يشاء فتوجهوا الى مرج دابق يوم الاحد خامس عشرى رجب من هذه السنة فلما بلغه أن عسكر ابن عثمان قد وصل الى تل الفار ركب صبيحة يوم الاحد المذكور وهو يوم نحس مستمر فبرز فيه الى قتال ابن عثمان وكانت الكسرة أولا على عسكر ابن عثمان ثم بدل الله سبحانه وتعالى هذا الامر وعادت الكسرة على عسكر مصر ولما رأى السلطان عين الغلب من عسكره أراد أن يلفت فرسه ليهرب و ينجو بنفسه فاعترته سارقة من الرجفة فاغمى عليه فسقط عن ظهر فرسه الى الارض فطلعت روحه فى تلك الساعة وصار ملقى على الارض فزحفت عساكر ابن عثمان فنفر من كان حوله من الغلمان والسلحدارية والمماليك الجلبان وتركوا جثته على الارض فكان آخر العهد به ولم تر له جثة ولا عرف له مكان قبر فكأنما ابتلعته الارض ولم يقف له أحد من الناس على خبر ومن العجائب انه لم يدفن فى مدرسته التى صرف عليها نحو مائة ألف دينار وظن أنه يدفن بها على عزة وحفظ مقام فكان المقدور خلاف ذلك وصار مرميا فى البرارى تنهشه الذئاب والنمور ومات وله من العمر نحو ثمانية وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكانت هذه المدة على الناس كل يوم كالف سنة مما يعدون وكانت صفته انه طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير أبيض اللون مدور الوجه مشحم العينين جهورى الصوت مستدير اللحية ولم يظهر بلحيته الشيب الا قليلا وكان ملكا مهيبا جليلا مبجلا فى المواكب تملأ العيون منه فى المنظر ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية لكان خيار ملوك الجراكسة بل وخيار ملوك مصر قاطبة وكان يوم الاثنين والخميس ينزل الى الحوش السلطانى و يوم السبت والثلاثاء بالميدان فينزل من السبع حدرات وقدامه طوالتين خيل بسروج ذهب وكنابيش زركش وكان يكثر فى الاسفار من ركوب الجورة بالسروج البداوى والركب العراض وكان يشد فى وسطه حياصة ذهب عوضا عن الشد البعلبكى وكان يلبس فى أصابعه الخواتم الياقوت والفيروزج والزمرد والالماس وعين الهر وكان مولعا بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والعنبر وكان ترفا فى ملبسه و يحب رؤية الازهار والفواكه و يميل الى أبناء العجم وربما كان يميل الى مذهب النسمية من ميله الى معاشرة الاعاجم وكان مولعا بغرس الاشجار وحب الرياضات وسماع الاطيار المغردة ونشق الازهار العطرة وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها وكان يستعمل الاشياء المفرحة وكان نهما فى الاكل والشرب وكان يغوى طيور المسموع وكان يعرف بقانصوه بن بيبردى الغورى واستمر يرتع فى ملك مصر على ماذكرنا من التنعم والرفاهية وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة والامراء والنواب والعسكر فى قبضة يده لم يختلف عليه اثنان فى كلمة الى أن وقعت الواقعة بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم فخرج اليه كما ذكرنا وجرت له هذه الكائنة التى

لم تقع لملك من ملوك مصر ولا غيرها من الملوك وكان ذلك فى الكتاب مسطورا وقد قلت فى معنى ذلك

طالعت تاريخ الملوك فلم أرى * فيما سمعت حوادثا ما جرى
لازالت الايام يبدو فعلها * بعجائب وغرائب بين الورى
لكن هذى وقعة ما مثلها * سبقت لسلطان ولا متأخرا
والاشرف الغورى كان مليكنا * لكنه قد جار فينا وافترى
والموت أوجب هزمه مع جيشه * قد كان ذلك فى الكتاب مسطرا
أعماله ردت عليه بما جنى * والدهر جازاه بأمر قدرا

وكان للغورى محاسن ومساوى لكن مساويه أكثر من محاسنه * فأما ما عد من محاسنه فانه كان رضى الخلق يملك نفسه عند الغضب وليس له زيادة حدة عند قوة خلقه ومنها انه كان له اعتقاد زائد فى الفقراء والصالحين ومنها انه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم ومنها أنه كان ماسك اللسان عن سب الناس فى شدة غضبه ومنها انه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وليس له هرج وكان مغرما بقراءة التواريخ والسير ودواوين الاشعار وكان قريبا من الناس يحب المزح والمجون فى مجلسه غير أنه كثيف من حيث النظر الى ذاته وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الاتراك ولم يكن عنده شمم ولا كبر نفس ولا رقاعة زائدة بخلاف عادة الملوك فى أفعالها * وأما ما عد من مساويه فانها كثيرة لا تحصى منها انه أحدث فى أيام دولته من أنواع المظالم مالم يحدث فى سائر الدول من قبله ومنها أن معاملته فى الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة فى ملة من الملل ومنها ما قرره على الحسبة فى كل شهر وهو مبلغ ألفان وسبعمائة دينار وكانت السوقة تبيع البضائع بما يختارونه من الاثمان ولا يقدر أحد أن يكلمهم فان كلمهم أحد يقولون علينا مال السلطان فكانت سائر البضائع فى أيامه غالية بسبب ذلك وقرر على دار الضرب مالا له صورة فى كل شهر فكانوا يضيفون فى الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا فكان الاشرفى الذهبى اذا صفى يظهر فيه ذهب يساوى اثنا عشر نصفا وقد سلم السلطان دار الضرب الى شخص يسمى جمال الدين فلعب فى أموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين المتقدمة حتى صار لا يلوح لاحد من الناس منها لا دينار ولا درهم فلما شنق جمال الدين قرر فى دار الضرب المعلم يعقوب اليهودى فمشى على طريقة جمال الدين وقد استباح أموال المسلمين فكان النصف الفضة ينكشف فى ليلته ويصير من جملة الفلوس الحمر فاستمر الغش فى معاملته فى مدة دولته الى أن مات وقد ورد فى الحديث الشريف من غشنا فليس منا

ومنها انه كان يولى الكشاف ومشايخ العربان على بلاد المقطعين والاوقاف فيأخذ كل منهم المثل أمثالا فضعف أمر الجند من يومئذ وتلاشى حال البلاد الشامية والحلبية وكان يفرد عليهم الاموال الجزيلة فى كل سنة فيأخذونها من الرعية وزيادة بالظلم والعسف فكان كل واحد من الرعية أصحاب الاقطاع والاوقاف يتمنى الرحيل من بلاده الى غيرها من عظم الظلم الذى يصيبهم من النواب ولاسيما ما حصل لعربان جبل نابلس بسبب المال الذى أفرده عليهم لاجل المشاة عند خروج التجريدة فما حصل لأهل البلاد الشامية بسبب ذلك خير وكان حسين نائب جدة يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال فامتنعت التجار من دخول بندر جدة وآل أمرها الى الخراب وعز وجود الشاشات بمصر وعز وجود الاصناف التى كانت تجلب من بلاد الافرنج والارز والانطاع وخرب البندر وكذلك بندر الاسكندرية وبندر دمياط فامتنعت تجار الفرنج من الدخول الى تلك البنادر من كثرة الظلم وكان كل أحد من أراذل الناس يتقرب الى خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم فقرر على بيع الغلال قدرا معلوما يؤخذ على كل اردب ثلاثة أنصاف من البائع والمشترى وكذلك على البطيخ والرمان حتى حرّج على بيع الملح وجدد فى أيامه عدة مكوس من هذا النمط لم يفعلها هنا دفى زمانه ولم يفتــه من أعيان التجار أحد حتى صادره وصادر أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب وأخذ منه مالا له صورة ودخل فى جملة ديون حتى أورد ما قرر عليه وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال فمنهم القاضى بدر الدين بن مزهر كاتب السر ومنهم شمس الدين بن عوض ومعين الدين بن شمس الدين وعلم الدين كاتب الخزانة وغير ذلك جماعة كثيرة من المباشرين والعمال ماتوا فى سجنه بسبب المال والمصادرات ومن أفعاله الشنيعة ما فعله مع أولاد الناس من خروج اقاطيعهم ورزقهم من غير سبب واعطاء ذلك الى مماليكه الجلبان ومنها قطع جوامك الضعفاء والايتام من الرجال والنساء والصغار وحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ومنها أنه أرسل فك الرخام الذى بقاعة ناظر الخاص يوسف التى تسمى نصف الدنيا فوضع ذلك الرخام فى قاعة البيسرية التى بالقلعه ومنها أنه قطع معتاد الناس من الديوان المقرر من قديم الزمان وجدد أخذ الحمايات من المقطعين من قبل ان يزيد النيل وتزرع الاراضى وكانت المقطعين تقاسى من الهوان والذل ما لاخير فيه ثم تزايد حرصه على جمع الدنيا وشحه حتى صار يحاسب السواقين الذين فى سواقى القلعة والخولة الذين فى سواقى الميدان على الجلة وروث الابقار وما يتحصل فى كل يوم مما يبيعونه وقرر عليهم مبلغا يؤدونه للذخيرة الشريفة وكانت أرباب الوظائف من المباشرين والعمال معه فى غاية الضيق لا يغفل عنهم من المصادرات يوما واحدا وكان من حين توفى الامير خاير بك الخازندار يباشر ضبط أمر الخزانة بنفسه ما يدخل اليها وما يخرج منها وما يعرضون عليه من الامور

فى ذلك جميعه من الوصولات ومايصرف من الخزائن فى كل يوم وكانت هذه الاموال العظيمة
التى تدخل له يصرفها فى عمائر ليس بها نفع للمسلمين وبزخرف الحيطان والسقوف بالذهب
وهذا عين الاسراف لبيت مال المسلمين وكان يهرب من المحاكمات كما يهرب الصغير من المكتب
وماكانت له محاكمة تخرج على وجه مرضى بل على أمور مستقبحة وكان يتغافل عن أمر
القتلى ويدفعهم الى الشرع ويضيع حقوق الناس عليها وكان يكسل عن علامة المراسيم
فلا يعلم على المراسيم الا قليلا فتتعطل اشغال الناس بسبب ذلك حتى كانت تشترى العلامة
العتيقة باشرفى حتى تلصق على المرسوم لاجل قضاء الحوائج ولو شرحنا مساويه كلها
لطال الشرح فى ذلك انتهى * وأما من تولى الخلافة فى أيامه فامير المؤمنين محمد المتوكل
على الله نجل أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب وأما قضاة الشافعية فاولهم شيخ الاسلام
قاضى القضاة زكريا وقاضى القضاة محيى الدين عبد القادر النقيب تولى وظيفة القضاء
فى أيامه خمس مرات وقاضى القضاة برهان الدين بن أبى شريف المقدسى وقاضى القضاة
ابن فرفور المقدسى وقاضى القضاة جمال الدين القلقشندى تولى القضاء فى أيامه مرتين
وقاضى القضاة كمال الدين بن محمد بن على الشهير بالطويل القادرى وقاضى القضاة بدر الدين
المكينى وقاضى القضاة علاء الدين بن النقيب ثم أعيد قاضى القضاة كمال الدين الطويل
وقد ولى القضاء فى دولته أربع مرات وأما قضاة الحنفية فالقاضى سرى الدين عبد البر
ابن الشحنة ثم القاضى برهان الدين بن الكركى ثم القاضى شمس الدين محمد السمديسى
ثم القاضى حسام الدين محمود بن الشحنة وأما قضاة المالكية فالقاضى عبد الغنى بن تقى
الدين ثم القاضى برهان الدين الدميرى ثم ولده محيى الدين يحيى ثم جلال الدين بن قاسم
ثم أعيد محيى الدين بن الدميرى ثانيا وأما قضاة الحنابلة فالقاضى شهاب الدين أحمد
الششينى ثم ولده عز الدين محمد ثم شهاب الدين الفتوحى وأما كتاب سره فالقاضى
محب الدين الحلبى وأما نظار جيشه فالقاضى شهاب الدين أحمد ابن الجمالى يوسف ناظر
الخاص والقاضى عبد القادر القصروى وأما نظار خواصه فالقاضى علاء الدين بن
الصابونى أولا ثم علاء الدين ابن الامام ثم ناصر الدين الصفدى ثم أعيد ابن الامام ثانيا وأما
وزراؤه فالامير طقطباى بن ولى الدين وجمع بين الوزارة والاستادارية ثم الامير تغرى
برمش ثم الامير يوسف البدرى وأما استاداريته فالامير تغرى بردى بن بلباى القادرى ثم
الامير قرباى خازندار الملك العادل طومان باى ثم الشرفى يونس النابلسى ثم قرر الامير طومان
باى الدوادار فى الاستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى واستمر بها الى أن
تسلطن وأما من ولى الحسبة فى أيامه فالامير قرقماس المقرى والامير جان بردى الغزالى ثم
أعيد قرقماس المقرى ثم الزينى بركات بن موسى ثم الامير ماماى الصغير وأما أتابكيته
فأولهم قيت الرحبى وقرقماس بن ولى الدين ودولات باى بن اركماس وسودون العجمى وأما

دوادار یاته فأولهم مصر بای ثم أزدمر بن علی بای ثم طومان بای الذی تسلطن بعده وأما
حجابه فالامیر خایر بك بن بای الذی قرر فی نیابة حلب والامیر انسبای بن مصطفی وأما بقیة
الامراء وأرباب الوظائف فعلی حکم ما تقدم من أخبارهم وأما نوابه بالشام فالامیر دولات
بای بن اركماس ثم قانصوه المحمدی الشهیر بالبرجی وسیبای بن بخت خجا وأما نوابه بحلب
فاركماس بن طراباي ويخشبای بن عبد الكريم وسودون بن يشبك وجانم ويشبك وابرك
الاشرفی وتمراز الاشرفی وأما نوابه بصفد فقانصوه بن قرا وتانی بای العثمانی وسودون الدوادار
وأما نوابه بغزة فالامیر صلاح الدين الذی كان نائب القدس وأزبك الصوفی الذی كان نائب
القدس أيضا واقبای الذی كان كاشف الشرقيه وآخر من ولی بها فی أيامه دولات بای
الاعمش وقد جمع له بين نيابة القدس والكرك ونيابة غزة وولی بها آخرين غير هؤلاء
وأما ما أنشأه بالقاهرة فمن ذلك الجامع والمدرسة اللذان أنشأهما عند الشرابشيين والوكالة
والحواصل والربوع التی أنشأها خلف المدرسة عند المصبغة ومن انشائه المئذنة التی عمرها
بالجامع الازهر وهی برأسين وأنشأ هنالك الربع والحوانيت التی بالسوق خلف الجامع وأنشأ
الربوع التی بخان الخليلی وجدد عمارة خان الخليلی وأنشأ به الحواصل والدكاكين وأنشأ فی
باب القنطرة ربعين ودكاكين وكذلك الربعان اللذان بين السورين والطاحون عند المصبغة
وأنشأ البيت الذی فی البندقانيين لولده وتناهی فی زخرفته وأنشأ هنالك ربعا ووكالة وأنشأ
الميدان الذی كان تحت القلعة ونقل اليه الاشجار من البلاد الشامية وأجری اليه ماء
النيل من سواقی نقالة وأنشأ به المناظر والبحرة والمقعد والمبيت برسم المحاكمات وأنشأ
جامعا خلف الميدان عند حوش العرب بخطبة ومئذنة وجدد عمارة بالقلعة منها الدهيشة
وقاعة اليسرية وقاعة العواميد وقاعة البحرة وأنشأ المقعد القبطی الذی بالحوش وجدد
عمارة المطبخ الذی بالقلعة وجدد عمارة سبيل المؤمنين وجعل سقفه معقودا بالحجر وأنشأ
الربع والدكاكين التی بسويقة عبد المنعم وأنشأ الربع والوكالة التی فی الجسر الاعظم
وجدد عمارة ميدان المهارة الذی بالقرب من قناطر السباع وبناه بالحجر الفص المشهر بعد
ما كان بالطوب اللبن وأنشأ الجراة ونقلهما من درب الحولی الی موردة الحلفاء وجدد
عمارة المقياس وأنشأ به القصر علی تلك البسطة التی كانت هنالك وأنشأ بها المقعد المطل
علی البحر وجدد عمارة قنطرة بنی وائل والقنطرة الجديدة وقنطرة الحاجب وقنطرة
الخرنوبی وأعلاها حتی صارت تدخل المراكب من تحتها وجدد عمارة قناطر السباع وأنشأ
المساطب وعليها الدعائم عند قبة الامير يشبك التی بالمطرية وأنشأ بالطينة علی ساحل
البحر المالح قلعة لطيفة بها أبراج وجامع بخطبة وأنشأ بثغر رشيد سورا وأبراجا لحفظ
الثغر وجدد عمارة الابراج بالاسكندرية وأصلح طريق العقبة ودوار حقن وأنشأ هنالك

خاناوأبراجا على بابه وجعل فيه حواصل للاجل ودائع الحجاج وأنشأ فى الازلم خاناوجعل فيه حواصل مثل الخان الذى فى العقبة وحفر هنالك الآبار فى عدة مواضع من مناهل الحجاج وأنشأ بمكة المشرفة مدرسة ورباطا للمجاورين والمنقطعين هنالك وأجرى عين بازان بعد ما كانت انقطعت من سنين وأنشأ بجدة سورا على ساحل البحر المالح وفيه عدة أبراج بسبب حفظ بندر جدة من الفرنج وجاء هذا السور من أحسن المبانى هنالك وله غير ذلك من الآثار الحسنة عدة مبان بها نفع للمسلمين وبالجملة ان السلطان الغورى كان خيار ملوك الجراكسة على عوج فيه ولم يجئ من بعده أحد من الملوك يشابهه فى أفعاله وعلو همته وعزمه فى الامور وكان كفؤا تاما للسلطنة مبجلا فى المواكب تملأ منه العيون وأما من توفى فى أيامه من أعيان العلماء ومشايخ الاسلام وقضاة القضاة فمنهم الشيخ بدر الدين ابن عبد الرحمن الديرى رحمة الله عليه وكان من أعيان علماء الحنفية مفتيا مدرسا عريقا ولى مشيخة الجامع المؤيدى وكان من خيار أبناء الديرى وتوفى الشيخ شهاب الدين خليفة سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الحقيقة وجاءت الاخبار بوفاة قاضى القضاة الحنبلى بهاء الدين بن قدامة توفى بدمشق وولى قضاء الحنابلة بمصر والشام وتوفى الشيخ ابراهيم المواهبى الشاذلى رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الصوفية وتوفى العلامة تقى الدين الاوجاقى شيخ الحديث رحمة الله عليه وتوفى الحافظ العلامة جلال الدين عبد الرحمن الاسيوطى وكان من أعيان علماء الشافعية بلغت مصنفاته ستمائة مؤلف وكان بارعا فى علم الحديث توفى فى جمادى الاولى سنة احدى عشرة وتسعمائة وتوفى قاضى قضاة المالكية برهان الدين الدميرى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وتوفى القاضى ناصر الدين محمد بن جرباش وكان من أعيان علماء الحنفية وتوفى الشيخ علاء الدين العجمى الشافعى شيخ تربة جانى بك نائب جدة وكان من أعيان علماء الشافعية وتوفى قاضى قضاة الحنابلة شهاب الدين أحمد الششينى وكان علامة فى مذهبه توفى سنة تسع عشرة وتسعمائة وتوفى الشيخ عبد الباسط بن خليل المؤرخ وكان من أعيان الحنفية وكانت وفاته فى ربيع سنة عشرين وتسعمائة وتوفى الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن عنان رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الصوفية وتوفى قاضى قضاة الشافعية كان محيى الدين عبد القادر بن النقيب وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وتوفى قاضى القضاة كان جمال الدين ابراهيم بن علاء الدين القلقشندى الشافعى وكان من أعيان علماء الشافعية وتوفى الشيخ نور الدين على المحلى وكان يعرف بقريبه وكان من أعيان علماء الشافعية وتوفى الشيخ تاج الدين الذاكر وكان من أعيان الصوفية وتوفى قاضى قضاة الحنفية وكان يسمى برهان الدين بن الكركى وكان من أعيان علماء الحنفية مات غريقا

فى أيام دولته ومات غير هؤلاء جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم هنا خشية الاطالة انتهى ذلك ولا بأس بايراد هذا الرجل الذى عمله الشيخ بدر الدين أبقاه الله تعالى يرثى به الملك الاشرف قانصوه الغورى عند وقوع تلك الفتنة المقدم ذكرها وماجرى له وهو قوله

غربت شمس دولة الغورى * وابن عثمان نجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم * والفلك دار ولم يزل داير
ابن عثمان باداه بأخذ القلع * ويمنع التاجر مع الجلاب
أن يجيبوا الى مصر مملوك * ولا فروة سمور ولا سنجاب
ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا * ومن الصوف ماعاد يجينا ثياب
على الصوف باما قعدنا سنين * ما يجى من عندو ولا تاجر
والامارة جو للملك قالوا * ابن عثمان باغى عليك جاير
الامير الكبير سمى سودون * للعجم نسبتو خلاف القياس
والمقر الاشرفى العالى * هو أمير سلاح سمى اركماس
وبسودون رأس نوبة النواب * لو رياضه مع سائر الاجناس
وانسباى هو حاجب الحجاب * لو شجاعة فى الحرب بالباتر
ومحمد يدعى أمير اخور * نجل سلطان أشرف عزيز ناصر
والدوادار ثانى أمير علان * وان أردت المقدمين تذكر
ابن جركس مقدم كبير * وعمر بالزردكاش يشهر
وكذا جنبلاط معو كرتباى * وأربعين فى ذى العدد واكثر
وتبعهم من الامارة كثير * طبلخاناه بالنصر تتباشر
والعساكر معهم كثير فرسان * عشراوات من ترك تتكاثر
ضرب الكل بينهم مشورة * قالوا ملك منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال * بالجنائب والسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان * نكسر الروم والاراضى ندوس
راهنوا بالنفوس وهم أقمار * كل واحد بهجتو قاهر
ولا يدرى ما قد خبى فى الغيب * من تقادير القادر القاهر
خامس العشر من ربيع آخر * لتسعمايه اثنين وعشرين عام
ورخوها من هجرة الهادى * شافع الخلق فى نهار الزحام
كان خروج السلطان بتجريده * لابن عثمان طالب بلاد الشام

والامارة

والاماره فى خدمتوموكبين * بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره * كان بتقدير الواحد القاهر
فى محفه خرج معو القاضى * كاتب السر المنتخب محمود
والخليفه المتوكل ولد يعقوب * هو محمد فعلوا الجليل محمود
وقضاة القضاة ومن معهم * كل نائب قد أبذل المجهود
وخرج معو لاجل الخلع * ناظر الخاص الناهى الآمر
هو المباشر للخاص وهو العامل * وكذا المصروى لجيش ناظر
دخلوا الشام أوكب بهم موكب * ما سمعنا موكب رئى مثله
ولا نالوا ملك ولا سلطان * فى المواكب ولا أحد قبله
ومن الشام خرج دخل فى حلب * وقطع من وعره الى سهله
وسليم شاه لما سمع أظهر * ان طبعو منها بقى حاير
طلب الصلح أرسل لهم قاصد * بالهدايا والملبس الفاخر
قالوا دا الصلح سيد الاحكام * من يخالف يرجع هداه فى ضلال
والامانه فى محل الانسان * وأبى حملها عن والى الجبال
وقضى ربنا بحقن الدما * وكفى الله المؤمنين القتال
جوجوا سيس الاشرف الغورى * أعلموه انوا عليه مماكر
قالوا احذر تركن الى صلحو * واعلم انه خاين عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز * والعساكر معو لاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح * والتراكيش معمره بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه * للفريقين شابت لها الاطفال
نصر الله المصرى على الرومى * وبخيلو أضحى عليه غاير
ولا يدرى ما قد خبى فى الغيب * ولا يدرى ماهو اليه صاير
ابن عثمان كان لو من العسكر * خلق كانوا على الشمال كامنين
فى اشتغال العسكر بنهب الروم * خرجوا فى القتال لاجل اليمين
فاستغاث الملك و بوسارقه * ارتمى على الارض عن جواد وبين
جا ابن عمو بيبرس واقباى الطويل * كل واحد لنصرته بادر
والشجاعة ما تغلب الكثرة * قطعوهم بالصارم الباتر
جل ربى محرك الحركات * جعل الله لكل قتله سبب
والعجب كان فى قتلة الغورى * فى التواريخ تكتب بماء الذهب
تسعمايه اثنين وعشرين عام * ماجرى لو خامس وعشرين رجب

نسأل الله أن يحسن العاقبه * ويبعيـــد الرابح هو الخاسر
يكشف العارعنا بأخـذ الثار * ويردالكسره عـــلى الكافر
اشتهى الثار لقتـــلة الغورى * ولعــــلى أن أبلغ الاوطار
والتهانى ذاك النهار عنـــدى * ويغنوا عـــلى وتر أوطار
بعدهـــذاماأخشى غراب البين * ان زعـــق فى دارنا أوطار
والعجائب فى قتـــلة الغورى * راح برجلو لقتلتو خاطـــر
وحسبنا كل الحساب الا * ماجرى لوما مر بالخاطـــر
دمعة العـــين منى على الغورى * من دماها تجرى لحزنى عـــين
ارتجى عـــين فى الناس تساعدنى * من صباحى حتى تغيب العـــين
كان عليـــه ترقب زمان ملكو * والسعادة حـــتى أصابو عـــين
الجواد غاب بين العـــدا أرماه * مات ودمعو مـــن العيون غاير
كل مـــن غارمنو بقى فرحان * بعـــد ما كان غاير عـــلى الغاير
ذى العساكر شبهتها روضـــه * فيها أغصان فرسان عليها زهـــور
والنسيم فى النهر فصـــل زرد * واذا هو كالسيف ظهر مشهور
واللبوس من فوق الحـــديد تحكى * ورد أحـــمر بين الرياض منثور
ومن البان شطفات غصون مذهبه * وحماها صـــناجق الباتر
وحكى الياسمـــين بدن مجروح * وشـــقيق النعمان عليـــه داير
فى سما حرب عسكر الســـلطان * تطلع النجم فرسان تزين اللبوس
والاســـنة تحكى شهب ثاقبـــه * وخودهم مثل النجوم فى الشموس
والملك بينهـــم قمر مخسوف * وحكى الرعد ضربهـــم فى التروس
خلت أسهـــم من قوس قزح ترمى * للعساكر فى ليل غبار عاكـــر
والسحاب صار يمطر سهام خارقه * للاعادى ولم يزل ماطـــر
ذى العساكر بستان وفيه فاكهه * ودماهـــم خمر العنب مـــدفوق
واحـــد اصـــفر لونو حكى مشمش * وذا لون العنـــاب وذا معشوق
ماراى حـــد مثـــل ذى الوقعـــة * لا تقـــل لى الناصر ولا برقوق
والامارة تحكى شجر مثمـــر * فى رياض نشر واغـــدا عاطر
والمدافـــع ترمى سفرجـــل بكار * ولـــرمان يحكى من الفحول فاخر
كم أســـلى قلبى عـــلى الغورى * وأقـــلو ياقلب اتفكـــر
أين سليمان وأين هو النمرود * وأين هو افرعون وأين هو اقيصر

وأين

وأين ملوك الزمان وذو القرنين * واللى يسمى ان صح الاسكندر
وأين كسرى انوشروان وايوانه * مات والايوان بعد وبقى داثر
كل حادث بأمر القديم راحل * والاقامة للاول الآخر
لو يكن فى هذا البلد جمال * ويراهن فى واجب المعيوب
نحن عصبه نحزن على غلبه * لما بقى دستو عليه مقلوب
فايش تقل سلطاننا الغورى * لما جرد قتل ومات مكروب
بعد ملكو خمسه وعشرين سنين * تسعة اشهر بالكاتب الحاصر
ويليها خمسه وعشرون يوم * عز كاتب حاسب أمين ذاكر
العجب كان فى قتلة الغورى * كل مقدور لا يمنعه المحذور
ويوم خروجو من البلد أوكب * ولا يدرى مافى الجبين مسطور
بالمقدر قال لو لسان الحال * قد بقى من عمرك ثلاث شهور
انتبه من رقدة الغفله * واحمل الطول من الامل قاصر
بعد الاشهر عدة تسعة أيام * والمنيه تكون فى العاشر
ذى الملك كان رئيس وهو مقدام * وابن عثمان مؤخرو لاح كسره
خندس الريح عليه وحل مركبو * وابن عثمان عوم وبان نصره
غرق السفن واخرب السفان * وبينوا رمى الجميع بحره
من جنتهم ومن دماهم صار * بحرهم بر بالجثث صادر
وتركهم لما رجع مقلع * برهم بحر بالدما حادر
قد جلالو عروس جمال ملكو * خالق الخلق ربنا ذو الجلال
وحبالو أنوا يقع ميت * عن جوادو يوم الحروب والقتال
وزوى لو انوا يموت مقهور * ولا يعرف قبره ليوم الزوال
كم تطير بالرمل والرمال * طاير الله هو أعظم الطاير
طار حسابو وكل ما أمل * وبهذا ما طار عليه طاير
ابتداى فى النظم والخاتم * بمديحى فى المصطفى المختار
كلمو الضب والذراع والبعير * وسعت لو فى خدمتو الاشجار
والغزال حديثها مشهور * ونطق لو فى راحتو الاحجار
والقمر انشق له نصفين * بعدما كان كامل صحيح ناير
واشبع الجيش كلو ببعض الزاد * وجرى الماء من اصبعو فاير
ان بقولوا أبو النجا العوفى * فى نظامو مافى البلد مثلو

يا الذى جا يسمع عقود نظمه * خـذ وحرر عنو بديع نقلوا
وان أتاك من يطلب التاريخ * والوقايع عـن الملوك قلو
غربت شمس دولة الغـورى * وابن عثمان نجمـو طلع ساير
وبهـذا رب السما قد حكم * والفلك دار ولم يزل دايـر

وهذا آخر ما انتهى الينا من أخبار دولة الملك الاشرف أبى النصر قانصوه الغورى رحمة الله عليه وقد افتتح أوائل دولته بمصادرات وظلم وأخذ أموال بغير حق واختتمت أواخر دولتـه بفتن وضرب سيف وذهاب أموال وأرواح وأمور مهولة وحوادث غريبـة وفتن عظيمة ليس لها آخر والامر الى الله تعالى من قبل ومن بعد يفعـل ما يشاء ولا يسئل عما يفعـل واستمر سليم شاه بن عثمان مستوليا على البلاد الشاميـة والحلبية وملك قلاعها وأعمالها وحكم من الفرات الى الشام ثلاثة شهور وملك ثلاثة عشر قلعة بالامان من غير حرب ولا قتال وملك قبل ذلك عدة قلاع من اعمال شاه اسمعيل الصوفى والذى وقع لسليم شاه ابن عثمان من السـعد والنصرة على الصوفى وسلطان مصر وأخذ أموالهم وبركهم وخيولهم واحتوائه على بلادهم وخزائن أموال الامراء وأموال السلطان الغورى وناهيك بها ما وقع قط لاحـد من ملوك الروم قبله ولا بعده وهـذا الامر من الله تعالى وقد وعده بذلك من القدم ان وعد الله حق وهو لا يخلف الميعاد

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر طومان باى

وهو السابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادى والعشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد أقول وكان أصله من كتابيـة الاشرف قايتباى اشـتراه الملك الاشرف قانصوه الغورى وكان يلوذ له بقرابة فلما اشتراه قدمه الى الاشرف قايتباى ولهذا يدعى طومان باى بن قانصوه فصار من جملة مماليكه الكتابية واستمر على ذلك حتى تسـلطن الملك الناصر محمـد بن قايتباى فأخرج له خيـلا وقماشا وغلمانا وصار من مستخرجات الناصر ومعاتيقه وبقى جدارا ثم بقى خاصكيا واستمر على ذلك حتى تسلطن قريبه قانصوه الغورى فانعم عليه بامرية عشرة واستمر على ذلك الى سنة عشر وتسعمائة فلما توفى ابن السـلطان المقر الناصرى فى الفصل الذى جاء بها أنعم عليه السلطان بامرية طبلخاناه وجعله شاد الشرابخاناه عوضا عن ولده بحكم وفاته واستمر على ذلك الى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة فلما توفى الامير ازدمر بن على باى الدوادار الكبير فى جمادى الاولى وهو مسافر بجبل نابلس خلع عليه السلطان وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن الامير ازدمر بحكم وفاته فاستمر فى الدوادارية الكبرى الى أن خرج السلطان الى التجريدة بسبب ابن عثمان فجعله نائب

الغيبة عوضاعن نفسه الى أن يحضر من السفر فساس الناس فى غيبة السلطان أحسن سياسة وكانت الناس عنه راضية واطاعه العسكر الذين تخلفوا بعصر قاطبة وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والاستادارية العالية وكاشف الكشاف ونائب الغيبة وكان يركب فى كل يوم اثنين وخميس ويسير نحو المطرية ويدخل من باب النصر ويشق القاهرة وقدامه الجم الكثير من العسكر والامراء المقدمين وقدامه سعاة وعبيد نفطية يرمون بالنفط من المكاحل فترج له القاهرة كلما شق منها وفتح السد فى غيبة السلطان وكان له يوم مشهود ولم يزل على ذلك حتى ثبت موت السلطان الغورى ورجعت الامراء من التجريدة فوقع الاختيار منهم على سلطنته فامتنع من ذلك غاية الامتناع والامراء تقول ماعندنا سلطان الاأنت وهو يمتنع من ذلك ثم ركب هو والامير علان وجماعة من الامراء المقدمين وتوجهوا الى كوم الجارح عند الشيخ أبى السعود فلما جلسوا بين يديه وذكروا له ذلك تعلل الامير طومان باى على السلطنة بأنواع من العلل منها أن خزائن بيت مال المسلمين ليس فيها درهم ولا دينار فاذا تسلطنت ما أنفق على العسكر شيأ ومنها أن ابن عثمان ملك البلاد الشامية وهو زاحف على مصر وأن الامراء لا يطاوعونى على الرجوع الى السفر ثانيا ومنها أنه اذا تسلطن يغدرون به ويركبون عليه ويخلعونه من السلطنة ويرسلونه الى السجن بثغر الاسكندرية ولا يبقونه فى السلطنة الامدة يسيرة ثم ان الشيخ أبا السعود أحضر بين يدى الامراء مصحفا شريفا وحلف عليه الامراء الذين جاؤا بصحبته بأنهم اذا سلطنوه لايخامروا عليه ولا يغدروه ولا يثيروا فتنا وأنهم ينتهوا عن مظالم المسلمين قاطبة فحلفوا كلهم على المصحف الشريف بمعنى ذلك فلما تحالفوا ترشح أمر طومان باى الى السلطنة وانفض المجلس على ذلك وتوجه الامراء الى بيوتهم فلما كان يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان من هذه السنة صلى الامير الدوادار صلاة الفجر وركب ومعه الامراء المقدمون وقدامه الفوانيس والمشاعل فطلع الى باب السلسلة وجلس به فلما ركب من بيته الذى فى درب الباباشق من الصليبة وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة بيضاء وكذلك الامراء الذين طلعوا صحبته فارتفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت النساء له بالزغاريت من الطيقان فلما استقر بباب السلسلة أرسل خلف أمير المؤمنين يعقوب والد أمير المؤمنين المتوكل على الله فحضر وصحبته سيدى هرون ولد الخليفة محمد المتوكل على الله وأولاد ابن عمهم خليل وحضر قاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنة والقاضى شرف الدين يحيى بن البرديني أحد نواب الشافعية وجماعة من نواب القضاة الذين بالقاهرة فلما تكامل المجلس واجتمع سائر الامراء المقدمين وغيرهم من الاكابر والاصاغر والعسكر أظهر أمير المؤمنين يعقوب وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله بأنه وكله فى

جميع أموره وما يتعلق به من أمور الخلافة وغيرها وكالة مفوضة وثبت ذلك على يد القاضي شمس الدين بن وحيش فاكتفوا بذلك وكان أشيع أن يولوا الخلافة الى أحد من أولاد سيدى الكبير خليل فان الخليفة المتوكل على الله كان فى أسر ابن عثمان ووالده يعقوب عزل نفسه من الخلافة فلما أحضر هذه الوكالة عن ولده اكتفوا بذلك وكان قاضي قضاة الشافعية كمال الدين الطويل فى أسر ابن عثمان وكذلك قاضي قضاة المالكية محيي الدين الدميرى وقاضي القضاة الحنبلي الشهاب الفتوحى فلم يحضر هذه المبايعة من أعيان نواب الشافعية الا الشرفى يحيي بن البرديني فبايع السلطان الخليفة أمير المؤمنين يعقوب وشهد عليه بذلك الشرفى يحيي بن البرديني وجماعة من نواب القضاة نيابة عن محمد المتوكل وحضر فى آخر المجلس قاضي القضاة الحنفي محمود بن الشحنة فلما تمت له البيعة أحضروا له خلعة السلطنة وهى الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيف البداوى فأفيض عليه شعار الملك وتلقب بالملك الاشرف مثل قريبه الغورى ثم قدموا له فرس النوبة بغير كنبوش ولا سرج ذهب ولا وجدوا له فى الزردخانات لا قبة ولا طير اولا الغواشي الذهب فركب من سلم الحراقة التى بباب السلسلة والخليفة قدامه فطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على كرسى المملكة وقبل له الامراء الارض ودقت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وفرح كل أحد من الناس بسلطنته وكان محببا للعوام فانه كان لين الجانب قليل الاذى غير متكبر ولا متجبر فلما انتهى أمر المبايعة خلع السلطان على أمير المؤمنين ونزل الى داره فى موكب حفل وزالت دولة الغورى كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدى وقد قال محمد بن قانصوه

قد ذهب الغورى الى ربه * وذا الذى قدره الله

الملك لله فمن شاء من * عباده للملك ولاه

فلما كان وقت صلاة الجمعة فى ذلك اليوم خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة وخطب به الشرفى يحيي بن البرديني واستمر يخطب به فى كل يوم جمعة ثم ان الخطباء خطبوا باسمه فى ذلك اليوم على منابر مصر فى القاهرة بعد ما كانت الخطباء لم يذكروا فى الخطبة اسم سلطان ولا يدعون له نحو خمسين يوما بل كانوا يدعون للخليفة فقط وفى هذا اليوم قبض السلطان على قانصوه الاشرفى نائب قلعة حلب الذى سلم القلعة الى ابن عثمان من غير حرب ولا محاصرة فلما حضر قانصوه هذا صحبة العسكر تغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك فقبض عليه وأودعه فى البرج بالقلعة حتى يكون من أمره ما يكون وفى يوم السبت خامس عشر رمضان حضر جماعة من الامراء ممن تخلف بعد العسكر بدمشق فحضر الامير جان بردى الغزالى نائب حماه وقد ترشح أمره أن يلى نيابة الشام والامير سودون الدوادار رأس

نوبة النواب والامير قانصوه كرت أحد المقدمين وكان مريضا فلما حضروا وجدوا الدوادار قد تسلطن فعز ذلك على الامير سودون الدوادار وكان قد ركن الى السلطنة وهو بالشام فلم يتم له ذلك فلما حضروا طلعوا الى القلعة وقبلوا الارض للسلطان ونزلوا الى دورهم ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بأن أمير عربان حماه الأمير ناصر الدين بن الحنش بلغه أن ابن عثمان أرسل جاليش عسكره وصحبته ابن سوار الذى كان تعصب له فلما وصلوا الى قانون بالقرب من دمشق لقيهم ابن الحنش وحصل بينه وبين عسكر ابن عثمان مقتلة عظيمة مهولة وقتل منهم جماعة وأطلق عليهم الماء من أنهر دمشق حتى صار كل من دخل فى تلك المياه بفرسه يوحل فلا يقدر على الخلاص فهلك من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة حسبما أشيعت بذلك الاخبار وقد قلت فى المعنى

قل لابن عثمان اذا قابلته * اقبل نصيحة ناصح ودع الطيش
واحذر تعارض شاميا بجهالة * تخشى عليك اللدغ من ابن الحنش

فلما دخلت الامراء دخل صحبتهم جماعة كثيرة من أعيان أهل دمشق وأولادهم وعيالهم وسبب ذلك أنه لما حصل لعسكر مصر هذه الكسرة وقتل سيباى نائب الشام واضطربت الاحوال وثب أهل الشام بعضهم على بعض ونهبوا حارة السمرة وقتلوا جماعة وأخذوا أموالهم وكذلك فعلوا بتجار الفرنج الذين هناك ونهبوا أموالهم وكانت فتنة مهولة ونهبوا بيوت أعيان الناس بدمشق من القضاة والتجار فخرج غالب أعيان دمشق منها بسبب ذلك وبسبب فتنة ابن عثمان وفساد الاحوال بمصر والبلاد الشامية فلما بلغ السلطان ما فعله ناصر الدين بن الحنش مع عسكر ابن عثمان رسم له بنيابة حمص وقيل برزت له المراسيم الشريفة أنه اذا كسر عسكر ابن عثمان قرره السلطان فى الاتابكية بدمشق فان ابن الحنش أرسل يقول للسلطان مدنى ببعض عسكر وأنا أجمع العربان وضمان كسرة عسكر ابن عثمان علىّ وكان فى قديم الزمان بعض أجداد الحنش متولى على نيابة حمص وفيه حضر شخص يقال له اينال الاعور وكان جان بردى الغزالى قرره فى نيابة صفد فلما بعث اليها دواداره ومباشريه وثب عليهم أهل صفد ولم يمكنوهم من الدخول الى المدينة وربما قتلوا منهم جماعة فحضر الى مصر ليلبس خلعة ويمضى الى صفد ليقتص من أهلها وفى يوم الاثنين سابع عشره أنفق السلطان الجامكية على العسكر فى الحوش وحصل فى ذلك اليوم بين الامراء خلف بسبب الوظائف وحصل بين الامير علان الدوادار الثانى وبين جان بردى الغزالى تشاجر حتى خرجا فيه عن الحد وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض وهم الذين كانوا مقيمين بمصر ولم يخرجوا فى التجريدة صحبة السلطان ونادى أيضا أن كل من أخذ شيأ من نهب سلاح العسكر أو قماشهم يرده ومن لم يرد شيأ وغمز عليه شنق من غير

معاودة وقد بلغه أن جماعة من الغلمان والعبيد ممن كان فى التجريدة نهب أشياء كثيرة من مال وسلاح وقماش وغير ذلك ومن الوقائع اللطيفة أن السلطان لما تسلطن أمر بهدم المسطبة التى كان أنشأها السلطان الغورى بالحوش أيضا عوضا عن الدكة التى كان يجلس عليها الاشرف قايتباى فهدم السلطان المسطبة وأعاد الدكة كما كانت فى أول الامر وجلس عليها وكانت قد تكسرت فاصلحوها وجعل لها غشاء من الجوخ الاصفر وصار يجلس عليها المحاكمات كما كان يجلس الاشرف قايتباى وقد قلت فى المعنى

قد عادت الدكة للحكم * وانهدمت مسطبة الظلم

وصار طومان باى بين الورى * يمشى به الذيب مع الغنم

فيا له من ملك عدله * قد شاع بين العرب والعجم

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره جلس السلطان على الدكة وعرض العسكر بالحوش وكتب منهم نحو ألفى مملوك وعين من الامراء المقدمين الذين كانوا بمصر نحو ستة مقدمين وعين الامير جان بردى الغزالى باشا على العسكر وقد ترشح أمره بان يلى نيابة الشام وفيه قبض السلطان على المهتار محمد الفحولى وعلى أخيه على مهتار الطشتخاناه بخدمة السلطان الغورى وقبض على جمال الدين الالواحى بواب الدهيشة وهذا كان أول حكم السلطان طومان باى وسبب ذلك أن السلطان لما تسلطن عرض الخزائن فوجدها فارغة ليس فيها درهم ولا دينار وكان محمد المهتار وجمال الدين البواب من حين توفى الامير خاير بك الخازندار جعلهما السلطان الغورى متحدثان فى أمور الخزائن الشريفة فصارا يتصرفان فيها كيف يختارا فطاشا وركبا فى غير شرجيهما وما كانا يظنان أن السلطان الغورى يموت فى هذا الزمان فكان ذلك من أكبر أسباب الفساد فى حقهما كما يقال فى المعنى

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى يوم الخميس عشرى شهر رمضان عمل السلطان الموكب بالشاش والقماش وجلس على الدكة بالحوش وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى سودون الشهابى الدوادار وقرره أتابكى العساكر عوضا عن سودون العجمى بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على المقر السيفى جان بردى الغزالى وقرره فى نيابة الشام عوضا عن سيباى بن بخت خجا بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على المقر السيفى اركماس بن طراباى وقرره فى امرية سلاح على عادته وخلع على المقر السيفى بخشباى بن عبد الكريم وقرره أمير مجلس عوضا عن اركماس بحكم ولايته فى امرية سلاح وخلع على المقر السيفى انسباى بن

مصطفى وقرره أمير اخور كبير عوضا عن تجل المقام الشريف الغورى بحكم انفصاله عنها وخلع على تمر الحسنى وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن سودون الدوادارى بحكم انتقاله الى الاتابكية وخلع على طقطباى العلائى نائب القلعة وقرره حاجب الحجاب عوضا عن انسباى بحكم انتقاله الى امرية اخور الكبرى وخلع على الامير علان بن قراجا وقرره أمير دوادار كبير عوضا عن المقام الشريف بحكم انتقاله الى السلطنة وخلع على الامير ابرك الاشرفى وقرره وزيرا واستادارا وكاشف الكشاف عوضا عن المقام الشريف وخلع على كرتباى الاشرفى أحد الامراء المقدمين وقرره دوادارا ثانيا مقدم ألف كما كان علان وخلع على ماماى دوادار قانى باى قرا أمير اخور كبير كان وقرره أمير اخور ثانى عوضا عن اقباى الطويل بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على شخص من الاتراك يقال له تمر السيفى مغلباى الساقى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن خدابردى الاشرفى بحكم انه بقى مقدم ألف وخلع على شخص يقال له تخشباى الذى كان كاشف البهسنا وقرره فى نيابة صفد وخلع على شخص آخر من الاتراك وقرره فى نيابة طرابلس وخلع على شخص يقال له تانى بك الاشرفى وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن طقطباى بحكم انتقاله الى الحجوبية الكبرى وخلع على اقطوه وقرره كاشف الشرقية ثم أبطل ذلك فيما بعد وخلع على الامير يشبك الفقيه وقرره خازندارا كبيرا عوضا عن خاير بك الذى توفى وخلع على جنتمر وقرره خازندارا ثانيا وخلع على ماماى الصغير وأقره فى الحسبة على حاله وخلع فى ذلك اليوم على جماعة كثيرة وقررهم فى وظائف معلومة وأما أرباب الوظائف من المباشرين فخلع على القاضى محمود كاتب السر ابن أجا وأقره على حاله وأقر الشهابى أحمد ناظر الخاص ابن يوسف متحدثا فى نظارة الجيش عوضا عن القصروى بحكم قتله هناك وخلع على سائر المباشرين من أرباب الوظائف باستمرارهم على وظائفهم وخلع على نقيب الجيش وازدمر المهمندار وألماس والى الشرطة وسنبل مقدم المماليك باستمرارهم على عادتهم وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه خلع السلطان على شيخ العرب الامير أحمد بن بقر باستمراره على عادته وقد حصل من أولاد أحمد بن بقر فى هذه السنة من الفساد ما لا يحصل من بلاد الفرنج من قتل النفوس ونهب الاموال ولا سيما ما فعله ابن الجذامى بالعسكر لما رجع وهو مكسور وما فعله أولاد عبد الدائم بالشرقية من نهب الاموال وقتل النفوس ولم تنتطح فيها شاتان وخلع عليه وراحت على من راح وفى يوم الخميس سابع عشريه خلع السلطان على مصرباى الافرع أحد امراء الطبلخانات وقرره فى الحجوبية الثانية عوضا عن طومان باى قرا بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان وخلع على تمرباى العادلى وقرره تاجر المماليك عوضا عن نوروز بحكم وفاته وخلع على شادبك وقرره

شاد الشرابخاناه عوضا عن يوسف الناصري بحكم انتقاله الى التقدمة وخلع على على بك وقرره على نظر الجوالى عوضا عن القصروى وخلع على فخر الدين بن عوض واستقر به ثالث قلم فى كتابة المماليك عوضا عن جلال الدين بحكم وفاته وخلع على حاجب الحجاب بدمشق باستمراره على عادته وفى أواخر هذا الشهر قرئ عهد السلطان بحضرة أمير المؤمنين يعقوب وقاضى القضاة الحنفى وجماعة من النواب وحضرت جماعة من المقدمين على العادة ثم ان السلطان أنعم على أمير المؤمنين يعقوب لما بايعه بالسلطنة بحصة ونصف وثلث فى منشية دهشور فانعم عليه فى ذلك اليوم بما ذكرناه وفى يوم السبت تاسع عشريه طلع ناظر الخاص بخلع العيد وعرضها على السلطان وهى مزفوفة على رؤس الحمالين وفى يوم الاحد سلخ هذا الشهر حضر الناصرى محمد بن بلباى المؤيدى حاجب ميسرة بدمشق وأخبر أن سليم شاه بن عثمان قد ملك مدينة دمشق وملك قلعتها وقتل على باى الاشرفى نائب القلعة وقتل ستة وثلاثين أميرا من أمراء دمشق غير من وجده من الرعية بالشام وحضر ابن بلباى هذا وهو فى زى العرب بشت وزنط على رأسه فلما أشيعت الاخبار فى القاهرة بأن ابن عثمان ملك الشام صارت الناس فى أمر مريب بسبب ذلك وقالوا ما بقى بعد أخذ الشام الا مصر وجزموا بهذا الأمر وعول بعض الناس على الهروب الى جهة الصعيد فتنكد السلطان والامراء والناس قاطبة لهذا الخبر ولاسيما وانها ليلة عيد الفطر والناس جرحهم طرى بسبب موت السلطان وكسرة العسكر والاشلة قائمة بسبب من قتل من العسكر وقد قلت

يا ابن عثمان كف عن أخذ مصر * بلد شرفت بخير امام
حبرنا الشافعى قطب ولى * نجل ادريس عمدة الاسلام
هى تدعى كنانة من غزاها * قصم الله ظهره بالحسام

وفى شوال وكان مستهله يوم الاثنين صلى السلطان صلاة العيد وخلع على الامراء ومن له عادة فخطب بالسلطان فى ذلك اليوم الشرفى يحيى بن البرديني وكان موكب العيد حفلا وفى يوم الجمعة خامسه الموافق لرابع هاتور القبطى قلع السلطان البياض ولبس الصوف وقد عجل بلبس الصوف وفيه توفى الأمير جانم الابراهيمى أحد الامراء الطبلخانات وفى يوم السبت سادسه طلع الى السلطان شخص يقال له على الشعبانى نقيب المحتسب وشخص آخر يقال له ابن خبيز السمسار فى الغلال فلما وقفا بين يدى السلطان تكلما معه بأن يجعل على الحسبة مالا معينا وعلى الغلال أيضا ولا يحصل من ذلك ضرر للمسلمين فلم يلتفت السلطان الى كلامهما وضرب على الشعبانى بالمقارع وابن خبيز وأشهر الشعبانى فى القاهرة وهو ماش مكشوف الرأس وقد ضرب بالمقارع ونودى عليه هذا جزاء من يتعاون فى انشاء المظالم

فى الدولة العادلة بعدما بطلت وأمر السلطان بعزل الشعبانى من التحدث فى أمر الحسبة
فأقام الشعبانى بعد ذلك أياما يسيرة وأشيع موته من الضرب الذى حصل له كما تقدم وفى
يوم الاثنين ثامنه حضر دوادار نائب غزة المسمى بعلى بك الاحدب وأخبر بأن ابن عثمان
من حين دخل الشام تلاشى أمره ووقع الوخم فى عسكره فصار يموت منهم فى كل يوم جماعة
وعز عندهم وجود الاقوات من الغلال والعلف وقد ضيقت عليه العربان ومنعوا عنه
ما يجلب من الشعير والقمح والتبن وكل من خرج من عسكره الى الضياع قتله العرب
وقد تحجّون بدخوله فما بقى يمكنه الخروج منها وسارت خيول عسكره سائبة تأكل من ورق
الاشجار وهى فى غاية الحصر وفيه حضر خدا بردى نائب الاسكندرية وخرج اليها نم الذى
قرر بها وحضر الامير خاير بك المعمار الذى كان توجه الى ثغر رشيد بسبب عمارة السور
والابراج التى هناك كما تقدم وفيه خلع السلطان على شخص من الاتراك يقال له ملباى
المشرف وقرره فى استادارية الصحبة عوضا عن قانصوه الاشرفى بحكم قتله فى واقعة ابن عثمان
وفى يوم الثلاثاء تاسعه كانت كائنة الزينى بركات بن موسى مع الشيخ أبى السعود وسبب
ذلك أن شخصا مدا بغيا يبيع الجلود يقال له الدمراوى مكاسا على بيع الجلود فجار عليه
ابن موسى فوقع بينه وبين ابن موسى حظ نفس فقصد ابن موسى أن يقبض عليه فتوجه
الدمراوى الى الشيخ أبى السعود واحتمى به فأرسل الشيخ أبو السعود رسالة الى ابن موسى
بسبب ذلك وقد شفع فيه فتوقف ابن موسى فى أمره ولم يلتفت الى رسالة الشيخ وطاوله فى
أمر الدمراوى فأرسل الشيخ لابن موسى فأحضره فلما حضر عنده فى كوم الجارح وبخه
الشيخ بالكلام وقال له يا كلب كم تظلم المسلمين فخنق منه ابن موسى وقام من عنده على غير
رضا فأمر الشيخ بكشف رأس ابن موسى وضربه بالنعال فصفعوه بالنعال على رأسه حتى
كاد ان يهلك ثم وضعه فى مكان وأرسل خلف الامير علان الدوادار الكبير فلما حضر قال
له ضعه فى الحديد واطلع وشاور السلطان عليه وأعلمه بانه يؤذى المسلمين فلما طلع الامير
علان وشاوره فى أمر ابن موسى وما جرى له مع الشيخ أبى السعود أرسل السلطان
يقول للشيخ أبى السعود مهما اقتضاه رأيك فيه فافعله فلما ورد الجواب على الشيخ بذلك
أمر باشهار ابن موسى فى القاهرة ثم يشنقوه على باب زويلة فأخرجوا ابن موسى من زاوية
الشيخ التى فى كوم الجارح وهو ماش مكشوف الرأس بكبر طاق وهو فى الحديد ينادى
عليه هذا جزاء من يؤذى المسلمين فتوجهوا من كوم الجارح الى ساحل مصر العتيقة وهم
ينادون عليه الى أن وصل الى بيت الامير علان الدوادار الذى بالناصرية فأراد أن
يوقع فيه بشنق أو تغريق ثم عاودوا الشيخ فى أمره بأن عليه مالا للسلطان ومتى شنق ضاع
على السلطان ماله فعفا الشيخ عنه من القتل واستمر ابن موسى عند الامير علان وهو فى الحديد

حتى يكون من أمره مايكون وكانت واقعة مهولة بين ابن موسى والشيخ أبى السعود وقد أشرف ابن موسى فى هذه الكائنة على الهلاك وقد قلت فى هذه الواقعة

تعجبوا مماجرى فى الوجود * بين ابن موسى كان وأبى السعود
تشاجر قد طال مابينهم * واشتعلت نيرانه بالوقود
فصرح الشيخ بعزلانه * وأكد القول بأن لا يعود
ويغلب الله على أمره * ويرغم القاهر أنف الحسود
ليت شعرى ذا الهبوط الذى * نال ابن موسى بعده من صعود

ولما جرى لابن موسى ماجرى ظهر غريمه شهاب الدين بن الصائغ وكان يسعى عليه فى أيام الغورى فلما وقعت هذه الكائنة لابن موسى انتدب الى مرافعته ابن الصائغ وقال أنا أثبت فى جهة ابن موسى للسلطان مائة ألف دينار ثم ان ابن الصائغ توجه الى بيت ابن موسى وصحبته طواشية وقواسة وجماعة كثيرة وكبس على نساء ابن موسى وقبض عليهن ونهب مافى بيوتهن من قماش وأمتعة وقبض على عبيده وغلمانه وحاشيته فلما رأى السلطان ماقد حل به توقف عما كان فيه من أذى ابن موسى ثم ان ابن موسى قال أنا أثبت فى جهة ابن الصائغ مائتى ألف دينار وقال للامير علان أرسل خلف ابن الصائغ وضعه فى الحديد حتى يعمل حسابه فلما حضر ابن الصائغ وضعه الامير علان فى الحديد حتى يقيم حسابه مع ابن موسى وأما ما كان من أمر الشيخ أبى السعود فانه لما فعل بابن موسى مافعل قامت عليه النائرة والاسئلة وأنكر عليه الناس والفقراء وقالوا ايش للشيخ شغل فى أمور السلطنة واشتغلت الناس به ولم يشكره أحد على مافعله بابن موسى وفى يوم الاحد رابع عشره طلعت الى القلعة خوند بنت الامير اقبردى الدوادار وهى زوجة السلطان وأمها بنت خاص بك أخت خوند زوجة الاشرف قايتباى فطلعت وقت صلاة الصبح بالفوانيس والمشاعل ومعها الجم الكثير من الخوندات والستات وأعيان نساء الامراء والمباشرين فاستمرت فى موكبها حتى طلعت الى القلعة ودخلت الى قاعة العواميد فحمل الامير بشير الطواشى رأس نوبة السقاة على رأسها القبة والطير حتى جلست على مرتبتها وكان لها يوم مشهود بالقلعة وفى يوم الاحد عرض الامير علان الدوادار ابن موسى وابن الصائغ وكان قرر على ابن موسى عشرين ألف دينار وأن يوردمنها على الجامكية عشرة آلاف دينار فلم يورد منها شيأ فبطحه على الارض وضربه نحو عشرين عصا فوعد أنه يورد ذلك القدر ثم طلب أحمد بن الصائغ وضربه فوق أربعمائة عصا حتى كاد ان يهلك وأشيع بين الناس موته وفى يوم الخميس ثامن عشره لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يحج أحد من الناس قاطبة بسبب فتنة ابن عثمان وأشيع أنه يرسل جماعة من عسكره الى مكة المشرفة وصحبتهم كسوة

الى الكعبة فلم يثبت ذلك ثم ان السلطان أرسل الطواشي مرهف من البحر المالح وصحبته كسوة الكعبة المشرفة والصرر لأهل مكة المشرفة والمدينة فتوجه الى الطور ونزل من هناك الى البحر وفي يوم الجمعة تاسع عشره أشيع أن الشيخ أبا السعود أرسل خلف ابن موسى وفكه من الحديد وأظهر أنه قدرني عليه وصار يتصرف في أمور المملكة من عزل وولاية فأنكر عليه الناس ذلك وفي يوم السبت عشريه طلع الزيني بركات بن موسى الى السلطان على أنه يعيده الى وظائفه فلم يلتفت اليه ونزل من عنده بغير طائل وهو في التوكيل به حتى يغلق ما قرر عليه من المال فتوجه الى بيته وهو في غاية الذل بعد ما زينت له حارته في سويقة اللبن وتخلقت جماعته بالزعفران فنزل عليهم خمدة بسبب ذلك وفي يوم الاحد حادي عشريه خلع السلطان على شرف الدين بن عوض وقرره في استادارية الذخيرة عوضا عن ابن موسى بحكم انفصاله عنها وفي يوم الاثنين ثاني عشريه نادى السلطان للعسكر بان يوم الثلاثاء أول النفقة وفيه وردت الاخبار من الهند بأن المراكب التي كان أرسلها السلطان الغوري قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع وآلات السلاح وغير ذلك وأنه قد وقع بين الرئيس سلمان العثماني وبين الامير حسين نائب جدة وأن كلا منهما توجه الى جهة من جهات الهند وفيه خلع السلطان على شخص من الاتراك يقال له قجماس وكان شادا في بنها العسل وقرره في كشوفية الشرقية وأبطل من كان قرر بها وفيه أنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة فأعطى لكل مملوك خمسين دينارا فردوها عليه وقالوا بق بق وخرجوا من باب الحوش على حمية وقصدوا أن ينشئوا فتنة فأشار بعض الامراء على السلطان بان يرضيهم وأن ينفق عليهم كل واحد مائة دينار على جاري العادة فاسترد من خرج من العسكر على غير رضا ثم لما ردوا أنفق لكل مملوك مائة دينار وجامكية ثلاثة شهور عبارة عن مائة وعشرين دينارا لكل مملوك فأنفق في ذلك اليوم على أربع طباق وأشيع أن هذا العسكر لما يخرج يقيم في غزة هو والامراء ويحرسون المدينة الى أن تخرج التجريدة الكبيرة بعد الربيع وفيه أرسل السلطان بالقبض على جماعة من الاروام الذين كانوا في خان الخليلي وقد بلغه عنهم أنهم يكاتبون ابن عثمان بما يقع في مصر من أمور المملكة وعندهم جواسيس لابن عثمان فأرسل بالقبض عليهم ووضعهم في الحديد وفيه أشيع أن السلطان طلب ابن عثمان الصبي الصغير الذي يقال له قاسم بن أحمد بك ابن عثمان الذي توجه مع السلطان الغوري الى التجريدة فلما انكسر العسكر رجع مع الامراء الى مصر فبلغ السلطان أن جماعة يقصدون قتله فخاف عليه السلطان من القتل فطلع به الى القلعة وأسكنه في مكان بالبحرة ورتب له ما يكفيه في كل يوم هو وجماعته وفيه حضر الى الابواب الشريفة الشرفي يحيي ابن الاتابكي أزبك بن ططخ وكان مقيما بحماه

فلما ملكها ابن عثمان فرّ منها وجاء الى مصر من البحر المالح من جهة طرابلس وفيه خلع السلطان على الامير طقطباى حاجب الحجاب وجعله مقدم ثانى كشوفية البحيرة عوضا عن يوسف البدرى مضافا لما بيده من الجوبية الكبرى وفى يوم الجمعة سادس عشريه حضر الى الابواب الشريفة القاضى عبد الكريم بن الجيعان أخو الشهابى أحمد بن الجيعان وكان فى الاسر عند ابن عثمان بالشام ففرّ منه وحضر الى مصر وهو فى زى جمال وعليه بشت وعلى رأسه زنط وحضر صحبته شخص يقال له أحمد الدمياطى وهو تاجر فى الوراقين وأخبر السلطان بان ابن عثمان قد تلاشى أمره وان عساكره مختلفون عليه وان ناصر الدين ابن الحنش ضيق عليه الطرقات وصارت العربان تقتل كل من انفرد من عسكره فى الضياع وأخبر أنه ملك مدينة الشام وقلعتها وملك قلعة طرابلس وصفد وأعمالها وصار بيده من الشام الى الفرات ونيب فى هذه المدن التى ملكها جماعة من أمرائه كما فعل فى حلب وحماه وحمص وغير ذلك من البلاد وقيل ان ابن الحنش أرسل الى السلطان مطالعة يستحثه فى ارسال تجريدة بسرعة قبل أن يزحف ابن عثمان الى غزة ثم ان السلطان خلع على القاضى عبد الكريم ونزل الى بيته وفى يوم الاثنين تاسع عشريه خلع السلطان على ابن خليفة سيدى أحمد البدوى الذى قتله ابن عثمان فى حلب وقرّره عوضا عن أبيه بحكم قتله فنزل من القلعة فى موكب حافل وعلى رأسه الاعلام وقدامه سائر الفقراء الاحمدية وفى ذى القعدة وكان مستهله يوم الثلاثاء جلس السلطان على الدكة بالحوش وخلع فى ذلك اليوم على الشرفى يحيى بن البرديني وقرره فى قضاء الشافعية عوضا عن قاضى القضاة كمال الدين الطويل بحكم أسره عند ابن عثمان وخلع على قاضى القضاة الحنفية حسام الدين محمود بن الشحنة وأقرّه فى قضاء الحنفية على عادته وخلع على الشيخ شمس الدين التتائى وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن القاضى محيى الدين الدميرى بحكم أسره عند ابن عثمان وخلع على قاضى القضاة عز الدين الششينى وأعاده الى قضاء الحنابلة عوضا عن شهاب الدين الفتوحى بحكم أسره عند ابن عثمان وهذه ثانى ولاية وقعت لعز الدين بن الششينى فلما خلع السلطان على القضاة الاربعة فى يوم واحد ونزلوا من القلعة وعليهم التشاريف رجت لهم القاهرة فى ذلك اليوم واصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وقد تولى هؤلاء القضاة والقاهرة فى غاية الاضطراب بسبب ابن عثمان وفى ذلك اليوم اكمل السلطان النفقة على العساكر المعينة للتجريدة وأخذوا فى أسباب عمل البرق والخروج الى غزة قيل ان السلطان أنفق على نحو ألفى مملوك وهم المعينون للسفر وفى يوم الجمعة رابعه طلع ملك الامراء جان بردى الغزالى نائب الشام الى القلعة فصلى مع السلطان صلاة الجمعة ثم خلع عليه السلطان وجعله باشا على العسكر المعينين للتجريدة فلما نزل من القلعة توجه الى وطاقه الذى بالريدانية وخرج

من غير طائل بل قدامه بعض جنائب خيول بعراقى وطبول بازات وقدامه عبيد نفطية فتوجه الى الريدانية فى ذلك اليوم قبل خروج الامراء والعسكر وفى يوم السبت خامسه نادى السلطان للعساكر المعينة للتجريدة بان يخرجوا صحبة الباشا فى ذلك اليوم ومن لا يخرج يستاهل ما يجرى عليه فوقف له جماعة من المماليك المعينة وقالوا لا نخرج ولا نسافر حتى تنفق علينا ثمن جمل ستة أشرفية وتصرف لنا العليق وثمن اللحم المنكسر فحصل فى ذلك اليوم بعض اضطراب وخرج المجلس مانع والعسكر غير راض والاحوال غير صالحة وابن عثمان زاحف الى غزة ونائب غزة أرسل يقول ادركونا بالعسكر قبل أن يملك ابن عثمان مدينة غزة وتتعبوا فى خلاص البلاد من يده وفى يوم الاحد سادسه خرج شخص من الامراء المقدمين الالوف المعينين للسفر وصار فى كل يوم يخرج منهم الى الوطاق جماعة شيأ فشيأ والباشا جان بردى مقيما بالريدانية حتى يكمل خروج العسكر وفى يوم الاثنين سابعه أنفق السلطان على العسكر المعين للسفر ثمن اللحم عن ثلاثة أشهر فخص كل مملوك نحو أربعة أشرفية ونصف توسعة عليهم ليستعينوا بذلك وفى ذلك اليوم حضر شخصان من المماليك السلطانية وكانا فى بعض الضياع عند العرب فدخلوا مصر فى هيئة الغلمان ببشات وعليهم زنوط فأخبرا بأن ابن عثمان قد تلاشى أمره وأن عساكره مختلف عليه وقد وقع بينه وبين خاير بك نائب حلب وربما أشاعوا قتله ولم يكن لهذا الخبر صحة فى أمر ابن عثمان ولم تثبت صحة هذه الاخبار وفى يوم الاربعاء تاسعه حضر دوادار خاير بك نائب حلب وزعم أنه قد فر من ابن عثمان وأخبر أن ابن عثمان أرسل عسكرا نحو خمسة آلاف فارس صحبة ابن سوار وقد أشرفوا على أخذ غزة بل أشاعوا أخذها وان نائب غزة قد هرب فاضطربت الاحوال لهذه الاخبار وتنكد السلطان الى الغاية ونادى فى ذلك اليوم بالخروج من غير تأخير ومن تأخر يستاهل ما يجرى عليه فلما كان فى ذلك اليوم خرجت العسكر على وجوههم مسرعين وأشيع سفر السلطان بنفسه وصحبته الامراء قاطبة وأنه هو الذى يلاقى ابن عثمان بنفسه وصحبته نائب حلب أمير كبير وهو فى الحديد وجماعة من أجناد الحلقة بغزة وهم فى الحديد وأرسل نائب غزة يرافع فيهم بأنهم كاتبوا ابن عثمان بان يحضر الى غزة ويملكها من غير مانع فلما حضروا بين يدى السلطان حلفوا الله أن هذا الامر ما وقع منهم ولا كاتبوا ابن عثمان وانما دولات باى نائب غزة بينه وبين أجناد غزة حظ نفس فكذب عليهم بهذه التهمة الباطلة فصدقهم السلطان على ذلك وأرسل جان بردى الغزالى نائب الشام يشفع فيهم ويبرئهم مما قالوه فى حقهم بالباطل ففكهم السلطان من الحديد وأرسلهم الى نقيب الجيش حتى يتبصر فى أمرهم وفى يوم الخميس خلع السلطان على الامير يوسف البدرى الذى كان وزيرا وقرره ناظر الذخيرة الشريفة ووكيل بيت المال عوضا عن

الزينى بركات بن موسى وفى يوم الجمعة حادى عشره تزايد أمر الاشاعات بأن ابن عثمان أرسل الى غزة عسكرا صحبة جماعة من أمرائه منهم شخص يسمى اسكندر باشا والآخر يسمى داود باشا وآخرون من امرائه وأشيع أنهم قد ملكوا مدينة غزة وأحرقوا منها بعض بيوت وان نائب غزة هرب وعسكر ابن عثمان زاحف على مصر وان الاحوال غير صالحة فلما تحقق السلطان هذه الاخبار أشيع أنه يخرج إلى لقاء ابن عثمان بنفسه ونادى فى ذلك اليوم بأن الزعر والصبيان الشطار والمغاربة وكل من كان مختف على قتل قتيل أو عليه دم يظهر وعليه أمان الله والعرض لهم فى الميدان وان السلطان يصرف لهم الجوامك والمركوب ويكونون صحبة الزردخانات اذا سافر السلطان فلم تعجب الناس هذه المناداة لقوله ولو كانوا قتلوا القتلى يظهروا وعليهم أمان الله وكان السكوت عن هذا أجمل فاضطربت الاحوال فى ذلك اليوم وارتجت القاهرة وخرج العسكر المعين للسفر على وجوههم مسرعين وفى ذلك اليوم خرج الامير خدا بردى الاشرفى أحد المقدمين الذى كان نائب الاسكندرية فخرج فى موكب حفل بغير طلب وقدامه الجنائب الحربية وصحبته الجم الكثير من العسكر من مماليكه وقيل كان عنده ثلثمائة مملوك فارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة والنصرة للعسكر على ابن عثمان وقد صارت الناس فى وجل بسبب ابن عثمان وفى يوم السبت ثانى عشره جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الامراء فاستحثهم السلطان على أن يخرجوا كلهم فى ذلك اليوم فقال الامير طقطباى حاجب الحجاب أنا عزمت على السفر الى البحيرة وكان السلطان قد جعله متحدثا فى كشوفية البحيرة فقالت الامراء الخروج الى قتال ابن عثمان أوجب من الخروج الى البحيرة وأنت ما خرجت صحبة السلطان الغورى لما سافر ولا نهب لك برك ولا قماش فتعلل أنه ضعيف فحصل بينه وبين الامراء فى ذلك اليوم تشاجر عظيم بحضرة السلطان وقصد المماليك الجلبان أن ينزلوا فينهبوا بيته ويحرقوه وقيل ان بعض المماليك لكمه وقاسى من البهدلة ما لا خير فيه فتقرر الحال على انه يخرج الى التجريدة صحبة الامراء ومنع السلطان المماليك من نهب بيته وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض قاطبة وفى ذلك اليوم خرج الامير نائب حماة الذى قرر عوضا عن جان بردى الغزالى فخرج بطلب حربى وفى ذلك اليوم خرج الامير ازدمك الناشف أحد المقدمين وطلب طلبا حربيا وكان قدامه جنائب وطبلات وعلى رأسه صنجق وصارت الامراء تخرج شيأ بعد شئ الى قتال ابن عثمان وفى يوم الاحد ثالث عشره جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر الذين كانوا مسافرين الى التجريدة فكتبهم الى السفر ثانيا ولم يترك منهم الا القليل فعرض فى ذلك اليوم أربع طباق وكتب غالب من فيها من المماليك وفى ذلك اليوم عرض السلطان عجلة من خشب تجرها

أبقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانوا نحو ثلاثين عجلة أو فوق ذلك وعرض جمالا وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب فقوى قلب العسكر فى ذلك اليوم على القتال وأظهر السلطان أنه يخرج بنفسه الى قتال ابن عثمان واستحث بقية الامراء على الخروج بسرعة ولم ينفق على الامراء شيأ وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم وأزواجكم فان بيت المال لم يبق فيه لا درهم ولا دينار وأنا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندى نفقة أنفقها عليكم وفى يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالحوش وعرض من العسكر أربع طباق وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان تغير خاطره على الزينى بركات بن موسى وأعاده الى الترسيم بعد ما كان ترشح أمره الى اعادته فى وظائفه وكان سبب ذلك أن السلطان لما حصل لابن موسى ما حصل قرر عليه مالا فلم يورد منه الا القليل وادّعى العجز فلما جاء على السلطان أمر نفقة العسكر وخروجهم بسرعة ضيق على أصحاب المصادرات منهم ابن موسى ومحمد المهتار وجمال الدين بواب الدهيشة وآخرون ممن بقيت عليهم بواقى الاموال المنكسرة ليستعين بذلك على نفقة العسكر ومن حين قرر يوسف البدرى فى وظائف ابن موسى آل أمره الى العكس والزوال وفيه خرج الامير قانصوه الفاجر أحد المقدمين وتوجه الى السفر وفى يوم الاثنين المتقدم ذكره خرج الامير طقطباى حاجب الحجاب وتوجه الى السفر فطلب طلبا وقدامه طبلان وزمران وبعض جنائب كما خرج ارزمك الناشف وفى يوم الثلاثاء خامس عشره جلس السلطان بالميدان وعرض بقية العسكر ثم نادى فى ذلك اليوم بان الامراء وبقية العسكر يخرجون فى هذا اليوم ومن تأخر لا يسأل عما يجرى عليه وقد خرج هذا العسكر فى قلب الشتاء فى وسط الاربعانية وقاسى غاية المشقة وفى هذا اليوم خرج الامير تانى بك العجمى أحد الامراء المقدمين بطلب حربى وفى يوم الخميس سابع عشره خرج الامير الماس والى القاهرة وبرز الى السفر فى ذلك اليوم وفيه قبض على شخص أعجمى كان يصنع السنبوسك عند قناطر السباع فوجدوه قد عمد الى كلب أسود سمين فذبحه وسلخه وعمل منه السنبوسك فلما قبضوا عليه أحضروه بين يدى الامير ماماى المحتسب فضرب العجمى بالمقارع وأشهره فى القاهرة والكلب معلق فى رقبته فطافوا به فى المدينة ثم سجنوه فى المقشرة ولم تزل الاعجام تقع منهم هذه الفعلة الشنيعة من قبل وفى يوم الاثنين حادى عشريه وقع فيه من الحوادث ان بعض المماليك السلطانية خرجوا يسيرون نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم من أنتم قالوا نحن قصاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو خمسة عشر انسانا وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليه ثياب مخملة ورأوا وصحبتهم شخصا من مصر يقال له عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكى سودون العجمى فلما قتل

وملك ابن عثمان حلب والشام تحشر فيه بواسطة يونس العادلى والسمرقندى فلما أرسل ابن
عثمان هذا القاصد ما جسروا يجيئون من جهة غزة فان نائب الشام جان بردى الغزالى كان
بالقرب من غزة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال له
صورة حتى أتوا بهم من طريق الدرب السلطانى وطلعوا بهم من التيه وأتوا بهم الى عجرود
فما شعر بهم أهل مصر الا وهم فى وسط المدينة فلما صادفهم هؤلاء المماليك قبضوا على
القاصد الكبير وعلى جماعته وعلى محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على
الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة أنفار من الاروام الذين فى خان الخليلى قد أتوا اليهم
وسلموا عليهم وباسوا أيديهم فقبض عليهم هؤلاء المماليك وقالوا لهم من أين علمتم أن هذا
القاصد يجىء اليوم حتى أتيتم اليه ما أنتم الا جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعد
ما أشبعوهم ضربا وأتوا بالكل الى بيت الامير علان الدوادار الكبير فلما دخل القاصد
بيت الامير علان قالوا له انزل عن فرسك وسلم على الامير الدوادار فلم يوافق على ذلك وأغلظ
عليهم فى القول ثم سل سيفه وهاش على من حوله من جماعة الدوادار فلما رأى الدوادار
الكبير ذلك رسم للمماليك أن ينزلوه عن فرسه غصبا فأنزلوه وأخذوا سيفه منه ثم بهدلوه ومن
معه من العثمانية وضربوهم ومسكوهم وعروهم من ثيابهم ووضعوهم فى الحديد بعد
ما قاسوا غاية البهدلة من جماعة الدوادار فلما بلغ السلطان ذلك رسم للامير مغلباى دوادار
سكين الذى كان أرسله السلطان الغورى الى ابن عثمان وحصل منه فى حقه غاية البهدلة
فقال له السلطان انزل وبهدل قاصد ابن عثمان كما بهدلوك فأخذ خشداشينه وتوجه بهم الى
بيت الامير علان على أنهم يوقعون فى جماعة ابن عثمان فعلا من أنواع البهدلة أو يقتلونهم
فما مكنهم الامير علان من ذلك ثم قبضوا على عبد البر بن محاسن الذى حضر صحبتهم فلما
مثل بين يدى السلطان شرع يطنب فى أوصاف ابن عثمان وفى تزايد عظمته فمن جملة ما حكى
عنه أنه لما دخل الى حلب قطع فى يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة أهل مصر من جملتهم
خليفة سيدى أحمد البدوى وآخرون من الاعيان ممن تخلفوا بحلب وأخبر أن عسكر ابن
عثمان فوق الستين ألف انسان وأنه خطب باسمه من بغداد الى الشام وان معاملته ماشية
من بغداد الى الشام وأنه لما دخل الى الشام وملكها شرع فى عمارة سور وأبراج من
القابون الى آخر مدينة دمشق وجعل فى ذلك السور أبوابا تغلق على المدينة وهو فى همة زائدة
ويقول ما أرجع حتى أملك مصر وأقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة وأخبر أن
ابن عثمان يحتجب عن عسكره أياما لا يظهر فيها ففى هذه المدة يقتل عسكره خلقا فى المدينة
ويتجاهرون بالمعاصى والفسوق وأنهم لا يصومون شهر رمضان ويشربون فيه الخمر
والبوزة ويستعملون فيه الحشيش والشحيب ويفعلون الفاحشة فى الصبيان المرد فى شهر

رمضان وان ابن عثمان لا يصلى صلاة الجمعة الا قليلا وقد أشيعت عن ابن عثمان هذه الاخبار
الشنيعة من غير ابن محاسن ممن شاهد هذا من أفعال عسكره بحلب والشام فلما أطنب ابن
محاسن فى أخبار ابن عثمان حنق منه السلطان وقال له أنت جاسوس من عند ابن عثمان
أتيت لتكشف أخبارنا وتطالعه بذلك فرسم بسجنه فى البرج الذى بالقلعة فسجن به أياما
حتى طلع الاتابكى سودون الدوادارى وشفع فيه حتى أطلقه من البرج وقد قطع قلب
العسكر بما حكاه عن ابن عثمان ثم ان السلطان رسم بشنق اثنين من العربان الذين أتوا
بالقاصد من هذه الطريق التى كانت مخفية عليهم وأشيع أنه حضر صحبة القاصد من
جماعة ابن عثمان نحو أربعين نفرا فاختفوا فى القاهرة فلما بلغ السلطان ذلك نادى فى خان
الخليلى بأن لا أحد يأوى عنده غريبا من جماعة ابن عثمان ومن غمز عليه بأن عنده أحد
من العثمانية شنق من غير معاودة ثم ان السلطان أرسل أخذ المطالعات التى حضرت على يد
القاصد ولم يقابله فوجدوا معه عدة مطالعات للامراء والمباشرين وأعيان الديار المصرية
فالذى أشيع من مطالعة السلطان أن غالب ألفاظها تركية وكان من مضمونها من
مقامه السعيد الى الامير طومان باى أما بعد فان الله قد أوحى الى بأنى أملك البلاد شرقا
وغربا كما ملكها الاسكندر ذو القرنين ومن جملة المطالعة وعد ووعيد وتهديد وتشديد فمن
جملة ذلك أنك مملوك تباع وتشترى ولا تصلح لك ولاية وأنا ملك بن ملك الى عشرين جدا وقد
توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة وذكر فى مطالعته أشياء كثيرة من هذا النمط ثم ذكر فى
أثناء المطالعة وان أردت أن تنجو من سطوتنا فاضرب السكة فى مصر باسمنا وكذلك
الخطبة وتكون نائبنا بمصر ولك من غزة الى مصر ولنا من الشام الى الفرات وان لم تدخل
تحت طاعتنا أدخل الى مصر وأقتل جميع من بها من الجراكسة حتى أشق بطون الحوامل
وأقتل الاجنة التى فى بطونهن من الجراكسة وأظهر التعاظم وقوة الباس ولعل الله تعالى
أن يخذله بسبب هذا التعاظم الزائد وفى آخر مطالعته وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
فلما قرئت هذه المطالعة على السلطان بكى وحصل له غاية الرعب وكانت المماليك الجلبان
اتفقوا على أنه اذا طلع القاصد الى القلعة يقطعونه بالسيوف فلم يطلع الى القلعة بسبب
ذلك وفيه أشيع بين الناس مافى مطالعة ابن عثمان من هذه الدعاوى العريضة كما تقدم
ذكره ثم اضطربت أحوال الديار المصرية وأخذ كل أحد حذره من ابن عثمان وقالوا
مثل ما طرقنا قصاده على حين غفلة كذلك هو يطرقنا أيضا على حين غفلة فشرع الناس
فى تحصين أماكن فى أطراف المدينة وجوانبها ليختفوا فيها اذا دخل ابن عثمان الى مصر
وبعض الناس عول على أن ينزل هو وأولاده وعياله ويتوجه الى أعلى الصعيد اذا تحقق
مجىء ابن عثمان وأشيع أن خاير بك نائب حلب الذى عصى ودخل تحت طاعة ابن عثمان

أرسل مطالعات الى بعض الامراء المقدمين وهو يرغبهم فى الدخول تحت طاعة ابن عثمان وشرع يطنب فى محاسنه وعدله بين الرعية وانه اذا دخل مصر يبقى كل أحد من الامراء على وظيفته وعلى رزقه وكل هذا حيل وخداع حتى يتمكن من الدخول الى مصر ثم ان السلطان نادى للعسكر أن أول النفقة يوم الاربعاء ثالث عشرى الشهر فجلس السلطان بالحوش على الدكة وطلع العسكر لقبض النفقة فلما طلعوا وأنفق عليهم لكل مملوك ثلاثون دينارا وجامكية ثلاثة أشهر بعشرين دينارا فرموا تلك النفقة فى وجهه وقالوا ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار كل مملوك فاننا لم يبق عندنا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح فنزلوا كلهم من القلعة على حمية وهم على غير رضا فخنق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع المقعد وقال ما أقدر على مائة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا عليكم من تختارونه فى السلطنة وأنا أتوجه الى مكة أو غيرها من البلاد فوقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب وأشيع أن بعض المماليك قال للسلطان ان كنت تعمل سلطانا فامش على طريقة من تقدمك من الملوك وان رحت لعنة الله عليك غيرك يجي يعمل سلطانا فسمع ذلك باذنه منهم وأشيع أن السلطان قال للعسكر أنتم أخذتم من السلطان الغورى ثلاثين دينارا ولم تقاتلوا شيأ وكسرتم السلطان وخنتموه حتى قتل فنزل العسكر على غير رضا وأشيع اثارة فتنة بين العسكر ثم انه فى ذلك اليوم نادى السلطان بأن جميع الامراء من الاكابر والاصاغر يطلعون غدا باكر النهار فان العرض عام وانفض المجلس على ذلك فلما كان يوم الخميس رابع عشريه جلس السلطان على الدكة بالحوش وطلع الامراء قاطبة والعسكر وطلع سيدى محمد ابن السلطان الغورى فقال السلطان هذا ابن أستاذكم قد حضر اسألوه ان كان أبوه ترك فى الخزائن شيأ من المال يخبركم بذلك وان كنتم تسلطنونه فانا أول من يبوس له الارض فقالت المماليك الجلبان نحن نسافر بلا نفقة حتى نأخذ بثار أستاذنا وقالت المماليك القرانصة نحن ما نسافر حتى نأخذ مائة وثلاثين دينارا كما أعطى من سافر قبلنا فانفض المجلس مانعا أيضا وكثر القال والقيل فى ذلك اليوم وأشيع أن بعض الامراء قال للسلطان اعمل كما عمل الاشرف قايتباى والسلطان الغورى وخذ من الاملاك والاوقاف والرزق والاقطاعات لتستعين بذلك على النفقة بسبب دفع العدو عن مصر فلم يوافق السلطان على ذلك وقال ما أحدث فى أيامى مظلمة أبدا فشكره الناس على ذلك ودعوا له ولو فعل ذلك جاز وقالوا يعذر لاجل دفع العدو وما ثم فى الخزائن مال ولكن وفقه الله تعالى الى فعل الخير وسطر أجر ذلك فى صحيفته الى يوم القيامة فكان كما قيل فى المعنى

للخير أهل لا تزال * لوجوهه تدعو اليه

طوبى

طوبى لمن جرت الامو * ر بالصالحات على يديه

وفى هذا اليوم أشيع أن السلطان أرسل يقول لأولاد الملك المؤيد وأولاد الملك المنصور وأولاد الامراء الذين بمصر اعملوا برقكم واخرجوا السفر والذى لايسافر منكم يقيم له بديلا عوضا عنه للسفر وقيل وزع على جماعة من المباشرين والخدام من الطواشية مالاله صورة مساعدة للسلطان على النفقة وشرع السلطان فى بيع قماش وسلاح وتحف وذخائر وصوف وسمور وبعلبكى وغير ذلك من الاصناف وأخذ من ابن السلطان الغورى مالاله صورة مساعدة على النفقة وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان أرسل بعض الخاصكية الى الاتابكى قيت الرجبى لينقله من ثغر الاسكندرية الى ثغر دمياط وأرسل مراسيم شريفة الى الظاهر قانصوه الذى بثغر الاسكندرية ان يسكن فى قاعة الملك المؤيد بالاسكندرية وأن يركب ويصلى صلاة الجمعة مع الناس فى الجامع وأن يسير نحو البساتين التى بالاسكندرية وفى يوم الجمعة خامس عشريه خرج الامير خاير بك المعمار أحد الامراء المقدمين والامير أزبك المكحل نفسر جا فى ذلك اليوم الى التجريدة وطلبا أطلابا حربية وفى يوم السبت سادس عشريه طلع العسكر بسبب العرض ولم يطلع فى ذلك اليوم أحد من الامراء المقدمين واحتجب السلطان فى الدهيشة ولم يخرج الى العسكر فنزلوا الى بيوتهم من غير طائل وفى هذا اليوم نادى السلطان بان لا أحد من الناس يتجاهر بالمعاصى ولا يهودى ولا نصرانى يبيع خمرا ومن شهر عليه بيع الخمر شنق من غير معاودة وكذلك البوزه والحشيش فلم يسمع له أحد ذلك ولم ينتهوا عما هم فيه وفى ذى الحجة كان مستهل الشهر يوم الخميس طلع القضاة الذين تولوا جديدا فى الشهر الماضى وهنوا السلطان بالشهر ونزلوا الى بيوتهم وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بان أول النفقة يوم السبت ثالث الشهر وقد اتفق مع العسكر على أنه ينفق لكل مملوك خمسين دينارا ويصرف ثمن اللحم المنكسر خمسة أشهر والعليق المنكسر فتراضوا وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على جماعة من الخاصكية نحو عشرة أنفس منهم شخص يقال له خاير بك الجمقدار وهو من خيار مماليك الاشرف قايتباى وفيه أشيع ان السلطان خرج عن ألف دينار فرقها على الفقراء الذين فى الزوايا وفى المزارات التى بالقرافة وغيرها من المزارات وفرق عليهم أيضا قمحا لكل زاوية خمسة أرادب وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وهلاك العدو وقرأ عدة ختمات فى المزارات منها عند الامام الشافعى والامام الليث وغير ذلك من المزارات وفيه استحث السلطان أولاد السلاطين وأولاد الامراء والمباشرين والخدام فيما قرره عليهم من المال بسبب النفقة وأشيع أنه أخذ من ابن السلطان الغورى مالاله صورة وقيل ان السلطان الغورى كان قد خصص ولده قبل أن يسافر الى البلاد الشامية بمائة ألف دينار هكذا أشيع وفى يوم السبت ثالثه طلع العسكر الى القلعة ليقبضوا النفقة كما نادى فورد على السلطان فى

ذلك اليوم أخبار ردية بان العسكر الذين توجهوا الى غزة قد انكسروا فى يوم الاحد رابع عشرى ذى القعدة ومن العجائب أن الواقعة الاولى التى انكسر فيها السلطان الغورى كانت يوم الاحد خامس عشرى رجب فكان التفاوت بينها وبين هذه الواقعة يوم واحد وهذا من العجائب وهذه الكسرة الثانية كانت يوم الاحد وكان من ملخص أخبار هذه الكسرة أن جان بردى الغزالى نائب الشام خرج الى التجريدة قبل العسكر بعدة أيام وصار الامراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين بتكاسل زائد فلما أبطؤا على الغزالى جمع بعض عربان وتقدم الى غزة هو والامير ازدمك الناشف أحد المقدمين الذى ولى نيابة حماه ودولات باى نائب غزة وأصله من مماليك السلطان الغورى وجماعة من المماليك السلطانية فقاطعوا على عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطانى فتلاقوا مع عسكر ابن عثمان على الشريعة بالقرب من بيسان وكان باش العسكر العثمانية سنان باشا ومعه اخرون من أمرائه ومن العساكر العثمانية الجم الكثير وكان جان بردى الغزالى ومن معه من الامراء فى فئة قليلة من العسكر فوقع بين الفريقين هنالك واقعة مهولة تشيب منها النواصى وكان ذلك بالقرب من بيسان فانكسر الامير جان بردى الغزالى ومن معه من العساكر والامراء وقتل الامير خدا بردى أحد الامراء المقدمين وقتل الامير على باى السيفى وازدمر الدوادار أحد الامراء الطبلخانات وأشيع موت جماعة من الامراء ولكن لم أقف على صحة من قتل من الاعيان فى هذه المعركة وأشيع أن الامير جان بردى الغزالى قد جرح والامير ازدمك الناشف أيضا وقتل من المماليك السلطانية جماعة ومن الغلمان مالا يحصى عددهم وقد حزت رؤسهم بالسيوف وقيل ان هذا الخبر ورد من عند الامير طقطباى حاجب الحجاب وكان من حين خرج الى السفر وهو مقيم بالصالحية فورد عليه بعض المماليك السلطانية وأخبره بذلك فطالع السلطان بما قد جرى من أمر هذه المعركة المهولة وأشيع أن عسكر ابن عثمان قد احتوى على برك الغزالى وازدمك الناشف لما وقعت الكسرة فلم يتركوا لهم بركا ولا خيولا ولا جمالا ولا سلاحا وقد تقوى العثمانية ثانيا بهذه الكسرة الثانية ولم ينج من عسكر مصر فى هذه المعركة الا من طال عمره وقيل ان مماليك الغورى هم الذين أحسوا بالعسكر وبادروا بالهروب حتى وقعت هذه الكسرة الثانية ولما تزايدت الاقوال فى ذلك عين الامير سنبل مقدم المماليك بان يتوجه الى الصالحية ليكشف الاخبار فخرج من يومه وسافر وفى يوم الاحد رابعه وقعت حادثة مهولة وهى أن السلطان نزل الى الميدان واجتمع الامراء والعسكر فلم يشعروا الا وقد قامت ضجة كبيرة فى الرميلة وأشاعوا أن عسكر ابن عثمان قد وصل الى الريدانية فقال السلطان للعسكر كم نقول لكم اخرجوا للتجريدة ما ترضون تسافرون فاخرجوا ولاقوا ابن عثمان فلبس العسكر آلة الحرب وركبوا قاطبة ورجت القاهرة رجا مهولا ووزع الناس قماشهم فى الاماكن الخفية

فلما اضطربت الاحوال ركب العسكر وتوجهوا الى الريدانية فلم يروا هنالك أحدا من العثمانية فرجع العسكر الى بيوتهم بعد ما ارتجت القاهرة وعول الناس على أن يختفوا فى فساقى الموتى ثم أسفرت هذه الواقعة عن جماعة من العربان نزلوا من الجبل وأتوا الى الريدانية فأشاع الذى رآهم من بعد أنهم من العثمانية فانتشرت هذه الاخبار فى القاهرة من غير سبب وفى هذا اليوم أفرج السلطان عن الامير قانصوه الاشرفى الذى كان نائب حلب وسلم القلعة الى ابن عثمان من غير قتال ولا محاصرة فتغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك وسجنه فى البرج بالقلعة فأقام به مدة ثم أفرج عنه فى ذلك اليوم وفى يوم الاثنين خامسه دخل الامراء والعسكر الذين توجهوا الى غزة وانكسروا من عسكر ابن عثمان فدخل جان بردى الغزالى وأرزمك الناشف وبعض أمراء عشراوات ودخل العسكر وهم فى أنحس حال مما جرى عليهم من النهب والقتل أنحس من المرة الاولى فدخل بعض المماليك السلطانية وهم راكبون على حمير وبعضهم على جمال وقد نهب قماشهم وخيولهم وسلاحهم ولم يسلم من القتل الا من كان فى أجله مدة وذكروا عن ابن عثمان ان مع عسكره رماحا بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الارض وذكر جان بردى انهم رموه على الارض ولولا غلمانه قاتلوا عنه العثمانية لكانوا حزوا رأسه مثل الامير خداbردى الذى قتل وحكوا عن عسكر ابن عثمان أنهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وأن معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجاموس فى أول العسكر وحكوا عنهم أشياء كثيرة من هذا النمط وحضر الامير دولات باى نائب غزة الذى كان بها وحضر أيضا الامير بخشباى الذى كان مشد الشون أخو الامير كرتباى الذى كان والى القاهرة وكان أشيع موته فى الواقعة التى وقعت فى مرج دابق فظهر أنه فى قيد الحياة وكان مختفيا عند العرب فحضر فى ذلك اليوم وحضر أيضا شخص من الامراء العشراوات يقال له قرقماس الرحبى وكان أشيع موته فى الواقعة التى كانت فى مرج دابق فظهر أنه فى قيد الحياة وحضر أيضا جماعة كثيرة كان أشيع موتهم فظهر أنهم فى قيد الحياة فلما طلع الامير جان بردى الغزالى والامير أرزمك الناشف الى القلعة ألبسهما السلطان سلاريات بسمور ونزلا الى منزلهما وقد فرح كل واحد من الناس بسلامتهما لانهما فرسان الاسلام فدقت لهما البشائر على أبواب دورهما فلما حضر الغزالى ومن معه من الامراء والعسكر ظهر أمر من قتل من الامراء العشراوات والعسكر والغلمان فصار فى كل حارة نعى مثل أيام الفصول وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بأن أول النفقة يوم الثلاثاء سادسه فلما طلع النهار بادر العسكر بالطلوع الى القلعة فابتدأ السلطان بتفرقة النفقة على العسكر فأعطى لكل مملوك خمسة وعشرين دينارا وأعطاهم ثمن الاضحية على العادة وكان أولا سألهم بأن يعطيهم ثلاثين دينارا كل مملوك فأبوا ذلك فلما رأوا عين الجد وأن ابن عثمان زاحف

على البلاد وقد وصل الى قطيا رضوا بخمسة وعشرين دينارا نفقه ونزلوا من القلعة وأخذوا فى أسباب آلة السفر وفيه ورد على السلطان أخبار ردية بان سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان الذى ملك مدينة غزة قد لعب فى أهل غزة بالسيف وقتل منهم نحو ألف انسان مابين نساء ورجال وصغار وكان سبب ذلك أن الغزالى لما تلاقى مع سنان باشا على الشريعة أشيع فى غزة أن الغزالى قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشا وعسكر ابن عثمان فبادر على باى دوادار نائب غزة وأجناده فنهبوا وطاق العثمانية وأحرقوا خيامهم وقتلوا من كان فى الوطاق والمدينة من العثمانية نحو أربعمائة انسان مابين شيوخ وصبيان ومن كان بها مريضا وأحرقوا الخيام التى كانت فى وطاقهم فلما ظهر ان الكسرة على عسكر مصر وقتل من قتل من الامراء رجع سنان باشا الى غزة فوجد من كان بها قد قتل ونهب الوطاق فجمع أهل غزة قاطبة وقال لهم من فعل ذلك بنا قالوا على باى دوادار نائب غزة وأجناد غزة ولم نفعل نحن شيأ من ذلك فأمر سنان باشا بكبس بيوت غزة فوجدوا بها قماش العثمانية وخيولهم وخيامهم فقال لهم سنان باشا نحن لما دخلنا غزة هل شوشنا على أحد منكم أو نهبنا لكم شيأ قالوا لا فقال لهم كيف فعلتم بعسكرنا ذلك فلم يأتوا بجواب ولا عذر ولا حجة فعند ذلك أمر عسكره أن يلعبوا فيهم بالسيف فقتلوا منهم مالا يحصى عدده وراح الصالح بالطالح وكان ذلك فى الكتاب مسطورا وقد قيل فى المعنى

ان ترمك الاقدار فى أزمة * أوجبها أجرامك السالفه

فادع الى ربك فى كشفها * ليس لها من دونه كاشفه

وفى يوم الاربعاء سابعه حضر الى الابواب الشريفة جماعة من طوائف العربان من غزالة ومحارب ومن عربان هوارة وكان السلطان ألزم مشايخ العربان أن يأتوا وصحبتهم جماعة من فرسان العربان ممن هو أشجعهم حتى يتوجهوا صحبة التجريده مع العسكر فلما حضروا نزلوا بالجيزة واجتمع بها الجم الكثير من العربان ثم دخلوا الى الرميلة ونزلوا بها حتى يعرضهم السلطان بالميدان وقد انحط أمر الترك عند العرب والفلاحين بسبب هذه الكسرات التى وقعت للعسكر وتملك ابن عثمان البلاد الشامية وثبت عند الناس أن دولة الجراكسة قد آلت الى الانقراض وأن ابن عثمان هو الذى يملك البلاد وصار جماعة من الفلاحين اذا أتاهم قاصد من باب أستاذهم يقولون ما نقدر نعطى خراجا حتى يتبين لنا أن البلاد لكم أو لابن عثمان فنبقى نورد الخراج مرتين وقد اضطربت الاحوال برا وبحرا والامر الى الله تعالى وفى ذلك اليوم أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتغريق القاصد الذى حضر من عند ابن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فأشيع أنهم أغرقوه ومن معه من العثمانية تحت الليل هكذا أشيع وفيه ابتدأ السلطان بتفرقة الاضحية على العسكر ولم يعط

المماليك

المماليك الذين كانوا صحبة الغزالى وانكسروا فقال لهم السلطان أنتم هربتم ولم تقاتلوا شيأ وخنتم الامراء حتى انكسروا وفيه أشيع بين الناس أن أوائل عسكر ابن عثمان قد وصل الى قطيا وقد تملكوا القلعة التى بالطينة وهرب من كان بها من أولاد الناس القاطنين بها وقيل لم يثبت أمر هذه الاشاعة وفى يوم السبت عاشره كان عيد النحر فخرج السلطان وصلى صلاة العيد وطلع الامراء بالشاش والقماش على جارى العادة وكان موكب العيد حافلا لكن كان الناس فى غاية الوجل والخوف من ابن عثمان وقد بلغ الناس أن أوائل عسكره وصل الى قطيا ولاسيما ما بلغ الناس مما فعله عسكر ابن عثمان بأهل غزة من القتل والنهب وسبى النساء وقتل الاطفال كما أشيع ذلك وفى يوم الاثنين ثانى عشره أخرج السلطان الزردخاناه الشريفة التى يخرج بها صحبة العسكر فجلس بالميدان وانسحبت قدامه العجلات الخشب التى كان صنعها بسبب التجريدة فكانت عدتها مائة عجلة وتسمى عند العثمانية عربة وكل عربة منها يسحبها زوج أبقار وفيها مكحلة نحاس ترمى بالبندق الرصاص فنزل السلطان من المقعد وركب وفى يده عصا وصار يرتب العجلات فى مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل ما تنا جمل محملة طوارق نحو ألف وخمسمائة طارقة ومحملة أيضا بارودا ورصاصا وحديدا ورماح خشب وغير ذلك وقدام العجلات أربع طبول وأربع زمور وقدامها من الرماة نحو مائتى انسان ما بين تركمان ومغاربة وبأيديهم صناجق بعلبكى أبيض وكندكى أحمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجماعة من النفطية ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات وركب قدامها الامير مغلباى الزردكاش الكبير ويوسف الزردكاش الثانى وجماعة من الزردكاشية وعبد الباسط ناظر الزردخاناه والشهابى أحمد بن الطولونى وقدامهم الجم الكثير من النجارين والحدادين الذى تعينوا للسفر مع التجريدة فخرجوا من باب الميدان الى الرميلة ونزلوا من جهة القبور وشقوا من البسطيين ودخلوا من باب زويلة وشقوا من القاهرة فرجت لهم القاهرة فى ذلك اليوم واصطفت الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وكان يوما مشهودا وارتفعت الاصوات له بالدعاء بالنصر على ابن عثمان الباغى وتباكى الناس لما عاينوا تلك العجلات والمكاحل والهمة العالية التى من السلطان فيما صنعه واستمروا شاقين من القاهرة حتى خرجوا من باب النصر وتوجهوا الى الريدانية عند تربة العادل التى هنالك وأشيع أن امرأة قتلت فى ذلك اليوم من شدة الازدحام فلما وصلت العجلات الى تربة العادل صفوهم هنالك الى أن تخرج الامراء فكان ذلك اليوم من الايام المشهودة فى الفرجة وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره أشيع أن بعض الناس شفع فى المماليك الذين حضروا من غزة ولم يصرف لهم السلطان الاضحية فصرفها لهم فى ذلك اليوم بعدما وبخهم بالكلام وقال لهم كيف

هربتم حتى كسرتم الامراء ولم تقاتلوا وبقى وجهكم أسود بين الناس وفى يوم الاربعاء
رابع عشره حضر الى الابواب الشريفة الناصرى محمد بن شمس الدين القوصونى رئيس
الطب وكان فى حلب أسيرا عند ابن عثمان فهرب من هناك مع العربان وغرم لهم مالاله
صورة حتى أتوا به الى مصر فطلع وقابل السلطان فى ذلك اليوم وقد غير هيئته وحلق ذقنه
وتزيا بزى العرب حتى تخلص من جماعة ابن عثمان وأخبر السلطان أنه قد بلغه عن ابن
عثمان أن عسكره مختلف عليه وانه مات له من الجمال والخيول مالا يحصى عدده من الثلج
الذى وقع بالشام وان الغلاء هناك وأن عسكره قد قلق من البرد والثلج وموت الخيول
وأشيع فى ذلك اليوم أن عسكر ابن عثمان كان فى غزة ورحل عنها وقد صارت العربان
تقتل منهم جماعة كثيرة ممن يجدونه فى الضياع فيقتلونهم ويهربون فى الجبال وفى يوم الخميس
خامس عشره طلع العسكر لقبض الجامكية فقال لهم الطواشية يا أغوات ما فى هذا اليوم
جامكية البلاد خراب والعرب مشتتة فى الطرقات والمدركون ومشايخ العربان ما أرسلوا
من التقاسيط التى عليهم شيأ فان حصل شئ على يوم الاثنين ينفق لكم فنزل العسكر من
القلعة وهم فى غاية النكد فان لهم ستة أشهر لم يصرف لهم السلطان من اللحم المنكسر
شيأ وقد تعطلت الجوامك أيضا وفى ذلك اليوم خلع السلطان على قانصوه رجله أحد
الامراء المقدمين الذى كان نائب قطيا وقرره كاشف الشرقية عوضا عن قماس الذى كان
بها فانه كان عاجزا عن اصلاح أحوال الشرقية وخلع على الماس كاشف الغربية بان يستمر
على عادته فى كشف الغربية وخلع على الامير ابرك الوزير والاستادار باستمراره على عادته
وكان أشيع عزله وقد صارت أحوال الديار المصرية فى هذا الايام فى غاية الاضطراب من
وجوه شتى وفى يوم الجمعة صلى السلطان صلاة الجمعة ثم خلع على الاتابكى سودون
الدوادارى وقرره باش العسكر على التجريدة وفيه حضر الامير طقطباى حاجب الحجاب
وكان قد توجه صحبة التجريدة المعينة الى غزة فاظهر أنه مريض وأقام بالصالحية فلما
انكسر جان بردى الغزالى ورجع الى مصر أقامت بقية الامراء فى الصالحية الى أن تخرج
التجريدة التى تعينت ثانيا فلما حضر الامير طقطباى دون الامراء الذين هناك عز ذلك على
الامراء والعسكر ونسبوه الى العجز وصار ممقوتا عند العسكر قاطبة وفيه أشيع أن
السلطان رسم لطوائف العربان الذين حضروا بان يرجعوا الى بلادهم وقد أشار بعض
الامراء على السلطان ان العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم مع التجريدة فرسم لهم بالعود
الى بلادهم وفى يوم الاحد ثامن عشره ورد على السلطان أخبار ردية بان ابن عثمان خرج
من الشام بنفسه هو وعساكره وهو قاصد مصر وقد أشيع انه قسم عسكره فرقتين
فرقة تجى عن الدرب السلطانى وفرقة تجى عن التيه وفى أثناء هذا الشهر خلع السلطان

على

على الامير اينال خازندار الامير طراباى أحد الامراء العشراوات وقرره فى نيابة دمياط عوضا عمن كان بها فلما بلغ السلطان هذا الخبر المتقدم أرسل أحضر الامراء وضربوا مشورة فى ذلك وأشيع أن السلطان يخرج الى الريدانية ويقيم بها ويقسم العسكر فرقتين فرقة تتوجه الى ناحية عجرود والفرقة الثانية تتوجه الى المكان الذى جاء منه القاصد الذى تقدم ذكره وكانت الامراء عولوا على خروج التجريدة من أول السنة الجديدة فلما وردت عليهم هذه الاخبار اضطربت أحوالهم ورسم لهم السلطان أن يبرزوا خيامهم فى الريدانية بسرعة ويكونوا على يقظة فان ابن عثمان قد وصل الى غزة وقيل انه توجه يزور بيت المقدس ثم يمشى بعساكره الى مصر وقد كثر القال والقيل فى ذلك واضطربت أحوال الناس قاطبة الى أين يذهبون حتى تنقضى هذه الفتنة وفى ذلك اليوم رسم السلطان لنقيب الجيش بأن يدور على الامراء المقدمين ويقول لهم برزوا خيامكم بالريدانية فى هذا اليوم فخرجت خيام جماعة من الامراء فى ذلك اليوم الى الريدانية وفى هذا اليوم نادى السلطان بان جميع المغاربة الذين فى مصر والقاهرة يحضرون غدا للعرض وفى يوم الاثنين تاسع عشره جلس السلطان على الدكة فى الحوش وطلع الجم الكثير من المغاربة فلما طلعوا الى القلعة لم يجتمع عليهم السلطان وأرسل اليهم الامير شادبك الاعور فقال لهم السلطان يقول لكم عينوا منكم ألف انسان من شجعانكم حتى يخرجوا مع التجريدة فارسلوا يقولون للسلطان نحن ما لنا عادة نخرج مع العسكر ونحن ما نقاتل الا الافرنج وما نقاتل مسلمين وأظهروا التعصب لابن عثمان فلما عاد الجواب على السلطان بما قاله المغاربة عزعلى السلطان ذلك وأرسل يقول لهم ان لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان والا فالمماليك الجلبان يقتلون كل مغربى فى مصر حتى لا يخلوا فيها مغربيا يلوح فنزلوا من القلعة على غير رضا من السلطان وفيه أشيع أن ابن عثمان أرسل كتابا الى شيخ العرب أحمد بن بقر يقول له فيه ادخل تحت طاعتنا ولك الامان ولا قينا من الصالحية وصحبتك ألف اردب شعير وأشيع أن عبد الدائم أحمد بن بقر الذى كان عاصيا توجه الى ابن عثمان لغزة والاشاعات فى اخبار ابن عثمان كثيرة وفى يوم الاثنين المقدم ذكره نادى السلطان للعسكر قاطبة من كبير وصغير بان يعرضوا غدا فى الريدانية وهم باللبس الكامل من آلة السلاح ثم ان السلطان نزل الى الميدان وصلى صلاة العصر وركب من هناك وتوجه الى الريدانية وبات بها فى الوطاق وهذا أول نزوله من حين ولى السلطنة وفى يوم الثلاثاء عشريه لبس العسكر آلة السلاح وخرجوا للعرض بالريدانية بحضرة السلطان وفى ذلك اليوم صارت الامراء المقدمون يخرجون الى الريدانية وهم الامراء الذين تعينوا للتجريدة وصاروا يخرجون شيأ بعد شئ وهم باطلاب حربية ومماليكهم لابسة آلة الحرب وهم على جرائد الخيل ثم خرج

الاتابكى سودون الدوادارى وجان بردى الغزالى نائب الشام واركماس أمير سلاح وبخشباى أمير مجلس وانسباى أمير اخور كبير وتمر رأس نوبة النوب وعلان الدوادار الكبير وطقطباى حاجب الحجاب وقيل بل عفى من السفر بسبب ضعفه ولكن الاصح سفره وخرجت بقية الامراء المقدمين الالوف قاطبة والامراء الطبلخانات والعشراوات قاطبة وعساكر مصر ولم يبق بها من الامراء والعسكر الا القليل وهذه التجريدة أكثر عسكرا من التجريدة التى خرجت مع السلطان الغورى وكان هذا السلطان له عزم شديد فى عمل هذه العجلات وسبك المكاحل وعمل البندق الرصاص وجمع من الرماة مالا يحصى وكانت له همة عالية ومقصد جميل ولعل الله تعالى أن ينصره على ابن عثمان وكان ابن عثمان باغيا على عسكر مصر وقد عاداهم وتعدى عليهم بغير سبب والباغى له مصرع وفيه أشيع أن السلطان رسم بان الافيال الكبار يخرجون صحبة العسكر اذا تقاتلوا مع ابن عثمان بعد ثلاثة أيام وفى ذلك اليوم لما خرج العسكر ركب السلطان من الوطاق وتوجه الى المصطبة التى بالريدانية التى تسمى المطعم فجلس بها واجتمع الجم الكثير وهم لابسون آلة السلاح وقد سدوا الفضاء واجتمع هنالك السواد الاعظم من العوام حتى النساء وقد أطلقوا الزغاريت هنالك وارتفعت الاصوات بالدعاء للسلطان بالنصر وكان هنالك يوم مشهود فلما انظر السلطان الى العسكر لم يعرضهم باستدعاء هنالك بل نادى بان جميع العسكر المنصور من كبير وصغير لا يتأخر منهم أحد وان العرض فى الصالحية وان السلطان لا يتوجه الى الصالحية حتى يخرج العسكر قدامه من هنالك ثم يعود الى القلعة وكان ذلك عين الصواب وفى يوم الاربعاء حادى عشريه استمر السلطان مقيما بالريدانية وخرج فى ذلك اليوم بقية العسكر وقد ترادف الخروج من غير عذر ولا حجة والسلطان يستحثهم فى سرعة الخروج ولما نزل السلطان من القلعة أخذ صحبته قاسم بك وهو الصبى الذى من أولاد ابن عثمان وقد تقدم ذكره فجعل له السلطان بركا وسنيحا على انفراده ورسم له بان يسافر صحبة العسكر ويقف وقت الحرب تحت الصنجق السلطانى وأشيع ان سليم شاه فى قلبه الواجس من هذا الصبى وقيل ان غالب عسكره مائل الى هذا الصبى ويقولون اذا انكسر سليم شاه مالنا الا ابن أستاذنا هذا نسلطنه عوضا عن سليم شاه وفى ذلك اليوم أشيع أن صاحب رودس أرسل الى السلطان ألف رام من جماعته يرمون بالبندق الرصاص وأرسل اليه عدة مراكب فيها بارود فدخلت تلك المراكب الى ثغر دمياط وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك وهذه عونة من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان الباغى على أهل مصر فلم يظهر لاشاعة هذه العونة خبر ولا نتيجة وانما هى اشاعة ليس لها صحة فيما نقل عنها ولما خرج السلطان الى الريدانية أشيع أنه يتوجه من هنالك الى الصالحية ليلاقى عسكر ابن عثمان فنعه الامراء من

التوجه

التوجه الى الصالحية وقالوا ما يقع بيننا وبينه قتال الا فى الريدانية ثم ان التجار صارت تنقل
أمتعتها وأموالها من الدكاكين التى فى الاسواق ويدخلونها فى الاماكن المنسية حتى تسلم وما
سلم منها شئ وفيه تحول غالب الناس من أطراف المدينة ودخلوا القاهرة وسكنوا بها ونقل
أعيان الناس قماشهم الى الترب والى المدارس والزوايا والمزارات والى بيوت العوام التى فى
الرباع لعله يسلم وما سلم منه شئ كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفى آخر هذه السنة توفى
الشهابى أحمد ابن الامير اسنبغا الطيارى رأس نوبة النوب كان وكان الشهابى أحمد من أعيان
أولاد الناس الرؤساء وكان حشما رئيسا لا بأس به ومات وله من العمر ما قارب التسعين سنة
وكان من المعمرين فى الارض وفى يوم الخميس ثانى عشريه وردت الاخبار بأن ابن عثمان قد
خرج من غزة وان أوائل عسكره قد وصل الى العريش وأشيع أن السلطان رسم بحفر
خندق من سبيل علان الى الجبل الاحمر والى آخر غيطان المطرية ثم ان السلطان نصب على
ذلك الخندق الطوارق والمكاحل معمرة بالمدافع وصف حولها العربات الخشب التى صنعها
بالقلعة كما تقدم ذكر ذلك ثم ان السلطان رسم للامير ماماى الصغير المحتسب بأن ينادى
فى القاهرة للسوقة وأرباب البضائع من الزياتين والخبازين والجزارين بأن يحولوا بضائعهم
الى الوطاق عند تربة العادل وينشؤا هناك سوقا ويبيعوا على العسكر الذى هناك ثم ان
السلطان رسم للوالى بأن ينادى فى القاهرة للعسكر الذين تأخروا بأن يخرجوا الى الريدانية
ولا يتأخر منهم أحد فنادت المشاعلية فى الحارات والازقة بأن المماليك السلطانية تخرج
فى ذلك اليوم الى الوطاق وكل من تأخر منهم شنق على باب منزله من غير معاودة وجعل يكرر
المناداة فى ذلك اليوم مرتين فانه قد بلغ السلطان ان جماعة من المماليك السلطانية صاروا
يتوجهون الى الوطاق فى باكر النهار حتى ينظرهم السلطان ثم يرجعون الى بيوتهم ويبيتون
بها فشق ذلك على السلطان وحجر عليهم بأن يبيتوا فى الوطاق كل ليلة وفى يوم الجمعة ثالث
عشريه وردت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل أوائله الى قطيا فاضطربت أحوال
الناس لذلك وفى يوم السبت رابع عشريه عرض السلطان العسكر الذين بالوطاق فاجتمع
منهم الجم الكثير فوعدهم السلطان انهم اذا قاتلوا عسكر ابن عثمان بقلب وانتصروا عليهم
ينفق على كل واحد منهم عشر أشرفيات وينعم على كل واحد منهم بسيف وترس ورسم للامير
انسباى أمير اخور ربان يصلح بين زعر الصليبة وزعر المدينة وفى ذلك اليوم أشيع ان
السلطان اهتم بعمل حائط يستر بها المكاحل التى نصبها بالريدانية وأشيع ان
السلطان جعل يحمل الحجارة بنفسه مع البنائين فلما رأى العسكر ان السلطان حمل الحجارة
بنفسه صارت المماليك يحملون الحجارة ويشيلون التراب مع الفعلة فى حفر الخندق وعمل
الحائط التى تستر المكاحل ثم وردت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل الى

بلبيس وفى يوم الاحد خامس عشريه حضر الامير قانصوه العادلى الذى كان كاشف الشرقية وكان السلطان قد أرسله ليكشف أخبار عسكر ابن عثمان اذ كانوا قد وصلوا الى هنالك أى الى القرب من الصالحية فلما وصل الامير قانصوه الصالحية رأى جماعة من عسكر ابن عثمان قد وصلوا الى هنالك فقبض على شخصين منهم وحز رؤسهما وأحضرهما بين يدى السلطان وكان صحبة تلك الرؤس شخص من أبناء حلب من جماعة خاير بك نائب حلب الذى خامر على السلطان الغورى والتف على ابن عثمان فلما وقف بين يدى السلطان طومان باى أخبره أن الواصل اليك خاير بك نائب حلب وصحبته ابن سوار وجماعة من أمراء ابن عثمان وان هذا الجاليش فيه من عسكر ابن عثمان ثمانية آلاف فارس وقد بطلت خيولهم من التعب والجوع وان الغلاء موجود فى عسكره ووجدوا مع ذلك الرجل الحلبى عدة مطالعات من خاير بك نائب حلب الى الامراء المقدمين الذين بمصر فأخذ السلطان المطالعات التى كانت معه ووضع ذلك الرجل الحلبى فى الحديد وأشيع ان عسكر ابن عثمان لما دخل بلبيس نادى لاهل بلبيس بالامان والاطمئنان وان لا أحد من العساكر العثمانية يشوش على أحد من أهل بلبيس ولا الفلاحين قاطبة ثم أشيع ان عسكر ابن عثمان قد وصل الى العكرشة فلما تحقق السلطان ذلك أراد ان يخرج بالعسكر ويلاقيهم من هنالك فلم تمكنه الامراء من ذلك ولولاقاهم من هنالك كان عين الصواب فان خيولهم كانت قد بطلت من الجوع والتعب وكان غالب عسكر ابن عثمان مشاة على أقدامهم من حين خروجهم من الشام وهم فى غاية التعب فكان ربما يكسرهم قبل أن يدخلوا الى الخانكاه ويجدوا العليق والمأكل والمشرب والراحة من التعب فلم يتفق للسلطان أن يلاقيهم من هنالك حتى تمكنوا من الدخول الى الخانكاه ثم رسم السلطان للعسكر بأن يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسين آلة الحرب ولا ينامون الا بالنوبة خوفا من هجمة تحت الليل من العثمانية وقد اشتد الرعب فى قلوب الجراكسة من عسكر ابن عثمان فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب أهلها بأولادهم وعيالهم وقماشهم ودخلوا الى القاهرة خوفا على أنفسهم من عسكر ابن عثمان وكذلك غالب فلاحى الشرقية وأهل بلبيس قد دخلوا الى القاهرة خوفا من النهب والقتل من العثمانية ثم ان العربان من السوالمة صاروا يقبضون على كل من يلوح لهم من العثمانية ويقطعون رؤسهم ويحضرونها بين يدى السلطان فيرسم السلطان بأن تعلق على باب النصر وباب زويلة ثم ان السلطان عرض العسكر بالريدانية وهم لابسون آلة الحرب حتى عرض الامراء المقدمين والعشراوات فحضرت الامراء المقدمون وهم بالطبول والزمور وكان لهم يوم مشهود بالريدانية ثم ان السلطان سار الى بركة الحاج وصحبته الامراء والعسكر

قاطبة فسير بهم ثم رجع الى الوطاق وقدامه الطبول والزمور والنفوط فامتدت العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدت الفضاء وأشيع أن السلطان لما تحقق وصول ابن عثمان الى بلبيس رسم بحرق الشون التى فى بلبيس وما حولها حتى الشون التى فى الخانكاه فأحرقوا أشياء كثيرة من التبن والدريس وغير ذلك من القمح والشعير والفول وذلك لاجل عسكر ابن عثمان حتى لا ينهبوها بسبب خيولهم فيقوى بذلك العسكر على القتال وفى هذه المدة صارت العربان تقطع رؤس العثمانية الذين يظفرون بهم فى الطرقات فيرسل السلطان يعلق تلك الرؤس على أبواب المدينة ومن الحوادث فى هذه السنة أنه أشيع ان السلطان كان جالسا فى الخيمة واذا بشخص من التركمان قد دخل عليه وهو لابس زنطا أحمر وفى وسطه محزق وتركاش وقد ضرب على وجهه لثاما وكان السلطان فى نفر قليل من الخاصكية فلما هجم ذلك الشخص على السلطان وقرب منه دفعه بعض الطواشية الذين كانوا واقفين بين يدى السلطان فلما مس صدر ذلك الشخص وجد فى صدره ثديين طويلين فكشف اللثام عن وجهه فاذا ذلك الشخص امرأة من نساء التراكمة فتوهم السلطان انها تقصد قتله فقال أخرجوها من قدامى فلما اخرجت من بين يديه وجدوها لابسة زردية من تحت ثيابها وهى متحملة بخنجر كبير من تحت ثيابها فلما عاينها المماليك الجلبان على تلك الحالة ضربوها بالسيوف وقد تحققوا أنها هجمت على السلطان تريد قتله لا محالة فلما قتلوها رسم السلطان بأن يعلقوها على باب النصر فأتوا بها وهى عريانة وصاروا يسحبونها من الريدانية الى باب النصر حتى علقوها هناك على مكان تجاه باب النصر واستمرت معلقة هناك يومين عريانة وعورتها مكشوفة بين الناس ثم دفنت ثم ان السلطان أرسل مع دوادار الوالى رأسين مقطوعين فزعموا أن أحدهما رأس ابراهيم السمرقندى والاخرى رأس أمير من أمراء ابن عثمان فعلقوهما على دكان عند باب زويلة وقد تحيل بعض العربان على ابراهيم السمرقندى وأضافه وبات عنده وكان السمرقندى أتى صحبة ابن عثمان فلما بات تلك الليلة عند البدوى حز رأسه تحت الليل فلما طلع النهار أحضرها بين يدى السلطان طومان باى وقال له الذى يأتيك برأس ابراهيم السمرقندى ايش تعطيه فقال له السلطان أعطيه ألف دينار فأخرج رأس السمرقندى من تحت برنسه وقال له هذه رأس ابراهيم السمرقندى فلما تحقق السلطان ذلك دفع لذلك البدوى ألف دينار وكان ابراهيم السمرقندى أصله من المدينة الشريفة وطاف من بلاد العجم الى بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية فلما دخل الى مصر تحشر فى السلطان الغورى وصار من جملة أخصائه فلما جرى للغورى ما جرى وانكسر التف على سليم شاه بن عثمان وصار من أخصائه وقيل هو الذى حسن لابن عثمان أن يدخل مصر ويملكها ويقطع جادرة

الجراكسة من مصر وأطمعه فى ذلك حتى دخل مصر وكان السمرقندى من الظلمة
الكبار ولو عاش الى أن ملك ابن عثمان مصر ما كان يحصل لاهلها منه خير قط وكان يرافع فى
أعيان مصر أشد المرافعة فأراح الله تعالى منه الناس قاطبة وكفاهم شره وفى يوم الاربعاء
ثامن عشرى ذى الحجة وردت الاخبار بأن جاليش عسكر ابن عثمان قد نزل ببركة الحاج
فاضطربت أحوال عسكر مصر واغلقوا باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب
البحر وباب القنطرة وغير ذلك من أبواب المدينة وغلقت الاسواق التى بالقاهرة وتعطلت
الطواحين وتشحط الدقيق والخبز من الاسواق ثم ان السلطان لما تحقق وصول عسكر ابن
عثمان الى بركة الحاج زعق النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبة وركب سائر الامراء
المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات وركب قاسم بك ابن عثمان فاجتمع من
الصناجق نحو ثلاثين صنجقا واجتمع من العساكر من أرباب الوطاق ومن المماليك
السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين ألف فارس ودقت الطبول والزمور
حربيا وصار السلطان طومان باى راكبا بنفسه وهو يرتب الامراء على قدر منازلهم وصف
العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية فاجتمع هناك الجم الكثير من العسكر وكان
السلطان طومان باى له همة عالية ولو كان السلطان الغورى حيا ما كان يفعل بعض
ما فعله السلطان طومان باى لكن لم يعطه الله النصر على ابن عثمان ولم يقع فى ذلك اليوم
بين الفريقين قتال ولم يبرز كل منهما الى غريمه فقطعوا فى ذلك اليوم بعض رؤس من
العثمانية وأرسلوا اعلقوها على أبواب المدينة فلما كان يوم الخميس تاسع عشرى ذى الحجة
وقعت فيه كائنة عظيمة تذهل عند سماعها عقول أولى الالباب وتضل لهولها الاراء
عن الصواب وما ذاك الا أن السلطان طومان باى لما توجه الى الريدانية ونصب بها الوطاق
حصن الوطاق بالمكاحل والمدافع وصف هناك طوارق وصنع عليها تساتير من خشب
وحفر خندقا من الجبل الاحمر الى غيط المطرية وقد تقدم القول على ذلك ثم ان السلطان
جعل خلف المكاحل نحو ألف جمل جمل وعليها زكائب فيها عليق وعلى أقتابها صناجق
بيض وحمر تخفق فى الهواء وجمع عدة أبقار بسبب جر العجل وظن أن القتال يطول بينه
وبين ابن عثمان أو أن الحصار يبقى مدة طويلة فجاء الامر بخلاف ذلك فلما نزل عسكر
ابن عثمان ببركة الحاج أقام بها يومين فلم يجسر السلطان طومان باى أن يتوجه اليهم ولو
توجه وقاتلهم هناك قبل أن يدخلوا الريدانية لكان عين الصواب فلما كان يوم الخميس
المقدم ذكره زحف عسكر ابن عثمان ووصل أوائله الى الجبل الاحمر فلما بلغ السلطان
طومان باى ذلك زعق النفير فى الوطاق ونادى السلطان للعسكر بالخروج الى قتال ابن
عثمان فركب الامراء المقدمون ودقوا الطبول حربيا وركب العسكر قاطبة حتى سدوا

الفضاء وأقبل عسكر ابن عثمان كالجراد المنتشر وهم السواد الاعظم فتلاقى الجيشان فى أوائل الريدانية فكان بين الفريقين واقعة مهولة يطول شرحها أعظم من الواقعة التى كانت فى مرج دابق فقتل من العثمانية مالا يحصى عددهم وقتل سنان باشا الا ابن عثمان وكان أكبر وزرائه وقتل من أمرائه وعسكره جماعة كثيرة حتى صارت الجثث مرمية على الارض من سبيل علان الى تربة الامير يشبك الدوادار ثم ان العثمانية تحاولوا وجاؤا من كل ناحية أفواجا أفواجا كأنهم قطع الغمام ثم انقسموا فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة جاءت للعسكر عند الوطاق بالريدانية وطرشوهم بالبندق الرصاص وهجموا عليهم هجمة منكرة فما كان غير قليل حتى قتل من عسكر مصر مالا يعلمه الا الله تعالى وقتل من الامراء المقدمين جماعة كثيرة منهم أزبك المكحل وجرح الاتابكى سودون الدواداري جرحا بالغا وقيل انكسر فخذه فاختفى فى غيط هناك وجرح الأمير علان الدوادار فلم تكن الا ساعة يسيرة مقدار خمس عشرة درجة حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبرا وتمت عليهم الكسرة فثبت بعد الكسرة السلطان طومان باى نحو عشرين درجة وهو يقاتل بنفسه فى نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك السلحدارية فقتل من عسكر ابن عثمان مالا يحصى فلما تكاثرت عليه العساكر العثمانية ورأى العسكر قد ذهب من حوله خاف على نفسه أن يقبضوا عليه فطوى الصنجق السلطانى وولى واختفى قيل انه توجه نحو طرا وهذه ثالث كسرة وقعت لعسكر مصر وأما الفرقة العثمانية التى توجهت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطانى وعلى وطاق الامراء والعسكر فنهبوا كل ما كان فيه من قماش وسلاح وخيول وجمال وأبقار وغير ذلك ثم نهبوا المكاحل التى كان نصبها السلطان هناك ونهبوا الطوارق والتساتير الخشب والعربات التى تعب عليها السلطان وصرف عليها جملة من المال ولم يفده من ذلك شئ ونهبوا البارود الذى كان هناك ولم يبقوا بالوطاق شيأ الا قليلا ولا كثيرا فكان ذلك مما جرت به المقادير والحكم لله العلى الكبير ثم ان جماعة من العثمانية لما هرب السلطان ونهبوا الوطاق دخلوا القاهرة بالسيف عنوة وتوجه جماعة منهم الى المقشرة وأحرقوا أبوابها وأخرجوا من كان بها من المحابيس وكان بها جماعة من العثمانية سجنهم السلطان لما كان بالريدانية فاطلقوهم أجمعين وأطلقوا من كان فى الديلم والرحبة والقاعة أجمعين ثم توجهوا الى بيت الامير خاير بك المعمار أحد المقدمين فنهبوا ما فيه وكذلك بيت يونس الترجمان وكذلك بيوت جماعة من الامراء وأعيان المباشرين ومساتير الناس وصارت الزعر والغلمان ينهبون البيوت فى حجة العثمانية فانطلق فى أهل مصر جمرة نار ثم دخل جماعة من العثمانية الى الطواحين وأخذوا ما فيها من البغال والاكاديش وأخذوا عدة جمال من جمال السقائين

وصارت العثمانية تنهب مايلوح لهم من القماش وغير ذلك وصاروا يخطفون جماعة من الصبيان المرد والعبيد السود واستمر النهب عمالا فى ذلك اليوم الى مابعد المغرب ثم توجهوا الى شون القمح التى بمصر وبولاق ونهبوا مافيها من الغلال حق المسلمين وهذه الحادثة التى وقعت لم تكن لاحد على بال وكان ذلك مما جرت به الاقدار فى الازل وقتل فى هذه المعركة ابن سوار بالريدانية ودفن على جده سوار فى تربته التى تجاه يشبك الدوادار وقتل سنان باشا وزير ابن عثمان الاكبر وفى ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتونى

نبكى على مصر وسكانها • قد خربت أركانها العامره

وأصبحت بالذل مقهورة * من بعدما كانت هى القاهره

وفى يوم الاثنين سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة دخل أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله القاهرة وصحبته وزراء ابن عثمان والجم الكثير من العساكر العثمانية ودخل ملك الامراء خاير بك ودخل قاضى القضاة الشافعية كمال الدين الطويل والقاضى المالكى محيى الدين الدميرى والقاضى الحنبلى شهاب الدين الفتوحى وكل هؤلاء كانوا فى أسر ابن عثمان من حين مات السلطان الغورى فلما دخل الخليفة من باب النصر شق القاهرة وقدامه المشاعلية تنادى للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وان لا أحد من العسكر العثمانى يشوش على أحد من الرعية وقد أغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من كان عنده مملوك جركسى ولا يغمز عليه وظهر عنده يشنق من غير معاودة والدعاء للملك المظفر سليم شاه بالنصر فضج له الناس بالدعاء ولكن لم يلتفت أحد من العثمانية لهذه المناداة وصاروا ينهبون بيوت أولاد الناس حتى بيوت الربوع فى حجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة فاستمر النهب والهجم عمالا فى بيوت الامراء والعسكر وأهل البلد ثلاثة أيام متوالية لا يتركون خيلا ولا بغالا ولا قماشا ولا قليلا ولا كثيرا وما أبقوا فى ذلك ممكنا ودخل فى ذلك اليوم يونس العادلى وخشقدم الذى كان مشد الشون بمصر وكان قد هرب من الغورى الى البلاد العثمانية وهو الذى كان سببا لهذه الفتنة العظيمة وفى يوم الجمعة خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وقد ترجم له بعض الخطباء فى خطبته فقال وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا يا مالك الدنيا والآخرة يارب العالمين انتهى ما أوردناه من حوادث سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقد قلت فى ذلك

ختم العام بحرب وكدر * وجرى للناس غايات الضرر

وأتاهم حادث من ربهم * كل هذا بقضاء وقدر

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فكان مستهل المحرم يوم السبت وفيه أرسل السلطان سليم شاه جماعة من الانكشارية وأوقفهم على أبواب المدينة يمنعون النهابة من نهب البيوت ولما انكسر عسكر مصر حوّل السلطان سليم شاه وطاقه من بركة الحاج ونصبه فى الريدانية وشرعت العثمانية تقبض على المماليك الجراكسة من الترب وفساقى الموتى ومن غيطان المطرية فاذا أحضروهم بين يدى السلطان يأمر بضرب أعناقهم ثم ان بعض مشايخ العربان قبض على الاتابكى سودون الدوادارى وأحضره بين يدى السلطان سليم شاه فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام فوجده قد جرح وكسر فخذه وهو فى حالة الاموات فلم تأخذه عليه شفقة بل أركبه على حمار وألبسه عمامة زرقاء وجرسه فى وطاقه وقصد أن يشهره فى القاهرة فمات وهو على ظهر الحمار وقيل حز رأسه بعد الموت وعلقوها فى الوطاق وصار العثمانية يكبسون الترب ويقبضون على المماليك الجراكسة منها وكل تربة وجدوا فيها مملوكا جركسيا حزوا رأسه ورأس من بالتربة التى وجدوه فيها من الجاز بين وعلقوا رؤسهم فى الوطاق فضرب فى يوم واحد ثمانمائة وثلاثون رأسا من سكان الصحراء وقيل كان فيهم ينابعة وأشراف فراحوا ظلما لاذنب لهم وصاروا يكبسون الحارات والبيوت ويقبضون على المماليك الجراكسة من اسطبلاتهم باليد ويتوجهون بهم الى الوطاق بالريدانية فيضربون أعناقهم هنالك فلما كثرت رؤس القتلى بالريدانية نصبوا صوارى وعليها حبال وعلقوا عليها رؤس من قتل من المماليك الجراكسة وغيرهم حتى قيل قتل فى هذه الواقعة بالريدانية فوق أربعمائة انسان ما بين جراكسة وغلمان وعربان من الشرقية والغربية وصارت الجثث مرمية من سبيل علان الى تربة الاشرف قايتباى فجافت منهم الارض وصارت لاتعرف جثة الامير من جثة المملوك وهم أبدان بلا رؤس وأما من قتل من عسكر ابن عثمان فى هذه الواقعة فلا يحصى عددهم ثم ان ابن عثمان أرسل خلف المقر الناصرى محمد ابن السلطان الغورى فلما حضر ألبسه قفطانا من مخمل أخضر مذهب وألبسه عمامة عثمانية وأعطاه ورقة بالامان له على نفسه ورسم له بأن يسكن فى مدرسة أبيه التى أنشأها فى الشرابشيين وأسكن الدفتردار فى بيته الذى فى البندقانيين وهو أحد وزراء السلطان سليم شاه ثم توجه اليه الامير يوسف البدرى الوزير فأعطاه أمانا وألبسه قفطانا مخملا وأقره متحدثا على جهات الغربية وخلع على الامير فارس السيفى تمراز وأقره كاشف المنية وغير ذلك من الجهات القبلية وخلع على الزينى بركات بن موسى وجعله متحدثا فى الحسبة على أن يقرر بها من يختاره وفى يوم الاحد ثانى المحرم أشيع أن السلطان سليم شاه نقل وطاقه من الريدانية ونصبه فى بولاق من تحت الرصيف الى آخر الجزيرة الوسطى وقد أحضروا اليه مفاتيح قلعة الجبل فلم يلتفت الى

ذلك واختار الاقامة على شاطئ بحر النيل فلما كثرت العثمانية بالقاهرة صاروا يدورون
فى الحارات والازقة والاسواق وكل من رأوه من أولاد الناس لابسا زنطا أحمر وتخفيفة
يقولون له أنت جركسى فيقطعون رأسه فلبس أولاد الناس كلهم عمائم حتى أولاد
الامراء والسلاطين قاطبة وأبطلوا لبس التخافيف والزنوط من مصر وفى يوم الاثنين
ثالث المحرم أوكب السلطان سليم شاه ودخل الى القاهرة من باب النصر وشق المدينة فى
موكب حافل وقدامه الجنائب المسومة الكثيرة العدد والعساكر المتراكمة مابين مشاة
وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع واستمر سائرا من المدينة حتى دخل من باب زويلة ثم
عرج من تحت الربع وتوجه من هنالك الى بولاق ونزل بالوطاق الذى نصبه تحت الرصيف
فلما شق من المدينة ارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة وقيل ان صفته درى
اللون حليق الذقن وافر الانف واسع العينين قصير القامة وعلى رأسه عمامة صغيرة وكان
عنده خفة ورهج كثير التلفت اذا ركب الفرس وقيل انه كان له من العمر حين ذاك نحو
أربعين سنة أودون ذلك وليس له نظام يعرف مثل نظام الملوك السالفة وكان سيء الخلق
سفاكا للدماء شديد الغضب لايراجع فى القول ولما شق من القاهرة كان قدامه الخليفة
والقضاة الاربعة وجماعة من المباشرين الذين كانوا بمصر وكان ينادى كل يوم فى القاهرة
بالامان والاطمئنان والنهب عمال من جماعته ولا يسمعون لمناداته وحصل للناس منه
الضرر الشامل ومما أشيع عنه أنه قال فى بعض مجالسه بين أخصائه وهو بالشام اذا
دخلت الى مصر أحرق بيوتها قاطبة وألعب فى أهلها بالسيف فقيل تلطف به الخليفة حتى
رجع عن ذلك ولو فعل ذلك ما كان يجد له من مانع يمنعه ولكن الله سلم والله غالب
على أمره ولما زاد ضرر العثمانية فى القاهرة صارت أعيان الناس والمباشرين يجعلون على
أبوابهم جماعة من العثمانية يحفظون بيوتهم من النهب وصارت العثمانية يمسكون أولاد
الناس من الطرقات ويقولون لهم أنتم جراكسة فيشهد دون الناس عندهم أنهم ماهم
جراكسة فيقولون لهم اشتروا أنفسكم من القتل فيأخذون منهم بحسب مايختارون من
المبلغ وصار أهل مصر تحت أسرهم ثم صار الزعر وعياق مصر يغمزون العثمانية على
حواصل الخوندات والستات فينهبون مافيها من القماش الفاخر فانفتحت للعثمانية
كنوز الارض بمصر من نهب قماش وسلاح وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك
من كل شئ جليل وظفروا باشياء لم يظفروا بها قط فى بلادهم ولم يروها قبل ذلك ولا أستاذهم
الكبير ۞ ومن هنا نرجع الى ترجمة سليم شاه بن عثمان وذلك على سبيل الاختصار من
أخباره بحسب مايتيسر لى من ذلك على مامشت عليه طريقة التاريخ من مبتدا ها الى هذه
الواقعة

ذكر

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم شاه ابن السلطان أبي يزيد

ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد خان ابن أبي يزيد المعروف بيلدرم ابن أرخان بن أردن ابن عثمان بن سليمان بن عثمان الكبير الشهيد بالغزاة بعد ان عاش تسعة وستين سنة وسليم شاه هذا هو الشهير بابن عثمان من خلاصة ملوك الروم وهو الثامن والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث من ملوك الروم بمصر فان أول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم والثاني الظاهر تمربغا والثالث سليم خان ابن عثمان ملك القاهرة عنوة بقائم سيفه وقد حصل له سعد عظيم لم يحصل لآبائه ولا لاجداده من قبله وقد ساعدته الاقدار على بلوغ الاوطار فتصدى الى قتال شاه اسماعيل الصوفي في سنة احدى وعشرين وتسعمائة فانكسر منه الصوفي وقتل غالب عسكره واحتوى على أمواله وسلاحه من غير مانع وملك غالب بلاده التي بالعراقين ثم تصدى الى قتال الملك الاشرف قانصوه الغوري وتلاقى معه على مرج دابق في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فلم يحمل معه غير مدة يسيرة وانكسر ومات قهرا في وسط الحرب وملك سليم شاه مدينة حلب وقلعتها من غير محاصرة فلما ملك قلعة حلب أرسل اليها شخصا من جماعته أعرج أعور وفي يده دبوس خشب وهو ماش على أقدامه فتسلم الاموال والسلاح التي كانت بها حتى قيل كان بها من الاموال السلطانية للغوري مائة ألف ألف دينار وثمانمائة ألف دينار خارجا عن السلاح والكنابيش الذهب والسروج الذهب والبلور والعقيق والخلع التي بالطراز الذهب اليلبغاوي وغير ذلك من التحف الفاخرة فاحتوى على ذلك جميعه خارجا عن برك السلطان والامراء وأولادهم وبرك العساكر وخيولهم وبغالهم وجمالهم وخيامهم فاحتوى على ذلك جميعه ثم توجه الى الشام فملكها بالامان ثم نزل اليه اغات الشام بالامان فقتله وقتل معه نحو أربعين أميرا من أمراء الشام وملك قلعتها واحتوى على ما فيها من الاموال والسلاح والغلال والبارود وغير ذلك مما كان بها ثم خرج من الشام وقصد التوجه نحو الديار المصرية فتسلم طرابلس وصفد وغزة وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد من تلك الجهات تسلم الكل بالامان من غير حرب ولا مانع ولم يتفق ذلك لاحد من الملوك قبله ثم توجه الى القاهرة فتلاقى مع الاشرف طومان باي على الريدانية فوقع بينهما قتال هين فلم يكن الا عشرين درجة وانكسر الاشرف طومان باي وولى مهزوما وقتل من العسكر ما لا يحصى عددهم وآخر الامر ملك مصر والقاهرة عنوة بقائم

سيفه (أقول) ومن عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه فاتح مصر سنة اثنتين
وعشرين من الهجرة النبوية عنوة بقائم سيفه لم يفتحها أحد من الملوك بعده عنوة سوى
سليم شاه بن عثمان ولم يقع مثل ذلك الا لبختنصر فى قديم الزمان ومن هنا نرجع الى أخبار
ابن عثمان فانه لما نزل بالوطاق الذى نصبه فى بولاق عند الرصيف أقام به الى يوم الثلاثاء
رابع المحرم فلما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر بعد صلاة العشاء لم يشعر ابن عثمان
الا وقد هجم عليه الاشرف طومان باى بالوطاق بما معه من العسكر واحتاط به فاضطربت
أحوال ابن عثمان الى الغاية وظن أنه مأخوذ لا محالة وأشيع أنه هجم عليه بجمال محملة
ساسا وأطلق فيها النار فاحترق بعض خيام من وطاق ابن عثمان وأوقع فيهم السيف تحت
الليل فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عددهم واجتمع هناك الجم الكثير من الزعر
وعياق بولاق من النواتية وغيرهم وصاروا يرجمون فى الوطاق بالمقاليع وفيها الحجارة
واستمروا على ذلك الى أن طلع النهار فلاقاهم الامير علان الدوادار الكبير من الناصرية
عند الميدان الكبير فاسعفهم وكان بين عسكر ابن عثمان وبين عسكر مصر هناك واقعة
تشيب منها النواصى فملكوا منهم من رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر والى قنطرة
قديدار واستمرا الحرب ثائرا بين الفريقين من طلوع الفجر الى ما بعد المغرب ثم أشيع أن
العربان لما وقعت هذه الحركة نهبوا وطاق العثمانية الذى كان بالريدانية ثم ان المماليك
الجراكسة صاروا يكبسون البيوت والحارات على العثمانية كما كانت العثمانية
تكبس البيوت على الجراكسة ومثل ما تعمل شاة الجمى فى القرظ يعمل القرظ فى جلدها
فصاروا يدورون فى الحارات وكل من يظفرون به من العثمانية يقطعون رأسه ويحضرونها
بين يدى السلطان طومان باى وصار الطالب مطلوبا ولكن لم يتم لهم ذلك فلما كان يوم
الخميس سادس المحرم اشتد القتال بين الفريقين ونادى السلطان طومان باى فى الناصرية
وقناطر السباع للزعر والعياق بأن كل من قبض على عثمانى يأخذ عريه ويقطع رأسه
ويحضرها بين يدى السلطان ثم ان العثمانية طردوا الاتراك من بولاق وجزيرة الفيل
وملكوها منهم ثم ان الاتراك خرقوا عقد قنطرة قديدار خوفا من العثمانية أن يهجموا
عليهم ثم ان العثمانية هجموا على زاوية الشيخ عماد الدين التى بالناصرية وقبضوا على من
بها من المماليك الجراكسة وأحرقوا البيوت التى حول الزاوية ونهبوا القناديل والحصر
التى فى الزاوية وقتلوا جماعة كثيرة من العوام وفيهم صغار وشيوخ لا ذنب لهم ثم ان
العثمانية طردوا الاتراك عن الناصرية الى قناطر السباع ثم ان السلطان طومان باى نزل فى
جامع شيخو العمرى الذى بالصليبة وصار يركب بنفسه ويكر من الصليبة الى قناطر السباع
فى نفر قليل من العسكر ثم رسم بحفر خندق فى رأس الصليبة وآخر عند قناطر السباع وآخر

عند

عند راس الرميلة وآخر عند جامع ابن طولون وآخر عند حدرة البقر ثم ان السلطان
طومان باى رسم بحرق خان الخليلى فمنعه بعض الامراء من ذلك وأشيع أنه قسم العسكر
الى أربع فرق فرقة الى جهة قناطر السباع وفرقة الى جهة الرميلة وفرقة الى جهة جامع ابن
طولون وفرقة الى جهة باب زويلة فلم يقاتل من المماليك الجراكسة الا القليل وصاروا
يختفون فى الاصطبلات والزوايا خوفا من القتال وقد دخل الرعب فى قلوبهم من العثمانية
فما بقى يخرج منها ثم ان طائفة من العثمانية توجهوا من جهة مصر العتيقة وطلعوا من
جهة باب القرافة وملكوا من باب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فدخلوا
الى ضريحها وداسوا على قبرها وأخذوا قناديلها الفضة والشمع الذى كان عند قبرها وبسط
الزاوية وأخذوا من مقامها شيأ كثيرا وقتلوا أيضا فى مقامها مماليك جراكسة وغير ذلك
من الناس الذين كانوا اجتمعوا بها حين هربوا من المعركة ثم ان السلطان قصد أن يهدم قناطر
السباع فهدم من عقدها بعض شئ ثم ان الاتراك سجنوا جماعة من العثمانية فهربوا
وطلعوا الى مآذن الجوامع فطلعوا مئذنة المؤيد وصاروا يرمون الناس بالبندق والرصاص
ويمنعونهم من الدخول الى باب زويلة واستمروا على ذلك حتى طلع لهم الاتراك وقتلوهم
فى المئذنة أشر قتلة ثم صارت القتلى من الاتراك والعثمانية أجسادهم مرمية من بولاق الى
قناطر السباع والى الرميلة والى تحت القلعة وفى الحارات والازقة وهم أبدان بلا رؤس
هذا والعربان واقفة عند قنطرة الحاجب يعرون الناس ويأخذون أثوابهم ويقتلونهم
ويقتلون كل من يلوح لهم من العثمانية وغيرهم ولولا لطف الله تعالى لهجموا على الناس
فى القاهرة ونهبوا أسواقها ودورها ثم ان السلطان طومان باى نادى فى القاهرة أن كل من
أمسك أحدا من العثمانية وطلب منه الامان لا يقتله ويأتى به حيا ومن العجائب فى هذه
الواقعة أن السلطان طومان باى لما ظهر فى هذه المرة بعد انهزامه فى الريدانية خطب باسمه
فى القاهرة وكان فى الجمعة الماضية خطب باسم سليم شاه بن عثمان فكان كما يقال فى المعنى

لا تيئسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف

فاستمر السلطان طومان باى يرتفع أمره مع عسكر ابن عثمان ويقتل منهم فى كل يوم ما
لا يحصى من يوم الاربعاء الى طلوع شمس يوم السبت ثامن المحرم فتكاسل العسكر
عن القتال واختفوا فى بيوتهم وتفرقت الامراء عنه كل واحد فى ناحية واستمر السلطان
طومان باى يقاتل فى عسكر ابن عثمان وحده فى نفر قليل من العبيد الرماة وبعض
مماليك سلطانية وبعض أمراء كالامير شاد بك الاعور وآخرين من الامراء العشراوات
فلما ظهر له الغلب هرب وتوجه الى نحو بركة الحبش وكان قليل الحظ غير مسعود الحركات
فى أفعاله كما قيل فى المعنى

قليل الحظ ليس له دواء * ولو كان المسيح له طبيب

وهذه رابع كسرة وقعت لعسكر مصر مع ابن عثمان وقد غلت أيديهم عن القتال حتى نفذ القضاء والقدر وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ولما هرب السلطان طومان باى وقعت فى القاهرة المصيبة العظمى التى لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان وهو انه لما هرب السلطان طومان باى صبيحة يوم السبت ثامن المحرم طفشت العثمانية فى الصليبة وأحرقوا جامع شيخو فاحترق سقف الايوان الكبير والقبة التى كانت به فعلوا ذلك لكونه كان به وقت الحرب كما تقدم وأحرقوا البيوت التى حوله فى درب ابن عزيز ثم قبضوا على الشرفى يحيى بن العداس خطيب الجامع وأحضروه بين يدى سليم شاه بن عثمان فهم بضرب عنقه فلما بلغ الخليفة ذلك ركب وأتى الى ابن عثمان وشفع فى ابن العداس وخلصه من القتل ولولا أنه كان فى أجله فسحة لضربوا عنقه فى الحال وقاسى شدة من الطربة ثم ان العثمانية طفشت فى جميع الحارات والاماكن وحطوا غيظهم فى العبيد والغلمان والعوام من الزعر وغيرهم ولعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح وربما عوقب من لا ذنب له فصارت جثثهم مرمية فى الطرقات من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان مقدار من قتل فى هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة فوق العشرة آلاف انسان فى مدة هذه الاربعة أيام ولولا لطف الله تعالى لفنى أهل مصر قاطبة بالسيف ثم ان العثمانية صارت تكبس على المماليك الجراكسة فى البيوت والحارات فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه وكذلك الجوامع الكبار والمدارس والزوايا فهجموا على الجامع الازهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون وغيرها وقتلوا من وجدوه من المماليك الجراكسة فيها فقيل قبضوا على نحو ثمانمائة مملوك ما بين أمراء عشراوات وخاصكية ومماليك سلطانية فضربوا رقابهم أجمعين بين يدى السلطان سليم وقيل ان المشاعلى الذى كان هناك افرنجى وقيل يهودى من الروم وكان اذا ضرب عنق أحد من الجراكسة يعزلها وحدها ويعزل رؤس الغلمان والعربان وحدها ثم ينصب الحبال على الصوارى ويعلق عليها تلك الرؤس فى الوطاق الذى بالجزيرة الوسطى وكان المشاعلى اذا حز رأس المماليك يرمى جثثهم فى البحر وأخبرنى من أثق به أنه شاهد جثة الامير قانصوه رجله أحد الامراء المقدمين الذى كان نائب قطيا وهى مرمية قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش فى مصارينه وشحم بطنه فانه كان رجلا جسيما وقتل فى هذه الواقعة الامير بخشباى الذى كان قرره السلطان طومان باى أمير مجلس كما تقدم وقتل آخرون من الامراء الطبلخانات والعشراوات والخاصكية وغير ذلك وصارت الجثث مرمية فى الرميلة الى سوق الخيل ثم الى الحميين وقد تناهشت

الكلاب أجسادهم ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط الا ما كان فى زمن بختنصر البابلى لما أتى من بابل وزحف على البلاد بعسكره وأخربها وهدم بيت المقدس ثم دخل مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف انسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهى خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار فكان النيل يعلو ويهبط فلا يجد من يزرع عليه الاراضى ولا ينتفع به لكن هذه الواقعة لها نحو ألفى سنة وهى قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك فى بغداد فى فتنة هولاكو وهو المعروف بتتار لما زحف على بغداد وأخربها وأحرق بيوتها وقتل الخليفة المستعصم بالله واستمرت من بعد ذلك خرابا الى الآن فوقع لاهل مصر ما يقرب من ذلك وما زالت الايام تبدى العجائب فلما هرب السلطان طومان باى وقتل من قتل من الامراء والعسكر رجع السلطان سليم شاه الى وطاقه الذى فى الجزيرة الوسطى ونصب فى وطاقه صنجقين أحدهما أبيض والآخر أحمر وذلك اشارة عندهم لرفع السيف عن أهل المدينة هكذا عادتهم فى بلادهم اذا ملكوا مدينة وفتحوها بالسيف عنوة وفى هذا الشهر توفى الشيخ شهاب الدين القسطلانى وكان علامة فى الحديث وله شهرة طائلة بين الناس وكان لا بأس به وفى تلك الايام صار الخليفة المتوكل على الله هو صاحب الحل والعقد والامر والنهى بالديار المصرية وصارت أولاد السلاطين جالسة فى دهليز بيته لا يعبؤ بهم مثل المقر العلائى على بن المؤيد أحمد وابن الظاهر خشقدم وأولاد الملك المنصور عثمان وغير ذلك من أولاد الامراء وأعيان الناس من الرؤساء والمباشرين وجماعة من الامراء مثل قانى بك رأس نوبة ثانى وسنبل مقدم المماليك وغير ذلك من الامراء فى دهاليز بيته لم يلتفت اليهم وصار زنكه مضروبا على غالب البيوت وكانت مراسلته ماشية فى المدينة لا ترد وشفاعته كافية فى كل أمر اشتد وصار هو فى مقام سلطان مصر فى نفوذ الكلمة وظهور العظمة فى تلك الايام ودخل عليه من الناس أموال وتقادم عظيمة لم تصل لآبائه ولا أجداده وصارت الستات والخوندات مرمية فى دهاليز بيته لا يلتفت اليهن وصارت خوند ابنة الامير اقبردى الدوادار زوجة السلطان طومان باى مقيمة فى بيته وقد قرر عليها السلطان سليم شاه مالا جزيلا توردة الى الديوان فلا زال الخليفة يتلطف بالسلطان سليم شاه حتى حط عنها جانبا من المال الذى قرره عليها وحصل له من الستات والخوندات خدم جزيلة فطاش الخليفة فى تلك الايام الى الغاية وظن أن هذا الحال يتم له وما علم أن القبان بآخره كما قيل فى المعنى

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

ومن الحوادث ان أولاد الزنكلونى الذين جرى لهم مع السلطان الغورى ما جرى ومات أبوهم تحت الضرب وابن نور الدين المشالى الذى شنقه الغورى كما تقدم ذكره لما تغيرت الدول ودخل ابن عثمان الى القاهرة ونادى من كانت له ظلامة يرفع أمره الى السلطان سليم ثلر

أولاد الزنكلونى وابن نور الدين المشالى على القاضى شمس الدين بن وحيش وقالوا له أنت كنت سببا الشنق نور الدين المشالى وضرب الزنكلونى وقصدوا أن يمضوا به الى ابن عثمان ليقطع رأسه فترامى على الخليفة فى عمل المصلحة بينه وبين أولاد الزنكلونى وابن المشالى فتكلم الخليفة بينهم على أن ابن وحيش يدفع الى أولاد الزنكلونى ثلثمائة دينار ولابن المشالى مائتى دينار فأبوا من ذلك واستمرت دعوتهم باقية على شمس الدين بن وحيش الى أن يعرضوا ذلك على ابن عثمان وفى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى السلطان سليم شاه بعد العصر فى القاهرة بان الامراء المقدمين والامراء الاربعينيات والامراء العشراوات الذين اختفوا بعد الواقعة يظهرون وعليهم أمان الله تعالى وقيل ان السلطان سليم شاه كتب للامراء عهدا وأمانا فى ورقة طويلة وعلقها المنادى على جريدة ونادى ايضا بان الامراء المختفين يظهرون و يتوجهون الى مدرسة السلطان الغورى وعليهم الامان فظهر الامير اركماس أمير سلاح والامير انسباى أمير اخور كبير والامير عمر الحسنى رأس نوبة النوب والامير طقطباى حاجب الحجاب والامير تانى بك الخازندار أحد المقدمين والامير تانى بك النجمى أحد المقدمين والامير قانصوه أبو سنة أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات الامير مصرباى الاقرع والامير قانى بك رأس نوبة ثانى والامير يشبك الفقيه دوادار السلطان طومان باى وكان مختفيا فى الجامع الازهر فطلع بالامان وظهر من الامراء العشراوات نحو أربعين أميرا أو أكثر من ذلك وآخرون من الخاصكية فلما ظهروا واجتمعوا فى المدرسة الغورية احتاط بهم جماعة من العثمانية ثم مضوا بهم الى الوطاق وأرادوا أن يخونوهم فلما قابلوا السلطان سليم وبخهم بالكلام وبصق على وجههم وذكر لهم ظلمهم وما كانوا يصنعون ثم رسم لهم بان يطلعوا الى القلعة ويقيموا بها محتفظا بهم فطلعوا الى القلعة وفيه أشيع أن جان بردى الغزالى أرسل بطلب الامان من السلطان سليم شاه وقد وصل الى الخانكاه وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة الذين هربوا بعد الكسرة فأرسل له السلطان سليم شاه أمانا وفيه أشيع ان السلطان طومان باى لما هرب من الواقعة التى كانت بالصليبة ظهر بعد ذلك انه توجه الى البهنسا وأقام بها فلما ضجر من الذى قاساه من الحروب والشرور أرسل القاضى عبد السلام قاضى البهنسا ليطلب له الخليفة الامان من السلطان سليم شاه وفيه أشيع ان العثمانية هجموا على مقام الامام الشافعى رضى الله عنه ونهبوا ما فيه من البسط والقناديل فى جهة المماليك الجراكسة وكذلك مقام الليث بن سعد أيضا نهبوا ما فيه وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم دخل جان بردى الغزالى القاهرة وعلى رأسه منشور فيه أمان من السلطان سليم شاه فتوجه اليه وهو فى الوطاق وقابله هناك وكان الغزالى لما انكسر السلطان طومان باى فى

الريدانية أشيع أنه هرب الى عكة وقيل الى غزة ومعه جماعة من المماليك الجراكسة وكان جان بردى الغزالى متواطئا مع ابن عثمان فى الباطن من أيام الغورى وكان سببا لكسرة العسكر فى مرج دابق هو وخاير بك نائب حلب وانهزما قبل العسكر وأشاعا الكسرة على عسكر مصر وفى يوم الاربعاء تاسع عشر المحرم أشيع أن المماليك الذين ظهروا صحبة الغزالى رسموا عليهم وقيل سجنوهم بالقلعة وكانوا نحو أربعمائة مملوك وقد ظهروا بالامان من ابن عثمان فلما ظهروا قبض عليهم وغدر بهم وكان من عادته يعطى الامان للامراء والمماليك ثم يغدر بهم فى الحال فكان لا يثق أحد منه بالأمان وفيه قرر السلطان سليم شاه جماعة من أمرائه فى الولايات على بعض البلاد منهم نائب غزة ومنهم كاشف المحلة والشرقية والغربية فولى عدة كشاف فى أماكن مختلفة من البلاد وفى يوم الخميس عشرى المحرم نادى السلطان سليم شاه فى الصليبة وقناطر السباع بأن أصحاب الاملاك الذين فى الصليبة وجامع ابن طولون يخلون بيوتهم فان السلطان سليم شاه طالع الى القلعة ليقيم بها وصار يكرر المناداة فى كل يوم بذلك فأخلى الناس بيوتهم فلما طلع الى القلعة نادى للناس بالامان والاطمئنان وكيف الامان وقد خرجت الناس من بيوتهم على وجوههم فى أسوا الاحوال وانطلقت فى قلوبهم جمرة نار وهجمت الطوائف العثمانية على الناس فى بيوتهم وأخرجوهم منها وسكنوا بها حتى صارت الحارات والازقة ماتنشق منهم وصاروا كالجراد المنتشر من كثرتهم من الصليبة الى جامع قوصون الى قناطر السباع الى داخل باب زويلة وماخلا منهم موضع فى المدينة وصارت الناس تسد أبوابها وتضيقها مثل الخوخ حتى لاتدخل فيها الخيول ولم يفد ذلك شيأ وهدموا مابنوه وسكنوا بها ثم ان السلطان سليم شاه طلع الى القلعة فى موكب حافل رجت له القاهرة وكان معه المماليك الذين طلعوا بالامان وقيدوهم وأودعوهم فى الوكالة التى خلف مدرسة السلطان الغورى وفى أوائل هذه السنة كانت وفاة الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين ابراهيم بن أبى شريف المقدسى الشافعى كان عالما فاضلا فى مذهبه بارعا فى العلوم ورعا زاهدا ولى قضاء الشافعية فى أيام السلطان الغورى فأقام بها مدة وعزل عنها ثم قرره الغورى فى مشيخة مدرسته وقاسى فى أواخر عمره شدائد ومحنا من السلطان الغورى وأقام مدة طويلة وهو عليل حتى مات وعاش من العمر فوق الثمانين سنة ولما أن مرض ثارت الحروب والفتن وتكاثرت الاهوال على الناس بمصر فمات ولم يشعر بموته أحد من الناس رحمة الله عليه وتوفى أيضا البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين كان وكان رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس وكف بصره قبل موته بمدة طويلة وكان أنشأ له تاريخا لضبط الوقائع وكان علامة فى كل فن رحمة الله عليه وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى المحرم خلع السلطان على الشرفى يونس الاستادار قفطانا من المخمل بالذهب وجعله متحدثا على جهات بلاد الشرقية ليجبى البلاد ويكشف مافيها

من اقطاعات المماليك الجراكسة وغير ذلك من الرزق والاوقاف فأخذ قوائم من أولاد
الجيعان بمعنى ذلك ونزل الى الشرقية فما أبقى من أبواب المظالم شيأ حتى فعله بالشرقية وقرر
فخر الدين بن عوض و بركات أخا شرف الدين الصغير متحدثين فى جهات الغربية وقرر
الزينى بركات بن موسى متحدثا على جهات المحلة وقرر شرف الدين الصغير وأبا البقا ناظر
الاصطبل متحدثين فى الجهات القبلية فأظهر كل منهم أنواعا من المظالم فى حق الناس بسبب
الاقطاعات والرزق وأشيع أن السلطان سليم شاه أوقف أمر المناشير التى بيد أولاد الناس
بسبب أقاطيعهم فحصل لهم غاية الضرر بسبب ذلك وفى آخر هذا الشهر تشحطت الغلال
وارتفع الخبز من الاسواق وسبب هذا الامر ان العثمانية لما دخلوا القاهرة نهبوا المغل الذى
فى الشون وأطعموه لخيولهم حتى لم يبق فى الشون شئ من الغلال ونهبوا القمح الذى كان
بالطواحين واضطربت أحوال الناس قاطبة ثم ان الاخبار ترادفت بأن طومان باى
ظهر انه فى الصعيد عند أولاد عمر ومنع المراكب من الدخول الى مصر بالغلال فبموجب
ذلك وقعت التشحيطة بمصر وأما السلطان سليم فانه لما طلع الى القلعة احتجب عن الناس
ولم يظهر لاحد ولم يجلس على الدكة بالحوش السلطانى جلوسا عاما ولم يفصل بين ظالم ومظلوم
بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأسر وأخذ أموال بغير حق
وكان هذا على غير القياس فانه كان أشيع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم
قبل أن يدخل سليم شاه الى مصر فلم يظهر لهذا الكلام نتيجة ولا مشى سليم شاه على قواعد
السلاطين السالفة ولم يكن له نظام يعرف لا هو ولا وزراؤه ولا أمراؤه ولا عسكره بل كانوا
همجا لا يعرف الغلام من الاستاذ ولما أقام ابن عثمان بالقلعة ربطت العسكر الخيول فى
الحوش الى باب القلعة عند الايوان الكبير و باب الجامع الذى بالقلعة وصار روث الخيل
هناك كأنه كيمان التراب على الارض حتى سد الطريق وأخرب ابن عثمان غالب الاماكن
التى بالقلعة وفك رخامها ونزل به فى المراكب يتوجهون به الى القسطنطينية ولما أقام سليم
شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرميلة من باب القرافة الى سوق الخيل ثم ان العثمانية
نصبوا خيمة فى وسط الرميلة وجعلوا فيها دنان بوزه وخيمة أخرى فيها اجفان حشيش وخيمة
أخرى فيها صبيان مرد لاجل المحارفة كعاداتهم فى بلادهم وفى يوم الجمعة جاءت الاخبار من
بلاد الصعيد بأن السلطان طومان باى قويت شوكته والتف عليه جماعة كثيرة من العربان
واجتمع عنده من الامراء والعسكر الجم الكثير وأشيع انه وصل اليه من ثغر الاسكندرية
زردخاناه ما بين نشاب وقسى وبارود فلما تحقق السلطان سليم شاه ذلك أخذ حذره من الملك
الاشرف طومان باى وصار على رأس أهل مصر طيرة مما جرى عليهم فى الواقعة التى كانت
بالصليبة فخشوا من مثل ذلك وفى صفر وكان مستهله يوم الاحد فى يوم الثلاثاء ثالثه حضر
العلائى على ناظر الخواص وكان قد توجه الى ثغر الاسكندرية فلما حضر أحضر صحبته

جماعة من المماليك الجراكسة كانوا هنالك فأحضرهم فى زناجير ثم أشيع بعد ذلك ان ناظر الخواص كان قد توجه الى   و يقول لهم يا سبحان الله ان كنتم نسيتونا فنحن ما نسينا كم وأرسل يعتب عليهم ويتحرش بهم ثم بعد ايام أشيع أن طومان باى أرسل يقول لابن عثمان ان كنت تروم أن أجعل الخطبة والسكة باسمك وأكون أنا نائبا عنك بمصر وأحمل اليك خراج مصر حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذى أحمله اليك فى كل سنة فارحل عن مصر أنت وعسكرك الى الصالحية وصن دماء المسلمين بيننا ولا تدخل فى خطيئة أهل مصر من كبار وصغار وشيوخ ونساء وان كنت ما ترضى بذلك اخرج ولاقينى فى بر الجيزة ويعطى الله النصر لمن يشاء منا فلما وقف السلطان سليم شاه على مطالعة السلطان طومان باى أرسل خلف أمير المؤمنين والقضاة الاربعة وأحضر جماعة من وزرائه وكتب بحضرتهم صورة حلف الى السلطان طومان باى وكتب ابن عثمان خطه عليها ووقع الاتفاق فى القلعة على ان الخليفة والقضاة الاربعة يتوجهون الى السلطان طومان باى بذلك الحلف على أيديهم ثم ان ابن عثمان خلع على القضاة الاربعة خلعا سنية وقال لهم انزلوا فى هذا الوقت واعملوا برقكم حتى تتوجهوا الى طومان باى نحو الصعيد فنزلوا من القلعة على ذلك ثم ان الخليفة امتنع من التوجه الى السلطان طومان باى وقال انا أرسل دوادارى بردبك الى طومان باى صحبة القضاة الاربعة وأشيع ان المطالعة التى أرسلها طومان باى الى ابن عثمان ذكر فى ذيلها ولا تحسب أنى أرسلت أسألك فى أمر الصلح عن عجز فان معى ثلاثين أميرا ما بين مقدمى ألوف وأربعينات وعشراوات ومعى من المماليك السلطانية والعربان نحو عشرين ألفا وما أنا بعاجز عن قتالك ولكن الصلح أصلح اصون دماء المسلمين ثم فى عقب ذلك توجهت القضاة الاربعة وبردبك دوادار الخليفة الى السلطان طومان باى نحو الصعيد وفى هذه الايام قويت الاشاعات بان السلطان طومان باى جمع من العساكر والعربان ما لا يحصى عددهم وهو زاحف على ابن عثمان فى بر الجيزة فكثر القيل والقال ووقع الاضطراب فى القاهرة بسبب ذلك ثم أشيع ان الامير علان بن قراجا الدوادار الكبير قد توفى بالصعيد ودفن فى بعض الضياع هنالك وصلى عليه السلطان طومان باى والامراء الذين كانوا هنالك وكان الامير علان جرح فى الواقعة التى كانت بالريدانية واستمر عليلا من ذلك الوقت حتى مات هنالك وكان من فحول الامراء وأشجعهم والله غالب على أمره وفى يوم الاثنين سادس عشر صفر تزايد فساد العربان بالشرقية وصاروا يقطعون الطريق على العثمانية ويقتلونهم ويأخذون خيولهم وجمالهم وسلاحهم ونهبوا بلاد عبد الدائم بن أبى الشوارب وأحرقوها ونهبوا عدة بلاد من الشرقية منها قليوب وقلقشنده وغير ذلك من البلاد ووصلوا الى شبرى وصاروا يغدون من شبرى الى قنطرة

الحاجب فلما تزايد الامر أرسل اليهم السلطان سليم شاه تجريدة فيها من العسكر نحو ألف وخمسمائة عثمانى وجعل عليهم جان بردى الغزالى باشا فخرجوا من القاهرة على جهة ونوجهوا الى الشرقية فاقاموا بها أياما فذهبت العربان من وجوههم وصعدوا الى الجبال فرجع العسكر ولم يلاقوهم وفى أثناء هذا الشهر وردت الاخبار من الصعيد بان القضاة الاربعة وبردبك دوادار الخليفة وقاصد ابن عثمان مصلح الدين الذى كان أرسله معهم وجماعة من العثمانيين وصلوا الى قريب البهنسا فخرج عليهم جماعة من الجراكسة فقتلوا العثمانية وهرب بردبك دوادار الخليفة حتى نجا من القتل ونهب جميع ما معه من القماش وغيره وأشيع قتل قاضى البهنسا عبد السلام ونهبوا ما كان مع القضاة من البرك وما سلموا من القتل الا بعد جهد كبير فلما بلغ ابن عثمان ذلك اغتاظ غيظا شديدا وتحقق ان السلطان طومان باى قد أبى الصلح بعد أن أرسل يطلب الامان ثم ان ابن عثمان نقل وطاقه من الجزيرة الوسطى الى بركة الحبش وفى يوم السبت حادى عشرى صفر نزل السلطان سليم شاه من القلعة ومعه الجم الكثير من العساكر ببركة الحبش وتوجه المباشرون صحبته حتى القاضى كاتب السر وأخذ السقائين بجمالهم فضج الناس من العطش لأن السلطان ابن عثمان طلب جميع السقائين بجمالهم وروايا هم ليسافروا معه الى الصعيد بسبب السلطان طومان باى وان كان يهرب منه الى بلاد الزنج ويتبعه فوصل ثمن الراوية الماء أربعة انصاف وفى يوم السبت ثامن عشرى صفر أشيع ان أوائل عسكر السلطان طومان باى قد وصل الى ترسه بالقرب من الجيزة فرسم ابن عثمان بعمل وحسات على شاطئ البحر بجهة طرا لاجل تعدية العسكر وكذلك فى بر مصر العتيقة وفى هذه الايام امتنع جلب البضائع التى كانت تدخل الى القاهرة من الجبن والسمن والاغنام وغير ذلك من البضائع التى كانت تجلب من الجيزة ونواحيها وقليوب وشبرى وغير ذلك من البلاد واضطربت أحوال القاهرة جدا بسبب اقامة هذه الفتنة وفى ربيع الاول وكان مستهله يوم الثلاثاء أشيع ان جان بردى الغزالى لما خرج من بلاد الشرقية كبس على عدة بلاد منها حين وصل الى التل والزنكلون فنهب ما فيها من الابقار والاغنام والاوز والدجاج وأسر نساء الفلاحين وأولادهم الصبيان والبنات وصاروا يبيعونهم فى القاهرة بابخس الاثمان كما فعل اقبردى الدوادار فى الاحامدة وأولادهم فاشترى بعض الناس بنتا باربع أشرفيات واعتقها ووهبها الى أمها وقد رق عليها ثم ان جان بردى الغزالى فعل فى الشرقية ما لم يفعله بختنصر لما دخل الى مصر ثم ان يونس باشا نادى فى القاهرة ان كل من اشترى شيأ من نهب بلاد الشرقية من الابقار والاغنام يرده على أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام الغزالى على فعله ذلك فى الشرقية لوما عنيفا وقد قيل فى المعنى

يا دهر بع رتب المعالى مسرعا * بيع الهوان ربحت أم لم تربح

قدّم وأخر من أردت من الورى * مات الذى قد كنت منه تستحى

وفى يوم الاربعاء ثانى ربيع الاول رسم السلطان سليم شاه بان الامراء الذين كانوا بالقلعة فى الترسيم يحضرون بين يديه فى الوطاق الذى فى بركة الحبش فنزلوا بهم من القلعة شئ على بغال وشئ على حمير وشئ مشاة وهم فى جنازير وعليهم كبورة عتق وعلى رؤسهم كوافى بغير شاشات وقيل كان فيهم من الامراء المقدمين سبعة وهم اركماس أمير سلاح وانسباى أمير اخور وتمر رأس نوبة النوب وطقطباى حاجب الحجاب وتانى بك الخازندار أحد الامراء المقدمين وتانى بك النجمى أحد الامراء المقدمين وقانصوه أبوسنة أحد الامراء المقدمين وأما الامراء الطبلخانات فهم قانى بك رأس نوبة ثانى ومصرباى الاقرع والماس والى القاهرة ومامای الصغير المحتسب ويوسف الاشرفى الزردكاش الثانى وآخرون من الامراء الطبلخانات لم تحضرنى أسماؤهم الآن وأما الامراء العشراوات فجماعة كثيرة لم تحضرنى أسماؤهم فكان مجموع هؤلاء الامراء المقدم ذكرهم أربعة وخمسين أميرا ما بين مقدمى ألوف وغير ذلك فلما مثلوا بين يدى السلطان سليم شاه وبخهم بالكلام ثم أمر بضرب أعناقهم أجمعين فضرب أعناقهم فى الوطاق الذى ببركة الحبش وذلك فى يوم السبت خامس ربيع الاول وصارت أجسادهم مرمية على الارض تنهشهم الكلاب بالنهار والضباع والذئاب بالليل وصارت المرأة من نساء الامراء المقدمين تبرطل المشاعلية بمال له صورة حتى يمكنوها من نقل جثة زوجها فتحضر له تابوتا وحمالين فيحملوه من بركة الحبش الى المدينة فتغسله وتكفنه وتدفنه فى تربته ان كان له تربة وتركت جثث البقية هنالك مرمية تنهشها الكلاب وكانت هذه الكائنة من أعظم الكوائن فى حق الامراء وقد ظهروا بالامان لابن عثمان ثم غدرهم وقتلهم فكان لا يثق أحد له بالامان وليس له قول ولا فعل وقيل كان سبب قتل هؤلاء الامراء أن السلطان طومان باى لما قتل قاصد ابن عثمان وجماعة من عسكره الذين توجهوا صحبة القضاة الاربعة لما طلب طومان باى الامان من ابن عثمان فلما فعل ذلك طومان باى علم ابن عثمان أنه قد أبى من الصلح فقتل هؤلاء الامراء ظلما بعد أن أعطاهم الامان وكان ذلك من شدة غيظه وحنقه وقد قلت فى هذه الواقعة

جل الذى أفنى عساكر مصرنا * من دولة أتراكها من جركس
وأتت الينا دولة عوجاء من * أولاد عثمان ذوى الفعل المسى
قتلوا أكابرنا بأيسر حيلة * عملت عليهم لا بأسهام القسى
ياليت شعرى دولة الاتراك هل * تأتى كما كانت ونذكر ما نسى

ومن الحوادث أن السلطان سليم شاه لما قتل هؤلاء الامراء أرسل فقبض على نسائهم ورسم عليهن وأرسلهن الى بيت ناظر الخاص وأشيع انه يقصد مصادرتهن وقرر عليهن مالا يوردنه

فاقن فى بيت ناظر الخاص أياما ولم يوردن من المال شيأ فنقلوهن الى بيت الدفتردار فقصد أن يعاقبهن وقيل سجن منهن جماعة فى الجرة حتى يوردن ماقرر عليهن من المال ورسم على مباشرى الامراء الذين قتلوا حتى يقيموا حساب اقطاعاتهم فاقاموا فى الترسيم مدة وفى يوم الاحد سادس ربيع الاول عدى السلطان سليم الى بر الجيزة بسبب قتال الاشرف طومان باى وقد بلغه انه وصل الى المنوات ومعه من العربان والعسكر ومن المماليك الجراكسة الجم الكثير فلما عدى الى بر الجيزة أقام بها الى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الاول فتلاقى عسكر ابن عثمان وعسكر السلطان طومان باى على وردان وقيل على المنوات فكان بين الفريقين واقعة لم يسمع بمثلها أعظم من الواقعة التى كانت بالريدانية وقيل كانت هذه الواقعة عند كوم الحمام وانكسر عسكر ابن عثمان فوق مامرة وطردتهم الاتراك الجراكسة حتى ألقوا أنفسهم فى البحر وكانت الكسرة عليهم أولا وقتل منهم جماعة كثيرة ثم بعد ذلك تكاثرت العثمانية على الاتراك وطرشهم الرماة بالبندق الرصاص فهزموهم هزيمة منكرة ووقعت الكسرة على الاتراك وولى السلطان طومان باى مهزوما فتوجه الى قرية تسمى البوطة فى أعلى تروجه وهذه خامس كسرة وقعت على عسكر مصر وكان السلطان طومان باى ليس له سعد فى حركاته كلما رام أن ينتصر على ابن عثمان ينعكس كما يقال فى المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول مايجنى عليه اجتهاده

فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر قطع رؤس المماليك الجراكسة وقطع رؤس جماعة كثيرة من العربان الذين كانوا مع السلطان طومان باى فلما تكامل قطع الرؤس رسم ابن عثمان باحضار مراكب فلما حضرت وضعوا فيها رؤس الذين قتلوا فلما عدوا الى بولاق صنعوا مدارى خشب وعلقوا عليها تلك الرؤس وحملتها النواتية على أكتافهم ولاقتهم الطبول والزمور ونادوا فى القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة وشقوا بتلك الرؤس من البحر الى باب القنطرة وطلعوا بهم على سوق مرجوش وشقوا بهم من القاهرة وكان لهم يوم مشهود وقيل كان عدة الرؤس الذين قتلوا فى هذه الواقعة ودخلوا القاهرة نحو ثمانمائة رأس ما بين أتراك وعربان وغير ذلك والذين قتلوا هناك وألقوهم فى البحر أكثر من ذلك وفى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الاول كانت ليلة المولد النبوى فلم يشعر به أحد من الناس وبطل ما كان يعمل فى ليلة المولد من اجتماع العلماء والقضاة الاربعة والامراء بالحوش السلطانى والاسمطة التى كانت تعمل فى ذلك اليوم وما كان يعطى للقريين والفقراء من الشقق والانعام فى تلك الليلة فبطل ذلك جميعه وأشيع ان ابن عثمان لما طلع الى القلعة وعرضت عليه الحواصل التى بها رأى خيمة المولد فباعها للمغاربة باربعمائة دينار فقطعوها قطعا وباعوها للناس ستائر وسفر وكانت هذه الخيمة من جملة عجائب الدنيا لم يعمل مثلها قط قيل ان مصروفها

على

على الاشرف قايتباى ثلاثون ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكانت غاية فى التجمل حين تنصب ليلة المولد الشريف وكانت كهيئة قاعة ولها أربعة لواوين وفوقها قبة بقمريات والكل من قماش وكان فيها تقاصيص غريبة وفصوص غريبة وصنائع لا يعمل الآن مثلها أبدا وكانت اذا نصبت أيام المولد يحضرون بجماعة من النواتية نحو خمسمائة انسان حتى ينصبوها فى الحوش السلطانى وكانت من جملة شعائر المملكة السلطانية بالقاهرة فابتيعت بأبخس الاثمان ولم يعرف ابن عثمان قيمتها وفقدتها الملوك من ذلك الوقت وهذه من جملة مساويه التى فعلها بمصر وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما بلغه أن الدفتردار رسم على نساء الامراء الذين قتلوا أنكر على الدفتردار ذلك وأمر باطلاقهن من الترسيم وأمر أن لا يأخذ أحد منهن شيأ و يترك لهن ما تأخر عليهن من المال فارتفعت له الاصوات بالدعاء ولم يظهر لهذا الكلام نتيجة فيما بعد واستمرت المصادرات عمالة كما كانت بل ازدادت أضعافا وفيه جاءت الاخبار من البهنسا بأن قاضى القضاة الحنفى حسام الدين محمود ابن قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة قد قتل هو وأخوه أبو بكر وكان السلطان سليم شاه أرسله مع القضاة الثلاثة الى السلطان طومان باى بالبهنسا لما أرسل يطلب من ابن عثمان الامان فكتب له أمانا وصورة حلف وأرسله على يد قاضى القضاة وأرسل صحبتهم أميرا من أمرائه و جماعة من العثمانية فلما وصلوا هناك لم يوافق السلطان طومان باى على الصلح ولم يمكنه الامراء من ذلك وثاروا على جماعة ابن عثمان وقتلوهم عن آخرهم وقتلوا عبد السلام قاضى البهنسا وقتلوا قاضى القضاة محمود بن الشحنة و يقال ان سبب قتله ان أخاه أبا بكر كان عنده عترسة وملوحة رقبة فلهذا سماه الناس الموتر فزعموا أنه غمز على شخص من المماليك الجراكسة كان مختفيا فى مكان فدل العثمانية عليه فهجموا على ذلك المملوك وقطعوا رأسه فلما سافر قاضى القضاة محمود بن الشحنة الى السلطان طومان باى بسبب الامان الذى أرسله اليه ابن عثمان سافر أبو بكر صحبة أخيه محمود الى البهنسا فثارت الجراكسة على جماعة ابن عثمان فقتلوهم هناك فكان لذلك المملوك الذى قتل أخ هناك فغمزه بعض المماليك على أبى بكر وقالوا له هذا الذى غمز على أخيك حتى قطعوا رأسه فوثب ذلك المملوك على أبى بكر وقطع رأسه هناك فتعصب له أخوه محمود بن الشحنة فوثبوا عليه فقطعوا رأسه أيضا ودفنا هناك هذا ما أشيع واستفاض بين الناس من أمرهما ولما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر أقام فى بر الجيزة أياما وسار من هناك وتفرج على الاهرام وتعجب من بنائها وفى يوم الاربعاء سادس عشره نادوا فى القاهرة بابطال الفلوس العتق وضربوا للناس فلوسا جددا كل اثنين بدرهم وعليها اسم سليم شاه وكانت فى غاية الخفة فتضرر الناس منها الى الغاية وفى أثناء هذا الشهر كانت وفاة صاحبنا الناصرى محمد الاشقر شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس

وكان أصيلا عريقا من ذوى البيوت وكان والده القاضى محب الدين الاشقر ولى نظارة الجيش وكتابة السر بالديار المصرية وكان من أعيان الرؤساء رحمة الله عليه مات وله من العمر فوق الثمانين سنة وكان عنده لين جانب مع تواضع زائد وكان أسمر اللون جدا كانت أمه جارية حبشية مستولدة الاشقر ومن هنا نرجع الى أخبار السلطان طومان باى فانه لما تلاقى مع عسكر ابن عثمان على المنوات وقيل بوردان انكسر عسكر السلطان طومان كما تقدم القول على ذلك فتوجه طومان باى الى نحو تروجة بالغربية منهزما فلاقاه حسن ابن مرعى وشكر ابن أخيه مشايخ البحيرة فى ضيعة تسمى البوطة فعزما على السلطان طومان باى ليضيفاه وكان حسن بن مرعى بينه وبين السلطان طومان باى صداقة قديمة فركن له السلطان طومان باى ونزل عنده على سبيل الضيافة ثم ان السلطان طومان باى أحضر الى حسن بن مرعى وشكر مصحفا شريفا وحلفهما عليه أنهما لا يخونانه ولا يغدران به ولا يدلسان عليه بشئ من الاشياء ولا بسبب من أسباب المسك ولا يدلان عليه فحلفا له على المصحف سبعة أيمان يعنى ذلك فطاب قلب السلطان طومان باى عند ذلك ونزل عندهما فلما استقر عندهما احتاطت به العربان من كل جانب وهو لا يدرى بما به المقادير تجرى ثم انهما أرسلا الى السلطان سليم شاه أعلماه به فأرسل اليه جماعة من عسكره فقبضوا عليه ووضعوه فى الحديد وتوجهوا به الى ابن عثمان ولما رأى من كان مع السلطان طومان باى من الامراء والعسكر أنهم قبضوا عليه تفرقوا من حوله وتشتتوا فى البلاد وتمت الحيلة على السلطان طومان باى وخانه حسن بن مرعى بعد أن حلفه على المصحف الشريف وركن اليه وكان حسن بن مرعى من أعز أصحاب السلطان طومان باى وله عليه غاية الفضل والمساعدة من أيام السلطان الغورى وقام بما عليه من المال مرارا فلم يذكر له من هذه الاخلاق شيأ ولا أثر فيه الخير فكان كما قيل فى المعنى

لا تركنن الى الحريف فماؤه * مستوخم وهواؤه خطاف
يمشى مع الاجسام مشى صديقها * ومن الصديق على الصديق يخاف

فلما أحضروا السلطان طومان باى بين يدى ابن عثمان وهو لابس مثل لبس العرب الهوارة وعلى رأسه زنط وعليه شاش وعلى بدنه ملوطة بأكمام طوال فلما وقعت عين ابن عثمان عليه قام له ثم عاتبه ببعض كلمات فلما أخرجوا به من قدامه توجهوا به الى خيمة من الخيام فأقام بها واحتاطت به الانكشارية بالسيوف لاجل الحفظ به فأقام هناك أياما وهو بوطاق ابن عثمان ببر انبابه وفيه وردت الاخبار الى القاهرة بمسك السلطان طومان باى فصارت طائفة من الناس تكذب بمسكه وطائفة تصدق ذلك فأقام السلطان طومان باى فى الوطاق عند ابن عثمان وهو فى الحديد الى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الاول من تلك السنة وكان ذلك اليوم يوم الخماسين وهو يوم فطر النصارى وعيدهم الاكبر فعدوا بالسلطان

طومان

طومان باى من برانبابه الى بولاق وطلعوا به من هناك وهو راكب على اكديش وهو فى الحديد وعليه لبس العرب الهوّارة كما تقدم وكانت مدة اقامته فى الوطاق على تلك الحالة نحو سبعة عشر يوما وأشيع أن ابن عثمان قصد ان يرسل طومان باى الى مكة ولا يقتله ثم بداله بعد ذلك ماسنذكره فلما علم ابن عثمان أن الناس لا تصدق بمسك طومان باى حنق من ذلك وعدى به الى بولاق فلما طلع الى بولاق وشق من المقس كان قدامه نحو أربعمائة عثمانى ورماة بالنشاب فطلع من جهة سوق مرجوش وشق من القاهرة فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل الى باب زويلة وهو لا يدرى ما يفعل به فلما أتوا الى باب زويلة أنزلوه عن فرسه وأرخوا له الحبال ووقفت حوله العثمانية بالسيوف مسلولة فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة وقال للناس الذين حوله اقرأوا الى الفاتحة ثلاث مرات ثم بسط يده وقرأ الفاتحة ثلاث مرات وقرأت الناس معه ثم قال للمشاعلى اعمل شغلك فلما وضعوا الخية فى رقبته ورفعوا الحبل انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع على الارض ثم يعلقونه وهو مكشوف الرأس وعلى جسده شاياه جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار وفى رجليه لباس من جوخ أزرق فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والاسف فانه كان شابا حسن الشكل كريم الاخلاق سنه نحو أربع وأربعين سنة وكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب بنفسه وفتك فى عسكر ابن عثمان وقتل منهم مالا يحصى وكسرهم ثلاث مرات وهو فى نفر قليل من عسكره ووقع منه فى الحرب أمور لم تقع من الابطال العناترة وكان لما سافر عمه السلطان الغورى جعله نائب الغيبة عنه الى أن يحضر من حلب فساس الناس فى غيبة السلطان أحسن سياسة وكانت الناس عنه راضية فى غيبة السلطان وكانت القاهرة فى تلك الايام فى غاية الامن من المناسر والحريق وغير ذلك ولما مات السلطان الغورى عمه وتسلطن عوضه أبطل من المظالم أشياء كثيرة مما كان يعمل فى أيام الغورى ولم يشوش على أحد من المباشرين فى مدة سلطنته ولما وصل ابن عثمان الى الشام وقصد أن يخرج اليه قيل له ان الخزائن خالية من الاموال فقال له الامراء وجماعة المباشرين افعل كما فعل السلطان الغورى وخذ أجرة الاماكن التى بالقاهرة سبعة أشهر وخذ من الرزق والاقطاعات خراج سنة فلم يسمع لهم شيأ وأبى من ذلك وقال ما أجعل هذا مسطرا فى صحيفتى وكان ملكا جليلا قليل الاذى كثير الخير وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فانه تسلطن رابع عشر رمضان وانكسر وهرب تاسع عشرى ذى الحجة وكان فى هذه المدة فى غاية التعب والنكد وقاسى شدائد ومحنا وحروبا وشرورا وهجاجا وتشتت فى البلدان وآخر الامر شنق على باب زويلة وأقام ثلاثة أيام

وهو معلق حتى فاحت رائحته وفي اليوم الثالث أنزلوه وأحضروا له تابوتا ووضعوه فيه وتوجهوا به الى مدرسة السلطان الغوري عمه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في الحوش الذي خلف المدرسة ومضت دولته كأنها لم تكن وقد قلت من أبيات

لهفي على سلطان مصر كيف قد * ولى وزال كأنه لن يذكرا
شنقوه ظلما فوق باب زويلة * ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا
يارب فاعف عن عظائم جرمه * واجعل جنان الخلد رب له قرى

وكان شنق السلطان طومان باى من غايات سعد السلطان سليم شاه بن عثمان ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الزمان أن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط ولم يعهد مثل هذا ومن عهد شاه سوار الذي كلبوه على باب زويلة لم يعلق أحد ممن له شهرة طائلة غير السلطان طومان باى ثم ان ابن عثمان لما شنق طومان باى صفا له الوقت وفعل بعد ذلك أمورا يأتي الكلام عليها ثم أخذ في أسباب التوجه الى نحو بلاد القسطنطينية فأشيع أنه يجعل يونس باشا نائبا عنه بمصر ثم خلع على شخص من جماعته وقرره نائب غزة وخلع على شخص آخر وقرره نائب القدس فخرجا من القاهرة في أواخر هذا الشهر وقدامهما طبلان وزمران وجنائب وخرجا في موكب حافل وفي يوم الاربعاء ثالث عشريه صنع بعض النفطية الى السلطان نفطا وتوجه به الى وطاقه بانبابه فأحرقوه قدامه بالوطاق ومن الحوادث المهمة انه قد أشيع أن السلطان سليم شاه عوّل على جماعة من أهل مصر من أعيانهم يرسلهم الى اسطنبول وفي يوم الجمعة خامس عشريه أتى السلطان سليم شاه من وطاقه الذي في انبابه وعدى الى بولاق وتوجه الى القاهرة وشق من باب الخرق ودخل من باب زويلة وتوجه من هناك الى الجامع الازهر وزينت له القاهرة فصلى بالازهر صلاة الجمعة وتصدق هناك بمبلغ له صورة ثم توجه الى بولاق من الطريق التي أتى منها وكان في موكب حافل ثم بعد أيام أشيع أنه دخل الى حمام الاستدار التي ببولاق فأتى من الرملة ولم يشق بولاق وكان أهل بولاق زينوا له السوق ولما خرج من الحمام عاد من الطريق التي أتى منها وقيل انه أنعم على الحامي في ذلك اليوم بعشرين دينارا وأعجبته حمام بولاق وشكرها ثم عاد الى الوطاق ثم ان جماعة من وزراء ابن عثمان وأهل مشورته جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون جماعة من القضاة والشهود والمباشرين وأعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية وجماعة من البزدارية والرسل وجماعة من السوقة المتسببين في البضائع وطائفة من البنائين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين وغير ذلك من أرباب الحرف حتى طلبوا جماعة من أعيان اليهود فلما تكامل عرضهم في المدرسة الغورية عينوا جماعة منهم أن يسافروا الى اسطنبول

فكتبوا

فكتبوا أسماءهم فى قوائم وألزموا كل واحد منهم بأن يحضر له ضامنا يضمنه فلما أحضروا لهم الضمان أطلقوهم الى حال سبيلهم و يأتى الكلام بعد ذلك فى أمورهم وماتم لهم فى هذه الحركة وفى يوم الاحد سابع عشريه قبض الوالى على شخص من العثمانية قيل انه خطف امرأة من السوق وزنى بها فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه فقطع رأسه فى الحال وطاف بها فى القاهرة وهى على رمح فظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم عدل عظيم لعل أن يعتبر بقية عسكره و يكفوا عن الاذى وفى أثناء ذلك الشهر وقع أن ابن عثمان شرع فى فك الرخام الذى بالقلعة فى قاعة البيسرية والدهيشة وقاعة البحرة والقصر الكبير وغير ذلك من أماكن بالقلعة وفك العواميد السماقية التى كانت فى الايوان الكبير قيل انه قصد أن ينشئ له مدرسة فى اسطنبول مثل مدرسة السلطان الغورى فلم يتيسر له ذلك ثم صار يحيى بن بكار يركب و يأخذ معه جماعة من المرخمين فيهجمون قاعات الناس و يأخذون ما فيها من الرخام السماقى والزرزورى الملون فأخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين و بيوت الامراء قاطبة حتى القاعات التى ببولاق وقاعات الشهابى أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص التى على بركة الرطلى وغير ذلك من قاعات المباشرين والتجار وأبناء الناس والمدارس التى فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها ولم يعرفوا الحلال من الحرام وفيه نادوا فى القاهرة بابطال الفلوس العتق وضربوا للناس فلوسا جددا خفافا جدا فخسر الناس الثلث ووقف حال الناس بسبب ذلك فصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفلوس العتق وسعر بالفلوس الجدد وفيه صاروا يقبضون على جماعة من مباشرى الامراء و يقولون لهم حاسبونا على خراج الامراء الذين قتلوا فى المعركة وفى ربيع الثانى وكان مستهله يوم الاربعاء أشيع انه قد حضر قاصد من شاه اسمعيل الصوفى وعلى يده مطالعة لابن عثمان فلما قرأها تنكد وقصد أن يقبض عليه فهرب ذلك القاصد من عند ابن عثمان وكان بالمقياس فلما هرب صاروا يكبسون بيوت مصر العتيقة و بيوت الروضة فلم يحصلوه لا فى البر ولا فى البحر فحصل لاهل مصر العتيقة غاية الضرر من كبس البيوت بسبب هروب هذا القاصد فمن الناس من يقول انهم قبضوا عليه فيما بعد وقطعوا رأسه ومنهم من يقول انهم لم يحصلوه واستمر هاربا ومن الحوادث أن شخصا من التجار الاروام كان له دين على الزينى عبد القادر الملكى وأخيه أبى بكر بن الملكى نحو خمسة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار فكان كلما طالبهما سوفا به ومطلاه وتماديا على ذلك مدة طويلة فشكاهما الى الدفتردار فأرسل خلفهما فلما حضرا اعترفا لذلك التاجر بالقدر المذكور فأمرهما الدفتردار بأن يدفعا له ذلك فقالا ما معنا شئ من المال ولكن يصبر حتى يبعث الله لنا بشئ من المال فندفع له حقه

فقال لهما مابقيت أصبر عليكما فخنق منهما الدفتردار وأمر بسجن عبد القادر وأخيه أبي بكر فسجنا في سجن الديلم وأقاما به أياما حتى سعى لهما الشهابي أحمد بن الجيعان وأطلقا من السجن ثم استرضوا ذلك التاجر حتى أفرج عنهما وفي أوائل هذا الشهر حضر قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي المالكي محيي الدين بن الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوحي وكانوا توجهوا الى نحو البهنسا بسبب الأمان الذي توجهوا به من عند ابن عثمان الى السلطان طومان باي ولم يفد توجه هؤلاء القضاة اليه شيأ ولما حضر هؤلاء القضاة أخبروا بصحة قتل قاضي القضاة حسام الدين محمود بن الشحنة الحنفي وأخيه أبي بكر وقد تقدم القول على سبب قتلهما ودفنا هنالك وفي يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى الى المقياس وكان في ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد أن يغرق فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه الى الروضة ومصر العتيقة ثم ان أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر العتيقة وسكنوا في دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام وكان وزراؤه يعدون الى الروضة في كل يوم ويطالعونه بالامور التي يفعلونها في الناس من خير أو شر وفي يوم الثلاثاء سابعه توفيت ابنة الامير يشبك بن مهدي أمير دوادار وهي زوجة قاني باي أمير اخور كبير وقاست قبل موتها شدائد ومحنا وصودرت غير ما مرة من السلطان الغوري ومن ابن عثمان أيضا واستمرت مختفية حتى ماتت وكانت من أعيان الستات في سعة من المال وكانت لابأس بها وفيه خلع السلطان على شخص من العلماء يقال له الشيخ شمس الدين بن يس الطرابلسي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن محمود بن الشحنة بحكم قتله كما تقدم وفيه وقعت كائنة عظيمة لخوند ابنة المقر اقبردي الدوادار وهي زوجة السلطان طومان باي وذلك انه كان عندها جارية بيضا جركسية رقاصة فهربت من عندها وتوجهت الى بعض وزراء ابن عثمان فعرفته بمكان حاصل سيدتها فتوجهوا اليه ونقلوا كل ما كان فيه من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد سمور ووشق وحياصات ذهب ولؤلؤ وجوهر مرصع وكوامل ذهب وغير ذلك من الامتعة الفاخرة وأواني بلور وأواني فضة ونحاس مكفت بالذهب وصيني موشى بلازورد وغير ذلك فنقلوا جميع ما كان لها في الحاصل فذهب لها أشياء كثيرة بنحو خمسين ألف دينار وما قنع ابن عثمان بذلك فصادرها وقرر عليها وعلى والدتها بنت العلائي علي بن خاص بك عشرين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك القدر فحصل لها ولوالدتها الضرر الشديد وقاستا شدائد عظيمة ومحنا وبهدلة وتهديدا بالقتل وما جرى عليها ما خير وفي يوم الجمعة سابع عشره رسم الدفتردار باخراج طائفة من اليهود ممن كان تعين الى السفر الى اسطنبول فخرجوا في ذلك اليوم جملة واحدة فنزلوا في المراكب وتوجهوا الى ثغر

الاسكندرية

الاسكندرية الى أن يمضوا الى اسطنبول فأخذوا نساءهم وأولادهم ومضوا وفى عقيب ذلك خرجت طائفة من البنائين والمهندسين والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين وفيهم البعض من النصارى وطائفة من الفعلة وذلك بسبب المدرسة التى أراد ابن عثمان أن ينشئها باسطنبول مثل مدرسة السلطان الغورى وأشيع أنه أرسل طائفة من المغاربة أيضا تقيم باسطنبول وفى يوم السبت ثامن عشره خرج الى السفر لاسطنبول طائفة أخرى من نواب القضاة والشهود فمنهم القاضى شمس الدين الحلبى أحد نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدلة من الضرب والصك وأنزلوه المركب على رغم أنفه ومنهم الزينى زين الدين الشرنقاشى أحد نواب الحنفية والقاضى شمس الدين بن جمال الدين الاتميدى أحد نواب الشافعية والقاضى بدر الدين البلقينى نقيب قاضى القضاة الشافعى والقاضى شهاب الدين بن الهيثمى أحد نواب الحنابلة والشريف البرديني الحنفى وآخرون من نواب القضاة الاربعة وخرج فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من تجار الشرب والوراقين منهم محمد المسكى الاسود ومن تجار الباسطية شهاب الدين الخطيب الاسمر ومن تجار خان الخليلى وغيره وخرج يوسف الذى كان ناظر الاوقاف وخرج ابن شقيرة التاجر الذى بجرجوش ومن تجار الهرامزة وغير ذلك من التجار والاعيان من مشاهير الناس فهؤلاء خرجوا فى ذلك اليوم ثم تبعهم طائفة أخرى يأتى الكلام عليها وكانت هذه الواقعة من أبشع الوقائع المنكرة التى لم يقع لاهل مصر قط مثلها فيما تقدم من الزمان وهذه عبارة عن أسر المسلمين ونفيهم الى اسطنبول وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه أشيع بين الناس أن ابن عثمان كان فى اصبعه خاتم من الفضة وهو مرصود للمقابلة وكان يتبرك به فسقط من اصبعه فى البحر وهو فى المقياس فتأسف عليه غاية الاسف وأحضر الغطاسين فغطسوا عليه عدة مرار فلم يجدوه فى ذلك المكان ويقال ان هذا الخاتم كان فى ذخائر أجداد ابن عثمان حتى فقد منه وفى أواخر هذا الشهر أرسل ابن عثمان يقول لامير المؤمنين اعمل برقك حتى تسافر الى اسطنبول فلما تحقق الخليفة ذلك اضطربت أحواله وشرع فى عمل برقه وقال سافر أنت وأولاد عمك خليل وصهرك محمد بن خاص بك فلما بلغهم ذلك تنكدوا أجمعون وفيه نزل ابن عثمان بالرخام الذى فكه من القلعة فوضعه فى صناديق خشب ونزلوا به فى المراكب ليتوجهوا به الى اسطنبول ومن العجائب أن السلطان الغورى ظلم أولاد ناظر الخاص يوسف وأخذ رخام قاعتهم التى تسمى بنصف الدنيا وجعل ذلك الرخام فى قاعة البيسرية فسلط الله تعالى عليه بعد موته ابن عثمان ولم ينتفع به أحد من بعده والمجازاة من جنس العمل وقد خرج هذا الشهر على الناس وهم فى أمر مريب مما جرى عليهم من ابن عثمان ومن حين فتح عمرو بن العاص مصر لم يقع لاهلها شدة أعظم من هذه الشدة

وفى شهر جمادى الاولى وكان مستهله يوم الجمعة ففى ذلك اليوم خرج المقر العلائى على ابن
الملك المؤيد أحمد بن الملك الاشرف اينال وكان تعين الى السفر الى اسطنبول فخرج فى ذلك
اليوم وخرج جماعة من الفقهاء وأعيان التجار ممن تعين الى اسطنبول فنهم شمس الدين بن
روق وكان القاضى بدر الدين بن الوقاد أحد نواب الحنفية تعين الى السفر الى اسطنبول فلما
تحقق ذلك اختفى وحصل على نقيب الجيش من الدفتردار ما لا خير فيه وبهدله وهم بضربه
لانه كان ضامنه وفى يوم السبت ثانى الشهر عرض السلطان سليم شاه عسكره ببر الجيزة
وعين منهم جماعة يسافرون صحبته الى ثغر الاسكندرية وأشيع سفره الى هنالك وفى يوم
الاثنين رابعه عدى ابن عثمان من المقياس الى بر مصر العتيقة وشق من جامع ابن طولون
وطلع الى القلعة ثم عاد من يومه الى المقياس وأقام به ومن الحوادث أن شخصا من نواب
الشافعية قيل عنه انه زوج امرأة من نساء الاتراك لشخص من العثمانية فظهر أنها لم تكمل
عدة زوجها الذى مات فدلس ذلك على القاضى الذى زوجها الى العثمانى فلما رفع أمرها
الى ابن عثمان أحضر ذلك القاضى ولم يقبل له عذرا وبطحه وضربه ضربا شديدا ثم كشف
رأسه وألبسه عليها كرشا من كروش البقر بروثه وركبه على حمار مقلوبا وأشهره
فى القاهرة وكان قبل ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن لا أحد من قضاة مصر يعقد عقدا
لعثمانى ولا يزوجه بأحد من نساء الاتراك وكذلك الشهود وحرج عليهم فى ذلك الى الغاية
فلم يسمع له قضاة مصر شيأ من ذلك وصاروا يزوجون العثمانية بنساء الاتراك الذين قتلوا فى
الحرب كما تقدم القول على ذلك وفى يوم الخميس سابع هذا الشهر نزل السلطان سليم شاه
من المقياس فى مراكب هو وجماعة وقصد التوجه الى ثغر الاسكندرية وقيل كان معه
من فرسان عسكره الف فارس وتوجه يونس باشا من البر على ترقجه بعسكر آخر يلاقيه
من هنالك وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الاولى خرج أمير المؤمنين المتوكل على الله
قاصد السفر الى اسطنبول وخرج صحبته أولاد عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد
وخرج صحبته الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك صهر الخليفة وخرج الشرفى يونس
ابن الاتابكى سودون العجمى وآخرون من الاعيان فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هنالك فى
المراكب ليتوجهوا الى ثغر رشيد فحصل للناس على فقد أمير المؤمنين من مصر غاية الاسف
وقالوا قد انقطعت الخلفاء من مصر وصارت باسطنبول وهذه من الحوادث المهولة ثم ان
الخليفة عوّم من بولاق الى رشيد ثم بعد ذلك وردت الاخبار بأن الخليفة مقيم بالمركب ببر
بولاق الى يوم الثلاثاء تاسع عشره فعوّم فى أثناء ذلك اليوم من بولاق وتوجه الى رشيد ثم بعد
ذلك وردت الاخبار بان الخليفة قد وصل الى ثغر رشيد وأقام به هو وجماعة من الذين سافروا
ثم دخلوا الى ثغر اسكندرية ووجدوا الصهاريج التى بها مشحونة من الماء فبلغ ملء كل

كراز خمسة أنصاف وذلك من كثرة الخلق الذين اجتمعوا هنالك ولا سيما لما دخل اليها عسكر
ابن عثمان وأشيع أن السلطان سليم شاه لما دخل ثغر الاسكندرية رسم بان الجماعة الذين
أتوا من مصر يسجنون فى الخانات وفى أبراج الاسكندرية الى أن يتكاملوا ثم يسافرون
دفعة واحدة فوضعوهم فى الابراج ونساءهم فى الخانات فقاسوا مشقة عظيمة بسبب ذلك
وخرج فى عقيب ذلك مقدم المماليك سنبل وسافر الى اسطنبول ونائبه جوهر وقيل توجه
سنبل الى بيت المقدس من بعد ذلك وفى يوم الجمعة ثانى عشرى جمادى الاولى خرج الى
السفر الى اسطنبول الشهابى أحمد ناظر الجيش وابن الجمالى يوسف ناظر الخاص وخرج
صحبته بدر الدين وأخوه كمال الدين وخرج ناصر الدين العزى ويحيى بن الطنساوى موقع
الدرج وخرج جان بك دوادار طراباى وفى يوم الجمعة المقدم ذكره حضر السلطان سليم
شاه من ثغر الاسكندرية فكانت مدة غيبته فى هذه السفرة خمسة عشر يوما ذهابا وايابا
وقيل انه أقام بثغر الاسكندرية ثلاثة ايام لاغير ودخل عليه من التقادم من مشايخ
العربان بالغربية شئ كثير ما بين خيول وجمال وأبقار وغير ذلك فلما حضر أتى الى المقياس
وشق من جهة الروضة بالمراكب فانطلقت له النسوان من الطيقان بالزغاريت وفى يوم
السبت ثالث عشريه عرض يونس باشا الذى قرر نائب السلطنة بمصر عسكر ابن عثمان
ذلك اليوم وأشيع أن ابن عثمان قد طرقته الاخبار الرديئة من عند الصوفى وأنه قد زحف
على بلاده وملك منها عدة بلاد وفى يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الاولى خرج الى السفر
الى اسطنبول الشيخ زين العابدين ابن قاضى القضاة الشيخ كمال الدين الشافعى الطويل
فكثر عليه الاسف والحزن فانه كان محببا للناس وخرج زين الدين البتنونى ناظر المواريث
أيضا وآخرون من مباشرى المواريث وخرج جماعة من الزردكاشية منهم يحيى بن
يونس ومحمد العادلى المعروف بابن البدوية وزين الدين بن محمود الاعور وأحمد بن الهوارى
وآخرون من صناع الزردخانه وخرج ابراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة من مباشرى
الحوشكانه وفى أثناء هذا الشهر توفى تقى الدين بن الطربنى كاتب الشعير بالشون
السلطانية وكان لا بأس به وفى يوم السبت سلخ هذا الشهر طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل
المبارك وجاءت القاعدة ثمانية أذرع وستة عشر اصبعا وكانت القاعدة فى العام الماضى
لما أخذ قاع النيل اثنى عشر ذراعا حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وفى جمادى الآخرة
وكان مستهله يوم الاحد فى ذلك اليوم كان أول المناداة على النيل المبارك فزاد ثلاثة أصابع
وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم شاه خلع على وزيره يونس باشا وقرره نائبا عنه
بمصر وأعمالها اذا سافر الى بلاده فلما تقرر يونس باشا فى النيابة بمصر وأشيع سفر ابن
عثمان ظهر جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وتزيوا بزى العثمانية ولبسوا

الطراطير والقفاطين الحرير وصار وايخالطون العثمانية ويركبون معهم فى الاسواق
بطول النهار وفى يوم الاربعاء رابع هذا الشهر نادى السلطان فى عسكره بان كل من
كان متزوجا من مصر بامرأة يطلقها والا يشنق من غير معاودة فنهم من طلق زوجته
ومنهم من أبقاها فى عصمته ومن الحوادث ان القاضى بدر الدين بن الوقاد لما تعين للسفر
الى اسطنبول وضمنه نقيب الجيش تخاص واختفى أياما فغمز عليه فقبضوا عليه من المكان
الذى كان به فلما أحضروه بين يدى الدفتردار وبخه بالكلام وبطحه على الارض وهم
بضربه حتى شفع فيه بعض الحاضرين وقاسى من البهدلة والسب ما لاخير فيه وغرم
مالاله صورة وآخر الامر سافر الى اسطنبول والذى خاف منه قد وقع فيه وفى يوم الخميس
خامسه عدى السلطان سليم شاه من الروضة وطلع الى الرميلة وعرض عسكره فى
الميدان الذى تحت القلعة وعين منهم جماعة يقيمون بمصر صحبة يونس باشا وعين جماعة
يسافرون صحبته ورسم للمشاة من عسكره بان يسافروا فى البحر واستمر يعرض عسكره
ثلاثة أيام متوالية وفى ذلك اليوم خرج حريم ملك الامراء خاير بك وحريم جان بردى
الغزالى للاقامة بحلب الى أن يأتى السلطان هناك وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان
عن قريب وفى يوم الجمعة سادس هذا الشهر خرج جماعة من المباشرين للسفر الى
اسطنبول منهم القاضى عبد الكريم أخو الشهابى أحمد بن الجيعان كاتب الخزائن
الشريفة وخرج الناصرى محمد ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان كاتب الخزائن أيضا
وخرج الزينى عبد القادر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش وخرج شخص من أولاد
ابن البارزى يقال له بهاء الدين وخرج محمد المجولى مهتار السلطان الغورى بالطشتخاناه
الشريفة وخرج عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخانة وولده زين الدين وخرج فى
ذلك اليوم بعض نصارى من كتاب الخزينة وخرج كمال الدين برددار الطرابية وخرج
فرج الدين البريدى رأس نوبة حاجب الحجاب وخرج فتح الدين بن نخيرة أحد كتاب المماليك
وخرج جماعة كثيرة من البرددارية والرسل وأرباب الصنائع من كل فن ممن تعين الى
اسطنبول وخرج الشهابى أحمد بن البدرى وحسن بن الطولونى معلم المعلمين وخرج يحيى
شكاردوادار وشيخ سوق الغزل بدر الدين وخرج ابراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة كثيرة
غير هؤلاء فى أوقات متفرقة ونزلوا فى المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية ومن هناك
يتوجهون الى اسطنبول وقيل ان عدة من خرج من أهل مصر الى اسطنبول ألف وثمانمائة
انسان وقيل دون ذلك وقيل ان السلطان سليم شاه لما أخذ من مصر هؤلاء الجماعة
أحضر غيرهم من اسطنبول يقيمون بمصر عوضا عن الذين خرجوا منها وقيل ان هذه عادة
عندهم اذا فتحوا جهة أخذوا من أهلها جماعة يمضون الى بلادهم ويحضرون من بلادهم

جماعة

جماعة يقيمون فى تلك المدينة عوضا عن الجماعة الذين أخذوهم وفيه نادوا فى القاهرة أن لا عبد ولا جارية ولا امرأة ولا صبى أمرد يخرج الى السوق حتى يخرج العسكر العثمانى من مصر وذلك خوفا عليهم من التركمان أن يخطفوهم و يسافروا بهم وفيه توجه السلطان سليم شاه الى بئر البلسان التى بالمطرية وأضافه هناك الناصرى محمد بن الريس شمس الدين القوصونى ومدله هناك مدة حافلة وكذلك الشيخ دمرداش وانشرح ابن عثمان فى ذلك اليوم الى الغاية وغسل وجهه من مائها وأقام هناك الى ما بعد العصر ثم رجع الى الوطاق ومن الحوادث فى هذا الشهر ان الدفتردار ضيق على الناس أصحاب الاملاك بسبب أملاكهم وندب الشرفى يونس نقيب الجيش الى ضبط البيوت التى فى القاهرة قاطبة فصار الناس يعرضون عليه مكاتيبهم فالذى يكون من الاعيان يفرج له عن بيته و يواسى نقيب الجيش بشئ من الدراهم و يكتب على مكتوبه عرض والذى يكون جاريا فى ملك المماليك الجراكسة ولم يظهر له أصحاب يكون ملكا للسلطان ويدخل الى الذخيرة و يقرب من هذه الواقعة أن الدفتردار رسم لقاضى القضاة المنفصل علاء الدين بن النقيب أن يتحدث على أوقاف الحرمين الشريفين قاطبة ورفع يد قاضى القضاة كمال الدين الطويل الشافعى من التحدث على أوقاف الحرمين الشريفين فكانت أصحاب الاوقاف يعرضون مكاتيبهم على قاضى القضاة علاء الدين و يكتب عليها عرض ثم يمضوا بها الى الدفتردار فيخرج مراسيمهم بالافراج عن ذلك فيقع عليهم كلفة للقاضى علاء الدين وكلفة لمراسيم الدفتردار وان لم يفعلوا ذلك ولم تخرج مراسيم الدفتردار بالافراج عن جهات الاوقاف يضع المباشرون والظلمة أيديهم على بلاد الاوقاف ويستخرجون منها الخراج و يروح ذلك على النظار وهذا من جملة مساوى ابن عثمان فيما فعله فى أهل مصر من الانكاد والضرر الشامل لهم وفى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة حضر الشرفى يونس النابلسى الاستادار وكان قد توجه الى بلاد الشرقية بسبب جمع الخراج من بلاد المقطعين والاتراك والامراء الذين قتلوا فى المعركة فمسح بلاد الشرقية قاطبة وحصل منه غاية الضرر وضيق على الناس فى أرزاقها من نساء ورجال ووضع يده على خراجهم بغير حق وما حصل لاحد منه خير فكان كما يقال فى المعنى

مباشر فى الورى لم تخف سيرته * بين الانام وما يخشى من الريب
تحويه رجله مما جنت يده * كأنه القط فى خطف وفى هرب

وفى يوم الاحد خامس عشره حضر الى الابواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة وكان سبب حضوره أنه أتى ليهنئ ابن عثمان بمملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة وحضر صحبته بيبردى بن كسباى أحد الامراء العشراوات الذى كان باش

المجاورين بمكة وحضر قرا كز الذى كان محتسبا بمكة فلما حضر أشيع بين الناس أن حسين نائب جدة قد قتل على يد الرئيس سلمان العثمانى وقيل انه أغرقه فى البحر وكان حسين قد ظلم وجار على أهل مكة وجدة وجدد مظالم فى أيام السلطان الغورى وكان من المفسدين فى الارض فقتل كما تقدم وكان غير محبب لاهل جدة ومكة ومن الحوادث أن النيل المبارك توقف فى أثناء الزيادة واستمر فى التوقف ستة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر القمح وتشحطت سائر الغلال واضطربت الاحوال جدا ثم بعد ذلك زاد النيل المبارك اصبعا واحدا فسكن الحال قليلا وفى يوم الاثنين سادس عشره حضر جماعة من المباشرين الذين كانوا قد توجهوا الى الغربية والمنوفية والمحلة فحضر أبو البقاء ناظر الاسطبل وبركات أخو شرف الدين الصغير ويحيى بن الطنساوى وآخرون من المباشرين وفى يوم الثلاثاء سابع عشره أشيع أن يبردى باش المجاورين وقرا كز المحتسب والمماليك الذين حضروا صحبتهما من مكة يريد قتلهم ابن عثمان فشفع فيهم ابن الشريف بركات من القتل فرسم أن يتوجهوا الى اسطنبول فخرجوا فى ذلك ونزلوا فى المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية ومن هناك توجهوا الى اسطنبول وفى يوم الاربعاء ثامن عشره حضر الزينى بركات بن موسى المحتسب وحضر فخر الدين بن عوض وكانا فى بعض جهات الغربية بسبب استخراج الخراج وعمارة الجسور التى هناك وفى يوم الخميس تاسع عشره توفيت ابنة السلطان طومانباى وكان لها من العمر نحو عشر سنين وكان قد حصل لها طربة على أبيها لما قتل وفى يوم الاحد ثانى عشريه اضطربت أحوال القاهرة وصارت الادراك تقف على أبواب المدينة ويمسكون الناس من رئيس ووضيع ويضعونهم فى الحبال حتى من يلوح لهم من القضاة والشهود وما يعلم ما يصنع بهم فلما طلعوا بهم الى القلعة أسفرت هذه الواقعة عن أنهم جمعوا الناس ليسحبوا المكاحل النحاس الكبار التى كانت بالقلعة وينزلونها الى شاطئ البحر ثم يضعونها فى المراكب ويمضوا بها الى اسطنبول وكان قبل ذلك بمدة نزلوا بالعامودين السماقى اللذين قلعوهما من الايوان الذى بالقلعة فارتجت لهما الصليبة لما نزلوا بهما من القلعة وقاسى الناس فى سحبهما غاية المشقة وحصل لهم بهدلة من الضرب والصك وخطف العمائم والشدود ثم فى عقيب ذلك نزلوا بالمكاحل من القلعة وصاروا يربطون الرجال بالحبال فى رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو كانوا من أعيان الناس فحصل للناس بسبب ذلك ما لا خير فيه وفى يوم الخميس سادس عشريه رسم السلطان سليم شاه باحضار ألف رأس من الغنم ومائة جمل ومائة بقرة فلما حضرت بين يديه أمر أن تفرق قربانا على مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا ومزارات الصالحين التى بالقرافة وغيرها من المزارات المشهورة حتى على أبواب ترب السلاطين المتقدمين ففرقوا ذلك جميعه

وصار

وصاروا يذبحون الغنم والبقر والجمال على أبواب الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذين بها وقيل ان سبب ذلك ان لهم عادة فى بلادهم اذا حلت الشمس فى برج الاسد يفرقون هذا القربان على مجاورى الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذين فى بلادهم قاطبة ففعل مثل ذلك بمصر وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل فى مركب وتوجه نحو الآثار الشريفة فقام عليه ريح عاصف فانقلبت به المركب فى البحر فكاد أن يغرق وأغمى عليه ومابقى من موته شئ وقيل انه كان سكرانا لايعى فكان فى أجله فسحة حتى عاش الى اليوم ﴿ ومن الحوادث فى هذا الشهر أن الخليفة لما سافر الى اسطنبول أخرجوا عنه نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وكان ذلك بيد الخلفاء من قديم الزمان وكان من جملة تعظيمهم وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم فى كل يوم من الصندوق الذى تحت رأس السيدة نفيسة مبلغ له صورة من النذور التى كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كله عنه وحصل للخليفة يعقوب والد المتوكل على الله غاية الضرر بسبب ذلك وشق عليه ذلك ولم يفده من ذلك شئ وفى أثناء هذا الشهر خرج الشرفى يحيى بن البرديني الذى كان ولى قضاء القضاة فى دولة الاشرف طومان باى ولما رأى الاحوال مضطربة وبعثوا أعيان الناس الى اسطنبول سعى بمال له صورة حتى قرر فى مشيخة الحرم الشريف النبوى كما كان جاهين الجمالى فخرج من هذا الشهر وسافر من البحر المالح وتوجه الى المدينة الشريفة من الينبع وكان من قديم الزمان لايلى مشيخة الحرم الا الطواشية وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما كان بالمقياس أحضر فى بعض الليالى خيال الظل فلما جلس للفرجة قيل ان المخايل صنع صفة باب زويلة وصفة السلطان طومان باى لما شنق عليها وقطع به الحبل مرتين فانشرح ابن عثمان لذلك وأنعم على المخايل فى تلك الليلة بثمانين دينارا وخلع عليه قفطانا مخملا مذهبا وقال له اذا سافرنا الى اسطنبول فامض معنا حتى يتفرج ابنى على ذلك وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه أنشأ له قصرا من خشب بالمقياس فوق القصر الذى أنشاه السلطان الغورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به فى اليوم الحر وأحضر جماعة من النجارين والبنائين وشرع فى بنائه حتى فرغ فى أيسر مدة وقد قلت فى ذلك

لو علم الغورىّ أن قصره * يسكن للظفر المؤيد
أضرم فيه النار من يومه * ولم يدع فى جدره جلمد

وفى رجب وكان مستهله يوم الاثنين فى يوم الاربعاء ثالثه توفى القاضى رضى الدين الحلبى الموقع وكان شابا حسن الشكل والهيئة وكان من أخصاء القاضى كاتب السر محمود

ابن أجا وكان من أعيان الموقعين وكان من جملة أصحابنا رحمة الله عليه وكان له مدة
وهو متوعك فى جسده وكان تعين الى سفر اسطنبول فرض عقيب ذلك فدخل انكشارى
من العثمانية فرآه مريضا فقال له اخرج فى هذا اليوم وسافر فقال له لا أستطيع القيام
فحمله العثمانى بالنطع الذى تحته وأراد أن يخرجه من الباب فدخلوا عليه ودفعوا له سبع
أشرفيات حتى تركه ومضى فمات تلك الليلة من الرجفة التى حصلت له وفى يوم الخميس
رابعه خرج الى السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه الى وطاقه الذى
بالريدانية فكان له موكب حافل وخلع عليه السلطان قفطان تماسيح مذهب وقدامه
الرماة بالنفط وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة وقد أشار عليه السلطان بان
الحجازيين الذين بالقاهرة تخرج صحبته الى اسطنبول وأشيع أن السلطان سليم شاه كتب
مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بان يكون عوضا عن الباشا الذى بها وجعله
هو المتصرف فى أمر مكة قاطبة وأضاف له نظر الحسبة بمكة أيضا وأنصفه غاية الانصاف
وتزايدت عظمة السيد بركات الشريف الى الغاية وأكرم ولده غاية الاكرام وفيه ترافع
جماعة من المباشرين مع بعضهم وانتبذ الى عمل حسابهم الزينى بركات بن موسى وألزمهم
بالعود الى البلاد ثانيا ليغلقوا ما كان بقى عليهم من الخراج فى البلاد فانهم كانوا أرسلوا خلفهم
بالاستعجال الى سفر اسطنبول وفى أثناء هذا الشهر توفى القاضى ناصر الدين محمد بن العمرى
موقع الامير يشبك الدوادار وكان من المعمرين فى الارض ۞ ومن الحوادث أن الدفتردار
أوقف المناشير التى فى يد أولاد الناس بسبب اقطاعاتهم ولم يمض غير الاوقاف والرزق التى
بالمكاتيب والمربعات الجيشية فقط فحصل لاولاد الناس غاية الضرر بسبب ذلك ووضع
المباشرون أيديهم على خراجهم وراح عليهم الخراج فى هذه السنة بين الفلاحين
والمباشرين وفى يوم الاربعاء عاشر رجب حضر شيخ العرب أحمد بن بقر وقد أرسل اليه
ابن عثمان أمانا بالحضور فحضر وقابل يونس باشا وبقية الوزراء وكان له مدة وهو عاص فى
وادى العباسة ومعه جماعة من المماليك الجراكسة وكان يحسن اليهم بالعليق وغير ذلك
من القوت وفى يوم السبت ثالث عشر رجب الموافق ثامن مسرى من الشهور القبطية
أظلم الجو ظلمة شديدة وأمطرت السماء مطرا غزيرا حتى توحلت منه الارض والاسواق
وكانت الشمس فى برج الاسد فتعجب الناس غاية العجب من كون المطر جاء فى غير أوانه
وكان قد بقى على ميعاد الوفاء أربعة وستون اصبعا والنيل فى قوة الزيادة فخشى الناس على
النيل من النقص وأشيع كسوف الشمس فى ذلك اليوم وفى يوم الثلاثاء سادس
عشره تحول السلطان سليم شاه من المقياس وأتى الى بيت الاشرف قايتباى الذى خلف حمام
الفارقانى المطل على بركة الفيل فأقام به فتعجب الناس لذلك كيف ترك المقياس فى ليالى

الوفاء وسكن فى هـذا المكان الذى بين الدروب فاختلف الناس فى الاقوال بسبب ذلك ولم يعلم ما سبب تحوله من المقياس الى هذا المكان مع وجود كثرة رغبته فى اقامته بالمقياس فلما سكن فى ذلك المكان طفشت عساكره فى بيوت الناس التى حول الصليبة وأعمالها وطردوا أصحابها منها وسكنوها فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفى يوم الخميس خامس عشريه طلع ابن عثمان الى القلعة ودخل الى الحمام الذى بها بالبحرة ثم رجع الى بيت الاشرف قايتباى فقيل اصطفت عساكره من الصليبة الى باب السلسلة ما بين مشاة وركاب وفيه وردت الاخبار من البحيرة بأن حسن بن مرعى محاصر مع الجويلى فارسل لهما السلطان تجريدة الى البحيرة وعين بها ألف عثمانى من عسكره ومن الحوادث المهولة أن النيل المبارك توقف ليالى الوفاء على اصبع واحد وكان مضى من مسرى ثمانية عشر يوما فاضطربت أحوال الديار المصرية بسبب ذلك ثم أشيع أن النيل قد نقص أربعة أصابع واستمر فى ذلك التوقف ستة أيام وقد مضى من مسرى احد وعشرون يوما فاضطربت الاحوال بسبب ذلك ولولا خوف السوقة من ابن عثمان لرفعوا الخبز من الاسواق وكادوا أن ينشؤا غلوة عظيمة وقد توقف النيل فى هذه السنة مرتين ستة أيام فى أبيب وستة أيام فى مسرى ولولا ان الله بعث الزيادة بعد ذلك لاكل الناس بعضهم بعضا وقال القائل فى المعنى

لو نطق النيل قال قولا * يشفى به غاية الشفاء
قد كثر الجور فاعذرونى * لما توقفت فى الوفاء

فلما كان يوم السبت سابع عشرى رجب الموافق لثانى عشرى مسرى زاد الله فى النيل المبارك اصبعا واحدا عن النقص الذى كان نقصه ثم فى يوم الاحد ثالث عشرى مسرى القبطى الموافق لثامن عشرى رجب زاد النيل ما كان نقصه ووفى ستة عشر ذراعا واصبعا من السابع عشر وكان النقص أربعة أصابع عن الوفاء فزاد النقص وأوفى وزاد اصبعا من السابع عشر وذلك من فضل الله تعالى على عباده فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرى رجب الموافق لرابع عشرى مسرى فتح السد وجرى الماء فى الخليج الحاكمى والناصرى وقد قيل فى المعنى

عجبت لنيل مصر حين وفى * على جور الانام العاديات
فخضنا فى حديث النيل لكن * مزجناه باوصاف الفرات

وكان الذى فتح السد فى ذلك اليوم يونس باشا نائب السلطنة فلم يكن ليوم الوفاء بهجة مثل العادة وبطل ما كان يعمل فى ذلك اليوم من الاسمطة التى كانت تصنع بالمقياس والجامع الحلوى ولشنات الفاكهة التى كانت تفرق فى ذلك اليوم فنزل يونس باشا فى الحراقة

السلطانية وتوجه الى السد وفتحه على العادة ولكن أين الثريا من يد المتناول بالنسبة لما كان يعمل يوم الوفاء بمصر ومن الحوادث أنه لما دخل الماء الى بركة الرطلي سكنت العثمانية في بيوت الجسر قاطبة وربطوا خيولهم في القواطين المطلة على البركة وأخذوا الابواب والطيقان والدرابزينات وأوقدوها في النار وكذلك بيوت المصطاحي وحكر الشامي وسكنوا في بيوت الاكابر التي كانت على البركة قاطبة فامتنعت مراكب البياعين من الدخول الى البركة وكذلك المتفرجين ومنعوا المتفرجين من الدخول الى الجسر وصاروا يهوشون على الناس بالعصي وأما الجزيرة الوسطى فانها خربت عن آخرها ولم يبق منها الا الجدر ونقل أصحاب الاملاك سقوف البيوت والابواب والطيقان ولم يبقوا منها غير الحيطان وأما بركة الازبكية فان التركمان نصبوا وطاقهم بها ومنعوا الماء من الدخول اليها وأخربوا غالب بيوتها وأخذوا غالب ما فيهما من الابواب والطيقان وغير ذلك من الاخشاب وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب أشيع أن حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة قد حضر بالأمان وكان قد بقي له ادلال على ابن عثمان من حين تحيل على السلطان طومان باى وقبض عليه فلما قابل ابن عثمان قبض عليه وسجنه بالبرج الذي بالقلعة وقبض على ابن صقر وقبض على ابن أخي الجويلي وسجنهم بالبرج أيضا وكان شيخ العرب أحمد بن بقر أتى ليقابل ابن عثمان فلما رأى ما جرى على مشايخ العربان هؤلاء رجع بعد أن دخل القاهرة ومضى الى الشرقية وقد شمت في حسن بن مرعي كل الناس فانه كان سببا لمسك السلطان طومان باى حتى شنق والمجازاة من جنس العمل وفي آخر هذا الشهر توفي صاحبنا القاضي أبو الفتح السراجي أحد نواب الحنفية رحمة الله عليه وكان عالما فاضلا بارعا في النحو وكان له شعر جيد وألف عدة كتب وكان من الافاضل في عصره عارفا بطريقة صنعة التوقيع حسن العبارة وكان مجلسه بخط جامع ابن طولون وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة وكان حسن الهيئة وقلت

نوحوا على مصر لأمر قد جرى * من حادث عمت مصيبته الورى
زالت عساكرها من الاتراك في * غمض العيون كأنها سنة الكرى
وأتى اليها عسكر سيماهمو * حلق الذقون ولبس طرطور يرى
لا يعرف الاستاذ من غلمانه * وأميرهم بين الورى قد حقرا
جل الاله مصدقا عما حكى * في سورة الروم العظيمة أخبرا
قد أوعد الرحمن وعدا صادقا * أن ابن عثمان يلي وكذا جرى
ولاه رب العرش سلطانا على * مصر وهذا الامر كان مقدرا
أين الملوك بمصر من ساداتها * مثل البدور تضي وكانت أنورا

يالهف قلبي للمواكب كيف لم * تلق بقلعتها الحزينة عسكرا
لهفي على ذاك النظام وحسنه * ما كان في الترتيب منه أنخفرا
لهفي على ضرب الكرات ولعبها * في الحوش صارت في الحضيض الى ورا
لهفي على النشاب والرمح الذى * كانا مع الدبوس يكسر عنترا
لهفي على لبس الكلوتة والقبا * كانا بها التجميل من غير ازدرا
لهفي على تلك التخافيف التى * كانت على الامراء تزهو منظرا
لهفي على لبس الكراف بقندس * بطلت والغوا كل زنط أحمرا
لهفي على المهماز والخف الذى * كانا نهار الحرب أصون للثرا
لهفي على أعياد مصر كيف قد * أفنت تشاريفا بها ومتمرا
وكذا الكنابيش التى قد زخرفت * كانت تشد خيولها عند السرى
وكذا السروج المفرقات بلعبها * كانت كبرق أو كليل أقمرا
لهفي على الابواب كيف تكسرت * وخلت أماكنها وصاحبها اسرا
لهفي على نهب القماش وبيعه * وبأبخس الاثمان صارت تشترى
وأشنع بيع الخيمة العظمى التى * للمولد النبوى أحسن ما يرى
بيعت بأبخس قيمة عما حكى * يالهف قلبي كم يزيد تحسرا
لهفي على شيخو وجامعه الذى * قد كان للصلوات مجمع للورى
درست معالمه بحرق صار من * بعد التزخرف والرياضة أغبرا
لهفي على سوق الصليبة كيف قد * أخلت حوانيت به مما جرى
لهفي على فك الرخام ونقله * من كل بيت كان زاه أزهرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد * كانت بها تزهو على كل القرى
لهفي على الامراء كيف تشتتوا * وخلت منازلهم وعادت مقفرا
لهفي على أتراك مصر اذ غدت * مكسورة وقلوبها لن تجبرا
لهفي على الفرسان كيف تقطعت * أعناقهم بيد العدو اذا افترى
صارت على الطرقات من أجسادهم * رمم حكت عيد الضحى الاكبرا
لهفي على ذات الحريم وهتكه * من بعد صون فى الحريم مخدرا
وتيتمت أطفال جند قد غدت * أجسامهم نهش الكلاب على الثرا
قتلوا بأصغر بندق من شأنها * كالسم تجرى فى الجسوم ولا ترى
لما تكبرت الجراكسة التى * كانوا بمصر أذلهم رب الورى
لهفي على سلطان مصر كيف قد * ولى وزال كأنه لن يذكرا

شنقوه ظلما فوق باب زويلة * ولقد أذاقوه الوبال الاكبرا
يارب فاعف عن عظائم جرمه * واجعل جنان الخلد ربه له قبرا
يالهف قلبي للخليفة كيف قد * طردوه عن مصر بجور وافترا
وأذيق من ذل السؤال وفاقة الأيدى واتعاب بما قد أقهرا
وكذا بنو عمه له قد أخرجوا * معه لاسطنبول وامتد السرا
وكذا الأبناء الملوك تحيروا * عند الخروج ولم يراعوا الاوقرا
وكذا الأعيان التجار وغيرهم * صارت دموعهم وبعصرا نهرا
لهفي على الشرع الشريف وحكمه * قد كان فى زمن القضاة موقرا
يالهف قلبي للشهود بمجلس * كانوا بهم تقضى الحوائج للورى
الله أكبر انها لمصيبة * وقعت بمصر ما لها مثل يرى
ولقد وقفت على تواريخ مضت * لم يذكروا فيها بأعجب ما جرى
لهفى على عيش بمصر قد خلت * أيامه كالحلم ولى مدبرا
وأتى من التكدير ما لا مخبر * سمعت به أذن ولا عين ترى
وتوقف النيل السعيد عن الوفا * فى هذه الايام آخر ما جرى
وتزايد الكرب العظيم لاجله * حتى وفا وبه المنادى بشرا
قد كان هذا الانتقام بمصرنا * سبقت به الاقدار كان مقدرا
ياليت شعرى بعد هذا كله * تنفى الهموم ونرتجى فرجا ترى
يارب انا بالنبى المصطفى * والانبياء الكل سادات الورى
نسألك كشفا للأمور بسرعة * واعف عن الاجرام عفوا واغفرا
قد جاد لابن اياس شعر قاله * لكن منه النظم يحكى جوهرا
ثم الصلاة على النبى محمد * والآل والاصحاب ممن بشرا
ماماس غصن فى الرياض وغردت * أطياره عند النسيم اذا سرا

وفى أول شعبان المكرم وكان مستهله يوم الاربعاء أشيع ان شيخ العرب أحمد بن بقر لما رأى أن السلطان سليم شاه قبض على حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة وسجنه بالبرج خاف على نفسه وخرج من القاهرة على حين غفلة وتوجه الى جهات الشرقية ولاقته العربان ولو تكاسل يوما واحدا لقبض عليه ابن عثمان وسجنه كما قد فعل بحسن بن مرعى وفيه أشيع أن جماعة من العثمانية قتلوا أميرا من أمراء ابن عثمان وهو نائم على فراشه وكان صاحب صنجق ولم يعلم ما سبب ذلك وقيل قبضوا على من

فعل ذلك من العثمانية وشنق منهم جماعة من أجل ذلك وفيه أشيع أن السلطان
سليم شاه بدا له أن يعزل يونس باشا من نيابة السلطنة بمصر ويولى ملك الامراء خاير بك عوضا
عنه لأمر قد عن له ومن الحوادث ان ابن عثمان لما سكن فى بيت الاشرف قايتباى المطل
على بركة الفيل وجرى الماء فى الخليج الحاكمى أمر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه
حتى تملأ بركة الفيل بسرعة وفى يوم الجمعة ثالث شعبان أشيع ان ابن عثمان قوى عزمه
على العود الى بلاده وخروجه من مصر فعين شخصا من أمرائه يقال له على بك فى ذلك اليوم
وصحبته جماعة من العثمانية بسبب اصلاح الآبار فى طريق غزة وتنظيف الطرقات من
الوعر قبل خروج السلطان فلما تحقق عسكره أمر خروجه الى السفر لاسطنبول شرعوا
فى عمل برقهم ومشترى أزوادهم فارتجت لهم القاهرة بسبب ذلك وفى يوم السبت رابع
شعبان وقعت حادثة مهولة وهو أن السلطان سليم شاه قبض على جماعة من عسكره نحو
أربعة وعشرين انسانا وقيل أكثر من ذلك فلما قبض عليهم رسم بشنق جماعة منهم فى
أماكن مختلفة وكلب منهم اثنين على باب زويلة واثنين على باب الصاغة واثنين بين القصرين
والبقية عند جامع قوصون وشئ فى الصليبة وشئ فى قناطر السباع وأشيع أن سبب ذلك ان
جماعة من الانكشارية قصدوا أن يقتلوا ابن عثمان لما كان بالمقياس فاستدرك أمره
وتحول الى بيت السلطان قايتباى الذى خلف حمام الفارقانى وصار يقبض على من كان
سببا لاشاعة قتله وفيه حضر الريس سلمان العثمانى الذى كان قد توجه صحبة المراكب التى
كان أرسلها السلطان الغورى الى الهند وفيه أشيع أن الريس سلمان هو الذى أغرق
حسين نائب جدة وكان بينهما عداوة من أيام الغورى فلما مات الغورى وظفر سلمان
بحسين قتله على ما قيل ولما حضر الريس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان
أسرهم من بحر الهند ممن كان يعبث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون من
هناك وأشيع أن الريس سلمان وحسين نائب جدة كانا فتحا عدة بلاد بالهند من بلاد الشيخ
عامر وغنموا منها أموالا جزيلة لا تحصى هم والعسكر الذين توجهوا صحبتهما فى أيام الغورى
وهم من عسكر الطبقة الخامسة التى كان جددها الغورى فى زمانه وفى يوم السبت حادى
عشر شعبان كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية وفيه أشيع ان ابن عثمان
أرسل الى خاير بك الذى قرره فى نيابة السلطنة صنجقا وتحقق الناس انه نائب السلطنة
عوضا عن يونس باشا وكان ابن عثمان قرره فى نيابة السلطنة قبل ذلك وفيه عرض
ابن عثمان عسكره بالميدان الذى تحت القلعة وهم لابسوا الزرديات وفى أيديهم الرماح
والاتراس وأشيع سفره أواخر الشهر الى اسطنبول وفى يوم الثلاثاء رابع عشره وقفت
جماعة الوالى على أبواب المدينة وصاروا يقبضون على كل من يلوح لهم من العوام

وغيرهم فاذا قبضوا عليهم يضعونهم فى الحبال وصاروا يقبضون على الناس من شطوط بولاق
ومن شطوط مصر العتيقة وكذلك يقبضون على جمال السقائين بالروايا التى عليها فاضطربت
أحوال الناس وغلقت الاسواق والدكاكين واختفت الناس فى البيوت وكثر القيل والقال
فى ذلك فمن الناس من يقول انهم يقبضون عليهم بسبب انهم يمسكون الخيول الجنائب اذا
سافر ابن عثمان ومنهم من يقول انهم يقبضون عليهم حتى يسافروا بهم الى اسطنبول
فى المراكب فحصل للناس الضرر الشامل بسبب هذا وأما سبب مسك جمال السقائين
فانهم أشاعوا ان ابن عثمان اذا خرج يأخذ معه جمال السقائين بالروايا الى ان يصل الى غزة
لأجل عدم الماء فى الطريق من هنا الى غزة فامتنعت السقاؤن من الخروج فى هذه
الايام وعز وجود الماء فضجت الناس لذلك وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام متوالية وفيه خرج
الوالى الذى كان ابن عثمان قرره فى ولاية القاهرة فخرج وبرز الى الريدانية الى ان يخرج ابن
عثمان وفيه أشيع ان ابن عثمان اطلق الجماعة الذين كان قبض عليهم من العوام
والفلاحين والسوقة وكان أشيع عنهم أنهم يتوجهون بهم الى اسطنبول وكانوا لما
قبضوا عليهم سجنوهم فى أماكن متفرقة حتى يكون من أمرهم ما يكون ثم نادى فى القاهرة
بان لا أحد يشوش على أحد من العوام ولا من الفلاحين فسكن الاضطراب قليلا وفتحت
الدكاكين فى الاسواق وخمدت هذه الحركة قيل ان بعض وزراء ابن عثمان شفع عنده
فى اطلاق الناس الذين سجنوهم كما تقدم وفى يوم الجمعة سابع عشره توجه السلطان
سليم شاه الى الجامع الازهر وصلى به الجمعة وتصدق فى ذلك اليوم بمال له صورة ثم شق من
القاهرة فى موكب وكان ذلك آخر مواكبه فى القاهرة ثم رجع الى المكان الذى كان به وفى
يوم الاثنين عشريه عرض السلطان سليم شاه كسوة الكعبة الشريفة وكسوة
ضريح النبى صلى الله عليه وسلم وكسوة ضريح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وصنع
للمحمل الشريف كسوة وقد تناهى فى كسوة الكعبة بخلاف العادة وتناهى فى زركشة
البرقع الى الغاية وكذلك فى ثوب المحمل الشريف وما أبقى فى ذلك ممكنا وفيه أطلق ملك الامراء
خاير بك نائب السلطنة جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة الذين كانوا فى سجن الديلم
فاطلقهم أجمعين وكانوا نحو أربعة وخمسين مملوكا وقد راج أمر المماليك الجراكسة
قليلا وفى يوم الاربعاء ثانى عشريه خرج القاضى محب الدين بن أجا كاتب السر الشريف
وصاحب ديوان الانشاء فخرج هو ونساؤه وعياله وصهره الجمالى يوسف بن الطحان
فخرجت النساء فى محائر وشقادف فلما خرج القاضى كاتب السر سكن فى بيته الذى عند
قنطرة سنقر الوزير يوسف البدرى وفى يوم الخميس ثالث عشرى شعبان خرج وتوجه
الى السفر سلطان مصر الملك المظفر سليم شاه بن عثمان فخرج من بيت السلطان قايتباى

الذى خلف حمام الفارقانى وشق من الصليبة وطلع الى الرميلة فخرج فى موكب حافل وقدامه ملك الامراء خاير بك نائب حلب وجان بردى الغزالى نائب الشام وقدام العسكر طبلان وزمران وعدة جنائب حربية وكان راكبا على بغلة صفراء عالية قيل انها من بغال السلطان الغورى كان يركبها فى الأسفار وكان عليه قفطان مخمل أحمر وقدامه جماعة من الوزراء منهم يونس باشا والدفتردار وبقية الوزراء والامراء والجم الكثير من عساكره مابين مشاة وركاب فطلع من جهة الصور ونزل من جهة تربة الاشرف قايتباى ووقف هنالك وقرأ سورة الفاتحة وأهداها اليه وكان قدامه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط المرعبة ثم شق من بين الترب الى تربة العادل التى بالفضاء واستمر على ذلك حتى نزل بالوطاق الذى نصبه ببركة الحاج ولو شق من القاهرة لكان يوما مشهودا ولكن خرج على حين غفلة فلم يشعر به أحد من الناس ولما خرج من بين الترب قسم عسكره فرقتين فرقة مرت من تحت الجبل الاحمر وفرقة من تربة العادل ثم تلاقوا على بركة الحاج ولما وصل الى الوطاق لم ينزل به وتوجه على ظهر الخانقاه فنزل هنالك ثم ان ابن عثمان لما رحل من مصر ترك بها من عسكره ممن يقيم بالقاهرة عند خاير بك نحو خمسة آلاف فارس ومن الرماة بالبندق الرصاص نحو خمسمائة رام وقرر من أمرائه شخصا يقال له خيرالدين باشا وجعله نائب القلعة يقيم بها ولا ينزل الى المدينة ومن العجائب ان مصر صارت نيابة بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين فى سائر البلاد قاطبة لانه خادم الحرمين الشريفين وحاوى ملك مصر الذى افتخر به فرعون اللعين حيث قال أليس لى ملك مصر وقد تباهى بملك مصر على سائر ممالك الدنيا ولكن ابن عثمان هتك حريم مصر وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها وأيتم أطفالها وأسر رجالها وبدد أحوالها وأظهر أهوالها فلم يدخل اليها أحد من الخوارج ولا ملكها قط أحد ولا جرى مثل ماجرى عليها من ابن عثمان الا ان كان فى زمن بختنصر البابلى فقد جرى عليها من ابن عثمان بعض ماجرى عليها من بختنصر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأشيع ان ابن عثمان خرج من مصر ومعه ألف جمل محملة مابين ذهب وفضة هذا خارجا عما غنمه من التحف والسلاح والصينى والنحاس والمكفت والخيول والبغال والجمال وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر وأخذ منها من كل شئ أحسنه مما لم يفرح به آباؤه ولا أجداده من قبله أبدا وكذلك ماغنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالا يحصى وصار أقل مافيهم أعظم من أميرمائة ومقدم ألف مما غنمه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك فارحلوا عن الديار المصرية الا والناس فى غاية البلية وفى مدة اقامة ابن عثمان بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة وتعطلت منها أصحابها ولم يعمل بها فى أيامه بمصر وكانت مدة اقامة ابن عثمان بمصر ثمانية

أشهر الا أياما قلائل ومدة استيلائه على مصر والبلاد الشامية والحلبية من حين قتل الغوري واستيلائه على حلب الى خروجه من مصر سنة وشهر واحد وهو مالك من الفرات الى مصر الى الشام ويخطب فيها باسمه وكذلك السكة على الذهب والفضة باسمه وكذلك ماحول العراقين وقد وعده الله بذلك وفي مدة اقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ولا رآه أحد ولا أنصف ظالما من مظلوم بل كان مشغوفا بلذته وسكره واقامته في المقياس بين الصبيان المرد ويجعل الحكم لوزرائه بما يختارونه فكان ابن عثمان لا يظهر الا عند سفك دماء الجراكسة وما كان له أمان اذا أعطاه لاحد من الناس وليس له قول ولا فعل وكلامه ناقض ومنقوض لا يثبت على قول واحد كقول الملوك وعادتهم في أفعالهم وليس له سماط يعرف ولا نظام كعادة السلاطين في سماطهم كانت تجلس عليه الخاصكية في كل يوم وأما عسكره فكانوا جيعا عيونهم دنية ونفوسهم قذرة يأكلون الاكل وهم راكبون على خيولهم في الاسواق وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين يتجاهرون بشرب الخمر في الاسواق بين الناس ولما جاءهم شهر رمضان كان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجامع ولا صلاة الجمعة الا قليلا منهم ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة وليس لهم نظام يعرف لاهم ولا أمراؤهم ولا وزراؤهم وهم همج كالبهائم ولما خرج ابن عثمان من مصر رسم لابن السلطان الغوري بأن يسافر معه فسبر زسنجه وخرج وسافر صحبته وأشيع أن جان بردى الغزالي لما خرج مع ابن عثمان كان وعده بنيابة الشام بل قيل انه ولاه نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة غزة ونيابة الرملة وبيت المقدس وجبل نابلس ولم يوله نيابة الشام فشق ذلك عليه ثم قرره في نيابة الشام وتوجه اليها صحبته وفي يوم السبت خامس عشريه نادى خاير بك بأن المماليك الجراكسة تظهر وعليهم أمان الله تعالى فظهر منهم الجم الكثير وهم في أسوأ حال في زي الفلاحين وعليهم زنوط قرع وبرد سود وقمصان بأكمام كبار فاذا رآهم أحد لا يفرق بينهم وبين الفلاحين وفيه وردت الاخبار بأن ابن عثمان قد وصل الى بلبيس وحصل له توعك في جسده فأرسل الى خاير بك يطلب محفة فأرسل له خاير بك محفة الى بلبيس وفي يوم الاحد سادس عشرى شعبان طلع المقر السيفي ملك الامراء خاير بك بن بلباى نائب السلطنة بالديار المصرية الى قلعة الجبل فكان له موكب حافل وقدامه عدة جنائب بغواشي حرير أصفر وقدامه جماعة كثيرة من العثمانية مشاة يرمون بالنفط وقدامه الجم الكثير من عسكر ابن عثمان فشق من الصليبة بعد طلوع الشمس وطلع الى القلعة وأقام بها وصارت مصر نيابة بعد أن كانت سلطنة وتقلبت الاحوال وكثرت الاقوال وقد قلت في خاير بك لما تولى نيابة السلطنة شعرا وهو

مصر أضحت في سرور عندما * قد تولى للنيابه خير بك

فلسان الحال عنها قائل * يالعمرى قد أتاني خير بك

فلما أقام خاير بك بالقلعة أرسل خلف البنائين والنجارين والمبلطين ليرموا ما فسد من أماكن القلعة ثم ان خاير بك خلع على شخص من الاتراك يقال له كشبغا وقرره فى ولاية القاهرة وهو مملوكه وفيه خلع ملك الامراء خاير بك على جماعة من المباشرين وقررهم فى وظائف سنية فخلع على القاضي ناظر الجيش علاء الدين ابن الامام وقرره كاتب السر الشريف عوضا عن محمود بن أجا بحكم توجهه الى السفر كما تقدم وقرره ناظر الجيش أيضا عوضا عن الشهابي أحمد بن ناظر الخاص وأبقى علاء الدين فى نظارة الخاص مضافة لما بيده من هذه الوظائف وقيل انه قرره فى نظر الكسوة الشريفة وجعله أمير ركب المحمل أيضا فصار بيده خمسة وظائف سنية فتضاعفت عظمته فوق ما كان وخلع على الزيني بركات بن موسى وقرره مدبر المملكة وناظر الحسبة الشريفة وناظر المارستان المنصوري وناظر الذخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف وتزايدت عظمته واجتمعت الكلمة فيه وصار عزيز مصر فى هذه الفترة فتوجه الناس الى بابه لقضاء حوائجهم وصار هو حاكم البلد وقد قلت فيه

يانجل موسى عدت بالبركات فى * أعلى المراتب حيث كنت وأزيدا

قد كان قطعا زال عنك ولم تزل * فى السعد عمالا على رغم العدا

وخلع على الشهابي أحمد بن الجيعان وقرره نائب كاتب السر على عادته ورسم له بأن يتوجه الى مكة من البحر المالح وكسوة الكعبة بصحبته وخلع على القاضي شرف الدين الصغير وقرره متحدثا فى ديوان الوزارة وخلع على الشرفي يونس النابلسي وقرره استادارا العالية وصاحب الديوان المفرد وخلع على فخر الدين وأخيه شمس الدين كاتب المماليك وقررهما فى التحدث على جهات الذخيرة وخلع على عبد العظيم الصيرفي وقرره فى استادارية الشعير وغير ذلك من الوظائف فنزلوا من القلعة وهم بالقفاطين المخمل عوضا عن الخلع فخلع على هؤلاء الجماعة فى يوم واحد وهذا أول تصرف خاير بك فى أحوال المملكة وفيه أشيع أنه قد عقد خاير بك على خوند مصرباى زوجة الظاهر قانصوه وفيه ظهر الزيني أبو بكر ابن الملكي وكان له مدة وهو مختف فلما ظهر خلع عليه خاير بك قفطانا مخملا وقرره فى استيفاء الجيش على عادته وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان حضر الامير قايتباى الذى كان نائب الكرك وكان قد أرسله خاير بك الى ابن عثمان بمطالعة من عنده لاجل أن جماعة من عسكره الانكشارية ثاروا على خاير بك وقالوا له رتب لنا جامكية كما كانت تأخذ المماليك الجراكسة واجعل لنا جماوعليقا مثل الجراكسة فقال لهم حتى أرسل أستأذن أستاذكم بذلك فأرسل الامير قايتباى نائب الكرك الى ابن عثمان بسبب ذلك فلما حضر ما علم

أحد عاذا أجاب ابن عثمان عن تلك المطالعة التى أرسلها بسبب جماعة الانكشارية كما تقدم فلما حضر قايتباى أشيع أن ابن عثمان لما دخل الى الخطارة قطع رأس يونس باشا ولا يعلم ما سبب ذلك وكان يونس باشا أعظم وزرائه وكان لطيف الذات وعنده رقة حاشية بخلاف طبع الاتراك وكان قرره أولا فى أن يكون نائبا عنه بمصر ثم رجع عن ذلك وقرر خاير بك فى النيابة وكان يونس باشا مقربا عند ابن عثمان الى الغاية بخلاف بقية الوزراء ويقال ان يونس باشا هو الذى كان سببا لولاية سليم شاه على مملكة الروم دون اخوته فما زال يجتهد ويسعى حتى ولاه الروم ثم سار معه على ذلك حتى دخل الى مصر وملكها ولكن سليم شاه ابن عثمان ليس له صاحب ولا صديق ولا أمان منه لاحد من وزرائه ولا من عسكره ومن طبعه الرهج والخفة ويحب سفك الدماء ولو كان لولده ويقال انه قتل أباه واخوته لاجل مملكة الروم وآخر الامر قتل يونس باشا لكونه صار له عليه يد قديمة وكان يونس باشا يظن أن سليم شاه يرعى له الود القديم فكان كما قيل فى المعنى

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله

رب من ترجو به دفع الاذى * سوف ياتيك الاذى من قبله

فلما أشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة وغلقت أبواب المدينة من بعد العصر وخشوا من هجمة العرب على المدينة ثم سكن ذلك الاضطراب قليلا وفى شهر رمضان كان أوله يوم الخميس فلما كانت ليلة الرؤيا ركب الزينى بركات بن موسى المحتسب من المدرسة المنصورية وقدامه الفوانيس موقودة والمشاعل كذلك على العادة وكان له موكب حافل فلما كان صبيحة شهر رمضان خلع ملك الامراء خاير بك على القاضى شرف الدين الصغير وابن موسى قفطانين مخملين كما هى عادتهم فى أول شهر رمضان ونادوا فى القاهرة بان لا أحد يحتمى على الزينى بركات ابن موسى ناظر الحسبة الشريفة وفى يوم الخميس مستهل الشهر خلع ملك الامراء خاير بك على الامير قايتباى الشهير بنائب الكرك وقرره فى الدوادارية وكانت شاغرة من حين مات الامير علان الدوادار وفى يوم الخميس ثامن شهر رمضان طلعت الى القلعة خوند مصرباى وقد تقدم القول بأن ملك الامراء خاير بك قد تزوج بها وطلعت الى القلعة فى ذلك اليوم قبل شروق الشمس وصحبتها نساء كثيرة من نساء الاعيان وهن على حمير المكارية وفى يوم الجمعة تاسع الشهر أشهروا فى القاهرة أربع نسوة وهن على حمير ووجوههن ملطخة بالسواد قيل انهن كن يجمعن عندهن الاجانب من الاتراك فى شهر رمضان ويأتين لهم بالنساء الاجنبيات فغمز عليهن وأمر خاير بك باشهارهن على تلك الحالة وفى يوم السبت عاشره ظهر الامير قانصوه العادلى الذى كان كاشف الشرقية وقد أرسل اليه ملك الامراء خاير بك منديل الامان وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة فلما طلع الى القلعة وقابل خاير بك خلع عليه قفطانا مخملا ونزل

فسكن فى بيت الامير قانصوه جركس الذى فى حارة السقائين وأشيع ظهور جماعة من
الامراء العشراوات وفيه قابل شيخ العرب أحمد بن بقر وخلع عليه وعلى ولده بيبرس
وقد التزما باصلاح جهات الشرقية ولم يتم ذلك واستمرت أحوال الشرقية فى غاية الفساد من
عبد الدائم بن بقر واخوته وفى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان وكان أول بابه من الشهور
القبطية ثبت النيل المبارك على أربعة عشر اصبعا من تسعة عشر ذراعا واستمر فى ثبات الى
آخر أيام بابه وشرق غالب بلاد الصعيد وأكثر البلاد العالية التى لا تروى الا من عشرين
ذراعا وكان نيلا شحيحا من أوله الى آخره وفيه ظهر أبو البقاء ناظر الاسطبل وكان مختفيا
فلما ظهر ألبسه خاير بك قفطانا مخملا وأقره على عادته متحدثا على جهات الاسطبل الخاص
وفى يوم الاثنين المقدم ذكره عرض ملك الامراء خاير بك كسوة الكعبة الشريفة والبرقع
وكسوة مقام ابراهيم الخليل عليه السلام وكسوة ضريح النبى صلى الله عليه وسلم وعدة
ستور من قبل ابن عثمان وقد تناهوا فى زركشة البرقع ونسيج كسوة الكعبة الى الغاية
بخلاف العادة فشقوا بها من القاهرة وقدامهم الاعيان من المباشرين والجم الكثير من
العساكر العثمانية ومن الرماة جماعة كثيرة يرمون بالنفوط وكان ذلك اليوم مشهودا
فلما طلعوا الى القلعة عرضوا على خاير بك نائب السلطنة ثم رجعوا ثانيا من حيث جاؤا
وفى يوم الاربعاء رابع عشر رمضان نادى ملك الامراء خاير بك بان المماليك الجراكسة
الذين ظهروا يصيروا يركبون الخيول ويشترون السلاح وكان قبل ذلك نادى فى القاهرة
لتجار القبو بأنهم لا يبيعون على المماليك الجراكسة شيأ من آلة السلاح فشق ذلك على
العثمانية ووقفوا لخاير بك فى الحوش وكلموه وأرادوا معه فتح باب الشر وقالوا له نحن
ما يكفينا هذا القدر الذى رتبته لنا وهو ثلاثة أنصاف فى كل يوم وكل شئ فى السوق غال
ثم قالوا له رتب لنا جوامك فى كل شهر ألفين ولحما وعليقا وفرق علينا اقطاعات مثل ما كانت
المماليك الجراكسة وأغلظوا عليه فى القول فقال لهم ليس لى هذا التصرف لانى انما
أنا نائب السلطنة وهذا لا يكون الا بأمر السلطان فهو الذى يفرق عليكم الاقطاعات
ويجعل لكم الجوامك واللحوم والعليق فلما سمعوا ذلك منه سبوه سبا قبيحا وهموا بقتله
فقام ودخل البيت مسرعا وأغلق عليه الباب دونهم فوقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب
بالقلعة وكادت أن تكون فتنة عظيمة وثاروا على خير الدين الذى جعله السلطان نائب
القلعة فأغلق باب القلعة واختفى ثم أشيع ان خاير بك أرسل الى ابن عثمان ساعيا يخبره
بما وقع من أمر هذه الحركة وعول خاير بك على رد الجواب عن ذلك وفى يوم الاحد ثامن
عشر رمضان نادوا فى القاهرة بان المماليك الجراكسة الذين ظهروا يلبسون الزنوط
الحمر والملاليط على عادتهم ولا يتزيوا بزى العثمانية ولا يخرجوا الى الطرقات وسبب

ذلك انه أشيع أن جماعة من الجراكسة يتزيون بزى العثمانية ويخرجون الى الطرقات ويخطفون عمائم الناس وما يلوح لهم من البضائع وغيرها فى جهة العثمانية فنادى خاير بك تلك المناداة حتى عمّ ازا الجراكسة من العثمانية ولم يفد ذلك شيأ وفى يوم الاثنين تاسع عشره خرج الشهابى أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر ومصلح الدين خازندار ابن عثمان وصحبتهما كسوة الكعبة الشريفة وهى محزومة محملة على الجمال وأشيع أنهما يتوجهان بها من البحر المالح الى جدة الى مكة المشرفة فكان لهما فى القاهرة موكب حافل وكان ذلك اليوم مشهودا وخرج صحبتهما ألفا عثمانى وقدامهم طبلان وزمران ورماة بالنفط وركب قدامهما الامير قايتباى الدوادار الكبير وأعيان المباشرين فلما خرجوا من القاهرة رجت لهم مصر فخرجوا من باب النصر وتوجهوا الى الوطاق بالريدانية وفى ذلك اليوم ثارت جماعة من العثمانية على الزينى بركات بن موسى المحتسب بسبب الفلوس الجدد فان ابن عثمان ضرب فلوسا جددا وجعل فيها اسمه ورسم للسوقة ونادى لهم بأن يصرف كل ستة عشر جديدا بنصف فضة معاددة وكانت هذه الفلوس فى غاية الخفة فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ووقف حالهم وغلقت الدكاكين فلما جرى ذلك نادى الزينى بركات بن موسى بان النصف الفضة يصرف بأربعة وعشرين جديدا ليعرف الدرهم الفلوس من الدرهمين فى المعاملة فثارت العثمانية على ابن موسى وقالوا له هل مات السلطان سليم شاه بن عثمان حتى تبطل من مصر معاملته وهموا بضربه فنادى فى ذلك اليوم بأن كل شئ على حاله من الفلوس كل ستة عشر جديدا بنصف فضة كما كان فى الاول فأغلقت السوقة دكاكينهم ورفعوا البضائع ووقع فى القاهرة بعض اضطراب وأشيع ان خاير بك نائب السلطنة صنع من الخوازيق الحديد عدة وأنه بعد العيد يخوزق جماعة من السوقة على باب القاهرة فلما أشيع ذلك خافت السوقة وفتحت الدكاكين ومشوا اصرف النصف بستة عشر جديدا كما كان فى الاول وفى يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان نزل ملك الامراء خاير بك من القلعة وتوجه الى تربة العادل ليودع مصلح الدين والشهابى أحمد بن الجيعان فودعهما ورجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه نحو ألفين من العثمانية وجماعة مشاة يرمون بالنفط فرجت له القاهرة فى ذلك اليوم وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة وهذا أول موا كبه بالقاهرة من حين تولى نيابة السلطنة ثم فى يوم الخميس ثانى عشريه نزل ملك الامراء من القلعة ثانيا وتوجه الى باب الشعرية وزار الشيخ عبد القادر الدشطوطى وجلس عنده ساعة فقيل ان الشيخ عبد القادر قال له استوصى بالرعية فانك تسئل عن ذلك يوم القيامة فبكى خاير بك وقبل يده وخرج من عنده وعاد الى القلعة من

يومه وفى يوم السبت رابع عشرى شهر رمضان ظهر الامير أرزمك الناشف أحد الامراء المقدمين فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء خاير بك ومنديل الامان على رأسه قام له خاير بك واعتنقه وأجلسه بين يديه وكان لما طلع الى القلعة لابسا زى العرب وعليه زنط وشاش وملوطة بأكمام كبارة فألبسه خاير بك قفطانا مخملا بتماسيح وألبسه عمامة عثمانية وكان لما قابله معه ستة أنفار ما بين أمراء عشراوات وخاصكية فخلع عليهم قفاطين مخملة ونزلوا من القلعة الى أماكن عدت لهم وفى يوم الاربعاء ثامن عشرى شهر رمضان ختم صحيح البخارى بالقلعة وحضر ملك الامراء خاير بك والقضاة الاربعة وجماعة من أعيان العلماء والفقهاء وأعيان المباشرين فلما انفض المجلس خلع خاير بك على القضاة قفاطين من جوخ أزرق بوجه صوف وفرق على الفقهاء والعلماء صررا فيها دراهم وكان ختما حافلا وشتان بين هذا الختم وما كان يعمل فى ختم السلاطين الماضية فى مثل هذا اليوم ولما سافر سليم شاه بن عثمان وخرج من مصر استمرت الخطبة والسكة عمالة فى مصر باسمه فكان سائر الخطباء يدعون فى يوم الجمعة باسمه ويقولون وانصر اللهم السلطان الملك المظفر سليم شاه وكذلك اسمه على الدنانير والدراهم والفلوس الجدد ثم كان مستهل شوال يوم السبت فطلع القضاة الاربعة وجماعة من أعيان المباشرين فخرج ملك الامراء خاير بك وصلى صلاة العيد بجامع القلعة ثم انه مد مدة حافلة لجماعة من العثمانية فنزلوا على ذلك السماط مثل الصقورة فلم يبقوا منه غير العظام ولم يفضل لغلمان القلعة شئ وكان خاير بك يظن أن الامراء الجراكسة الذين ظهروا والخاصكية يطلعون ويحضرون المدة فلم يطلع له أحد من هؤلاء وخافوا ان تكون مكيدة أو حيلة وكأن هذا اليوم لم يكن عيدا بل كان فى غاية الخمود فى كل شئ وفى هذا العيد لم يخلع خاير بك على أحد من قضاة القضاة ولا على أحد من المباشرين قاطبة كما كانت العادة القديمة وفى يوم الثلاثاء حادى عشره نزل ملك الامراء خاير بك من القلعة وتوجه الى نحو البريم على سبيل التنزه ونصب له هنالك خياما وأراد أن يبيت على شاطئ البحر وأحضر جماعة ممن يقلون السمك وقصد أن ينشرح فى ذلك اليوم هنالك فصنع له السيد نقيب الاشراف مدة حافلة وأحضرها هنالك فخرج عليها جماعة من العثمانية فى أثناء الطريق فخطفوا ذلك الاكل من فوق رؤس الحمالين فلما بلغ خاير بك ذلك تنكد من العثمانية بسبب هذه الفعلة ولم يكن له عند العثمانية حرمة ولا وقار ولا امر ا عاقله فى سائر الاحوال وفى ذلك اليوم فتح البريم بحضرة خاير بك وأحضر جماعة من الصيادين فى مراكب ومعهم أسماك كثيرة فصارت القلاعون تقلى من هذه الاسماك وتطعم العسكر الذين بصحبته وانشرح فى ذلك اليوم الى الغاية وأقام هنالك الى ما بعد العصر ثم نزل فى مركب وشق من جهة الروضة وطلع من بر مصر العتيقة الى القلعة

وفى ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم شاه بن عثمان أرسل مطالعة الى خاير بك على يد ساع فكان من مضمونها انه وصل الى الشام ودخل اليها وزينت له لما دخلها ومن مضمون تلك المطالعة أن ابن عثمان أرسل يطلب من خاير بك أربعين ألف أردب شعير وقمح يرسلها اله فى مراكب من البحر المالح الى الشام فألزم خاير بك المباشرين بذلك فأخذوا فى تجهيز ذلك وارساله من البحر كما برز الامر وفى أثناء هذا الشهر وردت الاخبار من عند الجماعة الذين خرجوا من مصر وتوجهوا الى اسطنبول بأن مركبا من المراكب التى توجهوا بها قد غرقت فى البحر المالح وغرق للناس فيها جملة مال وغرق فيها أربعمائة انسان وفيهم جماعة من الاعيان الذين خرجوا من مصر ولكن لم يثبت الى الآن أسماء من غرق فيها من الاعيان وقد أشيع انه كان فيها بيبردى بن كسباى أحد الامراء العشراوات الذى كان باش المجاورين بمكة وحضر صحبة ابن الشريف بركات أمير مكة وقد تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب قراكز الحكمى رأس نوبة عصا الذى كان محتسبا بمكة وكان بها نحو أربعين مملوكا وكانوا صحبة باش المجاورين وحضروا صحبة ابن الشريف بركات أمير مكة وقد تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب محمد بن ابراهيم الشرابيشى الذى كان ناظر الاوقاف المتعلقة بالزمامية فى أيام السلطان الغورى وكان بها غير هؤلاء جماعة كثيرة من الناس فأشيع غرقهم أجمعين ولكن لم يتأكد القول بذلك الى الآن وأشيع غرق جماعة من البرددارية الذين كانوا خرجوا من مصر ليتوجهوا الى اسطنبول وأشيع أن الطاعون عمال باسطنبول وبها الوخم والغلاء وهذا ما أشيع والله أعلم بصحة ذلك وفى يوم السبت خامس عشر شوال حضر أمير من عند ابن عثمان من الشام يقال له الامير على قيل هو الذى كان واليا بالقاهرة لما كان بها ابن عثمان فخرج الامير قايتباى الدوادار الى ملاقاته فدخل من باب النصر وحضر صحبته جماعة كثيرة من العثمانية وجماعة من المماليك المتعلقين بملك الامراء خاير بك الذين كانوا بحلب قيل انهم نحو ثلثمائة مملوك فأنزلوا هذا القاصد فى بيت الاتابكى سودون العجمى الذى فى قنطرة سنقر فلم تصح هذه الاشاعة وأنزلوه فى مكان غير ذلك المكان الذى ذكروه فأخبر هذا القاصد بأن ابن عثمان دخل الى الشام وهو مقيم بها وقيل انه يشتى هنالك وان أهل الشام فى غاية الضنك والشدة من عسكره لانهم طردوهم عن بيوتهم وسكنوا بها وحصل منهم لاهل الشام الضرر الشامل أكثر مما حصل لاهل مصر وأخبر أن الغلاء بالشام حتى بلغ ثمن العليقة الواحدة ستة انصاف ولا توجد واختلفت الاقوال فى مجىء هذا القاصد فمن الناس من يقول جاء بسبب استعجال هذا المغل الذى أرسل يطلبه ابن عثمان ومن الناس من يقول ان ابن عثمان ولاه نيابة الاسكندرية وقيل جاء بسبب غير ذلك والاقوال فى ذلك كثيرة وفى يوم الاحد سادس عشره نزل ملك الامراء خاير بك من القلعة وتوجه

الى

الى منشية المهرانى بسبب وسق المراكب بالمغل الذى أرسل يطلبه ابن عثمان فقيل جهز من المغل نحو ثلاثين ألف اردب قمحا وشعيرا وقيل أكثر من ذلك وفى يوم الاثنين سابع عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة فى موكب حافل وكان أمير ركب المحمل فى تلك السنة القاضى علاء الدين بن الامام ناظر الخاص الذى قرر فى كتابة السر كما تقدم وقد خرج الحاج فى هذه السنة ركبا واحدا الاول والمحمل معا وكان الحاج فى هذه السنة قليلا جدا خوفا من فساد العربان فى الطريق لأنه فى السنة الماضية فى دولة الاشرف طومان باى لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يحج فيها من أهل مصر أحد ولما خرج القاضى ناظر الخاص طلب طلبا حربيا يشتمل على أربعة نوب هجن باكوار مخمل وبعض خيول جنائب عليها بركستوانات فولاذ وكنابيش زركش وثلاثة خزائن باغشية حرير أصفر ومحفة جوخ أزرق وقدامه طبلان وزمران من غير صنجق وقد احتفل بعمل سنيح حافل بسبب من حج معه من العثمانية فى هذه السنة ولما شق من القاهرة كان قدامه الامير قايتباى الدوادار والامير ازدمر الناشف أحد الامراء المقدمى الالوف الذى ظهر عن قريب والامير قانصوه العادلى الذى كان كاشف الشرقية وكان قدامه جماعة من أمراء ابن عثمان ومن عسكره وركب قدامه سائر الاعيان من المباشرين من كبير وصغير ثم أتى بعده المحمل وقدامه القضاة الاربعة على العادة وممن حج فى هذه السنة من الاعيان قاضى القضاة محيى الدين المالكى وهو ابن الدميرى فألبسه خاير بك قفطانا مخملا وقرره قاضى المحمل وحج آخرون من الاعيان لا يحضرنى أسماؤهم الآن وقد جدد ابن عثمان كسوة المحمل فى هذه السنة فصنع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها اسمه ولما شقوا من القاهرة كان لهم يوم مشهود على العادة القديمة هذا ما كان من ملخص خروج المحمل فى ذلك اليوم وفى يوم السبت ثانى عشريه خلع ملك الامراء خاير بك على قانصوه العادلى قفطانا مخملا بتماسيح وقرره كاشف الشرقية كما كان أولا وفى يوم الاحد ثالث عشريه قبض الوالى على خمسة أنفار من العثمانية أشيع عنهم أنهم يخطفون العمائم ويعرون الناس فى الطرقات وأنهم يخطفون النساء والصبيان المرد وتزايد منهم الفساد فلما قبض عليهم رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان أن يشنقوا على باب زويلة فشنق منهم اثنان على باب زويلة وواحد على باب الشعرية وأما الاثنان فقد شفع فيهما من الشنق فى ذلك اليوم فسجنا وكانت العثمانية الذين بمصر كثر منهم الاذى فى حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاما ولا له عليهم حرمة وفى يوم الاثنين رابع عشريه شوال توجهت المماليك الجراكسة الى بيت الامير قايتباى الدوادار بسبب انه

وعد المماليك أنه يصرف لهم جوامك في ذلك اليوم فطلع الى القلعة واجتمع بملك الامراء خاير بك وأقام بالقلعة الى قريب الظهر والمماليك الجراكسة في انتظاره على بابه فلما نزل قال لهم يا أغوات شاورت ملك الامراء عن أمركم فقال حتى نجمع المال وننفق عليهم الجوامك ولم يواعدهم على يوم معين فرجعوا من عنده بغير طائل وقد صارت المماليك الجراكسة في غاية الذل من الفقر والعرى ومنهم من سأل الناس في رغيف يقتات به ومنهم من يطوف في الاسواق يسأل التجار والسوقة في درهم يشترى به كبشة فول يأكلها فسبحان من يعز ويذل وصاروا يمشون في الاسواق لاخيول لهم ولا قماش ولا سلاح ولا بيوت تأويهم ولا اسطبلات ولا عبيد ولا غلمان وقد نظر الله اليهم بعين المقت جزاء بما كانوا يعملون فسبحان من قهر الجبابرة بعز سلطانه وفي يوم الاحد كان مستهل ذى القعدة الحرام فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء خاير بك نائب السلطنة بالشهر وعادوا الى بيوتهم وفي يوم الخميس خامسه خلع ملك الامراء على يوسف البدرى وأعاده الى الوزارة كما كان أولا وخلع عليه قفطانا مخملا عوضا عن الكمتر وقد صارت الامراء الجراكسة الذين ظهروا كلهم بقفطانات مخمل وبعضهم بقفطانات جوخ وطراطير جوخ أسود وعليهم عمائم مدورة وفي أرجلهم سقمانات جلد في زى العثمانية فصارت الامراء الجراكسة والمماليك السلطانية كلهم على هذه الهيئة واختلط العثمانية مع الجراكسة حتى صاروا لا يعرف هذا من هذا الا بشيء واحد وهو ان المماليك الجراكسة تعرف بذقونهم والعثمانية بغير ذقون وقد قلت في هذا المعنى مواليا

امشى مع الدهر قدر الجهد يا غلطان * واخلع ثياب المواكب واتبع السلطان
في لبس سقمان أو طرطور أو قفطان * وكن مع القوم في الملبوس والأوطان

وفي يوم الاحد ثامن الشهر نزل ملك الامراء خاير بك من القلعة باكر النهار وتوجه الى نحو قبة الامير يشبك الدوادار التي بالمطرية وأقام هناك الى آخر النهار ومد في ذلك اليوم مدة حافلة وأهدت اليه جماعة من المباشرين مجامع حلوى ومشنات فاكهة وسكرا وخرفان شوى وأقفاص أوز ودجاج وغير ذلك أشياء فاخرة على أعناق الحمالين وظهور الدواب وكان يوما سلطانيا ولم يتم حتى وقعت حادثة وهى انه في ذلك اليوم بعد العصر نزل جماعة من العربان من نحو الجبل الاحمر بالقرب من سبيل علان فقطعوا الطريق على جماعة من الفلاحين معهم جمال محملة قمح وبطيخ فأخذوا منهم نحو أربعين جملا وذهبوا بها الى الجبل ومضوا بها ولم تنتطح فيها شاتان فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكد غاية النكد بسبب ذلك فلما ذهبت العرب بالجمال أتى الفلاحون الى ملك الامراء واستغاثوا بين يديه وبكوا فقام من وقته

وهو منكد وطلع الى القلعة بعد العصر ولم يخرج من يده شئ فى رد الجمال من أيدى العربان الى أصحابها وفى يوم الثلاثاء عاشر ذى القعدة حضر الى الابواب الشريفة شيخ العرب عبد الدائم ابن شيخ العرب أحمد بن بقر شيخ عربان الشرقية وقد حضر بالامان من ملك الامراء خاير بك وكان أرسل اليه منديل الامان على يد الامير قانصوه العادلى كاشف الشرقية فلما توجه اليه صار يتلطف به فى الكلام ويخادعه ولا زال به حتى أطاع وحضر صحبته وكان عبد الدائم عاصيا على السلطنة من أيام السلطان الغورى لم يدخل تحت طاعة ثم عصى على ابن عثمان فلما أرسل اليه خاير بك قانصوه العادلى بالامان حضر وقابل خاير بك وصحبته تقدمة ما بين خيول وجمال وأغنام فلما مثل بين يدى ملك الامراء خاير بك خلع عليه قفطانا مخملا ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه رايات زعفران وكان عبد الدائم هذا من أكبر المفسدين فى الشرقية خرب غالب بلاد الشرقية ونهب أموالها وقطع الطريق على القوافل الواردة من الشام فى مدة فتنة ابن عثمان وأخذ مالا يحصى من أموال التجار وقتل جماعة من المماليك السلطانية وأخذ ما كان معهم من الخيول والسلاح وكذلك الامراء الجراكسة لما وقعت عليهم الكسرة فى الريدانية وتشتتوا فى بلاد الشرقية فصار يأخذ ما عليهم من الثياب والسلاح والخيول وغير ذلك وجمع أموالا وتحفا لم تجمع لآبائه ولا اجداده وقد غنم أموال التجار وأموال العسكر من المماليك الجراكسة وغيرهم من أموال المقطعين من البلاد وعمل من المفاسد فى الشرقية مالا يسمع بمثله وفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة وقع فى القاهرة اضطراب عظيم وغلقت أبواب المدينة قاطبة حتى غلقت أبواب الدروب والخوخ التى بالحارات وأقامت الابواب مغلقة الى ضحوة النهار ثم فتحت بعد ذلك وسبب ذلك أن حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة الذى كان سببا لمسك السلطان طومان باى تحيل عليه السلطان سليم شاه بن عثمان حتى قبض عليه وقيده بقيدين وأودعه فى الاعتقال فى طبقة عند باب القلعة ووكل به جماعة من العثمانية يحفظونه فأقام على ذلك مدة وغافلهم وبرد القيدين بمبرد حديد وتدلى بحبل من السور الذى بالقلعة وهرب بعد العشاء من القلعة فلما بلغ ملك الامراء هروب حسن بن مرعى من القلعة تنكد لذلك غاية النكد وهرب حسن بن مرعى وفاز بذلك وتخوف الناس من هروبه وفيه وردت الاخبار من الشام بأنه لما أقام بها ابن عثمان وقع بها فى تلك الايام وخم عظيم ومات من عسكره جماعة كثيرة من ذلك الوخم وأشيع موت حليم جلبى فقيه ابن عثمان ونديمه وأشيع موت أخى حليم جلبى أيضا ومات من أمرائه جماعة كثيرة وانه وقع بالشام غلاء عظيم حتى وصلت كل عليقة الى خمسة أنصاف ووصل سعر الرغيف الخبز نصف فضة وان عسكره تقلق من الغلاء والوخم وتفرقوا عنه فى الضياع والجبال وأشيع أن

عسكر ابن عثمان خربوا غيطان الشام ونهبوا الفواكه من فوق الاشجار ورعت خيولهم فى الغيطان وأكلوا أوراق الاشجار وطردوا الناس عن بيوتهم وسكنوا بها وأخربوا غالب بيوت الشام وحصل منهم لاهل الشام غاية الضرر أكثر ماحصل منهم فى حق أهل مصر من الفساد بها ومن الحوادث الشنيعة ماوقع فى هذا الشهر من أن جماعة من المباشرين بالديوان المفرد منهم يونس النابلسى الاستادار وفخر الدين وأخوه أولاد ابن عوض وبركات أخو شرف الدين الصغير وشرف الدين الكبير وأبو بكر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش وبركات ابن موسى وعلاء الدين ناظر الخاص وعبد العظيم استادار الشعير فهؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون اتفقوا على أخذ أموال المسلمين فاستباحوا أموالهم ودماءهم وماذاك الا أن غالب البلاد قد شرق فى هذه السنة بسبب خسة النيل وكان المباشرون التزموا بتغليق المال الذى على البلاد فلما حصل هذا الشراقى ضربوا مشورة بين بعضهم وقالوا نحن فى العام الماضى أوقفنا اقطاعات أولاد الناس التى بالمناشير وأخذنا خراجهم وفى هذه السنة أوقفوا الرزق التى بالمربعات الجيشية ونضع أيدينا على خراجها فى هذه السنة فى نظير شراقى البلاد فطلعوا الى ملك الامراء خاير بك وعرضوا عليه ذلك وحسنوا له عبارة فى استخراج خراج الرزق فى هذه السنة فى نظير الشراقى فقال لهم انزلوا افعلوا ذلك فنزلوا من عنده وأطلقوا فى الناس النار وأرسلوا العمال بالمراسيم الى البلاد ليستخرجوا منها الاموال من الرزق التى بالمربعات قاطبة حتى الرزق الاحباسية ولو كانت الرزقة تشترى بمربعة شريفة فضجت أولاد الناس والنساء الارامل من هذه الحادثة المهولة وحصل الضرر الشامل للارامل والايتام والله تعالى لا يغفل ولا ينام وصار الناس يقفون الى ملك الامراء خاير بك ويشكون اليه ذلك فيقول لهم أنا أوقفت المناشير والمربعات بأمر الخنكار ابن عثمان فنزلوا من عنده فى أسوإ حال وصاروا يسألون الاستادار بمال يدفعونه له حتى يفرج عن رزقهم فلا يجيبهم ولا يقضى لهم حاجة ثم ان فخر الدين بن عوض لاجزاه الله خيرا استدرج من الرزق الى خراج بلاد الاوقاف التى كانت بالمكاتيب الشرعية فصار يستخرج خراج الاوقاف ويأكله على أصحابه رغما عن أنفهم فحصل للناس فى هذه الحركة غاية الضرر الشامل وقد اشتد الامر على الناس بسبب ذلك وكل هذا من المباشرين وأذاهم فى حق المسلمين وقد قلت فى المعنى مواليا

كان ابن عثمان مذ جا مصر مثل الضيف * رحل وولى علينا كل صاحب حيف

مباشرين يجوروا فى الشتا والصيف * أطراف أقلامهم تفعل مثل فعل السيف

وفى يوم الاحد ثانى عشرى ذى القعدة خرج الامير قايتباى الدوادار وعدى الى بر الجيزة وخرج صحبته جماعة كثيرة من العثمانية ومعهم مكاحل نحاس ومدافع نحاس وعجل

وقد

وقد أشيع أن عدة قبائل من العرب نزلوا على الجيزة فافتتنوا مع عرب عزالة وحصل منهم غاية الفساد فخرج الامير قايتباي وصحبته تجريدة وعسكر من الجراكسة بسبب العربان وطردهم عن البلاد فخرج وأقام في بر الجيزة الى أن يتكامل العسكر وفي يوم الاثنين ثالث عشريه اجتمع المماليك الجراكسة في بيت الامير قايتباي الدوادار وهو بيت الاتابكي قرقماس الذي عند حوض العظام واجتمع القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك ولم يكن الامير قايتباي الدوادار حاضرا بل حضر أخوه جان بك فأنفقوا على المماليك الجراكسة لكل واحد منهم ألفا درهم وصاروا يستوعبونهم طبقة بعد طبقة فأنفقوا عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء رابع عشريه وأنفقوا يوم الاربعاء ويوم الخميس أيضا وقد ظهر من المماليك الجراكسة الجم الكثير فوق الخمسة آلاف مملوك وقد كانوا موزعين في البلاد عند الفلاحين وآخرون قد اختفوا في البيوت والحارات حتى خمدت الفتنة ثم ظهروا بعد ذلك وفي يوم الخميس سادس عشريه أشيع أن الامير قايتباي الدوادار لما توجه الى بر الجيزة بسبب فساد العربان وأقام هناك أياما حتى يتكامل خروج العسكر وردت الاخبار بأن العسكر العثماني لما توجهوا الى هناك وقع بينهم خلف في بعضهم فوثبوا على باشهم وهو شخص من أمراء ابن عثمان وراموا قتله فهرب واستجار بالامير قايتباي فلما جرى ذلك أرسل الامير قايتباي كاتب ملك الامراء بما جرى من العثمانية في حق باشهم ثم أشيع واستفاض بين الناس أن حمادا شيخ عربان عزالة قد حضر عند ملك الامراء خاير بك وأخبره أن العربان الذين أتوا الى بر الجيزة عدة قبائل لا تحصى وان العسكر الذي أرسله لا يقاوم هذه العربان الكثيرة فانهم فوق العشرين ألف انسان ونشأ هذا كله من حسن بن مرعى لما هرب من الحبس فانه طاف بالعربان وأنشأ هذا الفساد ثم قال له ان لم تخرج أنت بنفسك وتعدي بر الجيزة والا فما يقع للعسكر اتفاق بينهم فصلى ملك الامراء خاير بك صلاة الفجر ثم نزل من القلعة وقدامه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط والجم الكثير من العثمانية ومعهم صناجق حرير أحمر فشق من الصليبة وتوجه الى بولاق ليعدى الى الجيزة وفي يوم الجمعة سابع عشريه حضر الامير قايتباي الدوادار وكان قد خرج باش التجريدة التي توجهت الى العرب وأخبر أنه لم يظفر بحسن ابن مرعى وترافع هو والعربان الى الاودية والجبال وأشيع أن باش عسكر العثمانية هو الذي أهمل في أمر حسن بن مرعى حتى أخلى من وجه العسكر ومضى بجمعه ودخل الى الاودية والجبال وفي آخر هذا الشهر وقع بين القاضي فخر الدين بن عوض وبين خشقدم الاشرفي مملوك السلطان الغوري الذي كان شاد السون وهرب وتوجه الى بلاد ابن عثمان

وكان سببا لانشاء هذه الفتنة بين سليم شاه بن عثمان وبين السلطان الغورى وقد تقدم القول
على ذلك فلما دخل ابن عثمان الى مصر وملكها اقر خشقدم هذا كاشف أسيوط مع
منفلوط فلما رحل ابن عثمان عن مصر وقرر ملك الأمراء خاير بك نائب السلطنة بمصر عزل
خشقدم من التحدث على أسيوط فلما حضر خشقدم من أسيوط وقعت بينه وبين فخر
الدين بن عوض فتنة بسبب الرزق التى هنالك فحصل بينهما تشاجر عظيم فتشاتما وتسابا سبا
قبيحا وقال فخر الدين بن عوض لخشقدم أنت كنت سببا لوقوع الفتنة بين أستاذنا الغورى
وبين ابن عثمان فتحمل خشقدم من فخر الدين بن عوض وشق عليه ذلك فلما كان يوم السبت
ثامن عشرى ذى الحجة طلع خشقدم الى القلعة ووقف الى ملك الامراء خاير بك وشكى له
فخر الدين بن عوض فيما قاله فى حقه فتعصب له جماعة من العثمانية وأغلظوا على خاير بك
فى القول بسبب فخر الدين بن عوض فلما طلع ابن عوض الى القلعة يوم السبت وبخه خاير
بك بالكلام وقامت عليه النائرة من أمراء ابن عثمان الذين بمصر وقالوا له هذا خلى أستاذه
الغورى وهرب من عنده وجاء الى الخنكار وصار من جماعته وأنت تبهدله وتشتمه فقامت
البينة على ابن عوض بأنه شتم خشقدم وسبه فغضب خاير بك على ابن عوض وأمر بوضعه فى
الحديد وأسلمه للوالى ورسم له بان يوسطه فقصد الوالى أن ينزل به من القلعة ليوسطه فقامت
جماعة من المباشرين وتداخلوا على خشقدم وأصلحوا بينه وبين فخر الدين بن عوض فدخل
الى ملك الامراء خاير بك وشفع فيه من التوسيط وقاسى ابن عوض فى ذلك اليوم غاية البهدلة
من أمراء ابن عثمان بسبب خشقدم وكان ابن عوض مستحقا لذلك فانه صار فى هذه الايام
من وسائط السوء ولاسيما فأوه له فى جهات الغربية ووضع يده على رزق الناس وأوقافهم
واستخراج خراجهم وضاعت على الناس حقوقهم وحصل منه الضرر البليغ ولا حول
ولا قوة الا بالله وفى ذلك اليوم حضر هجان بكتب الحاج وقد حضر فى السابع والعشرين
من ذى الحجة وأشيع عن كتب الحجاج أن مكة بها غلاء وقد وصل الحمل الدقيق الى أربعين
دينارا ووصل الاردب القمح الى عشر أشرفيات ووصلت البطة الدقيق الى ثلاث أشرفيات
وكذلك اشتد السعر فى سائر البضائع والاصناف والغلال وذكروا أنه مات من الجمال
مالا يحصى حتى وصل كراء الموهبة الى أربعين دينارا وذكروا من هذا النمط أشياء كثيرة وان
أمير مكة السيد الشريف نادى فى مكة ان لا أحد من الناس يجاور بمكة تلك السنة بسبب
الغلاء وأشيع عن كتب الحجاج أن الشهابى أحمد بن الجيعان قد جاور بمكة وكذلك مصلح
الدين خازندار ابن عثمان وغير ذلك من الاعيان والذين كانوا بها نزلوا صحبة الحجاج لما اشتد
أمر الغلاء بمكة انتهى ما أوردناه من حوادث سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وقد خرجت
هذه السنة على خير وكانت سنة صعبة شديدة على الناس كثيرة الحوادث والفتن جرى فيها

امور

أمور شنيعة لم تجر فى سالف الازمان وقتل فيها جماعة من الامراء والعسكر والمماليك السلطانية فى فتنة ابن عثمان وقتل فيها من أهل مصر من ليس له ذنب وراح ظلما فقتل من الناس مالا يحصى عددهم ولعب السيف فى أهل مصر سبعة أيام وقتل فيها ثلاثة سلاطين وهم الاشرف الغورى والاشرف طومان باى والظاهر قانصوه وقتل فى البرج بثغر الاسكندرية وتغير فيها ثلاث دول وخربت فيها دور كثيرة ونهب فيها أموال وقماش لا يحصى وتيتم فيها أطفال وترملت فيها نساء وجرت فيها مفاسد كثيرة لم يسمع بمثلها ولم تقاس أهل مصر شدة أعظم من هذه الا فى زمن بختنصر البابلى فانه أخرب مصر وأحرقها حتى أقامت أربعين سنة خرابا فكان النيل يطلع ويهبط ويفرش على الارض فلا يجد من يزرع شيأ من أراضيها وهذا كله بتقدير الله تعالى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة وورد العاقبة الى خير وقد وقفت على كتاب تأليف الشيخ جلال الدين السيوطى رحمة الله عليه ذكر فيه ان فى هذا القرن يبدو الخراب فى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم يتزايد الامر الى سنة خمسين وتسعمائة فيقع فيها فناء عظيم حتى يفنى من أهل مصر نحو النصف وقد ظهرت علامة ذلك فى هذه السنة ومن أعظم مساوى ابن عثمان اخراج أعيان الرؤساء بالديار المصرية ونفيهم الى اسطنبول ونحن نذكر منهم ما تيسر فنقول

﴿ذكر من توجه فى هذه السنة الى القسطنطينية من أعيان رؤساء الديار المصرية﴾

وهم مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ابن المستمسك بالله يعقوب وأولاد ابن عمه سيدى خليل وهما أبو بكر وسيدى أحمد ثم المقر العلائى على ابن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال ومن أولاد الامراء الشرفى يونس ابن الاتابكى سودون العجمى والجناب الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك صهر الاشرف قايتباى ومن الامراء بيبردى بن كسباى الذى كان باش المجاورين بمكة أحد الامراء العشراوات وقرا كز الحكمى أحد الامراء العشراوات وقانصوه القيم باش المدينة الشريفة وجماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا مجاورين بمكة المشرفة وجان بك دوادار الامير طراباى ومن أولاد الناس الشهابى أحمد بن البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين ويوسف بن أبى الفرج الذى كان نقيب الجيش ويحيى بكار الذى كان دوادار الوالى ومن نواب السادة الشافعية الشيخ زين العابدين ابن قاضى القضاة كمال الدين الطويل والشيخ شرف الدين بن دوق والشيخ شمس الدين الحلبى والشيخ شمس الدين بن وحيش والشيخ كمال الدين بن مظفر والشيخ بدر الدين البلقينى والشيخ برهان الدين الابناسى والشيخ شمس الدين الحجازى والشيخ شمس الدين بن الادمى الدمياطى والقاضى شمس الدين المقسى العزيزى والسيد الشريف الحجار والقاضى ولى الدين البتنونى ابن الشرمساحى والقاضى شمس الدين بن جمال الدين الاخميدى ومن نواب السادة

الحنفية الشيخ زين الدين الشرنقاشي والسيد الشريف البرديني والشيخ بدر الدين بن الوقاد السعودي والشيخ بدر الدين محمد بن الرومي ومن نواب السادة المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن الفيشي والشيخ شهاب الدين الابشادي ومن نواب السادة الحنابلة الشيخ شهاب الدين الهيثمي والشيخ جلال الدين الطنبدي والقاضي جمال الدين الحنبلي وأما من توجه الى اسطنبول من المباشرين السلطانية فهم المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش ابن ناظر الخاص يوسف وابن أخيه بدر الدين بن كمال الدين والجناب الشمسي محمد ابن القاضي صلاح الدين بن الجيعان أحد كتاب الخزائن الشريفة والقاضي زين الدين عبد القادر بن الملكي مستوفي ديوان الجيوش المنصورة والشمسي محمد البارزي ومن كتاب المماليك وغيرهم شمس الدين محمد بن فخر الدين وسعد الدين وفرج وكريم الدين وفتح الدين من أولاد ابن خضيرة وابن أبي المنصور ومحمد بن عبد العظيم ومحيي الدين بن بهاء الدين من أولاد ابن البقري وأبو الحسن بن الرقيق وعبد العظيم بن غالب ويحيى بن الطنساوي وشهاب الدين بن عبد العظيم وعبد العظيم بن تقي الدين ناظر الزردخاناه وولده زين الدين وتاج الدين أخو عبد الكريم اللادني وكمال الدين من أولاد ابن البقري وشرف الدين وعلي المرجوشي وأخو يونس الاستادار وابن الزكي ومحمد بن علي كاتب الخزانة وأحمد ابن قريعط وعبد القادر بن قريعط وأبو السعادات وأفضل الدين المنوفي وناصر الدين العزي الموقع وولي الدين ناظر المواريث وعامل المواريث وسعد الدين أخو علاء الدين ناظر الخاص وبركات المنوفي وسعد الدين المنوفي ومحمد الكوبر ناظر الخاص وأحمد بن حشو البطن وابن نصر الله وكريم الدين صهر عبد الفتاح ومحمد بن أبي غالب وصفي الدين بن الهيصم وتاج الدين بن البقري وشقيقه بركات بن سلمان وكمال الدين بن الناصري وعبد الرحمن مباشر أمير اخور كبير وبدر الدين بن خازوقة ورفيقه وأبو الفضل مباشر الوالي ورفيقه والعبادي ورفيقه وبدر الدين مباشر الامير انسباي وكمال الدين العائق مباشر أمير اخور كبير وآخرون من المباشرين لم تحضرني أسماؤهم الآن ومن أعيان الناس المهتار محمد النحولي مهتار السلطان الغوري كان والمهتار سليمان ومحمد بن يوسف الذي كان ناظر الاوقاف وعلم الدين جلبي السلطان الغوري وعلي مقدم الدولة ومن الزردكاشية يحيى بن يونس ومحمد العادلي الشهير بابن البدوية وزين العابدين بن محمود الاعور وجماعة من السيوفية والصياقلة والسباكين والحدادين ومن تجار الباسطية شهاب الدين الخطيب الاسمر وأحمد الديروطي وأولاد ابن نفيس وعلي بن خشيم ومن تجار سوق مرجوش ابن الشقيرة وأبو الفوز الحصاني وبدر الدين شيخ سوق الغزل ومن تجار المغاربة الشيخ سالم التاجوري وسعيد اللبدي وأبو سعيد وآخرون لم تحضرني أسماؤهم من المباشرين والتجار بأسواق القاهرة وغيرها

ومن

ومن الخدام مقدم المماليك سنبل العثمانى ونائبه وعثمان الرومى وشهاب الدين أحمد الجارحى قيل مات من الرجفة قبل سفره بأيام ومن البزدارية كمال الدين بن بزدار أمير كبير وعبد القادر بن المنقار وابن الشيخ محمد بن رسلان وناصر الدين واسمعيل ومحمد الكاتب وأبو بكر وابن السمينى ويحيى بن يحيى وبركات بن المبيض ومحمد بن الجيعان وبركات النائب وسعد الدين بن البحلاق ويحيى مقدم الخاص وحسن نائب البرماوى والسوهاجى ومحمد قطارة ومحمد بن فروشيخ جهات الأميرية وآخرون ما يحضرنى أسماؤهم الآن ومن رؤس النوب فرج بن البرديني وآخرون ومن مقدمى السقائين عبيد وأبو الخير وابن فريخ النار وتوجه الى اسطنبول جماعة من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين والمباطين والخراطين والمهندسين والحجارين والفعلاء جماعة كثيرة لم يحضرنى أسماؤهم الآن وقد زعموا أن الخنكار بن عثمان يقصد أن ينشئ له مدرسة فى اسطنبول مثل مدرسة السلطان الغورى التى بالشرابشيين وتوجه الى اسطنبول جماعة من طائفة اليهود والسامرية ومن طائفة النصارى بانوب الكاتب بالخزائن الشريفة وأبو سعيد وأمين الدولة ويوحنا الصغير ويوسف بن هبول وشيخ الملكيين الاسكندرى وولده وآخرون من النصارى واليهود لم يحضرنى أسماؤهم فيقال ان جميع من خرج من أهل مصر وتوجه الى اسطنبول دون الالف انسان والله أعلم بحقيقة ذلك وفيهم نسوان أيضا وأولادهم صغار رضع ومنهم كبار ولم تقاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة ولا سمع بمثلها فى التواريخ القديمة وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ففارقت الناس أوطانهم وأولادهم وأهاليهم وتغربوا من بلادهم الى بلاد لم يطؤها قط وخالطوا أقواما غير جنسهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت سنة مشومة على الناس مباركة على المباشرين الذين بمصر وصاروا هم الملوك يتصرفون فى المملكة بما يختارونه من الامور ولا سيما فعلوه فى جهات الشرقية والغربية وجهات الصعيد ووضعوا أيديهم على رزق الناس والاقطاعات ثم استدرجوا الى أن أخذوا أموال الناس بغير حق شرعى ثم استدرجوا ثانيا الى أن أخذوا أموال الاوقاف وصار واليس على يدهم يد يفعلون ما شاؤا من هذا النمط فغنموا فى هذه السنة أموالا جزيلة من البلاد مما أخذوه من خراج الناس فكان مجيء ابن عثمان غنيمة للمباشرين وبعض الافراد الذى أودع عندهم الامراء الجراكسة والعسكر الاموال والقماش وقتلوا فى الواقعة فتمدوا على تلك الودائع وراحت على من راحت فكان كما يقال فى المعنى * مصائب قوم عند قوم فوائد * انتهى

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وتسعمائة) فيها كان افتتاح شهر المحرم يوم الأربعاء فطلع القضاة الى القلعة وهنوا ملك الامراء خاير بك بالعام الجديد ثم رجعوا

الى دورهم فلما كان يوم السبت رابع المحرم شكى الناس من أذى العثمانية الذين بمصر وتزايد منهم الفساد فى حق الناس وصاروا يتوجهون الى الاماكن التى فى زقاق الكحل والمسطاحى والتى فى الجسر وحكر الشامى والازبكية ويأخذون مافيها من الابواب والسقوف والشبابيك الحديد والطيقان ويحملونها على الجمال بين الناس على النداء والاجهار ويبيعونها بأبخس الاثمان ولم يجدوا من يردهم عن ذلك ثم صاروا يطلعون بالنساء الى القلعة ويتحشرون بهن فى اطباق المماليك الذين بالقلعة وصنعوا بالطباق اطباق بوزه وصارت خانه برسم حرافهم وصاروا يأخذون ما بالطباق من الابواب والسقوف ويطبخون بها الطعام حتى أخربوا غالب السقوف التى بالقلعة ثم تزايد منهم الفساد حتى صاروا يخطفون النساء والصبيان المرد وعمائم الناس من الطرقات والازقة والاسواق فى النهار والليل وصار الناس على رؤسهم طيرة من العثمانية ويجدون القتلى مرمية فى الطرقات فلما تزايد هذا الامر دخل جماعة من الناس الى القاضى الذى جعله ابن عثمان فى المدرسة الصالحية أمينا على قضاة مصر فشكوا اليه من أفعال العثمانية وما يفعلونه بالناس فلما سمع هذا الكلام ركب وتوجه الى بيت الامير قايتباى الدوادار وأركبه وطلع به الى القلعة وأخبروا ملك الامراء خاير بك بهذه الاحوال التى تصدر من العثمانية ثم ان قاضى ابن عثمان أغلظ على خاير بك فى القول وقال له انظر فى أحوال المسلمين والا تخرب مصر عن آخرها فقد فسدت الاحوال جدا ومتى بلغ الخنكار هذه الاخبار يرسل يضرب أعناقنا ويقول لنا كيف كتمتم عنى أخبار مصر وغفلتم عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى فلما سمع ملك الامراء خاير بك هذا الكلام وعد القاضى والامير قايتباى الى يوم السبت حادى عشر الشهر فاحضر الانكشارية والاصباهية وعرضهم وفحص عمن يفعل هذا منهما ثم ان خاير بك نادى فى القاهرة بان لا امرأة تخرج من بيتها ولا صبى أمرد ولا يتوجهون فى هذا الشهر الى السيدة نفيسة ولا الى مشهد الحسين ولا الى بين القصرين وان الدكاكين والاسواق تغلق بعد المغرب ولا يمشى أحد من الناس بعد المغرب وفى يوم الاحد ثانى عشر المحرم حضر من الشام من عند ابن عثمان قاصدان زعموا انهما من أعيان أمرائه وقيل ان أحدهما أغات طائفة الانكشارية والآخر أغات الاصباهية فلما بلغ ملك الامراء حضورهما نزل من القلعة ولاقاهما وكان لهما موكب حافل فطلعا الى القلعة واجتمعت الامراء العثمانية والامير قايتباى الدوادار وقرؤا مطالعة الخنكار ثم أشيع أن ابن عثمان أرسل يطلب الامير ازدمك الناشف أحد الامراء المقدمين والامير قانصوه العادلى كاشف الشرقية والامير برباى العادلى وأرسل يطلب جماعة من الانكشارية وجماعة من الاصباهية الذين كان قد تركهم بمصر فكثر القيل والقال فى ذلك فلما كان يوم

الثلاثاء رابع عشره أرسل ملك الامراء خاير بك الى الامير ازدمك الناشف أحد الامراء
المقدمين والامير قانصوه العادلى كاشف الشرقية والامير قرباى العادلى وأرسل يطلب
جماعة من الانكشارية وجماعة من الاصباهية الذين كان قد تركهم بمصر فكثر القال
والقيل فى ذلك وأرسل ملك الامراء خاير بك الى الامير ازدمك الناشف أربعمائة دينار
وقال له هذه نفقة السفر فاعمل بها برقك واخرج سافر فشكى ازدمك من ذلك وقال
ايش يكفينى هذا القدر لعمل برق السفر ثم ركب وتوجه الى بيت الامير قايتباى الدوادار
وشكى له من أمر هذه النفقة فقال له اصبر حتى أطلع الى ملك الامراء خاير بك فى ذلك
اليوم ثم فى يوم الاربعاء خامس عشره أشيع بين الناس أن جماعة من الانكشارية
والاصباهية لما تحققوا أن الخنكار أرسل يطلبهم أظهروا العصيان وخرج بعضهم الى
نحو الشرقية والغربية وتفرقوا فى البلاد ومن الحوادث الغريبة انه فى يوم الجمعة سابع عشر
المحرم من هذه السنة أشيع واستفاض بين الناس أنه قبض على قاسم بك بن أحمد بك بن أبى
يزيد بن محمد بن عثمان ملك الروم وقاسم بك هذا هو الذى كان قانصوه الغورى اجتهد كل
الاجتهاد حتى أدخله الى مصر وصار ضد السلطان سليم شاه بن عثمان وكان سليم شاه يخشى من
أمر قاسم بك هذا أن يلتف على عسكر الروم من عساكر جده ويولوه مملكة الروم وسافر
قاسم بك هذا صحبة الاشرف قانصوه الغورى الى حلب وصنع له برقا وسنجقا حافلا وجعل له
صنجق من حرير أخضر وأحمر كما هى عادة ملوك الروم وحضر الواقعة التى كانت فى مرج
دابق فلما فقد السلطان الغورى وجرى ما جرى رجع قاسم بك صحبة الامراء الى مصر
وصار معظما عند السلطان طومان باى وحضر معه فى الواقعة التى كانت بالمطرية فلما
انكسر السلطان طومان باى هرب معه الى جهة الصعيد فلما وقع السلطان طومان باى هو
وابن عثمان فى الجيزة بالقرب من وردان انكسر طومان باى وهرب فلما قبضوا عليه
وشنق اختفى قاسم بك ولم يعلم له خبر مدة طويلة وقد فاته القتل مرارا عديدة وكان السلطان
حاسب حسابه جدا ليلا ونهارا وكان عسكر ابن عثمان قصدهم المخامرة عليه والتوجه
الى قاسم بك وقد أشيع بين الناس أنه لما هرب بعد كسرة طومان باى توجه مع بعض
العربان الى نحو الجبل الاخضر الذى باعلى البحيرة وكان قد نسى أمره فلما كان يوم
الجمعة المقدم ذكره أشاعوا أنهم قد قبضوا عليه فى مكان عند الطوف بالقرب من البرقية وقد
غمز عليه بعض غلمانه فى ذلك المكان فتوجه اليه كشبغا والى القاهرة وشخص آخر يقال له
جانم الحمزاوى شاد الشون من خدمة ملك الامراء خاير بك وهو دواداره الآن فتوجها
اليه وقبضا عليه من ذلك المكان المذكور فلما قبضوا عليه عروه من أثوابه وقلعوه عمامته
وألبسوه برنسا أسود وغطوا وجهه وسبب ذلك انهم خشوا ان العثمانية متى بلغهم انهم

قبضوا عليه وهو طالع الى القلعة يخلصونه و يقتلون من معه وتثور بين العثمانيين فتنة عظيمة وتكون سببا لزوال ملك سليم شاه بن عثمان فلما طلعوا به الى القلعة بعد العصر قريب المغرب من يوم الجمعة عرضوه على ملك الامراء خاير بك فرسم بادخاله الى سجن العرقانة الذى هو داخل الحوش السلطانى فادخلوه به وأغلقوا عليه باب السجن ثم اجتمع ملك الامراء خاير بك والامير قايتباى الدوادار ومن الامراء العثمانيين فائق بك وسنان بك ومصطفى بك وخير الدين بك نائب القلعة فلما اجتمعوا ضربوا مشورة فى أمر قاسم بك فقال ملك الامراء خاير بك دعوه فى السجن وأرسلوا كاتبوا الخنكار فى أمره وانتظروا الجواب فيما يرسم به فقال فائق بك هذا ماهو رأى متى بات فى قيد الحياة تدخل علينا التراكمة وتقتلنا عن آخرنا وتقع فتنة كبيرة فلما دخل وقت العشاء أحضروا المشاعلى ودخلوا عليه وهو فى العرقانة فخنقوه بها وكان آخر العهد به فلما أصبح يوم السبت ثامن عشره أخرجوا قاسم بك من العرقانة وهو ميت ورقدوه على مسطبة بالحوش وكشفوا عن وجهه وأرسلوا خلف العثمانيين قاطبة حتى رأوه فقالوا لهم هذا قاسم بك بن أحمد بك ابن أبى يزيد بن عثمان ثم صاروا يقلبونه باطنا وظاهرا ثم شهد منهم جماعة كثيرة ان هذا هو قاسم بك ابن أحمد بك ابن عثمان ثم بعد ذلك أرسل ملك الامراء خاير بك خلف قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة الحنفى الطرابلسى وقامت عندهما البينة بصحة معرفة قاسم بك هذا فكتبوا بذلك محضرا وثبت عند قاضى القضاة ثم انهم شرعوا فى تجهيز قاسم فغسلوه وكفنوه وأخرجوه قدام الدكة التى بالحوش السلطانى فصلوا عليه هناك وكان الذى صلى عليه قاضى القضاة الشافعى وكانوا أطلقوا المناداة فى القاهرة بأن الصلاة على الشاب الشهيد قاسم بك بن عثمان فانه ينزل من القلعة ثم ان ملك الامراء خاير بك أشهر المناداة فى القاهرة بأن يصلى على قاسم بك بن عثمان صلاة الغيبة فى الجوامع كل هذا حتى يتحقق الناس موته عن يقين فلما صلوا عليه بالحوش حملت الامراء نعشه على أكتافهم ثم نزلوا به من سلم المدرج ووضعوا عمامته على نعشه ورفعوا عليه علما أبيض ثم توجهوا به الى تربة الجانى فدفنوه فيها على أقاربه وكانت جنازته مشهودة وكثر عليه الاسف والحزن من الناس فانه كان شابا جميل الصورة حسن المنظر له من العمر سبع عشرة سنة وقد قتل ظلما بغير ذنب وقد تناحرت عليه العثمانيون بالبكاء فلما دفنوه ولحدوه قطعوا رأسه بليل ووضعوها فى علبة وتوجه بها جانم الحزاوى هى والمحضر الى الخنكار بالشام هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك وقد عد مسك قاسم بك وقتله أعظم من مسك الاشرف طومان باى وقتله فتعجب الناس من قوة سعد سليم شاه بن عثمان من مبدئه الى منتهاه وهذا أمر من الله تعالى ليس فى قدرة بشر وكانت الناس

تظن ان قاسم بك هذا سيلي مملكة الروم بعد عمه سليم شاه فخابت فيه الظنون وعاجله ريب المنون وكان ذلك مما سبقت به الاقدار والحكم لله الواحد القهار وفى يوم الاحد تاسع عشره أنفقوا الجامكية على المماليك الجراكسة فى بيت الامير قايتباى الدوادار فأنفقوا لكل مملوك ألفى درهم وهى جامكية شهر واحد فأنفقوا عليهم يوم الاحد ويوم الاثنين وفى ذلك اليوم نادى ملك الامراء خاير بك فى القاهرة بأن لا أحد من الناس يخبى فى بيته عثمانيا ولا انكشاريا من عسكر ابن عثمان وكل من خبأ عنده أحدا وغمز عليه شنق على باب داره من غير معاودة وسبب ذلك ان الخنكار بن عثمان لما أرسل يطلب جماعة من الانكشارية ومن الاصباهية اختفى منهم جماعة وجماعة تفرقوا فى الشرقية والغربية وتوجهوا اليها هاربين فى البلاد وأظهروا العصيان وقد تقدم القول على ذلك وفى يوم الاثنين سابع عشريه أشهروا المناداة فى القاهرة حسبما رسم ملك الامراء بان جميع الانكشارية والاصباهية يخرجون يوم الاثنين صحبة القصاد وكل من تأخر منهم شنق من غير معاودة فشق من القاهرة جماعة من الامراء العثمانية وقدامهم مشاعلى ينادى بالتركى وآخر ينادى بالعربى وذلك بعد الظهر فلما بلغ العثمانية ذلك اضطربت أحوالهم وخرج غالبهم الى نحو الشرقية وقد التفت عليهم المماليك الجراكسة وصاروا يرمون بينهم وبين الامراء العثمانية الذين بمصر الفتن حتى يقع بينهم الشر ويظهروا العصيان على ابن عثمان وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى المحرم دخل الحاج الى القاهرة ودخل المحمل الشريف والقاضى علاء الدين ناظر الخاص أمير ركب المحمل وقاضى قضاة المالكية محيى الدين بن الدميرى وبقية الحجاج وأخبروا أنهم قاسوا فى هذه الحجة مشقة زائدة وشدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال وفساد العربان فى الطريق وكثرة الامطار والسيول وقلة العليق ومشى غالب الحجاج على أقدامهم فى الرجعة وقد أثنوا على ناظر الخاص فيما فعله بالحجاج فى الطريق من البر والصدقات وفعل الخير وكان اذا رأى أحدا من الحجاج منقطعا يركبه على جماله وينعم عليه بالماء والبقسماط فى الطلعة والرجعة فرجع الحجاج وهم عنه راضون فيما فعله بهم وقد رفق بهم فى مشى الركب بسبب المنقطعين من الحجاج وقد أثنوا عليه خيرا وفى يوم الاربعاء تاسع عشريه دخل الى القاهرة الامير قانصوه العادلى كاشف جهات الشرقية وكان أشيع عنه العصيان من حين عين للسفر فأتى لتبطل عنه الاشاعات فلما طلع يوم الخميس الى القلعة خلع عليه ملك الامراء خاير بك قفطانا مخملا مذهبا ونزل يعمل برقه وقد مضى هذا الشهر وعسكر ابن عثمان فى خلف بينهم بسبب السفر الى الشام واستمرت الانكشارية فى أمر العصيان عن السفر وصاروا يكبسون عليهم بيوتهم وحاراتهم ويقبضون على نسائهم اللاتى تزوجن بهن من مصر وحصل لهن الضرر الشامل بسبب ذلك وفى صفر الخير وكان

مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة الى القلعة فهنؤا ملك الامراء خاير بك بالشهر
ورجعوا الى دورهم وفى هذا اليوم خرج جماعة من الانكشارية والاصباهية من الطائعين
منهم دون العاصين الذين هربوا كما تقدم فخرجوا صحبة القصاد الذين جاؤا الطلبهم من الشام
حسبما رسم الخنكار سليم شاه بن عثمان قيل انه أرسل يطلب ألف انسان من الاصباهية
ومن الانكشارية أربعمائة انسان وفى يوم الاثنين رابع صفر خرج بقية العسكر العثمانى
الذى تعين للسفر وخرج الامراء المعينون للسفر وهم الامير أرزمك الناشف أحد المقدمين
والامير قانصوه العادلى كاشف الشرقية والامير عربا العادلى والامير خشقدم الاشرفى
الذى كان شاد الشون أيام السلطان الغورى ولم يشعر بخروجهم أحد من الناس ولم يطلبوا
طلبا على جارى العادة فلما خرجوا توجهوا الى الريدانية ونزلوا بها الى أن رحلوا منها وفى هذه
الايام تزايد القال والقيل بين الناس بوقوع فتنة كبيرة وفى يوم الثلاثاء خامس صفر خلع
ملك الامراء خاير بك على شيخ العرب الامير أحمد بن بقر وقرره فى مشيخة جهات الشرقية
عوضا عن ابنه عبد الدائم وقد أظهر عبد الدائم العصيان ونهب منية غمر وأحرقها وغيرها
من بلاد الشرقية ووقع الاضطراب بها وطفشت العربان فى البلاد بالفساد والنهب وحصل
منهم الضرر الشامل وصار عبد الدائم رأس كل فتنة فى كل دولة وقد تقدم القول على ذلك
وفى يوم السبت تاسعه قويت الاشاعات بعصيان عبد الدائم وانه قد التف عليه عربان
كثيرة من الشرقية والغربية وطردوا أباه من الشرقية واضطربت أحوال الشرقية الى
الغاية وأشيع فى البلاد ان مصر ما بقى فيها أحد من عساكر ابن عثمان فلما بلغ ملك الامراء
خاير بك ذلك رسم لخير الدين بك نائب القلعة وجماعة من الامراء العثمانية بان يشقوا من
القاهرة ومعهم الانكشارية الذين تأخروا بعصر فنزل من القلعة وقدامه من الانكشارية
نحو ثلثمائة انسان وهم مشاة وبأيديهم مكاحل وشق من الصليبة وتوجه من بين الصورين
وطلع من جهة سوق مرجوش وشق من القاهرة فرجت له فى ذلك اليوم ثم عاد الى القلعة
وفيه أشيع أن ملك الامراء خاير بك أخذ فى أسباب تحصين القلعة وسد منها عدة أبواب
وأبقى منها الابواب الكبار على حكمها وقصد أن يسد بعض أبواب من القاهرة وأظهر الخوف
والفزع ودخلت رأسه الحراب من عبد الدائم بن بقر وكثرة العربان التى اجتمعت معه وكثر
القيل والقال فى ذلك والروايات مختلفة وفيه أشيع ان الريس سلمان العثمانى الذى كان
فى البرج بالقلعة وضعه خاير بك فى الحديد وأرسله الى ابن عثمان بالشام وكثرت الحوادث فى
هذه الايام جدا وفى يوم الاثنين حادى عشره أشيع ان ملك الامراء خاير بك عين الامير
قايتباى الدوادار بأن يخرج الى عبد الدائم بن بقر وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة
ومن العثمانية وعرض فى ذلك اليوم طائفة من العثمانية يقال لهم كمليا فعرضهم فى بيت سنان

باشا

باشا العثمانى وعين منهم جماعة يخرجون الى التجريدة صحبة الامير قايتباى الدوادار بسبب
عبد الدايم كما تقدم وفى أثناء هذا الشهر أشيع أن الخنكار سليم شاه بن عثمان خرج من دمشق
وقصد التوجه الى حلب وما يعلم سبب ذلك وكثرت الاقاويل فى خروجه من الشام الى حلب
وفى يوم الاربعاء عشرى صفر عرض الامير قايتباى الدوادار المماليك الجراكسة فى بيته
الذى بين القصرين وعين جماعة منهم يخرجون الى الشرقية بسبب عصيان شيخ العرب
عبد الدائم بن بقر وقد قويت الاشاعات بعصيانه وقد التفت عليه جماعة كثيرة من
العربان وفسدت أحوال الشرقية قاطبة من قطع الطريق على القصاد ونهب البلاد
ووقع الاضطراب جدا هنالك حتى كادت أن تخرب بلاد الشرقية ولما عرض الامير
قايتباى الجراكسة وجد غالبهم مشاة على أقدامهم بغير خيول ولا سلاح فبطل أمر العرض
والتجريدة وفى يوم السبت ثالث عشريه خرج شيخ العرب بيبرس بن بقر أخو عبد الدائم
وصحبته الشيخ أبو الحسن بن الشيخ أبى العباس الغمرى يسعون بين عبد الدائم وبين أبيه
الامير أحمد وبين اخوته بالصلح وأشيع أن ملك الامراء خاير بك أرسل صحبتهما خلعة الى
عبد الدائم لعله يقع الصلح على أيديهما وكذا جرى وفى يوم السبت مستهل شهر ربيع
الاول حضر جانم الجزاوى دوادار ملك الامراء خاير بك وقد تقدم القول على أنه كان
توجه الى الشام عند السلطان سليم شاه بن عثمان ببشارة قتل قاسم بك بن عثمان فلما
أخبر سليم شاه بذلك سر الى الغاية وأشيع أنه أنعم على جانم الجزاوى بنيابة ثغر الاسكندرية
ثم رسم له بالعود الى القاهرة وأرسل على يده خلعة الى ملك الامراء خاير بك فى استمراره
بنيابة السلطنة بمصر على عادته وأرسل خلعة الى الامير قايتباى الدوادار وقيل الى
كشبغا والى القاهرة لكونه قبض على قاسم بك ابن عثمان فلما وصل القاصد
صحبة جانم الجزاوى الى الريدانية بات فى تربة العادلى وفى هذا اليوم نزل ملك الامراء
خاير بك من القلعة وصحبته الامير قايتباى الدوادار والامراء العثمانية الذين بمصر
وطائفة من الانكشارية والاصباهية وغير ذلك من الطوائف الذين تركهم ابن عثمان
بمصر وصحبتهم جماعة كثيرة من الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة الذين ظهروا
بمصر كما تقدم وخرج الجم الكثير من العساكر العثمانية وفيهم من يرمى بالنفوط فتوجه الى
تربة العادلى وجلس على المسطبة التى هنالك ثم ان ملك الامراء خاير بك لبس القفطان المخمل
المذهب الذى أرسله له السلطان سليم شاه بن عثمان فأشيع فى ذلك اليوم أن ابن عثمان جعله
مستمرا على نيابته بمصر على عادته وأن يجعل السكة والخطبة باسمه فلم تصح هذه الاشاعات
فيما بعد ثم ان ملك الامراء ركب من هنالك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة
فى موكب حافل وقدامه قضاة القضاة وموجب ذلك أن هذا اليوم كان مستهل الشهر

فتوجهت اليه القضاة هناك ليهنوه بالشهر فلما رجع الى القاهرة رجعوا صحبته وركبوا
قدامه الى أن طلع الى القلعة وركب قدامه أيضا أعيان المباشرين ولاقته النصارى بالشموع
فى أيديهم من باب النصر فلما وصل الى بين القصرين ومر على بيت الامير قايتباى الدوادار
نثرت على رأسه كبشة جيدة من الفضة فتخاطفتها الناس فلما شق من القاهرة زينت له
زينة خفيفة فى بعض أماكن وارتفعت له الاصوات بالدعاء من بعض الناس وأشهروا
النداء قدامه بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن لا أحد يشوش على أحد من الرعية
وان كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الامراء خاير بك والدعاء بالنصر لمولانا السلطان سليم
شاه بن عثمان فضج الناس له بالدعاء قاطبة واستمرت الانكشارية يرمون قدامه بالنفوط
وهم مشاة حتى طلع الى القلعة وكانوا نحو أربعمائة انسان وكان أشيع أن ملك الامراء
خاير بك يستقل بمملكة مصر ويجعل السكة والخطبة باسمه حسبما رسم الخنكار ابن
عثمان فلم تصح هذه الاشاعة وخمدت كأنها لم تكن واستمر تابعا على حكمه وكانت هذه
الاشاعة من الكلام المختلق من جملة كذب الناس وصار غالب أهل مصر فى هذه الايام
يختلقون الكلام الكذب ويشيعونه بين الناس بما يختارونه ثم يبطلونه وينقضونه ويأتون
بكلام غيره والكل ليس له صحة وهو من جملة المختلق وقال القائل فى المعنى

أبناء مصر مقالهم عجب * تواتر الصدق منه مرفوض
مقالهم لا يزال مختلقا * وكله ناقض ومنقوض

ولما حضر جانم الحمزاوى أشيع بين الناس أن السلطان سليم شاه لما أقام بالشام رسم
لقاضى القضاة الشافعى محب الدين ابن قاضى القضاة شهاب الدين بن فرفور بان يتقلد
بمذهب الامام أبى حنيفة ويترك مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأشيع أنه لا يحكم
بالشام غير قاضى قضاة الحنفية لا غير كما هى عادة بلاد الروم وأبطل من الشام المذاهب
الثلاثة فتفاءل الناس له بسرعة الزوال عن قريب بسبب ذلك وأشيع أنه أبطل الوكلاء
والرسل من أبواب القضاة ونوابهم فلما بلغ ملك الامراء خاير بك ذلك رسم لقضاة القضاة
بمصر أن يخفوا من نوابهم فرسم لقاضى القضاة الشافعى بخمسة من النواب وقاضى القضاة
الحنفى بأربعة من النواب وقاضى القضاة المالكى بثلاثة من النواب وقاضى القضاة
الحنبلى باثنين من النواب من غير زيادة على ذلك ثم ان ملك الامراء خاير بك رسم لنواب
القضاة أن يبطلوا الوكلاء والرسل من المدرسة الصالحية وأن نواب القضاة لا يحكمون الا فى
بيوتهم من غير رسل ولا وكلاء فلم يتم هذا الامر ولم يسمع له شئ ومما وقع فى هذه الايام من
الحوادث الشنيعة أن شخصا من أمراء ابن عثمان صار يجلس على دكة بباب الصالحية يسمونه
المحضر وحوله جماعة من الانكشارية فكان لا يقضى أمر من الاحكام الشرعية حتى

يعرض عليه فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكي ويخاطبونه بترجمان بينهما عن أمر الشكاية فكان يقرر على كل محكمة في كل أشرفي ستة دراهم نقرة يأخذها لنفسه من الشاكي والمشتكي يسمون ذلك مصلحات وكان اذا أمر بشئ لا تعارضه القضاة وكان يزعم أنه مستوفي على القضاة في الامور الشرعية وكان يضرب من يستحق الضرب ويسجن من يستحق السجن ولا يراجع القضاة في ذلك فكان يحصل له في كل يوم من ذلك القدر المعلوم مال له صورة يأخذه من الشاكي والمشتكي ثم انهم أحدثوا مظلمة أخرى وهي أنهم قرروا أنصاف على كل دكان من الشهود ومجالس القضاة الذين بمصر والقاهرة قاطبة كل شهر ستة ويزعمون أنهم يوردون ذلك القدر لبيت مال المسلمين ويجهزونه الى السلطان ابن عثمان وقد ضعفت شوكة الشرع في هذه الايام جدا وقد قال القائل في المعنى

يارب زاد الظلم واستحوذوا * والفعل منهم ليس يخفى عليك
ومالنا الالك فانظر لنا * ونجنا منهم وخذهم اليك

ولما حضر الامير جانم الحمزاوي دوادار ملك الامراء خاير بك أخبر بأن السلطان سليم شاه لما دخل الى الشام استقر بالامير جان بردي الغزالي نائب الشام وجعل له التحدث من غزة الى الشام وأعمالها يولي من يختار ويعزل من يختار وأشيع أن عسكر ابن عثمان لما دخلوا الى الشام طردوا الناس عن بيوتهم وسكنوا فيها كما فعلوا بمصر وأخربوا غيطانها وزروعها وقطعوا أشجارها وأكلوا جميع فواكهها وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الاول أشيع بين الناس بالمراسيم التي حضرت من عند الخنكار سليم شاه على يد الامير جانم الحمزاوي فكان مضمونها أنه أرسل يقول لملك الامراء خاير بك اصرف لاولاد الناس جوامكهم على العادة وكذلك المماليك الجراكسة وكل من له جامكية يصرفها له ويجري الناس على عوائدهم من كبير وصغير فشكر له الناس ذلك ودعوا له فلما بلغ أولاد الناس ذلك طلعوا الى القلعة ونزلوا أسماءهم عند القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك حتى كل من كان له جامكية أشرفي أو مائتا درهم وأرسل يقول له احتفظ بالرعية وفي يوم الاثنين عاشره طلع المماليك الجراكسة الى الميدان الذي تحت القلعة وحضر كاتب المماليك شرف الدين الصغير وأنفق على المماليك جامكية شهر واحد وبقي لهم شهران مكسوران ولم يحضر ملك الامراء تفرقة الجامكية بالميدان بل حضر شرف الدين الصغير وجماعة من كتاب المماليك وشرع شرف الدين كاتب المماليك يقول للمماليك يا أغوات كل من أخذ الجامكية يعمل برقه للسفر ويقول له اذا طلبت منك هؤلاء المماليك للسفر فاحضر بهم فنزلوا من القلعة على ذلك وفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول كانت ليلة المولد النبوي فصنع له ملك الامراء مولدا لم يشعر به أحد من الناس فقيل أحضر عنده عشر جوخ للقريين فضجوا من ذلك وقالوا

نحن كان يدخل علينا في مولد السلطان لكل واحد منا مائة شقة فكيف نأخذ في مولد ملك الامراء جوخة بأشرفيين فرسم لكل منهم بجوخة بأربع أشرفيات لاغير ثم بعد العصر مد سماطا في المقعد الثاني الذي بالحوش ليس بكبير أمر تخاطفته العثمانية في لمح البصر وبات غالب الفقهاء بلا عشاء وابن الحسام من الخجل بالنسبة لما كان يعمل في مولد السلاطين الماضية من الاسمطة الحافلة والشقق الحرير التي كانت تدخل على المقربين والوعاظ ولاسيما ما كان يعمل في مولد السلطان قانصوه الغوري فكان يصرف على مولده فوق الاربعة آلاف من الدنير ويحضر عنده في تلك الخيمة المعظمة التي لم يسمح الزمان بمثلها أبدا القضاة الاربعة ومن الامراء المقدمين أربعة وعشرون أميرا مقدم ألف غير بقية الامراء والعسكر وهم بالشاش والقماش فأين هذا النظام من ذلك النظام العظيم فيا أسفي على تلك الايام كأنها منامات أحلام وقد قال القائل في المعنى

يادهر بع رتب المعالى مسرعا * بيع الهوان ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من أردت من الورى * مات الذي قد كنت منهم تستحي

وفي يوم السبت خامس عشر ربيع الاول خلع ملك الامراء خاير بك على الزيني بركات بن موسى المحتسب واستقر به أمير ركب المحمل الشريف وكانت هذه الوظيفة لايستقر بها الا أمير مقدم ولعمرى ان هذه الوظيفة قد هانت حتى سامها كل مفلس فخلع عليه قفطانا مخملا مذهبا ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامه أعيان المباشرين والامراء العثمانية وجماعة من الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة فرجت له القاهرة في ذلك اليوم وزينت له الدكاكين بالشموع وعلقت له الاحمال بالقناديل ولاقته مشايخ العربان من بني هلال وكاشف الشرقية ومشى قدامه جماعة من الانكشارية نحو مائتي انسان يرمون بالنفوط ومشى قدامه جماعة من القواسة نحو ثلثمائة انسان ومشى قدامه السقاؤن يرشون الماء بطول الطريق ومشى قدامه الضوية بالمشاعل وعليها الفوط الزركش ومشى قدامه جميع الرسل قاطبة وبأيديهم العصي ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية مثل مواكب السلاطين ولاقاه المغاني من النساء بالطارات وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وساق قدامه البرجاس عربان بني حرام وكان ذلك اليوم من الايام المشهودة قل ان يقع لاحد من الامراء مثل ذلك فلهج الناس بهذا الموكب وقالوا لعل هذا نهاية سعد الزيني بركات بن موسى ولم يقع مثل هذا الموكب للملك المظفر سليم شاه بن عثمان لما دخل الى القاهرة حين ملكها فلما نزل الزيني بركات بن موسى الى داره أنعم على الانكشارية بثلثمائة دينار فصل لكل واحد منهم أشرفي وأنعم على القواسة والسقائين أيضا بمبلغ جيد وقد قلت في هذا الموكب أبياتا

ان ابن موسى لم تزل حركاته * تأتى بسعد خارق بين الورى
عاينته فى موكب حفل فلا * سمعت به أذن ولا عين ترى
فى يوم سبت شرفوه بخلعة * فاق الملوك وصار يزهو منظرا
لما استقر أمير محمل سرنا * واستبشرت لقدومه أم القرى
وتفاءل الحجاج أن بكعبه * يلقوا الرخا والامن ممن بشرا
يا ربنا فأطل بقاه بنعمة * تحمدبها الركبان عاقبة السرى

وفى يوم الاحد ثالث عشريه أنفق ملك الامراء على جماعة من الامراء الجرا كسة فأعطى لكل أمير طبلخانات أربعين ديناراو أعطى لكل أمير عشرة عشر أشرفيات وقيل خمسة وعشرين أشرفيا فى نظير أقاطيعهم ولحومهم وعليقهم وأعطى المماليك الجرا كسة لكل واحد منهم ألف درهم من غير زيادة على ذلك وفى يوم الاثنين رابع عشرى ربيع الاول وافق ذلك اليوم دخول أول يوم من الخماسين وهو يوم عيد النصارى وفطرهم ومن جملة انعام الله تعالى انه لم يقع فى هذه الخماسين طاعون بمصر ولا غيرها من البلاد وفى ذلك اليوم كانت وفاة صاحبنا الناصرى محمد بن منكلى بغا وكان موته فجأة وكان لطيف الذات فكه المحاضرة حسن العبارة فى كلامه رقيق الطباع عشير الناس وكان لا بأس به وفى هذا الشهر حضر الناصرى محمد المعروف بابن الورد لاعب الشطرنج وكان بالشام من حين أرسل خلفه السلطان سليم شاه وكان السلطان أرسل له مبلغا له صورة يتسفر به فلما توجه الى الشام وجد الخنكار غير منشرح بسبب الصوفى فأقام مدة بالشام ثم استأذن السلطان فى عوده الى مصر فأذن له بالعود الى مصر فأخبر الناصرى محمد بن الورد أن قصاد الصوفى قدموا على ابن عثمان وهو بالشام من مكان غير الطريق السالكة فما شعر بهم ابن عثمان الا وهم بين يديه فدفعوا اليه مطالعة من عند الصوفى وتقدمة حافلة فلما قرأ تلك المطالعة وجد فيها عبارة لطيفة وألفاظا رقيقة تتضمن أمر الصلح بينه وبين الصوفى ونعته بنعوت عظيمة فى المطالعة فلما قرأ المطالعة اضطرب لذلك وقال هذا كله مخادعة من الصوفى حتى يبطل عزمى عن ملاقاته ثم يطرقنى على حين غفلة كما فعلت أنا مع السلطان الغورى فرحل من الشام على الفور وقصد التوجه الى حلب وقال لوزرائه أنا أعلم من حيل اسمعيل الصوفى ومخادعته مالا تعلمونه فكان كما يقال فى المعنى

توقع كيد من خاصمت يوما * ولا تركن الى ود الاعادى
فان الجرح ينكث كل حين * اذا كان البناء على فساد

ثم أشيع أن ابن عثمان لما دخل الى حلب أخذ فى أسباب تحصين المدينة ثم قبض على جماعة من أهل بانقوسه ممن كان مشهورا بالفساد فشنق منهم جماعة ثم أشيع أنه صادر جماعة

من أهل حلب وأفرد عليهم الاموال الجزيلة وحصل لاهل حلب منه ومن عساكره غاية الضرر والامر لله واستهل شهر ربيع الآخر وكان أوله يوم الاحد ففي يوم الخميس خامسه قدم الى الابواب الشريفة مصلح الدين بك خازندار ابن عثمان وكان توجه الى مكة من البحر المالح صحبة الشهابي أحمد بن الجيعان فلما نزل ببركة الحاج خرج الامير قايتباى الدوادار الى ملاقاته وكذلك أعيان المباشرين فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء خلع عليه ونزل الى منزله فى موكب حافل وقدامه الامراء العثمانية والجراكسة والجم الكثير من العساكر وفى يوم الثلاثاء عاشره وقعت حادثة غريبة وهى أن ملك الامراء خاير بك أشهر النداء فى القاهرة بأن كل من رأى كلبا يقتله و يعلقه على دكانه فبادر الناس بالقبض على الكلاب وصارت التراكمة يمسكون الكلاب من الطرقات و يوسطونهم بالسيوف نصفين فقتلوا فى ذلك اليوم مالا يحصى من الكلاب حتى قيل انهم قتلوا فى ذلك اليوم فوق الخمسمائة كلب على ما أشيع وصار العياق يمسكون الكلاب من الحارات والازقة و يقتلونها أشرقتلة وصاروا يعلقونها على الدكاكين ولم يعلم ماسبب ذلك ثم أشيع بأن عادة التراكمة فى بلادهم باسطنبول اذا كثرت عندهم الكلاب فى المدينة يقتلون منهم جانبا كبيرا فى أيام الخماسين يزعمون أن بذلك يخف الطاعون من المدينة فصارت عندهم عادة ثم استمر السيف يعمل فى الكلاب يوما وليلة حتى هجت الكلاب عمادها الى الترب والصحراء وقد قلت فى المعنى

تأملوا ماجرى بمصر * من حادث عم بالعذاب
فارعى الترك فى دماء * فكيف يرعوا دم الكلاب

فلما تزايد الامر فى قتل الكلاب طلع الزينى بركات بن موسى المحتسب الى ملك الامراء خاير بك وشفع فى الكلاب من القتل وقال لملك الامراء لا تتعرض لقتل الكلاب لان أزبك أمير كبير تعرض لقتل الكلاب التى كانت بالازبكية فلم يعش بعد ذلك غير سنة واحدة ومات فرجع ملك الامراء عن قتل الكلاب ونادى فى القاهرة بأن يرفعوا القتل عن الكلاب وكل من قبض على كلب يطلقه الى حال سبيله فدعا الناس للزينى بركات بن موسى الذى شفع فى الكلاب من القتل ثم سكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة بسبب قتل الكلاب وفى هذه الايام أشيع أن ملك الامراء أخذ فى أسباب تحصين القلعة وسد منها أبوابا وحصن الابراج التى بها وركب عليها المكاحل وشرع فى عمل عجلات وعمل مكاحل ومدافع وعمل نشاب ولم يعلم ماسبب ذلك ثم أشيع أن ملك الامراء أحضر مصحفا شريفا وأحضر الامراء العثمانية الذين بمصر وحلفهم بأنهم لايخونونه ولايغدرونه وأن يكونوا هم واياه على كلمة واحدة ثم انه حلف الامير قايتباى الدوادار بعنى ذلك فأقام الامراء فى

القلعة على ذلك الى بعد الظهر وهم فى ضرب مشورة بينهم ومن الوقائع الغريبة أنه فى يوم الثلاثاء سادس عشره وقعت نادرة وهى أن شخصا ظهر بالنحارية وزعم أنه السلطان قانصوه الغورى وصار يفسد عقول الفلاحين ويقول لهم أنا السلطان الغورى وصار يكتب كتبا ويرسلها الى مشايخ العربان وهى مخلقة بالزعفران فصدق غالب الناس بان السلطان الغورى قد ظهر وهو فى قيد الحياة فامتلأت القاهرة بهذه الاشاعة فلما قويت أخباره هذا الرجل أرسل ملك الامراء بالقبض عليه من النحارية فقبضوا عليه وأحضروه بين يدى ملك الامراء فلما مثل بين يديه عرفه وكان نصب عليه قبل ذلك وهو نائب وادعى أنه قانصوه خمسمائة الذى تسلطن وأفسد عقول الناس أيضا بحلب فضرب به ملك الامراء فى حلب بالمقارع وقطع أنفه ثم أتى الى مصر وأشاع أنه الامير محمد بك قريب السلطان الغورى الذى قتل فى غزاة الفرنج وقد نصب بسبب ذلك وأخذ من الكشاف ومشايخ العربان جملة تقادم وقد قرب الى عقولهم أنه الامير محمد بك قريب السلطان فقبض عليه السلطان الغورى وضربه وسجنه بالمقشرة فأقام بها مدة وقيل كان أصله من القواسة ببعض جهات دمشق فلما سافر السلطان الغورى الى حلب واستقر الامير طومان باى الدوادار نائب الغيبة أطلقه من المقشرة مع جملة من أطلقه فلما ادعى أنه السلطان الغورى وقبض عليه ملك الامراء خاير بك وقال له أنا ما قطعت أنفك فى حلب وقلت لى انى تبت عن الكذب على الملوك ثم انه رسم بتكليبه على باب الشعرية فنزلوا به من القلعة وربطوا رجله فى ذنب أكديش وصار يسحبه على وجهه الى باب الشعرية والمشاعلية تنادى عليه هذا جزاء من يكذب على الملوك فرجت له القاهرة فى ذلك اليوم وكان يوما مشهودا فى الفرجة عليه والناس تقول قدم سكو السلطان الغورى فلما وصل الى باب الشعرية كلبوه على الباب بين البرجين فاستمر مكلبا ثلاثة أيام لم يمت فلما بلغ ملك الامراء انه لم يمت الى الآن رسم بأن ينزلوه ويوسطوه فأنزلوه ووسطوه عند باب الشعرية فى مفرق الطرق بعد أن قاسى أنواع العذاب ودفنوه ومضى أمره وكفى الناس شره وفيه كانت كائنة الشيخ أبرك الرومى وقد تغير خاطر ملك الامراء عليه فوضعه فى الحديد وقيل ضرب بالمقارع وأشيع أنه قصد شنقه فشفع فيه بعض الفقراء ولم يعلم ما ذنبه حتى تغير خاطر خاير بك عليه وقد اختلفت الاقوال فى أمره وكان عنده تحشر زائد فى الاكابر وآخر الامر وقع فى هذه الكائنة المهولة وفى يوم الاربعاء سابع عشره نزل ملك الامراء من القلعة وعدى الى الروضة وأقام بالمقياس وكان صحبته الامير قايتباى الدوادار وجماعة من العثمانية وأضافهم ضيافة حافلة ومد لهم أسمطة وطوارى وسبب ذلك أن ملك الامراء خاير بك كان بينه وبين الامير قايتباى وحشة وقد صار بعض الوسائط يرمى

بينهما الفتن ثم ان ملك الامراء خاير بك حلف الامير قايتباى الدوادار على مصحف شريف بأن يكون هو واياه على كلمة واحدة ولا يخون بعضهم بعضا وقد تقدم القول على ذلك فلما تحالفا زال ما كان بينهما من الوحشة وكان نقل الى ملك الامراء أن الامير قايتباى الدوادار متفق مع المماليك الجراكسة على زواله وكانت هذه فتنة من الاعداء ثم أشيع بين الناس أن الشيخ ابن لذكان يسعى بينهما بالفتن وينقل الكلام الباطل فصنع ملك الامراء تلك الوليمة فى المقياس وعزم على الامير قايتباى وجماعة من الامراء العثمانية وأقام ملك الامراء بالمقياس الى آخر النهار فأرسل اليه الزينى بركات بن موسى هنالك مدة حافلة على رؤس الحمالين وصار كل واحد من المباشرين يهدى اليه شيأ من المأكول الفاخر وكان يوما سلطانيا ثم عاد ملك الامراء الى القلعة بعد العصر من يومه وفيه حضر شخص من حلب بهلوان ونصب فى بركة القرع التى بالحسينية صوارى وحبالا وكان يوم الجمعة فاجتمع الجم الكثير من الخلائق فلما صعد على الحبال أظهر أشياء غريبة فى صنعة البهلوانية وهو واقف على الحبال منها انه نصب له أدماج وسية ورمى بالنشاب فى السية وهو واقف على الحبال ومنها أنه مشى على الحبال وهو مقيد وعيناه مربوطة بخرقة ومنها أنه مشى على الحبل وفى رجله قبقاب وتحته ألواح صابون ورمى فى الادماج وهو واقف على سيوف مسلولة ومنها أنه مشى على الحبال مقلوبا وهو مغمى العينين وأظهر من هذه الالعاب العجائب والغرائب وكان لمصر مدة طويلة من أيام الاشرف برسباى لم يدخلها مثل هذا فى صنعة البهلوانية وكان هذا البهلوان يدعى يوسف وقيل انه من أبناء حلب وقيل انه نشأ باللاذقية وكان شابا جميل الصورة وله عبيد علمهم صنعة البهلوانية يمشون على الحبال أيضا ويظهرون الفنون الغريبة مثله وفيه حضر الزينى طيلان رأس نوبة وكان توجه الى مكة المشرفة من البحر المالح صحبة مصلح الدين بك والشهابى أحمد بن الجيعان وكان أشيع عنه أنه توجه الى اسطنبول مع جملة من توجه هنالك فلم يصح ذلك وانما كان توجه الى مكة وحضر من البحر المالح أيضا وفيه توفى العلائى على بن طوغان الذى كان دوادار الاشرف قانصوه خمسمائة وكان من أعيان أولاد الناس وكان رئيسا حشما لين الجانب سيوسا فى أفعاله وقاسى فى آخر عمره شدائد ومحنا بسبب قانصوه خمسمائة وفيه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه فلما حضر أشيع بين الناس أن السلطان مقيم بحلب وأن شاه اسماعيل الصوفى متحرك على ابن عثمان وهو فى جمع كبير من العساكر وان ابن عثمان أخذ حذره منه وأشيع بين الناس أن نائب الشام جان بردى الغزالى تحايل على ناصر الدين ابن الحنش شيخ الاعراب والبقاع وغير ذلك من جهات دمشق فلما تحايل عليه وتمت حيلته عليه قتله وقتل شخصا آخر من مشايخ العربان يقال له ابن الحرفوش وكان

ناصر الدين بن الحنش كثير العصيان على نواب حلب بل و على سلاطين مصر أيضا و كان لما
ملك ابن عثمان دمشق امتنع من المقابلة به فتحايل عليه جان بردى الغزالى حتى أخذه بغتة
وقتله وحز رأسه هو وابن الحرفوش وأرسل رأسيهما الى ابن عثمان وهو بحلب فعدّ ذلك من
جملة سعد بن عثمان ولولا تحيل الغزالى على قتل ابن الحنش بحيلة صعدت من يده لما قدر
على قتله ابن عثمان أبدا وقد عجز عن ذلك سلاطين مصر وفيه أشيع أن الخنكار سليم شاه
لما توجه الى حلب أرسل سيدى محمد ابن السلطان الغورى الى اسطنبول من هناك وأرسل
صحبته آخرين من أمرائه يحفظون به الى أن يدخل الى اسطنبول وأشيع أن الخنكار
لما دخل الى حلب أقام بها مدة وحصن سورها وأبراجها وأبوابها وعمر فيها ما يحتاج اليه من
العمارة وقتل من أهل حارة بانقوسة جماعة من شرار أهلها وقيل وزع على جماعة من أعيان
حلب مالا له صورة وعمل فيهم البطيط فلما بلغه أن شاه اسمعيل الصوفى يقصد أن يزحف على
البلاد الحلبية أخذ يتلافى خواطر أهل حلب ورفع عنهم ما أحدثه عليهم من المظالم وقد
تقدم القول أن ابن عثمان لما كان مقيما بدمشق طرقته قصاد الصوفى على حين غفلة
من طريق غير الطريق السالكة وهى أسربة قليلة السالك وهى طريق يقال لها الحاوية
بالقرب من تدمر فما شعر ابن عثمان الا وهم بين يديه فقال لهم لم لا أتيتم من الطرق السالكة
فقالوا والله ان شاه اسمعيل الصوفى أرسل اليك عدة قصاد ونوابك الذين فى البلاد يقتلونهم فقال
لنا توجهوا من هذه الطريق ثم قدموا اليه مطالعة الصوفى فأشيع أن مضمونها أنه أرسل
يترفق له فى المطالعة ونعته فيها بنعوت عظيمة بأنك ملكت البلاد والعباد وملكت مصر
وصرت خادم الحرمين الشريفين وأنت الآن اسكندر عصرك والماضى بيننا لا يعاد
فتتوجه أنت الى بلادك وأتوجه أنا الى بلادى ونصون دماء المسلمين بيننا ومهما كان
قصدك فعلته لك فلما وقف السلطان على مطالعة الصوفى قال لوزرائه ان هذه الهدية التى
أرسلها الينا وهذا الكلام الذى فى المطالعة كله حيل وخداع حتى يبطل عزمى عن ملاقاته
و يطرقنى على حين غفلة كما فعلته قصاده فقيل انه أخذ الهدية التى أرسلها وقتل القصاد
وما أبقى منهم سوى كبيرهم فكان كما قيل فى أمثال الصادح والباغم

وان من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

ثم ان ابن عثمان لما وردت اليه قصاد الصوفى وهو بالشام رحل عنها وتوجه الى حلب وأ[illegible]
فى أسباب تحصينها كما تقدم وفى جمادى الاولى وكان مستهل الشهر يوم الثلاثاء
طلع القضاة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى منازلهم وفى يوم الاربعاء
ثانيه توفيت زوجة الامير قايتباى الدوادار وهى سرية الملك الاشرف طومان باى التى
تدعى نال باى فلما ماتت دفنت فى حوش مدرسة السلطان الغورى وفى يوم الخميس ثالثه

قدم القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر وكان توجه الى مكة المشرفة
من البحر المالح صحبة مصلح الدين خازندار ابن عثمان فسبقه مصلح الدين وتأخر بعده مدة ثم
حضر فلما حضر طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء فخلع عليه قفطانا أحمر مخملا مذهبا
ونزل من القلعة في موكب حفل وقدامه علاء الدين بن الامام كاتب السر وأعيان المباشرين
من أرباب الوظائف وركب قدامه نقيب الجيش الشرفي يونس وجماعة من الامراء
العثمانية ومن الامراء الجراكسة فزينت له حارة البندقانيين وأوقدوا له بها الشموع على
الدكاكين وتخلقت جماعته بالزعفران وكان ذلك اليوم مشهودا في القصف والفرجة
وفيه رسم ملك الامراء بالافراج عما بايدي أولاد الناس والنساء من المربعات التي كانوا
أوقفوها من أول السنة ولم يمضها المباشرون فحصل لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب
ذلك وعمل المباشرون بجملة مال له صورة وأمضوا للناس الافراج عن رزقهم واقطاعاتهم
ونفعوا الناس غاية النفع ولم يشعر ملك الامراء بشيء من ذلك وفيه وقعت حادثة شنيعة
وهي أن شخصا من العوام كان أصله مؤذنا فدخل في بعض الغيطان وقطع عيدان خيار
شنبر ووضعها في قفة فقبض عليه الخولي وحصل بينهما تشاجر فأغلظ عليه الخولي وأتى به
الى بيت الوالي وقص عليه أمره فطلع به الوالي الى ملك الامراء وعرضه عليه وهو حامل
القفة التي فيها الخيار الشنبر فلما علم ملك الامراء بذلك وكان ملك الامراء حجر على بيع
خيار الشنبر وصار يشتريه على ذمته ويتجر فيه ثم ان ملك الامراء رسم للوالي بشنق ذلك
الرجل الذي سرق خيار الشنبر فاشهره في القاهرة وعلق القفة التي فيها الخيار الشنبر في
رقبته وشق به من القاهرة حتى أتى به الى القنطرة التي بزقاق الكحل فشنقه هنالك وأقام
ثلاثة أيام وهو مصلوب لم يدفن وراح الرجل ظلما على بعض عيدان خيار شنبر ما تساوى
أربعة انصاف فتأسف الناس عليه كيف راح ظلما على شيء ما يستحق هذا كله وكان له
أولاد وزوجة وكان ملك الامراء يبيت يسكر طول الليل ويصبح في خبال السكر يحكم بين
الناس بما يقول له عقله ولم يظهر العدل في محاكمته قط منذ ولي على مصر وفي يوم الثلاثاء
خامس عشره في تلك الليلة خسف القمر وأقام في الخسوف ثمانية وأربعين درجة وفيه
أنفق ملك الامراء الجامكية على الامراء الطبلخانات وعلى الامراء العشراوات وعلى
المماليك الجراكسة فأعطى الامراء الطبلخانات كل واحد أربعين دينارا وأعطى
الامراء العشراوات كل واحد منهم خمسة وعشرين دينارا كما أنفق عليهم في الشهر
الماضي وأنفق على المماليك كل واحد منهم ألفي درهم على العادة وأنفق على أولاد الناس
ممن نزل اسمه في الديوان فأنفق على العسكر جامكية شهرين كانت منكسرة لهم في الديوان
من غير لحوم ولا عليق وفي يوم السبت تاسع عشره توفيت والدة الشهابي أحمد بن الجيعان

وكان

وكان لها جنازة حافلة وفي يوم الاحد عشريه وقعت حادثة مهولة وهي أن ملك الامراء خاير بك كان عين جماعة من الانكشارية والاصباهية أن يسافروا الى الخنكار بجاب صحبة مصلح الدين فلما قصد مصلح الدين السفر هربت الانكشارية والاصباهية في تلك الليلة وكسروا أبواب القلعة ونزلوا منها على حمية وتوجهوا الى مصر العتيقة فنزلوا في المراكب الكبار ثم أخذوا جماعة من النواتية وسافروا في المراكب وقصدوا أن يتوجهوا الى جهة الصعيد فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل يقول للامير قايتباى الدوادار اخرج في هذه الساعة وسافر خلف الانكشارية وكل من ظفرت به منهم اقتله فصلى الامير قايتباى صلاة الصبح وركب وخرج على حمية وصحبته الامير جانم الحمزاوى والامير على العثمانى وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وجماعة من العساكر العثمانية فعدوا الى بر الجيزة فأقاموا فيه ذلك اليوم حتى تكامل خروج العسكر وخرجوا أفواجا أفواجا فرجت لهم القاهرة في ذلك اليوم وكثر القال والقيل في ذلك اليوم بين الناس بسبب ذلك واضطربت أحوال العثمانية في بعضهم وصاروا فرقتين فرقة مع ملك الامراء وفرقة منهم عليه ثم ان الامير قايتباى رحل من الجيزة هو والعسكر وتوجه الى نحو الميمون بالقرب من جزيرة بنى على فتلاقوا هناك مع الانكشارية والاصباهية الذين هربوا هناك ثم ان الزينى بركات بن موسى المحتسب رسم له ملك الامراء خاير بك بان يتوجه الى مصر العتيقة ويمسك مراكب ويرسل فيها زوادة للامراء والعسكر الذين توجهوا الى الميمون فأوسق عدة مراكب فيها زوادة ما بين بقسماط وجبن حالوم ورز وسمن وعسل وغير ذلك من الزوادة وأرسل ذلك الى العسكر ثم في يوم الاربعاء ثالث عشريه وردت الاخبار بان الامير قايتباى الدوادار قد انتصر على الانكشارية والاصباهية الذين هربوا فلما تلاقوا معه عند جزيرة بنى على تصدى الى قتالهم الامير جانم الحمزاوى والامير على العثمانى فحاصروا الانكشارية فى المراكب ورموا عليهم بالمدافع والبندق الرصاص فأحرقوا مراكبهم فطلبوا الامان من الامير على والامير جانم الحمزاوى وقد وقع غالبهم في البحر فغرق من غرق وقبضوا على الباقى وأسروهم فحزوا رؤس جماعة منهم وكانوا نحو ستة وثلاثين رأسا وأسروا الباقين بالحياة ثم ان الامير قايتباى أرسل تلك الرؤس والاسارى الى ملك الامراء في مراكب فلما طلعوا بها علقوها على مدارى كما فعلوا برؤس الجراكسة والجمازة من جنس العمل فلما طلعوا بهم الى القلعة قصد ملك الامراء أن يعلق تلك الرؤس على أبواب المدينة فشق ذلك على بقية العثمانية ومنعوا ملك الامراء من ذلك وأما بقية الانكشارية الذين أسروا بالحياة فقطعوا رؤسهم أجمعين فقيل كانت عدة الانكشارية الذين قتلوا والذين هربوا والذين غرقوا نحو مائة وخمسين انسانا ومن العجائب أن التراكمة كانت في العام الماضى تقتل

أولاد الجراكسة فعما قريب صارت المماليك الجراكسة تقتل التراكمة فى الليل والنهار وهذا عجيب وقد ورد فى بعض الاخبار لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين وقد قيل فى المعنى

لا تكرهوا الحرب ان فيه * حصاد نذل مع الخبيث

فيستريح ومستراح * منه كما جاء فى الحديث

وفيه خرج مصلح الدين خازندار ابن عثمان الذى قدم من مكة فتوجه الى الريدانية وقصد السفر الى الخنكار ابن عثمان وقد أشيع أن ابن عثمان كان قد أرسل خلفه فلما أقام بالريدانية نزل اليه ملك الامراء وودعه ثم رجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة ثم ان مصلح الدين أقام بالريدانية أياما ثم عاد الى القاهرة فأشيع ان سبب ذلك ان قاصد صاحب اليمن قد وصل الى الطور وصحبته تقدمة حافلة الى السلطان سليم شاه بن عثمان فلما بلغ ذلك ملك الامراء أرسل استرد مصلح الدين الى القاهرة حتى يدخل الى القاهرة قاصد صاحب اليمن ويأخذه صحبته مع التقدمة ويمضى الى الخنكار فهذا كان سبب رجوع مصلح الدين الى القاهرة وفيه رسم ملك الامراء للقضاة بان يتوجهوا الى مقام الامام الشافعى رضى الله عنه ويقرؤا هناك ويدعوا الله تعالى بالنصر للسلطان سليم شاه على اسمعيل الصوفى فتوجه قضاة القضاة الى مقام الامام الشافعى رضى الله عنه وقرؤا هناك ختمة وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين فقرؤا أجزاء الربعة عشر مرار وأهدوا ثواب ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ثم الى السلطان سليم شاه ودعوا له بالنصر على الصوفى وفى يوم السبت سادس عشريه حضر الامير قايتباى الدوادار والامير جانم الجزاوى والامير على بلنا العثمانى وكانوا توجهوا الى الميمون بسبب محاربة الانكشارية الذين هربوا كما تقدم فلما انتصروا عليهم وقتلوهم رجعوا وطلعوا الى القلعة فخلع عليهم ملك الامراء ونزلوا الى منازلهم وفيه حضر الى القاهرة الامير أرزمك الناشف أحد الامراء المقدمين وكان لما ظهر أرسل الخنكار طلبه وهو بحلب فتوجه اليه هو والامير قانصوه العادلى والامير برباى العادلى وأقام عنده مدة ثم رسم له بالعود الى القاهرة وكان أشيع بين الناس أن ابن عثمان قرره فى الاتابكية بمصر فلما حضر لم يظهر لهذه الاشاعة نتيجة واستمر بطالا مقيما بمنزله ولما حضر حضر بصحبته الامير شادبك نائب المهمندار والامير جانم الطويل أحد الامراء العشراوات وكان أشيع موتهما بمرج دابق فلما ظهر انهما فى قيد الحياة حضر الى مصر وفى آخر هذا الشهر كثرت الاشاعات بان عربان السوالم قد حضر منهم مالا يحصى وقد قصدوا حرب ابن بقر وأظهروا غاية الفساد بالشرقية

وفى جمادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع قضاة القضاة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الخميس ثامنه رسم ملك الامراء بقراءة سبع ختمات واحدة فى مقام الامام الشافعى وواحدة فى مقام الامام الليث وواحدة فى مقام الشيخ عمر بن الفارض وواحدة فى مقام الشيخ أبى الحسن الدينورى وواحدة فى مقام الشيخ أبى الخير الكليبانى رضى الله عنهم أجمعين وواحده فى المقياس وواحدة فى الجامع الازهر ورسم بان يهدوا ثواب ذلك للسلطان سليم شاه بن عثمان فانه خرج الى ملاقاة اسمعيل شاه الصوفى فلما قدم رسول صاحب اليمن وعلى يده تقدمة حافلة للسلطان سليم شاه بن عثمان استمر القاصد مقيما بالقاهرة الى أن سافر صحبة مصلح الدين كما سيأتى الكلام على ذلك وفى يوم الاحد حادى عشر هذا الشهر طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل وأخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع أنقص من السنة الخالية بذراع بن وستة أصابع فانه كانت القاعدة فى السنة الخالية ثمانية أذرع وستة عشر اصبعا وفى يوم السبت سابع عشره طرق ملك الامراء أخبار رديئة بان عربان السوالم قد طفشت حتى وصلت الى بركة الحاج ووصل أوائلهم الى المطرية فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكد وأرسل الى الامير قايتباى الدوادار يقول له اخرج فى هذه الساعة واطرد العربان فخرج من يومه هو والمماليك الجراكسة وجماعة من العثمانية ورماة من الانكشارية فخرجت لهم القاهرة فى ذلك اليوم فخرجوا وهم سائقون الى بركة الحاج فقيل حصل بين الترك والعربان عركة يسيرة فقتل فيها جماعة من العربان وأسروا منهم جماعة وقطعوا رؤس أربعة ثم رجع الاتراك بعد المغرب وقد وقعت خيولهم وبعض منها تفرقع من العطش ومارأوا خيرا فهربت العربان من وجوههم وصعدوا الى الجبل ثم رسم ملك الامراء بشنق من أسر منهم على باب قنطرة الحاجب وعلقوا عليه تلك الرؤس التى قطعوها من العربان وقيل قتلوا من الاتراك جماعة ورجعوا من غير طائل من العربان وفى يوم الاربعاء حادى عشريه وقعت حادثة شنيعة وهى أن شخصا يقال له حسين وكان طشتدار عند الامير نوروز أحد الامراء المقدمين ثم بقى فى طشتخانات السلطان الغورى وهو رجل شيخ مسن زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له امض الى سليم شاه بن عثمان وقل له يرجع الى بلاده و يكف القتال عن المسلمين بسبب اسمعيل شاه الصوفى وادّعى أن ابن عثمان دفع اليه مالا له صورة فلم يقبله منه ثم أن ذلك الرجل الى ملك الامراء خاير بك وقص عليه تلك الرؤية فتهاون خاير بك بكلامه ثم ان ذلك الرجل قال لملك الامراء ارجع عن مظالم العباد أنت والمباشرون خربتم مصر بظلمكم ثم سب المباشرين بحضرة خاير بك سبا قبيحا وقال لبركات ابن موسى أنت لو حججت فى هذه السنة ما يقبلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما تزايد فى

القول حتى منه ملك الامراء فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه فى الميدان وقيل ان ذلك الرجل تكلم بكلام كثير وأظهر أنه كشف له عن أمور تأتى فى أواخر هذه السنة من الاهوال فان كان صادقا فيما قاله وادعاه من هذه الاخبار التى ذكرها فسوف تقع ويظهر أثره أو صلاحه أو كذبه وفيه أشهر ملك الامراء النداء فى القاهرة بأن لا أحد من الحجاج يسافر فى البحر المالح ولا يرسل له أحمال من البحر وموجب ذلك فساد العربان فى الطرقات وعبث الفرنج فى سواحل البحر المالح وفى يوم الخميس ثانى عشريه خرج مصلح الدين خازندار ابن عثمان وتوجه الى نحو الريدانية وقصد السفر الى الخنكار ابن عثمان فخرج وقت صلاة الصبح وصحبته الامير قايتباى الدوادار وأعيان المباشرين والامراء العثمانية فكان له موكب حافل ثم خرج بعده تقدمة حافلة أرسلها ملك الامراء الى الخنكار هو وولده سليمان بك الذى باسطنبول فكان ما اشتملت عليه تلك التقدمة من الخيول أربعين فرسا خاصات عليها عبى قلعى يصحبها أربعون فرسا من الاكاديش واثنان وأربعون جملا محملة قماشا محزومة قيل ضمنها تفاصيل سكندرية وأبدان متزلاوية وقماش فارسكورى وغير ذلك من شاشات وازر وغير ذلك من مقاطع حسينى وخام رفيع وغير ذلك ومن جملتها أربعة وستون جملا محملة سكرا ضمن صناديق جريد بأغشية لباد أبيض قيل جملة ذلك أربعمائة قنطار وقيل أن ملك الامراء كرر السكر ثانيا وجعل فيه المسك والعنبر الخام ومن جملة التقدمة جمال محملة عصفرا وحناء وغير ذلك ومن جملة التقدمة احمال شقادف ضمنها مرطبنات أشربة مربى وأشيع أن ملك الامراء أرسل الى الخنكار ابن عثمان جمالا عليها مال من خراج مصر عن سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ولم يعلم ما قدر ذلك فلما مضت تقدمة ملك الامراء طلع فى عقيب ذلك تقدمة صاحب اليمن وهى تقدمة حافلة تشتمل على شاشات وأرز وتحف ومعادن ولؤلؤ وفصوص وطواشية وغير ذلك فلما مضت تقدمة صاحب اليمن طلعت تقدمة الامير على بن عمر صاحب جهات الصعيد وهى تقدمة حافلة منها ثمانمائة قنطار سكر ورقيق ما بين عبيد وجوارى وخيل وجمال وغير ذلك أشياء حافلة تصلح للملوك وفى يوم الجمعة ثالث عشريه رحل مصلح الدين من الريدانية وتوجه الى الخانقاه وأشيع انه لما كان مصلح الدين بالريدانية سرق من تحت رأسه بقجة قماش قيل ان فيها مبلغا له صورة وفى يوم الجمعة المذكور طرق ملك الامراء أخبار رديئة بأن حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة أظهر العصيان وخرج عن الطاعة والتفت عليه عربان قبائل البحيرة وغيرها فلما تحقق ملك الامراء صحة هذا الخبر نزل الى الميدان قبل صلاة الجمعة وعرض المماليك الجراكسة والعسكر العثمانى فكتب من الفريقين نحو خمسمائة انسان ما بين انكشارية ورماة وعين

صحبتهم عشر عجلات تكون قدام العسكر وعين الامير قايتباى الدوادار باش المماليك الجراكسة وعين أمير اخور باش العثمانية وفى هذه الايام اضطربت أحوال ملك الامراء جدا وقد بلغه أن العربان طردوا اسمعيل بن الجويلى عن أرض البساط وملكوها منه واضطربت أحوال الغربية الى الغاية واضطربت أيضا أحوال الشرقية بسبب عربان السوالم وعبد الدائم بن بقر واخوته واضطربت أيضا أحوال جهات الصعيد وقد ضاعت مصالح المسلمين بينهم وخرب من الشرقية والغربية عدة بلاد وظهر الفساد والفتن براو بحرا والامر لله تعالى وفى يوم السبت رابع عشريه أرسل شكر أخو حسن بن مرعى شخصا من أقاربه يطلب الامان له من ملك الامراء فأرسل اليه ملك الامراء منديل الامان وصورة حلف على يد القاضى فخر الدين بن عوض وأرسل اليه قفطان حرير مخملا وخلع على شخص من أقارب حسن بن مرعى الذى جاء يطلب الامان من ملك الامراء وفى يوم الاحد خامس عشريه خرجت التجريدة التى كانت تعينت الى حسن بن مرعى وكان باش العسكر أمير اخور أخا ملك الامراء وصحبته جماعة من العثمانية ما بين انكشارية ورماة بالبندق الرصاص وخرج صحبة العسكر تلك العجلات التى عينت لهم وكانت عدتها عشر عجلات وخرجت طائفة من المماليك الجراكسة وتوجهوا الى البحيرة وصحبتهم الامان والخلعة الى شكر بن مرعى وفى هذا الشهر وردت الاخبار من مكة بأن عدة مراكب فيها افرنج يعبثون فى البحر المالح و يقطعون الطريق على المسافرين فى البحر وأرسل السيد الشريف مطالعة الى ملك الامراء بأن يرسل له تجريدة بسرعة وقد خشى على بندر جدة ان تطرقه الفرنج على حين غفلة و يملكونه من المسلمين وفى يوم الثلاثاء سابع عشريه نزل ملك الامراء الى الميدان الذى تحت القلعة وعرض العسكر وعين منهم جماعة يسافرون الى جدة بسبب حفظ البندر فلما عرض العسكر كتب منهم جماعة ما بين جراكسة وأولاد ناس ومغاربة وغير ذلك وكان مجموع ما كتبه من العسكر فى ذلك اليوم نحو مائتين وخمسين انسانا وأنفق فى ذلك اليوم على طائفة المغاربة على حكم ما كان ينفق عليهم السلطان الغورى فنزلوا من القلعة وشرعوا فى أسباب عمل برقهم الى السفر وأما بقية العسكر فلم ينفق عليهم شيأ وقد صبر حتى يرد عليه من مكة خبر آخر فى أمر الفرنج يعتمد عليه وفى شهر رجب وكان مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين رابعه حضر جان بك دوادار الامير قايتباى والامير بخشى باى قرا الذى كان شاد الشون والقاضى عبد الفتاح وآخرون من المباشرين وكان هؤلاء توجهوا نحو الشرقية بسبب انهم مسحوا جهات الشرقية وميزوا الشراقى من الرى ومسحوا الاقاطيع والرزق وعملوا بالباع والذراع فى الشرقية وجاروا على المقطعين

فى المساحة ثم انتقلوا من الرزق والاقاطيع الى جهات الاوقاف فمسحوها وصاروا ينزلون الى البلاد و يفردون عليها المال و يضعون الفلاحين فى الحديد بعد الضرب المؤلم و يقرروا على كل بلد ما يختارونه من الاموال فجبوا من الشرقية فى هذه الحركة فوق المائة ألف دينار وخرب فى هذه الحركة غالب بلاد الشرقية ورحل منها الفلاحون وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حق الناس فعمت هذه الحادثة أصحاب الرزق والاوقاف من الرجال والنساء حتى الارامل والايتام والمستحقين وقد تعطلت الاوقاف بسبب ذلك وكان هذا كله بواسطة ملك الامراء خاير بك فانه كان سببا لذلك فعدت هذه من جملة مساويه فى حق أهل مصر وحصل فى هذه الحركة غاية النفع للمباشرين الذين تكلموا فى أمر هذه المساحة بالشرقية والامر لله وحده وفى يوم الاثنين حادى عشره أشهر ملك الامراء خاير بك المناداة فى القاهرة بان المماليك الجراكسة لا يلبسون زنوطا ولا يمشون بقباقيب فى الاسواق ولا يجلسون على المساطب فى الحارات ولا على أبواب الجوامع وكان ملك الامراء سامح لهم أولا فى ذلك ثم ضيق عليهم ومنعهم من هذه الافعال فيما بعد وفى يوم السبت سادس عشره رسم ملك الامراء بشنق شخص عجمى فشنق وكان هذا الشخص تاجرا فى سعة من المال فلما حضر من بلاد الشرق ومعه متجر عال له صورة طمع ملك الامراء فى ماله وزعم أنه جاسوس من عند شاه اسمعيل الصوفى حضر ليكشف عن مصر وأحوالها و يطالع الصوفى بذلك فشنقه ظلما واحتاط على جميع أمواله و جعل له ذنبا انه جاء من عند الصوفى جاسوسا وفى يوم الاربعاء عشريه حضر شيخ العرب شكر أخو حسن بن مرعى شيخ جهات البحيرة صحبة القاضى فخر الدين بن عوض وقد تقدم القول بأن ملك الامراء كان أرسل له منديل الامان على يد ابن عوض فأطاع وحضر الى القلعة وقابل ملك الامراء فخلع عليه قفطان حرير ونزل من القلعة وتوجه ليحضر أخاه حسن بن مرعى فتوجه الى نحو قليوب وصحبته القاضى بركات المحتسب ليحضر حسن بن مرعى وأرسل له ملك الامراء منديل الامان على يد القاضى بركات المحتسب ثم فى أثناء ذلك اليوم حضر حسن ابن مرعى ودخل القاهرة وعلى رأسه منديل الامان وصحبته جماعة من العثمانية وأمير اخور اخو ملك الامراء والزينى بركات المحتسب وفخر الدين بن عوض وجماعة كثيرة من العربان فشق من القاهرة ومنديل الامان على رأسه فلما طلع الى ملك الامراء بالقلعة وقابله خلع عليه قفطانا مخملا مذهبا ونزل من القلعة فى موكب حافل وكان أشيع أن ملك الامراء سيقبض عليه فانه وقع فى ذنب عظيم وسبب ذلك انه كان مسجونا بالقلعة من حين قبض عليه الغ‍ـ[illegible]كار وبجنبه بم افنسحب من هناك ليلا وهرب واستمر فى عصيان وهجاج مدة طويلة وكثر القيل والقال بسببه والتف عليه جماعة كثيرة من عربان الغربية فلما

طلع وقابل ملك الامراء وخلع عليه بطلت تلك الاشاعات التى كانت تشاع بين الناس بسبب عصيانه وفى يوم الاثنين خامس عشرى شهر رجب كانت وفاة صاحبنا الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الزيتونى العوفى رحمة الله عليه وكان أحد نواب السادة الشافعية وكان فاضلا عارفا بصنعة القضاء والتوقيع ماهرا فى الخطب وكان فكها فى المحاضرة كثير العشرة للناس وكان علامة فى فن الزجل وكان ينظم الشعر على فنون وهى الشعر والدوبيت والمواليا والموشحات وكان له شعر جيد ونظم ارجوزة مفيدة فى الفقه وشرحها شرحا على الاوضاع مفيدا فى معناه ومن شعره الرقيق قوله ملغزا فى اسم خمرة

يا سائلى عن اسم من * خدوده كالعندم

فى خده وثغره * وفى فؤادى المغرم

وكان مولده سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وذلك فى شهر شعبان فى سادسه فكانت مدة حياته أربعا وتسعين سنة الا يوما فلما مات حضر القضاة الاربعة وصلوا عليه وكانت له جنازة حافلة ودفن بحوش تربة الصوفية رحمه الله تعالى ولما توفى الشيخ بدر الدين الزيتونى رثاه ولده القاضى بدر الدين محمد بهذه القطعة الزجل اللطيفة وهى قوله

يحق لى أن أرثى لموت والدى * كان أفصح النظام وعقلو رجيح

فى درج الاكفان للقيامة اندرج * واجب على فقدو بعزمى أصيح

كان والدى فى فن الازجال تقصدوا * حفاظ مصر والكل بيه يعتنون

وفى جميع العلوم مالو نظير * فقيه مدرس فى جميع الفنون

يدرى الاصول والنحو معرب خطيب * ومنطقى فى الصرف عاقل مصون

جا الموت خدوا واصبحت بين الورى * فريدو جمع الناس بحزنى تنيح

ويندبوا همى عليه بالفراق * وما جرى من جفن عينى القريح

قوموا بنا جمع الموالى والصحاب * نرثى الذى قد كان وكان فى الدهور

زين الوجود مالو وجود فى الورى * عارف بفن الشعر والكل زور

أصحابنا زيدوا النواح والنحيب * على أديب يدرى أصول البحور

مثلو أحد يحسن زجل فى الانام * ولا موشح لو دوبيت صحيح

والفرق ظاهر مثل صبح الدجى * ما بين قاضى الكل والزمر ريح

كان فى الادب ناظم وناثر فصيح * وقد حوى جملة محاسن ملاح

ان قلت فى التحرير حريرى النظام * بل سيدو لما تعد الفصاح

أو عنتر العبسى نهار المجال * أو نشر حاتم طى عند السماح

وما الشماخ رقشوا فى البديع * وقس ما ينقاس بنطقو الفصيح

وسائر الحفاظ تراهــــم لديه * مايقتــــدوا الا بقولو الصحيح
يامن روى الاخبار كان والدى * مختص بالآداب وكان لى مفيد
مفتاح لباب الرزق للضيق فرج * وجهو سرور كعبو مبارك سعيد
مختار لفعل الخير بشير الفرح * مرشد ومحسن كل مافيه مليح
ياقوتنا الحظ و بجوهـــرانى * فرقو صباح ظاهر ووجهو صبيح
كان آخر النظام و بحر العــلوم * وروض تربه زاهر بديع الصفات
ونقلدان مع راح وريحان وروح * جمع ضريحو ذى المعانى الشتات
كيف لا أحرك للضريح ساكنى * وابكى عليــه طول الحيا للممات
ومشتكى حزنى وروضى الترب * والنــقل والراح الذى لى يريح
والروح والريحان وماقد عدم * من الوجود موجود بذاك الضريح
بعــدو على الدوم قد أمت النواح * والحزن عن يعقوب ورثت النحيب
أصبحت من مانوح سفينى غريق * والدمع طــوفان ماطفالى لهيب
يارب هب لى صــبر أيوب عليه * وارسل اليه رحمــه بطها الحبيب
قلبى من اجلو صار بحزنى كليم * والدمع لوفى صحن خدى مسيح
وناغريق محروق بنار الخليـــل * وشـــبه اسماعيـل بحزنو ذبيح
قد نظم الجوهر بتأليف كتاب * حاوى علوم الفقه سهل البيان
وقــد شرح لو شرح واضح مفيد * وصار لو بيه تذكار بطول الزمان
وقال ذخــيرة لى ليوم النشور * أسكنه ربى فى فسيح الجنان
دار النعيم فيها مقيم لم يزل * مابين أشجار وكوثر يسيح
والحور والولدان ومايشـــتهيه * من النوا كه مع مقام فسيح
وناابن زيتونى عــريقا لنسب * يارب الارباب يالطيف ياخبير
اجبر بلطفك كسر قلبى الحزين * ياجابر العظم الرميم الكسير
واعطف عــلىّ بحنو الورى * وما تعسر فاجعلو لى يسير
مـــدح المجد للخلائق شفا * به يهتدى قلبى وبو أستريح
وناأريد أمــدح محمد عسى * يطفى لهيبى واهتدى بالمديح
صــلوا عــلى المختار حبيب الاله * من أرسلو الله للخلائق شفيع
يوم القيامة والخــلائق زمر * ياتوا لآدم يقول ماأستطيع
اشفع تشفع فى امتــك يسمع الــ * مولى ويغفر كل ذنب قبيح
ويدخلوا الجنة كذا قد ورد * عن النبى مسند حديث صحيح

وفى هذا الشهر توقف النيل وسلسل فى الزيادة وصار يزيد فى كل يوم اصبع وتارة اصبعين
وقد مضى من مسرى عشرة أيام ولم يصل النيل الى عشرة أذرع فاضطربت أحوال الناس
فى تلك الايام وتشحطت الغلال و بلغ سعر البطة الدقيق اثنى عشر نصفا فعند ذلك رسم ملك
الامراء بان ينزل الوالى و يكبس الروضة فنزل هو و جماعة من الامراء العثمانية و كبس
الروضة وفك الخيام التى كانت بها وأشهر المناداة هناك بان لا أحد يتجاهر بالمعاصى ولا يجمع
جموعا ولا ينصب خيمة على شاطئ البحر ومن يفعل ذلك يشنق على باب داره من غير معاودة
فى ذلك فانكف الناس عن التجاهر بالمعاصى بالروضة فنزل فى ذلك اليوم غالب الناس من
الروضة وفى شهر شعبان وكان مستهله يوم الاحد طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء
بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين تاسع الشهر كانت وفاة الشيخ الصالح القطب
العارف بالله تعالى الورع الزاهد الناسك الشيخ محيى الدين عبد القادر ابن الشيخ الصالح
العارف بالله تعالى حسن ابن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين المدعو شرف الدين
موسى الدشطوطى رحمة الله عليهم أجمعين وكان الشيخ عبد القادر شافعى المذهب مجذوبا
واعيا وكان مكشوف الرأس وكان دائما شعره فى رأسه وعلى جسده جبة خشنة دائما
وكان سواحا لا يتخذ له سكنا ولا زوجة ولا ولدا ولا عيالا وكان يتغذى بالقراقيش والزعتر
دائما وكان لا يأكل طعام اللحم الا قليلا وكان مهيبا معظما عند الملوك والسلاطين
وأعيان الناس وكانت رسالته عندهم لا ترد وكان فى أواخر عمره حصل له كفاف فى عينيه
واستمر على ذلك حتى مات وقد عاش من العمر نحو ثمانين سنة أو فوق ذلك وكان
محببا للناس وكانت النذور التى تدخل عليه من عند الاكابر ينشئ بها جوامع بخطب
ومساجد وله عدة جوامع ومساجد فى أماكن شتى ولما توفى ارتجت له القاهرة ونزل ملك
الأمراء والعثمانية والامير قايتباى الدوادار والقضاة الاربعة وأعيان الناس وأرباب الدولة
وخرج نعشه من بيت المعلم حسن الصياد المهندس خارج باب الشعرية ورفعت له الاعلام
على نعشه وحضر أطفال المكاتب وعلى رؤسهم المصاحف ومشوا حول نعشه واستمر على
ذلك حتى وصل الى مدرسته التى أنشأها تجاه سيدى يحيى البلخى فدفن بها وكانت جنازته
حافلة رحمة الله عليه وكان بقية السلف من الاولياء وفى هذا الشهر قبض ملك
الامراء على يوسف البدرى الوزير ورسم عليه وعلى زوجته وعلى عياله وغلمانه وحاشيته
وقرر على يوسف البدرى مالا له صورة وعلى زوجته و جماعته وتمادى أمره فى المصادرة
حتى ذهب ما ملكه جميعا من صامت وناطق حتى باع أثاث البيت من قطارميز وزلع حتى
الحصر وغير ذلك واستمر فى المصادرة نحو شهرين هو وزوجته وهما فى الترسيم وعياله وآخر
الامر أرسلوه الى اسطنبول وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفيه نادى ملك الامراء

فى القاهرة للمباشرين والعمال بانهم لايستخرجون من بلاد الشرقية والغربية عن سنة أربع وعشرين وتسعمائة شيأ الابمرسوم من عند ملك الامراء فاضطربت أحوال المسلمين والمباشرين وكثر بينهم القيل والقال بسبب ذلك وفى يوم الجمعة ثالث عشره الموافق لسابع عشرى مسرى وفى النيل المبارك الستة عشر ذراعا ولم يزد من الذراع السابع عشر شيأ فلم يفتح السد فى ذلك اليوم وفى يوم السبت رابع عشره وفى النيل المبارك وزاد اصبعا من السابع عشر ففتح السد فى ذلك اليوم فلما وفى نزل ملك الامراء وتوجه الى المقياس وخلق العمود ومد هناك مدة حافلة وحضر الامراء العثمانية ثم نزل فى الحراقة وصحبته الامراء العثمانية وتوجه الى السد وفتحه وكان يوما مشهودا وأوكب وهو طالع الى القلعة موكبا حافلا وكان وفاء النيل فى هذه السنة على غير القياس لانه كان نيلا شحيحا وساسل فى الزيادة وتوقف أياما وتشحطت أسعار الغلال جميعها ثم وفى بعد ذلك ففرح به كل أحد من الناس وكان الامر كما قاله المعمار

النيل وافى وزال الهم وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رمى

وراح خزانه للنيل ينظره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

ومن الحوادث فى يوم وفاء النيل أن شخصا من العثمانية غرق فى البحر فتنكد ملك الامراء والعثمانية بسببه وفى يوم الثلاثاء سابع عشره حضر قاصد من البحر من عند الخنكار ابن عثمان ولم يعلم ما قد جاء فيه وما سبب مجيئه وكثر القيل والقال فى ذلك ثم ظهر من بعد ذلك ما جاء بسببه وسنذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى ولما فتح السد وجرى الماء فى الخلجان لم تسكن البيوت التى فى الجسر ولا التى فى المصاطب ولاحكر الشامى فشكى أصحاب الاملاك من ذلك الى والى القاهرة فنادى للناس فى الجسر بأن يسكنوا وعليهم أمان الله تعالى والذى لايسكن فى بيته ولا يعمره يضرب عليه ملك الامراء رنكه ويصير ملكه فصار يكرر تلك المناداة للناس ثلاثة أيام متوالية فسكن فى الجسر بعض بيوت ودخل بركة الرطلى بعض مراكب البياعين وأما الجزيرة الوسطى فانها خربت عن آخرها ولم يبق منها غير الجدر ورسوم البيوت لاغير وابتاع أصحاب الاملاك بيوتهم أنقاضا وكان السلطان الغورى سد خليج الزربية بجسر عند قنطرة موردة الجبس فتلاشى أمر الجزيرة الوسطى من يومئذ وخلت بيوتها من السكان وكانت من أجل متفرجات الديار المصرية وكان مبتدا منشئها فى دولة الاشرف اينال سنة اثنتين وستين وثمانمائة ولازالت الناس تنشئ فيها الاملاك الجليلة الى سنة احدى وعشرين وتسعمائة فتلاشى أمرها وخربت جملة واحدة لما دخل ابن عثمان الى القاهرة وجرى منه ما جرى ونزل فى بر الجيزة على رملة البحر فصار عسكره يخرب بيوت الجزيرة ويأخذ سقوفها وأبوابها وطيقانها فخربت بالكلية

من يومئذ وانقطع الرجاء من عمارتها ثانيا والاصل فى ذلك انها أسست على غير تقوى وكانت بقعة فسق وزنا فآل أمرها الى الخراب سريعا وفى يوم الاثنين ثالث عشرى هذا الشهر وافق ذلك اليوم يوم النوروز وزاد النيل فى ستة عشر ذراعا ولم يدخل فى الذراع السابع عشر وكان من مبتداه الى منتهاه نيلا شحيحا وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه توفى سودون نائب دمياط وهو أحد الامراء العشراوات مات بطالا وفى شهر رمضان وكان مستهله يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة وهنؤا الملك الاشرف بالصوم ثم عادوا الى دورهم ولما دخل شهر رمضان كانت الاسعار مشحطة فى سائر البضائع وقد تناهى سعر القمح الى اشرفيين كل اردب والبطة الدقيق الى أربعة عشر نصفا والسكر تناهى سعره الى أربعة وعشرين أشرفيا كل قنطار والقطر النبات بخمسة أنصاف كل رطل والقطر المكرر باربعة أنصاف كل رطل والعسل النحل بثلاثة أنصاف كل رطل والعسل الاسود بنصفين كل رطل والسمن بثلاثة أنصاف كل رطل والجبن المقلى بثلاثة أنصاف كل رطل والجبن الحالوم بنصفين كل رطل والجبن الازرار الذى فى مائه بنصف فضة كل رطل وتشحط اللحم الضأنى واللحم البقرى حتى صار لا يوجد الا قليلا فابتيع اللحم الضأنى بثمانية عشر كل رطل والبقرى بثمانية كل رطل وابتيعت الحلوى المشبك من القادرى بخمسة أنصاف كل رطل والمنفوش بستة كل رطل وعمت هذه التشحيطة سائر البضائع وسائر الحبوبات حتى الخضر وسبب ذلك ان الزينى بركات بن موسى كان مشغولا بعمل برق الحجاز وقد أهمل أمور الحسبة ولم يلتفت اليها فجارت السوقة على الناس وهم فى أمر مريب بسبب هذه التشحيطة التى وقعت فى تلك الايام وكادت الناس أن يأكل بعضها بعضا وفى يوم السبت ثالث عشره جلس ملك الامراء فى المقعد الذى بالحوش فتكاثرت عليه المماليك الجراكسة فى المقعد فخنق منهم فقال للانكشارية الذين حوله اضربوهم واطردوهم من المقعد فلما سمعوا منه ذلك ضربوا المماليك الجراكسة بالعصى على وجوههم ضربا فاحشا فجاءت ضربة على أكتاف جانى بك دوادار الامير قايتباى الدوادار فانزعج كتفه فحصل للمماليك الجراكسة فى ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة على أقبح وجه ثم فى عقيب ذلك اليوم طلع المماليك الجراكسة الى الميدان بسبب تفرقة الاطلاق فحضر القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وفرّق الاطلاق فاعطى لجماعة من المماليك فدانا طين ونصف وبعض فدانا وبعض نصف فدان فتضرر المماليك من ذلك وقالوا ايش يكفينا النصف فدان وشكوا من ذلك فسبهم القاضى شرف الدين سبا قبيحا وقال لهم يا كلاب يازرابين أنتم بقى لكم باب والا رأس حتى تتكلموا بيضتم وجوهكم

فى ايش حتى تستحقوا الطلاقات وبهدلهم غاية البهدلة فنزلوا من الميدان على أقبح وجه وقد قلت أبياتا فى هذا المعنى

لما تكبرت الجراكسة التى * كانت بمصر أذلهم رب الورى

وأذاقهم ذل السؤال وفاقة الأيدى وأدبهم بما لهمو جرى

وفى هذا الشهر وقعت بين ملك الامراء و بين الامير قايتباى الدوادار فتنة وصار كلما طاع اليه بعقته وسبب ذلك ان شخصا من عربان السوالم كان عند قايتباى فأرسل خاير بك اليه انكشاريا أخذه من عنده ووضعه فى الحديد فصار بينهما حظ نفس فى الباطن وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول على يد شخص من العثمانية وصار يفرق مراسيل على عيال من توجه الى اسطنبول فذكروا فى كتبهم وفاة جماعة كثيرة من أهل مصر ممن توجه الى اسطنبول لم تحضرنى أسماؤهم الآن وأشيع أن الخنكار لما رحل عن حلب الى بلاد على دولات نزل بمرعش وأقام بها مدة ثم رحل من هناك وتوجه الى اسطنبول وهى القسطنطينية العظمى محل كرسى مملكة ابن عثمان فقيل ان أمير المؤمنين محمدا المتوكل على الله لما بلغه مجىء الخنكار خرج من اسطنبول ولاقاه هو وأولاد عمه والعلائى على ابن الملك المؤيد وأولاد الامراء الذين هناك والمباشرون وأولاد الجيعان الذين هناك وأولاد الناس من أهل مصر الذين توجهوا الى اسطنبول فلما وقعت عين الخليفة على ابن عثمان أراد أن ينزل له عن فرسه فحلف عليه الخنكار ومنعه من النزول اليه وقيل انه عظمه غاية التعظيم وأما بقية أعيان أهل مصر الذين هناك فلم يلتفت اليهم لما خرجوا اليه ولاقوه هكذا أشيع بين الناس وكانوا يظنون أن الخنكار اذا دخل الى اسطنبول يفرج عنهم ويرسم لهم بالعود الى مصر فلم يخاطب منهم أحدا ولم يلتفت اليهم وأشيع أنه لما دخل الى اسطنبول دخل فى موكب حافل فأقام نحو ستة أيام ورحل عنها وتوجه الى بلد من أعمال مملكته يقال لها أدرنه فأقام بها وسبب ذلك أنه لما دخل الى اسطنبول وجد بها فناء عظيما وقد فتك بها الطاعون فتكا عظيما ومات به من عسكره ما لا يحصى وقيل مات من أهل مصر ممن توجه الى اسطنبول نحو من ثمانين انسانا منهم أعيان وغير أعيان ولكن لم أقف على حقيقة أسماء من مات هناك من الاعيان وسيظهر فيما بعد من توفى هناك من الاعيان ومن العجائب أن الفلكية وأرباب النجوم حكموا بأن سليم شاه بن عثمان ما بقى يدخل الى بلده اسطنبول فكذبهم الله تعالى فيما قالوه ودخلها وأقام بها أياما وبطلت أقوالهم الكاذبة كما يقال فى المعنى

لا ترقب النجم فى أمر تحاوله * فالله يفعل لا جدى ولا حمل

مع السعادة ما للنجم من أثر * فلا يضرك مريخ ولا زحل

وقيل بلغ الخنكار أن شاه اسماعيل الصوفى طرد عسكر ابن عثمان عن البلاد التى كان

ملكها

ملكها واستناب بها جماعة من العثمانية فطردهم الصوفى عن بلادهم واستخلصها من أيديهم فلما بلغ ابن عثمان ذلك خرج من اسطنبول مسرعا وأقام بأدرنه حتى يرى ما يكون من أمر شاه اسماعيل الصوفى هكذا أشيع بين الناس والله أعلم بحقيقة ذلك وفى يوم الخميس مع ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان صنع الزينى بركات بن موسى مسايرة حافلة وركب معه جماعة من المباشرين فشق من القاهرة بعد صلاة العشاء بأربعين درجة وقدامه انكشارية وقواسه ومشاعلية وفوانيس ومشاعل كثيرة فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت له الاصوات من العوام بالدعاء وكانت من الليالى المشهودة وارتجت له القاهرة فى تلك الليلة وكان محببا للناس قاطبة وفيه وقع من الحوادث أن شخصا من العثمانية كان فى خان الخليلى قد قبض على شخص من العوام زعم أنه سرق من جيبه أربعة أنصاف فلما قبض عليه طلع به الى ملك الامراء فلما أوقفه بين يديه قص عليه قصته وما فعله به فى خان الخليلى وانه قبض على يده وهى فى جيبه وأخذ من جيبه وهو ماش أربعة أنصاف فلما سمع ملك الامراء ذلك رسم للوالى أن يقطع يده فقطع يده وعلقها فى رقبته وأشهره فى القاهرة فتأسف الناس عليه كيف قطعت يده على أربعة أنصاف وقد راحت ظلما وقد تقدم القول أن ملك الامراء اشنق رجلا على عيدان خيار شنبر وكان ملك الامراء يصبح وهو مخمور يحكم بين الناس بالعسف والظلم مما لا يسوغ الشرع الحكم به وكان الغالب عليه الجهل وقلة الدين فى أفعاله كلها وفى يوم الخميس خامس عشريه حضر شيخ العرب عبد الدائم بن بقر وكان ملك الامراء أرسل اليه منديل الامان وخلعة بان يستقر فى شياخة الشرقية فلما حضر وقابل ملك الامراء تقدم اليه والده شيخ العرب الامير أحمد بن بقر ومسك ابنه عبد الدائم من طوقه بين يدى ملك الامراء ثم التفت الى ملك الامراء وقال له يا ملك الامراء متى أطلقت هذا صار فى ذمتك الى يوم القيامة وأخرب الشرقية عن آخرها فتعصب للامير أحمد خير الدين بك نائب القلعة وقال لملك الامراء اذا كان أبوه يشكو منه فكيف تطلقه أنت فساعده على ذلك سنان باشا فما وسع ملك الامراء الا أنه وضعه فى الحديد وسلمه الى خير الدين نائب القلعة ثم ان ملك الامراء قبض على جماعة عبد الدائم الذين كانوا حضروا صحبته قاطبة وكانوا نحو ثلاثين نفرا من أعيان العربان ووضعهم فى الحديد وأرسلهم الى السجن ثم أحضر قفطان حرير أخضر وخلعه على الامير بيبرس ابن الامير أحمد بن بقر وقرره فى مشيخة الشرقية عوضا عن عبد الدائم وقد سر بمسك عبد الدائم كل أحد من الناس فانه كان من المفسدين فى الارض ووقع منه أمور شنيعة من حين دخل ابن عثمان الى مصر وقطع الطريق على القوافل التى تأتى من الشام وقتل التجار وأخذ أموالهم وقتل جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة الذين كانوا قد طفشوا فى البلاد وأخذ

سلاحهم وخيولهم وقد فعل من هذه الافعال القبيحة مالا يحصى ووضع يده على خراج بلاد الاوقاف واستخرجها وفعل من هـذا النمط أشياء كثيرة ثم ان ملك الامراء أرسل ضرب الحوطة على موجود عبد الدائم من صامت وناطق حتى على سواقيه وزروعه ومواشيه وثيرانه وأبقاره وغير ذلك والذى خبث لايخرج الا نكدا وفى يوم السبت سابع عشرى شهر رمضان ثبت النيل المبارك على ستة أصابع من تسعة عشر ذراعا وهبط سريعا ولم يزد فى بابه غير خمسة أيام ونقص وكان نيلا شحيحا من مبتداه الى منتهاه وفى ذلك اليوم نزل ملك الامراء وشق من القاهرة وقد بلغه أن قاصدا حضر من عند الخنكار ابن عثمان فنزل الى ملاقاته فلما شق من القاهرة ضجت اليه العوام من قلة الخبز فى الاسواق وانطلقت الالسن فى حق ملك الامراء بالكلام الفج وقالوا له انظر فى أحوال المسلمين ينور الله تعالى والا يصير ذلك فى ذمتك فتنكد ملك الامراء فى ذلك اليوم الى الغاية وكان صحبته الزينى بركات ابن موسى المحتسب فقاسى فى ذلك اليوم من ملك الامراء مالا خير فيه وقال له قد غفلت عن الناس حتى صارت غلوة بمصر ثم ان ملك الامراء لما طلع الى القلعة رسم بفتح شونتين وأن تفرق على الطحانين ففعل ذلك وفى يوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان أرسل ملك الامراء أمير علم الى بيت الامير قايتباى وقال له قد رسم لك ملك الامراء أن تدق على بابك فى هذه الليلة طبلخانات وكؤوسات فلما سمع ذلك الامير قايتباى أرسل يقول لملك الامراء أدق الطبلخانات على بابى دائما والا فى هذه الليلة فقط فلما عاد الجواب الى ملك الامراء قال قل له فى هـذه الليلة فقط فلما بلغ الامير قايتباى ذلك لم يوافق على دق الطبلخانات على بابه فى هذه الليلة فقط وقال أدق الطبلخانات على بابى ليلة واحدة حتى تضحك على الناس وامتنع من ذلك ولم يدق الطبلخانات على بابه فى تلك الليلة وقد بطل أمر دق الطبلخانات على أبواب الامراء من حين دخل ابن عثمان الى مصر وقد قلت فى ذلك

لهفى على الكاسات قد دقت على * باب بسعد أميره قد بشرا

وفى شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاربعاء فخرج ملك الامراء وصلى صلاة العيد فى جامع القلعة وخطب به قاضى القضاة كمال الدين الشافعى وانفض موكب العيد كأنه لم يكن ولم يخلع فيه ملك الامراء على أحد من أرباب الوظائف ولا على قضاة القضاة ولا على أحد من المباشرين ولا على الامير قايتباى الدوادار وبطل ما كان يعمل فى يوم العيد من تلك المواكب الجليلة والخلع المثمرات والتشاريف السنية وبطلت تلك الطرز اليلبغاوية العراض والفوقانيات الحرير الاخضر وبطلت أشياء كثيرة كانت من شعار المملكة ووقع لى فى المرثية التى قلتها فى مصر أبيات فى معنى ذلك وهى

لهفى على أعياد مصر كيف قد * أفنت تشاريفا بها ومثمرا

وكذا

وكذا الكنابيش التى قد زخرفت * كانت تشد خيولها عند السرى
وكذا السروج المفرقات بلعها * كانت كبرق أو كايل أقمرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد * كانت بها تزهو على كل القرى

ثم نزل الزينى بركات بن موسى من القلعة فى موكب حافل وقدامه الملالية والمشاعل بالفوط الزركش عليها والانكشارية بالنفوط قدامه والقواسة قدامه مشاة فشق من القاهرة فى ذلك الموكب وفى يوم الخميس ثانى شوال طلع جماعة من أعيان المباشرين الى القلعة على جارى العادة فلما تكاملوا أخرج اليهم ملك الامراء مرسوم الخنكار ابن عثمان الذى أرسله على يد صوباشى من العثمانية الذى تقدم ذكر حضوره من البحر المالح وكان من مضمون ذلك المرسوم أنه أرسل يطلب خمسة من المباشرين يتوجهون الى اسطنبول وهم العلائى على ناظر الخواص الشريفة والشرفى يونس النابلسى والقاضى بركات أخو القاضى شرف الدين الصغير كاتب الرجع والقاضى فخر الدين بن عوض والقاضى أبو البقاء ناظر الاسطبل وأرسل يطلب الامير يوسف البدرى الوزير الذى كان كاشف الغربية وأرسل يطلب الشرفى يونس نقيب الجيش فلما تحققوا ذلك اضطربت أحوالهم ورسموا عليهم بالقلعة وقالوا لهم اكتبوا وصايا كم ويوم الجمعة تسافرون من البحر ثم فى ذلك اليوم خلع ملك الامراء على القاضى شهاب الدين بن الجيعان واستقر به فى كتابة السر عوضا عن علاء الدين ناظر الخاص وخلع على القاضى شرف الدين بن عوض أخى فخر الدين واستقر به فى كتابة الخزانة ومتحدثا فى جهات الشرقية وخلع على القاضى بركات بن موسى وقرره فى الحسبة على عادته وجعله متحدثا على الاستادارية عوضا عن يونس النابلسى وأشرك معه الشرفى يونس النابلسى استادار ملك الامراء وخلع على القاضى أبى بكر بن الملكى وقرره على عادته مستوفى ديوان الجيش وخلع على يوسف بن نقيب الجيش واستقر به فى نيابة الجيش عوضا عن أبيه فخلع على هؤلاء الجماعة فى يوم واحد ونزلوا من القلعة وعليهم القفاطين الحرير وفى يوم السبت رابع شوال نزل ملك الامراء من القلعة وسار نحو بركة الحاج وصحبته الامير قايتباى الدوادار والامير سنان باشا وفائق بك وجماعة من الامراء العثمانية وجماعة من المماليك الجراكسة ولما وصل الى سبيل علان ساق قدامه الركاب بالخيل الجنائب وسابقت معهم خيول الامراء فسبق فرس الامير قايتباى الدوادار فرس سنان باشا قيل ان هذه عادة عند العثمانية أنه فى أيام العيد يخرج الخنكار ويسير فى الفضاء ويسوقون قدامه بالخيول فمن سبق فرسه ينعم عليه الخنكار بمائة دينار والذى تقصر فرسه عن السباق ينعم عليه ببطيخة وهذا من أنواع المماجنة فانشرح ملك الامراء فى ذلك اليوم الى الغاية وفيه قبض ملك الامراء على الخواجا شهاب الدين أحمد بن أبى بكر السكندرى ووضعه فى الحديد وقرر عليه مالا له صورة وأشيع أن الخنكار

أرسل يطلبه الى اسطنبول فاضطربت أحواله بسبب ذلك الى الغاية وفيه خلع على محيي الدين بن يوسف بن أبي اصبع وقرره على عادته استادار الذخيرة الشريفة وفي يوم الجمعة عاشره حضر القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك الى الميدان وعرض جماعة من أولاد الناس ومن المماليك وكتب منهم جماعة بأن يتوجهوا الى عقبة أيلة و يقيموا بالازلم فكتب منهم جماعة في ذلك اليوم نحو ستين انسانا أوفوق ذلك فحصل لاولاد الناس بسبب ذلك غاية الضرر لاجل قلة العليق وكانت القاهرة في تلك الايام في غاية الانشحات من قلة العليق وعدم الجمال بسبب خروج الحجاج وفي يوم السبت حادى عشره نزل ملك الامراء وجلس بالميدان وعرضت عليه كسوة الكعبة الشريفة ومقام ابراهيم والمحمل وشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا وفي يوم الاحد ثانى عشره أشيع أن ملك الامراء أفرج عن القاضي نور الدين على الفيومى الحنفي وكان له مدة وهو في الترسيم بالقلعة بسبب مكتوب ثبت عليه وكان غير محمود السيرة في أفعاله وجرت له وقائع كثيرة وفي يوم الاثنين ثالث عشره أنفق ملك الامراء على العساكر الذين تعينوا للعقبة والازلم فاعطى لكل واحد منهم جامكية ثلاثة أشهر معجلا وهي عبارة عن ستة آلاف درهم وقيل رتب لكل واحد منهم في كل يوم رطلين بقسماطا تصرف لهم في العقبة ورسم لهم بأن يجيؤا مع الحجاج اذا حضروا الى القاهرة وتوجه هذا العسكر الى هناك لاجل حفظ ودائع الحجاج وملاقاتهم التي تتوجه لهم من مصر فان العربان تزايد فسادهم في حق الحجاج وأرسلوا يطلبون لهم نجدة عند عودهم الى مصر وفي يوم الاربعاء خامس عشره رسم ملك الامراء بشنق عشرة أنفار من جماعة عبد الدائم بن بقر فانهم كانوا من المفسدين فشنقوا وعلقوا في أماكن شتى من القاهرة فشىء في قنطرة الحاجب وشىء في رأس الحسينية وشىء في باب النصر وقد وسطوا منهم جماعة وشنقوا منهم جماعة وشىء خوزقوهم وفي يوم الجمعة سابع عشر شوال أنزلوا من القلعة جماعة من المباشرين ممن كانوا في الترسيم وقد تقدم القول أنهم يتوجهون بهم الى اسطنبول فأنزلوهم من القلعة بعد صلاة الصبح منهم من هو راكب على بغلة ومنهم من هو راكب على حمار فشقوا بهم من الصليبة وتوجهوا بهم الى بولاق وحولهم جماعة من الانكشارية مشاة بالسيوف في أوساطهم والصوباشى الذى هو متسفر عليهم راكب قدامهم فكثر عليهم الاسف والحزن والبكاء من الناس فكانت عدتهم سبعة أنفس وهم القاضي علاء الدين بن الامام ناظر الخاص والشرفي يونس النابلسي الاستادار والقاضي بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب المماليك والقاضي فخر الدين بن عوض والقاضي أبو البقاء ناظر الخاص والاسطبل والشرفي يونس نقيب الجيش والامير يوسف البدرى وزير الديار المصرية وأصله من مماليك الامير يشبك بن

مهدى الدوادار كان قدمه للاشرف قايتباى ولازال يترقى حتى رأى من العز والعظمة غاية العلاء وجرت عليه بعد ذلك شدائد ومحن وآخر الامر نفى الى اسطنبول فلما وصل هؤلاء الى بولاق نزلوا بقصر ناظر الخاص الذى هناك حتى تنتهى أشغالهم فحصل لنساء القاضى أبى البقاء والقاضى أبى البركات كاتب الرجع على أزواجهن غاية الحزن والشقاء والنعيم ودقوا عليهم بالطارات وكذلك زوجة يوسف البدرى وبقية المباشرين وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث التى لم يقع قط مثلها فيما مضى من الزمان فاستمروا بقصر ناظر الخاص ببولاق الى يوم الاثنين عشرى شوّال فنزلوا وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية وكان هؤلاء المباشرون لما صفا لهم الوقت طاشوا وصاروا كأنهم هم الملوك بمصر يتصرفون فى أمور المملكة بما يختارونه ليس على يدهم يد واستغرقوا فى اللذات وعكفوا على شرب الخمور وسماع الزمور ولم يتفكروا فى عواقب الامور فاستمروا على ذلك حتى طرقتهم الاخبار الردية وأحاطت بهم كل رزية فكانوا كما قيل فى المعنى

من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

ثم فى عقيب ذلك سافر الى اسطنبول الناصرى محمد بن الورد لاعب الشطرنج ورفيقه الشهابى أحمد الاسكندرانى وقيل ان الخنكار سليم شاه أرسل يطلبهما الى اسطنبول على لسان الخواجا يونس العادلى وأرسل لهما مبلغا له صورة بسبب كلفة السفر وعمل الزوادة ويقال ان جماعة من المباشرين الذين توجهوا الى اسطنبول سألوا ملك الامراء بأن يعطوه مالا له صورة ويعفيهم من السفر الى اسطنبول فما قدر على ذلك وفى يوم السبت ثامن عشر شوّال خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل عظيم وكان أمير الركب الزينى بركات بن موسى المحتسب فخرج بطلب حافل فكان ما اشتمل عليه الطلب خمسة عشر نوبة من الهجن عليها أكوار ما بين مخمل ملون وجوخ أصفر وبعض جنائب بير كستوانات فولاذ وطبول ومحفتين بجوخ لنسائه وثلاثة خزائن على العادة وكاسات على العادة وطبلين وزمرين وعلى رأسه صنجق عثمانى حرير أحمر وركب صحبته جماعة من المباشرين الذين تأخروا بمصر وهم الشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك والقاضى تقى الدين أبو بكر بن الملكى والقاضى عبد العظيم الصيرفى وآخرون من المباشرين وكان قدامه انكشارية ورماة وقواسة نحو مائتى انسان فلما شق من القاهرة دعا له العوام وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودا فلهج الناس بان ذلك سيكون آخر سعده وخرج فى هذه السنة حجاج كثيرة وغالبهم فلاحون وريافة واشيع ان العربان وقفت لهم فى الطريق وان الغلاء موجود معهم من حين خرجوا من مصر وكذلك العليق كان مشحوتا فلما خرج الحجاج وقف جماعة من أولاد

الناس والمماليك الذين عينوا الى العقبة الى ملك الامراء وشكوا اليه من عدم الجمال وانها لم توجد فرسهم بابطال جماعة منهم نحو ثلاثين انسانا وكان الذين تعينوا فى الاول نحو ستين انسانا أو فوق ذلك وأشيع ان أرباب الادراك من العربان وقفوا الى القاضى بركات بن موسى بسبب عاداتهم من الصرر فنفر فيهم ونهرهم وسبهم فخرجوا من عنده على غير رضا وقيل ان ناظر الخاص لما حج فى السنة الخالية أنعم على العربان وأرباب الادراك بألف جوخة حتى رجع بالحاج وهو سالم وبيض وجهه عند الناس وفى شهر ذى القعدة وكان مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فلما تكامل المجلس وقع تشاجر بين قاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيي الدميرى وبين قاضى القضاة نور الدين على الطرابلسى الحنفى فتفاوضا الكلام فى ذلك حتى خرجا عن الحد بسبب وقف الامير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير فانه شرط فى وقفه النظر والتكلم للامير تغرى بردى الاستادار وانه يدخل من شاء ويخرج من شاء من المستحقين واستمر ذلك حتى توفى الامير تغرى بردى فسعت ابنة الامير يشبك عند قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة فى ابطال ما كان شرطه والدها للامير تغرى بردى ويجعل لها النظر على ذلك والتحدث على وقف والدها فحكم بنفسه فى ذلك وقد ساعدها على ذلك السلطان الغورى فلما ثبت ذلك على يد القاضى عبد البر وحكم بما فيه أبطل ما كان اشترطه الامير يشبك لتغرى بردى فلما توفى قاضى القضاة عبد البر وتوفيت ابنة يشبك سعى جماعة من معاتيق يشبك الدوادار لتغرى بردى فحكم بصحته وتبع فى ذلك شرط الواقف فلما جرى ذلك عز على بقية القضاة ذلك لكونه نقض حكم قاضى القضاة عبد البر فحضر فى ذلك اليوم شخص من أولاد عبد البر وقال لقاضى القضاة نور الدين الطرابلسى اتنقض حكم شيخ الاسلام عبد البر وأنت من بعض طلبته وساعده قاضى القضاة على ذلك وحط عليه ملك الامراء خاير بك وكان المجلس كله عليه فما وسعه فى ذلك المجلس الا انه قال رجعت عن حكمى وأبقيت حكم قاضى القضاة عبد البر على ما كان عليه فشهدوا عليه فى ذلك المجلس بابطال ما كان حكم به فعد ذلك منقصة فى حق قاضى القضاة نور الدين الطرابلسى ولامه الناس على سرعة نقضه لحكمه فى الحال فعد ذلك من النوادر الغريبة وصارت الوحشة عمالة بين قاضى القضاة المالكى والحنفى فى الباطن فنزل قاضى القضاة الحنفى من القلعة فى ذلك اليوم وهو فى غاية التعبس وفى عقيب ذلك عزل قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل نوابه أجمعين ولم يبق منهم سوى أربعة أنفس لاغير فاستمروا على ذلك مدة ثم انه فوض لجماعة من أعيان نوابه ممن اختاره وفى مستهل هذا الشهر خلع ملك الامراء على القاضى عبد العظيم الصيرفى وقرره فى نظر الحسبة عوضا عن الزينى بركات بن موسى الى ان يحضر من الحجاز فلما ولى القاضى عبد العظيم أمر الحسبة

اظهر النتيجة العظمى فى انحطاط سائر أسعار البضائع بعد ما كانت تشحطت الاسعار
فى تلك الايام وصارت غلوة كبيرة بمصر واضطربت أحوال الناس وارتفع الخبز من
الاسواق وغلقت الطواحين وارتجت القاهرة بسبب ذلك وكان عقيب ذلك خروج الحاج
وسافر المحتسب فجارت السوقة على الناس فى سائر البضائع فلما ولى القاضى عبد العظيم
صار يطوف القاهرة كل يوم ثلاث مرات وشرع يضرب الطحانين والخبازين ضربا مبرحا
ويشهرهم فى القاهرة وصار يوعدهم هم والزياتين بالشنق والخوزقة حتى انحطت
أسعار البضائع قليلا وسكن ذلك الاضطراب الذى كان بمصر ثم رسم للجبانين
والسماكين بان يقلوا بالسيرج الطرى دائما وكتب قسائم على المعصرانيين ان
لا يصنعوا الزيت الحار أبدا ثم نادى فى القاهرة بتسعير اللحم الضانى والبقرى والجبن
وسائر البضائع ثم سعر الدقيق وجعل كل بطة بثلاثة عشر نصفا وكانت البطة الدقيق
وصلت الى ستة عشر نصفا فنفع الناس غاية النفع بعد ما صار بمصر غلوة شديدة
فارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة ثم أحضر القزازين والتجار وعمل معدلهم
فى بيع الغزل والمقاطع الخام وسائر القماش الابيض قاطبة فهابته التجار والسوقة
ودخل فى الحسبة دخولا مهولا وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة وفيه توفى الامير ماماى
أمير اخور ثانى كان وكان من الامراء الطبلخانات وأصله من مماليك الامير ثانى باى
أمير اخور كبير وكان موته فجأة على حين غفلة وقيل انه كان صحبة جماعة من العثمانية
فوقع بينهم ما تشاجر فضربه أحدهم فمات فى ليلته وفيه ثارت العثمانية على ملك الامراء
وقالوا له زد فى جوامكنا والا اعطنا دستور ان نرجع الى بلادنا فاننا اشتقنا الى بلادنا وعيالنا
وان فى مصر غلاء وكل شئ غال وهذه الجوامك ما تكفينا فوعدهم انه يرسل يشاور الخنكار
وأمهلهم الى شهرين وكان القائم فى هذه الحركة جماعة الاصباهية وفيه قدمت
الاخبار من بلاد الصعيد بانه قد فشى الموت هناك فى الابقار والاغنام فمات منها ما لا يحصى
عدده ووقع مثل ذلك بالشام ونواحيها ووقع مثل ذلك بجهات الشرقية والغربية وزيادة على
ذلك ان الدودة رعت البرسيم من أرض الجيزة وغيرها من الاراضى التى زرعت بدريا ووقع
فى أواخر هذه السنة تشحيطة عظيمة فى سائر الغلال وفى يوم الاربعاء سادسه رسم ملك
الامراء بشنق ستة أنفار من جماعة عبد الدائم بن بقر فشنقوا فى عدة أماكن وفى
يوم السبت تاسعه نودى فى القاهرة بأن لا أحد من الناس يصنع خيال الظل ولا مغانى عرب
ولا غير ذلك ولا يبطئ بزفة عريس الى بعد العشاء ولا يمشى فى الاسواق من بعد العشاء وان
الاسواق تغلق من بعد المغرب وسبب ذلك أن العثمانية صاروا يشوشون على الناس فى الليل
ويخطفون العمائم والشدود ويخطفون النساء والمردان من الطرقات ليلا ونهارا وحصل

للناس منهم غاية الضرر الشامل وصارت المماليك العثمانية تؤذى الناس وصارت الطرقات من بعد المغرب مقفرة من قلة السالك بها وصار على الوجود خمدة وفيه قدمت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الجماعة الذين توجهوا هنالك من المباشرين لما نزلوا فى المراكب وسافروا فى البحر المالح غابوا فيه ثلاثة أيام ثم عادوا الى ثغر رشيد وسبب ذلك أنه فى تلك الايام ثار ريح عظيم فرد المراكب من حيث جاءت فأقاموا فى رشيد أياما حتى طاب الريح ثم سافروا وقصدوا التوجه الى اسطنبول وفيه أرسل القاضى بركات بن موسى المحتسب يطلب من ملك الامراء تجريدة تلاقيه من الازلم عند عود الحجاج فان العربان شوشوا على الحجاج وأخذوا منهم جمالا محملة بجماليها من الاحمال وحصل منهم غاية الفساد فى حق الحجاج فلما بلغ ملك الامراء ذلك نزل الى الميدان وعرض جماعة من العساكر وعين تجريدة تلاقى الحجاج من الازلم فكتب جماعة من المماليك الجراكسة وجماعة من العسكر وجماعة من أولاد الناس واستحثهم فى سرعة الخروج الى الازلم وفى يوم الاثنين خامس عشريه نزل ملك الامراء من القلعة بعد صلاة الصبح وعدى الى بر الجيزة وتوجه الى نحو شبرامنت وقناطر العشرة وذلك على سبيل التنزه فصنع له الشهابى أحمد بن الجيعان هنالك مدة حافلة وكذلك القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان صحبته الامير قايتباى الدوادار والامير اخور زملك الكاشف وسنان باشا وفائق بك وجماعة من الامراء العثمانية وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فاستمر هنالك الى ما بعد العصر وركب وعدى من بر الجيزة وطلع الى القلعة وأشيع انه كان بين ملك الامراء وبين الامير قايتباى الدوادار حظ نفس فى الباطن فعزم عليه هنالك وزال ما كان بينهما من تلك الوحشة وطابت الخواطر منهما وفى يوم الجمعة سلخ الشهر خرج الامير قايتباى الدوادار وسافر الى نحو العباسة وسبب ذلك أنه تغيب من المماليك الجراكسة من خشداشينه لاجل تفرقة الاضحية فانها كانت غالية ومشحونة ولا توجد وفى شهر ذى الحجة وكان مستهله يوم السبت طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وفى يوم الخميس سادسه خرج العسكر المعين الى الازلم وكان باش هذه التجريدة شخص يسمى اياس فخرج مع العسكر وفيه قدمت الاخبار من الصعيد بان الامير على بن عمر خرج يغزو صاحب النوبة وان الصعيد أحواله مضطربة وفى يوم الجمعة سابعه خرج الامير جانم الحمزاوى دوادار ملك الامراء وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية وسبب ذلك أن ملك الامراء أرسل على يده تقدمة حافلة الى شخص من امراء ابن عثمان يقال له برى باشا وكان من أعيان أمراء ابن عثمان وكان مقيما على البيرة وقيل بحلب فلما خرج الامير جانم الحمزاوى ووصل الى العكرشا وردت عليه الاخبار من هنالك بان الامير برى باشا الذى خرج بسببه

قد توجه الى نحو اسطنبول وقد تغلب عليه العسكر الذين كانوا على البيرة من الغلاء وشدة البرد فرجع الى اسطنبول الى أن يذهب الشتاء فلما تحقق الامير جانم الحمزاوى رجوع الامير برى باشا الى اسطنبول أرسل يشاور ملك الامراء فى أن يرجع الى مصر أو يسافر الى حلب فرسم له ملك الامراء بالعود الى مصر فرجع من العسكر شاوصحبته التقدمة التى عينت لبرى باشا ومن الحوادث أن ملك الامراء رسم للوالى بأن ينادى فى القاهرة بسد قناطر الحروبى الثلاثة فوزعوا سد هذه القناطر على السكان الذين بيوتهم فوق السور فحصل للسكان الذين بيوتهم فوق السور غاية الضرر من مصروف العمارة على ذلك وأشيع سد قناطر السباع أيضا وقنطرة الموسكى ولم يعلم ما القصد من ذلك فسدوا قناطر الحروبى الثلاث بالحجارة فعد ذلك من النوادر الغريبة وكثر القيل والقال فى ذلك وفى يوم الاثنين عاشره كان عيد النحر فلم يفرق ملك الامراء على أحد أضحية لا على الامراء ولا على العسكر وقطع ضحايا الفقهاء والمباشرين حتى ضحايا الزوايا والمزارات التى فى القرافة وغيرها وقال أنا ماأمشى الا على طريقة ابن عثمان فى أمر أنعاله وقطع الاضحية التى كانت تفرق فى الاعياد وفى أواخر هذا الشهر وقع بين ملك الامراء وبين الاصباهية من عسكر ابن عثمان وقالوا له أعطنا دستورا لنسافر الى بلادنا فانا اشتقنا الى بلادنا وعيالنا فقال لهم حتى أرسل أشاور الخنكار فقالوا نحن مانصبر حتى تشاور وأغلظوا على سنان باشا فى القول وقالوا له هذا كله شغلك فاتفق معهم ملك الامراء أنه بعد مضى الشتاء يأذن لهم بالسفر والعود الى بلادهم انتهى ما أوردناه من أخبار سنة أربع وعشرين وتسعمائة وخرجت عن الناس على خير وكانت سنة كثيرة الحوادث منها خسة النيل ووقوع الغلاء فى سائر البضائع والغلال واستمرت هذه الشحطة تتزايد الى أواخر السنة ووقع من الحوادث نفى المباشرين الى اسطنبول وغير ذلك حوادث كثيرة تقدم ذكرها

❁ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وتسعمائة وكان مستهل الشهر يوم الاثنين فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالعام الجديد ثم عادوا الى دورهم وفى يوم مستهل الشهر أمطرت السماء مطرا غزيرا فتفاءل الناس بان ذلك العام يكون مباركا خصبا وفى يوم الخميس رابع المحرم وصلت من ملك الامراء نائب الشام جان بردى الغزالى الى ملك الامراء خاير بك تقدمة ليست بعظيمة أمر وهى أربعة أرؤس خيل وثمانية شقادف تشتمل على بطارخ ضمنها مخالل وفى بعض الشقادف كمثرى وتفاح وسواقه وأرسل ملك الامراء جان بردى الى الامير قايتباى الدوادار فرسا وأربع شقادف ومثل ذلك للامير ازدمر الكاشف ومثل ذلك الى جماعة من الامراء العثمانية فشكروه على ذلك وفى يوم الجمعة خامس المحرم حضر مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة لهم غير أن معهم الغلاء الشديد وموت الجمال فوصل

كراء الجمل الى مائة وعشرين دينارا وأن مكة فيها اغلاء شديد ونزل غالب من بها من المجاورين بسبب الغلاء وان العربان جائرة فى الطرقات وكانت سنة صعبة شديدة على الحجاج وفى يوم الاحد سابع المحرم قدمت الاخبار من قطيا بأن والى قطيا وهو شخص من الاتراك يقال له قان بردى وأصله من مماليك الظاهر برقوق وقيل من مماليك الغورى قانصوه أرسل اليه ملك الامراء انكشاريين يطالبانه بمال قطيا فلم يعطهما شيأ وأغلظا عليه فى القول وقالا له نأخذك معنا فى الحديد الى ملك الامراء فبطحهما على الارض وضربهما بالمقارع حتى أشرفا على الموت وقيل مات أحدهما من الضرب وقال لهما امضيا الى أستاذكما وقولا له ايش ما طلع من يدك افعله فحضر أحدهما وأخبر ملك الامراء بذلك فلما سافر امن قطيا أخذ والى قطيا ماله وغلمانه وتوجه الى جان بردى الغزالى فى غزة بسبب ملاقاة الحاج وقيل كان عند والى قطيا جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فلما توجه الى الغزالى توجهوا معه اليه فلما بلغ ملك الامراء ذلك خلع على شخص من الاتراك وقرره فى ولاية قطيا عوضا عن قان بردى بحكم غيبته كما تقدم وفى يوم الاربعاء سابع عشره ركب عبد العظيم الصيرفى نائب المحتسب ونادى فى القاهرة بأن أرباب الدكاكين من السوقة يبيضون دكاكينهم ويزخرفونها بالدهان ويبيضون آلات النحاس التى عندهم فى الدكاكين لاجل مجئ القاضى بركات بن موسى المحتسب من الحجاز وفى يوم الاربعاء المقدم ذكره وقعت حادثة مهولة وهى أن ملك الامراء نزل من القلعة وتوجه الى نحو بركة الحبش وعزم على ورديش دوادار نائب الشام الذى حضر بالتقدمة فصنع له هناك مدة حافلة ونصب سيباى له هناك صحابة عظيمة وحضر عنده الامير قايتباى الدوادار وجماعة من الامراء الجراكسة وحضر جماعة من الامراء العثمانية منهم سنان باشا وفائق بك وحضر الامير كشبغا والى القاهرة وجماعة من المماليك الجراكسة فلما انقضى أمر المدة أحضر ملك الامراء سفرة الشراب فلما دارت عليهم الكاسات وطلع الخمر فى رؤسهم طفح ما كان فى قلوبهم من الغدر فقال فائق بك لكشبغا الوالى الجراكسة خائنون وأجرى ذكر جان بردى الغزالى بما لا يليق فقال له كشبغا الله يعلم من هو الذى خان منا نحن أوأنتم وقد كتبتم أمانكم فى أوراق وفرقتموها على الامراء ووضعوها على رؤسهم وطلعوا اليكم بالامان فغدرتم بهم وقتلتموهم فمن خان نحن أوأنتم ثم ترايد بينهما الكلام الفج حتى خرجا فى ذلك عن الحد فوثب فائق بك على كشبغا الوالى بخنجر ليقتله فجاءت الضربة فى قفطانه فانخرق فوثب كشبغا الى فائق بك ليقتله فحال بينهما الحاضرون ثم ركب كشبغا وركب جماعة من المماليك الجراكسة وسلوا سيوفهم وركب جماعة من العثمانية وسلوا سيوفهم وقصدوا الوثوب على بعضهم وكادت ان تكون فتنة عظيمة تذهب فيها الارواح فتنكد ملك

الامراء لذلك وركب على الفور وحال بين الفريقين وخمدت هذه الفتنة قليلا ورسم للعثمانية أن يمضوا على طريق مصر العتيقة ومضى هو والامراء الجراكسة على طريق القرافة واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة من الميدان فلما رأى نفسه فى القلعة وفى عينه قطرة وقد اضطربت أحواله وخاف أن هذه الفتنة تتسع فقيل انه حلف لا يشرب خمرا فى هذه السنة واستمرت النفوس ممرة بالعداوة بين فائق بك وبين كشبغا الوالى وهذه الحادثة أول حوادث سنة خمس وعشرين وتسعمائة ثم ان ملك الامراء بعد وقوع هذه الحركة احتجب عن الناس ثلاثة أيام لم يظهر لاحد من شدة نكده مما قاساه فى ذلك اليوم وفى يوم الاثنين ثانى عشريه خرجت المدورة الى بركة الحاج بسبب الملاقاة فلما أقامت المدورة هناك يوما وليلة أشيع أنها رجعت الى القاهرة وسبب ذلك أن الزينى بركات بن موسى أرسل هجانا الى ملك الامراء وأخبره أن الحجاج وصلوا الى عيون القصب وأنهم فى غاية ما يكون من الانكاد بسبب موت الجمال والغلاء وموافقة فتنة العربان مع ذلك فتنكد الناس لذلك ورجع من كان طلع الى بركة الحاج من الملاقين وفى يوم السبت سابع عشريه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وحضر صحبته الناصرى محمد الجلبى مهمندار ملك الامراء الذى كان توجه صحبة التقدمة المتقدم ذكرها وهى التى أرسلها ملك الامراء الى ابن عثمان وحضر قاصد الامير على بن عمر شيخ عربان جهات الصعيد وكان قد توجه صحبة التقدمة التى أرسلها الى ابن عثمان فلما بلغ ملك الامراء وصول القاصد الى سرياقوس نزل من القلعة وتلقاه من تربة العادلى التى بالمطرية وخرج صحبته الامراء العثمانية والامراء الجراكسة وأعيان المباشرين والعسكر العثمانى والانكشارية قدامه مشاة يرمون بالنفوط فلما وصل الى تربة العادلى نزل وجلس على المسطبة التى هناك ثم حضر القاصد وأخرج قفطانا مخملا بتماسيح على أحمر أرسله اليه الخنكار ابن عثمان بالاستمرار على نيابة مصر فلبسه ملك الامراء وقبل الارض مرارا وأرسل قفطانات تماسيح الى فائق بك وسنان باشا وخير الدين بك نائب القلعة وأرسل قفطان تماسيح الى الامير قايتباى الدوادار باستمراره فى الدوادارية فلبسه ثم ركب ملك الامراء من هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة فى موكب حافل ولاقاه قضاة القضاة الاربعة من باب النصر ثم مشت طائفة النصارى قدامه بالشموع وكان ذلك يوم السبت فلم تحضر طائفة اليهود فى ذلك اليوم واستمر فى ذلك الموكب الى أن طلع القلعة وكان ذلك اليوم مشهودا فلما أقام القاصد أياما أشيع بين الناس انه حضر يطلب طائفة الاصباهية التى بمصر وأشيع أن الخنكار ابن عثمان ارسل تقدمة حافلة الى الامير على بن عمر شيخ عربان الصعيد وأرسل اليه قفطان تماسيح باستمراره على عادته ورسم بأن التقدمة والقفطان تتوجه اليه

صحبة قاصده الى الصعيد فتضاعفت عظمة الامير على بن عمر بسبب ذلك وفى يوم الاحد
ثامن عشريه نزل الحاج بالبركة وحضر المحمل الشريف صحبة القاضى بركات بن موسى
المحتسب أمير الحاج فتغدى فى بركة الحاج وتوجه الى مدرسة السلطان الغورى فلما
طلع النهار من يوم الاثنين تاسع عشريه ركب من هناك وطلع الى ملك الامراء وقابله فخلع
عليه قفطانا مخملا أحمر مذهبا ونزل من عنده وشق القاهرة فى موكب حافل وقدامه جماعة
من الانكشارية مشاة يرمون بالنفوط فكانوا نحو مائتى انسان فشق الزينى بركات من
القاهرة وهو لابس عمامة هوارية على زنط وهو ضارب لثاما ثم أشيع بين الناس أن الحجاج
قاسوا فى هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء وموت الجمال وقلة العليق وكانت سنة صعبة
شديدة بفساد العربان والغلاء وقد منعوا مبشر الحاج من الدخول الى القاهرة ثم أشيع
وفاة الطواشى الامير بشير رأس نوبة السقاة وكان قد توجه الى المدينة الشريفة من حين
دخل ابن عثمان الى القاهرة فتوجه صحبة قاضى القضاة الشرفى يحيى بن البرديني شيخ
الحرم النبوى فأقام هناك الى أن مات ودفن بالمدينة وأشيع موت آخرين من الاعيان وكان
غالب الناس قطع وجزم بعدم عود الزينى بركات بن موسى الى القاهرة فانه حمل مالا يطيق
حيث طلع الى الحجاز أمير حاج وكانت هذه الوظيفة للامراء المقدمين وكانت هذه السنة
شديدة صعبة من فساد العربان فى طريق الحجاز وشدة الغلاء وموت الجمال فأعانه الله على
ذلك ورجع مع السلامة وفيه وقعت حادثة غريبة وهى أن جماعة من الاصباهية غاروا
على صبية فلما توجهت الى غيرهم كبسوها بالوالى فى ذلك المكان الذى كانت فيه وزعموا
انها كانت عند شخص نصرانى فقبضوا عليها وعلى ذلك النصرانى فلما عرضوا على ملك
الامراء رسم بان تعرى المرأة من أثوابها وتكتف أيديها وأرجلها وأن تربط من رجليها
فى ذنب اكديش وتسحب على وجهها من الكداشين الى باب زويلة ففعلوا بها ذلك وشقوا
بها من القاهرة وقصدوا اشنقها على باب زويلة فقيل انها ماتت فى أثناء الطريق وقيل بل
غرقوها فى البحر عند الجزيرة الوسطى وقد مضى أمرها وقد قاست ما لا خير فيه حتى ماتت
واستهل شهر صفر يوم الثلاثاء فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر
ثم عادوا الى دورهم وفى أوائل هذا الشهر قدمت الاخبار من ثغر الاسكندرية مع بعض
تجار البنادقة أن جماعة من المباشرين الذين خرجوا من مصر وتوجهوا الى اسطنبول فى البحر
المالح لما وصلوا الى قريب جزيرة اقريطش خرج عليهم طائفة من الفرنج الروادسة الذين
هم أشد طوائف الفرنج فتحاربوا مع الجماعة العثمانية الذين خرجوا صحبة المباشرين فقتلوا
منهم جماعة ومن جملتهم الخواجا هاشم وكان من أبناء العجم وكان من أخصاء ملك الامراء
خاير بك وكان قرره فى نظر المارستان ونظر جهات الجوالى فقتل فى هذه المعركة وكان

قصده أن يتوجه الى الخنكار صحبة المباشرين فلما خرجت عليهم الفرنج تحارب معهم حتى قتل فى المركب التى كان فيها الشرفى يونس النابلسى الاستادار والقاضى بركات كاتب الرجع أخو القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان بهذه المركب يوسف البدرى الوزير والناصرى محمد بن الورد لاعب الشطرنج ايضا فلما خرج عليهم الفرنج رموا على مراكبهم بالمدافع فانخرقت وغرقت وغرق كل من كان فيها من المباشرين وغيرهم فغرقوهم وأموالهم التى كانت معهم جميعها فغرق الشرفى يونس النابلسى الاستادار وبركات كاتب الرجع ويوسف البدرى الوزير ومحمد بن الورد لاعب الشطرنج وقيل سلم من الغرق مع رفيقه أحمد الاسكندرانى ثم أشيع بان المركب التى كان بها علاء الدين ناظر الخاص وفخر الدين بن عوض والقاضى أبو البقاء ناظر الاسطبل والشرفى يونس نقيب الجيش وأحمد الاسكندرانى لاعب الشطرنج سلمت من الغرق فسار بها الهواء الى نحو جزيرة اقريطش فخرجوا وهم عراة حفاة مكشوفوا الرؤس ومشوا نحو سبعة أيام حتى أعيوا من المشى وتورمت أقدامهم وأشرفوا على الموت مرارا وأما الشرفى يونس نقيب الجيش فانه مرض هنالك ومات ودفن بجزيرة اقريطش وأما علاء الدين ناظر الخاص فانه مرض وعجز عن المشى حتى حمله بعض الفرنج على أكتافه وكذلك أبو البقاء ناظر الاسطبل وفخر الدين بن عوض فاستمروا على ذلك سبعة أيام حتى وصلوا الى صاحب جزيرة اقريطش فلما رآهم أحسن اليهم وكساهم وأقاموا عنده مدة طويلة ثم جهزهم وأرسلهم الى اسطنبول هكذا أشيع والعلم لله تعالى فلما ثبت موت هؤلاء المباشرين خرج نعيهم وطيف بالقاهرة ودقوا عليهم بالطارات وكان هؤلاء المباشرون ترايد ظلمهم على أولاد الناس وضيقوا عليهم بسبب أرزاقهم وأوقافهم واقطاعاتهم ولاسيما ما فعله فخر الدين بن عوض فى جهات الغريبة من وجوه الظلم فكثر عليهم الدعاء من الناس وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وكان كما يقال فى المعنى

فاستغن بالسمع عن مرآه موعظة * فأصبحوا لاترى الامساكنهم

وصاروا يفتحون على الناس أبوابا من المظالم شيأ بعد شئ ووضعوا أيديهم على البلاد قاطبة حتى على الاوقاف التى على الجوامع والمساجد والزوايا وضاع على الناس خراجهم وحصل لهم الضرر الشامل ثم انهم أبطلوا الاقطاعات التى بالمناشير وأدخلوها فى ديوان السلطان ثم فى السنة الثانية أوقفوا الرزق التى بالمربعات الجيشية التى بيد أولاد الناس والنساء وغير ذلك وصاروا يضعون أيديهم على بلاد الاوقاف ويستخرجون منها الاموال ولا يفرجون عنها الا بعد جهد كبير لمن يأخذون برطيلهم وكانوا اذا قرروا مع ملك الامراء شيأ من أمر البلاد يطاوعهم على الفساد ويقول لهم افعلوا ذلك وهو فى أيديهم

مثل اللواب يدوّرونه كيف شاؤا وكان الوقت قد صفا لهم وصاروا يتصرفون فى أحوال المملكة بما يختارونه فأخذهم الله أخذا وبيلا ولم يجدوا لهم من الله سبيلا وتكدرت معايشهم بعد الصفا وخانهم الدهر بعد الوفا وقد قلت

اذا صفا الدهر يوما * الى التكدر يرجع

هل من لبيب تراه * بأيسر الرزق يقنع

فليعتبر من يشاهد * لمصرع بعد مصرع

وفيه قدمت الاخبار من دمشق بان الحاج الشامى قد استولت عليه الأعراب وعوّقوهم عن الدخول الى البلاد الشامية ونهبوا أموالهم وجمالهم وغنموا منهم أموالا لها صورة فلما بلغ الامير جان بردى الغزالى ذلك خرج الى العربان من يومه وخرج صحبته نائب غزة بعسا كر غزة ونائب الكرك فاقتتل مع العربان وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة وغنم أموالهم وما كانوا غنموه من الحاج الشامى وهو شئ لا ينحصر فاحتاط على جميع ما معهم وهربوا من وجهه الى الجبال وخلص ما كانوا أسروه من رجال ونساء وصبيان وغلمان فكان له الشكر على ذلك وفيه تزايد الضرر من الاصباهية فى حق الناس وصاروا يخطفون النساء من الطرقات وكذلك الصبيان المرد حتى قيل انهم خطفوا امرأة عند سلم المدرسة المؤيدية تحت دكان الذى يبيع الكعك والناس ينظرون اليهم وهم يفسقون بها فلم يجسر أحد من الناس أن يخلصها منهم ثم صاروا يقطعون الطرقات على نساء المسلمين وعلى الباعين وصار أهل مصر منهم فى غاية الضنك والامر لله تعالى وفى يوم الاثنين ثامن عشريه نزل ملك الامراء الى الميدان وأحضر سنان باشا اغات الاصباهية وقد صار بينه وبينهم وحشة بسبب جوامكهم فكان يأخذ من ملك الامراء المال ولا يصرف لهم شيأ فلما وقع الحساب وجد فى جهته لهم أحدا وثمانين ألف دينار فاعترف انها فى جهته وسيوصلها الى الخنكار فحصل بينه وبين الاصباهية فى ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك فقالت الاصباهية لا تعطوا سنان باشا من جوامكنا شيأ من الآن واصرفوا لنا مثل جوامك المماليك فى كل شهر على البساط ثم فى يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء سلخ الشهر عرض ملك الامراء الاصباهية فثبل ما وجد عند سنان باشا وجد فى جهة فائق بك من المال وقال مثل قوله فكثر بينهما القيل والقال بسبب ذلك وقد دبت عقارب الفتن بين الاصباهية وبين سنان باشا وفائق بك وأوعدوا سنان باشا بالقتل غير ما مرة وفى شهر ربيع الاول وكان مستهل الشهر يوم الخميس طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين خامس الشهر نزل ملك الامراء الى الميدان وعرض الاصباهية وعلم من فقد منهم ومن بقى ثم ظهر له ما كان يأخذه سنان باشا وفائق بك من

جوامك

جوامك الاصباهية وليس لهم وجود فظهر زيفه فى هـذه الحركة وفى يوم الخميس ثامن الشهر قبض ملك الامراء على طيلان رأس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع فى الحوش ضربا مبرحا وكان سبب ذلك أن أخت السلطان طومان باى رافعته وذكرت أن السلطان طومان باى أودع عنده ثمانية آلاف دينار فأنكر طيلان ذلك وحلف أنه ما أودع عنده شيأ من ذلك فلما تزايد الامر من أفواه الناس بسبب هذه الوديعة وصار طيلان ينكر ذلك حنق منه ملك الامراء وأمر بضربه بالمقارع وهو لم يقر بشئ فنزل من القلعة وهو فى الترسيم حتى يحقق ذلك وفى يوم الاحـد حادى عشره مع ليلة الاثنين كان المولد الشريف النبوى فجلس ملك الامراء فى المقعد الذى فى الحوش السلطانى واجتمع عنده بعض المباشرين وخير الدين نائب القلعة وبعض أمراء عثمانية واجتمع عنده من القراء والوعاظ ثلاث عشرة جوقة ثم فى أواخر النهار مد سماطا لا يسمن ولا يغنى من جوع وأين هـذا مما كان يعمل فى موالد من تقـدم من السلاطين ثم انه خلع على الوعاظ قفطانات واستردها بقـدرهين وفى يوم الاثنين ثانى عشره خلع ملك الامراء على مملوكه برسباى واستقر به أمير ركب الحاج الشريف فنزل من القلعة فى موكب حافل وفى يوم الخميس خامس عشره حضر قاصد من عنـد نائب حماه وصحبته تقـدمة حافلة الى ملك الامراء وأشيع أن الاميرجان بردى الغزالى نائب الشام قد قبض على أربعـة من مشايخ عربان جبل نابلس منهم قراجا بن طراباى فلما قبض عليهم حز رؤسهم وأرسلها الى الخنكار بأدرنه فلما فعـل ذلك اضطربت أحوال جبل نابلس وصارت العربان ينهبون الضـياع التى حول جبـل نابلس ويقتلون أهلها وتزايد الغلاء بالشام من قلة الجالب اليها وفى يوم الثلاثاء عشريه قدمت الاخبار من الغربية بأن اينال السيفى طراباى كاشف الغربية قد احتال على حسن بن مرعى وأخيه شكر شيخى عربان الغربية وهما اللذان كانا سببا لمسك السلطان طومان باى وقد تقدم ذكر ذلك فعزم اينال على حسن ابن مرعى وأخيه شكر فى مكان بالقرب من سنهور فأتيا اليه وأمناه وظنا أن ذنبهما قد نسى مما قد فعلاه فكان كما يقال فى المعنى

قالت ترقب عيون الحى إن لها * عينا عليـك اذا ما نمت لم تنم

فلما أقاما عنده ذلك اليوم مد لهـما مدة حافلة ثم بعد ذلك أحضر لهما سفرة الشراب فلما شربا ودخلا فى السـكر هجم عليهما جماعة من المماليك الجراكسة ممن كانوا عند اينال فعاجلوا حسنا وشكرا بالحسام قبل الكلام فقطعوا رؤسهما واشتفوا منهما حتى قيـل ان بعض المماليك الجراكسة شرب من دمهما وبعضهم جزل لحومهما بالسيف والمجازاة من جنس العمل وكما تدين تدان وفى يوم الاربعاء حادى عشريه حضر الى القاهرة رأس حسن ابن مرعى ورأس شكر فرسم ملك الامراء للوالى أن يعلقوهـما على باب النصر وقيـل ان

رأس حسن بن مرعى لما دخلوا بهاو برأس شكر علقوهما فى رقبة فرس السلطان طومان باى الذى كان راكبا عليها لما قبضوا عليه فى تروجه فصودف أن هذا الفرس كان تحت حسن بن مرعى لما أتى الى اينال فعد ذلك من النوادر الغريبة وقيل ان عيال السلطان طومان باى لما علقت رأس حسن وشكر على باب النصر أظهروا فى ذلك اليوم الفرح والسرور وأطلقوا الزغاريت وتخلقوا بالزعفران وأشيع أن أخا حسن بن مرعى كان مختفيا بالقاهرة لما قتل أخواه فغمز عليه فقبضوا عليه من بيت بعض أصحابه وفى يوم الجمعة ثالث عشريه قدمت الاخبار من ثغر دمياط بأنه قد وصل الى الثغر قاصد من البحر أرسله الخنكار ابن عثمان يطلب سنان باشا وفائق بك فلما سمع ذلك تنكد لهذا الخبر وقال الملك الامراء خاير بك هذا كله شغلك أنت تكاتب فينا الخنكار فى الدس وترافع فينا عنده فلما وردت الاخبار بمجىء القاصد من دمياط رسم ملك الامراء خاير بك للقاضى بركات بن موسى بالتوجه الى ملاقاته فخرج الى قليوب ورمى على البلاد من الشرقية والغربية أبقارا وأغناما وأوزا ودجاجا فجمع فى هذه الحركة فوق ألف رأس من الغنم غير البقر والاوز والدجاج فمد القاضى بركات بن موسى للقاصد فى قليوب مدة حافلة فأشيع أنه صنع له فى تلك المدة أربعمائة رأس غنم ومثلها أوز ومثلها دجاج وخمسمائة مجمع حلوى وقيل ألف مجمع ثم مد له فى أبى الغيث مدة ثانية مثل الاولى فلما وصل القاصد الى هناك فاذا هم أميران أحدهما يسمى اسكندر باشا والآخر يسمى فرحات بك وصحبتهما من الغلمان نحو مائة انسان فلما انتهى أمر المدة أحضر القاضى بركات بن موسى بين أيديهما وقال له الخنكار يسلم عليك ويقول لك بيض الله وجهك حيث رجعت بالحجاج سالمين بخلاف ما جرى على الحاج الشامى فقام وقبل الارض عدة مرار وكشف رأسه فلما وصل القصاد الى شبرى خرج الامير قايتباى الدوادار الى ملاقاتهم وجماعة من الامراء الجراكسة فسلموا عليهم ورجعوا الى دورهم وفى يوم الثلاثاء سابع عشريه دخل القصاد الى القاهرة وقت صلاة الصبح فطلعوا على الجزيرة الوسطى وأتوا من باب الخرق وأتوا الى تحت الربع وتوجهوا على القربيين فأنزلوهم فى بيت الاتابكى قرقماس بن ولى الدين الذى عند حوض العظام فأنزلوا به اسكندر باشا وأنزلوا فرحات بك فى بيت الامير كسباى المحتسب الذى عند مدرسة سودون بن زاده فمد لهما القاضى بركات بن موسى هناك مدة ثالثة لكل واحد منهما على انفراده واستمروا هناك يوم الثلاثاء سابع عشريه وطلع القضاة الاربعة الى القلعة واجتمعوا على ملك الامراء وقرؤا مطالعة الخنكار فكان من مضمون تلك المطالعة طلب سنان باشا وفائق بك وخير الدين نائب القلعة وأرسل يقول لملك

الامراء خاير بك بأن يتوصى بالجراكسة وأن يصرف لهم جوامكهم على العادة ولحومهم وعليقهم وأن ينظر فى أحوال المعاملة ويزيل عنها الغش من الذهب والفضة وأن يحفظ الثغور فلما تحقق سنان باشا وفائق بك أن السلطان أرسل يطلبهما اضطربت أحوالهما وهموا بقتل ملك الامراء خاير بك وعلموا أن هذا كله مما كان يراسل به الخنكار يشكو له منهم فاختفى ملك الامراء فى الحريم ثلاثة أيام لم يظهر لاحد من الناس حتى أشيع أنه قد هرب من القلعة فاضطربت أحوال القاهرة ووزع الناس أمتعتهم فى الحواصل ولهجوا بوقوع فتنة عظيمة تخرب فيها القاهرة وتنهب عن آخرها من الاصباهية والكملية فأقامت الناس على وجل ثلاثة أيام ثم طلع القاضى بركات بن موسى الى ملك الامراء وقال له ارسم للوالى بأن ينادى فى القاهرة للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن الاسواق والدكاكين تفتح وأن لا أحد يكثر كلامه ولا يتحدث فى شئ لا يعنيه ومن تكلم فى شئ لا يعنيه يشنق من غير معاودة فطاف الوالى فى القاهرة وأشهر النداء بذلك وصار ملك الامراء على رأسه طيرة من الاصباهية فبنى حائطا تجاه باب الستارة وصارت الاشاعات قائمة بوقوع فتنة عظيمة من الاصباهية وكانت عدتهم نحو ألفى انسان غير الكملية وصاروا يركبون فى كل يوم ويقفون فى الرميلة ويسبون ملك الامراء سبا قبيحا ويهمون بالهجوم عليه وفيه قدمت الاخبار من الشرقية بقتل شيخ العرب على الاسمر ابن أبى الشوارب وقد احتال عليه كاشف المنوفية وعزم عليه وأسكره وهجم عليه دواداره فقتله بغتة ولعب فيه بالسيف فلما جرى ذلك خاف شيخ العرب حسام الدين ابن بغداد على نفسه فاختفى مدة أيام وقد قوى عزم المماليك الجراكسة من حين قتل الامير اينال كاشف الغربية حسن بن مرعى وشكر أخاه وفيه تغير خاطر ملك الامراء على يونس الجلبى قيل ان أصله فلاح من الشرقية فبقى استادارا وكان له مقدار عند ملك الامراء بسبب انسحاب المال على الجامكية فبطحه فى الحوش وضربه ضربا مبرحا نحو ستمائة عصا فنزل الى بيته وهو مبطوح على حمار فأقام أياما ومات من الضرب وفى شهر ربيع الآخر فى يوم الاثنين رابعه وقعت فتنة عظيمة بالقلعة بين الاصباهية والانكشارية من عسكر ابن عثمان قتل فيها من الاصباهية شخص وقيل اثنان فرسم ملك الامراء للانكشارية بان يقيموا بالقلعة دائما ولا ينزلوا الى المدينة فبطل أمر الانكشارية الذين كانوا يجلسون على أبواب المدينة وتشكى الناس فى خلاص الحقوق منهم فرسم لهم ملك الامراء بان يسكنوا بأطباق المماليك التى بالقلعة ولا ينزلوا الى المدينة أبدا وكان يحصل منهم غاية الفساد فى حق الناس من خطف النساء والصبيان والضيافات والبضائع من أيدى المتسببين وضج الناس من ذلك وفيه أشيع ان سنان باشا وفائق بك

قد برزا خيامهما فى الريدانية بسبب السفر الى اسطنبول وأشيع أن سنان وفائق يتوجهان
من البحر وبركهم يتوجه من البر وفى يوم الاثنين حادى عشره خرج سنان باشا وفائق بك
وتوجها الى بولاق وشقا من الصليبة فى موكب حافل وقدامهما الاصباهية قاطبة
والانكشارية وألبس كل منهما قفطانا مخملا وقيل أنعم على كل واحد منهما بألف دينار فاستمر
معهما العسكر العثمانى حتى أنزلوهما فى المراكب من بولاق وساروا فى البحر الى ثغر دمياط
ومن هناك نزلوا فى الاغربة وفى يوم الجمعة خامس عشره انتهى العمل من الجامع الذى
أنشأه المقر الشهابى أحمد بن الجيعان الذى عند بركة الرطلى بالقرب من حدرة الفول وخطب
به فى ذلك اليوم وكان مسجدا قديما بنى فى دولة الناصر محمد بن قلاون سنة أربع وأربعين
وسبعمائة ودفن به الشيخ خليل الرطلى وهو الذى تنسب اليه بركة الرطلى فاستمر على ذلك
حتى خرب فجدده الصاحب سعد الدين بن ابراهيم البشيرى فى دولة الملك المؤيد شيخ فأقام مدة
طويلة وجعل به خطبة لكونه كان بجوار بيته الذى بالبركة فاستمر على ذلك الى أن خرب
وأقام مدة طويلة وهو خراب فجدد بناءه القاضى شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب
السر فى هذه السنة فاجتمع به فى ذلك اليوم القضاة الاربعة وأعيان الناس من المباشرين
وغيرهم وخطب به ذلك اليوم قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل فخطب به خطبة
بليغة فى معنى انشاء الجوامع فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الشهابى أحمد بن الجيعان
زبادى صينى فيها سكر نحو عشرين زبدية فطاف بها على الناس ثم قامت جماعة من
المنشدين وأنشدوا قصائد فى انشاء هذا الجامع من نظم جمال الدين السلمونى الشاعر
وعبد اللطيف الدنجيهى وغيرهما من الشعراء ثم ان الشهابى أحمد بن الجيعان قرر بهذا
الجامع حضورا من بعد العصر وصوفية وجعل شيخ الحضور الشيخ نور الدين على بن ناصر
شيخ حضور الشافعية وشيخ الحنفية هو شهاب الدين أحمد بن الصائغ وقرر شيخ الحديث
الشريف الشيخ شمس الدين الضيروطى وفى يوم الاحد سابع عشره أشيع أن المملوك الذى
قتل على الامير ابن أبى الشوارب قد قبض عليه الكاشف وأحضره الى ملك الامراء
فرسم بشنقه فشنق على باب زويلة وقيل ان أصله من مماليك الاتابكى سودون الدوادار
فأرضى ملك الامراء مشايخ العربان بشنق هذا المملوك وفى يوم السبت ثالث عشريه
وقعت فتنة كبيرة بين الاصباهية والانكشارية فأغلقوا باب السلسلة وباب الميدان
فى ذلك اليوم واستمر الشر عمالا بين الفريقين الى ما بعد الظهر فنزل الكيخية الكبير
ليصلح بين الفريقين فضربوه فولى هاربا وفى يوم الاثنين خامس عشريه كان يوم فطر
النصارى وهو أول الخماسين واستهل شهر جمادى الاولى بيوم السبت فطلع قضاة
القضاة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم ومن الحوادث فى ذلك

اليوم أن ملك الامراء أحضر طائفة الانكشارية الى القلعة ورسم لهم أن يحضروا بمكاحلهم والبندق الرصاص الذى عندهم فلما أحضروا ذلك رسم ملك الامراء بادخال تلك المكاحل والبندق الرصاص فى الزردخاناه ورسم للانكشارية بأن يقيموا فى الاطباق التى بالقلعة ولا ينزلون الى المدينة أبدا فشق ذلك عليهم الى الغاية وانتصفت عليهم طائفة الاصباهية وفى يوم الاربعاء خامسه نزل ملك الامراء فى مركب وعدى الى المقياس فأقام به الى آخر النهار ثم توجه فى المركب الى قصر ابن العينى الذى بعنشية المهرانى ثم توجه من هناك الى بولاق وأقام بالسبتية ثم طلع الى القلعة فى أواخر النهار وانشرح فى ذلك اليوم الى الغاية وفيه خلع على القاضى شرف الدين الصغير والقاضى شرف الدين بن عوض واستقر فى التحدث فى جهات الشرقية عوضا عن يونس الذى كان استادارا ومات تحت العقوبة وفى يوم الاحد تاسعه خرج القاضى بركات بن موسى المحتسب الى مساحة بلاد الصعيد واستخراج المغل الذى بها وكانت هذه وظيفة الامير يشبك الدوادار والامير أقبردى الدوادار وغيرهما من الدوادارية فخرج فى موكب حافل وقدامه الانكشارية يرمون بالنفوط وسافر معه جماعة من المماليك الجراكسة وفعل فى أمر السنيح والخيام والبرك ما عجز عنه الامراء المقدمون وقد ساعدته الاقدار على بلوغ الاوطار ورأى من العز والعظمة فى دولة ابن عثمان مالم يره فى دولة السلطان الغورى وفى يوم الخميس ثالث عشره توفى الشيخ الصالح المعتقد عبد الرحمن البهنساوى الذى كان مقيما بالمدرسة البرقوقية وكان للناس فيه اعتقاد وفيه عرض ملك الامراء خاير بك طيلان رأس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع ثانيا وسبب ذلك أنه تأخر عليه ألفا دينار مما كان تقرر عليه من المال الذى يورده ثم بعد الضرب أرسله الى سجن الديلم فأقام به وفيه قبض ملك الامراء على جماعة من اليهود من معلمى دار الضرب ومن الصيارف وسبب ذلك أن معاملة السلطان ابن عثمان فى الذهب والفضة قد ذهبت وفسدت وصارت كلها غشا وزغلا فقبض على معلم دار الضرب وألزمه بأن يورد الى الخزائن الشريفة مائة ألف دينار وأن المعلمين بدار الضرب قاطبة يتوجهون الى نحو اسطنبول أو يلتزمون باصلاح المعاملة فلما جرى ذلك أغلظ عليه جماعة من اليهود وقالوا له أرنا مرسوم الخنكار ان كان أرسل يطلبنا الى اسطنبول وأقاموا أياما بالسجن حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه تغير خاطر ملك الامراء على الامير كسبغا والى القاهرة فخنق كسبغا من ملك الامراء فلما نزل الى بيته أغلق الباب وطرد النقباء عن بابه ورفع دكته وأقام أياما لم يخرج من بيته فنزل اليه الامير جانم الحمزاوى وطلع به الى ملك الامراء وقابله به فخلع عليه قفطانا مخملا ونزل الى داره على عادته بعد ما كان أشيع وقوع فتنة عظيمة وقيل انه أورد الى ملك الامراء ستة آلاف دينار وفيه أشيع أن ملك الامراء خاير بك قد

ضرب زوجته خوند مصر باى الجركسية ضربا مبرحا حتى كادت أن تموت ولم يعلم ما سبب ذلك وكثر فى ذلك القال والقيل وفى يوم الاثنين سادس عشريه حضر من عند الخنكار أولاق يبشر بمجىء عسكر عوضا عن الاصباهية الذين بمصر وقد عين الخنكار عسكرا وهو فى أدرنه بأن يحضروا الى مصر وزعم هذا القاصد أنه أتى من أدرنه الى مصر فى أحد وعشرين يوما وكانت الاصباهية قد تقلقوا من الاقامة بمصر فجاء هذا الاولاق يبشر بمجىء العسكر حتى تطمئن الاصباهية بذلك وفى شهر جمادى الآخرة وكان مستهل الشهر يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الثلاثاء تاسعه توفى طيلان رأس نوبة وقد نال من الضرب بالمقارع كما تقدم فاستمر عليلا حتى مات وكان من وسائط السوء ظالما عسوفا من جملة أعوان الظلمة وفى يوم الثلاثاء سادس عشره حضر قاصد أيضا من عند الخنكار وأخبر أن الفرنج قد تحركت على الخنكار وأرسل يقول لملك الامراء بأن يحفظ الثغور ويحصن ثغر الاسكندرية وثغر دمياط بالمكاحل وآلة السلاح وغير ذلك وفى يوم السبت عشريه طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل وأخذ القاع فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين اصبعا أرجح من العام الماضى بعشرة أصابع وكانت الزيادة أول يوم خمسة أصابع فتفاءل الناس بذلك وفى يوم الاثنين ثانى عشريه حضر شخص شريف من عند ابن عثمان وزعم أنه قد قرره فى نقابة الاشراف وأظهر مرسوم الخنكار بذلك وأشيع أن الخنكار أرسل يطلب الاصباهية بأن يتوجهوا الى اسطنبول فأخذوا فى أسباب عمل برقهم وفى يوم السبت سابع عشريه خلع ملك الامراء على القاضى عبد العظيم واستقر به فى التحدث فى نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزينى بركات ابن موسى وكان مسافرا نحو الصعيد كما تقدم وكان سبب ذلك أن ابن موسى لما سافر الى الصعيد جعل شخصا من العثمانية متحدثا عنه فى الحسبة الى أن يحضر من السفر فضاعت أحوال المسلمين فى هذه الايام ووقع الغلاء بالديار المصرية وتشحطت الغلال وعز وجود الخبز فى الاسواق وتناهى سعر الاردب القمح الى ألف درهم وتناهى سعر البطة الدقيق الى عشرين نصفا وعز وجود الشعير والفول والتبن فضج الناس من ذلك وعز وجود الاجبان والسمن والشيرج وغير ذلك فتوجه طائفة من التركمان الى بيت ابن موسى وضربوا المباشرين والرسل الذين على الباب وهرب التركمانى الذى كان يتحدث فى الحسبة ثم ان التركمان توجهوا الى بيت القاضى عبد العظيم وهجموا عليه فى حريمه وأخذوه وأركبوه غصبا وطلعوا به الى ملك الامراء وقالوا له ان لم تول هذا الحسبة والا تخرب مصر على أيامك وتنهب المدينة عن آخرها فلوسع ملك الامراء الا أن أحضر له قفطانا وأفاضه عليه واستقر به ناظر الحسبة عوضا عن ابن موسى فنزل من القلعة بعد العصر وشق من القاهرة وارتفعت

له الاصوات بالدعاء من الناس وكان محببا لاهل مصر قاطبة ففرح كل أحد من الناس بولايته وظهر الخبز فى ذلك اليوم على الدكاكين وتفاءل الناس بكعبه بالرخاء وسكن ذلك الاضطراب الذى كان فيه الناس قليلا وفى هذه الايام توقف النيل عن الزيادة أياما فقلق الناس لذلك وفى يوم الاثنين سلخ الشهر ثارت طائفة من الاصباهية على الامير جانم الجزاوى وهو نازل من القلعة وعينوا له الضرب وقالوا له قل لملك الامراء قد متنا من الجوع نحن وخيلنا من قلة الموجود فلا نلتقى فى الاسواق خبزا ولا شعيرا فاما يأذن لنا بالسفر أو يكفينا من القوت فما خلص منهم الامير جانم الجزاوى الا بعد جهد كبير وذكروا أن لهم ثلاثة أشهر جامكية مكسورة فى الديوان وفى شهر رجب وكان مستهله يوم الثلاثاء طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وقد قلق الناس من أمر الاصباهية ثم ان النيل استمر فى التوقف لم يزد شيأ فأمر ملك الامراء بابطال المحرمات من النبيذ والحشيش والبوزة ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش ثم ان الوالى قبض على امرأة يقال لها انس وكانت ساكنة فى الازبكية تجمع عندها بنات الخطا اللاتى يعملن الفاحشة وكان عليها مبلغ مقرر تورده كل شهر للوالى وكان أمرها مشهورا فرسم ملك الامراء بتغريقها هى وامرأة أخرى يقال لها بدرية زوجة أحد من الناس يقال له البغيضى كانت ماشية على طريقة أنس هذه فى جمعها البنات الخطا فلما قبض الوالى على أنس توجه بها الى قصر ابن العينى الذى فى المنشية وغرقها هناك بعد العصر فاجتمع الجم الكثير من الناس بسبب الفرجة عليها وكان يوما مشهودا فغرقت على النداء والاجهار وأراح الله تعالى المسلمين وطهرت الارض منها وفى يوم الجمعة رابع الشهر صلى ملك الامراء صلاة الجمعة بالقلعة ثم نزل منها وتوجه الى المقياس وقرأ هناك ختمة ومد مدة حافلة للفقراء واستمر النيل سبعة أيام لم يزد فيها شيأ وأشيع أنه نقص أربعة أصابع فقلق الناس لذلك ووقع الغلاء فى سائر البضائع والاصناف وفى يوم السبت خامس رجب زاد الله فى النيل المبارك أصبعا واحدا بعد أن وفى النقص ففرح الناس بذلك وسكن الاضطراب الذى كان بمصر قليلا وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه

قد أصبح الخزان مذ زاده * ذا النيل بعد النقص فى بوسى
وقد غدا يقرأ على قحه * قراءة تنسب للسوسى

فلما زاد النيل هذا الاصبع وسكن الاضطراب شرع القاضى عبد العظيم المحتسب فى تسعير البضائع قاطبة فانصلحت أحوال الديار المصرية قليلا ووقع الرخاء وتفاءل الناس بكعبه بالخير وقد قلت فى المعنى

يا قاضيا قد غدا بالله محتسبا * على الاعادى ولا يخشى من الباس
رخصت أسعارنا من بعد ما غليت * وحزت حسن الثنا من ألسن الناس

لما وليت زاد النيل وانفرجت * وقد خزى كل خزان ودراسى
ان زال هذا الغلا من مصر لا عجب * فكعبكم أخضر يزهو على الآس

ومن الحوادث أنه فى يوم الخميس عاشر رجب وقعت واقعة شنيعة وهى ان اسكندر بك أحد أمراء ابن عثمان الذى كان حضر الى مصر عوضا عن سنان باشا لما أقام بمصر صار يعارض قضاة القضاة فى الاحكام الشرعية فوقع بينه وبين نور الدين على الميمونى نقيب قاضى القضاة الشافعى ثم انه فى يوم الخميس رسم بعزل على الميمونى من النقابة ولم يكتف بذلك حتى انه تكلم مع ملك الامراء فى نفيه فنفاه الى دمنهور وأخرجه من يومه ثم ان ملك الامراء رسم بابطال نقباء قضاة القضاة الاربعة فعزل من النقابة شهاب الدين أحمد بن سيرين نقيب قاضى القضاة الحنفى وعزل نقيب قاضى القضاة المالكى شمس الدين الدميرى وعزل من النقابة ابن قاضى القضاة الحنبلى ومنع جماعة من الوكلاء ومن الرسل أيضا وحصل لقضاة القضاة منه غاية الضنك بسبب نقبائهم وقد تقدم القول ان ملك الامراء لما توقف النيل سبعة أيام أمر بابطال بيوت الحشيش وبيوت الخمرة وبيوت البوزة وغرف أنس التى كانت تجمع عندها بنات الخطا اللاتى كن يعملن الفاحشة من أمر الزنا فلما زاد النيل رجع كل شئ على حاله وسبب ذلك أن العثمانية تعصبوا فى اعادة ذلك فان أكثرهم كان يبيع البوزة فى الدكاكين ورسم ملك الامراء بأن أولاد أنس لا يعارضون فيما يفعلون من جمع بنات الخطا كما كانت تفعل أمهم أنس وفى هذا اليوم قدمت الاخبار من حلب بأن الخنكار أرسل عسكرا يقيمون بمصر عوضا عن الاصباهية الذين كانوا بها وفى يوم السبت ثانى عشره رسم ملك الامراء بشنق شخص سروجى فشنق عند باب خان الخليلى وسبب ذلك انه كان له عبد فباعه لبعض المماليك الجراكسة فهرب وخدم عند بعض التركمان ثم ان السروجى توجه الى سيدى أحمد البدوى فصادف ذلك العبد هناك فقبض عليه وأحضره الى القاهرة فهرب ذلك العبد من بيت السروجى وأتى الى التركمانى وادعى أنه لم يكن فى ملك السروجى وأنه معتوق فطلع التركمانى وقص خبر العبد على ملك الامراء فاحضر ذلك السروجى وأخبر انه قد باعه لمملوك جركسى وقتل فى الواقعة ومضى أمره فلم يثبت للسروجى عليه حق فأغاظ السروجى على ملك الامراء فى القول فحنق منه ملك الامراء ورسم بشنقه فشنق عند خان الخليلى فقيل ان السروجى سأل ملك الامراء أن يفدى نفسه من الشنق بخمسمائة دينار فأبى ملك الامراء من ذلك وشنق فراح ظلما وفى يوم الاثنين رابع عشره وقعت حادثة مهولة وهى ان جماعة من الكملية والاصباهية وقفوا الى ملك الامراء يطلبون منه جوامكهم عن ثلاثة أشهر و يأذن لهم بالسفر الى بلادهم فلم يلتفت اليهم فنزلوا من عنده ووقفوا بالرميلة فلما طلع الامير جانم الحمزاوى أحاطوا به وضربوه وأنزلوه

عن فرسه وأرادوا قطع رأسه فهرب ودخل الى الميدان وهو مكشوف الرأس فوقف فى وجوههم شخص من أمراء الجراكسة يقال له الامير بخشباى الذى كان كاشف البهنسا فرموا غيظهم فيه فضربوه بالسيوف حتى أشيع موته فحملوه وأدخلوه الى باب السلسلة وفيه بعض نفس ثم ان الكملية استمروا بالرميلة طالبين شر امع الجراكسة وانفتح بينهم باب الشر بسبب جانم الجزاوى ثم أنزلوا الامير بخشباى الى بيته فأقام الى يوم الاحد عشريه ومات وقد جرح فى رأسه جرحا بالغا ومات به وأشيع أن ملك الامراء كتب محضرا بأن الكملية قتلوه وأرسل ذلك المحضر الى الخنكار بادرنه ثم حضر جماعة من الامراء الجراكسة وصلوا على الامير بخشباى وكانت له جنازة حافلة وصنعوا قدامه كفارة وفيه قدمت الاخبار من حلب بوفاة القاضى محب الدين محمود ابن القاضى شمس الدين محمد بن أجا الحلبى وكان رئيسا حشما أصيلا عريقا فاضلا ولى قضاء الحنفية بحلب ثم ولى كتابة السر بالديار المصرية وأقام فى هذه الولاية ست عشرة سنة وهو عزيز فى مصر نافذ الكلمة وافر الحرمة وهو آخر كتاب السر بالديار المصرية ولم يوجد بعده من يناظره فى الرياسة والتعاظم والنظام ومشى مشى الرؤساء المتقدمين فى كتابة السر (١) وكان مولده سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ومات وهو فى ست وأربعين سنة وكان كثير الامراض فى جسده وأكثر اقامته فى داره والناس تسعى اليه فى أشغالها ولما مات رثاه الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه بهذه المرثية

ألا فى سبيل الله نجل أجا الذى * يكل اذا عدت فضائله الفكر
فضائله كالزهر والزهر ذكرها * ومنظرها اذ فيهما النشر والبشر
كنجم بأفق الملك كان كما اهتدى * به من بليل الهم ضل به الحجر
كتابة سر الملك ماتت لكونها * به ختمت والسر من بعده جهر
اذا كان محمودا وبالقلب ذكره * رعى الله محمودا له الحمد والشكر
فمن مثل محمود ومن مثل قلبه * وذا القلب ممدوح يلذ به الذكر
لقد كان كالنعمان فى العلم والسخا * وفى الفخر نعم العلم والجود والفخر
له فكرة كانت تمد يراعه * بدائع لفظ نظم ابداعها الدر
لعمرك مافى الفصل والوصل مثلها * بيان معانيها لرب الحجا سحر
أرى الله منه الروح روحا نفضلا * عليه وريحانا وزيد له الاجر
وصير قبرا ضمه خير روضة * يطيب بها فيه له اللف والنشر

وفى يوم الخميس رابع عشريه ثارت الاصباهية على ملك الامراء وطلعوا الى الرميلة ووقفوا

---

(١) فى الشذرات ان محمود بن اجا ولد سنة ٨٥٤ وتوفى فى العشر الاول من رمضان سنة ٩٢٥

بها فأغلقوا فى وجوههم باب السلسلة و باب الميدان فصاروا يسبون ملك الامراء سبا فاحشا وكان سبب ذلك أنه كان لهم ثلاثة أشهر جامكية منكسرة فأنفق عليهم شهرين وتأخر شهر واحد فقالوا ما نسافر حتى تنفق علينا الشهر المنكسر والا نزلنا فنهبنا المدينة وشوشنا على الناس فوقع الاضطراب بالقاهرة وغلقت الاسواق والدكاكين فى ذلك اليوم ثم ان الاصباهية توجهوا الى بيت الامير قايتباى الدوادار وأركبوه من بيته غصبا وطلعوا به الى ملك الامراء وطلعوا أيضا بالامير كشبغا الوالى فاجتمعا بملك الامراء وحدثاه فى أمر الاصباهية بان ينفق عليهم ذلك الشهر الذى تأخر لهم فتوقف فى ذلك ثم رسم لهم بأن ينفق عليهم ذلك الشهر فيما بعد وأخذوا فى أسباب عمل برقهم والتوجه الى اسطنبول وفيه أشيع أنه حضر من اسطنبول جماعة ممن كان بها من السيوفية والحدادين والبنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك من الصناع وأشيع أن الخنكار أنشأ له هناك جامعا وحماما فلما انتهى العمل منهما وقفوا له وقالوا له ان خلفنا أولادا وعيالا وقد أنهينا العمل الذى رسم به الخنكار وما بقى لنا شغل فرسم لهم بالعود الى بلادهم وكتب لكل واحد منهم ورقة بعدم المعارضة له وحضر صحبتهم أيضا الجمالى يوسف ابن نقيب الجيش بن أبى الفرج وشخص من أقارب ابن الطولونى وقد أقاموا لهم ضمانا باسطنبول بان يتوجهوا الى مصر ويقضوا اشغالهم ثم يعودوا الى اسطنبول وأخبر الجمالى يوسف بوفاة جماعة كثيرة من الاعيان الذين توجهوا من مصر الى اسطنبول ولم تحضرنى أسماؤهم واستهل شهر شعبان بيوم الخميس فطلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الثلاثاء سادس الشهر حضر القاصد الذى أرسله الخنكار بطلب الاصباهية وقد أرسل عسكرا صحبة ذلك القاصد عوضا عن الاصباهية فلما وصلوا الى الريدانية رسم لهم ملك الامراء بأن يطلعوا من بين الترب ولا يشقوا من القاهرة قيل ان عدتهم دون ألف نفس والباشا الذى عليهم يقال له قراموسى فلما وصل تحت القلعة أنزله ملك الامراء بالميدان الذى تحت القلعة فنصب خيامه به وصارت التركمان الذين حضروا صحبته يهجمون على الناس فى بيوتهم ويسكنون بها فلما كان يوم الاثنين ثانى عشره خرج اسكندر بك وخرج صحبته الاصباهية الذين كانوا بمصر قاطبة فكان هو الباشا عليهم فشق عليه خروجه من مصر وكان هو المشار اليه فى أمور الديار المصرية وصار يعارض قضاة القضاة فى الاحكام الشرعية فقلق الناس منه الى الغاية حتى بعث الله تعالى بالفرج وأخرجه من مصر عاجلا فلما خرج اسكندر نزل اليه ملك الامراء وودعه وأنعم عليه باشياء كثيرة من مال وخيول وزوادة وغير ذلك ولما دخلت هذه الطائفة من التركمان الى مصر صارت الناس تضيق أبوابها حتى لا يدخل منها راكب لاجل التركمان وفى يوم الاربعاء رابع عشره رسم ملك

الامراء بشنق سبعة أنفار من طائفة الكملية قيل هم الذين قتلوا الامير بخشباى كما تقدم فشنق منهم ستة أنفار على شجرة النبق التى عند مدرسة السلطان حسن والآخر شنق عند باب النصر فشق ذلك على الكملية ولم يطلع من أيديهم شئ وفى يوم الجمعة سادس عشر شعبان كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك تاسع عشر مسرى ففتح السد يوم السبت سابع عشر شعبان الموافق لعشرى مسرى فاوفى الله الستة عشر ذراعا وزاد من الذراع السابع عشر اصبعين وفتح السد فى العام الماضى ليلة النصف من شعبان فكان التفاوت بينهما يومين وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه

شاهدت عند النيل يوم الوفا * جرزا عظيما جانب الشط
للعين والنظرة فيه غدت * كتابة بالكسر والبسط

فلما طلع ابن الرداد وأخبر ملك الامراء بوفاء النيل المبارك نزل من القلعة وتوجه الى المقياس وخلق العامود ومدّ هناك مدة حافلة ثم قدموا له المركب الغراب الذى كان عمره السلطان الغورى فنزل فيه وتوجه الى نحو السد الذى عند رأس المنشية ففتحه وأظهر التعاظم فى ذلك اليوم وفرق الجامع الحاوى والمشنات الفاكهة وكان ذلك اليوم مشهودا من كثرة المراكب والنفوط والطبول والزمور ثم ركب ملك الامراء من هناك وتوجه الى القلعة ثم توجه الامير كشبغا الوالى ففتح السد الذى عند قنطرة السد وفتح سد قنطرة قديدار ورجع الى داره وكان يوما مشهودا وقد عمت هذه الفرجة كل الناس وفيه أنفق ملك الامراء الجامكية على المماليك الجراكسة فأنفق لهم شهرين وكان لهم جامكية أربعة أشهر مكسورة ثم ان القاضى شرف الدين الصغير عوّق جوامك جماعة من أولاد الناس بسبب ذلك وفيه تغير خاطر ملك الامراء على جان بك كاشف الشرقية فارسل بالقبض عليه واحضاره فى الحديد وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس واستغاثوا من ظلمه فلما حضر بين يدى ملك الامراء وبخه بالكلام ثم وضع جنزيرا فى عنقه وقيدا فى رجليه وأرسله صحبته جماعة من الانكشارية الى الشرقية ورسم باشهار المناداة فى الشرقية بان من ظلمه جان بك كاشف الشرقية عليه بملك الامراء يخلص حقه ثم عزل جان بك من كشف جهات الشرقية وقرر شخصا من الاتراك يقال له اياس وكان دوادارا بخدمة خاير بك المعمار قديما وقد تعين باش العسكر الذى كان قد تعين الى جدة ولم يتم له ذلك ثم ان ملك الامراء فى عقيب ذلك أرسل بالقبض على اينال السيفى طراباى كاشف الغربية وأحضره فى الترسيم واستمر على ذلك الى الآن لم يخلص من الترسيم وفى أواخر هذا الشهر قدمت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة ابنة العلائى على بن خاص بك وهى أخت خوند زوجة الاشرف قايتباى وكانت رئيسة حشمة فى سعة من المال وقد تزوجت بعدة أمراء مقدمى

ألوف وهي حماة الاشرف طومان باى جاورت بمكة وتوفيت هنالك وفي يوم الخميس آخر الشهر كانت ليلة رؤية هلال رمضان فتوجه قضاة القضاة الى المدرسة المنصورية التى بين القصرين وحضر القاضي عبد العظيم المحتسب فلما رؤى الهلال وانفض المجلس قام القاضي عبد العظيم وركب من المدرسة المنصورية فلاقته الفوانيس والمشاعل من هنالك وعلقت له القناديل على الدكاكين ومشت قدامه الشموع والسقاؤن بالقرب كما كان يصنع القاضي بركات بن موسى المحتسب فاستمر في هذا الموكب الحافل من بين القصرين الى بيته الذى في باب النصر والرسل قدامه بالشموع الموقودة وكانت تلك الليلة من الليالى المشهودة في الفرجة والقصف وفيه يقول الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه

كعب عبد العظيم كعب رخاء * ريح تسعيره الرخاء رخاء
باشر الحسبة الشريفة في المحـ * ـل فراح الغلا وجاء الرخاء
من كذا كعبه لدى المحل خصب * فهو طب للداء فيه دواء
دام فيها مدبر الحكم بالحكـ * ـمة ما قابل الصباح المساء

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة فطلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ومما وقع في ذلك اليوم ان قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل تكلم مع ملك الامراء في ذلك المجلس بسبب نقيبه نور الدين علي الميمونى وقد تقدم القول أن ملك الامراء نفاه الى دمنهور فلما كلمه القاضي كمال الدين بسبب ذلك رسم باعادته الى مصر بشرط أن يكون بطالا ولا يتكلم في النقابة بباب القاضي أبدا ومنع بقية القضاة أن يجعلوا لهم نقباء على أبوابهم ثم انفض المجلس على ذلك وقامت القضاة وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية سنة خمس وعشرين وتسعمائة الخراجية وفيه قدمت الاخبار من مكة بأن في البحر المالح قبالة جدة نحو أربعين مركبا من مراكب الفرنج يعبثون بالتجار ويقطعون عليهم الطرقات فلما بلغ ملك الامراء ذلك عرض جماعة من المماليك الجراكسة وغيرهم وعين منهم نحو ثلثمائة مملوك وكملية يتوجهون صحبة الحجاج ويقيمون بجدة خوفا من ان يطرقها بعض الفرنج على حين غفلة وفيه أشيع بين الناس ان قاسم الشروانى الذى كان استقر في نيابة جدة جمع المال الذى تحصل من جدة فوضع يده عليه وأخذ المكاحل التى كانت هنالك والسلاح ونزل في مراكب وتوجه نحو بلاد هرمز فتنكد ملك الامراء لهذه الاخبار الردية وفيه حضر شخص يقال له كيخيه أرسله ابن عثمان يقيم بمصر عوضا عن اغات الانكشارية الذى كان بمصر فانه أراد الحج في هذه السنة الى بيت الله الحرام وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان قبض

على

على شخص من تجار الوراقين يقال له الحلاوى وكان قبيح السيرة مشهورا بأكل الربا وقد
أنهوا فى حقه أنه يبيع الخمر والمعجون للترك كمان فى شهر رمضان وقد شهد عليه جماعة
من الوراقين بذلك فلما عرض على ملك الامراء بالميدان رسم بتسليمه الى الوالى حتى يحرر
ما يكون من أمره فتسلمه الوالى ونزل به الى داره ليعاقبه حتى يقر بما قيل عنه من بيع الخمر
والمعجون وقد أوعده ملك الامراء بالشنق بعد العيد فلما نزل به الوالى الى بيته قصد ان
يكتب محضرا بسيرته فجاء اليه جماعة من الانكشارية من أصحاب الحلاوى الذين كان
يبيع لهم المعجون فمنعوا الوالى من ذلك وأغلظوا عليه فى القول ثم توجهوا الى سوق الوراقين
وضربوا التجار الذين تعصبوا على الحلاوى وقصدوا نهب التجار فاغلقوا الدكاكين قاطبة
فلما كان يوم الاربعاء عشرى رمضان طلع التجار الى ملك الامراء وأخبروه بما جرى من
الانكشارية فخشى منهم ورسم للوالى بأن يوسط الحلاوى على باب الميدان فوسطه هنالك
مسبرعا ولم تنتطح فى ذلك شاتان ثم قبضوا على عبد الحلاوى فادعى أنه قد أعتقه أستاذه
قبل أن يتوسط فقطع الوالى أذنه وأطلقه الى حال سبيله فعدّ ذلك من الحوادث المهولة وما
كان يجب على الحلاوى توسيط فراح ظلما وفى يوم الجمعة ثانى عشريه وقع من الحوادث
أن ملك الامراء كان وضع فى الرميلة عند القماحين تجاه سبيل المؤمنين فلاقين خشب نخل
كهيئة المشنقة ووضع فيها حبالا وكلاليب حديد كبارا وأشيع بين الناس ان ملك الامراء
يقصد بعد العيد أن يشنق جماعة من مشايخ العربان ويشنق جانى بك كاشف الشرقية
واينال كاشف الغربية ويشنق جماعة من الكملية والانكشارية فجاؤا الى تلك المشنقة
ورموا الاخشاب التى هنالك وقطعوا الكلاليب والحبال ثم توجهوا الى بيت كشبغا الوالى
وقصدوا أن يهجموا عليه ثم ضربوا النقباء الذين على بابه ثم توجهوا الى الوراقين وقصدوا
أن يقتلوا الجماعة الذين كانوا تعصبوا على الحلاوى حتى وسطوه وكادت ان تكون فتنة
عظيمة وباتوا على ما كانوا عليه من طلب الشر مع ملك الامراء وفى يوم السبت ثالث عشريه
ثارت الكملية والانكشارية وطلعوا الى الرميلة وقصدوا نحو المماليك الجراكسة وكان
الامير قايتباى الدوادار واقفا قدام باب السلسلة فلما رأى التركمان وتزايد الامر منهم سل
السيف هو ومن معه من الامراء الجراكسة وقصدوا مقاتلتهم وأغلظ التركمان على
المماليك الجراكسة وقالوا لهم ايش أنتم واقفون تتفرجوا علينا نحن فى بعضنا نفتتن ايش
أدخلكم بيننا ثم انفض ذلك الجمع على غير رضا ونزل كل أحد الى داره ثم ان التجار نقلوا
أمتعتهم من الدكاكين خوفا من النهب واختفى غالب تجار سوق الوراقين المعينين الذين كانوا
تعصبوا على الحلاوى وفى يوم السبت المذكور توجه جماعة من الانكشارية والاصباهية
الى بيت شخص من تجار الوراقين يقال له كريم الدين البلدى فنهبوا كل ما فيه وقبضوا على

أولاده ونسائه وعبيده وجواريه ولم يظفروا به ثم أشيع انهم قبضوا على جماعة من الوراقين ووضعوهم فى الحديد وقيل انهم ممن تعصبوا وشهدوا على الحلاوى بما قيل عنه فتنكد جميع التجار لهذه الواقعة وصار على رؤسهم الطيرة من التركمان وحولوا أمتعتهم من الدكاكين وصارت الناس على وجل خوفا مما يأتى منهم واستمر التركمان على ماهم عليه من اقامة فتنة عظيمة والامر لله تعالى وفى يوم الاثنين خامس عشريه نادى ملك الامراء بالقاهرة بان القلعى شيخ سوق الوراقين يظهر وعليه أمان الله تعالى وان لم يظهر بعد ثلاثة أيام وغمز عليه يحرق المكان الذى هو فيه والحارة أيضا واستمر كشبغا الوالى مختفيا لم يظهر وقد عين التركمان القتل لخمسة من تجار الوراقين وشخص من تجار الجلاون يقال له ابن ظلام وهم الذين شهدوا على الحلاوى بما تقدم وتعصبوا عليه واستمر الاضطراب عمالا بسبب ذلك وفى يوم الثلاثاء سادس عشريه حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو الصعيد بسبب ضم الغلال وغير ذلك وكان له نحو خمسة أشهر وهو مسافر فلما طلع وقابل ملك الامراء خلع عليه قفطانا مخملا ونزل الى داره فزينت له سويقة اللبن ودكاكين الحشاشين وفى يوم الاربعاء سابع عشريه خلع ملك الامراء على الامير كشبغا الوالى وأعيد الى الولاية وكان له عدة أيام وهو مختف لم يظهر بسبب واقعة الحلاوى وقد وقع بينه وبين الكملية فتنة وعينوا له القتل فاختفى وأغلق عليه أبوابه أياما فلما تلافى ملك الامراء خواطر التركمان وأرضاهم وزاد فى جوامكهم وخمدت تلك الفتنة ظهر كشبغا وخلع عليه واستقر على عادته فعز ذلك على التركمان ولما حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب ضمن ابن ظلام شيخ سوق الجلاون وخلصه من الحديد وألبسه قفطانا مخملا وأقره شيخ الجلاون كما كان وضمنه فى مال له صورة يورده الى ملك الامراء وكان ابن ظلام صهر القاضى بركات بن موسى فبذل معه المجهود حتى خلصه وفى يوم الخميس ثامن عشرى رمضان خرج العسكر المعين الى بندر جدة فخرجت تلك التجريدة فى ذلك اليوم وهم ما بين مماليك جراكسة وتركمان وكانت عدتهم نحو ثلثمائة انسان من الفريقين وكان الباشا عليهم شخصا من العثمانية يقال له أغات الكملية وقيل انهم يتوجهون الى السويس وينزلون من هناك فى المراكب الى البحر المالح حتى يصلوا الى جدة وقد كثرت الاشاعات بسبب فساد الفرنج وعبثهم فى البحر على التجار وقد جاؤا نحو بندر جدة وفى شهر شوال وكان مستهله يوم الاحد طلع القضاة الاربعة الى القلعة وصلوا مع ملك الامراء صلاة العيد ثم نزلوا الى دورهم وبطل ما كان يخلع فى ذلك اليوم من الخلع على قضاة القضاة والامراء والمباشرين وأرباب الوظائف قاطبة وزال ذلك النظام العظيم من مصر كأنه لم يكن أبدا وفى يوم الخميس خامس شوال وافق ذلك اليوم أول يوم من بابه فيه ثبت النيل المبارك على

ثمانية أصابع من عشرين ذراعا وكان أرجح من نيل العام الماضى بذراعين واصبعين فانه ثبت فى العام الماضى على ستة أصابع من سبعة عشر ذراعا وهبط سريعا فشرق غالب البلاد وفى يوم الاثنين تاسع شوال جلس ملك الامراء بالميدان وعرض عليه كسوة الكعبة الشريفة والمحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفى يوم الجمعة ثالث عشر شوال انتهى العمل من مدرسة الشيخ الدشطوطى رحمة الله تعالى عليه التى بالقرب من حدرة الفول تجاه زاوية الشيخ يحيى البلخى وخطب فى ذلك اليوم بها فاجتمع هناك الامراء العثمانية والامير جانم الحمزاوى وقضاة القضاة الاربعة وأعيان المباشرين ومشاهير الناس فلما كان وقت الصلاة صعد المنبر قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وخطب خطبة بليغة فى المعنى فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الامير جانم الحمزاوى زبادى صينى فيها سكر وشئ اقسمه فطاف بها على الحاضرين وكان يوما مشهودا وجاءت هذه المدرسة فى غاية الظرف وذلك ببركة الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمة الله عليه وفى يوم الخميس تاسع عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل عظيم وكان ذلك اليوم مشهودا وكان أمير ركب المحمل فى هذه السنة الامير برسباى دوادار ملك الامراء فطلب طلبا حافلا يشتمل على محاسن كثيرة كما هى عادة الاطلاب القديمة وشق من القاهرة فى موكب حفل وقدامه جماعة من الامراء الجراكسة والعثمانية وأعيان المباشرين والجم الكثير من العثمانية والانكشارية يرمون بالنفوط وجماعة من القواسة وخرج صحبته سنيح عظيم من الزاد والماء وكانت الحجاج قليلة لاجل غلو العليق والكراء تشحط فى هذه السنة الى الغاية وفى شهر ذى القعدة وكان مستهله يوم الثلاثاء طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان وأشيع بين الناس أن سبب حضور هذا القاصد أن الخليفة محمد المتوكل على الله لما توجه الى اسطنبول توجه صحبة أولاد ابن عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد فوقع بينهما وبينه هناك فتنة فترافعوا الى الخنكار وقالوا انه لما كان بمصر قعد على ودائع كثيرة ما بين مال وقماش أودعه عنده الامراء الذى قتلوا وأخذ من خوند زوجة السلطان طومان باى وأمها مالا كثيرا وكذا أخذ من نساء الامراء المقدمين الذى قتلوا من الاموال ما لا يحصى ولم يطالع الخنكار على شئ وتكلما فى حقه بالباع والذراع وما أبقوا فى ذلك ممكنا فاعتدى الخنكار على الخليفة المتوكل على الله وانحط قدره عنده وساعدت الوزراء أولاد خليل عند الخنكار وكان الخليفة لما أقام باسطنبول أظهر فتكا زائدا واشترى له جوارى يضربن بالجنوك ثم انه قطع معلوم أولاد ابن عمه فشكوه الى الخنكار فحنق على الخليفة وأمر بأن جهاتهم تقسم ثلاثة أثلاث بين الجميع بالسوية فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم على ذلك فلما حضر القاصد

رسم على مباشري الخليفة وعلى دواداره بردبك وقال لهم أقيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل بغاية الانصاف وفي يوم السبت خامسه جلس الامراء بالمقعد الذى بالحوش السلطانى وحضر قدامه مصارعان وهما شخص يقال له الشاطر أبو الغيث الزريكشي وخصمه شخص أعجمي شنيع المنظر في خلقته فتصارع مع الزريكشي فغلب الزريكشي ورماه الى الارض وركب فوقه وعصره في الارض حتى كاد يموت فانتصر عليه وغلب أبا الغيث وألبس ملك الامراء الاعجمي قفطان حرير ونزل من القلعة وقدامه طبلان وزمران وجماعة من العثمانية وشق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفي يوم الاحد مع ليلة الاثنين رابع عشره خسف جرم القمر خسوفا فاحشا حتى أظلم منه الجو وأقام في الخسوف فوق أربعين درجة وقد خسف أول ما أشرق عند طلوعه واستمر يتزايد في الخسوف حتى مضى من الليل جانب كبير ووقع مثل هذا الخسوف في السنة التي مات فيها السلطان الغوري وكان بين موته وبين الخسوف نحو شهرين وجرى ما جرى من الاهوال عقيب ذلك ونسأل الله اللطف في هذا الخسوف الثانى وفي يوم الاربعاء سادس عشره نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى خليج الزعفران وسبب ذلك أن الامير كشبغا الوالى صنع له هناك مادة حافلة وأضافه فنزل اليه وأقام هناك الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وكان قبل ذلك بيوم توجه الى قصر ابن العيني الذى بالمنشية وقيل انه أقام هناك الى ما بعد العصر وعاد الى القلعة من يومه المذكور وفي يوم الاثنين حادى عشريه وقع بين خير الدين نائب القلعة وبين قراموسى أغات الاصباهية بحضرة ملك الامراء بالقلعة فتنة وسبب ذلك أنه وقعت فتنة كبيرة بين الانكشارية وبين الاصباهية وصار في كل ليلة توجد في الازقة والطرقات جماعة مقتولون بالسيوف فعز ذلك على قراموسى وقال لنائب القلعة خير الدين هذا كله في ذمتك أنت الذى أطمعت الانكشارية في حق الناس حتى صاروا يخطفون النساء والصبيان ويخطفون عمائم الناس بأيديهم ويعرونهم ويقتلونهم ويخطفون بضائع السوقة والخنكار ما يدرى بشئ من ذلك وان بلغه ذلك فما يحصل لك خير ثم في عقيب ذلك صار الكيخيه أغات الانكشارية يركب في كل يوم ويشق من القاهرة فان وجد في طريقه انكشاريا يأخذ عصاه ويكسرها ويقول له اطلع الى القلعة واقعد في الطبقة ولا تنزل الى المدينة أبدا وقيل انه منع الناس ان لا يشتكوا أحدا من الانكشارية مطلقا واستمرت الفتنة ثائرة بين الاصباهية والانكشارية الى الآن وكل منهما على حذر من رفيقه ومما وقع في الشهر من الحوادث أن جماعة من المماليك الجراكسة نحو عشرة مماليك قيل فيهم شخص من قرابة الامير قانصوه ابن الامير جركس وشخص آخر كان والى قليوب خرجوا على حين غفلة وقصدوا ان يتوجهوا الى الامير جان بردى الغزالى نائب الشام فلما وصلوا الى قطيا

قبض عليهم نائب قطيا ووضعهم فى الحديد وأرسل كاتبه ملك الامراء فيهم فأرسل اليه ملك الامراء جماعة من التركمان ليحضروهم فلما وصلوا الى قطيا أظهروا مرسوما من عند ملك الامراء الى نائب قطيا بان يضرب رقابهم أجمعين فامتثل ذلك وضرب رقاب العشرة مماليك وكان فيهم شخص من العربان يرشدهم الى الطريق فضرب عنقه أيضا وكان قتلهم فى مكان بين الصالحية وقطيا يسمى حبرة والعاقولة فلما أشيع هذا الخبر شق ذلك على جماعة من المماليك الجراكسة وشق ذلك على نائب الشام أيضا ووقعت الوحشة بينه وبين ملك الامراء خاير بك من يومئذ ودبت بينهما عقارب الفتن وفى يوم الاثنين ثامن عشريه كانت وفاة الكاتب المجيد أبى الفضل محمد السنباطى المعروف بالاعرج قيل انه مات فجأة على حين غفلة وكان له حظ ومن الحوادث العجيبة الغريبة التى لم يسمع بمثلها ما وقع فى أواخر هذا الشهر وأشيع واستفاض بين الناس أن قانصوه خمسمائة الذى تسلطن قد ظهر بعد مضى هذه المدة الطويلة وانه باق فى قيد الحياة وقد تغيرت هيئته وصار له ذؤابة شعر فى رأسه وقد ابيضت لحيته فكان من ملخص هذه الواقعة أن شخصا من أبناء العجم كان يرسل الى ابنة قانصوه خمسمائة التى كانت زوجة انسباى حاجب الحجاب ويقول لها أنا أبوك فترسل اليه ما ينفقه فاقام على ذلك مدة طويلة ثم انه حضر اليها تحت الليل صحبة طواشى فطلع الى باب السلسلة وكانت تزوجت بأمير اخور كبير مملوك ملك الامراء فلما افشا أمره ولم يعرفه أحد من حاشية ابنة قانصوه خمسمائة بلغ ذلك زوج ابنة قانصوه خمسمائة فقبض عليه ووضعه فى الحديد وسجنه فى البرج الذى بباب السلسلة حتى يعرضه على ملك الامراء ويتبين ما يكون من أمره وقد انكر ذلك الناس قاطبة فان قانصوه خمسمائة له نحو ثلاث وعشرين سنة من حين قتل عند خان يونس الذى بالقرب من غزة وكان من أمره ما كان مع الامير اقبردى الدوادار وقطع رأسه هناك وأرسلها الى الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى وعلقت على باب زويلة فكان أمر وجوده من الامور المستحيلة التى لا تقبلها العقول السليمة بعد هذه المدة الطويلة وفى شهر ذى الحجة وكان مستهله يوم الخميس طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم فلما كان يوم السبت ثالثه نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس به وأحضر مماليك الاشرف قايتباى ثم أحضر ذلك الشخص الذى زعم أنه قانصوه خمسمائة فاذا هو شخص أعجمى مربوع القامة أبيض اللحية وله ذؤابة شعر فى رأسه فقال ملك الامراء للحاضرين من مماليك الاشرف قايتباى أهذا قانصوه خمسمائة الذى كنتم تعهدونه فقال العسكر قاطبة ليس هذا قانصوه خمسمائة وهذا قصير القامة أخضر اللون ثم ان ملك الامراء ضيق على ذلك الشخص الذى زعم انه قانصوه خمسمائة فقال له ملك الامراء ما حملك على ذلك قال

الفقر والفاقة وقلة مافى اليد فلما اعترف بذنبه رسم ملك الامراء بتوسيطه ثم بداله أن يضرب عنقه بين يديه فى الميدان فضرب عنقه ومضى أمره ثم أحضروا له تابوتا فحملوه فيه ليغسلوه ويكفنوه ويدفنوه فخمدت هذه الاشاعة التى أشيعت بسبب قانصوه خمسمائة وكان غالب الناس الذين ليس لهم عقول صدقوا بذلك وقد تبين أن ذلك الرجل نصاب شيطان أخذ من ابنة قانصوه خمسمائة خمسمائة دينار ويقول لها أنا أبوك وكان ينصب على الناس و يقول لهم أنا قانصوه خمسمائة و يبلصهم غير ما مرة فاراح الله الناس منه وفى يوم الخميس ثامنه خرجت تجريدة الى الازلم تلاقى الحجاج وكان بها نحو مائة مملوك وكان الباشا عليهم اياس كاشف الشرقية وصحبته جماعة من الانكشارية يرمون بالبندق الرصاص وكان الباشا عليهم شخص من العثمانية وفى يوم السبت عاشره كان عيد النحر وكانت الاضحية فى غاية الغلو وقد لا توجد فلم يضح من الناس الا القليل وكان اللحم البقرى يباع فى تلك الايام بنصف فضة كل رطل فلم يفرق ملك الامراء على أحد من الناس أضحية فى هذه السنة وقطع أضحية الزوايا قاطبة وعادة الفقهاء والاتراك قاطبة كما فعل فى السنة الماضية وفى يوم الاحد ثامن عشره نزل ملك الامراء من القلعة وعدى بر الجيزة وتوجه الى نحو شبرامنت على سبيل التنزه فاقام هناك من يوم الاحد الى يوم الثلاثاء وأخذ معه خياما كثيرة وسنيحا وصنع له هناك القاضى شرف الدين الصغير مدة حافلة وكان صحبته جماعة من الامراء العثمانية وغير ذلك من المماليك الجراكسة فلما رجع من شبرامنت أقام بالقلعة ثلاثة أيام ثم عزم عليه الامير كشبغا الوالى فى خليج الزعفران ومد له هناك مدة حافلة وأقام عنده الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة فى يومه وكان نهارا شعث وغبار وهوى مريسى فلم يتهنأ بالفرجة فى ذلك اليوم وفيه حضر قاسم الشروانى الذى كان نائب جدة وجرى منه ما جرى كما تقدم ذكره فارسل ملك الامراء خلفه وأحضره فى الحديد فاحضره الشريف بركات أمير مكة فى البحر المالح فلما حضر سجنه ملك الامراء بالعرقانة التى هى داخل الحوش السلطانى الى أن يكون من أمره ما يكون وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة وان الوقفة كانت عندهم بالجمعة وان الاسعار انحطت عما كانت عليه قليلا وأخبر المبشر أيضا أنه لما دخل الحاج الى مكة ثارت فتنة عظيمة بين عبيد أمير مكة بركات و بين جماعة من العثمانية وقتل من الفريقين نحو عشرة أنفار ثم خمدت تلك الفتنة وزال الشر قليلا بعدما كاد أن يتسع وفيه توفى صاحبنا الشرفى يحيى ابن الناصرى محمد الازبكى الذى كان اغات الغورى فاشيع بعد موته أنه وجد له من الذهب العين عشرة آلاف دينار فعد ذلك من النوادر فان أباه محمد الازبكى لم يكن فى سعة من المال ولا أجداده ولا أقاربه وفى يوم الخميس سلخ هذا الشهر توفى الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن الشيخ زين الدين قاسم المالكى وكان

عالما فاضلا علامة فى مذهبه ولى قضاء المالكية فى أيام السلطان الغورى أخذها عن
قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن أبى شريف وفى ذلك اليوم وقع بالقلعة خباط هين
وهو أن ملك الامراء وقف له طائفة من المماليك الجراكسة بسبب أن لهم جامكية شهرين
مكسورة فلما وقفوا اليه وبخهم بالكلام وطفش فيهم وقال لهم لازلتم حتى أوقعتم بينى
وبين نائب الشام وأنتم تغدوا وتروحوا وتشكونى عنده فقام الامير قايتباى الدوادار
وجعل يرقع للمماليك ويقول له هؤلاء مماليكك وعبيدك وانما يفعلون ذلك من الجوع والقلة
فقال ملك الامراء والله والله لولا أنا ماخلى الخنكار منكم مملوكا يلوح على وجه الارض
فانى شفعت فيكم من القتل فقال له الامير قايتباى الكل صاروا رعيتك ولهم أولاد وعيال
وقد مسهم الفقر والفاقة والآن يطلبون صدقة الخنكار وصدقتك فرسم لهم بشهر واحد
يصرف لهم من جامكيتهم وكان لهم شهران مكسوران فى الديوان انتهى ذلك وقد خرجت
هذه السنة عن الناس على خير وهم تائبون من الغلاء وقلة الامن وجور الترك كان عليهم
وتناهى سعر الاردب القمح الى ثلاثة أشرفية واثناعشر نصفا كل أردب والبطة الدقيق
بأشرفى وخمسة أنصاف وقد تشحطت الاسعار فى سائر البضائع من المأكل والمشرب
وصارت التركمان يخطفون عمائم الناس من فوق رؤسهم جهارا ولم يجدوا من يمنعهم من
ذلك ويقطعون الطريق على المتسببين والضيافات التى تطلع من البلاد وصاروا يخطفون
النساء والمرد من الطرقات كل يوم من بين الناس ولم يجدوا من يخلصهم من أيديهم وحصل
للناس من أيديهم غاية الضرر ووقف الحال بسبب المعاملة من الفضة فانها كلها غش
ونحاس وزغل وصار الاشرفى القايتبايى يصرف بخمسة وستين نصف فضة والسوقة لاتقبل
من الفضة الا القليل وكذلك الفلوس الجدد وقاسى أهل مصر فى هذه السنة شدة عظيمة
ماقاساها قط أحد من الناس والامر لله تعالى من قبل ومن بعد انتهى ماأوردناه من أخبار
سنة خمس وعشرين وتسعمائة

❁ ثم دخلت سنة ست وعشرين وتسعمائة فيها فى المحرم كان مستهل الشهر يوم السبت
فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالعام الجديد ثم رجعوا الى دورهم وفى
يوم الثلاثاء رابعه كان ختان ولد قاضى القضاة المالكى يحيى ابن قاضى القضاة برهان الدين
ابراهيم الدميرى رحمة الله عليه فكان له فى ذلك اليوم زفة حافلة رجت لها القاهرة فمشت من
الجامع المؤيدى الى المدرسة الصالحية ومشى فيها أعيان الرؤساء من المباشرين والتجار
ومشاهير الناس وغيرهم من الاعيان وأوقدت له الشموع على الدكاكين وكان يوما مشهودا
وفى أوائل ذلك اليوم مدت مدة حافلة حضرها الامير جانم الحمزاوى وجماعة من الامراء
العثمانية ومن الامراء الجراكسة وغير ذلك وفى يوم الاثنين رابع عشريه دخل الحاج الى

القاهرة صحبة المحمل الشريف وأمير الحاج الامير برسباى وقد أثنى عليه الحجاج خيرا بما فعله فى طريق الحج وكان معهم الامن والرخاء بطول الطريق واستهل شهر صفر بيوم الاحد فطلع القضاة الثلاثة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ولم يطلع قاضى القضاة الشافعى وكان مريضا منقطعا بداره له مدة طويلة لم يركب وفيه وقع من الحوادث أن ملك الامراء عزل الشرفى يحيى بن التاج عن مشيخة الحضور بالجامع المؤيدى واستقر بشخص من أبناء العجم وقيل من العثمانية عوضا عن يحيى بن التاج وكان ذلك الشخص عاريا عن العلم والفضيلة ليس له شهرة بين الناس فقامت الاشلاء على ملك الامراء من العلماء والفقهاء وأنكروا عليه أنه عزل يحيى بن التاج عن مشيخة الحضور بالجامع المؤيدى من غير جنحة ولا سبب وقرر بها من هو من غير أهلها ولم يكن يستحق ذلك وهذا من البدع المنكرة وفى يوم الخميس خامسه نزل ملك الامراء من القلعة وصحبته الامير قايتباى الدوادار وجماعة من الامراء الجراكسة ومن الامراء العثمانية وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة نحو خمسمائة مملوك وقيل أكثر من ذلك ومن الاصباهية والكملية والانكشارية الجم الكثير وعدة رماة بالبندق الرصاص وأشيع عنه أنه يقصد التوجه نحو البلاد الشرقية فصلى صلاة الصبح ونزل وشق من القاهرة وشق من بين الترب واستمر سائرا والامراء والعسكر حوله حتى نزل بالعكرشا ثم توجه الى شيبين ثم توجه منها الى مرصفة وقد اختلفت الاقوال فى ذلك فمن الناس من يقول انه خرج يسرح فى الشرقية على سبيل التنزه والفرجة ومن الناس من يقول انه خرج بسبب محاربة عربان السوالم والاول أصح فخرج صحبته سائر المباشرين قاطبة فلما كان يوم الثلاثاء عاشره حضر القاضى بركات بن موسى من عند ملك الامراء وعليه عمامة هوارية وقد خلع عليه قفطانا مخملا مذهبا وحضر صحبته ستة أنفار بروقد سلخوا وحشوا تبنا فقيل انهم من عربان السوالم فاركبوهم على خيول وعليهم بركستوانات مخمل وألبسوهم جوخا وشاشات على زنوط فوق رؤسهم وقدامهم اثنا عشر رأسا مقطوعة وهى على رماح قيل انهم من أعيان عربان السوالم فشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فعلقوا جماعة من المسلوخين ومن الرؤس على باب زويلة وعلقوا الباقى على باب النصر وكان من ملخص هذه الواقعة ما أشيع واستفاض بين الناس أن اياس كاشف الشرقية تحيل على مشايخ عربان السوالم وأرسل لهم بالامان فركبوا اليه وحضروا اليه فصنع لهم ضيافة فلما استقروا عنده أرسل اعلم ملك الامراء بذلك فأرسل اليه القاضى بركات بن موسى ومعه جماعة من المماليك الجراكسة فتوجهوا نحو عربان السوالم وخرج صحبتهم عربان البلاد المجاورة من منية حل والجوسق والمحروقة وغير ذلك فاوقعوا مع السوالم وكان بينهم واقعة مهولة فانكسرت السوالم وقبضوا على بقية مشايخهم ثم ان العسكر والعربان نهبوا نجع

السوالم عن آخره وغنموا منه ما لا يحصى من جمال وخيول وسلاح وقماش ونحاس ومصاغ
وغير ذلك من عبيد وجوار حتى أخذوا نساءهم وأولادهم فلما وقعت هذه الكسرة على
السوالم هرب من بقى منهم الى الاودية والجبال فلما جرى ذلك سلخ الكاشف مشايخهم
وأرسلهم الى القاهرة كما تقدم ذكر ذلك قيل كان فيهم من هو من أولاد قراجا بن طراباى شيخ
جبل نابلس وأشيع أن ملك الامراء رحل من جهة مرصفة وتوجه الى بنها العسل وأرسل
سنيحه ومطبخه الى القلعة وأشيع عوده الى القاهرة وفى يوم الاربعاء حادى عشره رجع
ملك الامراء الى القاهرة فأتى من جهة قنطرة الحاجب ودخل من باب الشعرية وخرج من
باب القنطرة وطلع على سوق مرجوش وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه جماعة
من الانكشارية الرماة وقدامه بعض جنائب ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية من باب
الشعرية وكان عليه قفطان جوخ أحمر وكان قدامه ما اصطاده من الكراكى والاوز العراقى
فاستمر فى ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة وكان يوما مشهودا وكانت مدة غيبته فى هذه
السرحة سبعة أيام بلياليها ثم دخل بعده شيخ العرب نجم شيخ العائد وهو فى الحديد وقد
نسبوا اليه انه كان متواطئا مع عربان السوالم وهو من أغراضهم فقبض عليه ملك الامراء
ووضعه فى الحديد حتى يكون من أمره ما يكون ولم يكن فى نزول ملك الامراء الى الشرقية خير
للناس فرعى العسكر زرع البلاد وقدمت له مشايخ العربان نحو ألفى رأس غنم فوزعوا
ذلك على بلاد الشرقية وأحضروا له من شيئين ستمائة اردب شعير وذلك غير التقادم من خيول
وجمال وغير ذلك من ذهب عين فوق العشرة آلاف دينار وقيل ان ملك الامراء كان فى هذه
السرحة لا يصحو من السكر ليلا ولا نهارا حتى أشيع عنه انه أخذ معه أربعين بغلا وهى
محملة نبيذا اقريطشى فكان فى نزوله هناك غاية الضرر فى حق الناس ولولا أنهم أخذوا عرب
السوالم بحيلة لما قدروا عليهم أبدا انتهى ذلك وفى يوم تاريخه عاين مؤلف هذه الوقائع
بالمشاهدة حضور القاضى بركات بن موسى المحتسب وطلوع ملك الامراء فى ذلك الموكب
المقدم ذكره فلما طلع ملك الامراء الى القلعة قدمت الاخبار من الشرقية بان عربان السوالم
لما حصلت لهم تلك الكسرة توجهوا الى الصالحية ونهبوا ما فيها وأحرقوها بما حولها من
الضياع وحصل منهم غاية الضرر الشامل وهذا كله من سوء تدبير اياس كاشف الشرقية فانه
استعجل بقتل مشايخ عربان السوالم وكانوا من نوابغ أعيان السوالم فسلخ الجميع ومنها انه
نهب نجعهم وأخذ أموالهم ومواشيهم وأسر حريمهم حتى قيل انه أسر ستين امرأة من
أعيان نسائهم وأسر أولادهم فلما فشوا فى البلاد أرسل ملك الامراء يقول للكاشف
أطلق نساء السوالم وأولادهم الذين عندك من كل بد وقد استدرك ملك الامراء ما وقع منه
فى حق مشايخ عربان السوالم وقد أشيع أمر هذه الفتنة من كل جانب واستمرت أرباب

هـذه الدولة فى آراء معكوسة ليس لاحد منهم رأى سديد ولا له مستشار يرجع اليه وصار كل منهم يشير برأى غير صواب ويتكلم بكلام غير مفيد وقد ضاعت الكلمة بينهم وآل أمر مملكة مصر الى الخراب وكل هذا من سوء تدبيرهم وقلة معرفتهم وعدم تجاربهم للامور وقلة نظرهم فى العواقب مما يؤول أمره الى خير أو شر فنسأل الله تعالى اصلاح الحال وحسن الخاتمة واخماد هذه الفتن عن قريب وفى يوم الجمعة ثالث عشره خلع ملك الامراء على أخى نجم واستقر به شيخ العايد عوضا عن أخيه نجم وقد بلغه أن أحوال الشرقية قد اضطربت الى الغاية وثارت بها العربان للفساد فلما خلع عليه خرج من يومه الى الشرقية بسبب هذا الفساد وفى يوم السبت رابع عشره أرسل ملك الامراء تجريدة الى الشرقية وعين بها نحو مائة مملوك من الجراكسة وغيرهم وعين جماعة من الكملية والاصباهية وجماعة من الرماة الانكشارية وجهز عجلات تخرج صحبتهم اذا خرجوا وقيل ان اياس كاشف الشرقية محاصر مع العربان فى بلبيس وقد أرسل يطلب نجدة بسرعة وأشيع أن عربان نجم شيخ العايد لما أمسك صاروا يعرون الناس فى رأس المطرية وعند تربة العادلى وفيه أشيع أن جماعة من الانكشارية هجموا على سوق النحاسين وأخذوا ما فيه من النحاس لأجل أن يسبكوه مكاحل للبندق الرصاص فحصل للتجار الضرر الشامل من ذلك وكانت حركة هؤلاء الجماعة الذين قتلوا من عرب السوالم من أكبر أسباب الفساد فى أحوال المملكة وانهم لو أبقوهم فى قيد الحياة وسجنوهم لكان ذلك عين الصواب وأرجى لخمود هذه الفتن ولكن عجلوا بقتلهم حيث ظفروا بهم فكان كما يقال فى المعنى

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره خرجت التجريدة التى عينها ملك الامراء الى السوالم وكان الباشا عليها شخصا من أمراء العشراوات يقال له جان بردى الاشقر الذى كان كاشف البحيرة أخو تنم الذى كان خازندار الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى وكان بها من المماليك الجراكسة وغيرهم مائة مملوك وتوجه قبل ذلك الى كاشف الشرقية ستون مملوكا يقيمون عنده فخرجت التجريدة فى ذلك اليوم وتوجه من بها من المماليك الى خانقاه سرياقوس وفى يوم السبت حادى عشريه حضر اياس كاشف الشرقية وصحبته جماعة ممن بقى من أعيان عربان السوالم وقد أتوا الى اياس طائعين بعد أن رأوا عين الغلب فاحضرهم الى ملك الامراء فلما قابلوه خلع عليهم وأقرهم فى مشيخة عربان السوالم عوضا عمن قتل منهم وخمدت فتنة السوالم وكان ذلك على غير القياس من أمر هذه الفتنة وفى شهر ربيع الاول وكان مستهله يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم وفى ذلك اليوم قدم قاصد من عند الخنكار سليم شاه ابن عثمان وقد حضر من البحر المالح

الى ثغر الاسكندرية فلما طلع الى القلعة قرأ مراسيم الخنكار على ملك الامراء وأشيع بين الناس ان الخنكار أرسل يقول لملك الامراء أن يتوصى بالمماليك الجراكسة و يصرف لهم جوامكهم ولحومهم وعليقهم والاضحية والكسوة على العادة وأشيع أنه أرسل يقول لملك الامراء كل من شوش من التركمان على أحد من الرعايا يشنقه من غير معاودة وأرسل يأمر ملك الامراء بأن ينادى للناس بقطع الطرقات والشوارع والاسواق قاطبة فأخذ الناس فى أسباب ذلك وشرعوا فى قطع الطرقات ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم بأن لا أحد من الانكشارية ولا من الاصباهية يشوش على أحد من الناس ومن فعل ذلك باحد يمسكه من طوقه و يتوجه به الى خير الدين نائب القلعة فأشهر المناداة بذلك أربعة مشاعلية اثنان ينادیان بالتركى واثنان ینادیان بالعربى وهم قدام الامير كشبغا والى القاهرة وأظهروا العدل فى ذلك اليوم وليته دام ثم أشيع بين الناس أن الخنكار لما أرسل الى ملك الامراء بطلب سنان باشا وفائق بك بان يحضراهما والاصباهية الى اسطنبول سافروا فلما وصلوا هناك أحضر الخنكار سنان باشا بين يديه وأمر بشنقه فاقام مصلوبا ثلاثة أيام لم يدفن وأشيع أن طائفة من الاصباهية الذين كانوا بمصر وأرسل طلبهم لما دخلوا الى مدينة اسطنبول ضرب رقاب أربعمائة اصباهى منهم ممن أشيع عنه الفساد بمصر من جماعة سنان باشا وأشيع أن الخنكار أرسل يحط على ملك الامراء خاير بك بسبب تراخيه فى حق طائفة الانكشارية والاصباهية حتى جاروا على الناس وصاروا يشوّشون على الرعية وقد بلغ الخنكار ما يصنعونه بمصر من خطف النساء والمرد وبضائع المتسببين وخطف ضيافات الناس فلما حضر القاصد فى ذلك اليوم وقرؤا مرسوم الخنكار بحضرة قضاة القضاة شهدوا بأن ملك الامراء ناظر فى مصالح الرعية والناس عنه راضية وكانت هذه الشهادة عين الرياء واتباع الجاه لأجل المناصب ثم ان ملك الامراء قصد أن يكتب محضرا ويأخذ عليه خط القضاة الاربعة بان مصر فى غاية العدل والرخاء والامن فلم يوافقه القضاة على ذلك وقالوا نكتب خطوط أيدينا على شئ باطل و يبلغ الخنكار بخلاف ذلك فنخشى على أنفسنا منه أن نذكر أن مصر فى غاية العدل والامن والرخاء وان التركمان لم يشوشوا على أحد من الرعية وهذا باطل لا يجوز فرجع عن ذلك وفى يوم الخميس حادى عشره عمل ملك الامراء المولد الشريف النبوى بالقلعة و جلس فى المقعد الذى بالحوش السلطانى وحضر القضاة الاربعة على حكم السنة الماضية وفيه قدمت الأخبار من مكة المشرفة بأنه وقع بين الشريف بركات أمير مكة و بين نائب جدة أغات الكلمية الذى يسمى الكيخية واضطربت أحوال مكة الى الغاية وفى يوم الاحد رابع عشره خلع ملك الامراء على الامير جانم الحمزاوى كاشف البهنسا والفيوم وقرره أمير الحاج بركب المحمل فنزل من

القلعة فى موكب حافل وفيه كانت كائنة الامير جان بردى الاشقر أحد الامراء العشراوات وهو أخو تمر الذى كان نائب الاسكندرية قيل انه عزم عليه شخص يسمى تمر الظاهرى فلما دخل عليه ما الليل وقع بينهما تشاجر فثارت فى ذلك المجلس فتنة كبيرة فقتل فيها جان بردى الاشقر ولا يعلم من قتله من الحاضرين وقبضوا على من كان حاضرا واختفى تمر صاحب البيت وكانت واقعة مهولة فلما بلغ ملك الامراء ذلك شق عليه قتل جان بردى الاشقر فانه كان صاحبه فاخذ فى الفحص على من كان سببا لقتله والزم الوالى باحضار تمر الذى قتل فى بيته وفيه أخرج ملك الامراء تجريدة الى ثغر الاسكندرية بسبب عبث الفرنج هناك بالمسافرين وكان بها من العسكر نحو مائة انسان ما بين مماليك جراكسة وأولاد ناس وعثمانية وغير ذلك وفى شهر ربيع الآخر وكان مستهل الشهر يوم الثلاثاء طلع قضاة القضاة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الخميس ثالثه خرج الامير جانم الحمزاوى الى السفر وقصد التوجه الى اسطنبول فخرج فى موكب وصحبته الامراء الجراكسة والمباشرون وأرباب الدولة من الامراء العثمانية وقد أرسل ملك الامراء صحبته تقدمة حافلة الى السلطان الملك المظفر سليم خان وكان ما اشتملت عليه تلك التقدمة على ما قيل من الخيول الخاص خمسين فرسا وفيها بغلة قيل مشتراها خمسمائة دينار ومن القماش الحرير والتفاصيل السكندرى أشياء كثيرة ومن الشاشات المائى أشياء كثيرة منها ما طوله مائة وعشرون ذراعا وأرسل اليه ملك الامراء من جملة هذه التقدمة خمسمائة قنطار سكر معمولة بعسل ومن الاشربة والمربيات أشياء كثيرة وأرسل اليه من الفصوص والمعادن واللؤلؤ أشياء كثيرة ومن الصينى اللازوردى والشفاف أشياء كثيرة وغير ذلك من التحف الغريبة مما يهدى للملوك وفيه قدمت الاخبار من تونس ببلاد الغرب بانه قد وقع بها فتنة عظيمة بين صاحب تونس وبين الشيخ محمد بن تليس صاحب بصرت وكانت بينهما واقعة عظيمة فى أوائل صفر وقتل فى هذه المعركة نحو أربعين ألف انسان وآخر الامر انتصر السلطان حسن بن محمد صاحب تونس على ابن تليس وغنم منه غنائم جزيلة ما بين مال وقماش وسلاح وخيول وجمال وغير ذلك وفيه نزل ملك الامراء الى بولاق وأقام بها الى قريب الظهر فاحضر اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حافلة ما بين خرفان شوى وقدور هريسة ومامونية وفاكهة وحلواء ومشموم ثم ان ملك الامراء عرض المراكب الاغربة التى أنشاها ولعبت قدامه فى البحر وانشرح فى ذلك اليوم الى الغاية ونصب له سحابة فى الجزيرة التى تجاه انبابة وكان يوما مشهودا وفى يوم الاثنين حادى عشريه كان عيد النصارى وهو أول يوم فى الخماسين وكانت خماسين مباركة لم يظهر فيها الطاعون بمصر ولا فى غيرها من الثغور وفيه توفى شرف الدين الجوينى الذى كان مباشر ديوان الامير ازدمر الدوادار وباشر أيضا ديوان الامير كسباى المحتسب وكان لا بأس به

وممّا وقع من الحوادث الشنيعة ان امرأة مسلمة كبست مع شخص يهودى فلما شاع أمرهما قبض على اليهودى وعلى المرأة وعلى المكارى الذى اركب المرأة وقبض على شخص اسكافى كان واسطة بين المرأة واليهودى فلما عرض أمرهم على ملك الامراء أمر بضربهم بالمقارع وسجن المرأة بالحجرة وسجن اليهودى بالديلم حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه قدمت الاخبار من حلب ان عبد الرزاق أخا على دولات وثب على ابن أخيه سوار وقد التفت عليه جماعة من التركمان البياضة والاكراد فحصل بينهما واقعة مهولة فقتل بها جماعة كثيرة من التركمان وأشيع قتل سوار فى المعركة وقد ملك عبد الرزاق من سوار الابلستين والمرعش وغير ذلك من البلاد واستمرت الحرب ثائرة بين الفريقين ثمانية أيام وانتصر عبد الرزاق على سوار ثم خمدت هذه الاشاعات من بعد ذلك كأنها لم تكن واستهل شهر جمادى الاولى يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى هذا الشهر تزايد أمر الغلاء بالديار المصرية وبلغ سعر القمح ثلاث أشرفيات كل أردب وبلغ سعر الاردب الشعير أربعمائة درهم والفول ستمائة درهم كل أردب وشطح السعر فى سائر الحبوب وبلغ كل رطل سمن أربعة أنصاف والشيرج ثلاثة أنصاف كل رطل والاجبان قاطبة فى غاية الغلو واللحم الضانى كل رطل بثمانية عشر درهما واللحم البقرى كل رطل بستة عشر نقرة وبلغ سعر السكر ثمانية أنصاف كل رطل وبلغ سعر العسل الاسود كل رطل ثلاثة أنصاف وبلغ سعر الصابون كل رطل خمسة أنصاف وعلى هذا فقس سائر البضائع والغلال وغير ذلك حتى بلغ سعر الراوية الماء أربعة أنصاف وعم هذا الغلاء أنواع القماش قاطبة البياض والملون والحرير والصوف والجوخ وغير ذلك من القماش وسبب ذلك الغش فى المعاملة من الذهب والفضة وصار الاشرفى البرسبيهى يصرف بثلاث أشرفيات فضة والاشرفى القايتباهى يصرف باشرفيين وثمانية أنصاف والاشرفى الغورى يصرف باشرفيين وأربعة أنصاف وكذلك الاشرفى العثمانى ضرب الخنكار وأما الفضة فجميعها فى غاية الغش والفساد وصار الناس فى أمر مريب بسبب ذلك وقد تغيرت أحوال الديار المصرية تغيرا فاحشا الى الغاية وفوق ذلك جور التركمان فى حق أهل مصر من الخطف والنهب وأخذ أموال الناس بغير حق وخطف النساء والمرد من الطرقات ومن الوقائع الغريبة كائنة الشيخ محمد الرشيدى الذى كان ناظر الكسوة وناظر الجوالى وغير ذلك من النظارات وكان الخنكار قرره فى ذلك وقد سعى له حليم جلبى فى ذلك وكان من جماعة الخنكار فاستمر على ذلك ثم سعوا فى الرشيدى من عند ملك الامراء فاخرج عنه ما كان بيده من النظارات فحصل له غاية القهر فاختفى وخرج فى الدس صحبة بعض الهجانة على انه يتوجه الى الخنكار يشكو له ملك الامراء الذى أخرج عنه النظارات التى كان الخنكار

قرره فيها فلما وصل الى قطيا قبض عليه نائب قطيا وعلى الهجان الذى كان صحبته وقال
له أمعك مرسوم ملك الامراء فقال انما رسم لى مشافهة فضيق عليه نائب قطيا فاعترف
الرشيدى انه خرج هاربا من ملك الامراء فقبض عليه نائب قطيا ووضعه فى الحديد
وأشيع انه شنق الهجان هنالك وأرسل الرشيدى فى الحديد الى ملك الامراء فلما وقف بين
يديه وبخه بالكلام وقال له أنت تتوجه الى الخنكار وتشكونى له ثم ان ملك الامراء رسم
بسجن الرشيدى فى العرقانة التى هى داخل الحوش السلطانى وفيه أرسل ملك الامراء
بالقبض على شخص يسمى محرات مقدم كاشف الغربية وقد كثرت فيه الشكاوى من
الفلاحين وأشيع عنه انه ضرب شخصا من الفلاحين حتى مات تحت الضرب فلما
مثل بين يدى ملك الامراء أمر بتوسيطه فوسطوه فى باب زويلة وفى ذلك اليوم رسم ملك
الامراء بشنق اثنين من الكلمية لامر أوجب ذلك ومن الحوادث أنه فى يوم الثلاثاء
سادسه وقع للامير قايتباى الدوادار واقعة مهولة وهى أنه سار الى نحو المطرية وعاد فلما دخل
من باب النصر وجد عند وكالة الصابون بعض الانكشارية قد أخذ من شخص يبيع
الصابون خمسة أرطال ودفع اليه ثمانية أنصاف وكان الصابون قيمته أشرفيا فلما رأى
صاحب الصابون الامير قايتباى الدوادار تعلق بلجام فرسه وقص عليه قصته وكان
الانكشارى ضرب صاحب الصابون حتى أدمى وجهه فأرسل الامير قايتباى مع صاحب
الصابون بعض مماليكه الى الانكشارى لعله يعطى صاحب الصابون شيأ فوق ذلك القدر
فلما قابل ذلك المملوك الانكشارى أغلظ عليه المملوك فى القول فحنق منه الانكشارى
فضرب المملوك على وجهه فأدماه ثم ان المملوك ضربه على وجهه بدبوس فأدماه
فاتسعت الفتنة بينهما فمضى الانكشارى الى أصحابه وأعلمهم بما جرى له مع مملوك الدوادار
فاجتمع الجم الكثير من الانكشارية وتوجهوا الى بيت الامير قايتباى الدوادار وهجموا
عليه وبأيديهم سيوف مسلولة وقصدوا أن يحرقوا بيته وينهبوه فاختفى منهم فلما بلغ
الكيخية أغات الانكشارية ركب ورد الانكشارية وخمدت تلك الفتنة فلما بلغ ذلك
ملك الامراء شق عليه ذلك ولام الامير قايتباى الدوادار على ما فعله ثم ان ملك الامراء أرسل
طلب المملوك الذى ضرب الانكشارى وأثار هذه الفتنة فلما مثل بين يديه أمر بضربه
فضربوه ضربا مبرحا وسجن بالعرقانة فسكن ذلك الاضطراب قليلا وصار الامير قايتباى
على رأسه طيرة من الانكشارية وهو مهدد بالقتل منهم فى كل يوم وزعم الانكشارى الذى
ضرب أنه سقط منه خنجر مفضض وسيف وادعى انه كان معه ثلاثون دينارا فسقطت
منه فدفع اليه الامير قايتباى الدوادار عشرين دينارا على ما أشيع هكذا قيل وصار
الامير قايتباى لا يأمن على نفسه أن يطلع القلعة وحده وكان يركب فى كل يوم ومعه جماعة

كثيرة من المماليك الجراكسة و يتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية و يقيم بهم الى آخر النهار ثم يعود الى داره ومعه المماليك الجراكسة فاستمر على ذلك أياما ثم خمدت تلك الفتنة ولله الحمد وفى يوم الجمعة تاسعه قدمت الاخبار من حلب بأن خارجيا من التركمان يقال له جلال المهتدى قد تصدّى لمحاربة الامير على بن شاه سوار والتفت عليه جماعة كثيرة من التركمان وكان جلال هذا من قرية بالروم يقال لها اعلاقشرى بوز فكان بينه و بين الامير على بن سوار واقعة مهولة وقتل من التركمان بها نحو ثلاثة آلاف انسان وأشيع ان الامير على ابن سوار قد جرح فى وجهه بطبر وانتصر ابن سوار على ذلك الخارجى الذى يقال له جلال المهتدى وفرّ منه الى بلاده فخلع ملك الامراء على الهجان الذى أتى بهذا الخبر ثم خمدت هذه الاشاعة كأنها لم تكن وفى ليلة الخميس خامس عشره خسف جرم القمر وأظلمت الدنيا فأقام فى الخسوف نحو ساعة ثم انجلى عنه ذلك الخسوف وفى ذلك اليوم قبض القاضى بركات بن موسى المحتسب على أخى محمد بن خبير وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ثم أشهره فى بولاق وكان سبب ذلك انه حجز على بيع الفول وصار يشتريه على ذمته ويخزنه فشطح سعر الفول فى تلك الايام وكان أخوه محمد بن خبير متحدثا فى أمر الغلال التى كانت ترد من البلاد قاطبة وكان محتميا بالامير جانم الحمزاوى فجار على الناس بسبب بيع الغلال فحنق منه القاضى بركات بن موسى وضربه كما تقدم ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الامراء كان سعر الذهب العثمانى أن يصرف بأشرفيين وكان قبل ذلك يصرف بأشرفيين وخمسة أنصاف وصار البيع بيعتين بيع بالذهب وبيع بالفضة فوقفت أحوال الناس بسبب ذلك ثم ان ملك الامراء نادى فى القاهرة بأن لا أحد من الناس يرد معاملة الفضة وكل من ردها شنق من غير معاودة وكانت الفضة يومئذ فى غاية الغش كلها نحاس اذا باتت ليلة واحدة تنكشف كلها وكانت الانكشارية تدخل الاسواق وترمى تلك الفضة النحاس على التجار فكل من ردّ منها شيأ تنهب دكانه ويضرب ذلك التاجر حتى يأخذها غصبا على رغم أنفه فيأخذون منه أشرفيا ذهبا ويعطونه أشرفيين من تلك الفضة النحاس فحصل للناس فى ذلك غاية الضرر الشامل وفى يوم الجمعة سادس عشره خطب فى مدرسة الست خديجة ابنة درهم ونصف التى بالقرب من جامع التركمانى عند طاحون السدر فاجتمع هناك قضاة القضاة الاربعة وأعيان المباشرين وأعيان الناس وخطب بها فى ذلك اليوم قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وكان ذلك اليوم مشهودا وكان أصل هذه المدرسة قاعة أنشأها الدرهم ونصف ثم بدا لابنته خديجة أن تجعلها مدرسة فأنشأت بها المحراب وجعلت بها منبرا ومئذنة وجعلت فيها خلاوى للصوفية ثم انها وقفت عليها جميع جهاتها المخلفة عن والدها فجاءت من محاسن الزمان وكان ذلك عين الصواب وقصدت بذلك

الاجر والثواب وفى هذا الشهر قدم جماعة كثيرة من اسطنبول ممن كان نفى اليها من الاعيان بالديار المصرية منهم كمال الدين بن معين الدين الموقع وابن نصر الله ومرعى الذى كان من جماعة الاتابكى سودون العجمى وأحمد الضيروطى ومحمد بن فروشيخ جهات الاميرية وحضر محمد بن ابراهيم الذى كان متحدثا على الزمامية وحضر محمد ابن القاضى فخر الدين بن العفيف الذى كان كاتب المماليك وحضر محمد بن على كاتب الخزانة وحضر ابن العمريطى وحسام الدين بواب الدهيشة وآخرون منهم لم يحضرنى أسماؤهم الآن والكل فروا من اسطنبول من غير اذن من الخنكار ابن عثمان وحضر جماعة من السيوفية والحدادين والنجارين والبنائين والمرخمين وغير ذلك ممن كان توجه الى اسطنبول فحضر الكل هاربين من غير علم السلطان فلما حضروا أشيع موت ابن شقيرة التاجر الذى من سوق مرجوش وأشيع موت جماعة كثيرة هناك من أعيان أهل مصر قبل ذلك وقدمت الاخبار بوفاة جان بك دوادار الامير طراباى وكان من وسائط السوء وتوفى محمد بن يوسف الذى كان ناظر الاوقاف وكان من وسائط السوء أيضا وتوفى محمد المسكى الذى كان من سوق الوراقين وتوفى هناك جماعة كثيرة لم يحضرنى أسماؤهم الآن وفيه قبض ملك الامراء على شخص من اليهود الصيارفة من جماعة المعلم يعقوب اليهودى فضربه بالمقارع ثم قطع يده وعلقها فى عنقه وأشهره فى القاهرة وكان سبب ذلك ما أشيع عنه انه يشترى الفضة النحاس المغشوشة ويضعها فى الجامكية وقد قلق العسكر من ذلك وفى يوم الخميس ثانى عشريه كان دخول الشرفى يحيى ابن الامير طراباى رأس نوبة النوب على ابنة الامير بيبرس ابن بنت سيرين واستاعلم اسم أبيه ولا جده وهو يزعم انه ينتسب الى الملك الظاهر برقوق بقوله فكان كما يقال فى المعنى

وما هو الا كالعقاب فامه * معلومة وله أب مجهول

فكان له مهم حافل من المهمات المشهورة فصرف على المخبوز فى السماط ألف دينار وذبح فيه اثنى عشر بقرة ومن الخيل ثلاثة أرؤس ومن الغنم مائة رأس ومن الدجاج ألف طير ومن الاوز مائتى زوج وصرف على الشمع المزهر مائة دينار وصرف على الخيام والتعاليق أربعين دينارا وعلى السقائين عشر أشرفيات وكان له زفة حافلة مشى فيها جماعة من الامراء الجراكسة والامراء العثمانية فشوا فيها من بيت الامير قايتباى الدوادار الى بيت القاضى عبد العظيم الذى عمل فيه العرس وكانت ليلة حافلة وفيه رسم ملك الامراء بشنق شخص من عمال البلاد فشنق على قنطرة الحاجب بعد العصر وكان سبب ذلك ما أشيع عنه أنه زور مراسيم على لسان بعض المباشرين باستخراج الرزق التى بالغربية فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل أحضره فلما حضر أمر بشنقه من يومه فشنق بعد العصر وأراح الله الناس منه واستهل شهر جمادى الآخرة بيوم الجمعة فطلع القضاة الاربعة الى

القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين رابعه قدم قاصد من البحر المالح وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليم خان ابن عثمان فكان من مضمونها انه أرسل يطلب الامير كشبغا والى القاهرة وقد بلغه ما فتحه من أبواب المظالم بمصر وقد كثرت فيه الشكاوى من الناس عند الخنكار فطلبه من ملك الامراء عدة مرار وهو يتناسى عليه فلما رأى الطلب حثيثا فى أمره فما وسعه الا ان أرسله فخرج على وجهه فى أثناء هذا الشهر وسار الى اسطنبول من البر دون البحر وكان من وسائط السوء الماغشوما عسوفا سفاكا للدماء استباح أموال المسلمين ودماءهم فلم يتأسف لخروجه أحد من الناس وفرح غالب الناس لخروجه من مصر وكان أصل كشبغا هذا من مماليك ملك الامراء رومى الجنس سيء الخلق شديد البأس فلهج الناس بعدم عوده الى مصر وفى يوم الثلاثاء خامسه توفيت الست فضل العزيز وكانت يومئذ متزوجة بالشيخ عبد المجيد الطريني فكانت لها جنازة مشهورة ومن الحوادث الشنيعة ما وقع للشيخ عبد المجيد الطريني بسبب القتيل الذى قتل واتهموا به جماعته واتسعت هذه الكائنة حتى كاد أن تخرب دياره فى هذه الحركة وأمرها مشهور بين الناس بما وقع له بالمحلة واتصل خبرها بملك الامراء وكان من أمرها ما يطول شرحه وتعصب لابى الصبى الذى قتل الشيخ عبد الله بن الغمرى وآل أمر هذه الكائنة الى مال له صورة غرمه الشيخ عبد المجيد الطريني وفيه قدمت الاخبار من دمشق بأن نائب الشام الامير جان بردى الغزالى تغير خاطره على قاضى القضاة الشافعى ولى الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى فهم بقتل القاضى ولى الدين غير ما مرة ففر منه واختفى مدة طويلة ثم ظهر بعد ذلك بمدينة حلب قيل انه كاتب ابن عثمان بما وقع له مع الغزالى فأرسل اليه مرسومه بأن يلى قضاء الشافعية بحلب فاستقر بها وأرسل أحضر عياله وأولاده من دمشق وتزوج بالست حامة زوجة القاضى محمود كاتب السر بن أجا وصار صاحب الحل والعقد بمدينة حلب فشق ذلك على جان بردى الغزالى نائب الشام ولولا ان تدارك القاضى ولى الدين وفعل ذلك لقتله الغزالى لا محالة وكان سبب الوحشة بينه وبين الغزالى ان الغزالى قبض على شخص من المباشرين فوجد معه ثلاث مطالعات متوجها بها الى الخنكار احداها بخط القاضى ولى الدين الشافعى والاخرى من عند شخص يسمى المظفرى شيخ المدرسة التى أنشأها الخنكار بدمشق والاخرى من عند نائب دمشق فكان من مضمون تلك المطالعات عدة شكاوى الى الخنكار فى الغزالى نائب الشام بأنه قد أظهر العصيان وهو يعمل فى برق عظيم وقد التفت عليه جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فلما بلغ ذلك القاضى ولى الدين فر من الشام واختفى حتى ولى قضاء حلب وأمره مشهور وصار

الغزالى فى قهر من القاضى ولى الدين وقيل انه شنق المظفرى وشنق الهجان الذى وجدت معه تلك المطالعات ولو ظفر بالقاضى ولى الدين لشنقه أيضا وفى يوم الجمعة خامس عشره توفى محيى الدين البلبيسى أحد نواب الشافعية وكان لا بأس به وفى يوم الاثنين ثامن عشره توفيت زوجة المقر الشهابى أحمد بن الجيعان وكانت جركسية الجنس تدعى شهدداروكانت بديعة فى الحسن والجمال من أجل النساء حسنا فافتتن بها المقر الشهابى أحمد ابن الجيعان حتى شغلته عن أحوال المملكة قيل انها كانت تحسن الضرب بالسبع آلات المطربة وهى الجنك والعود والصنطير والقانون والدريج والكمنجا والصينى وكان أصل شهددار هذه من جوارى ابنة الامير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير فادعت انها معتوقة فتزوجها الشهابى أحمد بن الجيعان وأمهرها مائتى دينار ودخل عليها فأحبها حبا شديدا دون نسائه وافتتن بها الى الغاية وأقامت عنده مدة طويلة ثم تبين بعد ذلك انها فى رق ابنة الامير يشبك الدوادار ولم تعتق وصار الحق فيها الى بنت الامير يشبك الدوادار فاشتراها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان من الورثة بخمسمائة دينار وقاسى بسببها مشقة عظيمة زائدة فأقامت عنده مدة ثم انها مرضت وتزايد بها المرض حتى ماتت فحصل له عليها حزن شديد وتأسف عليها حتى كاد أن يموت من الحزن واستمر مقيما بالتربة أياما وبادر اليه الناس بالتعزية والسلام عليه وصنع عدة ما تم واجتمع هناك القراء والوعاظ وعمل فيها الشعراء عدة مراث بديعة قيل لما توفيت زوجة زين الدين عمر بن الوردى أنشأ يقول

اذا ما زوجة الانسان ماتت * فما بقيت لمسكنه سكينه
وكيف يطيعه نظم ونثر * ولا بيت لديه ولا قرينه

ويقرب من هذه الواقعة التى وقعت للشهابى أحمد بن الجيعان ما وقع ليزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك ان أحد الخلفاء الاموية قد اشترى جارية مولدة من مولدات البصرة وكانت تسمى حبابة اشتراها بألف دينار وكانت تشتمل على جملة من المحاسن منها انها كانت تضرب بالعود والجنك والقانون وسائر آلات الطرب وتحسن الغناء الجيد وتنظم الشعر وتحسن العربية ولها خط جيد وتلعب بالنرد والشطرنج وكانت بديعة الجمال فافتتن بها يزيد بن عبد الملك وأحبها حبا شديدا حتى انها شغلته عن أمور الخلافة والنظر فى أحوال الرعية فاتفق له فى بعض الايام انه توجه الى بستان فى دمشق وصحبته تلك الجارية وقال لوزرائه وحجابه اذا كان الغد فلا يخبرنى أحد منكم بشئ من أمور المملكة ولا بكتاب يرد من سائر الجهات قاطبة فلما استقر بالبستان أحضر سفرة الشراب ودارت بينهما الكاسات ولم يكن فى المجلس غير يزيد وحظيته حبابة فبينما هما فى أرغد عيش اذ تناولت حبابة رمانة لتأكلها فشرقت بحبة من الرمان فوقفت فى حلقها فاختنقت واضطربت

اضطرابا شديدا فخرجت روحها فى الوقت والساعة فلما عاين يزيد ذلك كادت روحه أن تزهق من جسده وتأسف على حبابة غاية الاسف قيل لما ماتت أقامت سبعة أيام لم تدفن وهى بين يديه يشاهدها ويقبلها ويقول ما نظرتها فى عينى أحسن من اليوم فلما جافت وتغيرت هيئتها ركب اليه أقاربه وابن عمه وعنفوه على ما فعله وأخذوا تلك الجارية ولفوها فى نطع ودفنوها واستمر يزيد فى التأسف والحزن حتى مات بعدها بمدة يسيرة انتهى ذلك وفى هذا الشهر اضطربت أحوال القاهرة وغلقت الاسواق بسبب المعاملة فى الذهب والفضة وجعل ملك الامراء على الاسواق انكشارية بسبب صرف الدنانير الذهب باكثر من أشرفيين فضة وأشيع أن شخصا حجازيا من الصيارفة صرف أشرفيا ذهبا باشرفيين فضة وخمسة أنصاف فرسم ملك الامراء باشهاره فى القاهرة وخزم أنفه وعلق فيها الميزان ثم شنقه فراح ظلما وفيه توفى محمد الريس فتات العنبر رئيس المحبظين وكان أستاذا فى صنعة الخيال وكان فاق على بريوه فى هذا الفن وفى يوم الاثنين خامس عشريه قدم ابن الشريف بركات أمير مكة وهو الذى يسمى ثقبة وصحبته صهره عرار فلما حضر خرج أمراء الجراكسة والامراء العثمانية الى ملاقاته فدخل القاهرة فى موكب حافل وقدامه الانكشارية يرمون بالنفوط فلما صعدا الى القلعة تلقاه ملك الامراء من وسط الحوش السلطانى وبالغ فى اكرامه الى الغاية وخلع عليه قفطانا وخلع على من معه من العربان وأنزلهم فى مكان أعده لهم وفيه توفى الامير طقطباى استادار الصحبة أحد الامراء العشراوات فلما مات دفنه ملك الامراء فى مدرسته التى بباب الوزير واستهل شهر رجب بيوم السبت فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى ذلك اليوم قرئ كتاب الشريف بركات أمير مكة بحضرة القضاة فكان من مضمونه أنه أرسل يطلب من ملك الامراء استقرار قاضى القضاة الشافعية بمكة صلاح الدين بن ظهيرة على عادته فأجيب الى ذلك ثم عين فى ذلك اليوم قاضى مالكى وقاضى حنبلى الى المدينة الشريفة وانفض المجلس على ذلك وفى يوم الاربعاء خامس رجب طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل المبارك وجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع وكانت فى العام الماضى أرجح من ذلك بعشرة أصابع وفى يوم الخميس سادسه رسم ملك الامراء بشنق شخص من أعيان الاصباهية وكان من أكبر المفسدين يخطف النساء والمرد والعمائم الظهر الاحمر ولا يجد من يرده عن ذلك فلما كثرت فيه الشكاوى تعصب على شنقه ملك الامراء وقراموسى أحد أمراء ابن عثمان وقام فى ذلك غاية القيام وأغلظ على ملك الامراء فى القول وقال له الخنكار مايدرى بشئ من ذلك فلما شنق ذلك الشخص عز على الاصباهية وتأسفوا عليه وأنزلوه عن المشنقة وغسلوه وكفنوه ودفنوه وقيل شنق معه فى ذلك

اليوم الثانى من الاصباهية وكانا من كبار المفسدين وهما اللذان توجها الى بيت شاد البرلس ونهبا ما فيه وسبيا حريمه ولم يكن له ذنب يوجب ذلك وتقدم القول على هذه الواقعة وفى يوم الثلاثاء حادى عشره خرج قاسم الشروانى الذى كان نائب جدة وعزل عنها وجرت عليه شدائد ومحن وسجنه ملك الامراء بالعرقانة وقيده ثم ان الخنكار ابن عثمان أرسل طلبه فتوجه الى اسطنبول وسافر اليها فى ذلك اليوم ومن الحوادث فى هذا الشهر أن ملك الامراء تكلم مع القضاة الاربعة بأن يخففوا من نوابهم وأغلظ عليهم فى القول فاقتصر قاضى القضاة الشافعى على خمسة عشر نائبا وأما القاضى الحنفى فانه عزل نوابه كلهم واقتصر على اثنين وهما شهاب الدين بن شيرين وابن بنت البدرى محمد بن الدهان الذى كان شيخ الجامع المؤيدى فأما القاضى المالكى فاقتصر على سبعة من النواب وأما القاضى الحنبلى فاقتصر على سبعة من النواب أيضا ولم يتم ذلك فيما بعد وحصل للنواب فى هذه الحركة غاية الضرر وكان سبب ذلك أن نائبا من نواب القاضى الحنفى طلب امرأة الى الشرع فامتنعت من الحضور فقبض عليها القاضى وضربها نحو ثمانين عصا ووقع له مثل ذلك مرتين ثم ان امرأة طلعت وشكته الى ملك الامراء فحقت القضاة بسبب نوابهم وما يفعلونه وقال لهم اعزلوا جماعة من نوابكم المناجيس وفيه توفى الامير ماماى الساقى أحد الامراء العشراوات الطبلخانات وكان أصله من مماليك السلطان الغورى وكان رئيسا حشما لا بأس به فنزل ملك الامراء وصلى عليه وكانت جنازته حافلة وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره كان ختان ولد القاضى شهاب الدين أحمد بن شيرين أحد نواب الحنفية فكان له زفة حافلة مشى فيها أعيان الناس من المباشرين وغير ذلك واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين فصعد القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه كانت كائنة محب الدين بن أصيل الكفيف فكان من ملخص واقعته أنه كان بيده مشيخة المدرسة الشيخونية والجمالية أخذها بنزول شخص من القضاة عنها فأقامت بيده مدة ثم انتدب له من رافعه وقال له شرط الواقف أن تكون مشيخة الجمالية لاعلم علماء الشافعية وأنت شخص عار عن العلم فأخرجه ملك الامراء وقرر بها شيخ الاسلام زين الدين زكريا الشافعى فشق ذلك على محب الدين بن أصيل وحصل له غاية البهدلة من ملك الامراء وقصته مشهورة بما جرى له وفيه وقعت كائنة عظيمة للامير الماس أخى أمير اخور كبير قرقماس ابن ولى الدين وكان من ملخص هذه الواقعة انه كان عند الامير الماس مملوك عايق بتزيا بزى العثمانية ويخرج بالليل يقطع الطريق ويخطف العمائم وقد وجدنا هذا المملوك يقطع الطريق فى بولاق وغيرها من الاماكن فقال ملك الامراء هذا مملوك من فقيل له مملوك الامير الماس فقال له ملك الامراء ليش ما كنت ترجع مملوكك عن الفساد فقال الماس

ما كان يسمع لى فقال ملك الأمراء ليش ما كنت شكوته لى وانا كنت أنصفك منه فطال بينهما الكلام ثم ان الامير الماس أغلظ على ملك الامراء فى القول فحنق منه فبطحه على الارض وضربه ضربا مبرحا حتى عاين الموت قيل ضربه عشر نوب ثم رسم بنفيه الى منفلوط وقيل الى قوص ثم رسم بتسليم ذلك المملوك الى الوالى ليعاقبه وخرج الامير الماس منفيا من يومه وفيه قبض ملك الامراء على شخص من الصيارف الجازيين وكان يجلس عند شخص بسوق الباسطيين فلما قبض عليه رسم بشنقه فشفع فيه خير الدين نائب القلعة وغرم مبلغا له صورة حتى سلم من الشنق ولا ذنب عليه يوجب ذلك سوى انه خالف المناداة وصرف أشرفيا ذهبا بخمسة وخمسين نصفا بزيادة خمسة أنصاف فكاد أن يشنق ظلما وفيه رسم ملك الأمراء بشنق خمسة أنفار مسكهم شيخ العرب ابن أبى الشوارب زعم انهم كانوا من أكابر المنسر وأعيان المفسدين فلما قبض عليهم ابن أبى الشوارب أرسل كاتب ملك الامراء بذلك فأرسل اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب فأحضرهم الى القاهرة فرسم ملك الامراء بشنقهم فشنقوا وشنق فى ذلك اليوم شخص من الناس زعموا انه سرق ازارا ونقابا وشعرية فراح ظلما وكان ملك الامراء عجولا فى أمر القتل وفيه نزل ملك الامراء وسار الى نحو بلقس ثم رجع من هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة فلما شق منها لم يدع له أحد من الناس بالنصر ولا زغرتت له النساء من الطيقان بل أغلظ عليه بعض العوام وقال له انظر فى أحوال المسلمين بالشفقة بسبب الخبز والدقيق وسائر الاسعار فان البضائع متشحطة وفى يوم الثلاثاء تاسعه توفى القاضى شمس الدين محمد بن عبد الكافى أحد نواب الشافعية وكان من أعيان النواب وكان ضخم الجسد مثقلا بالشحم جدا وفى يوم الاربعاء عاشره كان أول مسرى من الشهور القبطية ففيه زاد الله فى النيل المبارك عشر أصابع فسر الناس بذلك وكان فى أول الزيادة صار يسلسل فى الزيادة اصبعا اصبعا على عشرة أيام متوالية ثم فى اليوم الثانى من مسرى زاد الله فى النيل المبارك خمس عشرة اصبعا فى دفعة واحدة فسر الناس بذلك الى الغاية وفى يوم الاحد مع ليلة الاثنين كانت ليلة النصف من شعبان فأقرأ ملك الامراء فى تلك الليلة ختمة بالقلعة واستدعى القضاة الاربعة فلما تكامل المجلس شرع قاضى القضاة محيى الدين يحيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميرى المالكى يتكلم مع ملك الامراء بان يشفع فى القاضى نور الدين على الفيومى وقد تقدم القول أن ملك الامراء تغير خاطره عليه فنفاه الى دمنهور وأقام بها مدة طويلة فلما شفع فيه القاضى المالكى رسم باحضاره من دمنهور وكان أحد نواب الحنفية فكثرت فيه الشكاوى وكان غير محمود السيرة

ثم فى ذلك المجلس شفع قاضى القضاة المالكى أيضا فى شمس الدين محمد السرماجى فتوقف ملك الامراء فى أمره قليلا وعدّله جملة مساوى فلا زال قاضى القضاة يتلطف به حتى رضى عليه وكان منعه أن يعمل قاضيا أو شاهدا ويلزم بيته دائما فكتب عليه قسامة بذلك فرضى ثم ان قاضى القضاة شفع فى نور الدين على الحسنى المعروف برصاص المؤذن بان تعاد له وظائفه التى كانت فى المدرسة الغورية وكانت خرجت عنه لما توجه الى اسطنبول وأقام بها فلما شفع فيه رسم له باعادة وظائفه التى كانت بالغورية وكان قاضى القضاة المالكى عند ملك الامراء من المقربين وكان يحضر مجلس محاكماته فى كل يوم سبت ويفصل المحاكمات بحضرة ملك الامراء ورأى فى أيامه غاية العز والعظمة فوق ما رآه قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة فى أيام الملك الاشرف قانصوه الغورى فعدّ من النوادر اطاعة ملك الامراء لقاضى القضاة المالكى فى جميع ما كلمه فيه فى ذلك المجلس بالاجابة ولم يرد له شفاعة فى ذلك المجلس فى أمر من الامور وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بأن الامير جانم الحمزاوى لما وصل الى اسطنبول قابل الخنكار وقبل منه الهدية التى أرسلها معه ملك الامراء وأكرمه الى الغاية وأذن له بالعود الى مصر وهو واصل عن قريب وأشيع فى الاخبار الواردة من اسطنبول أن جماعة من الاعيان تسحبوا من اسطنبول منهم القاضى علاء الدين ناظر الخاص على ابن الامام وأخوه محمد والقاضى أبو البقاء ناظر الاسطبل وأخوه يحيى أولاد ابراهيم المستوفى وبهاء الدين بن البارزى وجلال الدين بن الشبراوى وآخرون من المباشرين الذين هناك فلما بلغ الخنكار تسحبهم من اسطنبول شق عليه ذلك وأرسل خلفهم ستين شاويشا فقبضوا عليهم من أثناء الطريق ووضعوهم فى الحديد وقاسوا من البهدلة والاخراق بهم ما لا يمكن شرحه ودخلوا بهم الى اسطنبول وهم مشاة فى الحديد ثم سجنوهم ولا يعلم ما جرى لهم بعد ذلك وفيه قدمت الاخبار من بلاد المغرب بأن الفرنج توجهوا الى مدينة جربة وهى من أجل المدن ثم ان جماعة من ملوك الفرنج حاربوا من بها من ملوك الغرب فكان بين الفريقين واقعة مهولة قتل بها من الفريقين نحو ثلاثين ألفا وكانت النصرة لصاحب جربة على ملوك الفرنج وغنموا منهم أشياء كثيرة وفى يوم السبت عشريه خلع ملك الامراء على ابن الشريف بركات أمير مكة وخلع على صهره عرار وأذن لهما بالعود الى بلادهما فكان لهما موكب حافل فلما شقوا من القاهرة كان صحبتهما الامراء الجراكسة والامراء العثمانية والجم الكثير من الانكشارية يرمون بالنفوط وكان يوما مشهودا وفى يوم الثلاثاء ثالث عشريه كان ختان أولاد قاضى القضاة الحنبلى شهاب الدين الفتوحى المعروف بابن النجار فكان له زفة حافلة مشى فيها جماعة من الاعيان لكن قصر وصفها عن زفة أولاد قاضى القضاة

محيي الدين الدميرى المالكى وابن الحسام المحلى ومن الحوادث الشنيعة أن شخصا يقال له محيي الدين بن مثرى البزددار له ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين وكان أبوها ساكنا فى المراغة بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها وكان على رأس تلك البنت كوفية ذهب فوقفت تلعب مع الصغار فى الحارة وكان لهم جار صبى أمرد يعمل صنعة القربات فلعبت عينه على الكوفية الذهب التى على رأس البنت فلعب بعقلها وقال لها أمك فى السيدة نفيسة وأرسلت تطلبك هناك فمضت معه وأخذ معه عبدا أسود فلما مضوا توجهوا بتلك البنت الى تربة خراب خلف مزار السيدة نفيسة فذبحوها هناك وجعلوها وألقوها فى فسقية موتى هناك وأخذوا الكوفية التى على رأسها وتركوها تتلعط فى دمها فأقامت هناك يوما وليلة فكثر التفتيش عليها من أمها وأبيها فنزل أبوها الى السوق وأوصى التجار على الكوفية الذهب التى كانت على رأس ابنته فاذا رأوها فليأتوه بها فبينما هو فى الصاغة واذا بالصبى الامرد الذى أخذ الكوفية وذبح البنت فى الصاغة ومعه الكوفية فأشهرها فى المناداة فتناهى سعرها الى أربعين أشرفيا فقال له بعتك فقال له الدلال أحضر لك ضامنا ثقة فلم يجد من يضمنه فقبضوا عليه وأحضروا أبا البنت فقبض عليه وتوجهوا الى باب الامير كشبغا فلما عرضوه على الوالى ضربه بعض عصى فأقر أنه أخذ الكوفية عن رأس البنت وذبحها ورماها فى فسقية موتى خلف مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها فقالوا له امض معنا وأرنا ذلك المكان الذى رميتها فيه فخرج معهم وهو فى الحديد وأتى بهم الى تلك الفسقية التى رماها بها فنزل أبو البنت اليها فوجدها راقدة وهى مذبوحة وفيها بعض روح ولم ينقطع وريدها من الذبح فحملها وطلع بها من تلك الفسقية فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل فأحضر الجميع بين يديه وقصوا عليه قصة الصبى وما جرى له مع البنت فحزن عليها ملك الامراء وقال لها من فعل بك هكذا فأشارت الى الصبى والعبد الاسود الذى على باب البيت الذى منه البنت وأحضروا للبنت من قطب لها مكان الذبح الذى برقبتها وعاشت بعد ذلك وبرئت من الذبح فعد ذلك من العجائب والنوادر الغريبة قيل ان البنت لما رماها الصبى فى الفسقية وهى مذبوحة حكت لامها وقالت لما بت فى الفسقية دخلت على امرأة وعلى وجهها برقع وقالت لا تخافى أنا السيدة نفيسة وغدا أخلصك من هذا المكان ثم مسحت الدم من رقبتى فانقطع فى الحال وسكن روعى مما كنت فيه وهذه الواقعة قد اشتهرت فى القاهرة وفى شهر رمضان وكان مستهله يوم الثلاثاء طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم وفى ليلة الرؤيا توجه القاضى بركات بن موسى المحتسب الى المدرسة المنصورية التى بين القصرين واجتمع القضاة الاربعة هناك فلم تثبت رؤيا الهلال الا بعد العشاء فلما رجع القاضى المحتسب الى داره لاقاه ابن

عوض بالفوانيس وعدة مشاعل كثيرة وكانت لهليلة حافلة ومن العجائب أن النيل المبارك كان على وفاء ولم يتأخر عليه غير أربع أصابع فأشيع بعد العصر أن النيل نقص فى تلك الليلة اصبعين فاضطربت أحوال الناس بسبب ذلك وكان قد مضى من مسرى احد وعشرون يوما ولم يف النيل وكانت أسعار الغلال والبضائع كلها فى غاية الارتفاع فكان كما يقال فى المعنى

ربوفه النيل انا * منه فى كرب وبلوه
مابقى للناس صبر * يحملون اليوم غلوه

فاستمر النيل فى هذا التوقف على أربع أصابع وقيل نقص بعد ذلك أربع أصابع فاستمر على ذلك خمسة أيام لم يزد فيها شيأ فرسم ملك الامراء القضاة القضاة ومشايخ العلم ومشايخ الصوفية بأن يتوجهوا الى المقياس ويبتهلوا الى الله تعالى بالدعاء فى وفاء النيل فتوجه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل والقاضى الحنفى الطرابلسى والقاضى المالكى محيي الدين الدميرى والقاضى الحنبلى شهاب الدين الفتوحى ومن مشايخ الصوفية الشيخ محمد المنير وغيره هؤلاء من مشايخ الصوفية فلما توجهوا هناك وباتوا بالمقياس نقص النيل فى تلك الليلة اصبعين فصار النقص ستة أصابع ثم نقص عشرة أصابع وكان تأخر عن الوفاء على أربع أصابع ونقص من بعد ذلك عشر أصابع فصار النقص أربع عشرة اصبعا عن الوفاء فلما كان يوم الاحد سادس رمضان نزل ملك الامراء وتوجه الى المقياس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوما فأقام ملك الامراء فى المقياس ذلك اليوم وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء فقرؤا فيها عشرين دورا ثم قرؤا صحيح البخارى هناك وأشيع أن ملك الامراء فرق هناك على الفقهاء مالاله صورة وأحضر الاطفال الايتام وفرق عليهم مبلغا له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية ووضعه فى فسقية المقياس وغسلوه فى الماء الذى بها وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع الى الله تعالى بالزيادة فأقام ملك الامراء فى المقياس الى قريب الظهر ثم طلع الى القلعة فلما طلع أمر باطلاق من فى السجون من الرجال والنساء والاطفال فأطلق منهم نحو ثمانين انسانا ونزل الى القرافة وزار من بها من الصالحين وفرق على الزوايا التى هناك مالا له صورة وفعل من وجوه البر والصدقات أشياء كثيرة وما أبقى فى ذلك ممكنا فلما كان يوم الاربعاء الموافق لتاسع عشرى مسرى عول ملك الامراء على أن يخرج الى الاستسقاء وصحبته الناس قاطبة يوم الخميس وقد تزايد قلق الناس الى الغاية واشتد الامر عليهم بسبب نقص النيل عند ليالى الوفاء وقد قال القائل فى المعنى

بمسرى النيل ما أوفى فضجوا * ودب القحط فينا من أبيب

ولم

ولم أضرع لمخلوق لأنى * وجدت الله أشفق من أبى بى

وفى هذه الواقعة يقول الاديب البارع الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق وقد أجاد حيث قال

أسبل النيل من عيونى عبره * مذ رآنى من النقص عبره
يا لها عبرة ثوت بفؤادى * ورمت بالهموم فى القلب جمره
شهر مسرى تسع وعشرون يوما * فيه فات الوفا فاين المسره
ربنا الطف بالخلق فى النيل واطلق * بزياداته من النقص أسره
واشرح الصدر بالوفا منك واسبل * يا سميع الدعا بفضلك ستره
واجعل الارض منه فى خير خصب * ورخاء واجبر بلطفك كسره

فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشرى مسرى طلع ابن أبى الرداد الى ملك الامراء بعد الظهر وبشره بأن النيل قد زاد من النقص ثلاث أصابع فسر ملك الامراء بذلك وقيل أنعم عليه بمائة دينار وفرس وألبسه قفطانا مخملا مذهبا وأنعم على الصبى الصياح الذى ينادى على البحر بجوخة حمراء فلما أشيع ذلك سر به الناس قاطبة وانطلقت النساء بالزغاريت من الطيقان وكانت فرحة عامة لجميع الناس قاطبة فلما كان يوم الجمعة حادى عشر رمضان الموافق لاول أيام النسىء زاد الله فى النيل المبارك خمسة أصابع فسر الناس بهذه الزيادة وقد تأخر عن الوفاء ست أصابع فكانت مدة توقفه عن الزيادة ثمانية أيام متوالية حتى أيس الناس من طلوعه فى هذه السنة ثم فى ليلة السبت وفى الله الستة عشر ذراعا وفتح السد فى يوم السبت ثانى عشر شهر رمضان الموافق للثانى من أيام النسىء وأوفى الله الستة عشر ذراعا وأصبعين من السابع عشر وقد فات الوفاء عن ميعاده حتى مضت مسرى ودخلت أيام النسىء ولكن تقدم ان النيل تأخر عن الوفاء الى سادس أيام النسىء وذلك فى سنة أربع وتسعين وستمائة وبلغت الزيادة فى تلك السنة ستة عشر ذراعا ثم هبط سريعا ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلاء واتفق مثل ذلك ان النيل وفى فى آخر أيام النسىء فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان نيلا شحيحا لم يثبت وشرقت البلاد ووقع الغلاء نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى رحمة الله عليه فلما وفى النيل نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى المقياس وخلق العامود ونزل فى الحراقة وفتح السد وكان يوما مشهودا كما وقع له فى السنة الخالية وكان الوفاء على غير القياس مما جرى على النيل فى هذه السنة وقد قال الناصرى محمد ابن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال فى المعنى

الحمد لله زاد النيل وانشرحت * صدورنا وأرانا بشره فرحا

والقلب أصبح بعد الكسر منجبرا * والامر أمسى عقيب الضيق منفسحا

﴿وقال آخر﴾

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول
ستر الاله علينا لا يزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

وفي يوم الاربعاء سادس عشر رمضان كان أول النوروز وهو أول يوم من السنة القبطية وهي سنة ست وعشرين وتسعمائة خراجية ففي ذلك اليوم زاد الله في النيل المبارك سبع أصابع فاوفى الله السبعة عشر ذراعا واصبعا من الذراع الثامن عشر فسر الناس بذلك وفي يوم السبت سادس عشريه قدمت الاخبار بأن الامير جانم الحمزاوي قد وصل الى قطيا وقد تقدم القول أنه كان توجه الى السلطان سليم خان ابن عثمان وصحبته تقدمة حافلة من عند ملك الامراء الى الخنكار ابن عثمان فلما قابله أكرمه وخلع عليه وقبل منه تلك التقدمة فأقام هنالك مدة ثم ان ابن عثمان رسم للأمير جانم بعوده الى مصر وكان أكثر الناس جزموا بعدم عوده الى مصر فجاء الامر بخلاف ذلك فلما أشيع وصوله الى قطيا خرج أعيان الناس الى ملاقاته وخرج الامير ناصر الدين محمد المهمندار والامير برسباي الدوادار وسائر المباشرين قاطبة فلما كان يوم الاحد سابع عشري رمضان ختم صحيح البخاري بالقلعة على العادة وفرقت الصرر على الفقهاء ومن له عادة وخلع على قضاة القضاة وفي يوم الاثنين ثامن عشريه دخل الامير جانم الحمزاوي الى القاهرة ونزل بتربة العادلي وفي يوم الثلاثاء تاسع عشريه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة العادلي ونزل على المصطبة التي هنالك ولبس خلعة الخنكار التي أرسلها له على يد الامير جانم الحمزاوي باستمراره في النيابة بمصر وهي قفطان بتماسيح على مخمل أحمر فركب من هنالك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل وقدامه جماعة من الامراء الجراكسة ومن الامراء العثمانية والعساكر الاصباهية والانكشارية مشاة يرمون بالنفوط ولاقاه طائفة من النصارى وبأيديهم الشموع موقدة ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية ولما وصل الى قبة الامير يشبك التي في رأس الحسينية لاقاه القضاة الاربعة فكان القاضي الشافعي عن يمينه والحنفي عن يساره والمالكي والحنبلي قدامه والامير جانم الحمزاوي قدامه وعليه قفطان مخمل مذهب كان ألبسه له الخنكار فاستمر في ذلك الموكب الى أن طلع الى القلعة وكان يوما مشهودا فكانت مدة غيبة الأمير جانم الحمزاوي في اسطنبول عند الخنكار ستة أشهر وقيل انه قابل الخنكار فيها مرة واحدة وأما ترجمة الامير جانم الحمزاوي فهو جانم بن يوسف بن اركماس السيفي قاني باي الحمزاوي نائب الشام كان من أعيان أبناء الناس وقدر في دولة ملك الامراء خاير بك حتى صار صاحب الحل والعقد بمصر

وصار

وصار فى مقام أمير كبير بمصر ولما استقر الامير جانم الجزاوى فى داره أشيع بين الناس أنه
أخبر أن الخنكار ابن عثمان تغير خاطره على الخليفة محمد بن يعقوب المتوكل على الله الذى
توجه الى اسطنبول فلما تغير خاطره عليه أخرجه من اسطنبول على غير صورة مرضية
وهو فى غاية ما يكون من البهدلة ونفاه الى مكان عسر يسمى السبع قلبات قيل ان بينه
و بين اسطنبول سبعة أيام وهذا المكان الذى يضع فيه الخنكار أمواله وتحفه لكونه
فى غاية التحصين وقد اختلف فى سبب تغير خاطره عليه فن جملة الاقوال ان أولاد ابن عمه
خليل رافعوه بسبب اقطاع الخلافة أن يعطيهم منها الثلث و يأخذ هو الثلثين فأبى من ذلك
الثانى أن الخليفة طاش هنالك وصار بينهم العيش جهارا واشترى له جوارى يضربن له
بالجنوك وفتك فى البسط والانشراح غاية الفتك فبلغ ذلك الخنكار فتغير خاطره عليه وكان
الوزراء مساعدين أولاد عمه خليل ومحطين على الخليفة الثالث أن جماعة كثيرة من
أهل مصر ممن كان باسطنبول تسحبوا من هنالك منهم بدر الدين ابن القاضى كمال الدين ناظر
الجيش وتسحب آخرون من الاعيان فخشيت الوزراء أن الخليفة يتسحب من هنالك فضيقوا
عليه والله أعلم وفى شهر شوال كان عيد الفطر يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة وصلوا مع
ملك الامراء صلاة العيد وخطب بهم قاضى القضاة الشافعى خطبة بليغة وكان موكب
العيد موكبا حافلا وفى يوم الاحد رابع شوال جلس ملك الامراء بالدهيشة وأرسل خلف
القضاة الاربعة وأرسل خلف أعيان التجار ومشايخ الاسواق بسبب أمر المعاملة فى
الذهب والفضة فلما تكامل المجلس قام ملك الامراء ودخل الاشرفية التى بجوار الدهيشة
ودخل معه القضاة الاربعة وأرسل خلف الامراء العثمانية وهم قراموسى وفرحات وخير
الدين نائب القلعة والقاصد الذى حضر صحبة الامير جانم الجزاوى فلما دخلوا الى الاشرفية
لم يدخلها غير هؤلاء ولم يأذن للامراء الجراكسة بالدخول معهم ثم ان القاصد أخرج
مرسوم الخنكار الذى أرسله صحبة الامير جانم الجزاوى فأجلس القضاة الاربعة على أربعة
كراسى وأجلس الامراء العثمانية على أربعة كراسى وقرئ عليهم مرسوم الخنكار وذلك
على طريقة النسق العثمانى وكانت ألفاظ ذلك المرسوم باللغة التركية فكان من مضمونه
ما أشيع بين الناس أنه قد أرسل يأمر ملك الامراء بالتوصية بالرعية غاية الوصية وأن
يصرف للمماليك الجراكسة جوامكهم ولحومهم وعليقهم على العادة القديمة وأرسل يقول
لملك الامراء أن يتوصى بأولاد الناس قاطبة وكل من كان له جامكية وقطعت يردها اليه
وأرسل يقول له فى اصلاح المعاملة من الذهب والفضة فأحضروا من حل تلك الالفاظ
التركية التى فى المرسوم فكان هذا معناها ثم ضربوا مشورة فى أمر المعاملة فأشار
الحاضرون على ملك الامراء أن يبقى كل شئ على حاله من أمر المعاملة حتى يراجع الخنكار

فى ذلك مرة أخرى بأن الذهب والفضة ينقص فى هذه الحركة الثلث فخرج ملك الامراء
ورسم باشهار المناداة فى القاهرة بأن كل شئ على حاله وأن الاشرفى العثمانى والغورى
لا ينصرف بأكثر من خمسين نصفا فضة من غير زيادة على ذلك وان النصف الفضة النحاس
يرمى وما عدا ذلك يمشى ثم انفض المجلس على ذلك ونزل القضاة الى دورهم وسكن الاضطراب
قليلا فى أمر المعاملة وفى يوم الجمعة تاسع شوّال قدم من البحر المالح الى ثغر الاسكندرية
جماعة نحو تسعة أنفار ممن كان أمر بالتوجه الى اسطنبول فحضر فى ذلك اليوم الشيخ بدر
الدين محمد السعودى المعروف بابن الوقاد أحد نواب الحنفية كان وحضر الشيخ كمال الدين
الذى كان برددار الامير طومان باى وحضر كمال الدين العاتق مباشر أمير اخور كبير وحضر
زين الدين حامل المزرة وحضر القاضى كريم الدين الجولى أحد نواب الشافعية كان
وحضر الخواجا عمر بن معزوز المغربى وحضر المهتار بدر العادلى والخواجا زين الدين العجمى
و يوسف مناخير والمعلم حسين معلم الحك بدار الضرب وكان هؤلاء باسطنبول وشكوا الى
الوزراء بأن وظائفهم التى بمصر خرجت عنهم وتعطلت جهاتهم وأخذ الناس أموالهم
بموجب غيابهم فى اسطنبول فقال لهم الوزراء أقيموا الكم ضمانا وتوجهوا الى مصر صحبة
جماعة من الانكشارية واكشفوا على جهاتكم ووظائفكم وارجعوا الى اسطنبول
على وجه الصيف ففعلوا ذلك وحضروا الى مصر وصحبتهم الانكشارية وفيهم من
ترك أولاده وعياله باسطنبول الى أن يرجع اليهم فى عقيب ذلك أشيع أنه حضر أيضا
من اسطنبول جماعة منهم شمس الدين بن الموفق المباشر وفرج بن البريدى والطواشى
مسك وقيل ان الطواشى أقام بالشام عند الغزالى نائب الشام ورتب له ما يكفيه
كل شهر ومحمد بن على كاتب الخزانة وآخرون حضروا فى الخفية وصاروا يتسحبون
من اسطنبول شيأ بعد شئ ويحضرون وكل ذلك من غير علم الخنكار فالله يلطف بهم
وفى يوم الجمعة سادس عشره الموافق لاول يوم من بابه ثبت النيل المبارك على خمس أصابع
من تسعة عشر ذراعا وكان فى العام الماضى ثبت على ثمانية أصابع من عشرين ذراعا
فكان هذا النيل أنقص من النيل الماضى بذراع وثلاث أصابع وكان نيلا شحيحا من
مبتدا زيادته الى حين هبوطه وقد شرق غالب البلاد واشتد أمر الغلاء بالديار المصرية
وتكالبت الناس على مشترى القمح وارتفع القمح من السواحل وصار اذا وصلت مركب
قمح لا تباع ولا تشترى الا بافراج من عند المحتسب ولو كان ضيافة أو من الخراج
فحصل للناس الضرر الشامل وارتجت القاهرة بسبب منع القمح ووقع الاضطراب الشديد
فكادت أن تكون غلوة كبيرة وفى يوم الاحد ثامن عشره توفى شخص من الامراء
الطبلخاناة يقال له ماماى الصغير ودفن فى المدرسة الغورية وفى يوم الاثنين تاسع عشره

خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل عظيم وكان أمير المحمل الامير جانم كاشف منفلوط والبهنسا فطلب طلبا حافلا على العادة القديمة كعادة الامراء المقدمين وخلع على الامير باباى أحد الامراء العشراوات واستقر به فى مشيخة الحرم النبوى عوضا عن الشرفى يحيى بن البرديني بحكم انفصاله عنها وكان قاضى المحمل فى تلك السنة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الوفائى المالكى أحد النواب بل من أعيانهم فحصل للحاج به غاية النفع ولم يحج فى هذه السنة من الاعيان الا القليل وكان أكثر الحجاج فلاحين وريافة من البلاد وفى شهر ذى القعدة وكان مستهله يوم السبت طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم مستهله وقع لقاضى القضاة الحنفى الطرابلسى بين يدى ملك الامراء بعض توبيخ بسبب نائبه كمال الدين بن زريق وقدانكشف زغله فى مكتوب ظهر أنه زوره وجرى بذلك أمور يطول شرحها فحصل للقاضى بعض مقت من ملك الامراء فما وسعه الا أنه عزل كمال الدين بن زريق بحضرة ملك الامراء عزلا مؤبدا مادام حيا وانفض المجلس على ذلك وفى ذلك اليوم رسم ملك الامراء باشهار المناداة فى القاهرة بسبب المعاملة فى الذهب والفضة فاطلق أربعة مشاعلية فى القاهرة ومصر العتيقة بأن الاشرفى الذهب العثمانى والغورى يصرف بخمسين نصفا من غير زيادة على ذلك وان الاشرفى الذى هو ضرب جمال الدين يصرف باثنين وأربعين نصفا وان الفضة على حالها لا يرد منها الا النصف المكشوف وكل من خالف فى ذلك شنق من غير معاودة فسكن الاضطراب قليلا بهذه المناداة بعدما كان أشيع بابطال هذه المعاملة كلها وتخسر الناس من اموالها الثلث فتعطل الناس من البيع والشراء أياما وغلقت الاسواق فلما نادوا بابقاء كل شئ على حاله سكن الرهج الذى كان فيه الناس قيل ان ملك الامراء أرسل يشاور الخنكار ابن عثمان فى أمر المعاملة اذا بطلت يخسر الناس من أموالهم الثلث والامر فى ذلك معول على الجواب وفى يوم الاحد ثانى الشهر خلع ملك الامراء على شخص من العثمانية يقال له الامير على الكيخيه أغات الانكشارية واستقر به فى ولاية القاهرة عوضا عن كشبغا الذى كان والى القاهرة وتوجه الى اسطنبول كما تقدم وفى يوم الخميس سادسه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى الروضة ونصب له خياما فى خرطوم الروضة تجاه قصر ابن العينى فنزل هناك وكان صحبته جماعة من الامراء العثمانية والقاصد الذى حضر مع الامير جانم الحمزاوى والامير قايتباى الدوادار وبعض أمراء من الجراكسة والجم الكثير من الاصباهية والانكشارية فلما استقر هناك أحضر اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة قيل صرف عليها نحو خمسمائة دينار فمن جملة ذلك أربعون خروفا شوى وأربعمائة مجمع حلوى وعدة مطابق ضمنها مامونية سكب ومامونية جوية محشوة بسكر وسنبوسك بسكر

ورخامية بسكر وسمك على أنواع مختلفة وأشياء غير ذلك مونقة وأحمال بطيخ صيفي وعبيدي وأطنان قصب وأحمال قشطة وبطط جلاب وأحمال موز وغير ذلك وما أبقى ممكنا فيما اصنعه في هذه المدة من الاشياء التي تصلح للملوك فشكره ملك الامراء على ذلك وأثنى عليه بحضرة الامراء وكان القاضي بركات المحتسب عالي الهمة نافذ الكلمة مسعود الحركات في سائر أفعاله وقد وقع له أشياء غريبة لم تقع لاحد قبله من المباشرين ولا غيرهم ولا سيما ما كان يصنعه للسلطان فأقام ملك الامراء الى ما بعد العشاء ثم عدى من هناك وطلع الى القلعة وانقضى ذلك اليوم السلطاني وفي يوم السبت ثامنه وقعت كائنة مهولة وسبب ذلك أن ملك الامراء جلس للمحاكمات على العادة فعرض عليه ثلاث محاكمات في ذلك اليوم الاولى أن شخصا من الشهود يقال له شمس الدين محمد البساطي كان يجلس على رأس حارة زويلة وكان يخطب في جامع ابن قريميط الذي في حارة زويلة فجاءت اليه مبايعة جارية حبشية كانت على ملك شخص من النصارى فباعها الشخص من الفرنج فهربت وأتت الى بيت الوالي وقالت له أنا جارية مسلمة كنت عند شخص نصراني فباعني لشخص افرنجي وقصد أن يسافر بي الى بلاد الفرنج فهربت من عنده وأتيت اليكم فعرض الوالي هذه الواقعة على ملك الامراء خاير بك فطلب النصراني البائع فهرب وهرب الفرنجي المشتري فقبض على شخص كان واسطة وعلى شمس الدين البساطي وقيل على النصراني والافرنجي فيما بعد وعوقبا وقرر عليهما مال له صورة فلما وقف شمس الدين البساطي بين يدي ملك الامراء قال له ليش ما سألت الجارية ان كانت مسلمة أو غير مسلمة فاختلط في الكلام وتلجلج لسانه عن الجواب فاشتد غيظ ملك الامراء عليه فرسم بقطع يده اليمنى فقطعت وأن يشهر في القاهرة ففعل به ذلك وكان حاضرا في المجلس قاضي القضاة المالكي محيي الدين الدميري والقاضي شهاب الدين ابن شيرين أحد نواب الحنفية والقاضي شمس الدين العبادي والامير ازدمك الناشف وجماعة من الامراء العثمانية فلم يجسر أحد منهم أن يشفع فيه لشدة غضب ملك الامراء عليه وكان يوما مهولا والمحاكمة الثانية عرض عليه شخص يقال له محمد بن عز الدين كان أبوه من جملة رسل الصالحية وكان يعرف بابن بابه وكان ابنه قبيح الصورة والسيرة مشهورا بتزوير المراسيم عن لسان المباشرين وسبقت له وقائع كثيرة عن لسان الاكابر فقيل انه زور مرسوما على لسان القاضي شرف الدين بن عوض فقبض عليه ابن الغياثي وأحضره بين يدي ملك الامراء فكثرت فيه من الناس الشكاوى فرسم بان يشنق فشنق وشهر في القاهرة وهو مخزوم الانف ومقطع الآذان فأراح الله تعالى العباد منه فانه كان كثير النصب والحيل وتحكى عنه الغرائب والعجائب في أمر الحيل والنصب والسرقة والمحاكمة الثالثة عرض عليه شخص من الفلاحين سرق ثورا فرسم بأن يخوزق وتقطع أنفه وآذانه

وان يركب على الثور و يشهر فى القاهرة ثم يخوزق وكان ملك الامراء بحولا فى أمر القتل وقد شنق وخوزق ووسط فى أيام ولايته على مصر مالا يحصى من الناس والغالب راح ظلما من غير ذنب وكان ملك الامراء شديد القسوة صلبا فى الامور جدا وكان الامر كما قيل فى المعنى

احذر تعاشر من يكن طبعهم * ظلم الورى دأبا وان أحسنوا

لقول رب العرش سبحانه * فى محكم الذكر ولا تركنوا

وفى يوم الخميس ثالث عشره رسم ملك الامراء بشنق ثلاثة أنفار من القواسة كانوا حراسا على قصب فأتى اليهم بعض التركمان ليسرق من القصب فضربه أحد القواسة فجاءت الضربة صائبة فمات ذلك التركمانى فلما بلغ خشداشينه ذلك توجهوا الى شبرى ونهبوا ما فيها ثم قبضوا على القواسة وعرضوهم على ملك الامراء فرسم بشنقهم فشنقوا فى ذلك اليوم ومضى أمرهم ويقال انهم أخذوا ظلما اليس هم الذين قتلوا التركمانى والذين قتلوه هربوا ولم يحصلوهم وراحوا ظلما وراحت فى كيسهم وقد وقع لملك الامراء انه قتل ثمانية أنفس فى هذه الجمعة فشنق منهم جماعة وخوزق منهم جماعة واقترحوا الهم العذاب حتى صاروا يخوزقونهم من أضلاعهم وراح غالبهم ظلما والامر لله تعالى وفى يوم الجمعة رابع عشره أرسل كاشف الشرقية اثنين من العربان المفسدين قطاع الطريق فرسم ملك الامراء بشنقهما فشنقا وقد وقع لملك الامراء أنه شنق وخوزق فى هذا الشهر جماعة كثيرة بخلاف العادة وفيه أشيع أن صبيانا صغارا قعدوا يلعبون فى بعض الحارات فعمل واحد منهم ملك الامراء وآخر والى القاهرة ونادوا وأن لا أحد يخرج من بعد العشاء فقام بعض الصغار وخطف عمامة آخر يعبث عليه فقبضوا عليه وأحضروه بين يدى الذى جعلوه ملك الامراء فرسم للذى أقاموه واليا بأن يقبض عليه و يخوزقه فدقوا له عصا فى الارض وأقعدوه عليها غصبا فنهم من قال ان الصبى مات من وقته ومنهم من قال لم يمت فلما جرى ذلك تهاربت الصغار الى حال سبيلهم وقد هان القتل فى هذه الايام حتى عند الصغار وهذه الواقعة لم تثبت الاشاعات وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره قدمت الاخبار بأن الفرنج قد أتوا الى ساحل بيروت وحاصروا من بها فكسروهم وملكوا مدينة بيروت وأقامت معهم ثلاثة أيام فلما بلغ ملك الامراء نائب الشام جان بردى الغزالى ذلك عين دواداره ومعه الجم الكثير من العساكر فتوجهوا الى بيروت واقتتلوا مع الفرنج وكان بين الفريقين واقعة مهولة قتل فيها مالا يحصى من الفرنج وأسر منهم ثلثمائة انسان وغنموا منهم أشياء كثيرة من سلاح وقماش وغير ذلك وقيل أسروا جماعة من أولاد ملوك الفرنج وملكوا ثلاث برشات من كبار مراكبهم وكانت النصرة عليهم للغزالى نائب الشام بعد ما ملك الفرنج

بيروت فطردهم عنها بعون الله تعالى ﴿ومن الحوادث العظيمة الغريبة ماوقع يوم الاربعاء تاسع عشر ذى القعدة من سنة ست وعشرين وتسعمائة أنه قدم قاصد من البحر المالح وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان ابن السلطان سليم شاه بن عثمان بان السلطان سليم شاه قد توفى الى رحمة الله تعالى وحضر صحبة القاصد مطالعة من عند الرئيس شمس الدين محمد القوصونى الى صهره قاضى القضاة محيى الدين بن الدميرى تتضمن أخبار موت السلطان سليم شاه بن عثمان وهى الاخبار الصحيحة فاخبر أن السلطان سليم شاه خرج بتصيد فرجع من الصيد وهو متوعك فى جسده وقد طلعت له فرخة جرفتا ألم لها ولزم الفراش أياما وثقل فى المرض واشتد عليه الامر جدا فمات فى يوم الخميس تاسع شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة فلما مات كتموا موته عن العسكر ثلاثة أيام ولم يدفن وكان ولده سليمان غائبا عن اسطنبول فلما حضروه جد فى السير حتى دخل الى اسطنبول وجلس على سرير الملك أشيع موت أبيه سليم شاه فاحضروه فى تحليته وهو مصبر وصلوا عليه ومشت الوزراء والعسكر قاطبة قدامه وكان دفنه يوم الاحد ثانى عشر شوال أو يوم الاثنين كما قيل ودفن على جده السلطان محمد بن عثمان فى مدرسته باسطنبول ومضى الى رحمة الله تعالى كانه لم يكن وزال عنه الملك فى طرفة عين فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفى ذلك يقول ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق فى المعنى

عظم الله أجركم ✱ فى مليك الورى سليم
عنه قد زال ملكه ✱ وغدا فى الثرى رميم

وتوفى الملك المظفر سليم شاه وله من العمر نحو سبعة وأربعين سنة على ما أشيع ذلك ووقع له من الامور الغريبة مالم يقع لاحد من آبائه ولا أجداده بل ولا لاحد من ملوك الشرق ولا ملوك الغرب ولا غيرهم فانه زحف على شاه اسماعيل الصوفى ملك العراقين وحاربه فكسره وقتل من عساكره مالا يحصى حتى قيل قتل فوق الخمسين ألفا وملك بلاده وطرده عنها ثم تحرش بسلطان مصر ولا زال يخادعه ويظهر أنه تحت طاعته حتى خرج اليه وغدر به وحاربه وانكسر منه وفقد وقد طرقه على حين غفلة وجرى عليه منه ما جرى كما تقدم ذكر ذلك فملك مدينة حلب وقلعتها فى خمس درج واحتوى على أموال السلطان الغورى التى كانت بقلعة حلب من غير مانع ثم توجه الى دمشق فملكها وملك قلعتها من غير مانع فى أسرع من طرفة عين ثم توجه الى الديار المصرية وحارب السلطان طومان باى فكسره وقتل غالب عسكر مصر من المماليك الجراكسة وقتل من الامراء ما تقدم ذكره وملك الديار المصرية فى نحو عشر درج ومن أراد أن ينظر ما وقع منه بالديار المصرية فلينظر الى

 وكانت مدة استيلائه على حلب والشام ومصر أربع سنين وخمسة أشهر وهو يخطب باسمه على منابر حلب وأعمالها ودمشق وأعمالها ثم خطب باسمه فى الديار المصرية وأعمالها وثغورها وضربت السكة باسمه فى هذه المدة وكان استيلاؤه على مدينة حلب فى أواخر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة واستولى على دمشق فى سلخ رمضان واستولى على الديار المصرية فى المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فكانت مدة اقامته فى القاهرة نحو ثمانية شهور من مستهل المحرم الى أواخر شعبان واستقر بخاير بك نائبا عنه بمصر وأما مدة استيلائه على مملكة الروم من حين توفى والده السلطان أبو يزيد الى الآن فنحو وتسع سنين الاشهرا فان والده أبا يزيد توفى فى ثانى جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان استيلاؤه على مملكة الروم فى حياة والده بأشهر فان والده أقام مريضا ملازما للفراش مدة طويلة فيقال انه عجل على أبيه وقتله لاجل الملك ثم انه خنق أخاه قرقط وقتل أخاه أحمد وظن أن الوقت قد صفا له فتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بغيره من الملوك ودهاه الموت الذى لا يدفع بقوة ولا حيلة وقد صار فى رمسه رهين الذنوب لا يعلم أهو فى نعيم أو فى عذاب وقد رثيته بهذه الابيات

لابن عثمان قصة فاسمعوها * واعجبوا من صنع ربى تعالى
ملك الشام للفرات وأضحى * فاتكا فى الانام روحا ومالا
وأراد الدخول فى كل مصر * قلت هيهات رمت هذا المحالا
طردته عنها سهام الدياجى * بدعاء فيها يفوق النبالا
بعد ما جار فى الانام بقتل * من جيوش يدك منها الجبالا
منذ جاروا وبالغوا فى أذاهم * قد سألنا الاله يكشف حالا
فاستجاب الدعا ومن علينا * بانفراج الهموم جل تعالى
وأتتنا أخباره بزوال * صيرت رشده حقيقا محالا
كم ملوك أذلها بعد عز * وسطا فيهمو وأفنى الرجالا
لهف قلبى على ملوك تفانوا * من سطا سيفه وطال اشتعالا
ذلت الروم بعد ما قد دهاهم * موت أستاذهم وشاعوا المقالا
زال عنا بموته دون حرب * وكفى الله المؤمنين القتالا

وفى ذلك اليوم أشيع موت ابن ملك الامراء الذى كان مقيما باسطنبول وكان رهينا عند ابن عثمان من حين استولى أبوه على نيابة السلطنة بمصر ولما تحقق ملك الامراء موت السلطان سليم شاه أظهر الحزن والاسف وشق أثوابه ولبس السواد وكذلك الامير قراموسى وخير الدين نائب القلعة وفرحات وسائر الامراء العثمانية لبسوا السواد حتى الامير قايتباى

الدوادار لبس السواد ووضع على رأسه شدا أزرق وأظهر الحزن وفى يوم الخميس عشريه رسم ملك الامراء بأربعة مشاعلية تنادى فى القاهرة اثنان يناديان بالتركى واثنان يناديان بالعربى ترحموا على الملك المظفر سليم شاه وادعوا بالنصر للملك المظفر سليمان شاه فارتجت القاهرة فى ذلك اليوم وتحققوا موت سليم شاه من غير شك وقالوا سبحان من هذا الجبارة وأما المماليك الجراكسة فتزايد عندهم الفرح والسرور واستبشروا بالفرج كما قال

* مصائب قوم عند قوم فوائد * فاستمرت الامراء وهم لابسون السواد ثلاثة أيام متوالية وهم يظهرون الحزن على سليم شاه ابن عثمان وكان موته من الغرائب على حين غفلة ولو عاش وصفا له الوقت ما حصل لاحد منه خير فكفى الله الناس شره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان وذلك على سبيل الاختصار وقد وقع فيهما من العجائب والغرائب مالم يقع فى غيرها من الدول

ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان ابن الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان

وهو التاسع من ملوك الترك وأولادهم بالديار الرومية من بنى عثمان استولى على الروم بالقسطنطينية العظمى يوم الاحد ثانى عشر شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه سليم شاه وصار متملكا على المملكة الرومية والديار المصرية وما مع ذلك من الممالك قيل استولى على الملك وله من العمر نحو ثمانية وعشرين سنة وله أولاد ذكور واناث وقيل عنه انه من ذوى العقول وفيه أقول

سرنا لما ولى سلطاننا * ابن عثمان وصرنا فى أمان

وارث الملك عن أجداده * فهو فى الملك سليمان الزمان

(١) وأما ترجمته فهو سليمان بن سليم شاه الذى أخذ مصر عنوة بالسيف ثم والده سليم أبو يزيد ولد سنة احدى وخمسين وثمانمائة وولى على مملكة الروم وجلس على سرير الملك يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانماية وتوفى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة وكانت مدة سلطنته ببلاد الروم نحو ثلاث وثلاثين سنة ثم والده السلطان محمد وهو أول ملك لقب بالسلطان من ملوك الروم ولد سنة خمس وستين وسبعمائة وكانت مدة حياته نحو ستين سنة ثم والده مراد خان ويدعى غازى أيضا ولد سنة عشر وسبعمائة وكانت مدة سلطنته بمملكة الروم احدى وثلاثين سنة وعاش من العمر نحو ثمانية وستين سنة ثم والده أبو يزيد المعروف بيلدرم ويلدرم باللغة التركية اسم البرق وهو الذى أسره تمرلنك ووضعه

(١) هذه العبارة من أولها الى آخرها فيها مخالفات كثيرة لما ذكر المؤرخون فليكن ذلك معلوما

فى قفص من حديد وطاف به فى البلاد يعجب عليه وكانت وفاته فى القفص الحديد سنة خمس وثمانمائة وكانت مدة مملكته على بلاد الروم تسع سنين أو نحو ذلك ثم أبوه اورخان عاش نحو ثمانين وستين سنة ثم أبوه على اردن ثم أبوه عثمان الثانى ثم أبوه سليمان ولد فى بلاد الروم وكانت مدة استيلائه هو وعثمان الثانى على مملكة الروم من سنة سبع وثمانين وستمائة واستمر على ذلك حتى قتل فى الغزاة ببلاد الفرنج وخلف ابنه سليمان فهؤلاء كلهم من نسل عثمان الثانى فأطلق عليهم ملوك الروم من بنى عثمان وهم تسعة بالعدد وأما جدهم الكبير عثمان فقال بعض المؤرخين انه ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة وعاش تسعا وستين سنة وأن أصله من عرب الحجاز من وادى الصفراء بالقرب من المدينة النبوية فلما وقع الغلاء بالمدينة خرج منها عثمان فارا الى بلاد قرمان فنزل هنالك وكان شجاعا بطلا فتزايا زى أهل قونيا وكان ملك الروم يومئذ بيد طائفة يقال لهم السلجوقية فصار عثمان فى خدمة الامير على بن قرمان فعظم أمر عثمان عنده ومشى على طريقتهم وتكلم باللغة التركية وصار له أتباع كثيرة وأعوان وعدة عساكر نحو عشرين ألفا فعند ذلك خرج عن طاعة السلجوقية والقرمانية وصار له عدة بلاد افتتحها وصار يغزو بلاد الفرنج فى كل سنة ويغنم أموالهم ففتح عدة حصون تلى خليج القسطنطينية ولا زال ملك بنى عثمان يكثر وجنودهم تكثر وأظهروا العدل فى الرعية وعمروا التكايا والزوايا والخوانق وكان عثمان يحب العلماء ويقرب الصلحاء وكان طويل القامة أسمر اللون أقنى الانف وقيل عاش عثمان هذا نحو سبعين سنة ومات شهيدا فى بعض غزوات الفرنج وهو جد بنى عثمان قاطبة قال الشيخ تقى الدين أحمد المقريزى لم يكن فى أبناء عثمان من يلقب بملك ولا بسلطان بل كانوا اذا كاتبهم أحد من ملوك مصر وعظمهم يقول لهم الخنكار أو الامير فلان وقال المقريزى انهم ينسبون الى أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوة خلفاء بنى العباس الذى تعصب لهم ونزع الخلافة من يد الاموية وجعلها الى العباسية انتهى ما أوردناه من نسب ابن عثمان وهذا هو النسب الصحيح عنهم والله أعلم بحقيقة ذلك ومن هنا نرجع الى خبر الملك المظفر سليمان بن سليم شاه ابن عثمان فالذى أخبر به القوصونى فى كتابه ان السلطان سليمان لما جلس على سرير الملك أظهر العدل فى الرعية فأرسل أحضر الخليفة من المكان الذى كان سجنه فيه والده سليم شاه فأحضره الى اسطنبول كما كان ورتب له فى كل يوم ستين درهما وأفرج عن علاء الدين ناظر الخاص وعن جماعة كثيرة من المباشرين الذين كان سجنهم والده وأفرج عن جماعة من التجار الاعجام الذين كان والده سجنهم وزعم أنهم من عند الصوفى وأخذ منهم حريرا بنحو اثنى عشر ألف دينار فلما آل اليه الملك أفرج عنهم وأعاد لهم الحرير الذى كان أخذه والده

منهم ورسم لهم بالعود الى بلادهم وذكر عنه أشياء كثيرة من العدل من هذا النمط وفى يوم الجمعة حادى عشريه رسم ملك الامراء بأن يصلى على السلطان سليم شاه ابن عثمان صلاة الغيبة بجامع القلعة وسائر جوامع القاهرة وأن يدعى للسلطان سليمان على المنابر ومضى أمر السلطان سليم شاه كأنه لم يكن وفى يوم السبت ثانى عشريه نودى فى القاهرة بالزينة ثلاثة أيام متوالية بسبب سلطنة الملك المظفر سليمان فزينت مصر والقاهرة زينة حافلة حتى داخل الاسواق وغالب الحارات ولاسيما خان الخليلى فان تجاره زينوا زينة عظيمة وصار الامير على الكيخية والى القاهرة يطوف فى كل يوم عدة مرار وقدامه جماعة من الانكشارية وهو ينادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد يشوش على أحد من الرعية وصار يأمر بتقوية الزينة ويضرب أصحاب الدكاكين بسببها وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

زينت مصر وأضحت * بعد حزن فى تهانى
مذ غدت بعد سليم * لسليمان الزمان

ومن الحوادث أن طائفة من الانكشارية قصدوا أن ينهبوا حارة زويلة وقيل جرت العادة عندهم اذا مات السلطان ينهب العسكر حارة اليهود فقصد طائفة الانكشارية أن يفعلوا ذلك فمنعهم خير الدين نائب القلعة وقراموسى وفرحات من ذلك فغضبوا منهم وتوجهوا الى بركة الحبش على أنهم يدخلون على حمية وينهبون القاهرة عن آخرها فترددت الرسل بينهم وبين ملك الامراء على انه ينفق على طائفة الانكشارية لكل واحد منهم مائة دينار فتراضوا على ذلك وعلى انه لا ينفق على طائفة الاصباهية ولا الكملية شيأ فتقرر الحال على ذلك ثم فى يوم السبت المقدم ذكره أرسل ملك الامراء الى الامير قايتباى الدوادار وقفطان حرير صارى وشاش خسينى ثم ان ملك الامراء صار يتراضى خواطر المماليك الجراكسة فانفق عليهم جامكية شهرين دفعة واحدة وصار القاضى شرف الدين الصغير يأخذ بخواطر المماليك الجراكسة أيضا ويخاطبهم يا أغاوات بعدما كان يقول يا كلاب يا زرابين وقد أقامت المماليك الجراكسة صدورها من حين سمعوا بموت سليم شاه ابن عثمان وفى يوم الاثنين رابع عشريه أشيع ان طائفة الاصباهية وقفوا الى ملك الامراء وقالوا مثل ما أنفقت على الانكشارية أنفق علينا أيضا فقال لهم الانكشارية مماليك الحكار وأنتم خدامه وما عندى ما أنفقه عليكم فنزلوا من عنده على غير رضا وأشيع أنهم يقصدون نهب الزينة فبادر الناس بفك الزينة ووقع الاضطراب فى ذلك اليوم وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه أنفق ملك الامراء على الانكشارية فقط فأعطى لكل واحد منهم أربعين أشرفيا ذهبا تصرف بثمانين أشرفيا فضة وأعطى الصوباشية أغوات

الانكشارية لكل واحد منهم مائة دينار فشق ذلك على الاصباهية والكملية وأشيع اقامة فتنة وفى يوم الاربعاء سادس عشريه حضر قاصد من عند نائب الشام الامير جان بردى الغزالى يقال له خشقدم اليحياوى وهو أحد الامراء العشراوات بدمشق وكان أمير جكار عند قانصوه اليحياوى فلما حضر بين يدى ملك الامراء دفع اليه مطالعة نائب الشام جان بردى الغزالى ومطالعة الى الامراء فلما قرئت اضطربت أحواله ولم يعلم ما فى تلك المطالعات فانزلوا القاصد فى بيت الامير جانم الحزاوى فأقام عنده فى الترسيم وهو محتفظ به ثم أشيع أن ملك الامراء من حين حضر قاصد نائب الشام الغزالى وهو منكد وشرع فى تحصين قلعة الجبل وركب على أبراجها المكاحل ووزعت أعيان الناس أمتعتهم فى حواصل وتزايد القيل والقال بين الناس فى أمر جان بردى الغزالى نائب الشام وأشيع عصيانه بالشام وقد جمع من العساكر مالا يحصى ثم فى يوم الخميس سابع عشريه رسم ملك الامراء ان طائفة الانكشارية يقيمون فى القلعة فى الطباق ولا ينزلون الى المدينة وان طائفة الاصباهية يسكنون حول القلعة وبالقرب من بيت قراموسى ففعلوا ذلك وفى يوم الجمعة ثامن عشريه خرج قاصد من عند ملك الامراء يقال له أمير شيخ فأرسل على يديه مطالعات الى السلطان سليمان بن عثمان يعزيه فى والده السلطان سليم شاه ويهنيه باستقراره فى الملك عوضا عن أبيه ثم أشيع أن ملك الامراء أرسل قاصد نائب الشام وهو خشقدم اليحياوى الذى حضر وعلى يديه المطالعات فأرسله الى السلطان سليمان وصحبته تلك المطالعات الواردة من عند نائب الشام فقيل أرسله فى الحديد وتوجه أمير شيخ الى البحر الى ثغر الاسكندرية ومن هناك توجه من البحر المالح الى اسطنبول ثم أشيع بعد ذلك ان القاصد قد أغرقوه تحت الليل وكان آخر العهد به والله أعلم بحقيقة الحال ومما استفاض بين الناس من أمر واقعة نائب الشام جان بردى الغزالى انه تسلطن بالشام وقبل له العسكر الارض وخطب باسمه على منابر دمشق وضربت السكة باسمه على الذهب والفضة فلما تحقق ملك الامراء ذلك أرسل يعلم السلطان سليمان ابن عثمان بما وقع من نائب الشام من سلطنته بالشام وأرسل اليه المطالعات التى وردت عليه بما جرى منه وصار الامر موقوفا على الجواب عن ذلك وقد تحقق عصيان نائب الشام وخروجه عن الطاعة وفى شهر ذى الحجة وكان مستهله يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر فلما تكامل المجلس أحضر ملك الامراء مصحفا شريفا ووضعه على كرسى وحضرت الامراء الجراكسة والامراء العثمانية فتقدم الامير ازدمك الناشف وحلف أنه يكون تحت طاعة السلطان سليمان كما كان تحت طاعة والده سليم شاه وانه لا يخون ولا يغدر ولا يخامر عليه فحلف على ذلك بحضرة القضاة الاربعة ثم تقدم الامير قايتباى الدوادار فحلف يعنى

ماحلف به الامير ازمك الناشف ثم صارت الامراء الجراكسة يحضر منهم اثنان اثنان ويحلفون على المصحف بمعنى ذلك ثم قام شخص يقال له قراجا الطويل وقال يا ملك الامراء مثلما حلفنا للامراء العثمانية يحلفون لنا هم أيضا فقال ملك الامراء واجب علينا ذلك فتقدم ملك الامراء وحلف على المصحف وأوسع فى ألفاظ الحلف وأكد فى ذلك ثم تقدم قراموسى وحلف على المصحف وكذلك فرحات وخير الدين نائب القلعة والكيخية الكبير اغات الانكشارية فلما تكامل الحلف رسم ملك الامراء أن ينادى فى القاهرة بالعربى والتركى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان التجار تفتح دكاكينها وان لا أحد يكثر كلاما ولا يدخل فيما لا يعنيه ولا ينقل لهم قماشا الى داره والدعا بالنصر للسلطان سليمان ابن عثمان فلما نودى بذلك سكن الاضطراب الذى كان بين الناس قليلا وفى ذلك اليوم عرض على ملك الامراء شخص من النصارى قيل عنه انه وقع فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش وشهد عليه بذلك فحكم القاضى الحنفى بقتله فضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية ثم ان العوام أحرقوه بالنار حتى صارت جثته رمادا ومن الحوادث الغريبة والنوادر العجيبة انه أشيع أن بحر النيل زاد فى هذه الايام بعد ماقد مضى من هاتور نصفه نحو ثلاثة أذرع حتى قيل بقى على علام الوفا ستة عشر أصبعا فعد ذلك من النوادر الغريبة التى لم يقع مثلها فيما مضى من الزمان ولم يحصل بهذه الزيادة نفع للناس بل أغرقت الزروع التى زرعت على الشطوط والامتعة وهذا من جملة عجائب صنع الله تعالى فكان كما يقال فى المعنى

النيل أفرط فيضا * بفيضه المتتابع
فصار بما دهانا * حديثنا بالاصابع

ثم أشيع من بعد ذلك أن النيل قد دخل الى خليج الزربية من عند قصر ابن العينى فتطير الناس من ذلك ثم أشيع ان الماء دخل الى الخليج الناصرى وفاض حتى دخل الى بركة الرطلى وغرق الزرع الذى كان بها فعد ذلك من النوادر الغريبة وأشيع أن جهات المنوفية غرق ما كان زرع بها وهى عدة أفدنة كثيرة وكذلك غرق غالب البراسيم التى بالجيزة وما حصل بهذه الزيادة للناس خير وفيه أفرج ملك الامراء عن نجم شيخ العايد وخلع عليه وأعاده فى مشيخة العايد كما كان أولا وخلع على أربعة أنفار من عربان السوالم وقرر معهم أن يجمعوا من العربان ما يقدرون عليه بسبب ملاقاة نائب الشام جان بردى الغزالى فانه تزايدت الاخبار بسلطنته بالشام وقد تلقب بالملك الاشرف صاحب الفتوحات وزينت له دمشق ثلاثة أيام وأوقدت له الشموع على الدكاكين وقبل له الامراء الارض وقد جمع العسكر الكثير وهو قاصد نحو الديار المصرية وفى يوم الاربعاء ثالث شهر ذى الحجة توفى

الامام العالم العامل شيخ الاسلام والمسلمين مفتي الانام في العالمين بقية السلف وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق ومن ذكره قد شاع في الآفاق فهو آخر علماء الشافعية بالديار المصرية وانتهت اليه رياسة الشافعية فهو شيخ الاسلام زين الدين زكريا بن محمد ابن محمد الانصاري السنيكي الشافعي رحمة الله عليه كان مولده في سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر مائة سنة وسنتان بعدها وكان رئيسا حشما في سعة من المال وولي قضاء الشافعية في دولة الاشرف قايتباي وأقام بها نحو عشرين سنة ومات وهو معزول من القضاء وقد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم الناصر محمد بن قايتباي وخاله الظاهر قانصوه والاشرف جان بلاط والعادل طومان باي والاشرف الغوري وولي تدريس قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه وولي في أواخر عمره مشيخة مدرسة الجمالية وكان بيده عدة تداريس وألف الكتب الجليلة في العلوم المفيدة وأفتى ودرس بالقاهرة نحو ثمانين سنة وانتفع منه غالب الناس وخلف ولدا ذكرا من جارية سوداء فلما بلغ ملك الامراء وفاته أرسل اليه ثوبا بعلبكيا وخمسين دينارا على يد الامير جانم الجزاوي وحضر غسله وتكفينه والصلاة عليه وأخرجت جنازته من عند المدرسة السابقية ومشى في جنازته قضاة القضاة وأعيان الناس وصلوا عليه في سبيل المؤمنين ونزل ملك الامراء وصلى عليه وحمل نعشه من سبيل المؤمنين أول ما طلعوا وكانت جنازته حافلة فلما صلوا عليه توجهوا به الى مقام الامام الشافعي رحمة الله عليه ودفن عند الشيخ محمد الخبشاني تجاه قبر الامام الشافعي رضي الله عنه فكان أحق بقول القائل حيث قال

لقد عظمت رزيتنا فنبه * لها عمراونم جنح الليالي
فلا زالت ذووالاقدار تلقى * من الايام أنواع النكال
وكم جنت المنون على رجال * وجندلت الكماة بلا قتال
ودائي ليس يشفيه دواء * وجرحي لا يؤول الى اندمال
به الايام قد كانت قصارا * فويلي من لياليها الطوال
وكان ذخيرتي فيها وكنزي * وكان هدايتي عند الضلال
لقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
ودق الناس أبواب الفتاوى * وقد وصلوا الى باب الصيال
بكاك العلم حتى النحو أضحى * مع التصريف بعدك في جدال
بكت أوراقه بيض المواضي * دما وبراعه سمر العوالي
وعين دواته عمشت وآلت * عينا لا تداوى باكتحال
تنكرت المعارف في عياني * وتمييزي غدا في سوء حال

وماعوّضت من بدل وعطف * سوى توكيد سقمي واعتلالي
فياقبراثوى فيه تهنى * فقد حزت الجميل مع الجمال
سقاه الله عينا سلسبيلا * وأسبغ ماعليه من الظلال
وبوّأه من الفردوس فضلا * ورقاه الى الغرف العوالى

وفي يوم الاربعاء المقدم ذكره توفي الشيخ شمس الدين محمد البساطي الشاهد الذي قطع ملك الامراء يده فراح ظلما بلا ذنب أوجب ذلك وأشيع أن ملك الامراء أرسل اليه مائة دينار على انه يحالله على ماوقع منه فأبى من أخذ المائة دينار وقال حتى أقف أنا واياه بين يدي الله تعالى وقيل ان يده التي قطعت استمرت عنده الى أن مات فدفنت معه فمات شهيدا وفي يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة قدمت على ملك الامراء أخبار رديئة بان العربان نزلوا على قطيا ونهبوا مافيها واستمر النهب عمالا من قطيا الى الخطارة وطفشت العربان في الشرقية واضطربت أحوالها وأشيع أن شيخ العرب أحمد بن بقر أرسل حريمه وأدخلهم الى القاهرة ووزع أمواله وقماشه ومواشيه خوفا من النهب في البلاد وقد وردت عليه أخبار غير صالحة وصار القيل والقال في كل يوم عمالا بين الناس والاخبار الكذب أكثر من الصدق وفي يوم الاربعاء عاشره كان عيد النحر فوقع في هذا العيد أمور غريبة بسبب الاضحية فبلغ سعر كل بقرة فوق الثلاثين دينارا وشئ منها بيع بأربعين دينارا ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الزمان وبيع الخروف الكبير بعشرة أشرفية وشئ باثني عشر فعد ذلك من النوادر الغريبة وسبب هذا أن الاشرفي الذهب العثماني صار يصرف بخمسين نصفا من الفضة وأما المعاملة من الفضة فان غالبها نحاس وأكثرها غش فوقف حال الناس بسبب ذلك وصار الشئ يباع بمثلين وصار كل من البضائع وغيرها يباع بأغلى الاثمان وموجب ذلك قلة البقر والاغنام في هذه الايام وصارت الابقار تجلب الى دمشق وتباع هناك بأغلى الاثمان فان الابقار التي بدمشق دخل فيها الفناء وقل نسلها هناك جدا وفي يوم الاثنين خامس عشره خرج الامير ناصر الدين محمد الجلبي المهمندار وتوجه الى نحو ثغر الاسكندرية بسبب تفقد الابراج التي هناك خوفا من الفرنج أن يطرقوا الثغر على حين غفلة وقد تزايد عبث الفرنج في البحر المالح وقد طمعوا في أخذ البلاد من حين مات السلطان سليم شاه ابن عثمان وفيه أشيع أنه حضر ساع من البلاد الشامية وعلى يده مطالعة الى ملك الامراء فقال له ان كان معك مطالعات الامراء فاظهرها علينا فانكر الساعي ذلك فحنق منه ملك الامراء وضربه ضربا مبرحا وسجنه وهو لم يقر بشئ من المطالعات وفي يوم الجمعة تاسع عشره أشيع ان أمير شيخ الذي أرسله ملك الامراء الى السلطان سليمان ابن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه في أبيه السلطان سليم شاه أنه رجع الى ثغر الاسكندرية وانه وجد البحر المالح قد امتلأ بمراكب

الفرنج فلم يستطع التوجه منه الى اسطنبول ورجع الى ثغر الاسكندرية وأرسل يعلم ملك الامراء بما وقع له وفي يوم الاحد حادي عشريه نزل ملك الامراء الى الميدان الذي تحت القلعة وعرض سنيحه وعرض العربات وهي العجلات التي صنعها وفرق على المماليك سلاحا ورماحا وغير ذلك ورسم لهم بان يعملوا برقهم بسبب ملاقاة نائب الشام الامير جان بردى الغزالي ورسم للعسكر العثماني أن يعملوا برقهم أيضا وفي يوم الاثنين ثاني عشريه رسم ملك الامراء للمماليك الجراكسة بان يعملوا برقهم أيضا و يجهزوا أمورهم بسبب السفر فتوجهوا الى سوق القبو و جامع قوصون واشتروا ما يحتاجون اليه بسبب السفر وأشيع أن ملك الامراء أمر طائفة الاصباهية والكملية بأن يخرجوا الى الصالحية و يقيموا بها الى أن يخرج العسكر فامتنعوا من ذلك وقالوا نحن لا نخرج الا في ركاب ملك الامراء اذا خرج وان لم يخرج ما نخرج فوقع الخلف بينهما في هذا الامر وكثر القال والقيل بين الناس وان ملك الامراء أنفق على الانكشارية وأعوانهم ولم ينفق على الاصباهية ولا على الكملية شيأ فحنقوا منه وفيه أشيع أن اليهود حوّلوا جميع قماشهم من حارة زويلة و بنوا على أزقتها حواصل وقد أخذوا حذرهم من النهب وكذلك أعيان المباشرين وأن شخصا من الامراء العشراوات يقال له جان قلي وهو الذي كان نائب قطيا حضر في مجلس لهو فلما سكر نقل عن ملك الامراء كلاما لم يقله فلما بلغ ملك الامراء ما قاله جان قلي رسم للامير قايتباي الدوادار بان يدع جان قلي عنده في الترسيم حتى يعرضه عليه و يحقق ما قاله عنه فاستمر في الترسيم عند الامير قايتباي وفيه أشيع أن ملك الامراء ملأ الصهاريج الكبار التي بباب السلسلة وملأ عدة صهاريج بقلعة الجبل وأخذ في تحصين القلعة بكل ما يمكن وطلع الى القلعة باحمال بقسماط وأرز وقمح وشعير ودقيق وغير ذلك وأرسل طلب من ابن قريعيط المتحدث على شبرى خمسين نورا من الثيران الكبار بسبب سحب المكاحل التي على العجل والعربات وأشيع أن ملك الامراء طلب شيخ المغاربة وقال له احضر لي ألفي مغربي من شجعان المغاربة وهذه الواقعة تقرب من واقعة السلطان جان بلاط لما تسلطن العادل طومان باي بالشام ودخل هو وقصروه نائب الشام الى القاهرة وقد تقدم ذلك في الجزء الثاني وكان الاشرف جان بلاط حصن القلعة أعظم من هذا التحصين ولم يفده منه شيء وانكسر وأخذت منه قلعة الجبل في خمسة أيام ثم قبض عليه ونفي الى ثغر الاسكندرية وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه نودي في القاهرة بان أولاد الناس ومن يعصر من الاروام يطلعون الى القلعة للعرض بين يدي ملك الامراء فصار جماعة من خان الخليلي من الطباخين ومن يعمل السراميج ومن يعمل السنبوسك يطلعون الى القلعة و يكتبون أسماءهم في الديوان و يسمون أنفسهم الكملية و يتزيون بزيهم وصار العسكر ملفقا من سائر

الطوائف والاجناس فى سبيل الله خيار السبيل ثم ان طائفة الاصباهية والكملية تغلبوا
على ملك الامراء وقالوا نحن ما نخرج الى قتال نائب الشام الا بمرسوم من عند السلطان
سليمان ابن عثمان ونحن ما علينا الا حفظ درك القلعة والمدينة فان دخل الينا نائب الشام
حاربناه فوقع الخلف بين العسكر العثمانى وبين ملك الامراء بسبب ذلك وكان من حين تولى
السلطان سليمان مملكة الروم لم يرسل الى ملك الامراء خلعة الاستمرار فطمع فيه كل أحد
بسبب ذلك وصارت الاخبار فى كل يوم ترد على ملك الامراء بان جان بردى الغزالى نائب
الشام قد زحف وخرج من الشام فى عسكر كثيف وقصد نحو الديار المصرية ومعه طائفة
كثيرة من الاكراد ومن عربان جبل نابلس ومن عربان بنى عطاء وبنى عطية وغير ذلك من
طوائف العربان وغيرهم من عساكر دمشق وفيه قدمت الاخبار بان عربان بنى عطاء
وبنى عطية اتفقوا مع عربان طائفة السوالم وكسروا طراباى بن قراجا شيخ عربان جبل
نابلس وكان ملك الامراء خلع عليه وعلى جماعة من مشايخ عربان جبل نابلس وأنعم عليهم
بمال له صورة على أنهم يلاقون جان بردى الغزالى ويحاربونه قبل أن يدخل الى القاهره
وفيه قدمت الاخبار بأن جماعة من عربان الغربية ثاروا على كاشف الغربية فهرب منهم
وأرسل يعلم ملك الامراء بذلك ليعين لهم تجريدة وفيه حضر شيخ العرب بيبرس بن
بقر وقابل ملك الامراء فخلع عليه وكان أشيع عصيانه وفيه عرض ملك الامراء من
بالسجون فاطلق منهم عشرين انسانا وقيل صالح جماعة منهم ممن عليهم الديون وقام
بذلك من ماله وفيه قبض ملك الامراء على شخص من الغلمان كان عند قان بردى نائب
قطيا الذى تسحب منها فلما قبض عليه ومثل بين يديه قال له أخبرنى عن أحوال الغزالى
كيف تسلطن فقال ما عندى منه علم وكان أشيع عن ذلك الغلام أنه أتى من عند الغزالى
بمطالعات الى الامراء الذين بالقاهرة فلما أنكر الغلام ذلك حنق منه ملك الامراء ورسم
بتوسيطه فوسطه عند باب السلسلة قريب المغرب ومضى أمره وفى يوم الخميس خامس
عشريه حضر مبشر الحاج وأخبر أنه حصل للحجاج مشقة عظيمة بسبب الغلاء فى سائر
الاصناف والبضائع ومات من الحجاج جماعة كثيرة وأشيع الثناء الجميل على أمير الحاج جانم
الكاشف وفيه قدم الخبر بان نائب الشام جان بردى الغزالى توجه الى حلب بمن معه من
العساكر وحاصر المدينة أشد المحاصرة وقد حاربه أهل حلب وتعصبوا عليه ولم يمكنوه من
أخذ المدينة وقد انفصلت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريب من استمرار الغلاء مع
قلة الامن والفتن القائمة فى البلاد الشامية والحلبية وكثر القال والقيل بين الناس بسبب
جان بردى الغزالى فانه أشيع عنه أنه تسلطن بالشام وتلقب بالملك الاشرف ومن معظم
حوادث هذه السنة موت الخنكار سليم شاه ابن عثمان فان موته كان من العجائب والغرائب

ولاسيما ماجرى منه فى حق أهل مصر من الفعائل الشنيعة مما تقدم ذكره ومن لطائف
صنائع الله تعالى انه لم يقع فى هذه السنة طاعون ولا غيره فى البلاد الشامية ولا أعمال الديار
المصرية انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ست وعشرين وتسعمائة

❁ثم دخلت سنة سبع وعشرين وتسعمائة فاستهل المحرم يوم الاربعاء فطلع القضاة
الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر والعام الجديد ثم عادوا الى دورهم
وفى ذلك اليوم حضر قاصد من عند السلطان سليمان نصره الله تعالى وعلى يده مراسيم
شريفة فكان من مضمونها ان ملك الامراء خاير بك على عادته فى النيابة بالديار المصرية
ثم انه أشيع أن السلطان سليمان أرسل يقول لملك الامراء انه عين تجريدة عظيمة الى نائب
الشام جان بردى الغزالى وأرسل يقول لا تخرج تجريدة نحن نكفيك أمره وفيه قدمت
الاخبار بان جاليش عسكر نائب الشام لما توجه الى حلب وحاصر المدينة انكسر ذلك
الجاليش ثم أشيع أن عربان الكرك قد استولوا على مدينة الكرك ورفعوا يد جماعة نائب
الشام وقد انتدب الى محاربة جان بردى الغزالى شخص من عربان جبل نابلس يقال له
جغيما شيخ عربان الكرك وفى رابع الشهر وقعت كائنة عظيمة لشخص من الاتراك يقال له
اياس قيل انه من مماليك الامير يشبك الدوادار رسم ملك الامراء بتوسيطه فوسط فى
الرميلة وكان سبب ذلك انه كان فى مجلس لهو وحضر فى ذلك المجلس جماعة من
الاصباهية فخلط اياس فى الكلام مع الاصباهية فى ذلك المجلس فقال بلغنى عن ملك الامراء
أنه يقصد أن يتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالى بالشام فلما حضر جماعة من الامراء
العثمانية عند ملك الامراء قالوا والله بلغنا أنك تقصد أن تتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالى
بالشام فقال لهم ومن نقل عنى ذلك قالوا شخص من الاتراك يقال له اياس فأمر باحضاره
فلما حضر قال له من قال لك عنى انى أقصد أن أتسلطن فقال له اياس أنا سمعت ذلك من
العوام فقال له ملك الامراء أحضر لى من نقل عنى ذلك فانعقد لسان اياس وتوهم من ذلك
واضطربت أحواله وصار لا يدرى ما يقول فأخذ الامير قايتباى الدوادار يرقع له خلله
فطفش فيه ملك الامراء وكاد أن يفتك به ثم ان ملك الامراء رسم للوالى بأن يقبض على
اياس المذكور فقبض عليه ونزل به من القلعة الى الرميلة فوسطه بسوق الخيل وراح ظلما
من غير ذنب يوجب عليه ذلك فان أكثر الناس كانوا يخلطون فى ذلك من حين أشيع سلطنة
جان بردى الغزالى بالشام واستمر اياس مرميا فى الرميلة والكلاب تنهش جثته فى الليل
ورسم أن لا أحد يدفنه وكان اياس شيخا مسنا وله أولاد وعيال ولكن اشتد غضب ملك
الامراء عليه فى ذلك اليوم فعد ذلك من مساوى ملك الامراء وفى يوم الثلاثاء سابعه وقع
من ملك الامراء ما هو أشنع من ذلك وهو أنه رسم بتوسيط محمد بن شمس الدين محمد القرنوى

وسبب ذلك أن ابن الفرنوى قبض على فلاح وسجنه فانه كان مباشر وقف السلطان حسن فلما سجن ذلك الفلاح جمل بعض أقارب الفلاح على الفرنوى شخصا من العثمانية فكلم الفرنوى فى خلاص ذلك الفلاح فلم يوافق ابن الفرنوى على اطلاقه فاغلظ عليه العثمانى فى القول وسبه فقال ابن الفرنوى عن قريب يحضر جان بردى الغزالى نائب الشام وتخرجون على ايشمه فطلع العثمانى وشكا الى ملك الامراء ما قاله فاحضر ابن الفرنوى وقال له كيف تقول عن قريب يحضر الغزالى ويتسلطن بمصر فأنكر ابن الفرنوى ذلك فأحضر العثمانى جماعة ممن كانوا حاضرين فشهدوا على ابن الفرنوى بأنه قال ذلك فحنق منه ملك الامراء ورسم بتوسيطه فوسط فى الرميلة وراح ظلما كما وقع لاياس وكان ابن الفرنوى هذا من أعيان الناس امام الامير اقبردى الدوادار والامير يشبك الدوادار وفيه صار ملك الامراء يتصدق على الاطفال بالمكاتب قاطبة لكل طفل أربعة أنصاف ففرق مالا له صورة وصارت الاطفال يقرؤن له الفاتحة ويهدونها فى صحيفة ملك الامراء وصار يتصدق على الزوايا والمزارات التى بالقرافة ويتصدق على المجاورين بالجامع الازهر فقيل انه صرف من ماله فى هذه السنة نحو خمسمائة دينار وفيه عزل كاشف الشرقية اياس واستقر عوضه شخص من الاتراك يقال له جانى بك وقد تقدم أنه ولى كشف الشرقية قبل ذلك وفى يوم الخميس ثالث عشر به طرق ملك الامراء أخبار رديئة بان العربان قد زحفوا على قطيا وقد وصلوا الى الصالحية فتنكد ملك الامراء لذلك وعين لهم تجريدة فخرج اليهم طائفة من الاصباهية وطائفة من الكملية فتوجهوا اليهم على الفور من يومهم وكثر القال والقيل بسبب العربان وغيرهم وفى يوم الاحد سادس عشرى المحرم دخل الحاج الى القاهرة مع الامن والسلامة صحبة الامير جانم أمير ركب المحمل ودخل قاضى المحمل الشيخ أبو الفتح فتح الدين الوفائى المالكى ودخل صحبته الشيخ شرف الدين يحيى بن البردينى شيخ الحرم النبوى وكان السلطان سليم شاه قرره فى مشيخة الحرم النبوى فسعوا عليه فعزل واستقر بها الامير بكاى كما تقدم ذكر ذلك فلما عزل الشرف يحيى بن البردينى عن مشيخة الحرم حضر صحبة الحاج وأشيع أن الحاج قاسى فى الرجعة غاية المشقة من الغلاء وموت الجمال وتعرضت لهم جماعة من العربان فتقاتلوا مع الامير جانم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة فرجع الحجاج وهم راضون عن أمير الحاج جانم وأثنوا عليه بكل جميل وشالوا له الراية البيضاء فى بركة الحاج وفى شهر صفر وكان مستهله يوم الجمعة صعد القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه جاءت الاخبار بان الاصباهية والكملية الذين توجهوا الى الصالحية بسبب محاربة العربان ظهر منهم غاية الفساد وصاروا ينهبون الضياع التى حول بلبيس والصالحية ويأخذون ما فيها من الدجاج والاوز والشعير والتبن

فضج أهل الضياع من ذلك فأتى الفلاحون وشكوا الى ملك الامراء أن التركمان نهبوا مغلهم وفسقوا بنسائهم وبناتهم فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل خلف الاصباهية والكملية لخضروا الى القاهرة ولم يحصل بهم نفع وفيه رسم ملك الامراء بشنق شخص يقال له الحاج ياقوت وكان من جملة تجار الوراقين وله شهرة وهو فى سعة من المال فقتل من غير ذنب يوجب ذلك وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه الى بولاق وكشف على المراكب التى عمرها هناك فنزلوها الى البحر قدامه ثم رجع وشق من القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان يوما مشهودا وفيه خرج الامير جان بك أخو الامير قايتباى الدوادار فتوجه من البحر وسافر نحو البلاد الشامية ليكشف أخبار نائب الشام جان بردى الغزالى وغير ذلك من الاشغال السلطانية وفيه انقطعت الاخبار من البلاد الشامية وامتنعت القوافل والمسافرون من الدرب السلطانى وانكتمت أخبار نائب الشام جان بردى الغزالى واستمر على ذلك ثلاثة أشهر وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ومنع القوافل وجلب البضائع من البلاد الشامية واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الثلاثاء رابعه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى بركة الحبش والبريم فأقام هناك الى ما بعد الظهر فارسل القاضى بركات بن موسى المحتسب خمسة جمال ما بين خرفان شوى وحلوى وفاكهة وغير ذلك من مجامع نحو منها أموية وسنبوسك بسكر وغير ذلك أشياء فاخرة ثم ان ملك الامراء نزل من هناك فى الحراقة وتوجه الى الروضة وكشف على المراكب التى عمرها هناك ثم شق من البحر وطلع من عند قصر ابن العينى وتوجه من هناك الى القلعة فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وانشرح فى ذلك اليوم الى الغاية ومن الوقائع اللطيفة ما وقع فى يوم الاحد تاسع الشهر وذلك انه وقع بين شخص من أرباب الفن يقال له محمد الاوجاقى ويعرف أيضا بالشرابى وشخص يقال له محمد بن سرية فوقع بينهما رهان فى فن الموسيقى فقال محمد بن سرية أنا أعرف قطعة من الفن ما سمعها أحد من أهل مصر قط فقال محمد الاوجاقى ان كان حقا ما تدعيه فنجمع مشايخ أرباب الفن ونجمع مغانى البلد قاطبة ويكون ذلك يوم الاحد فى وسط بركة الرطلى وكان ذلك فى زمن الربيع فلما كان يوم الاحد يوم الميعاد حضر جماعة من أرباب الفن وحضر مغانى البلد قاطبة وأتوا الى بركة الرطلى فجلسوا فى وسطها واجتمع هناك الجم الكثير من المتفرجين وكان ذلك اليوم مشهودا فغنى كل واحد من المغنين فى ذلك اليوم نوبة من أحسن ما عنده من الغناء وابتهج الناس فى ذلك اليوم غاية البهجة وأما محمد بن سرية فانه احتج بأنه ضعيف ولم يحضر وقال الرهان باق الى يوم الاحد الثانى فظهر عليه العجز ولم يف بما ادعاه مما تقدم فكان كما قيل

كل من يدعى بما ليس فيه * كذبته شواهد الامتحان

فانفض ذلك الجمع وعد ذلك اليوم من النوادر فى الفرجة والقصف وفى يوم الاثنين عاشره أشيع أن قاصدا حضر من عند السلطان سليمان وعلى يده خلعة الاستمرار الى ملك الامراء حضر القاصد وصحبته الامير شيخ والامير على المحضر وبرسباى استادار الصحبة مملوك ملك الامراء الذى كان أرسله الى السلطان سليمان بن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه فى موت أبيه السلطان سليم شاه فلما حضر طلعوا الى القلعة ومعهم مرسوم مختوم من عند السلطان سليمان ابن عثمان فاجتمع بالقلعة الامراء العثمانية والامراء الجراكسة وقرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان وهو مكتوب باللغة التركية فكان من مضمونه أن السلطان أرسل يقول لملك الامراء انه فوض اليه نيابة مصر وما معها من الثغور والاعمال يعزل من يعزل ويولى من يولى ولم يرسل اليه خلعة الاستمرار فعز ذلك على ملك الامراء وكثر بسبب ذلك القيل والقال بين الناس وفى يوم الثلاثاء حادى عشره كان المولد الشريف النبوى بالقلعة على حكم ما ذكرناه فى السنة الماضية وفى يوم الخميس ثالث عشره نودى فى القاهرة عن لسان ملك الامراء خاير بك بأن من كان له حاجة الى الشام أو غزة يتوجه الى هناك فان الدرب السلطانى قد انفتح وكان الدرب السلطانى له نحو أربعة أشهر لم يسلك ولم تجئ منه القوافل حتى عزت البضائع التى كانت تجلب من هناك وذلك بسبب عصيان نائب الشام جان بردى الغزالى وأشيع ان جماعة من العربان أوقعوا مع جان بردى الغزالى وانكسر منهم وهرب فقصد ملك الامراء أن يعلم الناس بان الدرب قد انفتح وسلك وفيه خلع ملك الامراء على قراموسى أحد أمراء ابن عثمان وقرره فى نيابة غزة فخرج اليها فى يوم الخميس وسافر وفيه قدمت الاخبار من الشام بأن السلطان سليمان بن عثمان أرسل الى نائب الشام جان بردى الغزالى عساكر عظيمة وصحبتهم ابن سوار فاوقعوا مع الغزالى فى ثانى عشرى صفر وكان بين الفريقين واقعة مهولة على حلب فانكسر منهم وهرب الى حماة فتبعوه واقتتلوا معه ففر منهم وهرب وقصد التوجه الى الشام وقطع قناطر الرستن فتبعوه فكان بين الفريقين واقعة عظيمة خارج مدينة دمشق فقتل فى تلك المعركة نحو عشرة آلاف انسان وقيل أكثر من ذلك ما بين عربان ومماليك وجماعة من عوام الشام وفيهم أطفال وصغار من أهل ضياع الشام وغير ذلك ممن حضر تلك الواقعة فكانت هذه الواقعة تقرب من واقعة تمرلنك لما ملك الشام وجرى منه ما جرى من قتل ونهب وسبى وحرق ضياع وما أبقوا فى ذلك ممكنا وليس الخبر كالعيان والذى قتل تحت أرجل الخيل لا ينحصر وآخر الامر انكسر نائب الشام الغزالى كسرة مهولة وقبض عليه وقتل وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول مع رؤس جماعة من أصحاب الغزالى ممن كان من عصبته ونهب وطاقه وبركه عن آخره وكانت

من

من الوقائع العظيمة التي لم يسمع بمثلها وكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وأربعة أشهر الأيام وزال كأنه لم يكن وكان الغزالي عنده رهج وخفة زائدة أهوج الطبع ليس له رأي سديد رهاج في الامور ليس له تأمل وكان ولي نيابة الشام وهو في غاية العظمة والحرمة الوافرة والكلمة النافذة وقد أصلح الجهات الشامية في أيامه حتى مشى الذئب والشاة سواء كما يقال في المعنى

يا أيها الملك الذي سطواته * في البيد يخشى ذئبها من شاتها

ولما كان بالشام التف عليه الجم الكثير من العساكر ما بين عربان جبل نابلس والكرك وغير ذلك والتف عليه جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وصاروا يخرجون من مصر في الخفية ويتوجهون اليه والتف عليه طائفة من الاكراد والتركمان حتى اجتمع عليه اثنا عشر ألف مقاتل وفيهم رماة بالبندق الرصاص نحو خمسمائة رام وقيل أكثر من ذلك فعند ذلك حدثته نفسه بالسلطنة وثورته الجهلة فتسلطن وتلقب بالملك الاشرف وقبلوا له الارض هناك وخطب باسمه على المنابر في جمعتين بدمشق وكل ذلك عين الغلط منه وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان كما قيل في المعنى

والنفس لا تنتهي عن نيل مرتبة * حتى تروم التي من دونها العطب

ولما تحقق ملك الامراء أن الغزالي قد تسلطن بالشام وقبلوا له الارض هناك اضطربت أحواله وسرت المماليك الجراكسة بذلك واستبشروا بالفرج ويا فرحة ما تمت (أقول) وكان أصل جان بردي الغزالي من مماليك الاشرف قايتباي اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية ثم ان الامير تغري بردي الاستادار قرره شادا في ضيعة بالشرقية يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له الغزالي مضافا الاسم تلك الضيعة ثم ان الاشرف قايتباي جعله جدارا وقرره في كشف الشرقية ثم بقي أمير عشرة في أواخر دولة الناصر محمد بن قايتباي ثم بقي محتسب القاهرة في دولة السلطان الغوري ثم قرره في حجوبية الحجاب بحلب فخرج اليها من يومه وذلك بعد واقعة مصر باي لما انكسر ثم ان الغوري نقله من حجوبية الحجاب بحلب الى نيابة صفد وذلك في سنة سبع عشرة وتسعمائة ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة حماه الى أن توجه السلطان الغوري الى حلب وانكسر وجرى له ما جرى فرجع الغزالي صحبة العسكر الى مصر فوجد الاشرف طومان باي قد تسلطن عوضا عن الغوري فاستقر بالغزالي نائب الشام وقد تقدم القول على ذلك فلما ملك السلطان سليم شاه ابن عثمان مصر أقره على عادته في نيابة الشام وجعل له التحدث على الشام وحماه وحمص وصيدا وبيروت وبيت المقدس والرملة والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية والطرابلسية فلو قنع بذلك لكان خيرا له فكان كما يقال في الامثال السائرة

من شرب بكأس الطمع شرق به وفى يوم الاحد ثالث عشريه قدمت الاخبار بانه وصل قاصد من عند السلطان سليمان ابن عثمان فلما تحقق ملك الامراء ذلك نزل من القلعة وتوجه الى تربة العادلى و بات بها لاجل ملاقاة القاصد الذى حضر وكان ملك الامراء أرسل القاضى بركات بن موسى المحتسب الى الخانكاه ليمدّ له مدة هنالك فلما كان يوم الاثنين رابع عشريه نادى ملك الامراء فى القاهرة بالزينة بسبب دخول القاصد فزينت زينة حافلة فلما دخل القاصد لاقاه ملك الامراء من هنالك ودخل هو واياه من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه العسكر قاطبة من الجراكسة والعثمانية وقدامه جماعة كثيرة من الانكشارية وهم يرمون بالنفوط ودخل قدامه عشرة رؤس على رماح زعموا انها رؤس مشايخ عربان ممن كان من عصبة نائب الشام جان بردى الغزالى فشق من القاهرة هو والقاصد وكان يوما مشهودا وفى يوم السبت سلخ الشهر قدم قاصد آخر من عند السلطان سليمان ابن عثمان وأشيع أنه أتى الى ملك الامراء بخلعة الاستمرار فلما وصل الى تربة العادلى نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هنالك فجلس على المصطبة التى هنالك فألبسه القاصد الخلعة وهى قفطان مخمل أحمر بتماسيح مذهب ثم قام من هنالك هو والقاصد ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل أعظم من الموكب المقدم ذكره وركب قدامه قضاة القضاة الاربعة وهم كمال الدين الطويل الشافعى وعلاء الدين على الطرابلسى الحنفى ومحيى الدين يحيى الدميرى المالكى والشهاب أحمد الفتوحى الحنبلى وركب قدامه الامراء الجراكسة قاطبة والامراء العثمانية ومشت قدامه الانكشارية والكمالية وهم يرمون بالنفوط ومشت قدامه طائفة النصارى بالشموع الموقدة واصطف الناس له على الدكاكين بسبب الفرجة وكانت القاهرة مزينة فى قوة الزينة وعلقوا له أحمالا وتريات معمرة بالقناديل الموقدة بطول المدينة وأوقدوا له الشموع على الدكاكين ولا سيما ما فعله تجار الوراقين من الشموع الموكبيات الكبار وأطلقوا له المجامر بالعود القمارى ومرشات الماورد المسك ثم ان جماعة من التجار نثروا على رأسه الفضة فى عدّة أماكن من المدينة وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من كل جانب من البيوت والدكاكين وفرشت له الشقق الحرير تحت حافر فرسه من عند خان مسرور واستمر فى هذا الموكب الحفل حتى طلع الى القلعة وعليه خلعة الاستمرار من عند السلطان سليمان ابن عثمان وهى بتماسيح مذهب على مخمل أحمر وكان ذلك اليوم مشهودا فى الفرجة والقصف فلما طلع الى القلعة خلع على الامير قايتباى الدوادار قفطانا مخملا ونزل الى منزله ثم نادى للناس بفك الزينة وقد أقامت الناس مزينة نحو عشرة أيام وتكلف الناس بسبب ذلك كلفة عظيمة من وقيد وقناديل ومشترى زيت وحصل فى هذه الزينة من التركمان غاية الفساد من

خطف النساء والصبيان المردوالتجاهر بالمعاصي ليلا ونهارا حتى خرجوا فى ذلك عن الحد ولاسيما ما كان يفعل فى خان الخليلي من الفسق وقد ابتهج الناس بهذه الزينة غاية البهجة وفى هذه الواقعه يقول صاحبنا الناصري محمد بن قانصوه بن صادق يمدح السلطان سليمان ابن سليم شاه ابن عثمان عز نصره وأجاد حيث قال

الحمد لله أضحى الملك مبتسما * من بعدما كان أبدى وجهه كظما
وكيف لا يك يبدى وجهه كظما * على سليم وقد أضحى يرى رمما
وصار بعد سليم لابنه وغدا * من السرور به بالبشر مبتسما
وافتر عن شنب الفتح المبين فم الـ * ـنصر العزيز له بالسعد فيه لما
قد قطعت أرؤس الاعداء شفرته * وسيفه لثمت منه البطاح دما
وكيف لا وسليمان مدبره * بخاتم الملك منه مذبه اختتما
وصار من كعبه فينا الغلاء رخا * والخوف أمنا بنا والنور زال عما
والنيل قد زاد فى هاتور من فرح * بمو روى أراضى مصر بعد ظما
وكان أبطا النوت بالوفا حزنا * على سليم وما روى البلاد بما
ومصر من فرح فى زينة رقصت * لما رأت لرخاها كعبه علما
وأصبحت جنة من سعد خيربك * بعد الجحيم ونادى العدل من ظلما
وكيف لا وهو خير قد أحل بها * لولم يكن هو خير قط ما حكما
يا أيها الملك الممدوح دم فرحا * وانظر لقصد عبيد يشتكى ألما
فأنت بالطب أدرى من سواه به * ومن سوا الذى يرى فى حكمه حكما
لا زلت من ابن قانصوه الوفى ترى * مشنفا بديع مبدع حكما
والجود كالجود يهمى منك من خلع * نيابة عن سليمان له حكما
وموكب الملك يبديه وأنت بها * كما رأينا بمصر والسرور غما
وأنت فى فرح تبدو وفى فرح * والملك مبتسم منه ترى نعما
وكوكب السعد يسرى فى سما شرف * عليك فى سائر الاوقات محتكما
وقائلا حامدا مذ صار مبتسما * الحمد لله أضحى الملك مبتسما

انتهى ذلك وقد مضى هذا الشهر عن الناس على خير وكان كثير الحوادث ووقع فيه أمور غريبة وأحوال عجيبة ولاسيما ما وقع بالبلاد الشامية من الفتن العظيمة من القتل والنهب وحرق الضياع وذهاب الغلال وسبب ذلك عصيان نائب الشام جان بردى الغزالى واظهاره للسلطنة ووقع مثل ذلك بحماه وحمص وغير ذلك من البلاد الشامية واستهل شهر ربيع الآخر بيوم الاحد ففى ذلك اليوم بلغ ملك الامراء قدوم قاصد وهو

الثانى من عند السلطان سليمان ابن عثمان قد وصل وعلى يده خلعة ثانية لملك الامراء وهذا القاصد يقال له الامير على فلما تحقق ملك الامراء وصوله نزل اليه من القلعة ولاقاه من عند تربة العادلى ولبس الخلعة هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وصحبته الامير على الذى حضر ولم يكن صحبته من القضاة سوى قاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيى بن الدميرى وكان هذا الموكب على حكم الموكب الذى تقدم ذكره ومن العجائب أن ملك الامراء أوكب ثلاثة مواكب حافلة وشق من القاهرة ثلاث مرات فى مدة سبعة أيام فعد ذلك من النوادر الغريبة وفى يوم الاثنين ثانى هذا الشهر خرج الامير قرا موسى العثمانى الذى قرر فى نيابة غزة فخرج من بين الترب ولم يشق من القاهرة وخرج صحبته الجم الكثير من الاصباهية ومن التجار فان الدرب السلطانى كان له مدة طويلة وهو منقطع من السالك من حين جرى من الغزالى ما جرى الى أن أشيع قتله وفى يوم الاثنين تاسعه كانت وفاة صاحبنا القاضى محب الدين بن أصيل وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت وكان قد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة وحصل له شدائد ومحن ومات وهو فى غاية القهر بسبب خروج مشيخة المدرسة الجمالية عنه الى الشيخ زكريا وقد تقدم القول على ذلك وفى يوم الاربعاء حادى عشره توجه ملك الامراء الى قبة الامير يشبك الدوادار التى بالمطرية على سبيل التنزه فصنع له المقر الشهابى أحمد بن الجيعان هناك مادة حافلة وكذلك الخواجا هاشم ناظر المارستان وما أبقى فى ذلك ممكنا ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الامراء فى يوم السبت رابع عشره رسم بقطع ثلاث رؤس من أعيان المماليك الجراكسة فقطع رؤسهم فى ذلك اليوم تحت شباك الدهيشة وأشهر تلك الرؤس على الرماح ثم علقها على باب زويلة فمنهم شخص يسمى ماماى الساقى وشخص يسمى قانبك الاشقر وهم من مماليك السلطان الغورى وكان سبب ذلك أن هؤلاء المماليك كانوا بالقاهرة وكان ملك الامراء يحسن اليهم غاية الاحسان فلما أشيع عن جان بردى الغزالى نائب الشام أنه تسلطن هناك وتلقب بالملك الاشرف تسحب هؤلاء المماليك من مصر وتوجهوا الى الشام ودخلوا تحت طاعة الغزالى فلما انكسر الغزالى وقتل وجرى له ما جرى حضر هؤلاء المماليك واختفوا فى القاهرة فغمز عليهم فلما بلغ ملك الامراء ذلك أرسل الوالى فقبض عليهم وأحضرهم بين يديه فلما مثلوا بين يديه وبخهم بالكلام فأغلظ عليه فى القول ماماى الساقى فحنق منه فرسم بقطع رقابهم بين يديه ورسم للوالى بان كل من كان عند الغزالى من المماليك وحضر الى مصر يوسطه من غير اذن ولو كان من الامراء واشتد غضب ملك الامراء فى ذلك اليوم بحيث انه حم جسده فى ذلك اليوم ولزم الفراش وانقطع عن المحاكمات ثلاثة أيام وأشيع أنه قد طلع له تساليك فى مشعره واشتد الالم عليه وانقطع عن الخروج وصار يتصدق على الزوايا

والمزارات

والمزارات بعمال له صورة وصار يذبح الذبائح من الابقار على أبواب الجوامع الكبار و يتصدق بلحومها على المجاورين بالجوامع والزوايا وفي يوم الثلاثاء سابع عشره نودي بالقاهرة عن لسان ملك الامراء معاشر كافة الناس ان كل من كان عنده مملوك من المماليك الجراكسة ممن كان عند الغزالي نائب الشام وأخفاه ولم يقربه يشنق على باب داره من غير معاودة وصارت هذه المناداة تكرر في كل يوم ثلاث مرات نحو ثلاثة أيام على لسان أربعة مشاعلية اثنان بالتركي واثنان بالعربي وقد اضطربت الاحوال في هذه الايام الى الغاية بسبب جان بردي الغزالي نائب الشام فمن الناس من يقول انه باق في قيد الحياة وأن الرأس التي قطعت غير رأسه ومن الناس من يقول انه قتل في الواقعة التي كانت على القابون وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول والاصح أنه قتل على القابون وهي ضيعة من الشام وهذه الواقعة تقرب من واقعة قانصوه خمسمائة لما شك الناس في قتله وفي يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر كانت وفاة أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب ابن أمير المؤمنين عبد العزيز المتوكل على الله وكان مولده سنة احدى وخمسين وثمانمائة وأمه تسمى آمنة وهي ابنة أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان بن محمد المتوكل على الله فهو هاشمي الابوين وكان رئيسا حشما دينا خيرا صالحا لين الجانب متواضعا ولي الخلافة في دولة الملك الناصر محمد بن قايتباي الاشرف وأقام فيها احدى عشرة سنة ونصفا و بايع أربعة من السلاطين ثم صرف عن الخلافة في دولة الاشرف الغوري وعهد الى ولده محمد المتوكل على الله وقاسى شدائد ومحنا وقد تقدم ذكر ذلك وحصل له ضعف في بصره و كان لا يقرأ ولا يكتب وكان رجلا مباركا لم يعهد له صبوة قط ومات وله من العمر نحو ثمانين سنة أو دون ذلك وكان ولده غائبا باسطنبول من حين نفاه السلطان سليم شاه ابن عثمان ولما مات رثاه الاديب البارع ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق بهذه المرثية فقال

رشق الموت في مرامي القلوب * من قسي الجوى سهام الكروب
يالها من سهام كرب عظيم * في مرامي الحشا برمي مصيب
صيرت دورنا خرابا وصرنا * بعد عز أذلة للخطوب
يالها من مذلة بعد عز * صيرتنا من عظمها في لغوب
أين خير الانام والآل والصحب * وأين الملوك أهل الحروب
قد قضى الله بالممات عليهم * مثل ماقد قضى على يعقوب
الذي كف من فراق مناه * وتلقى البلاء عن أيوب
غاب عنه ابنه فمات بحزن * كيف من يطيق فقد الحبيب
ابن عبد العزيز أعني أمير المـ * ـؤمنين النجيب وابن النجيب

صاحب العهد والخلافة والعقـ * ـد مع الحل والالوا والقضيب
قلت صبرا على الذى حل لما * قد أشان فى ذا الزمان العجيب
هاشمى أباوأما وهـذا * غاية المجد للحسيب النسيب
الذى كان للارامل والايـ * ـتام كفؤا وكان مأوى الغريب
يا يتامى ويا أرامل ضجوا * واهطلوا أعينكم بدمع سكوب
واسألوا الله أن يسكنه الفر * دوس فضلا فالله خير مجيب
والى مصر أن يجىء قريبا * ابنه فى هنا وعيش خصيب
صير الله روح والده فى * خير روح بنشر بشر وطيب
وكذا روح من رثاه بهذا * ان يمت مثله بأوفى نصيب
وكذا قانصوه أبو امتنانا * منه ماصاح ذو بكا ونحيب
قائلا والعيون تجرى عيونا * رشق الموت فى مرامى القلوب

ولما توفى الخليفة يعقوب لم يستطع ملك الامراء أن ينزل من القلعة ويصلى عليه فانه كان فى غاية الضرر من تلك التساليك التى طلعت له فى مشعره فحضر مشهد الخليفة يعقوب قضاة القضاة وبعض الأمراء فصلوا عليه ودفن عند أقاربه بالمشهد النفيسى رحمة الله عليه ودفن يوم الجمعة عشريه وتوفى بردداره الحاج على فى ذلك اليوم ودفن عقيب دفن أستاذه يعقوب وفى يوم السبت حادى عشريه خرج الامير قاسم العثمانى كزلك بك الذى حضر صحبة الاصباهية فرجع الى اسطنبول وصحبته جماعة من العساكر العثمانية الذين كانوا بمصر فاختاروا عودهم الى بلادهم باسطنبول هم وهؤلاء الذين حضروا صحبة الخلعة التى جاءت الى ملك الامراء من عند السلطان سليمان ابن عثمان وفيه حضر الى الديار المصرية القاضى بدر الدين محمد المسعودى ابن الوقاد وكان توجه الى اسطنبول مع جملة من توجه من الاسارى فأقام فى اسطنبول مدة طويلة الى أن مات السلطان سليم شاه وولى ابنه سليمان فاستأذن الوزراء فى الحضور الى مصر لتفقد أحواله ثم يعود الى اسطنبول فأذنوا له فى ذلك فحضر الى مصر وهو فى الترسيم بشاويش مرسم عليه وحضر صحبته كمال الدين برددار الامير طراباى وكمال الدين العاتق وكريم الدين الجولى ويوسف مناخير وبدر العادلى وهو معتوق الناصرى ومحمد بن فارس فلما حضروا الى مصر أقاموا بها مدة فلما انقضى الميعاد الذى قرره معهم الشاويش استحثهم على الخروج والسفر الى اسطنبول فلما كانت ليلة الرحيل اختفى القاضى بدر الدين بن الوقاد ولم يظهر فشق ذلك على الشاويش الذى كان مرسما عليهم وكان ابن الوقاد اختفى باذن ملك الامراء حتى قيل ان ابن الوقاد قدم لملك الامراء فى هذه الحركة ألف دينار فى الخفية وصار ملك الامراء يظهر الغيظ على ابن الوقاد ويشدد

فى طلبه ورسم على أصحابه وجيرانه وأظهر للشاويش الذى حضر صحبته انه محث فى طلبه والامر بخلاف ذلك ثم ان ذلك الشاويش قبض على كمال الدين برددار طراباى وعلى كمال الدين العائق ويوسف مناخير وبدر العادلى ووضعهم فى الحديد وأخرجهم من مصر على أقبح وجه وسافروا من البحر الى اسطنبول وقاسوا شدائد ومحنا وفيه توفى المعلم عبد الرحمن بن طبيلة المعامل فى الدجاج والاوز وكان علامة عصره فى هذا الفن وكان فى سعة من المال لا بأس به وله بر ومعروف وفى يوم الاثنين ثالث عشريه كان عيد النصارى وهو أول يوم من الخماسين وكان ذلك اليوم رطبا وفى السماء غيم وهذا فأل للنيل بأن يكون فى تلك السنة عاليا جدا فى الزيادة وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه حضر أولاقى من عند السلطان سليمان ابن عثمان وعلى يده مراسيم تتضمن أن كزل بك قاسم الذى حضر وعلى يده خلعة الاستمرار لملك الامراء يستقر فى نيابة حلب عوضا عمن كان بها وقيل ان كزل بك هذا رضع مع السلطان سليم شاه وقد صارت النيابات كلها بيد جماعة ابن عثمان فكزل هذا قرر فى نيابة حلب وشخص آخر يقال له اياس فى نيابة الشام عوضا عن الغزالى وقرر فرحات بك فى نيابة طرابلس وقرر قراموسى فى نيابة غزة وقد اقتسم العثمانية النيابات التى كانت بيد أعيان المماليك المصرية وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن نابتة الحنفى وكان لا بأس به ولم يظهر القاضى بدر الدين بن الوقاد ولا كريم الدين الجولى فلما طال الامر على الشاويش الذى كان توكل بهما تقلق وخرج وسافر من البحر وصحبته كمال الدين برددار الامير طراباى وكمال الدين العائق مباشر أمير اخور والخواجا عمر بن معزوز المغربى وزين العابدين حامل المزرة وبدر العادلى وحسين ويوسف مناخير فخرجوا من القاهرة على أقبح وجه من الشاويش الذى رسم عليهم فوضعهم فى الحديد وكتف بعضهم بالحبال وساقهم مشاة قدامه حتى وصلوا الى بولاق فأنزلهم فى المراكب وسافروا نحو اسطنبول وحصل لهم الضرر الشامل من الشاويش وقد حنق من ابن الوقاد والجولى وحط غبنه فى هؤلاء ولم يتأخر بمصر ممن حضر صحبته سوى بدر الدين بن الوقاد والجولى وزين الدين العجمى شفع فيه ملك الامراء من التوجه الى اسطنبول وفيه أرسل الامير على بن عمر شيخ جهات الصعيد تقدمة حافلة للسلطان سليمان ابن عثمان قيل انها قومت بستين ألف دينار وكان السلطان سليمان ابن عثمان أرسل الى الامير على بن عمر خلعة الاستمرار على حاله بمشيخة الصعيد وقد رأى الامير على بن عمر فى دولة ابن عثمان ما لم يره أحد من أجداده ولا من أقاربه من العز والعظمة والمال والجاه انتهى ذلك واستهل شهر جمادى الاولى يوم الثلاثاء فطلع القضاة الاربعة وهنأوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم ولما طلعوا الى ملك الامراء وجدوه بالاشرفية التى بجوار الدهيشة فقام اليهم وكان له مدة

وهو متوعك في جسده بسبب طلوع التساليل التي في مشعره وقد أشرف على الشفا وبرئ من ذلك العارض وفي ذلك يقول ابن قانصوه

الحمد لله ثغور الهنا * سرورنا منها أرتنا شفاه
لما الى نائبنا شاهدت * فابتسمت من فرح عن شفاه

وفي يوم الثلاثاء ثامنه ركب ملك الامراء ونزل من القلعة وقد شفي من ذلك العارض الذي كان قد اعتراه فلما نزل من القلعة توجه الى بيت الامير فرحات بك الذي قرر في نيابة طرابلس فنزل اليه وودعه وأقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وشق من الصليبة وقدامه جماعة من الانكشارية مشاة يرمون بالنفوط وقد هنأه بالشفاء الأديب البارع محمد بن قانصوه بقوله

الحمد لله زال الهم والالم * عنا البرئك والاعدا لها سقم
وقلعة الملك أضحى وجهها طلقا * من بعدما كان فيه قد بدا الكظم
وأصبحت مصر بعد الحزن في فرح * بكم وأمست بثغر البشر تبتسم
وقد غدت بلسان الحال قائلة * الحمد لله زال الهم والألم

وفي يوم الجمعة حادي عشره قدم الامير جاني بك وهو أخو الامير قايتباي الدوادار وقد تقدم القول بأنه توجه الى كشف البلاد الشامية وأرسل ملك الامراء على يده تقدمة حافلة الى الامير اياس العثماني الذي استقر في نيابة الشام عوضا عن جان بردى الغزالي فلما قابل ملك الامراء خلع عليه ونزل الى منزله وهو في غاية التعظيم وفي يوم الجمعة المقدم ذكره خرج ملك الامراء وصلى صلاة الجمعة وكان له مدة وهو منقطع لم يصل الجمعة في جامع القلعة فلما خرج من الصلاة خلع على المزينين والحكماء وقيل دخل على المزينين والحكماء ألف وخمسمائة دينار من نساء ملك الامراء ومن سراريه ومن الامير جانم الحمزاوي ومن الامير برسباى الخازندار والمهمندار والمباشرين وأرباب الدولة قاطبة ومن الامراء العثمانية وغير ذلك من أعيان الناس وفي يوم السبت ثاني عشره خلع ملك الامراء على الامير جانم الحمزاوي وخلع على الامير جانم كاشف الفيوم وقرره في امرية الحاج على عادته وخلع على الامير واصل بن الاحدب شيخ جهات الصعيد وقرره على عادته في مشيخته وفيه قدمت الاخبار بأن الامير فرحات الذي عين في نيابة طرابلس لما وصل الى الصالحية وجد العربان هناك مفتتنة فأرسل يطلب من ملك الامراء نجدة فان العربان قد ثاروا عليه في الطريق وكادوا يقتلونه فأرسل اليه جماعة من الكملية والاصباهية بسرعة على الفور حتى أدركوه واستمروا معه الى طرابلس وكانت العربان في هذه الايام في غاية الفساد في البلاد الشامية من عربان بني عطاء وبني عطية وفي يوم الاحد عشريه توفي القاضي بدر الدين محمد المعروف بابن العبسي ناظر

ديوان الاحباس وكان رئيسا حشما حسن السيرة وكان لا بأس به وفى يوم الخميس رابع عشريه وقع أن ملك الامراء تغير خاطره على شخص من الخدام يقال له مثقال فقطع أنفه وأذنيه ورسم بنفيه الى مكة فنزل من القلعة والدم يقطر من أنفه وأذنيه ولم يكن له ذنب كبير يوجب ذلك وفيه حضر جماعة كثيرة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاه أسرهم وأخذهم من مصر فلما مات السلطان سليم شاه ابن عثمان واستقر سليمان ولده بعده رسم بعود الاسرى قاطبة الى بلادهم ورأف بهم وأظهر العدل فيهم فحضر منهم جماعة فى هذا الشهر منهم شهاب الدين أحمد بن قريميط ومحيي الدين وزين الدين بن بهاء الدين أحد كتاب المماليك والخواجا أبو الطيب بن الرئيس يحيي المزين وعبد الحفيظ بن الفار تاجر بالهرامزة وأبو الفضل ابن بركات السمسار فى البعلبكى وتاج الدين بن ابراهيم ابن القاضى سالم وبدر الدين محمد مباشر الامير انسباى حاجب الحجاب وآخرون لم تحضرنى أسماؤهم الآن وفى يوم الاثنين ثامن عشريه ظهر كريم الدين المجولى وبدر الدين السعودى ابن الوقاد وقد تقدم القول فى سبب اختفائهما من الشاويش الذى كان مترسما عليهما وحثهما على الخروج الى الاسطنبول وفى شهر جمادى الآخرة وكان مستهله يوم الاربعاء طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الخميس ثانى الشهر خرج الامير جانم الحمزاوى وقصد التوجه الى اسطنبول وكان ملك الامراء عينه الى السفر الى السلطان سليمان بتقدمة كما كان يرسلها الى والده سليم شاه وقيل ان هذه التقدمة التى أرسلت على يد الامير جانم الحمزاوى قومت بمائتى ألف دينار أو فوق ذلك فخرج الامير جانم الحمزاوى فى موكب حافل ولم يشق من القاهرة بل خرج من الترب وكان الامير جانم الحمزاوى يومئذ من أرباب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة ورأى من العز والعظمة فى دولة ملك الامراء خاير بك مالم يره غيره من الامراء وأشيع أن ملك الامراء رسم لكريم الدين المجولى بان يسافر الى اسطنبول صحبة الامير جانم الحمزاوى وأما القاضى بدر الدين السعودى بن الوقاد فاشيع أنه قدم لملك الامراء ألف دينار حتى أقام بمصر وكاتب عنه ملك الامراء بأنه لا يستطيع السفر الى اسطنبول وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد السمديسى الحنفى الذى كان ولى قضاء الحنفية فى دولة الغورى بحلب وكان السلطان سليم شاه ابن عثمان لما انكسر الغورى ومات بحلب وملك سليم شاه حلب قبض على السمديسى وأرسله من هناك الى اسطنبول فأقام بها حتى رسم السلطان سليمان بعود الاسرى الى بلادهم فحضر السمديسى مع جملة من حضر الى مصر وحضر صحبته محب الدين الحنبلى الذى كان مقيما بالخانقاه الشيخونية وحضر أبو الفوز بن الحصانى وأفضل الدين موقع السلطان طومان باى وحضر شمس الدين محمد المقسمى أحد نواب الشافعية فحضر هؤلاء كلهم من البحر المالح من دمياط

وفيه دخل الامير جانم الجزاوى من الخانكاه وسافر وفيه حضر من اسطنبول المهتار محمد الخولى مهتار السلطان الغورى وحضر من التجار ابن أبى عوانة البرلسى وآخرون وفيه استقر فى نيابة جدة شخص من تجار الاروام يقال له عيسى قراقرز فى نيابة جدة عوضا عن حسين الذى كان بها وفى هذا الشهر ظهر شمس الدين محمد بن ابراهيم الشرابيشى الذى كان متحدثا فى أوقاف الزمامية وكان له مدة من حين حضر من اسطنبول فى الخفية فظهر لما أفرج السلطان سليمان بن عثمان عن الاسرى الذين كانوا باسطنبول وفى يوم الاربعاء خامس عشره توفى القاضى محيى الدين النبراوى أحد نواب الحنابلة وكان عالما فاضلا علامة فى مذهبه مات وله من العمر مائة سنة وسنتان بعدها وهو آخر نواب الحنابلة ممن ولى عن قاضى القضاة عز الدين العسقلانى وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد المنوفى صاحب ملك الامراء وكان لا بأس به وكان له فيه اعتقاد عظيم بالصلاح وفيه توفى الشيخ عبد الصمد خطيب المدرسة الجيعانية وكان لا بأس به ❁ ومن الحوادث أنه فى يوم الجمعة سابع عشره ثارت فتنة عظيمة بين الاصباهية والانكشارية وغلقوا باب القلعة ومنعوا القاضى الشافعى أن يطلع القلعة ويصلى بملك الامراء صلاة الجمعة واستمرت هذه الفتنة عمالة بين الفريقين يومين وصارت الانكشارية ينزلون من القلعة مشاة ويقتتلون مع الاصباهية فى الرميلة ويطردونهم الى الصليبة فقتل من الاصباهية شخص من أعيانهم فلما تزايد الامر دخل بينهم أغواتهم والكيخية الكبير فأصلحوا بينهما فاصطلحا على فساد وخمدت هذه الفتنة ولله الحمد وفيه قدمت الاخبار بان عربان الشرقية قد خرجوا عن الطاعة وأظهروا العصيان ونهبوا الضياع فعند ذلك عين ملك الامراء قايتباى الدوادار وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة بأن يخرجوا الى العربان ويحاربوهم فخرج الامير قايتباى من يومه على جرائد الخيل وتوجه الى بلبيس وأقام بها ثم أشيع أن الامير قايتباى قد وقع بينه وبين شيخ العرب بيبرس بن بقر واقعة وكبس عليه تحت الليل فهرب منه وأظهر العصيان فتوجه الى نحو الطور وأقام به فلما أظهر العصيان بيبرس بن بقر اضطربت أحوال الشرقية الى الغاية حتى أشيع أن ملك الامراء قصد أن يخرج الى العربان بنفسه فان سبع طوائف من العربان كلهم تحالفوا على العصيان والخروج عن الطاعة منهم بنو عطية وبنو عطا وبنو حرام وغير ذلك من طوائف العربان المفسدين ثم ان ملك الامراء خلع على الامير أحمد بن بقر واستقر به فى مشيخة الشرقية عوضا عن أبيه بيبرس وفى شهر رجب وكان مستهله يوم الخميس اتفق أن ذلك اليوم كان عيد ميكائيل ونزلت النقطة بالليل مستهل الشهر فتفاءل الناس بان النيل سيكون فى تلك السنة عاليا مباركا فى أوله طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاحد رابعه قبض ملك

الامراء على شخص من الاصباهية قتل شخصا من المماليك السلطانية فى محل سكر فغضب على قتله خير الدين بك نائب القلعة فربطوه فى ذنب اكديش وهو على ظهره ثم سحبوه وطلعوا به الى القلعة وشنقوه ومضى أمره وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه الى قصر ابن العينى الذى بالنشية وأقام هناك الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وكان له مدة لم يتنزه فى الروضة ولا غيرها من المتنزهات وسبب ذلك العارض الذى طلع له ولم يختم الى الآن وفيه قدم جماعة من اسطنبول ممن كانوا هناك من أهل مصر وأشيع أن السلطان سليمان نادى فى اسطنبول بأن الجماعة الاسرى الذين من أهل مصر يرجعون الى بلادهم ولا يتأخر منهم أحد وكل من تأخر منهم شنق فلم يتأخر باسطنبول سوى سيدى على ابن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وابن السلطان الغورى والناصرى محمد بن خاص بك ومن المباشرين محمد بن صلاح الدين بن الجيعان وعبد القادر بن الملكى وعبد الكريم أخى الشهابى أحمد بن الجيعان وآخرين من أعيان الديار المصرية فحضر من جملة من حضر من اسطنبول القاضى شمس الدين محمد الحلبى أحد نواب الشافعية وحضر القاضى شمس الدين محمد الدمياطى أحد نواب الشافعية بالديار المصرية وولى أمانة الحكم أيضا ۞ ومن العجائب أنه لما حضر الى القاهرة حصل له توعك فى جسده فى مدة اقامته فى البحر المالح فلما وصل الى منزله أقام به ليلة واحدة ومات رحمة الله عليه فكان ترابه بمصر وحضر زين الدين المتوفى الموقع وابن عمه أفضل الدين وحضر نور الدين على بن عبد الغنى مباشر الدشيشة وحضر عبد العزيز السمسار فى البهار وحضر عبد العظيم بن أبى غالب المباشر وحضر القاضى شهاب الدين أحمد بن الهيثمى أحد نواب الحنابلة وحضر شمس الدين محمد بن عبد العظيم أحد كتاب المماليك وحضر يحيى بن يحيى مقدم الخاص وحضر الخواجا أبو بكر الهاشمى وحضر عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخاناه وولده زين الدين وحضر ابن الطنساوى يحيى مباشر الديوان المفرد وحضر ابن السيرجى وغير ذلك وفيه قدم شخص من الامراء العثمانية يقال له نصوح بك فلما بلغ ملك الامراء قدومه نزل اليه ولاقاه من عند تربة العادلى ودخل صحبته وشق من القاهرة وهو راكب عن يمينه فأنزله فى بيت الامير ازدمر الدوادار ورتب له فى كل يوم ما يكفيه من دجاج وغنم واوز وسكر ودقيق وغير ذلك وأشيع أنه يقيم بمصر عوضا عن فرحات الذى قرر فى نيابة حماه وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره نزل اليه ملك الامراء وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار برسم النفقة على جماعته وفى يوم الخميس خامس عشره طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل المبارك فجاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية أصابع وفى يوم الجمعة سادس عشره حضر الامير قايتباى الدوادار من الشرقية وقد تقدم القول على انه توجه الى الشرقية بسبب

العربان وفسادهم وعصيان بيبرس بن بقر فلما رحلوا الى الطور رجع الامير قاينباى الدوادار الى القاهرة وحضر القاضى بركات بن موسى المحتسب صحبته فانه كان توجه الى الشرقية أيضا وفيه توجه ملك الامراء الى الجزيرة الوسطى وسبب ذلك أن الامير تمر الناظر على وقف الدشيشة كان قد صنع هناك مركبا عظيمة بسبب حمل مغل الدشيشة وكان طولها مائة وعشرين ذراعا وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعد ومبيت واسطبل للخيل فعرضها على ملك الامراء ثم فك أخشابها وأرسلها على ظهور الجمال الى الطور ومن هناك يرسلها الى البحر المالح فلما نزل اليه ملك الامراء مدّ له مادة حافلة وأقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وفيه قدمت الاخبار من دمشق بأن جماعة من عربان دمشق ثاروا على نائب الشام الامير اياس بك فلما خرج اليهم ووقع معهم انكسر وجرح وردّ الى الشام وهو مكسور من العرب وقتل من عسكر الشام ما لا يحصى ومن عربان جبل نابلس أيضا وكانت فتنة مهولة بدمشق وفيه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة العادلى ثم دخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل والامير تمر صحبته فلما شق من القاهرة ارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وفى شهر شعبان وكان مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى منازلهم وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بأن طائفة من طوائف الفرنج يقال لها انكرس قد تحالفوا على قتال السلطان سليمان ابن عثمان فلما تحقق ذلك جمع العساكر من كبير وصغير وخرج من اسطنبول وتوجه الى قتالهم فى الجم الكثير من العساكر والفرسان وفيه تغير خاطر ملك الامراء على شخص من الاتراك يقال له جان قلج فسجنه بالعرقانة وأوعده بالتوسيط وكان سبب ذلك أنه كان ساكنا فى بيت شخص من أبناء الناس وهو ابن الامير شاهين الجمالى الذى كان ناظر الحرم النبوى فانكسرت عليه أجرة المكان فطالبه ابن شاهين فلم يعطه شيأ وسبه سبا فاحشا فطلع ابن شاهين وشكاه الى ملك الامراء فأرسل خلف جان قلج فلم يطلع فى ذلك اليوم وأساء على قاصد ملك الامراء فبلغ ملك الامراء ذلك ثم ان جان قلج طلع بعد ذلك الى ملك الامراء وقابله فقبض عليه وسجنه بالعرقانة وكان تقدم له مع ملك الامراء واقعة مهولة فاستمر فى نفس ملك الامراء منه أشياء كمينة وكان جان قلج عنده بادرة وكلامه يابس كثير الفجور ومن الحوادث المهولة أيضا واقعة سيدى عمر ابن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق وذلك أن سيدى عمر كان متزوجا بابنة الامير جانم الاشرفى الذى كان نائب الشام وكانت زوجة تمراز التمشى فكان له رزقة وقفها عليها وبها فلاحون فلما تزوج بها سيدى عمر تكلم على جهاتها فقيل انه جار على فلاحى تلك الرزقة ولم يعش لهم أمر الشراقى فى الحصة فتضرر الفلاحون لذلك فوقفوا الى ملك الامراء وشكوا له

من سيدى عمر بأنه قد جار عليهم وأخذ منهم أزيد من الخراج عن المقطعين بالناحية فأرسل اليه ملك الامراء يقول له انظر فى حالهم ولا تجر عليهم فقال سيدى عمر وايش كان ملك الامراء حتى يدخل بينى و بين فلاحينى فى شئ ليس له فيه شغل فبلغ ملك الامراء ذلك فتغير خاطره على سيدى عمر فأرسل اليه قاصدا فأغلظ عليه فى القول ولم يطاع فحنق منه ملك الامراء وأرسل اليه جماعة من الانكشارية فقبضوا عليه غصبا وبهدلوه وطلعوا به الى القلعة فلما دخلوا الى الحوش قبضوا عليه وأدخلوه العرقانة فسجن بها و بات تلك الليلة وأقام بها الى ظهر اليوم الثانى حتى شفع فيه بعض الامراء فمضى الى داره بعد أن قاسى غاية البهدلة من الانكشارية فما شكر أحد من الناس ملك الامراء على هذه الفعلة الناحشة لانه لا يستحق ذلك كله وفى هذا الشهر كانت وفاة الشيخ زين الدين المغربى وكان صالحا معتقدا دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان مقيما بمقام الامام الشافعى رضى الله عنه وكان لا بأس به وفى يوم الخميس ثامن عشرى هذا الشهر قدم شخص من عند السلطان سليمان ابن عثمان يقال له محمد بن ادريس ويعرف بقلقسز الدفتردار وصحبته شخص يقال له الامير كمال فلما وصل الى تربة العادلى نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هناك ثم دخل هو واياه من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل وقدامه الانكشارية والكملية مشاة يرمون بالنفوط فاستمر فى ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة وأنزل الدفتردار فى بيت الامير يشبك الدوادار الذى فى حدرة البقر ومد له هناك مادة حافلة وأنزل الامير كمال فى مكان آخر وأشيع أن الامير كمال حضر بروم الحج الى بيت الله الحرام والدفتردار حضر بسبب ضبط مال الثغور من الجهات المصرية وفى شهر رمضان وكان مستهله يوم السبت وكان الهلال عسر الرؤية على خمس درج وقيل على أربع درج فرآه بعض الناس وثبت عند القاضى زكرياء أحد نواب الشافعيه وركب القاضى بركات بن موسى من المدرسة المنصورية بعد المغرب وقدامه المشاعل والفوانيس وشق من القاهرة فى موكب حافل على العادة وفى يوم السبت مستهل الشهر كان وفاء النيل المبارك اوفى الله تعالى الستة عشر ذراعا وست أصابع من الذراع السابع عشر ثم فتح السد يوم الاحد ثانى شهر رمضان الموافق لحادى عشر مسرى ووقع فى دولة الاشرف قايتباى أن السد فتح فى أول يوم من رمضان فلما أوفى النيل نزل ملك الامراء الى المقياس وخلق العامود ونزل فى الحراقة وتوجه الى السد ففتحه على جارى العادة وكان ذلك اليوم مشهودا فى الفرجة والقصف كما يقال فى المعنى

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره
والوفاء عمود من أصابعهم * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وفى يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان صعد الدفتردار محمد بن ادريس الى القلعة واجتمع الامراء

العثمانية بالقلعة وقرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان فكان من مضمونه التوصية بالرعية غاية الوصية وان ملك الامراء ينظر فى اصلاح المعاملة من الذهب والفضة فوقع فى المجلس بعض تشاجر بين الدفتردار وبين ملك الامراء بسبب ذلك فقال ملك الامراء أنا ما أغير معاملة السلطان سليم شاه ولا أخرج عما وقع فى أيامه من أن الاشرفى الذهب يصرف فى المعاملة بخمسين نصفا على العادة ثم ان ملك الامراء رسم باحضار التجار فلما طلعوا الى القلعة تكلموا معهم فى أمر صرف الاشرفى الذهب الواسع بخمسين نصف فضة فتضرروا من ذلك وقالوا ما يوافقنا أحد من الناس على ذلك وانفض المجلس ما نعا من ذلك ثم ان القاضى بركات بن موسى المحتسب تكلم مع ملك الامراء بأن يصرف الاشرفى الذهب بخمسة وأربعين نصفا وقيل بخمسة وأربعين عثمانيا وفى البيع والشراء بخمسة وأربعين نصفا فوقع الاتفاق على ذلك ونودى فى القاهرة بذلك فسكن الاضطراب قليلا ثم ان القاضى بركات جعل القاضى حمزة العثمانى متكلما على دار الضرب ثم بعد ذلك لم يتم أمر صرف الاشرفى الذهب الواسع بخمسة وأربعين نصفا وصار يصرف بأربعين نصفا وعز وجود الفضة جدا وصار الاشرفى الذهب يصرف بمشقة زائدة من السوقة ويعطون فيه النصف فضة والنصف فلوسا جدا وحصل للناس الضرر الشامل وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بأنه وقع بها طاعون عظيم وصار يموت بها فى كل يوم ما لا يحصى وفيه توجه الدفتردار الذى حضر الى ثغر دمياط والبرلس وثغر الاسكندرية أيضا بسبب جبى الاموال التى أضيفت الى خزائن الخنكار بالروم فخرج الدفتردار وصحبته القاضى حمزة وفى أثناء هذا الشهر حضر جماعة من اسطنبول مع جملة من حضر منهم فحضر القاضى علاء الدين ابن الامام ناظر الخاص وأخوه وحضر القاضى أبو البقاء ناظر الاسطبل وأخوه يحيى وحضر من نواب القضاة القاضى شمس الدين محمد العبادى أحد نواب الشافعية والقاضى شمس الدين بن وحيش أحد نواب الشافعية وحضر القاضى شمس الدين محمد الابشادى أحد نواب المالكية وحضر بدر الدين بن الرومى وحضر القاضى ابن عرفات أحد نواب الشافعية وحضر تقى الدين العزيزى الشافعى وحضر الشهابى أحمد بن نصر الله ناظر دار الضرب وحضر بدر الدين محمد بن خازوقه مباشر الامير علان الدوادار وحضر أحمد السكندرى الشطرنجى رفيق ابن الورد وحضر أبو البقاء بن السيرجى وحضر بدر الدين بن الهيصم وآخرون من المباشرين والقضاة والاعيان لم تحضرنى أسماؤهم الآن وأشيع أن السلطان سليمان نصره الله تعالى أعتق جميع الاسرى الذى كانوا باسطنبول من أهل مصر ولم يبق فيها سوى أولاد السلاطين وجماعة من المباشرين ومن أولاد الجيعان ممن تقدم ذكرهم وجماعة من أعيان الديار المصرية وأما الامراء الجراكسة والمماليك الجراكسة الذين

كان

كان السلطان سليم شاه نفاهم الى اسطنبول فلما ولى ابنه سليمان لم يأمرلهم بالعود الى مصر ولم يقبل فيهم شفاعة واستمروا فى بلاد الروم الى الآن وأشيع أن السلطان سليم شاه ابن عثمان كان أرسلهم الى مكان يحاصرون فيه الفرنج وقد خمدت أخبارهم فلما حضر هؤلاء الجماعة من اسطنبول أشاعوا أن السلطان سليمان شاه ابن عثمان قد خرج الى القتال بسبب الفرنج ولم يرد من عنده خبر من حين توجه اليهم وأخبر الجماعة الذين قدموا من اسطنبول أن القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص يوسف حصل له فى عقله ذهول وحصل له ضيق معيشة وصار يشترى عشاءه وغداءه من الطباخ فى زبدية ويحملها بنفسه على يده وهو لابس كنبك لباد أبيض وقاسى شدائد ومحنا وأخبروا عن زين العابدين ابن قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل أنه تسحب من اسطنبول ولم يعلم له خبر من حين خرج وكانت جماعة من الشاوبشية ينصبون على من هنالك من الاسرى من أهل مصر ويقولون نحن نسافر بكم من اسطنبول فى الخفية ونتوجه بكم الى مصر فيخرجونهم من اسطنبول ويقتلونهم فى الطريق ويأخذون ما معهم من مال وقماش وقد فعلوا مثل ذلك بكثير من أهل مصر ممن كان باسطنبول ولم يعلم لهم خبر الى الآن وفى يوم السبت خامس عشر شهر رمضان قدمت الملكة خاتون عمة السلطان سليمان بن عثمان وولدها مصطفى صحبتها وأشيع أنها قدمت الى مصر تروم حج بيت الله الحرام فأكرمها ملك الامراء غاية الاكرام وأنزلها فى مكان مطل على بركة الفيل ورتب لها فى كل يوم أسمطة حافلة لها ولجماعتها الذين قدموا معها من بلاد الروم وفى يوم الخميس عشريه وقع فيه كائنة يحيى ظلام وكان يتجر فى السكر وله مطبخ يعمل فيه السكر فاستمر على ذلك مدة طويلة ثم انه بعد ذلك انكسر وتجمد عليه جملة ديون كثيرة بحيث أشيع عنه انه تجمد عليه نحو أربعين ألف دينار فلما انكسر طالبه أصحاب الديون وكان المال لاقوام من تجار خان الخليلى وغيرهم فلما طال الامر عليهم شكوه الى ملك الامراء فرسم عليه ملك الامراء مدة طويلة بجماعة من الانكشارية حتى يرضى أصحاب الديون فاستمر فى الترسيم مدة طويلة وكان ملك الامراء قرر عليه وألزمه بأن يرد لاصحاب الديون فى كل شهر خمسة آلاف دينار فما قدر على ذلك وعجز عن ايراد ذلك القدر وكان ملك الامراء حلف يمينا برأس السلطان سليمان ابن عثمان ان لم يرض أصحاب الديون فى حقوقها والا يوسطه فلما ضاق عليه الامر خنق نفسه تحت الليل وأصبح ميتا ثم أشيع أن الانكشارى الذى كان مرسما عليه خنقه تحت الليل وأخذ ما كان معه من المال الذى كان يورده لاصحاب الديون على أول الشهر وأشاع عنه أنه قد خنق نفسه وأصبح ميتا ومضى أمره الى حال سبيله وفى يوم الخميس سابع عشرى شهر رمضان كان يوم النوروز وهو أول يوم من السنة القبطية وهى سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبطية خراجية ففى ذلك اليوم بلغ

النيل فى الزيادة سبع عشرة اصبعا من تسعة عشر ذراعا واستمر عمالا فى الزيادة وفى يوم
السبت تاسع عشرى شهر رمضان وقع فيه من الحوادث كائنة سيدى عمر ابن الملك المنصور
عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وذلك ان القول تقدم بما وقع لسيدى عمر مع ملك الامراء
بسبب أمر الفلاحين فاستمر سيدى عمر تابع غلاظه مع الفلاحين كما تقدم فوقفوا وشكوه
الى ملك الامراء ثانيا فتغير خاطره على سيدى عمر واحتد منه فأرسل اليه نقيب الجيش فقال
له رسم ملك الامراء بأن تقوم فى هذه الساعة وتتوجه الى دمياط فاستمر عنده حتى كتب
وصيته وقام وركب من وقته وتوجه الى بولاق ونزل فى مركب وسارت به الى نحو دمياط فهذا
كله بسبب الفلاحين من صلابة سيدى عمر وقوة راسه وقلة درايته حتى اتسعت هذه الحادثة
بينه و بين ملك الامراء على هذا الامر القشروى الذى لم يستحق هذا كله ووقعت له هاتان
الكائنتان فى شهر واحد فشق ذلك على ملك الامراء و على الناس قاطبة فوقع له البهدلة
من ملك الامراء مرتين الاولى بسجنه فى العرقانة والثانية بنفيه الى دمياط وركوبه على
بغلة وهو متوجه الى بولاق فلما جرى ذلك توجه عيال سيدى عمر الى بيت الملكة خاوند
عمة السلطان سليمان ابن عثمان وترامو اعليها فى أن تشفع عند ملك الامراء فى عود سيدى
عمر من النفى فأرسلت الى ملك الامراء ولدها مصطفى بك فشفع عنده فى سيدى عمر بأن يعود
الى داره فقبل شفاعة الملكة خاوند ورسم بعود سيدى عمر الى منزله فعاد بعد ما سار فى البحر
يوما وليلة فلما عاد تخلقت عياله بالزعفران ودقت له على بابه الطبلخانات والزمور وهنوه
بالسلامة وفى سلخ شهر رمضان حضر الدفتردار محمد بن ادريس الذى كان توجه الى دمياط
والبرلس و بقية الثغور بسبب جبى الاموال التى أضيفت الى خزائن مولانا السلطان
سليمان فلما وصل الى بولاق نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هناك واستمر معه حتى أوصله
الى منزله وفى شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاثنين وقد ثبتت رؤية الهلال بعسر فان
هلال رمضان ثبت على يد القاضى زكريا أحد نواب الشافعية وشك الناس فى ذلك وقالوا ان
ذلك اليوم الذى صاموه كان آخر يوم من شعبان فوقع الشك بسبب ذلك وما لاقى القاضى
زكريا خيرا من الناس بسبب ان هلال رمضان ثبت عنده وكانت الميقاتية حكموا بأنه لا يرى
فى تلك الليلة أبدا فلما كان هلال شوال أرسل ملك الامراء يقول للقاضى الشافعى أنتم أثبتم
هلال رمضان على أربع درج وقد شك الناس فى ذلك فما تفعلون فى هلال شوال فارسل
يقول له قاضى القضاة الشافعى هلال رمضان قد ثبت حقا وقامت به البينة وزكيت وغدا
من شوال محقق ثم ان قاضى القضاة الشافعى نادى فى القاهرة أن غدا من شوال وهذا
ما اتفق قط ان ينادى قبل رؤية الهلال أن غدا من شوال فعد ذلك من النوادر وكان موكب
العيد حافلا بالقلعة وفيه كان دخول المقر الشهابى احمد بن الجيعان على ابنة الامير خاير بك

كاشف الغربية أحد الامراء المقدمي الالوف وهي التي كانت زوجة الامير تاني بك الخازندار أحد الامراء المقدمين وكانت غير محمودة السيرة في أفعالها وقبل ذلك بمدة يسيرة تزوج القاضي أبو بكر بن الملكي بابنة الامير قانصوه المعروف بابي سنة أحد الامراء المقدمين ولا ينكر ذلك عليهم في هذا الزمان وفيه قدمت الاخبار بان السلطان سليمان ابن عثمان لما توجه الى قتال الفرنج أوقع معهم وكان بينهم واقعة مهولة وقتل من عسكره مالا يحصى عدده وقتل في معركته الامير قانصوه العادلي الذي كان توجه الى اسطنبول وقد انتصر السلطان سليمان على الفرنج نصرة عظيمة ثم خمدت هذه الاشاعة من بعد ذلك وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك وفي يوم الخميس ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل الامير جانم كاشف الفيوم على العادة وخرجت صحبته الملكة خاتون عمة السلطان سليمان وولدها مصطفى بك فطلب الامير جانم طلبا حافلا وكان به ست عجلات تسحبها الاكاديش وعليها عدة مكاحل نحاس ومدافع بحجر بسبب قتال العربان الذين في طريق الحجاز فانه كان في السنة الماضية في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان وفي يوم الاربعاء رابع عشريه نودي في القاهرة عن لسان ملك الامراء بانه لامملوك ولا عثماني يلبس زنطا أحمر ولا أولاد الناس أيضا ومن لبس زنطا بعد المناداة شنق من غير معاودة في ذلك ثم أشيع أن ملك الامراء رأى عبيدا وغلمانا بجمقدارية وهم بزنوط حمر فقال امضوا بهم الى بيت الوالي يشنقهم فشفع فيهم بعض الامراء ثم أشيع أن ملك الامراء رسم للامراء الجراكسة بأنهم لا يلبسون سرموجة تركية ولا يطلعون بها الى القلعة وهذا كله عين المقت للجراكسة وبغضا فيهم قاطبة وفي يوم السبت سابع عشريه الموافق لاول يوم مرمن بابه من الشهور القبطية ثبت النيل المبارك على ثلاث وعشرين اصبعا من عشرين ذراعا فكان منتهى الزيادة عشرين ذراعا الا اصبعا واحدة وكان نيلا عظيما الى الغاية وللناس مدة طويلة مارأوا نيلا مثل هذا فنتكت الناس في الفرجة والقصف وسكن غالب بيوت الجسر بعدما كان آل الى الخراب وتهدمت بيوته وكاد أن يبقى مثل الجزيرة الوسطى في خرابها وفي شهر ذي القعدة وكان مستهله يوم الاربعاء طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الجمعة ثالثه نودي في القاهرة عن لسان ملك الامراء بأن لا أمير من الجراكسة ولا خاصكي يركب وخلفه بغل وعليه غلام راكب بل يمشي على طريقة العثمانية في أفعالهم بأخذ الغلام الغاشية على كتفه ويمشي قدامه وفي يوم الاربعاء ثامن الشهر أنفق ملك الامراء الجامكية على المماليك الجراكسة بعدما عوق جوامكهم وعليقهم ستة أشهر حتى عاينوا الموت من ضيق الحال بهم فصرف لهم ثلاثة أشهر وأخر

لهم ثلاثة أشهر ولم يصرف لهم العليق فقبض ذلك اليوم كل مملوك من الجراكسة احد عشر أشرفيا ذهبا وثمانية انصاف من الذهب العثمانى فأقاموا عليهم كل أشرفى ذهب بأشرفيين فضة نخسر وا فى صرف كل أشرفى عشرة أنصاف فضة فكانت خسارتهم فى العشرين أشرفيا خمسة أشرفية ونصفى فضة فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك بعد صبرهم ستة أشهر وأخر العليق عنهم وأشيع أن الديوان مشحوت غاية الانشحات وان ملك الامراء عليه ستون ألف دينار والمباشرون استخرجوا من البلاد القسط الاول أربعة أشهر معجلا من مغل سنة سبعة وعشرين وتسعمائة قبطية خراجية قبل ان يفى النيل ويزرع الفلاحون وتروى الاراضى فحصل للفلاحين غاية الضرر من ذلك ورحل بعض فلاحين بسبب ذلك الظلم والجور وقد انحط سعر الغلال عما كان أولا من الارتفاع وكان سبب انشحات الديوان أن المال الذى يجىء صار ينقسم على سبع طوائف من العسكر وهم المماليك الجراكسة وأمراؤهم الذين تأخروا بمصر ثم الاصباهية وأمراؤهم الذين تأخروا بمصر ثم الصوباشية والانكشارية والكملية ثم مماليك ملك الامراء وذلك خارج عن كافة من يرد من المملكة الرومية من القصاد والمترددين من اسطنبول وغيرها فكان ملك الامراء ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة وقد بلغنى ممن أثق به انه كان متحصل خراج مصر فى دولة ابن عثمان لما ملكوها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومن المغل ستمائة ألف اردب منها ثلثمائة ألف اردب قمح وثلثمائة ألف اردب شعير وفول وغير ذلك وأين هذا القدر مما كان عليه خراج مصر فى الزمن القديم نقل الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخطط قد بلغ خراج مصر فى زمن القبط عند تلاشى أحوال مصر مائة ألف ألف دينار وثمانين ألف ألف دينار وكان جملة خراجها فى زمن الفراعنة ألف ألف دينار بالدينار الفرعونى وهو ثلاثة مثاقيل من مثاقيلنا الآن وكان مساحة أراضى مصر فى زمن الفراعنة مائة ألف ألف فدان وثمانين ألف ألف فدان تزرع غير البور وجبى خراج مصر فى زمن عمرو ابن العاص على عبد الله بن أبى سرح فى صدر الاسلام اثنى عشر ألف ألف دينار غير الدنانير المتعامل بها الآن وجبى خراج مصر فى أيام الامير أحمد بن طولون مع وجود الرخاء أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس والغلال وجبى خراج مصر فى أيام الاخشيدية فكان ألفى ألف ألف دينار غير دنانير الآن وجبى خراج مصر فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فكان اثنى عشر ألف ألف دينار مع تلاشى أحوال مصر وانحطاط خراجها الى ذلك وكان موجب انشحات الديوان فى أيام ملك الامراء خاير بك ان الاصباهية والانكشارية والكملية لما استقروا بمصر رتب ملك الامراء جوامك فى كل شهر فكان يعطى جماعة من الاصباهية فى كل شهر ستين دينارا وجماعة منهم خمسين دينارا

وجاعة منهم اربعين دينارا وجماعة منهم ثلاثين دينارا وباقيهم عشرين وأما الانكشارية فكان الغالب فيهم من كانت جامكيته كل شهر خمسة عشر دينارا وباقيهم اثنى عشر دينارا وأما الصوباشية فلهم فى كل شهر ثلاثون دينارا الكل واحد وأما الكملية فكان الغالب فيهم من كانت جامكيته فى كل شهر اثنى عشر دينارا وجماعة عشرة دنانير وجماعة منهم ثمانية دنانير وهذا كله خارج عن جوامك مماليك ملك الامراء واما المماليك الجراكسة فان ملك الامراء رتب لكل واحد منهم فى كل شهر سبعة دنانير فى نظير الجامكية واللحم وذلك خارج عما رتب للامراء الجراكسة القاطنين بمصر وذلك خارج عن انعام ملك الامراء المترددين من المملكة الرومية وغيرها حتى قيل كان يصرف ملك الامراء على ما ذكرناه فى كل سنة نحو ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار فبواسطة ذلك كله ضاق الحال عن صرف الجوامك فى كل شهر وأما المال الذى كان يرد من ثغر الاسكندرية ودمياط والبرلس وجدة وغير ذلك من الثغور فانه كان يحمل الى خزائن السلطان سليم شاه وولده السلطان سليمان نصره الله فلا يتعرض ملك الامراء لشئ من ذلك وما كان يستخرج غير خراج الشرقية والغربية والبحيرة وجهات الصعيد فقط لا غير فان قال قائل ان السلطان الغورى كان يسد أمر الجوامك فى كل شهر وكان العسكر أكثر من ذلك والامراء أربعة وعشرون مقدم ألف غير الامراء الطبلخانات والعشراوات والخاصكية فوق الالف خاصكى أقول ان السلطان الغورى كان يستعين على ذلك بكثرة المصادرات للمباشرين وأعيان التجار وغير ذلك من مساتير الناس وكان يرد عليه أموال الثغور وأموال البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وغير ذلك من الجهات والآن البلاد الشامية والحلبية فى غاية الاضطراب ولم يرد منها شئ من الاموال فبموجب ذلك ضاق الامر من المال على ملك الامراء ونرجو من الله اصلاح الحال وفى يوم الاثنين ثالث عشره خرج الدفتردار محمد بن ادريس وتوجه صحبته ملك الامراء الى تربة العادلى وكذلك الامراء قاطبة وخرج صحبته جماعة كثيرة من الاصباهية والانكشارية فتوجه طائفة منهم فى البحر وأشيع انهم توجهوا الى اسطنبول بطلب من السلطان سليمان نصره الله وقد بلغه انهم يشوشون على أهل مصر غاية التشويش فأرسل أخذ منهم خمسمائة انسان من الاصباهية والانكشارية وأراح الله المسلمين منهم فانهم كانوا من كبار المفسدين فخرج الدفتردار فى ذلك اليوم فى موكب حافل كما تقدم وفيه كانت وفاة الناصرى محمد ابن الامير جانى بك كوهية وكان رئيسا حشما ديناخيرا من أولاد الناس حسن السيرة لا بأس به وفيه قدم من اسطنبول سيدى محمد بن الكويز وكان توجه الى نحو اسطنبول مع جملة من أسر من أهل مصر فلما أفرج السلطان سليمان عنهم حضر الى مصر وكان حسن

السيرة فى التحدث فى أمر المواريث وفى يوم الثلاثاء رابع عشره حضر أولاق من عند السلطان سليمان وعلى يديه مراسيم تتضمن انه قد انتصر على الفرنج نصرة عظيمة وفتح عدة مدائن من مدائن الفرنج وملك عدة قلاع من قلاعهم وصار كلما ملك مدينة من مدائنهم يجعل كنائسهم جوامع بمحاريب ومنابر وخطب باسمه فيها وكانت هذه النصرة على غير القياس فلما تحقق ملك الامراء ذلك رسم بدق البشائر فى القلعة ونادى فى القاهرة بالزينة فزينت سبعة أيام متوالية وفتن الناس فى هذه الزينة فتكاذر بعاحتى خرجوا فى ذلك عن الحد وتجاهروا بالمعاصى ليلا ونهارا وفى هذه النصرة يقول الاديب البارع محمد بن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال

أفدى سليمان من مليك * ليس له فى الورى مقايس
انكر سباداسم اوهدت * من دوسه وهو خير دايس
ومنه صارت لخير دين * مدارسا قد محت كنايس
مذسلطت جنده عليها * وصفدت جنها الكنايس
من أجل ذا زينت سرورا * مصر وأضحت رجاء آيس
وأومأت وهى فى رخاء * بثغر بشر لكل بائس
والناس فى فرحة عليها * كفرحة العرس والعرائس
لكونها نصرة شراها * سلطان ذا العصر بالنفائس
وبعد فى دروس ستبدو * وتمحى منها أولو النحائس
وهو بسيف الاله نصر * فى عنق المشركين مائس

ومن الحوادث الشنيعة ما وقع يوم الجمعة سابع عشره وذلك أن القاضى بشرا أحد نواب الحنفية أخذ تدريسا فى المدرسة القجماسية وسكن هنالك فلما زينت القاهرة أتى الى بيته ثلاثة مباشرين من النصارى ليتفرجوا على الزينة فسكروا هنالك سكرا فاحشا وتجاهروا بالمعاصى حتى خرجوا فى ذلك عن الحد فأرسل القاضى بشر ينهاهم عن ذلك فما سمعوا له كلاما وتزايد منهم الحال فجاء بنفسه وأغلظ عليهم فى القول وسبهم فسبوه وأفحشوا فى السب له وسبوا دين الاسلام على ما قيل فأرسل القاضى بشر من قبض عليهم وتوجه بهم الى المدرسة الصالحية وحضر قضاة القضاة الاربعة وكان ذلك اليوم يوم الجمعة قبل الصلاة فلما حضر قاضى القضاة المالكى محيى الدين بن الدميرى قامت عنده البينة بما وقع من النصارى فى حق القاضى بشر الحنفى فتوقف القاضى المالكى فى قتل النصارى ثم قال يجب عليهم الحد والتعزير فانهم كانوا سكارى وكذلك قال بقية القضاة فلما سمع القاضى بشر بذلك ورضى الدين بن الدهانة الحنفى كبروا على القضاة وأغلظوا فى القول على قاضى القضاة المالكى

واجتمع

واجتمع بالمدرسة الصالحية الجم الكثير من العوام فهموا بان يرجموا القضاة فى ذلك اليوم وما حصل لقاضى القضاة المالكى فى ذلك اليوم خير من ألسنة العوام ثم ان بعض الانكشارية قبض على النصارى وأخرجهم من المدرسة الصالحية فلما اخرجوا بهم قطعوهم بالاطبار قطعا قطعا ثم ان النصرانى الثالث أسلم وحماه بعض الانكشارية من القتل فلما قطعت النصارى اجتمع السواد الاعظم من العوام بباب المدرسة الصالحية وأخذوا رمم النصارى وأطلقوا فيها النار وأخذوا السقائف التى على الدكاكين ووضعوها عليهم وأشعلوها بالنار فاحترقوا وصاروا كالرماد فاضطربت القاهرة فى ذلك اليوم أشد اضطراب حتى كادت أن تخرب وقصد العوام أن يرجموا القضاة وقتلوا هؤلاء النصارى وأحرقوهم بغير حكم حاكم ولم يثبت عليهم فى الشرع قتل وفعل ذلك العوام بيدهم جهلا وعدوانا وفى يوم الخميس ثالث عشريه توجه ملك الامراء الى نحو الجزيرة التى تجاه الجيزة بالقرب من المقياس وأقام بها ذلك اليوم على سبيل التنزه فأرسل اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حافلة فتغدى ملك الامراء هناك ورسم بان الذى فضل من المدة يحمل الى القلعة وقد فضل منها أشياء كثيرة ثم ان ملك الامراء اخلع على القاضى بركات بن موسى المحتسب قفطانا مذهبا وشكر له ما صنعه من أمر تلك المدة وفى يوم الاحد سادس عشريه وقعت كائنة عظيمة للشيخ عبد المجيد بن الطريفى وذلك أن ملك الامراء تغير خاطره عليه بسبب انه كان تسلط عليه الدين الذى تقدم ذكره فلم يعط أصحاب الديون شيأ مما قسطه عليه فشكوه الى ملك الامراء ثانيا فأرسل خلفه فلما حضر بين يديه قال له ألم أقسط عليك ذلك الدين فى كل شهر وقررت معى أنك ترضى أصحاب الديون بما قسطته عليك فلم تفعل من ذلك شيأ فلم ينطق فى ذلك بحجة فحنق منه ملك الامراء ورسم بضربه فبطح على الارض وضرب ضربا مبرحا حتى قيل ضرب ست نوب تبدلت عليه حتى كاد أن يموت ثم وضعه فى الحديد وأرسله الى بيت الوالى ليعصره فى اكعابه بحضرة أصحاب الديون فرق له الوالى وأرسله لسجن الديلم فسجن به والحديد فى عنقه فاستمر فى السجن بالحديد حتى كاد أن يموت وقد عجز عن وفاء ما عليه من الديون حتى قيل تجمد عليه من الديون نحو سبعين ألف دينار للتجار الاروام وغيرهم وقد تزايد غضب ملك الامراء على الشيخ عبد المجيد بن الطريفى حتى كاد أن يوسطه من شدة غضبه عليه وكان الشيخ عبد المجيد من أعيان الناس وله بر ومعروف حتى قيل كان يصنع فى كل يوم ستة أرادب دقيق برسم الوارد عليه فى المحلة ويعلق فى كل يوم اثنى عشر اردبا من الشعير والدسوت عمالة بالطعام ليلا ونهارا للوارد عليه من سائر البلاد فتجمدت عليه هذه الديون العظيمة وسبق كما سبق غيره من

الاكابر ولكن يلطف الله به والكريم لايضام أبدا فكان الشيخ عبد المجيد أحق بقول القائل حيث قال

لنا غنم تعرف وجوه ضيوفنا * تجي من مراعيها تروم الذبائح
لنا خدم ماينبت الشعر روسها * لحمل القرى من آخذات وراثح

وفيه رسم ملك الامراء بشنق شخص من المماليك الجراكسة قيل هو من مماليك أمير اخور كبير وقيل هو خازنداره وكان شابا حسنا فشنق شنقه على الاتراك قاطبة وشنق في ذلك اليوم معه أربعة من الجراكسة وقد تزايد شره في هذه الايام وفيه أشيع بين الناس أن الانكشارية الذين كانوا بالقاهرة وتوجهوا الى اسطنبول لما دخلوا الى ثغر الاسكندرية وقع بينهم هناك فتنة عظيمة وقتل منهم جماعة فلما بلغ ملك الامراء ذلك تنكد لهذا الخبر وعين لهم الكيخيه الكبير أغاتهم فسافر الى الاسكندرية في ساعته حتى يصلح بينهم ويكشف عن سبب هذه الفتنة ومن أثارها من الانكشارية أو من الكملية الذين سافروا من القاهرة فتوجه الكيخيه الى ثغر الاسكندرية بسبب ذلك واستهل شهر ذي الحجة يوم الجمعة فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم السبت المبارك ثانيه حضر قاصد من مكة وصحبته رأسان في علبة مقفولة زعموا أن الاولى رأس شخص يقال له اسكندر وكان أصله من مماليك السلطان الغوري أرسله صحبة التجريدة التي أرسلها الى بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر متملك زبيد وعدن وكمران فلما توجه العساكر الذين أرسلهم السلطان الغوري تحاربوا معه فانكسر منهم وقتل في المعركة فملكوا منه البلاد وأمواله ثم ان اسكندر المذكور ملك بلاد الشيخ عامر وتسلطن بها وعصى على السلطان الغوري وجعل له هناك أمراء وعسكرا وخطب باسمه على منابر بلاد الشيخ عامر واستمر على ذلك ولم يدخل تحت طاعة الخنكار سليم شاه بن عثمان لما ملك الديار المصرية ولم يخطب باسمه ولم يضرب السكة باسمه هناك فلم يزل نائب جدة يتحيل عليه حتى قتله وحز رأسه وأرسلها الى القاهرة فعرضت على ملك الامراء وهو بالميدان ثم ان ملك الامراء أشهر تلك الرأس في القاهرة ومعها رأس أخرى قيل انها رأس دواداره أو خازنداره أو وزيره ثم علقتا على باب النصر وكان اسكندر هذا شجاعا بطلا مقداما في الحرب قوي القلب ملك البلاد واحتوى على أموالها وفرقها على عسكره وجعل له أمراء وحجابا ودوادارية ولولا نهم احتالوا عليه حتى قتلوه لما كانوا يقدرون عليه من شجاعته وحيله وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أنه حضر قاصد من اسطنبول الى الشام ثم حضر الى القاهرة فلما استقر بها أظهر مراسيم من عند السلطان سليمان وأحضر معه ذراعا من الحديد يزيد على الذراع الهاشمي الذي تتعامل به أهل مصر بخمسة قراريط وأحضر معه سنج نحاس وأرطال على

طريقة اسطنبول وأشيع أن السلطان سليمان ابن عثمان رسم بابطال الذراع والسنج التى تتعامل بها أهل مصر وأن التجار وأرباب البضائع لا يتعاملون الا بهذا الذراع وهذه السنج فامتثل ملك الامراء ذلك وأجاب بالسمع والطاعة ورسم للقاضى بركات بن موسى المحتسب بان ينادى فى القاهرة حسبما رسم الخنكار بابطال الذراع الهاشمى من مصر واستعمال الذراع الاسطنبولى فنزل المحتسب مع الوالى ونادى فى القاهرة بذلك ثم ان القاضى بركات بن موسى المحتسب كتب قسائم على التجار أنهم لا يبيعون ولا يشترون الا بهذا الذراع الاسطنبولى فشق ذلك على التجار وأرباب البضائع فلما أشهر المحتسب المناداة بذلك وأن كل من خالف مرسوم الخنكار شنق على دكانه من غير معاودة ثم صارت رسل المحتسب تطلع الى دكاكين التجار الذين فى الاسواق وتأخذ الاذرعة الحديد وترميها فى الطرقات فاضطربت القاهرة فى ذلك اليوم أشد الاضطراب ثم صاروا يكررون المناداة بذلك فى أمر المعاملة بذلك الذراع الاسطنبولى واستمر ذلك فى البيع والشراء الى الآن وفيه وقعت كائنة عظيمة للوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية وكان سبب ذلك أن شخصا من الوكلاء يقال له على الازهرى توكل عن شخص يهودى فى شغل فاخذ منه فى ذلك الشغل أربعين دينارا وقيل خمسين دينارا فلما بلغ المحضر الذى فى المدرسة الصالحية ذلك طلب على الازهرى وسأله عن ذلك فانكر وقال ما أخذت منه هذا القدر أبدا وحلف وأقسم فخنق منه المحضر وأمر بضربه بين يديه ثم ان المحضر طلع الى ملك الامراء وأخبره بامر الوكلاء وما يصنعون فرسم باحضار سائر الوكلاء فاختفى منهم جماعة وقبضوا على أربعة منهم وهم على الازهرى وسالم ومسعود والحكرى فطلعوا بهم الى القلعة وعرضوهم على ملك الامراء فاوعدهم بكل سوء ثم أرسلهم الى بيت الوالى فارسلهم الوالى الى سجن الديلم فسجنوا به الى أن تظهر البقية وكان الذى رافع فى الوكلاء وأشلى فيهم بدر الدين بن الرومى وتعصب معه خير الدين نائب القلعة وقال لملك الامراء هذه الافعال التى يفعلها الوكلاء فى المدرسة الصالحية لا تحل ولا تجوز فاضطربت أحوال القضاة الى الغاية ثم ان الوكلاء الذين سجنوا بسجن الديلم شفع فيهم القاضى حمزة وقيل الامير على أحد الامراء الخنكارية ثم أقامت الوكلاء فى السجن أياما ثم أخرجوا منه وفيه نودى بالقاهرة عن لسان ملك الامراء بمنع الصيارف الحجازيين قاطبة أن لا يصرفوا دينارا ذهبا فانه قد أشيع عنهم أن جماعة منهم يصنعون الزغل فى الذهب والفضة ويطيرونها على الناس فى الصرف فمنعوا من ذلك وفيه قدم قاصد من عند السلطان سليمان ابن عثمان يقال له قاسم بك وعلى يده مرسوم شريف فكان من مضمونه انه انتصر على الفرنج نصرة ثانية وملك منهم عدة قلاع وقد ظفر بجماعة منهم وقتلهم فلما تحقق ملك الامراء ذلك نادى فى القاهرة بالزينة فزينت ووافق ذلك يوم عيد

النحر فحصل للناس المشقة الزائدة بهذه الزينة واشتغلوا بذلك عن الاضحية والعيد ووقع
فى ذلك اليوم مطر غزير فاعدم قماش الناس الذى فى الزينة وصار الوالى يبطح الناس على
الارض و يضرب الذى ما زين دكانه فما حصل لاحد من الناس خير واستمرت الزينة معلقة
الى أن نزل ملك الامراء و توجه الى بولاق بسبب ملاقاة القاصد الذى حضر من البحر فطلع
من سوق مرجوش وشق القاهرة وهى مزينة والقاصد صحبته ومشى القاضى بركات بن
موسى المحتسب قدامه بعصاه الى أن طلع الى القلعة فأوقدوا له الشموع بالنهار على الدكاكين
فاستمر فى ذلك الموكب الى أن طلع الى القلعة ثم فكت الزينة فى ذلك اليوم وانقضى أمرها
وفى يوم السبت سادس عشره جلس ملك الامراء بالمقعد الذى بالحوش السلطانى وطلب
قضاة القضاة الاربعة فلما حضروا احضر القاضى حمزة قاضى ابن عثمان فلما تكامل
المجلس تكلم ملك الامراء مع القضاة فى أمر نوابهم وما يفعلون وفى أمر الوكلاء فوقع
فى ذلك المجلس غاية ما يكون من اللغط وكان القاضى حمزة فى ذلك المجلس أشد ما يكون على
القضاة وصار يقول لهم نوابكم يفعلون ما هو كيت وكيت فجاء ملك الامراء على القضاة
بكل ما فيه بسبب نوابهم وقد كثر فسادهم فتكلم معهم ملك الامراء فى ذلك فوقع الاتفاق فى
المجلس بأن كل قاض من القضاة الاربعة يقتصر على سبعة من النواب لاغير على عدد أيام
الجمعة والقاضى من النواب يجلس فى بيت قاضى القضاة فى نوبته ويسمع الدعوى هنالك
بمفرده وان القاضى اذا عقد عقد نكاح يأخذ على من تزوج البكر ستين نصفا وعلى من تزوج
الثيب ثلاثين نصفا يأخذ العاقد شيأ والشهود شيأ والباقى يحمل الى بيت الوالى ولا يتزوج
أحد من الناس ولا يطلق الا فى بيت قاض من القضاة الاربعة وان الوكلاء تبطل قاطبة من
المدرسة الصالحية فانفض المجلس على ذلك وقامت القضاة فقيل لهم امشوا على اليسق
العثمانى فاضطربت أحوال القضاة والشهود قاطبة وبطلت أسبابهم ومشوا على هذا الحكم
وصار مقدم الوالى والخالية يأتون فى كل يوم من أيام الجمعة ويجلسون فى بيت كل قاض
من القضاة الاربعة الى ما بعد العصر و يأخذون ما يتحصل من عقود الانكحة ويمضون به
الى بيت الوالى كما تقرر الحال على ذلك اليسق العثمانى فصار الذى يتزوج أو يطلق تقع
غرامته نحو أربعة أشرفية فامتنع الزواج والطلاق فى تلك الايام وبطلت سنة النكاح
والامر لله تعالى وفيه نزل من القلعة القاضى بركات بن موسى المحتسب وأشهر المناداة فى
القاهرة وصحبته الوالى بأن لا قاضى ولا شاهد يحكم فى المدرسة الصالحية وان لكل قاض
من القضاة سبعة من النواب لاغير يحكم كل نائب يوما فى بيت قاض من القضاة الاربعة
ويسمع الدعوى فى بيت مستنيبه وان لكل نائب من النواب شاهدين لاغير وأن القاضى
يأخذ على نكاح البنت البكر ستين نصفا و يأخذ على الثيب ثلاثين نصفا وأن سائر

النواب والشهود بطالة من الاحكام الشرعية وهـذا حسبما رسم بعملك الامراء والمشى على اليسق العثمانى فلما سمع ذلك الناس اضطربت أحوالهـم غاية الاضطراب ولاسيما النواب والشهود حصـل لهم الضرر الشامل وصارت المدرسة الصالحيـة ليس يلوح بها قاض ولا شاهد بعدما كانت قلعة العلماء وفى هذه الواقعة يقول البدرى بدر الدين محمد بن محمد الزيتونى أحد نواب الشافعية وخليفة الحكم العزيز بالديار المصرية هذه القطعة وهى من فن الزجل فى معنى هذه الواقعة

اسمعوا ما جرى فى مصر وابكوا بدموع غزار

كان شعار الدين ظاهر كمثل الشموس * والمجالس من الناس فى جـلوس

شـبه أقمار ترتاح اليها النفوس * هـم جمال الاسلام وقمع النفوس

اختفت ذى الشموس بظلام النهار

وقضاة الاسلام محى رسمهم * والشهود اختفوا وضاع اسمهم

صار على العقد جاليـة وسمهم * وقضاة القضاة بترسيمهـم

طول الايام مع الامين فى انحصار

قـرروا جاليـه على المسلمين * فى العقودات صارت حقايقين

كل مـن راد الزواج فى الدين * يبق فى الوالى ويغرم مئـين

اعتبروا يا أولى الابصار

قلعة الدين صالحيـة مصر * غلقوها وقـد رأينا العبر

وفى هذى الامور تحير الفكر * كل هـذا عبره لاهل النظر

يا الهى عجل بأخذ الثار

علماء المسلمين بالازهـر * خرجوا يسألوا لمن جـبر

بمصاحف وأعلام وجمع اكبر * برفـع المظلمة فانقهـر

عادوا يدعوا عليه كبار مع صغار

فى الاحاديث قد سطروا بالقلم * حاش يفلح من عاب ومن قـد ظلم

عن قريب تسمع على ايش يقدم * مـن يعادى أهل العـلم يندم

من بغضهم قد أبغض الجبار

يا حكيم حكامنا قـد طغوا بالجود * وأفسدوا علينا وتعـدوا الحدود

صارت الناس ما عدم فى الوجود * بهدلوا الدين سالت الدموع بالخدود

يا الهى لا تكشف الاستار

الحوانيت فيها المحرم جهار * وبنات الخطا تقف بالنهـار

ويقروهم على ذا القرار * والمجالس تمنع من اهل الوقار
هذا يرضى مين من الكفار
من يبيع منكر هو اللى طاب * حالوا ماشى بسبب من الاسباب
والحشيش والنبيذ والطبطاب * مايجيبه الفقر لامن طاق ولامن باب
قوموا انتسبب نبيع لنا أمزار
فجت الناس لما رأوا ذى الحرق * والمغارم وما حدث فى الغسق
واستباحوا النكاح بهذا اليسق * وفسد حالهم وزاد الخنق
قالوا ما نطيق هذا العيار
سادس العشر شهر ذى الحجه * عام سبعه وعشرين جرت ضجه
ثانى عشرينه حصل وهجه * للشهود والقضاة بلا حجه
ينصر الله الدين على الفجار

وهذه القطعة الزجل مطولة وهذا ما وقع عليه اختيارى منها ومن الحوادث ما وقع فى أواخر الشهر وهو يوم الاحد خلع ملك الامراء على شخص يسمى جمال الدين يوسف بن أبى الفرج و يعرف بابن الحاكية وهو ابن محمد الذى كان نقيب الجيش من أولاد ابن أبى الفرج واستقر به فى وظيفة التفتيش عن الرزق فلما قرر فى هذه الوظيفة أخذ حذره منه سائر الاعيان ودخلت رأسهم منه الجراب فلما استقر أمر ملك الامراء بان ينادى له عن لسانه حسبما رسم ملك الامراء لا أحد من الناس يحتمى على الامير جمال الدين يوسف بن أبى الفرج ولا يعارضه وانه مسموع الكلمة وافر الحرمة فلما جرى ذلك طغى الامير يوسف بن أبى الفرج وتجبر وصار معه الجم الكثير من الرسل والبرددارية وصار يطلب أعيان الناس من رجال ونساء بالرسل الغلاظ الشداد فاذا حضروا الى بابه ومعهم مكاتيبهم ومربعاتهم يقرؤها ثم يجس لهم فيها انجاشا و يقول لهم أرونى أصول هذا وأصول الاصول فاذا عجزوا عن ذلك يرسلهم الى بيت القاضى الحنفى و يشهد عليهم أن لاحق لهم فى هذه المكاتيب ولا استحقاق و يأخذ منهم ما معهم من المكاتيب والمربعات و يمضوا خائبين فيطلع بالمكاتيب والمربعات الى ملك الامراء ففعل من هذا النمط بجماعة كثيرة من أعيان الناس فأخذ من الجمالى يوسف نقيب الجيش بن الشرفى يونس نقيب الجيش سبع عشرة رزقة بمكاتيب شرعية وحذف عليه ملك الامراء ما عنده من المكاتيب جميعها فاطلع له بها وفعل بجماعة كثيرة من أعيان الناس والستات مثل ذلك والامر لله تعالى وفيه حضرت مركب من الاغربة التى كان عمرها ملك الامراء وأرسلها صحبة الاروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا الى البحر المالح وجدوا جماعة من الفرنج يعبثون فى سواحل البحر المالح فاوقعوا معهم وقاتلوهم فانكسر الفرنج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتووا على مراكبهم فوجدوا فيها بضائع وجوخا

وأصنافا فاخرة فأخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوهم في الحديد وأرسلوهم الى ملك الامراء فلما عرضوا عليه رسم بتوسيطهم فوسطوا منهم تسعة عشر رجلا وسجنوا الباقين وأخذ ملك الامراء جميع أموالهم ثم تبين بعد ذلك أن هؤلاء كانوا تجارا أتوا من بلاد الفرنج فلما رأوهم قاتلوهم فانكسروا وأسروا وأخذت جميع أموالهم وأشيع انهم كانوا يعبثون في سواحل البحر المالح وفيه قدم جماعة من اسطنبول ممن كان أسر من أهل مصر في أيام السلطان سليم شاه ابن عثمان فحضر علم الدين جلبي السلطان الغوري وحضر عقيب ذلك المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش كان وهو ابن المقر الجمالي يوسف ناظر الخاص وحضر كمال الدين بردار الامير طراباى وحضر الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحال وحضر الناصري محمد بن العلائي على بن خاص بك وحضر القاضي شمس الدين محمد الحجازي أحد نواب الشافعية وحضر آخرون من الاسرى ما تحضرني أسماؤهم الآن وفي يوم الخميس ثامن عشريه قدم مبشر الحاج من مكة وأخبر بالامن والسلامة عن الحجاج وأخبر أن الغلاء معهم عمال في سائر الغلال والمأكول قاطبة وأخبر بموت الجمال مع الحجاج فخلع عليه ملك الامراء ونزل الى منزله وقد خرجت هذه السنة على خير وسلامة وكانت سنة مباركة وقع فيها الرخاء في سائر الغلال قاطبة بعد ما كان تناهى سعر القمح الى أربع أشرفيات ذهب كل أردب وكان النيل فيها عاليا عم سائر أراضي مصر قاطبة وثبت ثباتا جيدا الى أواخر بابه ومن محاسن هذه السنة انها خرجت عن الناس ولم يكن فيها الطاعون في الديار المصرية ولا في شيء من أعمالها قاطبة ولكن وقع في أواخر السنة حوادث مهولة منها عصيان الامير جان بردى الغزالي نائب الشام وقتله وما وقع بالشام من الاضطراب فكان من ملخص واقعة الامير جان بردى انه لما استقر به السلطان سليم شاه نائبا بالشام أقام بها مدة وهو تحت طاعة السلطان سليم شاه في الظاهر ولما ولي بعده ابنه سليمان على مملكة الروم أظهر جان بردى الغزالي العصيان جملة واحدة ولم يدخل تحت طاعة السلطان سليمان ابن عثمان فقام معه أهل الشام من الامراء والعسكر والعربان والعشير وقالوا له قم وتسلطن فما بقي قدامك أحد تخشى منه ونحن نقاتل معك حتى نقتل فاستمال لقولهم وطاش وخف وكم عجلة أعقبت ندامة فتسلطن بالشام وتلقب بالملك الاشرف أبي الفتوحات وقبلوا له الارض وخطب باسمه في جامع بني أمية وعلى بقية منابر دمشق فلما تسلطن قالوا له امض الى مصر وحارب خير بك واملك منه مصر فقال لهم مصر في قبضة يدي ولكن أتوجه الى حلب وأخلصها من أيدي العثمانية فما بقي خلفي التفاته ثم أتوجه الى مصر ولو أتى الى مصر لكان خيرا له وكان العسكر من الجراكسة وأهل مصر والعربان قاطبة يقلبوا على ملك الامراء خير بك ويجيئوا اليه فانه كان محببا

للرعية فلما توجه الغزالى الى حلب ليملكها حاصر أهلها وأحرق غالب الضياع التى
حولها وحصل منه الضرر الشامل لاهل حلب فلما حاصر مدينة حلب لم يقدر عليها وعجز
عن ذلك وكان الامير جان بردى الغزالى أول ما توفى السلطان سليم شاه وتولى بعده ابنه
سليمان أرسل يقول لملك الامراء خاير بك تسلطن أنت بمصر وأستمر أنا بالشام وأحكم من
الفرات الى غزة ونطرد هذه العثمانية عن مملكة مصر فلما وقف خاير بك على مطالعة
الغزالى أفشى سره وكان الغزالى أرسل يقول لخاير بك ان لم تتسلطن فعندى من يتسلطن
فاراد خاير بك أن يتنصح للسلطان سليمان فارسل له مطالعة الغزالى التى أرسلها اليه فى السر
فلما وقف السلطان على مطالعة الغزالى أرسل يقول لخاير بك لا تخرج أنت من مصر
للغزالى فنحن نكفيك شره ثم ان السلطان سليمان أرسل تجريدة الى الغزالى نائب الشام
فجهزله من العساكر العثمانية نحو أربعة عشر ألف مقاتل فخرجوا من اسطنبول على
جية وتوجهوا من اسطنبول الى حلب فاوقعوا مع الغزالى على حلب فانكسر منهم فتوجه
الى دمشق فكان بين الفريقين واقعة مهولة على القابون خارج مدينة دمشق فقتل من
عسكر الغزالى هناك مالا يحصى من عربان الكرك وأكراد وتركمان ومماليك جراكسة
ومن أهل دمشق حتى قيل قتل فى المعركة من أهل دمشق شيوخ وشبان وأطفال ومن
سوقة دمشق مالا يحصى وكانت هذه الواقعة تقرب من واقعة تمرلنك لما دخل الى دمشق وقد
خرب فى هذه الواقعة ثلث دمشق من ضياع وحارات وأسواق وبيوت وتمت الكسرة على
الغزالى واختفى وقيل بل قتل على المعركة وحزت رأسه وأرسلت الى اسطنبول ومضى أمره
والى الآن تشك جماعة من الناس فى قتله ويقولون ما قتل وهو باق فى قيد الحياة وانه هرب
عند الصوفى بعد وقوع المعركة والاصح انه قتل فى الواقعة التى كانت على القابون ووقع
الشك للناس فى ذلك كما وقع لهم فى قتل قانصوه خمسمائة من الشك ومما وقع فى هذه السنة
من الحوادث حرق النصارى على باب المدرسة الصالحية ومنع الشهود من الجلوس
فى الحوانيت ومن الحوادث ما وقع للشيخ عبد المجيد الطريني وقصته مشهورة ومن
الحوادث منع الوكلاء من باب المدرسة الصالحية وعزل نواب القضاة الاربعة واقتصارهم
على سبعة نواب لكل قاض من غير زيادة على ذلك ومنها واقعة العقود وما تقرر على تزويج
البكر ستين نصفا والثيب ثلاثين نصفا وقد تقدم ذلك فكان ذلك من أشد الكرب على
المسلمين ومنها جلوس مقدم الوالى والجالية على أبواب القضاة من باكر النهار الى آخره
ليأخذوا ما يتحصل من عقود الانكحة ويمضون به الى بيت الوالى ويسمون ذلك اليسق
العثمانى ولا يتزوج أحد من الناس ولا يطلق الا فى بيت قاض من القضاة فضيقوا على
المسلمين غاية الضيق ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الامراء خلع على شخص يقال له

جمال الدين يوسف ابن أبي الفرج ويعرف بابن الحاكية وقرره في وظيفة وسماه مفتش الرزق الجيشية فلما استقر في هذه الوظيفة أطلق في الناس النار ورافع الشهابي أحمد بن الجيعان بأنه أخذ من ديوان الجيش أقاطيع سلطانية ورزق جيشية وصنع لها مكاتيب شرعية بمشترى من بيت المال وباعها على الناس ورافع أيضا الزيني أبا بكر بن أبي بكر بن الملكي بمثل ذلك حتى تكلم في حق الشهابي أحمد بن الجيعان بانه ابتاع من ديوان الجيش رزقا وأقطاعا وصنع لها مكاتيب شرعية وباعها على الناس بنحو عشرين ألف دينار وأظن هذا الكلام ليس له صحة وهذا باطل لامحالة فتغير خاطر ملك الامراء على المقر الشهابي أحمد بن الجيعان وصار اذا طلع الى القلعة لايخاطبه أصلا ورسم للزيني أبي الوفاء الحلبي موقع ملك الامراء من حين كان بحلب أن يقرأ عليه القصص بدلا عن الشهابي أحمد بن الجيعان فعظم أمر الزيني أبي الوفا في هذه الايام جدا حتى صار في مقام من تقدم من كتاب السر وصار من أعيان الرؤساء بالديار المصرية ثم ان الجمالي يوسف بن أبي الفرج أخذ من الناصري محمد بن خاص بك رزقتين بمكاتيب شرعية فطعن في هذه الرزق وقال له أصل هذه الرزق أقاطيع سلطانية فأخذ منه المكاتيب وأشهد عليه بان لاحق له فيها وطلع بها الى ملك الامراء وصار يفعل من هذا النمط بجماعة كثيرة من رجال ونساء ويأخذ مكاتيبهم من أيديهم ويشهد عليهم أن لاحق لهم فيها او يطلع بالمكاتيب الى ملك الامراء فاطلق في الناس جمرة نار وضج منه الناس قاطبة حتى قيل أخذ من أيدي الناس فوق الثمانين رزقة بمكاتيب شرعية وطلع بها الى ملك الامراء وحصل للناس منه الضرر الشامل ولاحول ولاقوة الا بالله العظيم وما اكتفى ملك الامراء بيوسف بن أبي الفرج حيث جعله مفتش الرزق الجيشية فجعل الامير علي العثماني مفتش الاوقاف أيضا من بلاد وبيوت وغير ذلك فاجتمع على بابه الرسل الغلاظ الشداد والبزدارية وصاروا يطلبون الناس أصحاب الاوقاف فاذا حضروا ومعهم مكاتيبهم يتحشون عليهم ويقولون لهم ايش على هذا الوقف مصاريف وايش متحصله في كل شهر فيدعون أصحاب الاوقاف في الترسيم ويقررون عليهم مبلغا ثقيلا للامير علي هو ودواداره والبزدارية والرسل ومن عنده من المباشرين ويكتبون له على مكاتيبه عرض ثم يطلقونه بعد أن يلتزم من الغرامة فوق مالايطيق فصار الامير علي يتكلم على فرع من أبواب المظالم المهولة فاطلق في الناس النار الموقدة وأقول أن أولاد ابن أبي الفرج طول عمرهم بيت ظلم وعسف وطبعهم الاذى هم وأجدادهم من أيام الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق وقد تقدم القول على ذلك ومن الحوادث في أواخر هذه السنة أن ملك الامراء جهز مراكب أغربة وفيها جماعة من المقاتلين فتوجهوا الى البحر المالح وقد بلغه أن جماعة من الفرنج يعبثون في السواحل على المسافرين فلما توجهوا الى البحر المالح وجدوا مراكب فيها تجار من الفرنج ومعهم

بضائع بنحو خمسين ألف دينار فنقاتلوا معهم فكسروا الفرنج وقبضوا عليهم واحتاطوا على ما معهم من البضائع فلما حضروا الى مصر وعرضوا على ملك الامراء رسم بتوسيط نحو تسعة عشر نفرا من الفرنج فراحوا ظلما وأخذت أموالهم وربما يثور من هذه الحركة فتنة كبيرة بين الفرنج وبين أهل مصر بسبب ذلك ويمنعون التجار من المرور في البحر ويقتلونهم كما فعلوا بالفرنج المقدم ذكرهم وفي هذه السنة قتل ملك الامراء من الناس ما لا يحصى بتوسيط وشنق وخوزقة وأكثرهم راح ظلما والامر لله تعالى انتهى ما أوردناه من حوادث سنة سبع وعشرين وتسعمائة

❁ (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وتسعمائة) فيها في المحرم وكان مستهله يوم الاحد المبارك طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالعام الجديد ثم عادوا الى منازلهم وفي هذا الشهر تزايد ظلم الجمالي يوسف بن أبي الفرج وفتك في الناس فتكاذريعا وكثر على بابه الرسل والبزدارية وصار يطلب أعيان الناس من كبير وصغير فيحضرون ومعهم مكاتيبهم فلم يلتفت الى ما في المكاتيب ويأخذها من أيدي أصحابها غصبا ويشهد عليهم أنه لا حق لهم فيها ولا استحقاق ويطلع بها الى ملك الامراء واستمر على ذلك يتزايد ظلمه الشنيع كل يوم حتى ضج منه الناس والامر لله تعالى وفيه توفي الشهابي أحمد بن القاري وكان من مشاهير أولاد الناس وكان أمير جكار وقد ترحل حاله في أواخر عمره ومات فقيرا وفي يوم الخميس خامسه حضر جماعة ممن كان السلطان سليم شاه أسرهم وأرسلهم الى اسطنبول فحضر بهاء الدين بن البارزي وجلال الدين ابن الخواجا بدر الدين حسين الشبراوي وحضر الخواجا يحيى بن عبد الدائم اللبدي المغربي من تجار جامع طولون وحضر آخرون ممن كان باسطنبول وفي يوم السبت سابعه نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى تربة العادلي التي بالريدانية وجلس هناك على المصطبة القديمة وكان القاصد الذي حضر بالامس صحبته فمد له هناك مدة حافلة وأحضر صقورا وكلابا سلوقية ورمى قدام القاصد رماية هناك وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية فبينما هو على ذلك واذا بجماعة من الاعيان حضروا بين يديه منهم الشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي والشيخ شمس الدين محمد المعروف بالديروطي الشافعي والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحلبي وآخرون من العلماء فلما اجتمعوا قالوا يا ملك الامراء قد أبطلتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرتم تأخذون على زواج البنت البكر ستين نصفا وعلى زواج المرأة ثلاثين نصفا ويتبع ذلك أجرة الشهود ومقدمي الوالي وغير ذلك وهذا يخالف الشرع الشريف وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خاتم فضة وعلى ستة أنصاف فضة وعقد على آية من كتاب الله وقد ضعف الاسلام في هذه الايام وتجاهر الناس بالمعاصي والمنكرات وتزايد الامر في ذلك ثم ذكروا له آيات من كتاب

الله تعالى وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت ملك الامراء الى شئ من ذلك وقال للشيخ شمس الدين محمد اللقانى المالكى اسمع ياسيدى الشيخ ايش كنت أنا انكار رسم بهذا وقال امشوا فى مصر على اليسق فقال له شخص من طلبة العلم يقال له عيسى المغربى هذا يسق الكفر فحنق منه ملك الامراء فرسم بتسليمه الى الوالى ليعاقبه فتوجهوا به الى بيت الوالى ثم شفع فيه بعض الامراء فلما كان عقيب ذلك توجه الى ملك الامراء جماعة من النجارين والقلافطة وعلى رؤسهم مصاحف وهم يستغيثون الله ينصر السلطان سليمان فظن ملك الامراء انهم من الجامع الازهر ثم تبين انهم نجارون وقلافطة أتوا يشتكون من الشاد على المراكب التى عمرها ملك الامراء فى الروضة بأنه قد ظلمهم وجار عليهم فلما كثر منهم الضجيج رسم ملك الامراء لمن حوله من الانكشارية بضربهم فشتتوا أجمعين ثم طال المجلس بين ملك الامراء وبين مشايخ العلم الذين حضروا فكان من جوابه للشيخ شمس الدين اللقانى المالكى ياسيدى الشيخ أنا أخاف على رقبتى أكثر من رقابكم امضوا باسم الله فقاموا من عنده وهم فى غاية القهر يتعثرون فى أذيالهم ولم يلتفت الى أقوالهم فقال له بعض الفقهاء الذين حضروا ونحن نسافر الى السلطان سليمان نصره الله تعالى ونخبره بما يفعل فى مصر فتنكد ملك الامراء فى ذلك اليوم بعدما كان منشرحا ثم قام من هناك وطلع الى القلعة وخرج القاصد من هناك وتوجه من يومه وسافر الى اسطنبول فلما رجع الفقهاء من عند ملك الامراء قامت الاسئلة والنائرة على ملك الامراء وكثر الدعاء عليه بسبب عقود الانكحة وقصدوا يغلقون أبواب الجوامع والمساجد فلما جرى ذلك أرسل ملك الامراء الزينى أبا الوفاء الموقع بأخذ بخاطر الشيخ شمس الدين محمد اللقانى وقال له لاتؤاخذ ملك الامراء فانه لم يكن يعرف ذلك وأرسل على يد الزينى أبى الوفاء الموقع مائتى دينار وأربع بقرات ففرقت على مجاورى الجامع الازهر وأرسل مثل ذلك الى مقام الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهما وأرسل مثل ذلك الى الزوايا التى بالقرافة والى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وغير ذلك من الزوايا والمزارات والمساجد وقصد أن يستجلب خواطر العلماء والفقهاء عما فعله من الافعال الشنيعة ليمحوا ذلك بذلك وهذا من المحالات كما يقال فى المعنى

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سرا فأكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلى جفائه * خفى اعتذار فهو فى غاية الغلط

وفى يوم الاثنين سادس عشره أنفق ملك الامراء على المماليك الجراكسة وكان لهم خمسة أشهر جامكية منكسرة وقد ضاع عليهم عليق أربعة أشهر فأنفق ملك الامراء عليهم فى ذلك اليوم شهرين وأخر لهم ثلاثة أشهر فانضر ذلك بحالهم وفيه اجتمع العسكر ليقبضوا

الجامكية فى الميدان فنزل لهم المقر الشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى بركات بن موسى المحتسب وابن أبى اصبع فقالوا للمماليك الجراكسة ملك الامراء يقول لكم انه مسافر بعد الربيع فالذى له قدرة يعمل برقه والذى ماله قدرة على السفر لا يأخذ جامكية ويقعد يستريح فلما سمع العسكر ذلك اضطربت أحوالهم ثم ان ملك الامراء جلس فى شباك الدهيشة وأرسل خلف المماليك الجراكسة فلما طلعوا ووقفوا بين يديه استدعاهم واحدا بعد واحد وصار يختار من كل عشرة مماليك مملوكا واحدا الذى يجده شابا وله قدرة على السفر فيبقيه على جامكيته والذى يجده من الشيوخ العواجز يوقف جامكيته فابطل فى ذلك اليوم ألف مملوك من المماليك الجراكسة والناس وغير ذلك وفيهم من هو من الاغوات من مماليك الاشرف قايتباى فتزايدت قسوته فى ذلك اليوم عليهم ومما وقع فى ذلك اليوم من النوادر الغريبة أن ملك الامراء لما عرض المماليك صار كل من رآه من المماليك ولحيته طويلة يقص منها نصفها ويعطيها له فى يده ويقول له امش على القانون العثمانى فى قص اللحا وتضييق الاكمام وكل ما تفعله العثمانية فنزل المماليك الجراكسة من القلعة فى ذلك اليوم وهم فى غاية النكد مما جرى عليهم وكان سبب قطع جوامك جماعة من المماليك الجراكسة أن الديوان كان يومئذ فى غاية الانشحات وقد كثر العسكر وصار المال يقسم على سبعة طوائف من العسكر ما بين أمراء عثمانية وطائفة من الاصباهية وطائفة من الانكشارية وطائفة من الكمليه وطائفة من الامراء الجراكسة وطائفة من المماليك الجراكسة ومماليك ملك الامراء طائفة سابعة فكان يصرف فى كل شهر لطائفة الاصباهية أحد عشر ألف دينار ويصرف لطائفة الانكشارية فى كل شهر ثلاثة عشر ألف دينار ويصرف لطائفة الكملية فى كل شهر أحد عشر ألف دينار ويصرف لطائفة المماليك الجراكسة وأولاد الناس أحد عشر ألف دينار ويصرف لمماليكه وخدامه وحاشيته وغير ذلك من الرواتب فى كل شهر ثلاثة عشر ألف دينار وذلك خارج عن جامكية الامراء الجراكسة والامراء العثمانية والمترددين من القصاد لعثمانية فبموجب ذلك وقع الانشحات فى تأخير الجوامك وكسرها الاشهر وكان السلطان الغورى لا يستعين على سد الجوامك فى كل شهر الا بكثرة المصادرات للتجار وغيرهم من مساتير الناس وأعيانهم وكان يسد من مظالم العباد ويصير اثم ذلك عليه وفيه أشيع أن ملك الامراء قد تغير خاطره على خوند مصرباى الجركسية وأنزلها من القلعة ورسم لها بان تسكن بمدرسته التى بناها بباب الوزير ورتب لها فى كل شهر ما يكفيها من النفقة وكان سبب ذلك أنه بلغ ملك الامراء قدوم زوجته أم أولاده من اسطنبول وقد أتت صحبة الامير جانم الحمزاوى من اسطنبول فاختار بان تكون صاحبة القاعة عوضا عن خوند مصرباى فشق ذلك عليها وفى يوم الخميس تاسع عشره أكمل ملك

الامراء تفرقة الجامكية على العسكر وأوقف جوامك كثير من المماليك الجراكسة ومن أولاد الناس ومن العواجز والشيوخ وقال للذين صرف لهم الجوامك كونوا على يقظة واعملوا برقكم فربما الخنكار يرسل يطلبكم على حين غفلة فقالوا كلهم السمع والطاعة ونزلوا على ذلك وفيه أشيع ان الامير فرحات العثمانى نائب طرابلس استقر فى نيابة الشام عوضا عن اياس الذى كان بها وتوجه اياس الى اسطنبول فصار الامير فرحات بيده نيابة طرابلس والشام وفى يوم الاربعاء خامس عشريه دخل الحاج الى القاهرة ودخل الامير جانم أمير ركب المحمل وصحبته المحل الشريف ثم أشيع ان الحاج قد قاسى فى هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء وموت الجمال ولما طلع الى العقبة اشتد عليه البرد هنالك والرياح العاصفة فمات من الحجاج ما لا ينحصر حتى قيل مات منهم من العقبة حتى دخلوا القاهرة نحو ثمانين انسانا ودخل الباقون مرضى من شدة البرد العاصف المضر بالاجساد ولما دخل الحاج أشيع موت الامير باباى الذى كان ولى مشيخة الحرم النبوى وأشيع موت شخص من الامراء العثمانية كان أغات الانكشارية توفى لما دخل المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان من خيار العثمانية وتوفى الامير مقرن أمير عربان بنى جبر متملك جزيرة بين النهرين الى بلاد هرمز الاعلى وكان أميرا عظيما جليل القدر مبجلا فى سعة من المال وكان مالكى المذهب سيد عربان الشرق على الاطلاق وكان أتى الى مكة وحج فى العام الماضى وكان يجلب الى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة والمسك والزعفران والعنبر الخام والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الاشياء المتحفة قيل انه لما دخل الى مكة والمدينة تصدق على أهلهما بخمسين ألف دينار فلما حج ورجع الى بلاده لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه فانكسر الامير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم أن يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار فأبى الفرنج من ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن عنه ماله شيأ وملكوا منه جزيرة بين النهرين وملكوا قلعتها التى هنالك واستولوا على أموال الامير مقرن وبلاده وكان ذلك أشد الحوادث فى الاسلام وأعظمها وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندى والامر لله تعالى ولما رجع الحجاج أثنوا على الامير جانم أمير الحاج بكل جميل فى حفظه للحجاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وفى شهر صفر وكان مستهله يوم الاثنين طلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاربعاء ثالثه خرج الامير قايتباى الدوادار وجماعة من الامراء الجراكسة الى ملاقاة الامير جانم الحمزاوى الذى كان توجه الى اسطنبول وصحبته تقدمة حافلة الى السلطان سليمان ابن عثمان أرسلها ملك الامراء خاير بك اليه على يد الامير جانم كما تقدم فأكرمه وأحسن

اليه وقبل منه تلك التقدمة فأقام باسطنبول مدة ثم رسم له بالعود الى مصر فلما بلغ
الامراء قدومه الى مصر خرجوا اليه قاطبة وخرجت اليه أعيان المباشرين قاطبة وجميع
مشايخ العربان والكشاف المدركين قاطبة فلما كان يوم الجمعة ثانى عشر صفر وصل
الامير جانم الحمزاوى الى خانقاه سرياقوس فدله القاضى بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة
هذا بعد ان لاقاه من الصالحية وأشيع انه حضر صحبة الامير جانم الحمزاوى حريم ملك
الامراء الذى كان باسطنبول من حين ملك السلطان سليم شاه الديار المصرية فلما ولى
السلطنة ولده سليمان رسم بعود حريم ملك الامراء وأولاده اليه وفيه طلعت زوجة
ملك الامراء الى القلعة تحت الليل على المشاعل والفوانيس وهى فى محفة فلما طلع
النهار طلع اليها جميع المغانى يهنؤنها بالسلامة ثم ان الامير جانم الحمزاوى رحل من
الخانكاه وتوجه الى تربة العادلى وبات بها فلما كان يوم السبت ثالث عشره صلى ملك
الامراء صلاة الفجر ونزل من القلعة وتوجه الى تربة العادلى التى بالريدانية فجلس على
المصطبة التى هناك وسلم على الامير جانم الحمزاوى ثم أحضر الخلعة التى أرسلها له
السلطان سليمان ابن عثمان باستمراره على نيابة مصر فقام ولبسها وقبل الارض نحو
القبلة وكانت الخلعة بتماسيح مذهب على أحمر ثم قصد الدخول من باب النصر
وشق من القاهرة فاصطفت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وأوقدت له
الشموع على الدكاكين وعلقت له القناديل والتريات ولم تزين له القاهرة فى ذلك اليوم
وكان سبب ذلك انه بلغ ملك الامراء ان السلطان سليمان قدمات له ولد ذكر مراهق فمنع
الزينة بسبب ذلك فلما وصل الى قبة الامير يشبك الدوادار لاقته الامراء الجراكسة
والعسكر من المماليك الجراكسة قاطبة ولاقته قضاة القضاة الاربعة وهم كمال الدين
الطويل الشافعى ونور الدين على الطرابلسى الحنفى ومحيى الدين الدميرى المالكى وشهاب
الدين أحمد الفتوحى الحنبلى ولاقته الامراء العثمانية وهم الامير على والامير خير الدين
نائب القلعة والامير نصوح وغير ذلك من الامراء العثمانية وخرج اليه طائفة الاصباهية
وأمراؤها والكواخى من أغوات الانكشارية ومشى قدامه الانكشارية قاطبة
والكملية قاطبة وهم يرمون بالنفوط ولاقاه أعيان الشرقية وهم الامير أحمد بن بقر أمير
طائفة جذام وأمير الرايتين ومشايخ عربان الغربية وهم حسام الدين بن بغداد وشيخ
العرب واصل بن الاحدب أمير هوارة وشيخ العرب اسمعيل ابن أخى الجويلى وشيخ العرب
جريش وآخرون من عربان الشرقية والغربية ومشى قدامه النصارى بالشموع الموقودة
ودخل الامير جانم الحمزاوى وعليه خلعة السلطان سليمان ابن عثمان وهى مخمل مذهب فلما
دخل من باب النصر نزل القاضى بركات بن موسى عن فرسه ومشى بالعصا قدام ملك الامراء

من باب النصر الى ان طلع الى القلعة وكذلك الجمالى يوسف نقيب الجيش ولاقته الشعراء بالدف والشبابة السلطانية فلما وصل مدرسة الناصر نثر عليه الحلوانى الذى هناك شيأ من الفضة فقال له ملك الامراء كثر الله خيرك فلما وصل الى باب سوق الوراقين أطلقوا له مجامر البخور بالعود القمارى وركز واله الطبول والزمور والمغانى من النساء والرجال فى عدة أماكن من القاهرة وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت وأوقدت له الشموع على الدكاكين ولاسيما تجار الوراقين فانهم أوقدوا له موكبيات شمع بكارمذهب وصار ملك الامراء يسلم على الناس كلما مر عليهم يمينا وشمالا فارتفعت له الاصوات بالدعاء من الناس قاطبة وكان الامير جانم الحزاوى قدامه وعليه خلعة السلطان سليمان وعن يمينه الامير قايتباى الدوادار وعن يساره الامير ازدمك الناشف وأعيان المباشرين قدامه ودخل صحبة الامير جانم الحمزاوى جماعة من أعيان مصر ممن كان أسر مع السلطان سليم شاه فلما مات وتولى ولده سليمان السلطنة رسم لهم بالعود الى مصر فعد ذلك من جملة محاسنه وعدله وفعله الحسن فحضر صحبة الامير جانم الحمزاوى الشرفى يونس بن الاتابكى سودون العجمى والشمسى محمد ابن القاضى صلاح الدين بن الجيعان والزينى عبد القادر ابن القاضى بركات بن قريعط أحد كتاب المماليك والقاضى كريم الدين عبد الكريم بن اسرائيل والقاضى كريم الدين الجولى وسعد الدين بن جلال الدين أحد كتاب المماليك وأولاد المستوفى سعد الدين وأخوه بركات وكمال الدين العائق مباشر أمير اخور كبير وشهاب الدين أحمد بن أخى الاستادار يونس النابلسى والحاج بدر العادلى المهتار وآخرون ممن كان باسطنبول وأسر من أهل مصر واستمر ملك الامراء فى ذلك الموكب الحافل حتى دخل الى الميدان الذى تحت القلعة وقد طلع من جهة التبانة الى مدرسة السلطان حسن وقد شاهدت هذا الموكب بالمعاينة وكان من المواكب المشهودة الجليلة فلما استقر ملك الامراء بالقلعة خلع على الامير على العثمانى والامير نصوح والامير خيرالدين نائب القلعة والامير شيخ وخلع على القاضى زين الدين بركات بن موسى المحتسب قفطانا مخملا لكونه مشى بالعصا قدامه من باب النصر الى القلعة ولكونه مد للامير جانم الحمزاوى عند ملاقاته مدة حافلة فى بلبيس ثم فى الخانكاه وغير ذلك من الاماكن وفى هذه الواقعة يقول الاديب البارع الفاضل ناصر الدين محمد بن قانصوه بن صادق وأجاد حيث قال

أهلا بمن عنه التواضع راوى * شرفا ومنه الجود وجدا راوى
شرفا تخرله الرؤس لكونه * شرفا علوا الفرقدين يساوى
يامرحبا من قادم أعنى به * مولى المقر هو جانم الحمزاوى
من جاء مصر بخلعة غراحوت * والعزم من ذى الملك فخرا حاوى

شرف من اسطنبول معه بها أتى * منه لخيربك وخيرا ناوى
لله ذاك اليوم وهو بها يرى * وسلامه داء القلوب يداوى
فى موكب الملك العظيم وحوله * أسد سطاها الراسيات يقاوى
والناس فى فرح وفى فرح به * والجو مثل النحل منهم داوى
وصياحهم بالنصر من عظم الدعا * وعدوه كالكلب خزيا عاوى
ولبعضهم بعضا أصابعهم غدت * تبدى الاشارة والرؤس تلاوى
جانم المفدى ونائب فى مصر ذا * والعز فى ذى الخلعتين سماوى
لازال فى مثليهما مرقاهما * فيه على زحل بغيرتهاوى
ببقاء ذى الملك الذى أضحى له * شرف على كسرى وقيصر حاوى
أعنى سليمان المقيم بعدله * أمنا اليه من تروع ياوى
والمدح ممن قاتصوه له أب * يبدى على كبد العدو مكاوى
ولسانه عن حال مصر قائل * ومقاله داء الغلا مداوى
ان فاخرت بالنيل مصر غيرها * فنواله لبلاد مصر تساوى

انتهى ذلك ثم أشيع ان السلطان سليمان نصره الله تعالى أرسل سبع قفاطين حرير الى مشايخ العربان الذين بالصعيد والذين بالغربية والذين بالشرقية والذين بالبحيرة وأرسل لكل واحد منهم مرسوما شريفا على انفراده مع القفطان وأرسل على يد الامير جانم الحمزاوى قفطانا مخملا مذهبا للسيد الشريف بركات أمير مكة المشرفة وأرسل قفطانا مخملا للامير على بن عمر شيخ عربان الصعيد وأرسل قفطانا مخملا لشيخ العرب واصل بن الاحدب أمير هوّاره وأرسل قفطانا مخملا الى الامير أحمد بن بقر أمير جذام وأمير الرايتين وأرسل قفطانا مخملا لشيخ العرب حسام الدين بن بغداد شيخ عربان الغربية وأرسل قفطانا مخملا لشيخ العرب اسمعيل ابن أخى الجويلى شيخ عربان البحيرة فأرسلوا ذلك مع المراسيم ومن كان منهم حاضرا فى القاهرة لبس قفطانه بحضرة ملك الامراء وفى يوم الاحد رابع عشره حضر بين يدى ملك الامراء الامير على العثمانى وخير الدين نائب القلعة والامير نصوح والامير شيخ والقاضى حمزة وغير هؤلاء من الكواخى ثم أحضر الامير جانم الحمزاوى مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان نصره الله تعالى فقام اليه الامراء العثمانية قاطبة وملك الامراء ولم يحضر ذلك المجلس أحد من الامراء الجراكسة ثم قرئ عليهم ذلك المرسوم فكانت ألفاظه باللغة التركية فأحضروا من حلها بالعربية فكان من مضمونه ان السلطان سليمان نعت ملك الامراء نعتا عظيما وفوّض له التكلم على مصر وأعمالها يعزل بها من يختار ويولى من يختار من الثغور والبلاد الشرقية والغربية وبلاد الصعيد ومن مضمونه أنه

اذا قدم عليه قاصد من بلاد الروم لاينعم عليه بأكثر من ألف دينار فانه بلغ السلطان سليمان أنه ينعم على قصاده الواردة عليه من بلاد الروم بمال جزيل فنعه من ذلك ومن مضمونه أن ملك الامراء ينظر فى أحوال الرعية و يصرف الجند جوامكهم فى كل شهر على العادة وأن ينظر فى أمر المعاملة فى الذهب والفضة ومن مضمونه أنه أرسل يطلب جماعة من الاصباهية يمضون الى اسطنبول و يجيء الى مصر غيرهم وأرسل يقول لملك الامراء أن ينظر فى أمر تسعير البضائع كالقمح وغيره وأظهر غاية العدل فى مرسوم ملك الامراء وأكد فيه النظر فى أحوال الرعية قاطبة وفيه يقول الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

كعب سليمان كعب خير * أعنى ابن عثمان دام ملكه

من كعبه مصر فى رخاء * ومن سطاه الملوك ملكه

وفيه أشيع أن السلطان رسم للامير جانم الجزاوى انه اذا دخل الى حلب يطلع القلعة و يأخذ المال الذى كان السلطان الغورى أودعه بها لما خرج الى ملاقاة السلطان سليم شاه ابن عثمان وكان نحو ستمائة ألف دينار وكسور فرسم السلطان سليمان بحمل ذلك الى ملك الامراء خاير بك وانه يسبك الفضة و يضربها باسم السلطان سليمان بمصر وتمشى فى المعاملة للناس والله أعلم بحقيقة ذلك هل له صحة أولا وفى يوم الاثنين ثانى عشريه نزل ملك الامراء من القلعة وعدى الى بر الجيزة ونزل بشبرمنت على سبيل التنزه وكان صحبته الامير قانصوه وآخرون من الامراء الجراكسة والامراء العثمانية والقاضى شرف الدين الصغير والشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى بركات بن موسى المحتسب وآخرون من المباشرين وأقام بشبرمنت الى يوم الاربعاء رابع عشرى صفر وأرسل يطلب عليقا ودقيقا وغير ذلك من دجاج واوز وأشيع انه توجه من هناك الى نحو البحيرة يتصيد فتوجه اليه الامير جانم الجزاوى ونقيب الجيش الجمالى يوسف والقاضى شرف الدين بن عوض و يوسف بن أبى الفرج المفتش وابن أبى اصبع وغير هؤلاء من الاعيان وأرباب الوظائف وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن حجاج الموقع وكان من الاعيان وخدم عدة أمراء مقدمى ألوف واستهل شهر ربيع الاول يوم الاربعاء وكان ملك الامراء غائبا فلم تطلع القضاة الى القلعة ولم يهنوا بالشهر فلما كان يوم الثلاثاء سابعه حضر ملك الامراء من تلك السرحة فكانت مدة غيبته فى هذه السرحة خمسة عشر يوما فتنزه هناك وانشرح الى الغاية وتصيد عدة من الكراكى والغزلان ودخل عليه جملة تقادم حافلة من مشايخ العربان الذين بالغربية والشرقية والكشاف المدركين مابين ذهب وفضة وخيول وجمال وبقر وجاموس وغنم وأوز ودجاج وقند وعسل نحل وسمن وغير ذلك أشياء فاخرة تهدى للملوك فلما رحل من البحيرة لم يتوجه الى الاسكندرية ولم يدخلها فى هذه المرة بل قصد العود الى القاهرة فلما وصل

الى قرية قليوب تسامع به الناس فخرجوا اليه فاضافه هناك شيخ العرب ابن أبي الشوارب وبات بقليوب فلما أصبح رحل من هناك وتوجه الى تربة العادلي التي بالريدانية فقدت هناك مدة حافلة فتغدى هناك ورحل فخرجت اليه قضاة القضاة لتلقيه فلم يجتمعوا به ولم يكن معه غير قاضي القضاة محيي الدين يحيي بن الدميري فقط ثم اصطف له الناس على الدكاكين لاجل الفرجة فلم يشق من القاهرة في ذلك اليوم وطلع الى القلعة من بين الترب فلم يشعر به أحد وفي يوم السبت حادي عشره عمل ملك الامراء المولد النبوي فاجتمعت القراء والوعاظ بالدهيشة وأرسل يقول لقضاة القضاة لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا القلعة فان ملك الامراء حصل له توعك في جسده فلم يحضر المولد ثم أرسل خلف قاضي القضاة المالكي على انفراده وقال له اطلع واحضر المولد وكان قاضي القضاة المالكي من أخصاء ملك الامراء وكان عنده من المقربين ثم ان ملك الامراء أرسل يقول للامراء الجراكسة والامراء العثمانية لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا الى القلعة بسبب المولد فان ملك الامراء احتجب في ذلك اليوم بالاشرفية التي بجوار الدهيشة ولم يجلس عند المقربين ولا حضر السماط في ذلك اليوم بل قعد على رأس السماط قاضي القضاة المالكي والامير برسباي والخازندار وآخرون من الامراء العثمانية وانقضى ذلك وفيه خلع ملك الامراء على القاضي أبي السعود بن الشحنة واستقر أمير جكار عوضا عن الناصري محمد بن أحمد بن اسنبغا بحكم صرفه عنها وفيه تغير خاطر ملك الامراء على الطواشي مسك فرسم بتوسيطه ثم شفع فيه الامراء العثمانية فرسم بنفيه الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فخرج من يومه وسافر في البحر المالح وكان سبب ذلك أن مسك هذا لما ملك السلطان سليم شاه ابن عثمان الديار المصرية لم يقابله واختفى حتى رحل ابن عثمان عن مصر واستقر الامير جان بردى الغزالي في نيابة الشام وسافر اليها فخرج مسك صحبته في الخفية وأقام عنده بالشام فلما جرى للغزالي ما جرى وقتل حضر مسك الى القاهرة وقابل ملك الامراء وصار عنده من المقربين وكان مسك هذا لطيف الذات يشتمل على جملة من المحاسن منها الخط الجيد والقراءة الحسنة وغير ذلك من المحاسن فاتفق أن الطواشي الذي حضر من اسطنبول رأى مسك هذا الذي كان يكرمه السلطان سليم شاه ولما دخل الى مصر هرب وتوجه الى جان بردى الغزالي فتغير خاطره عليه فرسم ملك الامراء بتوسيطه ثم شفع فيه من التوسيط فرسم بنفيه وكان مسك هذا من أعيان خدام الاشرف قايتباي وفي يوم الجمعة سابع عشره خرجت الملكة خاتون عمة السلطان سليمان وقد تقدم القول انها أتت الى مصر لتحج فلما حجت قصدت العود الى بلادها وعين معها ملك الامراء جماعة من الكملية ومن الاصباهية يحفظونها في الطريق اذا سافرت فاشيع بعد سفرها بايام أن العربان خرجت عليها في العريش ونهبت أطراف بركها

من جمال وقماش وغير ذلك ومن النوادر الغريبة ماوقع يوم الخميس ثالث عشريه وذلك أنه قد أشيع فى القاهرة بين الناس أن الشهابى أحمد بن الجيعان قد شنق نفسه فاضطربت القاهرة فى ذلك اليوم أشد الاضطراب ولم يشك أحد من الناس فى ذلك لان المقر الشهابى أحمد بن الجيعان حصل له فى تلك الايام غاية الشدائد والمحن وصار ممقوتا عند ملك الامراء وقد تقدم القول على سبب ذلك فلما قويت الاشاعات بذلك كان الشهابى أحمد بالقلعة فقال له الامير جانم الحمزاوى قم وانزل وشق من القاهرة حتى تخمد هذه الاشاعة فقام ونزل من القلعة وشق القاهرة فلما رآه الناس فرحوا به وهنوءه بالسلامة وخمدت تلك الاشاعة الباطلة التى ليس لها صحة فعد ذلك من النوادر الغريبة وفى شهر ربيع الآخر وكان مستهله يوم الجمعة طلع القضاة الاربعة وهنوءا ملك الامراء بالشهر فلما تكامل المجلس حصل فى ذلك اليوم تشاجر بين قاضى القضاة الحنفى على الطرابلسى وبين مستنيبه محب الدين سبط الشيخ بدر الدين محمد بن الدهانة وقد ناقضه قاضى القضاة الحنفى فى القول وقال له حكمك لا يجوز وقد وليت بالرشوة واسمعه من هذه الالفاظ المنكرة أشياء كثيرة بحضرة ملك الامراء وبحضرة قضاة القضاة ومشايخ العلم فقال قاضى القضاة الشافعى لمحب الدين حكمك الذى حكمته باطل فقال له محب الدين ماهو صحيح منك واستمر المجلس يتزايد فى اللغط بين الفقهاء بحضرة ملك الامراء وكان قاضى القضاة الحنفى أهوج رهاج وعنده صعصعة وبادرة حدة مع قلة دربة فلما رأى ملك الامراء المجلس قد انفض على غير طائل أصلح بين قاضى القضاة الحنفى وبين مستنيبه محب الدين سبط بن الدهانة فاصطلحا صلحا على فساد وانفض ذلك المجلس ثم ان ملك الامراء قال لقاضى القضاة الحنفى لا تبقى تعارض محب الدين فى أحكامه فنزل محب الدين وهو منتصف على قاضى القضاة وقد بهدله فى ذلك اليوم غاية البهدلة وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بانه قد وقع بها زلزلة عظيمة فهدمت عدة بيوت سقطت على أهلها ورمت الاعمدة التى تحت الاماكن والقبب وكانت من الامور المهولة وذكروا انه وقع مثل هذه الزلزلة فى أيام الخنكار أبى يزيد جد السلطان سليمان فجرى عقيب ذلك ماجرى مع السلطان قايتباى وكسر مرتين وقتل من عسكره مالا يحصى عدده وفى يوم الخميس سابعه أشيع أن شخصا منجما قال انه فى يوم الجمعة تثور على الناس رياح عاصفة وتقع زلزلة عظيمة حتى تسقط منها البيوت وتقبض الناس وهم فى صلاة الجمعة فانتشرت هذه الاشاعة فى القاهرة وانطلقت ألسنة الناس بذلك قاطبة فاضطربت القاهرة لهذه الاشاعة وصار الناس يودع بعضهم بعضا وباتوا تلك الليلة على وجل فلما أصبحوا وجاء وقت صلاة الجمعة دخلوا الى الجوامع فصلوا وعلى رؤسهم طيرة فلما قضيت الصلاة وخرجوا من الجوامع صار لهم ضجيج وهم يهنؤن بعضهم بعضا بالسلامة ويصافحون

بعضهم بعضا وخدت هذه الاشاعة التى لا أصل لها وقد اتفق مثل هذه الواقعة فى أوائل
سلطنة الاشرف قايتباى وأشيع مثل ذلك ان الناس اذا صلوا الصلاة يقبضون وهم فى
صلاة الجمعة فلما دخل الناس الى الجوامع صار على رؤسهم طيرة فاتفق ان خطيبا كان فى
الجامع الذى عند ميدان القمح وكان يعتريه خلط مصرع فلما صعد المنبر عرض له ذلك
الخلط المصرع وهو على المنبر فاضطرب وسقط عن المنبر فلما عاين الناس ذلك اضطربوا
وهربوا من الجامع ولم يصلوا وظنوا أن الذى أشيع حق فعد ذلك من النوادر وأهل مصر
ليس لهم عقول يصدقون بالمحالات الباطلة التى ليس لها صحة وفى يوم الاثنين حادى عشره
نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى بولاق وكشف على المراكب الاغربة التى عمرها هنالك
فسيرت قدامه فى البحر ذهابا وايابا وهو ينظر اليها والنفوط عمالة ثم عاد الى القلعة وفى يوم
السبت سادس عشره سقطت القبة العظيمة التى كانت على الايوان باكر النهار وهذه
القبة من انشاء الناصر محمد بن قلاون فلما سقطت تفاءل الناس بزوال ملك ملك الامراء
عن قريب وهذه القبة لها نحو مائتى سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها
رصاص وكانت مغلفة بقيشانى أخضر ولم يعمر فى مصر أكبر منها وكانت من نوادر
الزمان وفى يوم الاثنين ثامن عشره توجه الامير شيخ العثمانى الى اسطنبول وأرسل صحبته
تقدمة حافلة الى السلطان سليمان ابن عثمان وأرسل يشاور السلطان فى أمور كثيرة
من أحوال المملكة وينتظر الجواب عن ذلك وأشيع أن السلطان سليمان أرسل يطلب
من ملك الامراء نخيل بلح ليزرعها فى اسطنبول فشرع ملك الامراء فى تجهيز ذلك فقيل
انه أرسل اليه خمسمائة نخلة من البلح الحيانى وهى نخيل صغار تطرح بلحا حيانيا أحمر
فى غاية الحلاوة فأرسل تلك النخيل فى صناديق خشب وهى فى طينها وأرسلها فى مراكب
الى البحر المالح وتتوجه من هنالك الى اسطنبول وأرسل صحبتها خولة تزرعها هنالك وفيه
جهز ملك الامراء الاغربة وبها مقاتلون من المغاربة وغيرهم وقد بلغه أن جماعة من
الفرنج تعبث فى السواحل وتشوش على المسافرين فى البحر ولما سافر بعض التجار من
الاروام فى البحر وقصد يطلع من الاسكندرية ويتوجه من هنالك الى اسطنبول أوسق
معه عدة مراكب بضائع وأصنافا كثيرة من قماش وغير ذلك بنحو مائة ألف
دينار وكان فى ذلك المركب رجال ونساء وصغار وتجار من الاروام وعبيد وجوار فلما
سافروا من ساحل بولاق وأقلعوا ذلك اليوم ثارت عليهم رياح عاصفة فلما وصلت المركب
الى شبرا دارت فى البحر وغرقت هنالك بكل ما فيها من الخلائق والبضائع والاصناف
وكان فيها تجار مغاربة وبحارة وكانوا قبل سفرهم صاروا يشوشون على الناس ويمسكونهم
من الطرقات غصبا بسبب المراكب فكثر الدعاء عليهم من الناس بظلمهم وحصل

لاهل مصر فى ذلك اليوم غاية الضرر فلما سافرت المراكب غرق أكبرها فى يومه لما
حلت من بولاق وذلك بدعاء الناس عليهم وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن المعلم ابراهيم
اليهودى معلم دار الضرب كان له جاريتان احداهما حبشية والاخرى سوداء فوطئ
الجارية الحبشية فحبلت منه فوضعت بنتا فعاشت تلك البنت سبعة أشهر ثم ان الجارية
الحبشية أظهرت انها تريد ان تدخل الحمام فلما وصلت الى الحمام هربت وتوجهت الى
بيت قاضى القضاة محيى الدين بن الدميرى وقالت له ياسيدى القاضى أنا مسلمة وأبدت
الشهادة بين يديه ثم قالت له أنا سيدى المعلم ابراهيم اليهودى معلم دار الضرب وقد وطئنى
وحملت منه بهذه البنت وأنا صرت مسلمة ما بقيت أقعد عنده فحكم قاضى القضاة
باسلامها فى الحال وأرسل خلف اليهودى معلم دار الضرب بسبب ابنته فانها صارت مسلمة
تابعة لامها فحكم قاضى القضاة باسلام البنت أيضا وأمها فقيل ان المعلم ابراهيم دفع
لقاضى القضاة خمسمائة دينار على أن يجعل البنت تبعا لابيها فأبى من ذلك واستمر مصمما
على حكمه فطلع ابراهيم اليهودى الى ملك الامراء وكتب قصة بشرح الحال ووقف الى
ملك الامراء فقال له قاضى القضاة حكم باسلام البنت وأمها وصارت مسلمة
أعيدها أنا الى دين اليهود فلم يطلع من يد ابراهيم اليهودى فى هذه الواقعة شئ ونزل من القلعة
وهو مخزى وعتقت الجارية وابنتها على رغم أنفه وفيه قدمت الاخبار من الغربية
ان عربان عزالة قد نزلوا على البساط بالقرب من تروجة وصاروا ينهبون الجرون ويرعون
الزروع فخاربهم شيخ العرب اسمعيل ابن أخى الجويلى وكسرهم واحتوى على جمالهم
وأغنامهم وخيولهم وغير ذلك ولم يترك لهم شيأ وهربوا ومضوا حيث شاؤا ثم ان اسمعيل
أرسل تلك الغنيمة الى ملك الامراء فشكره على ذلك وفى شهر جمادى الاولى وكان مستهله
يوم السبت طلع القضاة الاربعة وهنؤا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى منازلهم وفى ذلك اليوم
خلع ملك الامراء على الامير جانم السيفى دولات باى الاتابكى كاشف الفيوم وقرره أمير ركب
المحمل على عادته وهذه ثالث مرة يسافر أميرا الحاج فى دولة ملك الامراء خاير بك وفى ذلك
اليوم (١) نادى ملك الامراء فى القاهرة بان الدينار السليم شاهى يصرف بأربعين نصفا من
الفضة العتيقة والدينار السليمانى يصرف بخمسة وستين نصفا حسابا عن كل نصف فضة من
الفضة الجديدة يقع بنصفين وربع عبارة عن ان الدينار السليمانى يقف فى البيع والشراء
بخمسة وعشرين نصفا فلما نودى فى القاهرة بذلك اضطربت أحوال الناس فى تلك
المعاملة وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة الجديدة وسعر بالفضة العتيقة فضج
الناس من ذلك وغلقت الاسواق والدكاكين وبطل البيع والشراء ووقف حال التجار
والمسببين وصار النصف العتيق يصرف بستة دراهم فلوس جدد والفضة الجديدة تصرف

(١) قوله نادى ملك الامراء الخ تأمل هذا

بنصفين وربع وقد لعب ابراهيم اليهودى فى أموال المسلمين من ذهب وفضة وفلوس جدد وتحكم فى أخذما بيد الناس من أموالهم بغير حق والامر الى الله تعالى وفى يوم الاربعاء خامس الشهر اجتمع الجم الكثير من السوقة والسببين وجماعة من القزازين من منية أبى عبدالله وجماعة من المكاسة وغير ذلك وحملوا على رؤسهم مصاحف وربعات وأعلاما وطلعوا الى القلعة وزعموا أن محيى الدين بن أبى أصبع قد ظلمهم بسبب مكس الاطرون وأخذ منهم على حكم المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربع وقد ظلمهم وصار يقيم لهم النصف من الفضة العتيقة بستة نقرة فلما طلعوا الى القلعة لم يجتمعوا بملك الامراء واحتجب عنهم وأرسل اليهم الامير جانم الحمزاوى والقاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك فقال لهم ملك الامراء يقول لكم هذا أمر السلطان فى أمر المعاملة فكابروا ووقفوا وشكوا وتحسبوا فخرج اليهم جماعة من الانكشارية فضربوهم بالعصى على وجوههم فتشتتوا ونزلوا على أسوا حال وهم فى غاية الذل وفيه نزل ملك الامراء وتوجه الى بركة الحبش على سبيل التنزه فجهز اليه القاضى المحتسب هناك مدة حافلة وأقام الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة فى يومه وفيه نودى فى القاهرة بأن السنج والارطال القديمة التى كانت تتعامل بها الناس من قديم الزمان تبطل جميعها من القاهرة وأخرجوا لهم سنج نحاس وأرطالا تسمى العثمانية وهى عبارة عن تسعة دراهم فتنقص كل مائة درهم أربعة دراهم فى سائر الاوزان قاطبة فى البضائع حتى فى المسك والعود والعنبر وغير ذلك فتصير كل مائة درهم ستة وتسعين درهما وعملوا مثل ذلك فى القبان أيضا وحرجوا على الناس فى استعمال تلك السنج والارطال وأوعدوا السوقة ان كل من خالف فى ذلك شنق من غير معاودة فى ذلك وقد تقدم القول أنهم أبطلوا الذراع الهاشمى وأخرجوا الذراع العثمانى الذى يزيد على الهاشمى خمسة قراريط ونصف قيراط وكتبوا على التجار قسائم ان لا يستعملوا الا الذراع العثمانى فقط فشق ذلك على الناس قاطبة وفى يوم السبت ثامن الشهر رسم ملك الامراء بشنق أنفار منهم يهودى ونصرانى وقد ظهر عليهم شئ من الزغل فى الذهب والفضة وقدم النصرانى على اليهودى فكبسوا على اليهودى فى بيته فوجدوا عنده آلة الزغل وشخص آخر مقدم درك الازبكية أشيع انه قتل فى دركه شخصا من الانكشارية وشخص آخر قيل هو ابن أنس التى كانت فى الازبكية وغرقوها قبل تاريخه فخوزقوا الاربعة فى يوم واحد فاما اليهودى فخوزقوه عند باب الصاغة والنصرانى خوزقوه بالقرب من المارستان وأشيع عنه انه لما خوزقوه أسلم وتلفظ بالشهادتين فلم يلتفتوا الى اسلامه فخوزقوه وأقام يوما وليلة وهو فى قيد الحياة يتكلم حتى مات بعد ذلك وأما مقدم درك الازبكية فخوزقوه فى الازبكية عند الدكة بالقرب من بركة قرموط عند المكان الذى

قتل فيه الانكشارى وأما ابن أنس المعرصة التى غرقوها لخوزقوه فى الازبكية قيل انه كان له جرة فى الانكشارى الذى قتل ومن الحوادث الشنيعة فى ذلك اليوم أن جماعة من الانكشارية مروا بذلك النصرانى الذى خوزقوه عند باب المارستان فوجدوه يتلفظ بالشهادتين فطلب شربة ماء من الانكشارية الذين حوله وكان أربعة مماليك من مماليك الامير قايتباى الدوادار واقفين مع الانكشارية فرفقوا بذلك النصرانى وأنزلوه الى الارض وقلعوا الخازوق من بطنه وسقوه شربة ماء وأرقدوه على الارض فحصل بين الانكشارية وبين مماليك الامير قايتباى الدوادار تشاجر بسبب ذلك النصرانى فاتسع الشر بينهم فسحب بعض مماليك الامير قايتباى خنجرا وهاش به على الانكشارية فجرح منهم شخص وسال دمه وانقطعت جوخته فتكاثرت الانكشارية على المماليك فهربوا منهم وتوجهوا الى بيت الدوادار الذى بين القصرين فتبعهم الانكشارية وهجموا عليهم فى بيت الدوادار فاغلقوا الباب فى وجوههم خفقوا منهم وقصدوا أن يحرقوا الباب وثارت فتنة عظيمة كما يقال ومعظم النار من مستصغر الشرر فلما بلغ الوالى ذلك أرسل دواداره فأعاد النصرانى الى الخازوق ثانيا وفيه الروح فلما طلع النهار بلغ ملك الامراء أخبار هذه الواقعة فتغير خاطره على الامير قايتباى الدوادار بسبب مماليكه فارسل يطلب منه مماليكه الذين فعلوا هذه الفعلة فطلع اليه الامير جانى بك أخو الدوادار فلما رآه ملك الامراء طفش فيه بالكلام وقال له ان لم تحضر هذه المماليك الذين أثاروا هذه الفتنة ما يحصل لك خير فنزل من عنده وهو فى غاية النكد ثم ان ملك الامراء نادى فى القاهرة كل من أخفى عنده مملوكا من مماليك الدوادار شنق على باب داره من غير معاودة والذى يحضر مملوكا منهم فله مائة دينار وقفطان مخمل فلما كان يوم الاثنين عاشر الشهر نزل ملك الامراء الى الميدان وأحضروا بين يديه مملوكين من مماليك الامير قايتباى الدوادار ممن فعل هذه الفعلة وقد قبض عليهما الوالى ورسم بتوسيطهما فوسطوهما على باب الميدان ووسط معهما بواب الدوادار أيضا لكونه أغلق فى وجه الانكشارية الباب فراح البواب ظلما وكان عند ملك الامراء الامير قايتباى فقته ملك الامراء غاية المقت فلما رسم ملك الامراء بتوسيط البواب قام الامير خير الدين نائب القلعة والامير نصوح العثمانى وشفعا فى بواب الدوادار فان له أولادا وأباشيخا كبيرا فلم يلتفت الى شفاعتهما فقاما وقبلا يدى ملك الامراء ثانى مرة وهو لا يزداد الا قسوة وحصل للامير قايتباى فى هذه الحركة غاية البهدلة وانحطت كلمته عند الناس قاطبة وقيل ان الامير قايتباى الدوادار دفع للانكشارى الذى قالوا انه جرح مائة دينار وأعطاه جوخة كانت عليه وجبتى حرير بفرو سنجاب فى نظير جوخته التى شرطت وأعطاه خنجرا عوضا عن خنجره الذى زعم أنه سقط منه وأرضاه بكل

ما يكن وهذه من أبشع الحوادث وأشنعها ومن هنا نرجع الى أخبار ذلك النصرانى الذى أسلم المأخوذ قوه فاستمر يتلفظ بالشهادتين حتى مات فشاوروا عليه قاضى القضاة كمال الدين الطويل الشافعى فرسم بان يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ويدفنوه فى مقابر المسلمين ففعلوا به ذلك وسار جماعة من العوام قدام نعشه حتى دفنوه بعد الصلاة عليه فى جامع الحاكم وفى يوم الخميس ثالث عشره سافر القاصد الذى كان حضر وبشر بأن الامير مصطفى قد تزوج بابنة السلطان سليم شاه وهى أخت السلطان سليمان فأنعم عليه ملك الامراء بمال له صورة وكذلك سائر الامراء العثمانية وأرباب الدولة فدخل عليه فوق العشرة آلاف دينار ودخل عليه مثل ذلك بالشام وحلب وسائر النواب وفى يوم الجمعة رابع عشره أشيع قدوم شيخ العرب الامير أحمد بن قاسم بن بقر ويعرف بأبى الشوارب وكان توجه الى الامير جان بردى الغزالى وطلب له من ملك الامراء الامان على نفسه فحضر الى القاهرة وقابل ملك الامراء فخلع عليه وصار عنده من المقربين فأقام مدة على ذلك ثم بدا لملك الامراء قتله فأرسل الى جانى بك كاشف الشرقية بان يقطع رأسه فتوجه اليه جانى بك وهو فى منية أبى الحارث بالدقهلية فهجم عليه وقطع رأسه وقتل معه شخصا آخر من مشايخ عربان العايد فلما قتل الامير أحمد بن قاسم بن بقر نهبت داره وسبيت نساؤه وأولاده ولم يعلم أحد ما سبب ذلك ثم ان الامير جانى بك الكاشف أرسل رأس الامير أحمد بن قاسم وراس شيخ العايد فرسم ملك الامراء بدفن الرؤس وقد أخذ ملك الامراء بثاره من أحمد بن قاسم وكان فى قلبه منه شئ من حين توجه الى الغزالى نائب الشام فكان كما يقال فى المعنى

قالت ترقب عيون الحى ان لها * عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

وفيه توفى الامير تمراز الشمسى السيفى الاتابكى الذى كان كاشف البحيرة وكان لا بأس به وفى يوم الاثنين سابع عشره قبض ملك الامراء على المقر الشهابى أحمد بن الجيعان وسجنه بالقاهرة بالعرقانة وكان ملك الامراء متحملا منه فى الباطن غاية التحمل وكانت هذه أول كائنة وقعت له مع ملك الامراء وأمره الى الله تعالى فأقام أياما وهو فى الترسيم ثم ان ملك الامراء خلع عليه بعد ما أورد مالا له صورة من التقسيط الذى كان عليه وقد نفد منه جميع ما معه من المال ولم يبق على ملكه لا رزقة ولا اقطاع ولا بيوت ولا دكاكين وابتاع سائر رقاعاته التى على بركة الرطلى فاشتراها الامير قاسم الشروانى الذى كان نائب جدة بابخس الاثمان وجرى عليه شدائد ومحن دون أقاربه الذين مضوا وما لاقى خيرا فى هذه الدولة وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفى يوم الاثنين كان عيد الفصح عيد النصارى وهو أول يوم من الخماسين وهو أكبر أعياد النصارى فحكى عن يونس النصرانى مباشر ملك الامراء أنه صنع فى ذلك اليوم خمسين بطة من الدقيق برسم الكعك والخشتنان واثنى عشر قنطار شيرج

وعشر قناطير سكر وعشرين ألف بيضة برسم صباغ البيض الذى يفرق على الناس ودخل عليه تقادم من الاعيان وأشياء كثيرة من أغنام وأوز ودجاج وغير ذلك وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا يقال له ابن الشاطر حسن المصارع خرج من بيته بعد العصر وركب على حماره ثم جلس على مصطبة تحت بيت فى الجسر ليتفرج فاضطرب ساعة يسيرة ثم طلعت روحه فى الحال وصار ملقى على الطريق فضى الناس الى ولده وزوجته وأخبروهما بموته فأحضروا له نعشا وحملوه عليه بعد المغرب ومضوا به الى بيته وكان ذلك الرجل يبيع الورق فنعوذ بالله من موت الفجأة على حين غفلة وفى يوم السبت ثانى عشريه قدم أمير من أمراء السلطان سليمان وقد طلع من البحر من ثغر الاسكندرية فلما بلغ ملك الامراء قدومه رسم للامير جانم الحمزاوى والامير قايتباى الدوادار أن يخرجا الى ملاقاته فخرجا الى وردان ولاقوه من هناك ومدوا له هناك مدة حافلة وصارت الكشاف ومشايخ العربان تمد له المدات بطول الطريق فلما وصل الى بولاق نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هناك فلما كان يوم الاربعاء سادس عشريه دخل الامير سنان بك الذى أرسله السلطان سليمان الى مصر ليقيم بها عوضا عن الامير نصوح ويسافر الامير نصوح الى اسطنبول قيل ان الامير سنان هذا كان عند السلطان سليم شاه بن عثمان من المقربين وكان عنده بوابا لما دخل الى مصر وكان موكلا بحفظه ليلا ونهارا فلما رجع السلطان سليم الى اسطنبول جعله نائبا على بلد يقال لها انطاكية فلما تسلطن ولده سليمان أرسله الى مصر ليكون أمينا على ملك الامراء فلما توجه اليه ملك الامراء أركبه فرسا بسرج ذهب وعرقية زركش وألبسه قفطانا مذهبا فركب من بولاق وملك الامراء صحبته فتوجهوا من باب البحر وعلى رأسه صنجق حرير أحمر وخلفه طبلان وزمران وكان معه نحو مائة مملوك مشتروانه فلما دخل من باب البحر استمر فى ذلك الموكب حتى شق من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فانزلوه فى بيت الاتابكى قرقماس الذى عند حوض العظام ومدوا له هناك مدة حافلة ثم أشيع انه لما دخل الامير سنان أخبر ان السلطان سليمان بن عثمان جهز خمسمائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج بنفسه الى قتال أهل رودس من الفرنج وقد جمع من العساكر مالا يحصى عددهم وهو قاصد التوجه اليهم قيل ان الامير سنان لما مر على ضياع الشرقية التى على شاطئ البحر وقف اليه الجم الكثير من الفلاحين واستغاثوا به ودعوا بالنصر للسلطان سليمان ابن عثمان وقالوا قد خربنا من الظلم يأخذوا منا النصف من الفضة الجديدة بنصفين وربع وعند الحساب يقيمونه علينا بنصف فضة مايحل من الله سبحانه وتعالى فوعدهم بالنظر فى أحوالهم ولم يظهر لقوله نتيجة فيما بعد واستمر كل شئ على حاله وفى يوم الخميس سابع عشريه طلعت تقدمة الامير سنان بك الى ملك الامراء فكان من جلتها أربعة مماليك صغار

مردجرا كسة وجملان مابين شربات وطاسات وغير ذلك وجملان شقق برصاوى مذهب
وأثواب مخمل ملون وعليها فرو سمور ووشق وسنجاب وجملان اقواس وغير ذلك وفى يوم
السبت سلخ هذا الشهر طلع الامير سنان بك الى القلعة وحضر الامراء العثمانية ثم ان
الامير سنان أحضر مرسوم السلطان سليمان الذى حضر على يده فلما قرئ عليهم كان
من مضمونه الوصية بالرعية والنظر فى أحوال الناس فى أمر المعاملة وأرسل يقول لملك
الامراء انه لا يمكن أحدا من الانكشارية من النزول الى المدينة حتى لا يشتكى أحد
من الناس منهم وان ملك الامراء لا يصرف لهم فى كل يوم أكثر من درهمين فضة كما
كانوا فى اسطنبول وأرسل يقول له أشياء كثيرة من تعلقات المملكة وفى شهر جمادى
الآخرة وكان مستهله يوم الاحد طلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم عادوا
الى منازلهم وقيل لما طلع القضاة الى القلعة للتهنئة نزل ملك الامراء لزيارة الامام الشافعى
والامام الليث فابطأ عليهم حتى اضحى النهار وهم جلوس بجامع القلعة فلما عاد جلس
بالدهيشة وأرسل خلفهم فهنوه بالشهر ونزلوا وفى ذلك اليوم حضر الشريف البردينى من
اسطنبول وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان متوج بعلامته بانه استقر به ناظر
المدرسة الشيخونية وشيخها وكذلك مشيخة مدرسة الامير قانى باى الجركسى التى فى الرميلة
والنظر على جهات السادة الاشراف قاطبة فلم يلتفت الى مافى مراسيمه وعز ذلك عليه فانه
أخذ عدة أنظار ونزع أيدى المتحدثين عليها ومما وقع فى ذلك اليوم ان شخصا وقف الى ملك
الامراء بقصة واشتكى فيها المقر الشهابى أحمد بن الجيعان شكوى بالغة وكان ملك
الامراء متغيظا عليه فلما شكاه ذلك الرجل قبض عليه ملك الامراء وسجنه فى مخزن
عند بواب الحوش ورسم أن لا يدخل عليه أحد من جماعته ولا يفرش تحته شئ ولا حصير
ثم قبض على دواداره محمد وضربه بين يديه وسجنه بالعرقانة داخل الحوش وقرر عليه
ألف دينار يوردها على الجامكية وفى يوم السبت سابعه دخل العسكر الذين أرسلهم
السلطان سليمان الى مصر يقيمون بها والذين كانوا بها يتوجهون الى اسطنبول فلما وصل
العسكر الى الريدانية نزل ملك الامراء الى تربة العادلى ولاقى العسكر الذين حضروا من
اسطنبول وكان باشهم يسمى الامير خضر وكان ذلك العسكر كله من الاصباهية قيل انهم
فوق ألف انسان فدخل ملك الامراء من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب
حافل فلما دخلت الاصباهية الى مصر طفشوا فى المدينة بسبب البيوت التى ينزلون بها
فصاروا يشوشون على الناس ويخرجونهم من بيوتهم غصبا بالضرب ويسكنون بها ثم
أشيع انه حضر صحبة العسكر شخص من العثمانية يزعم انه قاض من قضاة ابن عثمان
وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليمان بأن يستقر فى وظيفة يقال لها القسام

وموضوع هذه الوظيفة أن يكون متحدثا على جميع التركة قاطبة الاهلية وغير الاهلية ولا يعارضه أحد من الناس فى ذلك ويأخذ مما يتحصل من كل تركة العشر لبيت المال الاهلية وغير الاهلية فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل ومن مضمون مراسيمه ان لا أحد من المماليك الجراكسة وأولاد الاتراك قاطبة وأرباب الدولة والاصباهية والانكشارية يعقد عقدا على بكر أوثيب الا عند ذلك القسام ويأخذ على عقد البنت ستين نصفا والثيب ثلاثين نصفا فأخذ قسام على قضاة القضاة بذلك فاضطربت أحوال الناس لذلك ولم يتعصب أحد من قضاة القضاة لمنع ذلك عن المسلمين وقد خافوا على مناصبهم من العزل وتغافلوا حتى ضعفت شوكة الاسلام فى أيامهم واستطالت قضاة الروم عليهم وقد ترادفت الحوادث المنكرة والبدع الشنيعة المخالفة للشريعة فى هذه الايام وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فصار يوسف بن أبى الفرج مفتش الرزق والاقطاعات وفخر الدين بن عوض مفتش الرزق الاحباسية التى بالصعيد والامير على العثمانى مفتش الاوقاف قاطبة والقسام الذى حضر قسام التركة وملك الامراء يعينهم على ذلك فأين المهرب كما يقال فى المعنى

رعاة الشاة تحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هى الذئاب

وفى يوم الاحد خامس عشره خرج الامير على العثمانى باش العسكر الاصباهية وتوجه الى خيامه بالريدانية ثم فى يوم الخميس تاسع عشره خرج الامير نصوح العثمانى وصحبته من كان تأخر من الاصباهية فلما سافروا سكن الامير سنان فى بيت الامير ازدمر الدوادار عوضا عن الامير نصوح وسكن الامير خضر فى بيت الامير طراباى عوضا عن الامير على الذى توجه الى اسطنبول وفى يوم الجمعة عشريه حضر القاضى بركات بن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو المنزلة فأقام بها مدة ثم رجع فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامراء خلع عليه فنزل من القلعة وهو فى موكب حافل ففى ذلك اليوم أشهر المناداة فى القاهرة بأن الفلوس الجدد كل فلسين بدرهم فحصل للسوقة غاية الضرر بسبب ذلك ثم ان القاضى بركات بن موسى المحتسب ضمن الشهابى أحمد بن الجيعان وأفرج عنه من الترسيم ونزل الى منزله وكان له مدة وهو فى الترسيم كما تقدم وفيه عزم الامير سنان على ملك الامراء فنزل اليه ملك الامراء فمد له مدة حافلة وحضر أيضا الامير خضر فأقام ملك الامراء عنده الى قريب الظهر وركب من عنده وطلع الى القلعة وفيه رسم ملك الامراء بشنق ثلاثة أنفس وكان ذنبهم أنهم سرقوا شيأ يسيرا من الخيار الشنبر فشنقوا بسبب ذلك وراحوا ظلما وفى يوم الاثنين ثالث عشريه أنفق ملك الامراء على العسكر جامكية ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة لانهم كان لهم ستة أشهر مكسورة لم تصرف وفى ذلك اليوم قطع ملك الامراء جوامك كثير من المماليك الجراكسة وأولاد الناس وصرف لهم بحكم

النصف فجعل لكل واحد ألف درهم ويصير طرخانا فشق ذلك على المماليك الجرا كسة
وكان فيهم من هو كفؤ للاسفار والتجاريد وفيهم من هو شاب بطل وكذلك أولاد الناس وفى
أواخر هذا الشهر حضر أولاق من اسطنبول فى البحر المالح الى الاسكندرية ثم قدم الى مصر
وطلع الى ملك الامراء وعلى يده مرسوم من عند السلطان سليمان ابن عثمان فكان من
مضمونه ان الواصل الى الديار المصرية الذى يسمى سيدى چلبى هو أعظم قضاة السلطان
سليمان وأكبرهم وان السلطان سليمان رسم بابطال القضاة الاربعة الذين بمصر ويصير قاضى
العسكر الذى هو قادم يتصرف فى الاحكام الشرعية على المذاهب الاربعة وأن سائر
النواب والشهود تبطل قاطبة ويقتصر الامر على أربعة نواب من كل مذهب نائب لاغير
وكل نائب يقتصر على اثنين من الشهود لاغير وان النواب الاربعة يكونون فى الصالحية لاغير
وان لاأحد يعقد عقدا ولا يوقف وقفا ولا يكتب وصية ولا عتقا ولا اجارة ولا حجة ولا غير
ذلك من الامور الشرعية حتى تعرض على قاضى العسكر بالمدرسة الصالحية دائما فلما وقف
ملك الامراء على مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان أرسل يقول للقضاة الاربعة اصرفوا
الرسل عن أبوابكم والنواب قاطبة والوكلاء والزموا بيوتكم الى أن يحضر قاضى العسكر
حسبما رسم به السلطان سليمان ابن عثمان فامتثلوا ذلك وصرفوا من كان على أبوابهم من الرسل
والوكلاء فاضطربت أحوال النواب والشهود والقضاة قاطبة وضاق الامر على الناس
أجمعين وفى يوم الجمعة سابع عشريه وقعت حادثة مهولة وهى أن ملك الامراء أرسل
خلف الشهابى أحمد بن الجيعان شاويشا فلما حضر بين يديه بطحه على الارض وضربه
ضربا مبرحا حتى قيل تبدل عليه خمسة وعشرون نوبة يضربونه بالعصى ثم انه طلب
القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان مريضا ملازم الفراش وعينه موجوعة
ولما أرسل خلفه اعتذر بأنه قد شرب دواء وهو مريض فحنق منه ملك الامراء فأرسل اليه
أربعة شاويشية فحملوه من فراشه وأركبوه غصبا فلما طلع الى القلعة ووقف بين يدى ملك
الامراء بطحه الى الارض وضربه ضربا مبرحا حتى قيل تبدل عليه خمسة وعشرون نوبة
وهو يقول للمماليك الذين يضربونه اضربوه وقوى هذا عدوكم الاكبر فضربوه حتى
كاد أن يموت ويهلك ثم طلب القاضى شرف الدين بن عوض فلما حضر بطحه على
الارض وضربه ضربا مبرحا دون ضرب الشهابى أحمد بن الجيعان ثم طلب محيى الدين بن أبى
أصبع وهم بضربه فشهد له الامير برسباى الخازندار أنه غلق ما عليه من التقسيط فأقامه
ولم يضربه فى ذلك اليوم ثم رسم ملك الامراء بسجن الجميع فى العرقانة فسجنوا فيها وقد
خرب بيت أولاد الجيعان عن آخره وقد اشتد غضب ملك الامراء على المباشرين فى
ذلك اليوم وكان يوما مشهودا بالنكد عليهم قاطبة وقيل لم يسجن بالعرقانة سوى القاضى
شرف الدين الصغير وسجن الشهابى أحمد بن الجيعان وابن عوض عند باب الحوش الى

ان

أن يكون من أمرهما ما يكون (أقول) ان أولاد الجيعان قد خدموا سبعة عشر سلطانا وباشروا ديوان الجيش وكتابة الخزانة في أوائل دولة الاشرف برسباى وكان أول اشتهارهم وظهورهم في دولة الملك المؤيد شيخ وذلك نحو مائة وعشرين سنة فما أهينوا فيها قط ولا ضربوا ولا صودروا ولا جرى عليهم قط تشويش وهم في كل دولة معظمون مكرمون وما تبهدلوا قط وما جرى عليهم مثل ما جرى على الشهابى أحمد هذا وكانت السلاطين تعظمهم غاية التعظيم الى غاية دولة الاشرف الغورى وفيه وقعت حادثة غريبة وهى أن شخصا من تجار الروم بخان الخليلى يقال له الخواجا محمود العجمى التبريزى وهو في سعة من المال وكان يقرض أعيان المباشرين المال بالفوائد الجزيلة ويأخذ الربا من الناس على القرض ولاسيما المحتاج لذلك فاتفق انه سكر يوما وأتى الى منزله فوجد جواريه واقعات في بعضهن وتقاتلن قتالا مهولا فخنق منهن فضرب جارية حبشية منهن على ضلعها فجاءت الضربة صائبة فماتت الجارية من وقتها وكان معه منها أولاد وكادت الاشلة تقوم عليه من الناس من أهل الحارة لاجل ذلك فطلع الى ملك الامراء وقص عليه القصة بأمر تلك الجارية واعترف بقتلها فغضب عليه ملك الامراء ورسم عسكه ثم أرسله عند الوالى فركب الوالى وتوجه الى بيت الخواجا محمود ليكشف عن أمر تلك الجارية كيف قتلت فوجد الخواجا محمودا كان ظالما عليها وقد قتلها بغير ذنب وقد شهد أهل الحارة أنه يسكر كل ليلة ويعربد في الجوار فطلع الوالى الى ملك الامراء وأخبره بسيرته القبيحة وانه ماش على غير الطريق وأثخن جراحاته عند ملك الامراء فرسم بسجن الخواجا محمود في العرقانة وقيل انه سأل ملك الامراء أن يدفع اليه ألف دينار فأبى من ذلك ولو أن الخواجا محمودا أرضى الوالى بمائة دينار وستر عليه هذه الكائنة ما وصل الامر الى ذلك ولكن اتسعت هذه الواقعة الى الغاية وأشيع أن ملك الامراء طلب منه عشرة آلاف دينار وهذا كله آفة الربا الذى كان يأخذه من الناس فانه كان يقرض الالف دينار بألف وخمسمائة دينار والذى خبث لا يخرج الا نكدا فختم ملك الامراء على حواصله ثم شفع فيه بعض الامراء العثمانية فأخذ ثلاثة آلاف دينار ثم ان ملك الامراء تتبع أصحابه الذين كان يسكر معهم فأخذ من كل واحد منهم ألف دينار وكانت هذه السكرة سكرة الشوم على الخواجا محمود وأصحابه وفي يوم الاحد تاسع عشريه عرض ملك الامراء القاضى شرف الدين الصغير والشهابى أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وقصد ضربهم ثانيا ثم وضعهم في الحديد ورسم للوالى أن يشنق الثلاثة على أبواب بيوتهم واحتاط بهم مقدمو الوالى فضمنهم القاضى بركات بن موسى المحتسب الى باكر النهار حتى يسعوا في سداد ما كان تأخر عليهم من التقاسيط التى تأخرت في البلاد وأخذ الشهابى أحمد بن الجيعان

فى أسباب بيع بيوته ورزقه وأملاكه التى كانت على بركة الرطلى فاشتراها الامير قاسم الشروانى بأبخس الاثمان ولم يبق بيد الشهابى أحمد لاملك ولارزقة ولا بيت ولاربع ولادكان ولاشئ قل ولاجل ثم ان أخته باعت جميع ماتملكه من مصاغ وحلى حتى باعت البسط من تحتها والطراريح واللحف والمخدات وأثاث البيت وفعلوا مثل ذلك بسراريه وجواريه الموثقات وغير ذلك من حاشيته وعبيده وغلمانه ثم ان القاضى عبد الجواد أخا القاضى شرف الدين الصغير أخذ فى أسباب مايؤخذ على أخيه من التقسيط فاقترض وتداين وقد أشرف على التعليق وكذلك القاضى شرف الدين بن عوض وفى يوم الاثنين سلخ هذا الشهر أشيع أن ملك الامراء يقصد أن يعرض العسكر فطلع العسكر الى القلعة قاطبة فلم يخرج ملك الامراء فى ذلك اليوم وأرسل يقول للعسكر العرض يوم السبت فانفضوا ونزلوا من القلعة ولم يعرضوا فى ذلك اليوم وفيه جاءت الاخبار بوفاة الشريف على بن هجار أمير الينبع توفى هو ووزيره أحمد بن زحام فى جمعة واحدة وكان من خيار من ولى امرية الينبع وفى ذلك اليوم نودى فى القاهرة بان الغريب يسافر لاهله وأن لا يقيم بمصر غريب وكان سبب ذلك انه أشيع أنهم قبضوا على شخصين من الاعجام زعموا أنهم جواسيس من عند اسمعيل شاه الصوفى وفى شهر رجب وكان مستهله يوم الثلاثاء أهل هذا الشهر والناس فى أمر مريب بسبب ماوقع من الحوادث من عزل القضاة الاربعة وسائر نوابهم والشهود قاطبة وماوقع للمباشرين من هذه الكائنة العظمى ومنها أمر المعاملة التى حصل للناس منها غاية الضرر ولاسيما الفلاحين يقبضون الخراج منهم على حكم الفضة الجديدة بنصفين وربع ويقيمونه عند الحساب بنصف واحد وقد تزايد الاضطراب فى هذه الايام جدا من وجوه كثيرة وفى يوم الاربعاء ثانيه أشيع هروب شيخ العرب بيبرس بن بقر وانه توجه الى نحو الطور وأخوه عبد الدائم بالبرج فى القلعة وهو مقيد وله نحو ثلاث سنين فى البرج لم يفرج عنه وصار أبوهم الامير أحمد بن بقر هو المتكلم فى الشرقية قاطبة وفى هذا الشهر قدم الزينى عبد القادر بن الملكى الذى كان توجه الى اسطنبول مع من توجه من الاسرى فأفرج عنه السلطان سليمان ابن عثمان مع من أفرج عنه وفيه نزل ملك الامراء الى قصر ابن العينى الذى بالمنشية على سبيل التنزه فأقام هناك الى مابعد العصر فأرسل اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب هنا لمدة حافلة على حكم ماتقدم له قبل ذلك وفى يوم الخميس ثالثه طلب ملك الامراء الشهابى أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض فلما مثلا بين يديه رسم بضربهما فضربا ضربا مبرحا حتى أشرفا على الموت وكانا فى غاية الالم مما نالهما من شدة الضرب الاول وجاء هذا الضرب الثانى زيادة على ذلك وأمرهما الى الله تعالى وفى يوم السبت خامسه نزل ملك الامراء الى الميدان

وجلس به وعرض العسكر قاطبة وعين منهم جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة نحو ألف وخمسمائة مملوك وقال لهم كونوا على برقان طلبكم السلطان من البحر توجهوا اليه وان طلبكم من البر توجهوا اليه وفى ذلك اليوم طلع ملك الامراء وقطع جوامك كثيرة من العسكر وصرف لهم بحكم النصف من الجامكية وفى يوم الاحد سادسه نودى فى القاهرة بان كراء بيوت الاوقاف التى تحت نظر القضاة وغيرهم لا يقبضونه الا على حكم المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربع وان الاشرفى الذهب يصرف بسبعة عشر نصفا من الفضة الجديدة فشق ذلك على الناس قاطبة وحصل لهم غاية الضرر وفى يوم الاثنين سابعه عرض ملك الامراء جماعة من أمراء الجراكسة ما بين أمراء طبلخانات وعشراوات فقطع رواتبهم التى كانت تصرف لهم ثم رسم بان يصرف لهم بحكم النصف من ذلك كما فعل بالمماليك الجراكسة فحصل لهم فى ذلك اليوم كسر خاطر عظيم وكان فيهم شيوخ من القرانصة الاغوات وفى يوم الخميس عاشر الشهر قدم قاضى العسكر الموعود به المسمى بسيدى جلبى واستمر ملك الامراء بصحبته الى ان أنزله فى بيت الامير جانم مصبغه الذى خلف المدرسة الغورية وأرسل اليه مدة حافلة فلما استقر هناك أتى اليه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة المالكى محيي الدين الدميرى وقاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى الحنبلى وكان قاضى القضاة الحنفى مريضا فلم يحضر اليه فقيل لما دخلوا عليه لم يقم لهم ولم يعظمهم وكانت صفته انه شيخ هرم أبيض اللحية طويل القامة وعلى عينه اليمنى فص فلم ينظر الا بعين واحدة وهو فصيح اللسان باللغة العربية حسن المحاضرة ولكن قال القائل فى المعنى

لاتشكرن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
فشكرك المرء مالم تختبره خطا * وذمه بعد شكر محض تكذيب

وفى يوم السبت ثانى عشره نودى فى القاهرة بابطال الفضة العتيقة قاطبة وانها تدخل الى دار الضرب وفى ذلك اليوم نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس به وأحضر الامراء العثمانية والامير قايتباى الدوادار ثم حضر قاضى العسكر وأخرج مرسوم السلطان سليمان الواصل على يده فكانت ألفاظه باللغة التركية فاحضر وامن قرأ ذلك فكان من مضمونه الوصية بالرعية قاطبة وانصاف المظلوم من ظالمه واصلاح المعاملة فى الذهب والفضة بين الناس وقد تعاظم عليهم قاضى العسكر فلم يجلس بينهم ولا حضر قراءة مرسوم السلطان ومن جملة ألفاظه نعت قاضى العسكر فكان من نعته أوصاف جميلة تختص به وأن يكون له التكلم فى الاحكام الشرعية على المذاهب الاربعة ويحكم فى المدرسة الصالحية بين الناس ثم ان قاضى العسكر جعل شخصا من العثمانية يقال له القاضى صالح أفندى نائبا عنه

يحكم فى المدرسة الصالحية بين الناس وكان حنفيا ثم ان قاضى العسكر استناب شخصا آخر يقال له فتح الله وكان من العثمانية وكان شافعى المذهب ثم ان قاضى القضاة جعل تحت يد كل قاض من الاروام قاضيا من أولاد مصر فجعل القاضى شهاب الدين بن شرين الحنفى نائبا عن القاضى صالح أفندى العثمانى وجعل القاضى شمس الدين محمد الحلبى الشافعى نائبا عن القاضى فتح الله العثمانى وجعل القاضى أبا الفتح الوفائى أحد نواب المالكية يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه وجعل نظام الدين الحنبلى يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه والمرجع فى الاحكام الشرعية الى قاضى العسكر ثم رسم لكل نائب من النواب الاربعة أن يقتصر على شاهدين لاغير وسائر النواب والشهود تبطل قاطبة ثم رسم قاضى العسكر للرسل والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية اذا وقفوا قدامه يأخذون فى أيديهم العصى فاجتمع بالصالحية من الرسل فوق الستين رسولا وصاروا على هذه الهيئة ثم ان قاضى العسكر أقام من الاروام شخصا وسماه قسام الترك فجعل على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من الاولاد الذكور والاناث فحصل للناس بذلك الضرر الشامل وفى يوم الاحد ثالث عشره نودى فى القاهرة عن لسان قاضى العسكر بان الشهود قاطبة لا يعقد أحد منهم عقدا ولا يكتب وصية ولا اجارة ولا مبايعة ولا شيأ من الامور الا فى المدرسة الصالحية عند القاضى صالح نائب قاضى العسكر فحصل للناس بسبب التزويج فى هذه الايام غاية المشقة واختار كل منهم العزوبية على التزويج فكان الامر كما قال القائل فى المعنى

اذا نكح الرجال بنات قوم * وصار المهر فى أيدا لفريق
عمدت الى يدى فنكحت بكرا * وأمامهرها عندى فريق

وفيه نزل ملك الامراء الى قاضى العسكر وسلم عليه وقد بلغه أنه توعك فى جسده فنزل اليه وعاده ثم طلع الى القلعة وفى يوم الثلاثاء خامس عشره أنفق ملك الامراء على المماليك الجراكسة جوامكهم وكان لهم سبعة أشهر منكسرة فانفق عليهم فى ذلك اليوم أربعة أشهر حتى على الغلمان والمباشرين والفقهاء والمقرئين ومن له عادة وفيه منع قاضى العسكر شمس الدين الحلبى من التكلم فى المدرسة الصالحية وقرر عوضه القاضى شجاع العثمانى وجعله قاضى العسكر متحدثا على أوقاف الجوامع والمدارس ومعالم الانظار فطلب الجباة وقال لهم ارفعوا الى حساب الاوقاف وقدر معاليم الانظار وما قدرها فى كل شهر فشرعوا فى أسباب ذلك وفى عمل الحساب ثم ان قاضى العسكر رسم بأخذ الخلاوى التى فى المدرسة البرقوقية والاشرفية والغورية وغير ذلك من المدارس وأنزل فيها جماعة من الاروام الآفاقية ثم ان القاضى صالح نائب قاضى العسكر عرض الرسل الذين فى المدرسة الصالحية ورسم لهم أن لا يأخذ الرسول منهم فى الشغل الذى يتوجه اليه أكثر من نصف فضة من

الفضة

الفضة الجديدة بنصفين وربع وجعل على من يتزوج بكرا ثلاثة وأربعين نصفا وتكاف للشهود والعاقد مثل هذا هذا ماتقرر على العوام وأما الرؤساء فشئ غير ذلك وقرر على كل شهادة تقع فى المدرسة الصالحية قدرا معلوما بحسب كل شغل ثقيلا كان أو خفيفا ثم أشيع عن قاضى العسكر انه قال قصدى أمشى نساء مصر على قاعدة نساء اسطنبول مع أزواجهن فان عادتنا اذا دخل الرجل على زوجته تعطيه نصف المهر الذى أعطاه لها وأن الرجل لا يقرر لزوجته لا كسوة ولا نفقة بل يكسيها فى كل سنة جوخة وقميص ويطعمها فى كل يوم على مايختار من قليل وكثير وتغزل وتكسى زوجها فى كل سنة فلما سمع العوام بذلك فرحوا ودعوا القاضى العسكر بسبب هذه الواقعة واغتم النساء بذلك وظنوا أن ذلك الشئ واقع وأن قاضى العسكر أبطل كسوتهن ونفقتهن فشق ذلك عليهن فعد من النوادر الغريبة ومن الحوادث أن شخصا يهوديا وقف الى القاضى صالح نائب قاضى العسكر وكتب قصة واشتكى فيها الامير تمر أحد الامراء الطبلخانات ناظر الدشيشة فارسل خلفه القاضى صالح رسولا وانكشاريا فلما حضر الى المدرسة الصالحية ادعى اليهودى على الامير تمر فانصف القاضى صالح اليهودى من الامير تمر واستمر الامير تمر فى الترسيم حتى أرضى اليهودى ثم فى عقيب ذلك اشتكت الامير جانى بك أخا الامير قايتباى الدوادار زوجته عند القاضى صالح فطلبه فى المدرسة الصالحية ووضعه فى الترسيم حتى أرضى زوجته فيما ادعته ولم يلتفت الى أخيه الامير قايتباى الدوادار وفى يوم الخميس سابع عشره نودى فى القاهرة عن لسان ملك الامراء وقاضى العسكر بان لا امرأة تخرج الى الاسواق الا العجائز وكل من خالف بعد ذلك من النساء تضرب وتربط من شعرها بذنب اكديش ويطاف بها فى القاهرة فحصل للنساء بسبب ذلك غاية الضرر ثم بعد ذلك بايام اتفق أن قاضى العسكر طلع الى القلعة فوجد نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصباهية فى وسط السوق فعز ذلك عليه فلما طلع الى القلعة قال لملك الامراء ان نساء مصر أفسدت عسكر الخنكار ولا بقوا ينفعون لقتال قط وقص عليه قصة النسوة مع الاصباهية فتغير خاطر ملك الامراء على النساء قاطبة ورسم للوالى بان لا امرأة تخرج من بيتها مطلقا ولا تركب على حمار مكارى مطلقا وكل مكارى أركب امرأة شنق من يومه من غير معاودة فى ذلك ثم فى عقيب ذلك اليوم رأوا امرأة راكبة مع مكارى فى طريق الصحراء فانزلوها عن الحمار وهرب الحمار فضربوها وقطعوا ازارها فما خلصت الا بعد جهد كبير وغرمت نحو أشرفيين فلما استمر ذلك الامر باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش وشدوها بنصف رحل وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى قائد لجام الاكديش واستمروا على ذلك وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة وركبت الخوندات والستات على الاكاديش على طريقة أهل اسطنبول وفيهم من ركب على بغل ويقرب

من هذه الواقعة ما وقع في أيام الاشرف برسباى انه منع النساء من الخروج الى الاسواق مطلقا وكان الطعن بمصر عمالا وكانت الغاسلة اذا خرجت الى ميتة لتغسلها تأخذ من المحتسب ورقة وتغرزها في ازارها حتى يعلم انها غاسلة فاستمروا على ذلك مدة يسيرة ثم في عقيب ذلك مرض الاشرف برسباى ومات بعد ذلك وأعيد كل شئ على ما كان عليه وفيه نزل القاضي بركات بن موسى المحتسب من القلعة بعد العصر ونادى بان الاشرفي الذهب السلطاني يصرف من الفضة الجديدة بخمسة وعشرين نصفا والاشرفي الذهب السليم شاهي والغوري يصرف من الفضة الجديدة بخمسة عشر نصفا وان الفلوس الجدد كل أربع جدد بدرهم ثم ان المحتسب سعر سائر البضائع على ما كانت عليه في أيام يشبك الجمالي المحتسب فلما نودي بذلك ارتجت القاهرة بسبب أمر المعاملة في الذهب والفضة وحصل للناس غاية الضرر وخسروا أموالهم ولاسيما التجار وغلقت أسواق البلد والدكاكين قاطبة وتعطل الناس من البيع والشراء لاجل ابطال المعاملة وصرف النصف الفضة بنصفين وربع وفي يوم الاحد عشريه نودي في القاهرة كل شئ على حكمه كما كان أولا في صرف الذهب والفضة والفلوس الجدد كل اثنين بدرهم على ما كانت عليه أولا فسكن الاضطراب قليلا وفي يوم الاربعاء ثالث عشريه نزل ملك الامراء وتوجه نحو قصر ابن العيني الذي في المنشية وكشف على المراكب التي أنشأها هنالك واستعجل الصناع في سرعة العمل وفي يوم الجمعة خامس عشريه طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل وأخذ القاعدة فجاءت سبعة أذرع وعشرة أصابع وذلك أرجح من العام الماضي وفي أواخر هذا الشهر قدم قاصد من البحر من عند السلطان سليمان ابن عثمان وعلى يده مرسوم شريف فكان من مضمونه أنه أرسل الى ملك الامراء خاير بك يطلب منه عسكرا من الامراء الجراكسة فعين الامير قايتباى الرمضاني الدوادار الكبير بان يكون باش العسكر ثم رسم له بأن يطلب الامراء الجراكسة الى بيته ويعين منهم من يختاره فعرضهم عنده وكتب منهم جماعة نحو ثلاثة وأربعين أميرا منهم امراء طبلخانات وامراء عشراوات بسبب غزاة رودس وأن السلطان سليمان قد جهز الى أهل رودس ستمائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج الى الغزاة فيهم بنفسه وصحبته الجم الكثير من العساكر الرومية في البحر المالح وفي يوم السبت سادس عشريه نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس فيه وعرض جماعة من الكملية وكتب منهم أربعمائة انسان وعرض طائفة الانكشارية وكتب منهم نحو مائة انسان وفي يوم الاحد سابع عشريه نزل ملك الامراء الى الميدان وجلس به وعرض المماليك الجراكسة وكتب منهم نحو خمسمائة مملوك وقيل ثمانمائة وكان الامير قايتباى الدوادار باش العسكر هو الذي يعين ويكتب منهم من يختاره فلما تكامل عرض المماليك الجراكسة والاصباهية والانكشارية والكملية

كان مجموع ذلك ألفا وخمسمائة انسان ثم في يوم الاثنين ثامن عشريه أنفق ملك الامراء
على الجرا كسة جامكية أربعة أشهر كانت لهم منكسرة في الديوان ولم يعطهم زيادة
على ذلك ثم ان ملك الامراء عين الامير قايتباي الدوادار باشا على الامراء والمماليك
الجرا كسة فقط ثم ان ملك الامراء جهز صحبة الامير جانم الجزاوي بقسماطا وجبن حالوم
وبصلا وعسلا اسود فجهز ذلك في المراكب برسم العسكر يفرق عليهم بطول الطريق وقيل
أرسل صحبته أربعين ألف دينار بسبب جوامك العسكر ومن الحوادث الشنيعة ما وقع في
أواخر هذا الشهر وذلك أن ملك الامراء رسم للوالي بأن يقبض على جماعة من الغلمان
والفلاحين والمغاربة لاجل المراكب حتى يقذفون فيها بالعساكر فنزل الوالي وأطلق في
الناس النار وشرع يقبض على كل من رآه في الرميلة وفي الطريق من الغلمان والفلاحين
وكل من قبض عليه وضعه في الحديد وأرسله الى السجن الى أن يخرج العسكر فصار يقبض
على جماعة من السوقة والعبيد السود ثم تدرج جماعة الوالي حتى صاروا يقبضون على
جماعة من التجار والفقهاء وغير ذلك فصاروا يشترون أنفسهم من جماعة الوالي بمبلغ
له صورة حتى تحصل مع الجالية مال له صورة من الناس ثم صار الوالي يركب ويكبس على
ساحل بولاق ومصر العتيقة ويقبض على النواتيه والفلاحين فهرب الناس قاطبة من
السواحل ثم رسم ملك الامراء لكاشف الجيزة وغيره أن يقبضوا على جماعة من الفلاحين
من قلقشندة وقليوب وسبك الثلاث ومن شبرى والمنية وغير ذلك من الضياع فصار
الفلاحون يختفون في المطامير وكادت مصر أن تخرب في هذه الحركة عن آخرها فقيل
مجموع الذين قبضوا عليهم نحو ألفي انسان وقيل أكثر من ذلك وحصل للناس غاية الضرر
وقيل مات في سجن الديلم جماعة كثيرة ممن قبض عليه ماتوا من الجوع وشدة الحر والوخم
ونزل على أهل مصر نازلة عظيمة بسبب ذلك لم يسمع بمثلها قط انتهى ما أوردناه من
حوادث شهر رجب وكان كثير الحوادث ووقع فيه أمور غريبة ونوادر عجيبة والامر لله
واستهل شهر شعبان بيوم الاربعاء فلم يطلع أحد من القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فانهم
استمروا في العزل المقدم ذكره وصار قاضي العسكر هو المتكلم على المذاهب الاربعة ووقع في
هذا الشهر من الحوادث أن الاخبار قدمت من الصعيد بأن القاضي فخر الدين بن عوض لما
توجه ليمسح جهات الصعيد أدخل سائر الرزق الاحباسية قاطبة في المساحة التي بالمكاتيب
الشرعية والمربعات والمناشير وقال لاصحابها من أراد الافراج عن رزقته يقف الى ملك
الامراء ويحضر مرسومه بالافراج عن رزقته ثم انه منع الفلاحين من اعطاء خراج الرزق
حتى يحضروا بالافراجات من عند ملك الامراء فاضطربت أحوال الناس وتنكدوا غاية

النكد وصاركل من وقف الى ملك الامراء بسبب رزقته وأحضر مكتوبه أو مربعته يأخذ منه المكتوب أو المربعة ويقول له امض الى حال سبيلك فان الرزق قاطبة دخلت الذخيرة فيرجع وهو فى غاية القهر (أقول) ان الرزق الاحباسية ماتعرض لها أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيأ عن أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك وقيل ان الامام الليث ابن سعد رضى الله عنه هو الذى دون ديوان الاحباس فى أيامه وأفرد للرزق الاحباسية ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش واستمر ذلك باقيا من بعد الامام الليث الى الآن حتى جاء فخر الدين بن عوض فنقض ذلك الامر الذى كان على جهات البر والصدقات وأبطل أمر الرزق الاحباسية وأدخلها الذخيرة وأبطل ما كان صنعه الامام الليث بن سعد رضى الله عنه وفى يوم الاثنين سادس الشهر خرج الامير قايتباى الرمضانى الدوادار وتوجه الى السفر بسبب غزاة رودس فخرج صحبته الامراء والعسكر قاطبة وخرج صحبته الامير جانم الجزاوى مشير المملكة وخرج الرئيس حامد القبطان رئيس المراكب وصحبته العسكر العثمانى الذى تعين من الاصباهية والانكشارية والكملية وخرج العسكر من المماليك الجراكسة فكان معه من الامراء الجراكسة نحو ثلاثة وأربعين أميرا ما بين أمراء طبلخانات وعشراوات فلما طلع الى القلعة خلع عليه ملك الامراء قفطان حرير مذهب وخلع على الرئيس حامد القبطان قفطانا أيضا فخرج الامير قايتباى من الميدان وعلى رأسه صنجق حرير أحمر وخرج ملك الامراء من الميدان صحبته ليودعه وخرج صحبته قاضى العسكر والامراء العثمانية قاطبة فشق من القاهرة فى موكب حافل وليس قدامه جنائب وخلفه طبلان وزمران عثمانية ونزل وشق من القاهرة الى بولاق وكان يوما مشهودا ثم عاد ملك الامراء الى القلعة وحصل لاهل مصر بسبب خروج التجريدة غاية الضرر وفى يوم الثلاثاء سابع الشهر أرسل ملك الامراء يستحجل الامير قايتباى الدوادار فى سرعة التوجه الى رودس والنزول فى المراكب ثم نودى فى القاهرة بان العسكر المعين للسفر يخرج فى بقية ذلك اليوم وكل من تأخر عن الخروج فى بقية هذا اليوم شنق من غير معاودة فخرج المماليك المعينون للسفر قاطبة ومن الحوادث أن شخصا من نواب الحنفية يقال له شمس الدين محمد المناوى الحنفى شهد شهادة حقا بين شخصين فى تمارى بينهما بسبب دين فلما بلغ قاضى العسكر ذلك أرسل خلف القاضى شمس الدين محمد المناوى انكشاريين فلما حضر بهدله وهم بضربه وقال له أنا ما منعتكم أن تشهدوا على أحد من الناس الا فى المدرسة الصالحية ثم أرسله الى السجن فشق ذلك على القضاة والنواب فاضطربت القاهرة بسببه ثم شفع فيه عند قاضى العسكر القاضى شهاب الدين بن شيرين الحنفى فاطلقه من السجن فى يومه هو والعجلاوى وقد حصل لاهل مصر من قاضى العسكر غاية الضرر للرجال والنساء

ووقع منه أمور شنيعة ما تقع من الجهال ولا من المجانين وتزايد حكمه بالجور بين الناس وقد ضيق عليهم غاية الضيق ثم تكلم الناس مع قاضي العسكر في أمر النساء ان لا يمنعوا من طلوع الترب ودخول الحمام وزيارة الاقارب فاذن لهن في ذلك وان المرأة لا تخرج الى الطريق الا مع زوجها او أن لا يدخل الاسواق غير العجائز فقط فسمع لهن قاضي العسكر وأن النساء لا يركبن الا الحمير والبغال دائما فاستمروا على ذلك وقد فتك قاضي العسكر بالناس في هذه الايام فتكا ذريعا وقد جمع بين قبح الشكل والفعل فانه كان أعور بفرد عين بلحية بيضاء وقد طعن في السن وكان قليل الرسمال في العلم أجهل من حمار لا يدري شيأ في الاحكام الشرعية وقدمت اليه عدة فتاوى فلم يجب عنها بشيء وقد هجاه الناس هجوا فاحشا في مدة اقامته بمصر وقالوا فيه عدة مقاطيع فمن جملة ذلك بعض كلام الشهود فيه وهو قوله

رأينا شيخا أعور اقبل موتنا * أتى من بلاد الروم يقطع رزقنا
يقدم قانونا على شرع أحمد * فنسأل رب العرش يكشف كربنا

﴿وقلت أنا﴾

رأيتك لا ترى الا بعين * وعينك لا ترى الا قليلا
فان تك قد أصبت بفرد عين * فخذ من عينك الاخرى كفيلا
وقد أيقنت انك عن قريب * اذن بالكف تلتمس السبيلا

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر قدم الامير شيخ الذي كان توجه الى اسطنبول في بعض أشغال ملك الامراء فلما حضر أخبر بأن السلطان سليمان جهز عدة مراكب مشحونة بالسلاح والمقاتلين وجهز عساكر كثيرة بسبب غزاة رودس وخرج بنفسه وذلك في خامس عشر رجب على ما أشيع بين الناس وأرسل على يده مراسيم شريفة تتضمن أن السلطان سليمان قد فوض أمر مملكة مصر الى ملك الامراء خاير بك يعزل من يختار و يولي من يختار والمرجع في ذلك اليه فيما يراه من المصلحة وفي يوم السبت حادي عشره نودي في القاهرة بان الامير والي الجلبي العثماني الذي حضر من اسطنبول قد استقر ناظرا على سائر الاوقاف قاطبة فلا يعصى عليه أحد من الناس فتجددت مظلمة أخرى وفي يوم الثلاثاء رابع عشره كانت ليلة النصف من شعبان فنزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى المقياس وأقرأ هنالك ختمة ومد هنالك مدة حافلة ورسم بقراءة عدة ختمات في تلك الليلة في الجامع الازهر ومقام الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما وغير ذلك في أماكن متفرقة وفي يوم الخميس سادس عشره خلع ملك الامراء على القاضي بركات بن موسى المحتسب قفطانا مخملا مذهبا وقرره في التحدث على جهات الشرقية قاطبة من المطرية الى دمياط وقد التزم في كل سنة بار بعمائة الف دينار يقوم بذلك على ثلاثة أقساط فنزل من القلعة في موكب حافل

ومشاعليه قدامه تنادى ان القاضى بركات بن موسى ناظر الذخيرة الشريفة متحدث على الشرقية قاطبة فلا يخفى عليه أحد من الناس ولا يشكى أحد من الشرقية الامن بابه فتزايدت عظمة القاضى بركات بن موسى الى الغاية وفى يوم الاحد سادس عشريه خرج قاضى العسكر بقصد التوجه الى مكة المشرفة من البحر المالح فلما خرج نزل ملك الامراء وركب صحبته وكذلك خير الدين نائب القلعة وجماعة من الامراء العثمانية فودعوه من عند تربة العادلى ورجعوا فلما خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لاهل مصر خير فعزلت القضاة الاربعة بسببه وأخرج عنهم الانظار ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة واستمرت دكاكينهم مغلوقة ومنع نواب القضاة الاربعة من الاحكام الشرعية ولم يبق منهم غير من تقدم ذكرهم وضيق على الناس فى أمر عقود الانكحة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ وصار لا يعقد عقد الا فى المدرسة الصالحية وضيق على النساء بما تقدم ذكره من الخروج الى الاسواق ومن ركوب الحمير فلما خرج من مصر صفقت النساء ورقصت وقلن فى كلامهن

قوموا بنا نقحب نسكر * فقد خرج قاضى العسكر

وضيق على أهل مصر فى أمور كثيرة يطول شرحها ولما خرج قاضى العسكر توجه الى نحو الطور فقيل ان ملك الامراء أنعم عليه بعشرة آلاف دينار غير المغل الذى أرسله اليه لما قدم من اسطنبول ولما توجه قاضى العسكر الى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانية بسبب عمارة العين التى بمكة المشرفة لما تعطلت وهى التى بالحرم وعمارة المنارة التى بالحرم النبوى ولما خرج قاضى العسكر خرج صحبته جماعة كثيرة من الاصباهية ومن أهل مصر وخرجت صحبته زوجة الامير سنان فى محفة فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى الحنفى نائبا عنه يحكم فى المدرسة الصالحية الى أن يحضر من السفر من الحجاز وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائبا من نواب القضاة الاربعة وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة وفى جامع طولون وفى الحسنية وغير ذلك من الاماكن وجعل فى كل مجلس أربعة نواب يقضون بين الناس بالحق وجعل على كل مجلس شيأ معلوما وعليهم شاويش من العثمانية يضبط ما يتحصل فى كل يوم من أجرة أشغال الناس فيقسم للقاضى من ذلك المتحصل شيأ وللشهود شيأ وله شئ ثم يأخذ الباقى ويضعه فى صندوق برسم السلطان سليمان يودع ببيت المال ومن الحوادث الشنيعة ما وقع لقاضى القضاة الحنفى على بن ياسين الطرابلسى بسبب وقف الخواجا شهاب الدين أحمد بن صالح السكندرى وذلك انه طلع قاضى القضاة الحنفى الى ملك الامراء فلما رآه مقبلا من بعيد قال

ايش طلع هذا الثقيل يعمل فلما جلس وأخرج مكتوب الوقف الذى زوره وثبت عليه انتبذله جماعة من القضاة وحضر أبو الفتح الوفائى المالكى الذى حكم لابن الخواجا شهاب الدين السكندرى وحضر ذلك المجلس القاضى صالح العثمانى نائب قاضى العسكر ولما أخرج قاضى القضاة الحنفى المكتوب الذى صنعه ودفعه ملك الامراء الى القاضى صالح العثمانى وقال له انظر فى هذا المكتوب فلما قرأه قال هذا الحكم الذى حكم به قاضى القضاة الحنفى باطل لايجوز قراءته فحصل لقاضى القضاة فى ذلك المجلس غاية البهدلة وأسمعته الفقهاء الكلام المنكى وانتصف عليه أبو الفتح فى ذلك الحكم الذى حكمه فقام قاضى القضاة من ذلك المجلس وهو يتعثر فى أذياله مما قاسى من البهدلة من ملك الامراء ومن القاضى صالح وغيره وكان قاضى القضاة الحنفى غير محبب للناس وكان عنده صعصعة وجنون وسوء تدبير ويبس طباع مع وهج وخفة زائدة مع عبوسة وجه وشناعة زائدة وقد قلت فيه

رب قاض قد اعتراه جنون * شأنه الوهج ماالديه سكون

لم يفده علمه اذا ضل شيأ * فهو فينا معلم مجنون

وقولى أيضا

كم ضاع للنعمان من مذهب * فى عصرنا لما تولى فلان

تباله من حاكم أهوج * أحكامه مشهورة بالجنان

وفى يوم الاربعاء سلخ شهر شعبان كانت ليلة رؤية هلال رمضان فلم يحضر من قضاة القضاة أحد الى المدرسة الصالحية على جارى العادة فانهم كانوا منفصلين عن القضاء فحضر بعض نواب القضاة منهم شمس الدين الجولى وشهاب الدين أحمد بن شيرين الحنفى وفتح الدين الوفائى المالكى ونظام الدين الحلبى الحنبلى وحضر القاضى بركات بن موسى المحتسب فلما رؤى الهلال ركب من هناك القاضى بركات المحتسب وشق من بين القصرين فى موكب حافل وقدامه عدة فوانيس ومشاعل على جارى العادة فى كل سنة فلما كانت ليلة الخميس أهل شهر رمضان فلم يطلع من قضاة القضاة أحد للتهنئة بالشهر وكان الناس فى غاية الاضطراب بسبب المعاملة فان الدينار السليمانى يصرف بخمسة وأربعين نصفا من الفضة القديمة حسابا عن كل نصف بنصفين وربع من الفضة الجديدة فوقف الحال بسبب ذلك ولاسيما حال الفلاحين فى البلاد فان العمال يحاسبونهم فى الدينار عند القبض بنصفين وربع من الفضة الجديدة ويقيمونه عليهم وقت الحساب بنصف واحد فخرب غالب البلاد بسبب هذه المعاملة وغير ذلك وكانت أحوال الناس فى غاية الاضطراب بسبب الرزق الاحباسية التى أدخلها فخر الدين بن عوض فى ديوان السلطان وصار ملك الامراء كل من طلع له

بمكتوب به أومر بعته يأخذ ذلك منه و يقول له هذا دخل دوان السلطان فحصل للناس غاية الضرر من كل وجه ومن الحوادث أن ملك الامراء طلب التجار قاطبة وكتب عليهم قسائم أن لا يتعاملوا الا بالذراع العثمانى فى البيع والشراء وأبطل الذراع القديم الهاشمى وكتب القسائم على التجار بذلك وهو يزيد عن الذراع القديم نحو ربع ذراع واستهل رمضان وقضاة القضاة الاربعة منفصلون عن القضاء والمباشرون فى الترسيم بالقلعة من حين جرى عليهم ماجرى وفى يوم الخميس ثامنه مع ليلة الجمعة رأى الناس كوكبا عظيما جاء من نحو الغرب وخلفه شرار كمثل عامود النار فاستمر ماشيا فى السماء الى نحو الشرق فاختفى وقد شاع خبره بين الناس لما طلع النهار وفى يوم الاربعاء رابع عشر شهر رمضان كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك ثالث عشر مسرى وفتح السد فى يوم الخميس خامس عشر رمضان الموافق لرابع عشر مسرى فأوفى الله الستة عشر ذراعا وزاد ثلاث أصابع من الذراع السابع عشر فلما أوفى نزل ملك الامراء من القلعة وتوجه الى المقياس وخلق العمود ونزل فى الحراقة وصحبته الامراء العثمانية ففتح السد الذى عند رأس المنشية ثم ركب من هناك وتوجه الوالى ففتح السد الثانى الذى عند قنطرة السد وكان ذلك اليوم مشهودا وكان ذلك آخر فتح ملك الامراء للسد ومات بعد ذلك بشهرين وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه

خليج السد يوم الكسر جبر * بماء للعيون يرى بهيجا
وهذا اليوم يوم الجبر فاسرع * بناقطة ترى هذا الخليجا

وفيه قدم أولاق من البحر المالح وأخبر عن السلطان سليمان أنه فى المحاصرة مع الفرنج وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار بان ابن سوار قد قتل وسبب ذلك أنه قد بلغ السلطان سليمان ابن عثمان أن ابن سوار قد التف على شاه اسمعيل الصوفى وصار يكاتبه فى الدس فندب اليه الامير فرحات الذى كان توجه الى جان بردى الغزالى نائب الشام فتوجه الى ابن سوار وأظهر أنه يقصد التوجه الى ديار بكر بسبب عسكر الصوفى فأضافه ابن سوار و ركن اليه فلما جلس معه على مجلس الشراب فى نفر قليل من أصحابه وثب على ابن سوار جماعة من العثمانية من حاشية الامير فرحات فقتلوا ابن سوار وهو على سفرة الشراب على حين غفلة ولم يشعر به أحد من عسكره ولما أشيع قتله اضطربت أحوال السوارية بقتله وقيل ان فرحات قتل بعد ذلك ثلاثة من أولاد ابن سوار وقتل جماعة من أمرائه ثم مضى عنهم وقد تمت حيلته على ابن سوار حتى قتله ومن الحوادث أنه حضر الى القاهرة شخص قيل ان أصله من الشرق وقيل كان بمكة وأقام بها مدة فلما حضر ادعى انه المهدى فلما طلع الى ملك الامراء وقال له انا المهدى وكان حاضرا فى ذلك المجلس القاضى شهاب الدين أحمد بن شيرين فسأله عن مسائل فى العلم فلم يجبه بشئ

وكانت صفته انه شيخ طاعن فى السن قصير القامة جدا ولم يكن فيه من علامات المهدى شئ فلما أغلظ على ملك الامراء فى الكلام رسم بالقبض عليه وأن يتوجهوا به الى المارستان ويضعوه فى الحديد ويسجنوه عند المجانين فقبضوا عليه وتوجهوا به الى نحو المارستان فكشفوا رأسه ووضعوه فى الحديد فلما بلغ الشيخ ابراهيم الذى فى الجامع المؤيدى والشيخ حسن العثمانى طلعا الى ملك الامراء وشفعا فيه فرسم ملك الامراء باطلاقه من المارستان فاتى اليه الشيخ حسن العثمانى وحمله على أكتافه وأخرجه من المارستان وكان هذا الرجل معظما عند العثمانية وفى خدمته جماعة كثيرة من الاعجام نحو خمسين انسانا فلما خرج من المارستان ازدحم عليه الناس ليروا المهدى وكان ذلك اليوم مشهودا بسبب الفرجة عليه لما شق من القاهرة فاستمر على أكتاف الشيخ حسن حتى توجه به الى المدرسة المؤيدية ثم بدا لملك الامراء أن يرسل المهدى الى بيت الوالى فقبضوا عليه وتوجهوا به الى بيت الوالى فاستمر به مدة ثم شفع فيه وفى يوم الاربعاء حادى عشريه قبض ملك الامراء على يوسف بن أبى الفرج ابن الحاكية وسلمه الى القاضى بركات بن موسى ليقيم حسابه مما دخل عليه من المال بسبب الرزق ولما نزل الى بيت المحتسب هم أن يعريه ويضربه بالمقارع وقال له أقم حسابك من حين قررت فى هذه الوظيفة فقيل انه أورد سبعمائة دينار فقال له القاضى المحتسب جلبت الدعاء على ملك الامراء لاجل هذا القدر الهين لاجزاك الله خيرا وفى يوم الجمعة ثالث عشريه نزل ملك الامراء وتوجه الى نحو الجامع الازهر ليصلى هناك صلاة الجمعة وكان صحبته الامراء العثمانية الذين بمصر وجماعة من الامراء الجراكسة منهم الامير أزدمر الناشف فلما انقضى أمر صلاة الجمعة وقصد أن يركب وقف اليه رضى الدين بن الدهانة وجماعة من الفقهاء وقالوا له يا ملك الامراء انظر فى أحوال الرعية فقال نعم وركب بسرعة وخرج من باب الجامع وتوجه الى القلعة وقيل ان ملك الامراء تصدق فى ذلك اليوم على مجاورى الجامع الازهر بخمسمائة دينار وكان الذى تولى أمر الصدقة فى ذلك اليوم شهاب الدين الحلى امام أمير اخور كبير فالاقى فى ذلك اليوم خيرا بسبب تفرقة الصدقة وحصل له غاية البهدلة من الناس وفى يوم السبت رابع عشريه نودى فى القاهرة عن لسان ملك الامراء بأن جميع القضاة والشهود يحضرون بدفاترهم الى المدرسة الصالحية ويسلمون ذلك الى القاضى صالح نائب قاضى العسكر فلم يوافق أحد من الناس على ذلك وأبطلوا هذا الامر وفيه أشيع أن العربان قطعوا جسر الحلفاية فنقص البحر فى تلك الليلة ثمان أصابع وكان فى قوة الزيادة فاضطربت أحوال الناس ثم فى يوم الخميس زاد الله فى النيل المبارك اصبعين من النقص فسكن ذلك الاضطراب واستمرت الزيادة عمالة الى بابه وفى شهر شوال وكان مستهله يوم السبت وهو

عيد الفطر فكان أكثر العساكر مسافرا فى غزوة رودس وكذلك الامير قايتباى الدوادار وجماعة من الامراء فلما صلى ملك الامراء صلاة العيد مدمدة حافلة وكانت الاصباهية والانكشارية تخاطفها وكان هذا العيد خامدا وفى يوم الاحد ثانيه حضر أولاق من البحر وعلى يده كتاب من عند الامير جانم الحمزاوى الى ملك الامراء فقرئ بحضرة القاضى شهاب الدين بن شير ين فكان من مضمونه أن الامير قايتباى الدوادار ومن معه من العساكر والامراء والمماليك الجراكسة قد وصلوا الى رودس فى ثالث عشر رمضان فوجدوا السلطان سليمان فى جزيرة تجاه رودس فأقاموا ثلاثة أيام لم يجتمعوا بالسلطان ثم فى اليوم الثالث أوكب السلطان سليمان وجلس للعسكر جلوسا عاما فى ذلك اليوم فلما نظر الامير قايتباى الدوادار عظمه وأكرمه وكذلك الامراء الذين صحبته ووقف المماليك الجراكسة قدامه فشكرهم وأثنى عليهم وقيل ان السلطان سليمان استقل عقل والده سليم شاه الذى قتل المماليك الجراكسة وقال مثل هذه المماليك كانت تقتل وقيل انه أنزل العسكر المصرى وطاقه عند الوزير الاعظم وأخبر الامير جانم فى كتابه أنه الى الآن لم يقع بين السلطان وبين أهل رودس قتال وانه مقيم بجزيرة تجاه رودس والميعاد بعد العيد وفى يوم الاثنين ثالث الشهر قدم الخواجا ابن عبد الله من اسطنبول فنزل اليه ملك الامراء ولاقاه من عند تربة العادلى وخلع عليه قفطان حرير فلما حضر ابن عبد الله أشيع أن السلطان قرره ناظرا على الاوقاف قاطبة وأنه يكشف على سائر الاوقاف والجوامع والمدارس قاطبة فيعزل من يشاء ويبقى من يشاء وأشيع عنه أنه يخرج الوظائف عن الفقهاء ولا يبقى بيد فقيه وظيفتين فى التصرف وأن يقرر الوظايف لجماعة آفاقية من الاروام فلما أشيع ذلك اضطربت أحوال فقهاء مصر وفيه قدمت الاخبار من دمشق بأن الامير فرحات نائب الشام قبض على جماعة من التجار أتوا من بلاد الشاه اسمعيل الصوفى وزعم أنهم جواسيس من عند الصوفى فلما قبض عليهم أخذ جميع ما معهم من الاموال والبضائع والاصناف التى أتوا بها ثم ضرب أعناقهم أجمعين ورعما يشور من هذه الواقعة فتنة عظيمة بين العثمانية والصوفى ومن الحوادث الشنيعة أن جماعة من النصارى كانوا يسكرون فى بيت عند جامع المقسى على الخليج فلما قوى عليهم السكر تزايد منهم الضجيج والتجاهر بالسكر وكان فى جامع المقسى ابن الشيخ محمد بن عنان مقيما به فثقل عليه أمرهم فأرسل اليهم من ينهاهم عن ذلك فأغلظ عليهم فى القول وقال لهم أما تستحون من الشيخ ابن عنان فسبوا الشيخ ابن عنان سبا قبيحا فطلع الشيخ الى ملك الامراء وشكا له من النصارى فأرسل ملك الامراء بالقبض على النصارى فهربوا وقبضوا على واحد منهم فرسم ملك

الامراء

الامراء بحرقه فلما رأى النصرانى عين الجد أسلم خوفا من الحرق فألبسوه عمامة بيضاء فلما جرى ذلك خاف بقية النصارى على أنفسهم واختفوا عند يونس النصرانى حتى تخمد هذه الواقعة عنهم وفى يوم الجمعة قدم قاصد من عند الامير جانم الحمزاوى وأخبر أن العسكر برز للقتال مع عسكر الفرنج الذين برودس وأشيع أنهم أشرفوا على أخذ السور الاول من مدينة رودس ولكن قتل فى هذه المعركة من العساكر مالا يحصى وفى يوم الجمعة المقدم ذكره كان يوم النوروز وهو أول توت من الشهور القبطية وأول سنة ثمان وعشرين وتسعمائة خراجية وكان النيل يومئذ فى عشرين اصبعا من ثمانية عشر ذراعا وكان سائر المغل فى غاية الرخص بعدما كان السعر قد انحط لما توقف النيل عن الزيادة كما تقدم ومن الحوادث الشنيعة أن والى القاهرة شنق فى يوم واحد أربعة عشر انسانا وخوزق منهم جماعة وعلقهم فى أماكن متفرقة وكان أكثرهم حرامية وزغلية ومن عليه دم فأخرهم الوالى فى السجن الى آخر شهر رمضان وأتلفهم فى يوم واحد وفى ليلة السبت خامس عشره خسف جرم القمر خسوفا كاملا حتى أظلم الجو وصار القمر كالفحمة السوداء فأقام فى ذلك الخسوف نحو خمسين درجة وكان ذلك نصف الليل وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمل عظيم وكان يوما مشهودا وكان أمير ركب المحمل الشريف الامير جانم السيفى دولات باى الاتابكى وهذه ثالث سفرة الى الحجاز سافرها الامير جانم كاشف الفيوم فشق من القاهرة فى موكب حافل وطلب طلبا كاطلاب الامراء المقدمى الالوف وكان فى موكبه ست عجلات وفى كل عجلة مكحلة نحاس برسم المدافع فان درب الحجاز كان فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان ولم يركب قدام المحمل أحد من القضاة الاربعة غير قاضى المحمل شمس الدين محمد بن النقيب وأشيع أن كسوة الكعبة الشريفة أرسلها ملك الامراء من البحر المالح وسبب ذلك فساد العربان وكذلك المال الذى أرسله السلطان سليمان ابن عثمان الى مكة والمدينة النبوية لاجل الصدقة على مجاورى الحرمين الشريفين صحبة قاضى العسكر لما توجه من البحر المالح خوفا من العربان واضطراب درب الحجاز فى هذه الايام المشطة وفى يوم الاثنين رابع عشريه حضر قاصد من البحر وأخبر أن السلطان سليمان ابن عثمان فى المحاصرة مع الفرنج الروادسة وأحضر كتابا من عند الامير جانم الحمزاوى يذكر فيه أن العسكر فى انشحات زائد من الغلاء بسبب القمح والدقيق وقد عزت الاقوات هناك فلما بلغ ملك الامراء ذلك نزل الى الشون التى بمصر العتيقة وأخرج ثلاثين ألف اردب وخمسمائة حمل دقيق فاستمر ينزل الى الشون بسبب ذلك أربعة أيام متوالية حتى جهز فى المراكب ثلاثين ألف اردب قمح وخمسمائة حمل دقيق وخمسمائة اردب أرز وقيل منها حمص وبسلة وقيل أرسل مع ذلك أشياء كثيرة من البصل وغير ذلك مما استحسنه فجهز

ذلك بسرعة وأرسله من البحر الى السلطان والعسكر الذين هناك وفى شهر ذى القعدة
وكان مستهله يوم الاثنين وكانت القضاة الاربعة منفصلين عن القضاء كما تقدم فلم يطلع
منهم أحد للتهنئة بالشهر فى ذلك اليوم وفى يوم الثلاثاء ثانيه عزل الامير جان بك من
كشف الشرقية واستقر بالامير اينال السيفى طراباى وفى يوم الاثنين ثامنه توفيت
أصيل القاعية وكانت من أعيان مغانى البلد وكان لها انشاد لطيف وكانت بارعة فى غناء
الخفائف التى هى من فرح الزمان ورأت من الاعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والاحسان
لها وفيه نودى فى القاهرة بابطال الفضة العتيقة من المعاملة قاطبة وأن الفضة الجديدة
تصرف كل نصف بنصفين وربع فازداد وقوف الحال على الناس ثانيا بابطال الفضة العتيقة
من المعاملة والفلوس الجدد كانت كل اثنين بدرهم فنادوا عليها كل واحد بدرهم فازداد
الحال وقوفا ثالثا وفيه أشيع أن ملك الامراء خاير بك قد مرض ولزم الفراش وتزايد به
المرض من يومه وانقطع عن المحاكمات فلما قوى عليه المرض صار يتصدق على الاطفال الذين
بمكاتب القاهرة قاطبة لكل صغير نصف فضة كبير بنصفين وربع وصار أحد الخازندارية
وابن الظريف المقرى يدفع لكل صغير النصف فى يده ويعطى الفقيه خمسة أنصاف
كبار والعريف ثلاثة أنصاف كبار ويقولون لهم اقرؤا الفاتحة وادعوا بالشفاء والعافية
لملك الامراء وقد تكاثرت الاقوال بأن به ثلاثة أمراض منها فرخة جمرة طلعت له فى
مشعره ومنها حدار انصب له فى جميع أعضائه وهو من أنواع الفالج ومنها كتم البول فصارت
الحكماء تبيت عنده فى كل ليلة وقد أعياهم أمره فى هذا العارض الذى به وقيل انه مشغول
من حين نزل الى الشون وفى هذا الشهر ثبت النيل المبارك على احدى وعشرين اصبعا من
تسعة عشر ذراعا وكان نيلا متوسطا وكان فى العام الماضى عشرين ذراعا الا اصبعا واحدا
وفى يوم الثلاثاء تاسعه أفرج ملك الامراء عن القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك
وأفرج عن القاضى شرف الدين بن عوض وألبسهما قفطانين حرير مذهب وأركبهما
فرسين من الاسطبل السلطانى ونزلا من القلعة فى موكب حافل وشقا من القاهرة وكان
ذلك اليوم مشهودا فتخلقت عيالهما بالزعفران فانهما خلصا من فم الموت وقد قاسوا شدائد
ومحنا ونسربا وبهدلة وسجنا فى العرقانة وقد أقاموا فى هذه الشدة نحو أربعة أشهر وقسا
قلب ملك الامراء عليهما وقد قال فى ذلك الناصرى محمد بن قانصوه

بالشرف المقر أضحى * ديوان ذا الملك فى انضباط
لازال فيه الى المعالى * بالسعد يرقى بلا انهباط

فلما نزل القاضى شرف الدين الصغير الى بيته لم يقم به الا ساعة يسيرة ثم ركب وتوجه الى
تربة الامام الشافعى رضى الله عنه فزاره ثم طلع الى القلعة ثانياه والقاضى بركات بن موسى

المحتسب فاجتمعا على ملك الامراء وتكلما معه على المقر الشهابى أحمد بن الجيعان فان ملك الامراء توقف فى الافراج عنه وقد عوّل على شنقه على باب زويلة فنجاه الله تعالى من كيده ولولا اشتغال ملك الامراء بنفسه لكان شنق الشهابى أحمد بن الجيعان لامحالة فلما تكلم القاضى شرف الدين الصغير والقاضى بركات المحتسب وقيل ساعدهما خير الدين نائب القلعة فى أمر الشهابى أحمد بن الجيعان رسم ملك الامراء بالافراج عنه بعد جهد كبير وكان ملك الامراء على خطر وبانت عليه لوائح الموت فلما أفرج عنه ألبسه قفطان حرير وأركبه على فرس من الاصطبل السلطانى ونزل من القلعة وشق من القاهرة فرجت له وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء فان الشهابى أحمد كان محببا للناس فشق من القاهرة بعد العصر فكان له موكب حافل وكان ذلك اليوم مشهودا فتوجه الى منزله بعدما قاسى شدائد ومحنا وأوعد بالشنق من ملك الامراء فكفاه الله تعالى شره وفيه يقول الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه

الحمد لله بكم عيننا * قرّت بفرحة لنا فى السرور

لما خلصتم ونزلتم الى * منازل العز وزال الشرور

وفى يوم الخميس حادى عشره أشيع بين الناس أن ملك الامراء بطلت شقته وعجز عن القيام وتزايد به ألم الفرخة الجمر واشتد عليه مخرج البول والغائط من الورم من تلك الجمرة وهذا العارض بعينه قد وقع للخنكار سليم شاه ابن عثمان ومات به ثم ان قضاة القضاة الاربعة ركبوا وطلعوا الى ملك الامراء وعادوه وسلموا عليه فلم يع لهم ولم يلتفت اليهم فقرؤا له الفاتحة ونزلوا الى منازلهم فلما تزايد الامر بملك الامراء أعتق جميع جواريه وعبيده ومماليكه ثم انه دفع للقاضى بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة ورسم بعشرة آلاف اردب قمح من الشونة ورسم للمحتسب بأن يفرّق ذلك كله على مجاورى الجامع الازهر والمزارات والزوايا التى بالقرافتين قاطبة ومجاورى مقام الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهما و يفرّق باقى ذلك على الفقراء والمساكين ومن عليه دين ففرّق ذلك كما رسم له ملك الامراء ثم انه رسم باخراج مراسيم للقاضى شرف الدين بن عوض بأن يفرج عن أصحاب الرزق الاحباسية التى كان أدخلها الى الديوان السلطانى وكان قدرها نحو ألف وثمانمائة رزقة فأفرج عنها لاصحابها وأعاد مكاتيب الرزق الجيشية التى كان أخرجها المفتش يوسف بن الحاكية الى أصحابها ثم صار يقول للمباشرين الذين شوّش عليهم حاللونى وأبرؤا ذمتى فحاللوه غصبا وفى يوم الجمعة ثانى عشره رسم باطلاق المحابيس رجالا ونساء فتوجه القاضى شرف الدين الصغير والقاضى

المحتسب الى بيت الوالى وعرضوا من فى سجن الديلم والرحبة فطلعوا بالمحابيس فى زناجير مشاة وتوجهوا بهم الى بيت الوالى فلما عرضهم هنالك صار القاضى شرف الدين الصغير والقاضى المحتسب يصالحون أصحاب الديون الذين عليهم من أربعين أشرفيا ونازل فيقولون لاصحاب الديون اتركوا الاجل ملك الامراء الباقى فصالحوا أرباب الديون بقدر يسير وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من أرباب الديون وفيهم جماعة من أعيان الناس وأطلقوا جماعة كثيرة من الضمان وجماعة من الفلاحين فقيل اطلقوا من سجن الرحبة أربعين انسانا وأطلقوا من سجن الديلم دون ذلك ولم يتركوا بالسجنين غير الحرامية ومن عليه دم ولم ير الناس فى أيام ملك الامراء خاير بك أحسن من هذه الايام فانه جاد مع الناس وبر الفقراء والمساكين ولم يعرف الله الا وهو تحت الحمل فلم يفده من ذلك شئ ويأبى الله الا ما أراد ويقرب من هذه الواقعة ما وقع للاشرف الغورى لما حصل له عارض فى عينيه فجاد على الناس الى الغاية وأفرج عمن بالسجون وعن جماعة من المباشرين ممن كان فى الترسيم عمال له صورة وكانت تلك الايام خيار دولته على الاطلاق ويقرب من ذلك ما وقع للاشرف قايتباى لما وقع عن الفرس وانكسر فخذه وأقام منقطعا فى القاعة التى بجوار الدهيشة وجلس على سرير مقور وصارت الناس تدخل عليه وتسلم عليه فجاد على الناس وأفرج عن جماعة كثيرة من المباشرين كانوا فى السجن وتصدق بمال له صورة على الفقراء والمساكين وفعل أشياء كثيرة من أنواع البر والصدقات وكانت تلك الايام خيار دولته وغالب هؤلاء الملوك ما يعرفون الله الا وهم تحت الحمل اذا جرت عليهم مصيبة يجودون فى حق الناس ويفعلون الخير وفى يوم السبت ثالث عشره أشيع أن ملك الامراء قد نزل به النزع وانه أرسل خلف الامير سنان بك العثمانى فلما طلع اليه وجده فى حال التلف فدفع اليه خاتم الملك الذى كان السلطان سليم شاه أعطاه له ثم انه قال له على قدر الاموال التى فى الخزائن وقال الاموال سمائة ألف دينار ذهب عين هذا خارج عما كان فى بيت المال من المال وخلف من الخيول والجمال والبغال والحمير ما لا ينحصر ومن الغلال والاغنام والابقار أشياء كثيرة ومع وجود هذه الاموال التى تركها كان يكسر جوامك المماليك الجراكسة ستة أشهر لم يعطهم شيأ ويشتكى أن بيت المال مشحوت من المال (أقول) وكان أصل ملك الامراء من مماليك الاشرف قايتباى وهو جركسى الجنس اباظا وكان أبوه اسمه بلباى الجركسى ولهذا كان يدعى خاير بك بلباى • الى الاشرف قايتباى ومات أيضا أخوه خضربك وأما أخوه جان بلاط فانه بقى مقدم ألف ومات فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى مات بالطاعون وأما أخوه قانصوه فانه كان يعرف بقانصوه المحمدى فارتقى حتى تولى نيابة الشام ومات فى دولة الاشرف الغورى وأما خاير بك فانه أقام بالطبقة وصار من جملة المماليك السلطانية فاخرج له

السلطان خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك الجدارية ثم بقي خاصكيا دوادارا سكين ثم بقي أمير
عشرة في سنة احدى وتسعمائة في دولة الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى ثم بقي أمير
طبلخانات في دولته أيضا وأرسله قاصدا الى الخنكار أبي يزيد ابن عثمان ملك الروم في
سنة ثلاث وتسعمائة ثم بقي مقدم ألف في دولة الاشرف جان بلاط وخرج صحبة العسكر
الى الشام فلما حضر العادل الى مصر أرسل بالافراج عنه فلما حضر أنعم عليه بتقدمة
ألف كما كان فلما تسلطن الاشرف الغوري جعله حاجب الحجاب واستمر على ذلك حتى
توفي أخوه قانصوه المحمدي نائب الشام فنقل السلطان الامير برسباى من نيابة حلب الى
الشام عوضا عن قانصوه برج وخلع على الامير خاير بك وقرره في نيابة حلب عوضا عن
برسباى وذلك في سنة عشر وتسعمائة واستمر على ذلك حتى تحرك الخنكار سليم شاه ابن
عثمان على السلطان الغوري وانكسر وكان خاير بك سببا لكسرة الغوري فلما ملك
سليم شاه الديار المصرية وجرى منه ما جرى وأراد التوجه الى بلاده خلع على يونس باشا
وقرره نائبا على مصر ثم بدا له أن يقرر خاير بك نائب حلب على نيابة مصر عوضا عن يونس
باشا فخلع عليه في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفع
اليه خاتم الملك فاستمر على نيابته بمصر الى أن مات في يوم الاحد رابع عشر ذي القعدة سنة
ثمان وعشرين وتسعمائة فكانت مدة نيابته بمصر خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما
بما فيها من مدة انقطاعه عن المحاكمات وتوعك جسده انتهى ذلك وأما ما عد من مساويه
فانه كان جبارا عنيدا سفاكا للدماء قتل في مدة ولايته ما لا يحصى من الخلائق وشنق رجلا
على عود خيار شنبر أخذه من جنينته وشنق من الناس ووسط وخوزق جماعة كثيرة
واقترح لهم أشياء في عذابهم فكان يخوزقهم من أضلاعهم ويسميه شك الباذنجان
فقتل بمصر وحلب فوق العشرة آلاف رجل وغالبهم راح ظلما ومنها أنه أتلف معاملة
الديار المصرية من الذهب والفضة والفلوس الجدد وسلط ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب
على أخذ أموال المسلمين ومنها انه قرب شخصا من النصارى يقال له يونس وجعله متحدثا
على الدواوين وصارت المسلمون تقف في خدمته ويخضعون له ومنها انه كان يكره الفقهاء
وطلبة العلم والعلماء وعزل القضاة الاربعة ونوابهم قاطبة ومنع الشهود أن يجلسوا
في الحوانيت ويتقاضوا أشغال الناس ومنها انه كان يكره المماليك الجراكسة ويعوق
جوامكهم ستة أشهر ثم يصرف لهم شهرين بألف جهد ومنها انه شوش على جماعة
من أعيان المباشرين وضربهم وبهدلهم وعوقهم في الترسيم نحو خمسة أشهر ولاسيما
ما جرى على الشهابي أحمد بن الجيعان فانه سلب نعمته وأخذ منه فوق السبعين ألف دينار
حتى باع جميع أملاكه وقماشه ورزقه وبقي على الارض ومنها أنه ندب يوسف بن أبي الفرج

وقرره فى وظيفة يقال لها مفتش الرزق الجيشية فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل ومنها انه أرسل فخر الدين بن عوض الى بلاد الصعيد ومسح الرزق الاحباسية وأدخلها فى الديوان ولم يفرج عنها وحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر فقيل انه أخرج ألفاو ثمانمائة رزقة منها ما كان على الزوايا والمساجد والترب وغير ذلك ومنها انه كان سببا لخراب الديار المصرية ودخول سليم شاه الى مصر وحسن له عبارة أخذ مصر وضمن له أخذها من غير مانع وعرفه كيف يصنع حتى ملكها وجرى منه ما جرى وقتل الامراء والمماليك الجراكسة وشنق السلطان طومان باى على باب زويلة وكل ذلك بترتيبه ودولبته وكان كثير الحيل والخداع والمكر وكان من دهاة العالم لا يعلم له حال ولو ذكرت مساويه كلها لطال الشرح فى ذلك وقد قلت فيه هذه الابيات عن لسانه

أصبحت بقاع حفرة مرتهنا * لا أملك من دنياى الا كفنا

يامن وسعت عباده رحمته * من بعض عبيدك المسيئين انا

فلما تحقق الناس موت ملك الامراء ارتجت القاهرة وأشيع ان التركمان ينهبون الاسواق فانتقل مكان الجسر من بركة الرطلى على لمح البصر وزع الناس أمتعتهم فى الحواصل ثم طلع الامير سنان بك الى القلعة وحضر الامير خير الدين بك نائب القلعة والامير خضر بك والكواخى أغوات الانكشارية فلما اجتمعوا اضربوا مشورة فى أمر المملكة وما يكون من أمر جماعة العثمانية فالتزم الامير خير الدين نائب القلعة والكواخى بأمر الانكشارية والتزم الامير سنان بك والامير خضر بك بامر الاصباهية وغير ذلك من الكلية ثم حضر الامير ارزمك الناشف فالزموه بامر المماليك الجراكسة وما يحصل منهم ثم ختم نائب القلعة والامير سنان بك على الحواصل التى بالقلعة ثم ان الوالى والقاضى بركات المحتسب نزلا من القلعة ونادوا فى القاهرة بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وان لا أحد يغلق له بابا ولا دكانا والدعاء للسلطان سليمان بالنصر فارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء قاطبة فكرروا هذه المناداة يوم الاحد ويوم الاثنين وكان عند العثمانية عادة اذا مات صاحب المدينة ينهبون المدينة عن آخرها فنعهم الامراء التركمان من ذلك وقالوا لهم متى نهبتم المدينة تقتلكم عوام مصر ويحصل بينهم وبينكم فتنة عظيمة وتخرب مصر عن آخرها فسكن الاضطراب قليلا ثم فى يوم الاثنين لما دفن خاير بك تحول الامير سنان وطلع الى القلعة من يومه وسكن بها فوقع بين الامير سنان والامير خضر تشاجر بسبب النيابة فاظهر الامير سنان مرسوما وعليه علامة السلطان سليمان بانه اذا توفى ملك الامراء خاير بك يكون عوضا عنه فى نيابة مصر فوقع الاتفاق بينهما بان يستقر بالقلعة ويكاتب السلطان بموت خاير بك وينتظر الجواب بما تقتضيه الآراء الشريفة فى ذلك ثم ان الامير سنان عرض ما فى بيت المال من المال

فوجد

فوجد خاير بك خلف من المال على ماقيل ستمائة ألف دينار خارجا عما كان فى بيت المال ثم ان الامير سنان خلع على القاضى شرف الدين الصغير واستقر به متحدثا على جهات الغربية وخلع على الشهابى أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وجعلهما متحدثان على جهات الشرقية فامتنع الشهابى أحمد كل الامتناع من لبس القفطان وقال أنا أصبحت رجلا فقيرا لاأملك من الدنيا شيأ وأنا مابقيت أباشر شيأ فارسلونى الى اسطنبول أو الى مكة المشرفة ورد على الامير سنان ذلك القفطان وخلع على القاضى بركات المحتسب وجعله متحدثا على جميع جهات الشرقية من دمياط الى المطرية على عادته وخلع على محيى الدين ابن أبى اصبع وجعله متحدثا على ديوان الوزارة وديوان الخاص على عادته كما كان وفى ذلك اليوم نزل حريم خاير بك من القلعة على وجوههن وهن فى غاية الذل وفى يوم الاربعاء سابع عشره رسم الامير سنان بتوسيط شخص من الاصباهية فوسطه فى الرميلة وسبب ذلك انه خطف خرقة جوخ ثمنها مائة وعشرون دينارا فطلع صاحب الجوخه الى الامير سنان وشكا له ذلك الشخص الاصباهى فقال له الامير سنان لك عليه بينة بانه خطف منك الخرقة الجوخ فقال له نعم وأحضر له من شهد عليه بذلك فارسل خلف الاصباهى وسأله عن ذلك فاعترف وأحضر الخرقة الجوخ وأعادها الى صاحبها ومضى بها ثم انه رسم بتوسيط الاصباهى فوسطوه فى الرميلة عند باب الميدان وهذا أول حكم الامير سنان فى القتل ثم ان الامير سنان رسم بان يعين جماعة من الانكشارية فى بيت المحتسب يضبطون مايتحصل من أموال الحسبة فى كل يوم وجعل مثل ذلك فى بيت الوالى وبيت محيى الدين بن أبى اصبع لكونه متحدثا فى ديوان الوزارة والخاص وجعل مثل ذلك فى ديوان الوزراء يضبطون مايتحصل فى كل يوم وجعل مثل ذلك على المكاسة الذين فى بولاق ومصر العتيقة وغير ذلك من القباض وفى يوم الخميس ثامن عشره سافر الامير اينال السيفى طراباى الذى ولى كشف الشرقية الى محل ولايته بها وفى يوم الجمعة تاسع عشره حضر شخص من مماليك الامير قايتباى الدوادار فى بعض أشغال استاذه وعلى يده كتب فكان من مضمونها ان السلطان سليمان نازل على رودس وانه بباب رودس يحاصرها أشد المحاصرة وقد قتل من العسكر العثمانى مالا يحصى من البندق الرصاص ومن المدافع التى عمالة نازلة فى كل يوم من قلعة رودس وكلما هدم من سورها شيأ تبنيه الفرنج تحت الليل بالحجر الفص وقد أعياهم أمر الفرنج وقوة بأسهم وقد كتم موت من مات من الامراء الجراكسة والمماليك وفى يوم السبت عشريه رسم الامير سنان لمماليك ملك الامراء خاير بك أن ينزلوا من الطباق التى بالقلعة فشق ذلك عليهم فلما نزلوا من الطباق طلع اليها جماعة من الاصباهية ممن هم من جماعة الامير سنان والانكشارية من عصبة خير الدين نائب القلعة ثم أشيع أنه وقع بين الامير سنان والامير

خضر العثمانى تشاجر بسبب النيابة فوقع الاتفاق على ما يرد من جواب السلطان على ذلك
وفيه أشيع أن الامير اينال السيفى الذى استقر كاشف الشرقية تحول عنها الى كشف
الغربية وأعيد الامير جانبك الى كشف الشرقية كما كان أولا واستهل شهر ذى الحجة بيوم
الثلاثاء فكان المتحدث على الديار المصرية يومئذ الامير سنان بك العثمانى نائبا على مصر عوضا
عن خاير بك بحكم وفاته وكان قضاة القضاة منفصلين عن القضاء كما تقدم فلم يطلع الى التهنئة
بالشهر أحد وفى يوم السبت خامسه توفى الشيخ أمين الدين بن النجار خطيب جامع
الغمرى وكان دينا خيرا من أهل العلم والدين من أعيان الشافعية وفى عقيب موته توفى
القاضى جلال الدين بن محمد بن بدر الدين بن محمد بن كيل أحد نواب الشافعية وكان عالما
فاضلا وله نظم جيد وكان من أعيان الشافعية وفى يوم الخميس عاشره كان عيد النحر فصنع
الامير سنان مدة حافلة بالقلعة لاجل الاصباهية والانكشارية والكملية فتناهبوا تلك
المدة على لمح البصر وقد ذاق الامير سنان طعم المملكة ودخلت حلاوتها فى أسنانه ۞ وفى يوم
الخميس سابع عشره نادى الامير سنان بعد العصر فى القاهرة بان السلطان سليمان
استقر بالوزير الاعظم مصطفى باشا نائبا على مصر عوضا عن خاير بك بحكم وفاته وقد
وصل ذلك النائب الى الاسكندرية ثم نادى فى ذلك اليوم للناس بالامان والاطمئنان والبيع
والشراء وأن لا أحد يكثر كلاما فيما لا يعنيه فلما تحقق الناس ذلك خرج المباشرون
وأعيان الناس الى ملاقاة ذلك النائب وأشيع أن الامير جانم الجمزاوى قادم صحبة
النائب وانه قد وصل الى قليوب فخرج غالب العسكر العثمانى الى ملاقاته فلما كان يوم
الاربعاء ثالث عشرى ذى الحجة وصل الوزير الاعظم مصطفى باشا الى ساحل بولاق فلما أشيع
ذلك نزل الامير سنان من القلعة والامير خير الدين نائب القلعة وأتى اليهم الامير خضر
العثمانى وأتى اليهم الكواخى أغوات الانكشارية وأتى الامير أرزمك الناشف أغات
المماليك الجراكسة وسائر الاصباهية والانكشارية والكملية قاطبة وتوجهوا الى بولاق
لاجل ملاقاة النائب مصطفى باشا فلما وصلوا الى بولاق أحضروا للنائب فرسا من الخيول
الخاص ولبس خلعة السلطان وهى بتماسيح على أحمر وأحضروا لجماعته نحو أربعمائة فرس
فركب النائب من هناك هو وجماعته ومشت الانكشارية قدامه والكملية قاطبة يرمون
بالنفوط وركب جميع الاصباهية وأمراؤهم وجميع الامراء الجراكسة وأتباعهم
وأعيان الناس قاطبة فدخل من باب البحر واستمر الى باب القنطرة فشق من سوق مرجوش
ثم شق من القاهرة فى موكب حافل مثل موكب ملك الامراء خاير بك وكان الامير سنان عن
يمينه والامير جانم الجمزاوى عن يساره وعليه خلعة بتماسيح ذهب والامير خير الدين نائب
القلعة والامير خضر قدامه وعلى رأسه صنجق بقبع فضة ومن ورائه طبلان وزمران عثمانية

وخلفه

وخلفه جماعة بطراطير حمر بعصائب ذهب فلما شق من القاهرة ارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودا وكانت صفته أنه أبيض اللون عربى الوجه حليق اللحية ليس له غير شارب أصفر بن معتدل القامة وعليه حشمة وخفر وقيل هذا أعظم وزراء ابن عثمان حتى أطلق عليه أنه وزير الوزراء واستمر فى موكب حافل حتى شق من الرميلة ودخل الى الميدان ثم صعد الى القلعة وفيه يقول الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

لاتحزنى مصر على * موت الامير خيربك

بل افرحى بمصطفى * ستنظر به خيربك

فلما قدم النائب مصطفى باشا الى مصر أشيع ان الاخبار وردت على السلطان سليمان بوفاة ملك الامراء خاير بك وهو على رودس فى يوم الخميس ثالث ذى الحجة فلما تيقن موته خلع على وزيره الاعظم مصطفى باشا وقرره فى نيابة مصر عوضا عن خاير بك بحكم وفاته فاستقر فى النيابة يوم السبت خامس ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكانت ولايته فى الخامس وهو يوم نحس مستمر وكان السلطان على رودس فكانت مدة ولايته من حين ولى برودس الى أن دخل الى ثغر الاسكندرية تسعة عشر يوما وكانت مدة سفره فى البحر أربعة أيام ودخل الى شاطئ بولاق يوم الاربعاء ثالث عشرى ذى الحجة فتكون مدة ولايته من حين ولى برودس الى أن دخل الى الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما فلما طلع النائب مصطفى باشا الى القلعة يوم الاربعاء مدله الامير سنان هناك مدة حافلة بالقلعة ثم مدله بساط الانس وسلمه مفاتيح بيت المال ودفع له خاتم الملك الذى كان السلطان سليم شاه أعطاه لملك الامراء ثم تحول الامير سنان ونزل الى منزله بدرب ابن البابا فكانت مدة نيابته بالقاهرة الى أن حضر مصطفى باشا ثمانية وثلاثين يوما كأنها أضغاث أحلام وفى يوم الخميس رابع عشريه نزل النائب مصطفى باشا الى الميدان وحضر الامير سنان والامير خضر والامير خير الدين نائب القلعة وحضرت الاغوات المتعلقة بالانكشارية وقرئ عليهم مرسوم السلطان الذى حضر على يد مصطفى باشا فكانت براعة استهلال ذلك المرسوم الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ثم نعت النائب مصطفى باشا بنعوت عظيمة بانه وزير الوزراء وأمير الامراء وما أشبه ذلك من النعوت الحسنة ثم رسم له بان يعطى فى كل سنة من خراج أراضى مصر مائة ألف دينار له ولمماليكه وحاشيته ومن مضمون ذلك المرسوم انه لا يصرف لطائفة الانكشارية والاصباهية أكثر من أربعة أنصاف فى كل يوم فشق عليهم ذلك وكان ملك الامراء خاير بك رتب لجماعة من الاصباهية أشرفيين فى كل يوم جماعة وأشرفى فى كل يوم وكان فى طائفة الانكشارية من كان له فى كل يوم

عشرون نصفا وشئ عشرة أنصاف وشئ ثمانية فبطل ذلك جميعه واستقرت على أربعة أنصاف كل يوم ومن مضمون المرسوم الوصية بالرعية قاطبة والمماليك الجراكسة واصلاح المعاملة والنظر فى أحوال الرعيـة والمسلمين بما فيه اصـلاحهم وكان من مضمونه أشياء كثيرة يطول شرحها وفى ذلك اليوم طلعت القضاة الاربعـة يسلمون عليه فوجدوه بالاشرفيـة التى بالقلعة فلم يمكنوهم من الدخول اليه حتى شاوروه فأذن لهـم فدخلوا عليه فوجدوه ملقى على ظهره فلم يلتفت اليهم ولا قام لهـم ولم يعدّهم من البشر ثم قال لهـم على لسـان التـرجمان النـائب يقول لكـم لولا أنه ضعيف لقام لكم فقرؤا الفاتحـة وانصرفوا وفى يوم الجمعـة خامس عشريه نزل النائب مصطفى باشا الى الميدان وجلس به وعرض موجـودملك الامراء خاير بك من الجمال والخيول والبغال فوجـدله من ذلك أشياء كثيرة لا تنحصر ثم طلع الى الحوش الســلطانى وعرض مماليك خاير بك ثم عرض الحواصل التى فيها الموجودات من قماش ونحاس وصينى وغـيرذلك فوجدله أشياء كثيرة أعظم من موجود الاشرف قايتباى ووجـدله من الذهب العين على ما قيل ستمائة ألف دينار وقـد حاز هذا الموجود العظيم فى هـذه المدة اليسيرة وفى يوم السبت سادس عشريه نزل مصطفى باشا الى الميدان وجلس به وحوله الامير سنان والامير خضر والامير خـير الدين نائب القلعة والامـير ازرملك الناشف وجماعـة آخرون من الامراء فأظهر التعاظم فى ذلك اليوم ومشى على طريقـة الخنكار سليم شاه وصار كواحد منهـم وكان النائب مصطفى هذا متزوجا بابنة الخنكار سليم شاه وهى أخت السلطان سليمان فوقف الوالى قدامـه بالعصا وكذلك نقيب الجيش أيضا واصطفت قـدامـه الانكشارية والاصباهية والـكملية وبأيديهم العصى ثم ترادفت عليه القصص بحوائج الناس فلم يفهم منها شـيأ وصار الترجمان يقول له معنى ما فى القصص بالتركى وهو كالخشـبة ثم رسم بالمناداة فى القاهـرة بالامان والاطمئنان والبيع والشراء وأن كل من ظلم من بعد ملك الامراء خاير بك فعليه بالابواب العالية ثم أشيع انه نادى أن العمال يقبضون الخراج من الفلاحـين النصف الفضـة بنصفين ويقام لهـم عند الحساب بنصفين وربع ففرح الفلاحون بذلك ثم من بعد ذلك تبين أن هذه الاشاعة ليس لها صحة وكل شئ على حكمه فى المعاملة ثم ان النائب قام وطلع الى القلعة وهذا أوّل ديوان فى أيامه وأول محاكماته بين الناس وأوّل جلوسه للنـاس عامة وفى يوم الاحـد سابع عشريه أشيع فى القاهـرة أن القاضى بركات بن موسى قـد انفصل عن الحسبة واستقر بها شخص من العثمانيـة من أقارب النائب مصطفى يقال له قاسم باشا فاضطربت القاهرة بسبب ذلك وشق على الناس عـزله وفى ذلك اليوم أشيع أن النائب قد أخذ مفاتيح الحواصل كلها جميعا التى فى القلعة

من البوابين وسلمها لجماعة من الاروام من حاشيته وطرد البوابين والغلمان والركابة والبابية وأبطل الشوّاش والركبدارية والفراشين وغلمان السلطان قاطبة حتى أبطل الطباخين من المطبخ وأقام جماعة من الاروام عوضهم وأبطل المقرئين الذين كانوا يقرؤن بالقلعة قاطبة حتى أبطل من كان بالقلعة من المؤذنين وجعل لجامع الحوش مؤذنا واحدا وأبطل جميع نظام القلعة الذى كانت عليه قديما ومشى على القانون العثمانى وهو أشأم قانون ثم انه شرع فى بيع موجودات ملك الامراء خاير بك فطلب التجار قاطبة فطلعوا الى القلعة بسبب المبيع وفى يوم الاثنين ثامن عشريه طلع أعيان المباشرين الى القلعة وتوجهوا الى بيت الدفتردار فاجتمعوا هناك وشرعوا فى أمر تقسيط البلاد وأشيع أنهم قد أفردوا للنائب مصطفى باشا فى كل شهر ثمانية آلاف دينار له ولمماليكه خاصة ولجماعته وحاشيته ومطبخه وانعاماته وغير ذلك مما حكم به الزمان الخبيث على الناس ثم ان المعلم الحلوانى العجمى الذى كان دكانه تجاه المدرسة الناصرية التى بين القصرين صار من خواص النائب مصطفى باشا وصار من المقربين عنده ويتقاضى حوائجه وحوائج الناس عنده واجتمعت فيه الكلمة وصار المرجع اليه فى الامور فى تلك الايام حتى بقى كمنزلة الدوادار الكبير فكان كما قال فى المعنى

ما كنت أحسب أن يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشريه قدم مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وان الغلاء وموت الجمال موجود مع الحجاج ولم يكن لما قالوه من أمر الفتن التى وقعت بمكة صحة ولله الحمد والشكر على ذلك وفى ذلك اليوم خلع مصطفى باشا على القاضى شرف الدين الصغير وأقره على ما كان عليه من التحدث على جهات الغربية وخلع على القاضى فخر الدين بن عوض وأقره على ما كان عليه من التحدّث على جهات الصعيد وخلع على القاضى بركات بن موسى والقاضى شرف الدين بن عوض واستقر بهما فى التحدّث على جهات الشرقية قاطبة كما كانا فى الأول فنزلوا من القلعة وشقوا من القاهرة فى موكب حافل ثم أشيع أن القاضى بركات بن موسى لم يعد الى الحسبة فتنشوش الناس لذلك وفى يوم الاربعاء سلخ الشهر ترشح أمر القاضى بركات بن موسى المحتسب لعوده الى الحسبة وقيل انه رتب لذلك الشخص العثمانى أشرفيين كل يوم فنادى فى القاهرة بعد العصر حسبما رسم الزينى بركات بن موسى كل شئ على حاله وأن السوقة والمتسببين يحضرون باكر النهار الى بيت القاضى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وناظر الذخيرة الشريفة فهو على حاله فى الحسبة ففرح غالب الناس بذلك انتهى ما أوردناه فى هذا التاريخ من الاخبار العجيبة والوقائع الغريبة وقد اشتمل على أخبار سبع دول كانت بالديار المصرية

وقد تقدم ذكرها من الاول الى هنا وقد وقع لى من المحاسن فى هذا التاريخ مالم يقع لغيرى من المؤرخين فيما أوردوه من تواريخهم القديمة وقد أعان الله تعالى على انتهائه على خير ولله الحمد والمنة على ذلك وفيه أقول

اغفر لمنشيه واصفح * عما جنى بالتهامى
أحسنت لى فى ابتداء * يارب أحسن ختامى

﴿وقولى أيضا﴾

تاريخنا بهجة المجالس * يطرب من لفظه المجالس
سماعه للورى سرور * يشرح صدر الكل عابس

﴿وغيره أيضا﴾

الفتنه نعم الجليس اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

تم طبع تاريخ مصر لابن اياس على ذمة الكتبخانة الخديوية بمطبعة بولاق الاميرية فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة الداورية العلية من بلغت به رعيته غاية الامانى حضرة أفندينا المعظم ﴿عباس باشا حلمى الثانى﴾ ملحوظا هذا الطبع الجليل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية محمد بك حسنى فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣١٢ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٤ ميلادية

